15

الضياء

مجلة

علمية ادبية صحية صناعية

لصاحبها

الشيخ ابرهيم اليازجي

السنة الرابعة

مصر سنة ١٩٠١ — ١٩٠٢

مطبعة المعارف باول شارع الفجالة بمصر

الضياء

مجلة

علمية ادبية صحية صناعية

لصاحبها

الشيخ ابرهيم اليازجي

السنة الرابعة

مصر سنة ١٩٠١ — ١٩٠٢

مطبعة المعارف باول شارع الفجالة بمصر

فهرست المواد

روايات الضياء

﴿ فهرست اسماء المكاتبين ﴾

اصلاح غلط

صفحة	سطر	خطأ	صوابهُ
١١	٧	اواخر	اواخرهِ
٢١	١٠	فيكف	فكيف
٧١	١٦	اوارنس	اورانس
١٣٥	٢	جيغار	جيفار
١٣٦	١ و ٦	»	»
٣٠٢	٢٠	بهِ وفُسر	وبهِ فُسر
٣٦٨	١٦	الف	الفًا
٣٦٨	١٨	الابرج	الابراج
٣٧٣	٥	ما يدرك	ما لا يدرك
٣٨٨	٢	يفوزن	يفوزون
٤٥٣	١٤	يجمعها	يجمعهم
٤٧٨	٩	اخاك	اخيك
٥١٣	٣	قان	فان
٥٦٥	٢	وما يلها	وما يليها
٥٩٨	١٩	المعشلاني	المشعلاني
٦٠٩	٨	واحمر	واحمر واخضر
٦١٦	٣	ضمخة	ضخمة



مجلة علمية أدبية صحية صناعية

الصناعة المقدسة

المراد بالصناعة المقدسة ما كان متقدمو المصريين يطلقونهُ على الاعمال الكيماوية التي كانت اسرارها محفوظة لكهنتهم . وتسمى ايضاً بالصناعة الهرمسية لان واضعها هرمس الملقب بالترسماجست اي المثلث العظمة (١) وهرمس لفظٌ يونانيٌّ يراد بهِ عطارد ويسميهِ متقدمو المصريين توت . وهو عندهم مرجع العلوم كلها واليهِ يُنسب وضع الشرائع المصرية وكان عهدهُ فيما يزعمون قبل الميلاد بألفي سنة ويعزون اليهِ وضع اللغة وحروف الهجآء والكتابة والهندسة والحساب والهيئة والطب وسائر العلوم والصناعات

(١) قال في تاج العروس هرمس كزِبرِج اسم علم سرياني (كذا) وهرمس الهرامسة يعنون بهِ سيدنا ادريس عليهِ السلام وهو النبيّ المثلث . اه ولعل المراد بهِ المذكور هنا . ونُقل عن اناس من اهل هذه الصناعة ان واضعها توبل قايين وانها انتقلت في اعقابهِ حتى انتهت الى حام بن نوح وهو الذي علمها لكهنة المصريين

المعروفة لذلك العهد باسرها واليهِ تُنسَب الاسفار الهرمسية التي كان كهنة مصر يحتفظون بها وهي تتضمن احكام الدين والعلم و بعضٌ من تلك الاسفار باقٍ الى اليوم

وكانت الصناعة المذكورة محصورةً في الكهنة المصريين من خرّيجي ثيبة ومنفيس وكانوا يتعاطون اعمالها في الهياكل المقدسة فيركّبون الموادّ ويحللونها و يبرزونها على صورٍ شتى بالذرائع الكيماوية وكانوا في زعمهم يحتذون صنع الخالق عز وجل في الخلق والابداع فيأتون في صغار الاعمال ما يأتيهِ في كبارها ولذلك كانت العوام تعتقد ان الكاهن الهٌ صغير

وذلك انهم كانوا يرون الموادّ تتحول لهم على اشكالٍ شتى من غير ان يعلموا الاسباب الطبيعية التي يتم بها هـذا التحول فتخيلوا ان في ذلك سرًّا فوق الطبيعة بهِ يقتدرون على ما استطالت اليهِ اوهامهم من الخلق واقتياد الطبيعة الى ما يريدون . فمن امثلة ذلك التحول انهم كانوا مثلاً يرون المآء اذا أُغلي في انآءٍ مكشوف يتحوّل الى جسمٍ هوآئي اسيء الى بخار ويبقى في اسفل الانآء ترابٌ دقيق ابيض فخُيّل لهم من ذلك ان المآء قد استحال الى هوآء وتراب . وانما سرى اليهم هذا الوهم من قِبَل انهم كانوا يجهلون تركيب المآء وما يخالطهُ من الموادّ التي تبقى راسبة بعد تبخرهِ فلا غرو أن يسبق الى اعتقادهم حدوث هذا التحول الذي هو من اعظم ادلّتهم على امكان تحوُّل بعض المعادن الى بعض

ومن ذلك انهم كانوا يأتون بقابلةٍ فيضعونها فوق قصعةٍ مملوءةٍ مآءً ويأتون بقطعةٍ من الحديد المُحمَى ويغمسونها في المآء ثم يدخلون تحت القابلة

شمعةً موقدة فيشتعل ما فيها من الهوآء واذا وزنوا المآء بعد ذلك وجدوا فيه نقصاً فيحكمون ان المقدار الذي نقص من المآء قد تحول الى نار. وهي ولا جرم نتيجةٌ ضرورية بالقياس الى مبلغ العلم في ذلك العهد لانهم لم يكونوا يعلمون ان المآء مؤلفٌ من عنصرين هوآئيين هما الاكسيجين والهدروجين وان الاكسيجين يمتصهُ الحديد والهدروجين يفلت تحت القابلة وهو الذي يشتعل بلهيب الشمعة

وقس على ذلك امتحانات شتى منها انهم كانوا يحرقون اي يكلّسون الرصاص او غيرهُ من المعادن (خلا الذهب والفضة) وهو مكشوف للهوآء فلا يلبث ان يفقد خواصهُ الاصلية ويستحيل الى مادّةٍ غبارية اي الى نوعٍ من الرماد او الكلس . ثم اذا أُخذ هذا الرماد الباقي بعد موت المعدن كما يقولون وأُحمي في بوتقةٍ واضيف اليهِ حبّاتٌ من البُرّ لا يلبث المعدن ان يعود الى حالتهِ الاولى متولداً من رمادهِ فاتخذوا من ذلك ان المعدن الذي حلّتهُ النار يستعيد حياتهُ بحبّات البُرّ وفعل الحرارة ومن هنا كان البُرّ عندهم رمزاً الى الحياة ثم اتخذوهُ رمزاً الى البعث والحياة الاخروية . وانما خُيّل لهم ذلك لانهم كانوا يجهلون امر التاكسد وان الاكاسيد تقلّ بمخالطة الفحم او احد الاجسام العضوية الكثيرة الكربون كالسكر والدقيق والقطاني واشباهها

وقد يتفق ان يكون في الرصاص شيء من الفضة فاذا كلّسوهُ تحوّل بالضرورة الى رماد وفي نهاية العمل يبقى في قعر البوتقة نقرةٌ من الفضة الخالصة فيذهبون الى ان الرصاص قد استحال الى فضة . ولعل مثل هذا

هو الذي سوّل لهم ان المعادن يستحيل بعضها الى بعض فامعنوا من ثمَّ في التماس الحجر الفلسفي

ومنها انهم كانوا يغمسون قطعةً من النحاس في حامض من الحوامض الفعالة فيؤثر الحامض في النحاس وبعد حين يخفى جرم النحاس وينشأ عن ذلك سائلٌ اخضر شفّاف ثم اذا غُمس في هذا السائل شفرة حديد يظهر النحاس عليها بلونهِ الطبيعي حالة كون الحديد ينحلّ ايضاً في الحامض فيسبق الى اعتقادهم ان الحديد قد تحوّل الى نحاس . وحينئذٍ فلو استُعمل عوض محلول النحاس محلول من الرصاص او الفضة او الذهب لقيل ان الحديد قد استحال الى واحد من هذه المعادن

ومن تلك الامتحانات انهم كانوا يُسقِطون الزئبق رشاشاً دقيقاً على الكبريت المذاب فيكون عنهُ مادّةٌ سوداء ثم كانوا يحمون هذه المادة في اناءٍ مسدود فتتبخر ثم تتحول الى مادةٍ حمراء ناصعة وهو ولا جرم من غريب التحوُّل الذي الى اليوم لا يُعلَم سببهُ ولا كيفيتهُ فعدّوهُ من الامور الخارقة للطبيعة . وكانوا يرمزون بالاسود والاحمر الى الظلمة والنور او الشر والخير ويرون في مجتمعهما رسماً معنوياً للاله الخالق ومن هنا نشأ المبدأ الفلسفي الذي اجمع عليهِ الكيماويون الاولون من ان جميع الاجسام وعلى الخصوص المعادن ترجع الى عنصرين هما الكبريت والزئبق

ومنها انهم حللوا الاجسام العضوية فجعلوها في اناءٍ ذي مصفاة واحموها على النار فانحلّت الى راسبٍ جامد وسائل رشح تحت المصفاة وارواح انفصلت وتطايرت فكان من هنا اصل قولهم بالعناصر الاربعة التي تتركب منها

الاجسام وهي التراب والماء والهواء والنار

وهناك امتحانات اخر لا فائدة من استقصائها مما كان اوائك الكهنة يتعاطونهُ في هيا كلهم وكانوا يرمزون الى مقاصدهم بعبارات لغزية لا يفهمها الا اهل الصناعة ولا يجوز شرحها ولا تعليمها لأحد من العامة ومن باح بشيء منها عوقب بالقتل . ومن امثلة تلك العبارات ما وصف بهِ بعضهم كيفية صنع الاكسير قال

« اذا شئت ان تصنع اكسير الحكماء فخذ الزئبق الفلسفي وحوّلهُ بالتكليس الى اسدٍ اخضر ثم أسدٍ احمر وأنضجهُ في حمّامٍ من الرمل وروح العنب الحاذق وصفِّ الحاصل بعد ان تنتشر على الانبيق الظلال الجبلية فيكون في اسفلهِ تنّين اسود ياكل ذنبهُ . فتأخذ هذا التنين وتسحقهُ على صلاية ثم تدني منهُ فحمةً حمراء فيلتهب بلونٍ أُترُجيّ ويبرز منهُ الاسد الاخضر فاذا ابتلع هذا الاسد ذنبهُ صُفّي الحاصل مرّةً اخرى وبعد ذلك يكرَّر فيظهر الماء الحارّ والدم الانساني »

وقد عُني بعضهم بتفسير هذا اللغز فقال المراد بالزئبق الفلسفي الرصاص والاسد الاخضر والاسد الاحمر كناية عن اول اكسيد الرصاص وثاني اكسيدهِ والمقصود بروح العنب الحاذق الخل وهو يحلّ اكسيد الرصاص فيظهر عليهِ شيءٌ من الزيت ادكن اللون هو المراد بالظلال الجبلية والتنين الاسود ما يبقى منهُ بعد التصفية وهو يلتهب سريعاً اذا أُدنيت منهُ جمرةٌ مشتعلة وحينئذٍ يعود اول اكسيد الرصاص وهو المعبَّر عنهُ بالاسد الاخضر ثم هو اذا اعيد الى الخل انحلّ ايضاً فاذا صُفّي مرةً اخرى وكُرّر كان منهُ

روح الخلّ وهو المعبَّر عنهُ بالماء الحارّ وخالطهُ زيتٌ احمر الى السُمرة هو المراد بالدم الانساني وهو الذي يتحصل بهِ الذهب من محاليلهِ ويرسب على الهيئة المعدنية . انتهى

ولا يخفى ان هذا كلهُ بعيد التصوُّر حتى على الكيماويّ نفسهِ ما لم يُمتحَن بالفعل فهو في الكثير منهُ لا يخرج عن اللغز ايضاً وانما نقلناهُ تتمةً للبحث وبياناً لتصرُّفهم في الإلغاز عن مقاصدهم . واستمرَّت هذه الصناعة دهراً طويلاً محصورةً في كهنة المصريين الى ان انشئت مدرسة الاسكندرية فاخذها عنهم اليونان ثم تناولها العرب فيما تناولوهُ من علوم اليونان واشتغل بها منهم خلقٌ عديد اشهر من يذكر منهم جابر بن حيّان وابن سيناء وابن رشد وانتقلت من العرب الى اهل اوربا فلم يكونوا اقلّ اشتغالاً بها من غيرهم وممن اشتهر بها منهم الراهب رُوجَر باكُون وأَلبِير الاكبر ورَيمون لُول ونقولا فلاميل وجُورج اغريكُولا[1] وغيرهم وزادوا عليها غرضاً آخر سوى تحويل المعادن وهو الوصول الى اكسير يشفي عامة الامراض ويطيل اجل الحياة . وما زال امرهم ذلك الى ان نبغ باراشلْس السويسري في اوائل القرن السادس عشر فنفى القول بتحويل المعادن واحرق مؤلفات ابن سيناء على عيون الاشهاد في مدرسة بال لكنهُ ما برح يزاول اكسير الشفاء وهو اول من عانى البحث عن المركبات الدوائية وافردها من سائر المركبات

---

(١) لصحة التلفظ بالكلمات الاعجمية رأينا ان نضبطها من الآن فصاعداً بالحركات التي اشرنا اليها في مجلد السنة الثانية من هذه المجلة (ص ٥١٦) وهي هذه العلامة « ^ » لما بين الضمّ والفتح (o) وهذه « x » لما بين الضمّ والكسر (u) وهذه « x » لما بين الفتح والكسر (e) وهذه « ^ » لما يجمع الحركات الثلاث (eu)

الكيماوية ثم تتابع الباحثون من بعده حتى خلّصوا الحقائق العلمية من التُرَّهات الوهمية واتسعت امامهم فجاج البحث والاكتشاف ولا سيما بعد ان بلغت الكهربآئية مبلغها الحاضر فحللوا كثيراً من الموادّ التي كانت تُعتبَر عناصر بسيطة حتى انتهى عدد العناصر في هذه الايام الى ما يفوت سبعين عنصراً وآلت مباحثهم الى منافع لا تُحصَى في الصناعة والزراعة والطب

على ان امر تحويل المعادن ما زال الى يومنا هذا شغلاً شاغلاً لكثيرٍ من ضَعَفة العقول اغتراراً بما يقرأون في بعض الكتب القديمة او استرسالاً الى ما يسمعون من بعض اهل المخرقة والاحتيال ممن سُدَّت في وجوههم سبل الرزق فعمدوا الى دعوى الكيميآء وهم انما يطلبون الكيميآء لانفسهم فاذا آنسوا من بعض النفوس الصغيرة حرصاً على جمع الدينار سكبوا على تلك النفوس اكسير خداعهم فأحالوا ذلك الحرص الى سخآء حاتمي وانهال عليهم الدرهم والدينار بغير حساب حتى اذا استصفوا ما عند غريمهم ذهبوا بين سمع الارض وبصرها وتركوهُ هائماً بين اودية الفقر وظلمات اليأس ومما يحسن ايرادهُ هنا قول محمد بن سلام

قد نكَّس الرأسَ اهلُ الكيميا خجلاً — وقطَّروا ادمعاً من بعد ما سهروا
ان طالعوا كتباً للدرس بينهمُ — صاروا ملوكاً وان هم جرَّبوا افتقروا
تعلقوا بحبال الشمس من طمعٍ — وكم فتىً منهمُ قد غرَّهُ القمرُ

الوراثة الطبيعية

هي من سُنَن الطبيعة في الأحياء تنتقل بها الخصائص الفطرية من السَلَف الى الخلَف . وهذه الخصائص اما ان تكون من مقوّمات النوع ككون الانسان منتصب القامة ذا يدين ورجلين ناطقاً ضاحكاً بالطبع الى غير ذلك من الفصول والخواصّ التي تميزهُ من سائر انواع الحيوان وتسمَّى بالنوعية . واما ان تكون من مميزات الفرد ككون زيدٍ مثلاً طويل القامة اسمر اللون اسود الشعر كبير العينين الى سائر ما هنالك من الحِلَى التي يتميز بمجموعها عن غيرهِ من الافراد وتسمى بالشخصية

والوراثة النوعية تعمّ جميع افراد النوع لان الخلَف يتناول من السلَف جميع المميزات التي تُلحِقهُ بنوعهِ واذا اتفق ان يكون في بعض الافراد ما ليس من خصائص النوع فلا بد ان يكون ذلك ناشئاً عن عاهةٍ مرضية طرأت على الشخص نفسهِ او عن وراثةٍ عن احد السلف على ما سيجيء الكلام فيهِ . واذا كان الخلَف مركباً من نوعين كالبغل المتولد بين الحمار والفرس فانهُ يجمع كل الخصائص المشتركة بين النوعين ككونهِ من ذوات الثُديّ وانهُ يمشي على اربع ويا كل النبات ولا يجترّ وتنفرد فيهِ بعض المميزات الخاصة بكلٍّ منهما كضخامة الجثة المستفادة من الفرس وشكل العُرف المستفاد من الحمار وربما اختلط بعض الصفات فيهِ كالشحيج المتوسط بين الصهيل والنهاق

واما الوراثة الشخصية فانها لا تميز الا في الانواع الراقية ولا تتجاوز

افراد الأُسرة الواحدة . وهي اكثر ما تكون في المميزات والخصائص الفطرية كملامح الوجه ولون البشرة والشعر ونوع المزاج وغير ذلك . ويتصل بها انتقال بعض الامراض بالارث كالصرع والزُهَريّ والسلّ وغيرها وقد يقتصر الارث على نقل الاستعداد لاحد الامراض بان يرث المولود حالةً من الحالات المؤهّبة لقبول المرض كضيق الصدر المهيّئ لقبول السلّ وتنبُّه العصب المهيّئ لقبول الامراض العقلية

وقد تنتقل العاهات الجسمية بالارث ولا سيما ما كان منها خلقةً في السلَف كالتحام بعض الاصابع او نقص بعضها وكالفَلَح في الشفة احياناً وبروز العُصعُص وما اشبه ذلك . واما اذا كانت من العاهات والآثار الطارئة على بعض الاعضاء بسبب استعمال العضو او اهمالهِ او ما يعرض عليهِ من بترٍ او آفةٍ خارجية فمما يصعب القطع باثباتهِ او نفيهِ والمحققون فيهِ على خلاف . فذهب فريقٌ منهم وفيهم لامَرْك وداروين وهُيكَل وسبِنْسَر الى جواز انتقال هذه العوارض بالارث واستشهدوا على ذلك بروايات منها فيما ذكروا ان رجلاً كانت قد اصيبت احدى اصابعهِ بآفةٍ منعتها الحراك فجاءهُ مولودٌ كانت الاصبع نفسها منهُ معقولةً عن الحركة ومنها ان اناساً كان في مواضع من جلودهم ندوب اي آثار جراح فظهر مثل تلك الآثار في ابنائهم قالوا ومثل هذا كثيراً ما يُرَى في البنات اذا كان في احدى اذني الوالدة او في كلتيهما انخرامٌ في موضع القُرط فان البنت قد تولد وفيها الانخرام المذكور وذكر غيرهم انهُ رأى بقراً قد حُطمت قرونها فجاءتها صغارٌ بغير قرون وان كلاباً قُطعت اذنابها فجاء اولادها بغير

اذناب . وذهب غير اولئك كوّيسمان ونيّجلي وكُوليكّر الى انكار الارث في مثل ذلك وردّوا ما وُجد منهُ الى الاتفاق قالوا ولو صح مثل هذا للزم ان يولد ابناء اليهود مختونين وابناء الصينيات مصغّري الاقدام لان كلا الامرين مستعملان عند الفريقين منذ قرونٍ كثيرة ولهم على ذلك ادلةٌ اخرى نضرب عن ذكرها

ثم ان الوراثة لا تقتصر على المميزات العضوية والاحوال المزاجية وما يتبعها من عوارض البنية ولكنها كثيراً ما تتناول الملكات النفسانية والقوى العقلية الا انها تنحصر منها في الخصائص الطبيعية المرتبطة بالفطرة دون الاحوال الكسبية المستفادة من المزاولات الشخصية لما أن هذه معرضةٌ للتبدُّل والانفكاك فلا تثبت في المورّث على طريق اللزوم . وعليهِ فابن القائد الكبير مثلاً وابن الرياضيّ الشهير — على اعتبار ان الشبه يكون للاب دون الامّ — لا يتعين ان يكون الاول منهما قائداً ولا الثاني رياضياً ولكن يكون الاول بحسب الفطرة مستعدًّا للامر والنهي فيمكن ان يكون مسيطراً على اصحاب عملٍ مثلاً والثاني يكون مستعدًّا للضبط والاحصاء فيمكن ان يكون متولياً لدفاتر احد التجار ولذلك لا تصلح الافعال ان تتخذ دليلاً على الارث العقلي . على انهُ كثيراً ما يُرَى مشاهير الناس ابناء قومٍ خاملين بل هو الاكثر في الواقع كما يدل عليهِ الاستقراء بيد ان آباءهم لا يكونون في الغالب الا اصحاء الابدان والعقول وان لم يكونوا على شيء من المزيَّة في الخارج . ومع ذلك فكثيراً ما يتحقق الارث بالافعال نفسها فانهُ يُذكَر عن أُسرة باخ الالماني انهُ خرج منها سبعة وخمسون موسيقياً وهي

معروفةٌ بهذا الفن يتناولهُ الخلف منها عن السلف منذ القرن السادس عشر ٠ وقريبٌ من ذلك ما يُذكر عن زُهَير بن ابي سلمى المُزَنيّ فانهُ يقال ان اباهُ ربيعة وخالهُ بشامة وابنيهِ كعباً وبُجَيراً واختيهِ سلمى والخنسآء وابن ابنهِ المضرب كانوا كلهم شعرآء

وكذلك الملكات والاهوآء كثيراً ما تنتقل بالارث ومن اغرب ما يُروَى من ذلك ما ذكرناهُ في احد اجزآء السنة الماضية من ان امرأةً كانت مدمنةً للخمر وماتت في اوائل القرن الماضي وقد أُحصي اعقابها في اواخره فكانوا ٧٠٩ انفس وُجد منهم ٧ قتَلَة و ٧٦ متلبسين بجرائم اخرى و ٢٠٥ من اهل الكدية و ١٨١ من النسآء العواهر

وقد يكون الارث عن السلف البعيد وذلك بأن يوجد في الولد خصائص او ملكات لا يرى لها اثرٌ في الابوين ولكن عند الفحص يتبين انها سرت اليهِ من احد اجدادهِ ومن اظهر الامثلة في ذلك ما ذكرهُ كاترفاج من ان خِلاسياً (وهو الولد بين ابوين ابيض واسود) زُوّج بزنجيّة فولدت بنتاً بيضآء ٠ وقد ثبت بالاختبار ان كثيراً من الخصائص قد يبقى كامناً في بعض افراد السلالة ثم يظهر في الذي يليهِ حتى شوهد ان العسَر والحوَل والحركات التشنجية وغيرها قد تتخطى من احد الافراد الى ما يليهِ بعقبٍ او عقبين وربما لم تظهر الوراثة الا بعد عدة اعقاب

على ان بعض الملكات قد تتسلسل في النوع كلهِ وتكمن ادهاراً فلا تظهر الا في احوالٍ مخصوصة اذا دفع اليها دافعٌ من الطبع ومن شواهد ذلك ما ذكرتهُ الكسموس نقلاً عن مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية من

بيان العلة في كون الانسان لا يحسن السباحة الا بعد التعليم والكسب خلافاً لباقي الحيوان قالت وانما هي مسئلةٌ وراثية محضة وذلك أنّا اذا فرضنا ان جميع الحيوانات كانت في موقف خطر وطلبت التخلص منهُ فان كل واحدٍ منها يعمد الى الحركة التي اعتادها في مثل هذه الحال وحينئذٍ فجميع ذوات الأَثدي على التقريب تطلب النجاة بالعَدْو اي سرعة الحركة الى الامام للابتعاد من وجه الخطر وهذه الحركة عينها هي التي تعينها على السباحة اذا وقعت في الماء . وبخلافها الانسان فانهُ لما كان في اصلهِ من سكان الغابات كان من عادتهِ عند الفزع ان يتسلق الشجر فاذا وقع في الماء وفي تلك الحال يدركهُ من مداهمة الخوف ما يُعجِلهُ عن الرأي تدفعهُ الملكة الى ان يفعل كما لو كان يحاول التسلق فيرمي بيديهِ الواحدة بعد الاخرى في الهوآء ويفرّج اصابعهُ كانهُ يطلب الاستمساك والتعلق بشيء فوق رأسهِ ويدفع ساقيهِ معاً في جهةٍ واحدة على حد ما يفعل القرد اذا تسلق شجرةً الا ان هذه الحركات كلها تفضي بهِ الى عكس ما يحاول لان كل رفعة يدٍ من شأنها ان تغرّق الرأس واذا غرق الرأس تبعهُ الجسم لا محالة

اما التعليل النظري للوراثة وبيان كيفية انتقال الخصائص من السلف الى الخلف فمن الاسرار التي لم يتوصل الانسان الى حلها وقد افترق العلماء فيها على عدة مذاهب لم يتأتّ القطع باحدها ولذلك نضرب عن الخوض فيها تفادياً من التطويل على غير طائل

نمو الاطفال

عن كتاب تحت الطبع لحضرة الفاضل الدكتور إسكندر افندي الجريديني

يختلف وزن المولود حديثاً من ٦ — ٧ ارطال مصرية (الرطل ١٤٤ درهماً) وفي الثلاثة الايام الاولى يقلّ وزنهُ بعض الشيء لقلة الموادّ المغذّية اذ ذاك في الثدي ولكنهُ يعود في نهاية الاسبوع الى ما كان عليهِ حين الولادة ثم يأخذ في الزيادة . فاذا فرضنا وزنهُ عند الولادة ٧ ارطال كان معدلهُ الى نهاية السنة الاولى على ما يأتي

في الشهر الاول	٧ ¾ ارطال	في الشهر السابع	١٦ رطلاً
« « الثاني	٩ ½ «	« « الثامن	١٧ «
« « الثالث	١١ رطلاً	« « التاسع	١٨ «
« « الرابع	١٢ ½ «	« « العاشر	١٩ «
« « الخامس	١٤ «	« « الحادي عشر	٢٠ «
« « السادس	١٥ «	« « الثاني عشر	٢١ «

ومن السنة الاولى الى العاشرة يزداد الطفل في الوزن من ٤ — ٥ ارطال في السنة ومن العاشرة الى السادسة عشرة نحو ٨ ارطال

ويختلف طول المولود حديثاً من ١٦ — ٢٢ قيراطاً وفي السنة الاولى يزداد طولهُ نحو ٧ ½ قراريط وأكثر ما تكون الزيادة في الاسبوع الاول ثم تنحطّ في الاسبوع الثاني وتجري في انحطاطها على نسبة واحدة الى الشهر الخامس ثم تنحطّ ايضاً وتستمرّ كذلك على معدل واحد الى الشهر الثاني عشر . فاذا فرضنا طولهُ عند الولادة ١٩ ½ قيراطاً كان في الاشهر التالية على ما يأتي

في الشهر الاول	٢٠ ½	قيراطاً	في الشهر السابع	٢٤ ½	قيراطاً
« « الثاني	٢١	«	« « الثامن	٢٥	«
« « الثالث	٢٢	«	« « التاسع	٢٥ ½	«
« « الرابع	٢٣	«	« « العاشر	٢٦	«
« « الخامس	٢٣ ½	«	« « الحادي عشر	٢٦ ½	«
« « السادس	٢٤	«	« « الثاني عشر	٢٧	«

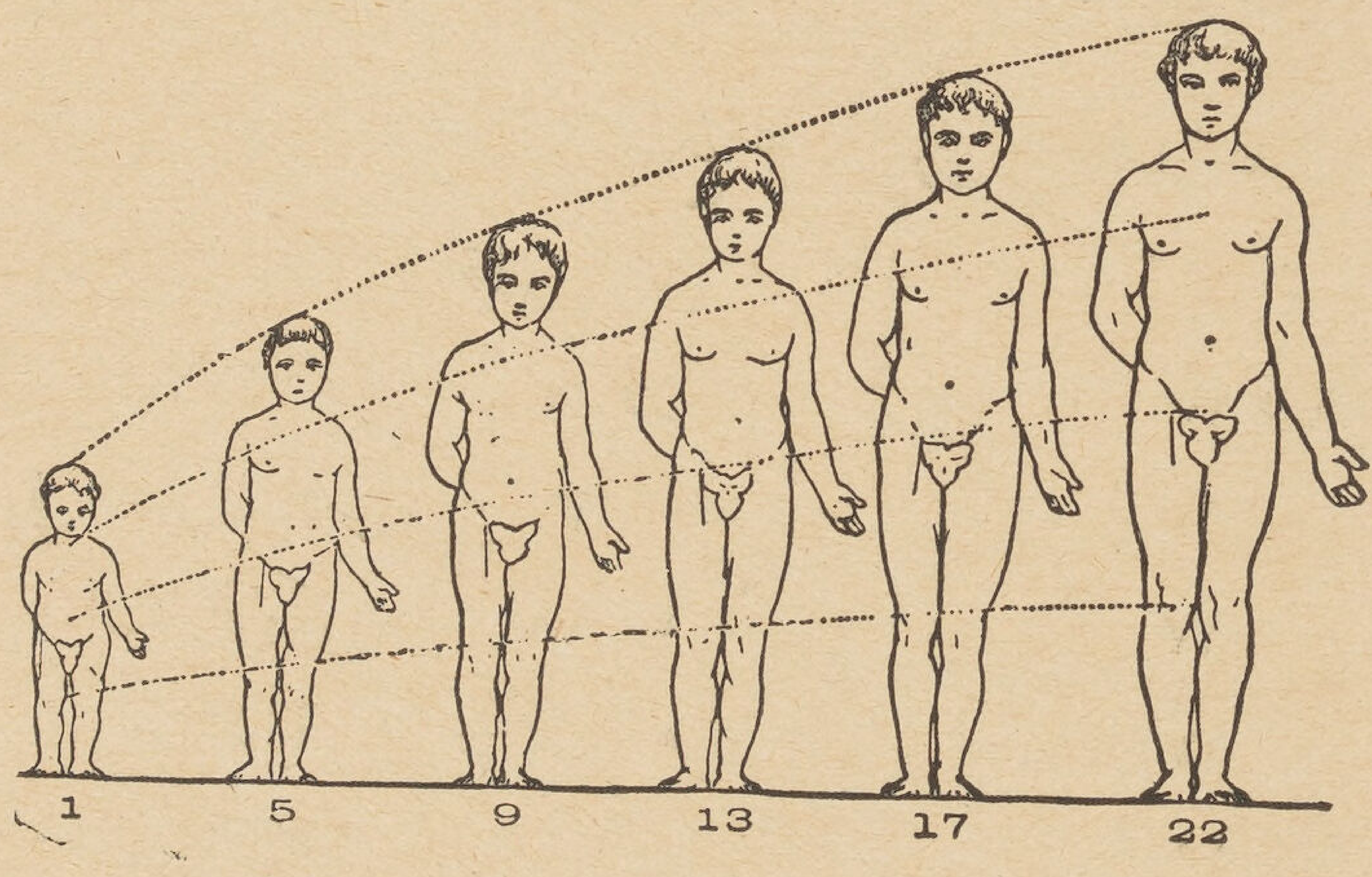
وفي اثناء السنة الثانية تبلغ الزيادة من ٣ — ٥ قراريط وفي الثالثة من ٢ — ٣ ½ وفي الرابعة من ٢ — ٣ ومن ذلك الوقت الى السنة السادسة عشرة يبلغ معدل الزيادة من ١ ⅔ — ٢ في السنة

وعند ما تبلغ الانثى السنة الثانية عشرة تسبق الذكر في الطول دون الوزن ومن السنة الخامسة عشرة فما فوق تتأخر عنهُ فيسبقها الذكر في الطول والوزن جميعاً . وعلى كل حالٍ لا يطّرد النموّ في جميع الاولاد على وتيرةٍ واحدة ولكن ما اوردناهُ هنا انما هو المعدَّل بعد اخذ الوزن والقياس في عدة اطفال في اعمار مختلفة فجُعل مقياساً تُعتبر بهِ حالة الطفل في الصحة

فيستفاد مما تقدم ان الانسان لا ينمو في زمن الحداثة بنفس السرعة التي ينمو بها في اثناء الطفولية بل يقلّ معدَّل الزيادة كل سنة عن التي قبلها. ثم ان اعضاء الجسم تتفاوت في النمو فيسبق العضو الواحد العضو الآخر كما يتضح ذلك مما سيجيءُ

ترى في الشكل امامك رسوماً تمثل ستة اشخاص في اعمار مختلفة . فالرسم الاول يمثل ابن سنة والثاني ابن ٥ سنين والثالث ابن ٩ والرابع ابن ١٣ والخامس ابن ١٧ والسادس ابن ٢٢ فبين الواحد والآخر اربع سنين .

وكل رسم مقسوم الى اربعة اقسام تدل عليها الخطوط المنقطة وهذه الخطوط منحنية اي متقوسة غير مستقيمة ومن انحنآئها يتبين ان معدل النموّ يقلّ كل سنة عن الاخرى ولو كان الانسان ينمو في السنين الاخيرة بالسرعة التي ينمو بها في السنين الاولى من الحياة لكانت الخطوط المنقطة مستقيمة لا منحنية وبالتالي كانت قامة الانسان اطول مما هي عليهِ الآن



ثم يظهر ان النموّ لا يكون على نسبة واحدة في جميع الجسم كما قدّمناهُ وذلك اولاً ان طول رأس الطفل الذي عمرهُ سنة واحدة يساوي ربع جسمهِ كلهِ وبعبارةٍ اخرى يكون طول جسمهِ طول اربعة ارؤُس بخلاف الذي عمرهُ ٢٢ سنة فان طول رأسهِ يساوي ٢/١٣ من جسمهِ اي نحو السدس. وعليهِ فيكون رأس الطفل بالقياس الى جسمهِ اكبر من رأس البالغ بالقياس الى جسمهِ مما يدل على ان الرأس يقصّر عن باقي اعضآء الجسم في النموّ

وثانياً ان منتصف جسم الطفل عند السرّة ومنتصف جسم الشاب عند الحرقفتين أي عظمي الوركين وذلك ان ساقي الشاب اطول من ساقي

الطفل بالقياس الى جسم كلٍّ منهما . وهذا النموّ في الساقين يبتدئ من السنة التاسعة ويستمرّ الى السادسة عشرة من العمر وهو الطور الذي ينمو فيهِ الاولاد بسرعة وسببهُ الساقان

هذا في النموّ الطوليّ للجسم واما النموّ العرضيّ فيُعتبَر فيهِ الصدر والرأس والاول يقاس عند الثَنْدُوَتَيْن الى ما يحاذيهما من الظهر والثاني يقاس من وسط الجبهة الى ما يحاذيها من قفا الرأس ولكلٍّ منهما قياسٌ مخصوص في اعمارٍ مختلفة من الولادة الى سن البلوغ على ما ترى في هذا الجدول

	قياس الرأس	قياس الصدر
عند الولادة	١٣ ¾ قيراطًا	١٣ قيراطًا
في الشهر السادس	١٦ ¾ «	١٥ ½ «
« السنة الاولى	١٨ «	١٧ «
« « الثانية	١٨ ½ «	١٧ ¼ «
« « الثالثة	١٩ «	١٩ ¼ «
« « السادسة	١٩ ½ «	٢٠ ¾ «
« « الثانية عشرة	٢٠ «	٢٣ ½ «
« سن البلوغ	٢١ ½ «	٣٠ «

ومن هذه الارقام يتبين ان الصدر يسبق الرأس في النموّ . على ان هذا انما هو القياس المعدَّل كما سبقت الاشارة اليهِ وقد يختلف في بعض الناس قليلاً ولكن اذا كان الصدر أضيق مما ذُكر كثيراً أو حجم الرأس زائداً كثيراً فهو دليل المرض او حالةٍ اخرى غير صحية

مؤتمر السل الرئوي

انعقد هذا المؤتمر في لندن في ٢٢ من شهر لوليو الاخير وكان فيهِ عدةٌ كبيرة من مشاهير الاطبآء من اكثر ممالك اوربا واميركا وكان اهمّ ما حدث فيهِ خطبةٌ للدكتور كوخ الشهير غيّر بها مجرى البحث في امر تلافي هذا الداء وهدم كل ما جرت بهِ مباحث الاطباء من قبل . ومحصَّل ما جاء في كلامهِ انهُ ينفي انتقال جراثيم السل البقري الى الانسان خلافاً لما تقرر عند عامة الاطباء الى اليوم . وقد ذكر انهُ لقح بعض العجول بجراثيم السل البشري فلم يظهر فيها اثرٌ للمرض حال كونهِ لقح بعض الحيوانات الاخر بجراثيم السل البقري فلم تلبث ان ظهرت فيها العدوى وماتت بالداء نفسهِ كما تحققت اعراضهُ فيها بالكشف عن جثثها بعد الموت . فتبين من ثمَّ ان سل البقر غير سل الانسان وان الانسان لا تعلق بهِ جراثيم السل البقري الا ان يكون في ندور

قال على ان لبن وسمن الحيوانات المسلولة يشتملان على مقادير كثيرة من جراثيم المرض فكان من الضروري ان هذه الجراثيم اول ما تتصل عدواها بالامعاء ولكن السل المعويّ في غاية الندور فانهُ اي كوخ في كل ما عُرض عليهِ من المسلولين لم يمرّ بهِ من المصابين بالسل المعويّ الا اثنان وقد فتح باجِنْسكي ٩٣٣ جثة من الاولاد فلم يجد مصاباً بالسل المعوي الا وهو مصحوب بالسل الرئوي

وعليهِ فللوصول الى تحقيق هذه المسئلة لا بدّ من تلقيح الانسان

بجراثيم السل البقري كما لقح كوخ البقر بجراثيم السل الانساني غير ان هذا من الامور التي لا سبيل اليها الان يوجد من ينتدب لهذه التجربة من تلقاء نفسهِ . وقد ذكرت احدى المجلات العلميـة ان اثنين من الاطباء عرضا انفسهما من عهدٍ قريب لان يُمتحَن ذلك فيهما احدهما من اطباء الاميركان والآخر من اطباء الفرنسيس وهو الدكتور يُول غارنُو وقد كتب في هذا المعنى الى الدكتور كوخ بتاريخ ١٤ من اغسطس ثم انهُ في ٣١ منهُ سافر فعلاً الى برلين والتقى بالدكتور كوخ فتحادثا مدة ساعتين لكن الدكتور كوخ ابى ان يوافقهُ على ما عرض نفسهُ لهُ لانهُ مع اعتقادهِ ان مثل هذا الامتحان لا يخلو من فائدة واهمية يرى ان لابد لتحقق الفائدة من تعداد الامتحان واجرآئهِ على عدة اشخاص ليُبنى الحكم على مجموع النتائج . قال والذي في رأيهِ ان الاولى ان يُجرَى هذا الامتحان باللبن لا باللقاح اي بان يتُناوَل لبن البقر المسلولة نيئاً على مدة اشهرٍ متوالية من غير انقطاع . وبهذا قطع كلام الدكتور غارنو فانصرف وقد عزم على ان يستعمل كلا الامرين اي انهُ بعد ان يلقح نفسهُ باللقاح البقري المخفف يتناول لبن البقر المسلولة ممزوجاً بقليلٍ من الماء على مدة ستة اشهر متواصلة يجعلهُ شرابهُ الوحيد ويختارهُ من اكثر اللبن تضمناً للجراثيم المرضية وان يلقح نفسهُ كل شهرين او ثلاثة اشهر مرة باقوى لقاح السل البقري

على ان رأي الدكتور كوخ على قوّة برهانهِ لم يوافقهُ عليهِ الى الآن الا بعض اطباء الالمان وهو اذا صح كان فيـهِ ولا ريب اكبر عون على

تدارك عدوى الدآء لانحصارها حينئذٍ في جهةٍ معلومة لا يصعب تحاميها على فِطَن الاطبآء وقُوَى الحكومات والله الواقي

امثال فنلُون

اطرفنا حضرة الاب الفاضل الخوري جرجس شلحت الحلبي بتعريبٍ لهذه الامثال ابرزها بهِ في احسن حُلَّةٍ من البيان وزيّنها من فواصل نثرهِ بما يزري بمفصَّل عقود الحسان ومن جواهر نظمهِ بما تحسد الاجياد عليهِ الآذان وقد اخترنا منها المثل الآتي ننشرهُ على صفحات الضيآء ليكون الماعاً بفضل الناظم وتفكهةً للقرآء قال اعزّهُ الله

ثعلبان

اثنان من ثعالب البيداءِ ... تصاحبا للصيد في الظلماءِ
فواحدٌ كان كبير السنِّ ... وقد غدا اديمهُ كالشَنِّ
وهو شديد البخل لكن يدَّعي ... مع ذاك حكمةَ الحريص اليلمعي
وعكسهُ الثاني فتىٌّ غِرٌّ ... اذ كان لم يُحكِم نُهاهُ الدهرُ
فدأبهُ الطيش وهمُّهُ الجَشَع ... ليس لهُ في غير ذاك من طمع

***

حتى اذا ما بلغا احدى القرُى ... والناس غائصون في سكر الكرى
تسللا الى بيوت القريه ... فخنقا بعض الدجاج خُفيه
وبعد ذاك انتشب اللجاجُ ... بينهما واحتدم الحجاجُ

قال الكبير للصغير يا ولد　　خذ مني النصحَ واياك اللدد
من زاد عنك عمرُهُ يوماً غدا　　اعلمَ منك سنَةً وارشدا
فكيف من مرّت بهِ الاعوامُ　　وهذبت آراءهُ الإيامُ
فحلبَ الايام شطراً شطرا　　ونال في كل الامور خُبرا
أَصِخ لهُ سمعاً وخذ بنصحهِ　　في كل مسعاك تفز بنجحهِ
كُلْ بعض ماخصَّك واذهب وعُدِ　　معي لنأكل البقايا في غدِ
فان صاحب الحجى من يقتصد　　ولا يكون مسرفاً فيما يجد

***

قال الصغير بل وهمتَ في الذي　　رأيتَهُ لكن برأيي نخُذِ
كُلْ ما اصبتَ كلَّهُ في وقعه　　تكفيك من دون طعامٍ جمعه
واعلم بان اينّا عاد غدا　　يعرّض النفس لاشراك الردى
فصاحب الدجاج لا بُدَّ لنا　　مرتقبٌ حتى اذا صرنا هنا
فاجأنا بالضرب أو بالقتلِ　　جزآء ما جئنا بهِ من ختلِ
فبات كلنا رهين حتفهِ　　كباحثٍ عن حتفهِ بظلفهِ
اذ من غدا مخاطراً بنفسهِ　　منقرٌ عن حينهِ بضرسهِ
هذا مقالي فانتصح في المسئله　　فرُبَّ درٍّ يُلتقَى في مزبله

***

وبعد ذا كلٌّ برأيهِ عمل　　اذ قد ابى كلاهما ان يمتثل
فالْتهمَ الصغير حتى انتفخا　　وكاد للكظَّة ان ينفسخا
فقام ثم جرَّ نفسهُ الى　　وجارهِ فمات قبلَ يصِلا

اما الكبير وهو المعتقدُ بانهُ الأحكمُ والمقتصدُ
فآب في غدٍ لكي يأكلَ ما ذخرَهُ مؤونةً وينعما
اذا بصاحبِ الدجاج قد رصد فانقضَّ في الحال عليهِ كالاسد
اشبعهُ ضرباً ففاظت نفسهُ فكان في مأوى الدجاج رمسهُ

***

لكل طورٍ صاحِ من عمر الفتى نقائصٌ توردهُ حوض الرَدَى
فالشاب بين شهوةٍ لا تُردَعُ وبين حدَّة الطباع يُصرَعُ
والشيخ من حرصٍ على دنياهُ يقرّب الموتَ الى حَوْباهُ

اسئلة واجوبتها

القاهرة — نرجو الجواب على هذين السؤالين

(١) نرى من السود من هم جعاد الشعر ومن هم بالخلاف فيكف نعلل ذلك

(٢) من المشهور ان من يقيم مدةً في مدينة حلب تظهر فيهِ البثرة المعروفة بحبة حلب فما هي هذه الحبة وما سببها وعلاجها

يوسف جرشون

الجواب -- اما المسئلة الاولى فمن طبيعة الشعر انهُ يلين ويسترسل في الرطوبة ويقسو ويتقلص في الجفاف فاذا استمرّت عليهِ احدى الحالين

وتكررت من عقبٍ الى آخر تكيف باحدى الصفتين وثبت عليها ولذلك كان شعر الزنوج قصيراً جعداً وشعر غيرهم طويلاً سبطاً . ومما لا شك فيهِ ان كثيراً من سكان بلاد السودان اصلهم من العرب فالاظهر ان الشعر السبط انما هو في ذرية العرب لا يزال متوارثاً بينهم والشعر الجعد هو شعر سكان الاقليم الاصليين

واما مسئلة حبة حلب فتجدون فيها كلاماً شافياً في مجلة البيان صفحة ٤٧٤ فعليكم بمراجعته

آثار ادبيّة

ريحانة النفوس في انتخاب العروس — اطرفنا حضرة الفاضل الدكتور امين افندي الخوري اللبناني احد مشاهير اطبآء القطر بالجزء الاول من روايةٍ لهُ بهذا العنوان اودعها ما شآء علمهُ الواسع واختبارهُ الدقيق من الفوائد الادبية والاجتماعية والاغراض الطبيـة والفلسفية ووصف احوال المعيشة وآداب العشرة وشروط المخالقة الى غير ذلك مما اوردهُ تحت ثوب الفكاهة واسلوب القصة فجآءت من الطف الروايات قصصاً واعلقها حديثاً بالنفس ومن اجلّ الاسفار العلمية واجمعها لاشتات الفوائد ومتفرق الحِكَم فنشكر حضرة المؤلف على هذه التحفة النفيسة التي هي افضل خدمةٍ يؤديها عامهُ واجمل اثرٍ يخلّد بهِ فضلهُ

فكاهات

رواية

اخبار نصف الليل [١]

في انكلترا كما في غيرها من الممالك العامرة جرائد تصدر في صباح كل يوم والغاية من هذه الجرائد امران احدهما ان تسبق في اخبارها جرائد المسآء والثاني انهُ عند نزول التاجر من منزلهِ الى محل شغلهِ في قطار الصباح يكون لديهِ ما يقرأهُ ويسليهِ في اجتياز تلك المسافة . وكان في لندن عدة جرائد من هذا النوع في جملتها جريدة صغيرة اسمها الرّعاد يصدرها رجل يقال لهُ المستر هرمان وكان مع صغر جريدتهِ وقلة شهرتها يفرغ جهدهُ في ان يلحقها بالجرائد المهمة . وكان بين كتاب جريدتهِ فتى يدعى موريسون حادّ الذهن متوقد الخاطر حلو الشمائل كان يصرف ليلهُ مع مدير الجريدة في الكتابة وتجهيز المقالات والاخبار ويدفعها الى العملة فتجمع حروفها وتطبعها ولا ينبثق نور النهار حتى تكون الجريدة في ايدي الباعة معروضةً للمبيع

وحدث بين المدير وموريسون اختلاف قليل افضى الى استقالة موريسون من العمل وتركهِ خدمة الجريدة . ومضى على ذلك ايام وهرمان منفرد في كتابة جريدتهِ واصدارها حتى اذا كان في احدى الليالي جالساً الى مكتبهِ وقد انتصف الليل وهو غائص في كتابة مقالة افتتاحية اذا بباب غرفتهِ قد فُتح ودخل خادمهُ وفي يدهِ بطاقة زيارة دفعها الى المدير وقال ان صاحبها يطلب مواجهتهُ لامر مهمّ . فقرأ المدير البطاقة واذا هي باسم موريسون الكاتب فتعجب من حضورهِ في مثل

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

تلك الساعة وظن انهُ آتٍ ليعتذر عما فرط منهُ ويطلب ارجاعهُ الى العمل فامر بادخالهِ . ولما دخل موريسون استقبلهُ المدير وبعد التحية قال لهُ ليس لي من الوقت سوى خمس دقائق فهات ما عندك واوجز بقدر الامكان . فقال موريسون ان طول حديثي وقصرهُ يتوقفان على اجابتك وفي يدك ان تنهيهُ قبل الخمس دقائق اذا شئت فقد جئت اليك طالباً ان تعدني بالاقتران بابنتك جوليا

فتململ المدير في كرسيهِ كمن لدغتهُ عقرب ثم حدّق ببصرهِ الى موريسون وقال اني لاستغرب منك هذا السؤال فكيف اجترأت على ان تفاتحني بهِ وكيف اتيت في مثل هذا الوقت ومن اين علمت ان ابنتي تقبلك بعلاً لها . فاجاب موريسون بملء الرزانة لاداعي لاستغرابك سؤالي فلست باول من طلب الاقتران في العالم. واما مفاتحتي لك بهذا السؤال فان لم اسألك انت فمن اسأل . واما حضوري في مثل هذا الوقت فقد عاشرتك مدة طويلة واعلم انهُ يتعذر عليّ مقابلتك في غيرهِ . واما من جهة محبة ابنتك لي فهذا مالا اشك فيهِ وانا المسؤول عن جوابها . فحرق هرمان الارّم غيظاً وقال ولكن اين رأيتها . قال اجتمعت بها غير مرة في بيت عمتي فرأيت فيها مجتمع الصفات التي احبها ووددت ان لا اتزوج غيرها . قال هرمان لم يخطر لي قطّ حين استخدمتك وامنتك انك تخونني في ابنتي وتطارحها الغرام على غير علمٍ مني . قال موريسون حاشا ان اكون خنتك في شيء فقد اخبرتك انني احببتها وآنست منها انها تحبني فدلائل الحب لا تخفى على احد ولاسيا على المحب غير انني اقسم لك بشرفي انني لم افاتحها بشيءٍ من حديث الحب ولن افاتحها قبل حصولي على رضاك التام . قال حسنٌ ولكن ابنتي قد ربيت في بيت نعمة فلا تستطيع ان تصبر على شظف العيش وانت على ما اعلم ليس في يديك ما يكفي للقيام بما يلزمها . قال ربما لا اقدر الآن ان انفق عليها مثلك ولكن مع المحبة والاتفاق يقتنع الزوجان بالقليل . قال وهل لك الآن شغلٌ يعود عليك بشيءٍ من الكسب . قال لا ولكني ارجو ان يكون لي ذلك عن قريب . فقطّب هرمان قليلاً ثم قال اعلم يا موريسون انني لا ازوج ابنتي الاّ بمن دخلهُ السنوي لا يقلّ عن الفي ليرة . قال موريسون

وهل تعدني انك تقبل طلبي متى حصلت على ذلك . قال اذا بلغ دخلك هذه القيمة وكانت ابنتي لا تزال غير مرتبطة باحد فاني اسمع طلبك اذ ذاك ويغلب ان اجيبك اليهِ . وقد اخذت من وقتي اكثر من الدقائق التي سمحت لك بها فارجو ان تنصرف الآن وان لا تعود اليَّ في هذا الشأن قبل تقرير دخلك على ما ذكرت . قال هذا ومد يدهُ الى موريسون مودعاً فحياهُ هذا بتأدب وخرج وهو يقول لا تنسَ وعدك فان وعد الحرّ دين

ولما خرج موريسون عاد هرمان الى كتابتهِ وهو يهزّ رأسهُ وقد اخذ منهُ كلام موريسون كل مأخذ من العجب فكان تارةً يتهمهُ بالجنون وتارةً يتهمهُ بالسكر لانهُ لم يخطر ببالهِ قط ان رجلاً مثلهُ يقدم على خطبة ابنتهِ . ومضت على هذه المقابلة سنة كاملة لم يُسمع فيها شيءٌ عن موريسون ولم يُعرَف لهُ مقرّ وكان هرمان يتذكر موريسون وحديثهُ وزيارتهُ بضعة ايام ثم استغرق في كتاباتهِ وترويج جريدته فنسيهُ واصبحت تلك الحوادث في عالم النسيان

وانقضت السنة على هرمان بدون جدوى وكان مع كثرة اشتغالهِ وفرط جهدهِ لم يتمكن من ان يبلّغ جريدتهُ الشهرة التي يرومها فاستولى عليهِ السأم وكاد يدركهُ القنوط واصبح حائراً لا يستطيع الرجوع عن خطتهِ ولا يجد في الاستمرار عليها ما يكافئ اتعابهُ وسهرهُ . وبينما كان جالساً في احدى الليالي كعادتهِ يكتب الجريدة وهو غائصٌ في افكارهِ اذا ببابهِ قد فتح ودخل الخادم فدفع اليهِ بطاقةً باسم المستر موريسون وقال لهُ انهُ يطلب مواجهتهُ . فتأفف الرجل وتضجر وقال للخادم قل لهُ انني في شغلٍ شاغل الآن فلا استطيع مواجهتهُ . ثم عاد الى كتابتهِ الى ان قرعت الساعة الثانية عشرة وكان قد اكمل عملهُ ما خلا بعض اخبار محلية تركها لمساعدهِ فخرج قاصداً بيتهُ لينام وما بلغ الباب حتى رأى موريسون واقفاً الى جانب الممرّ فتقدم وحياهُ باحترام . فقال المدير قد اخبرتك مع الخادم اني في شغلٍ عن مقابلتك . قال نعم علمت ذلك ولهذا السبب لم ازعجك بالدخول عليك فانتظرتك هنا لاني علمت انهُ لا بد من خروجك وقد جئت لاعلمك ان سلطان الصين قد

قُتل منذ نصف ساعة ولم تصل الاخبار البرقية الى احد بعد فاذا سبقت غيرك بنشر الخبر في الرعاد ترفع شأن جريدتك وهذا الذي تسعى اليهِ بجهدك

فقال هرمان وكيف قتل . قال طعنهُ احد رجالهِ بخنجرٍ في صدرهِ عند خروجهِ من غرفة راحتهِ وقد تبوّأ ابنهُ تخت المملكة . فقال هرمان ولكن كيف بلغك الامر وقد قلت انهُ لم يرد الى احد خبرٌ برقيّ بهذا المعنى . قال هذا لا ينبغي ان يهمك ولكني اقول لك ان الخبر صحيح وانك تكون انت السابق فيهِ . فهز هرمان كتفيهِ وقال لقد خطر لي من زمان انك تودّ الانتقام مني ويظهر انك عمدت الى هذه الحيلة وظننتني اغترّ بكلامك وانشر هذا الخبر الذي لا اصل لهُ حتى اذا صدرت الجريدة غداً مصدرةً بهذا البلاغ الكاذب سقطت من اعين القرآء وخسرت المركز الذي هي فيهِ الآن ولكن خاب سهمك يا هذا فلست ممن يهزأ بهم امثالك . ولما قال هذا قفز الى عربةٍ وامر السائق بالاسراع الى بيتهِ . اما موريسون فتبسم تبسم ازدرآء وانقلب راجعاً الى مقرّهِ . وقبل ان يتمّ تجهيز الجريدة للطبع وردت التلغرافات الرسمية تنبئ بما تنبأ عنهُ موريسون فذكر مساعد المستر هرمان الخبر في صدر الجريدة وصدّرهُ بمقالةٍ فيما استطاعهُ من تفصيل الحادث . ولما افاق المستر هرمان من نومهِ صباحاً وخرج من بيتهِ رأى باعة الجرائد ومع احدهم نسخ الرّعاد وقد طبع على اول صفحة منها باحرف كبيرة « مقتل امبراطور الصين » فكبر عليهِ الامر وظن ان موريسون قد اغرى وكيلهُ ورشاهُ لنشر هذا الخبر المختلق تشفياً منهُ وانتقاماً ولكنهُ ما عتم ان رأى بقية الجرائد وفيها الخبر المذكور . فتغيرت ظنونهُ من جهة موريسون غير انهُ لم يزل يعتقد ان الفتى ناقص العقل وان هذا الخبر قد بلغهُ بطريق الاتفاق . ولما خلا هرمان بمساعدهِ اخذا يتذاكران في امر موريسون فاتفقت كلمتهما على انهُ اما ان يكون قد حزر الامر اتفاقاً او ان يكون قد تواطأ مع بعض مستخدمي التلغراف على اعطآئهِ الاخبار قبل اوانها وان صحّ الامر الثاني كان فيهِ تعدٍّ على مصلحة الحكومة لا يعفى فاعلهُ من العقاب

وبعد يومين انهى هرمان عملهُ كعادتهِ عند نصف الليل وقبل ان يخرج من

غرفتهِ خطر في بالهِ زيارة موريسون لهُ وقال ان هذا الفتى لايزورني الا في نصف الليل فهل يا ترى لديهِ اخبارٌ تستقدمهُ الآن . وانهُ لكذلك واذا بالخادم قد دخل يستأذن في دخول المستر موريسون . فدهش المدير وامر بدخولهِ ولكنهُ عاد فرأى ان لا يجرّئهُ على الاكثار من الزيارة فأمر مساعدهُ ان يستقبل موريسون وان ينهي اليهِ ما يريد بعد مقابلتهِ . وبعد نحو ربع ساعة دخل المساعد ضاحكاً فقال لهُ هرمان ما وراءك . قال جاء موريسون الليلة بخبرٍ اغرب من خبر الامس فانهُ يقول ان الله قد انعم على قيصر روسيا بوارثٍ لعرشهِ فقد وضعت القيصرة ولداً ذكراً منذ عشرين دقيقة . فقهقه المدير ضاحكاً وقال لا شك ان هذا الرجل مجنون فقد اختلق خبر الامس بقصد ان يسقط جريدتي ولكن التقادير حققت الخبر فجرّأهُ ذلك على ان جاءنا بخبر الليلة غير ان هذا لا يمكن ان يكون لهُ نصيبٌ من الصحة لاني اعلم ان القيصرة لم تتم سبعة اشهر من حبلها بعد . ومع ذلك فانا ذاهبٌ الى البيت وسأمرّ في طريقي على السفارة الروسية فاذا كان الخبر صحيحاً فلا بدّ من معرفتهِ فأعود على الفور لنشرهِ في الجريدة قبل طبعها

وكان لهرمان صديقٌ في السفارة فمرّ عليهِ وسألهُ عن الاخبار الجديدة فقال لم تأتنا الاخبار بعد فتحقق هرمان ظنهُ بموريسون وحيلتهِ وعزم على الانصراف فدعاهُ صديقهُ لتناول بعض المنعشات وجلس الاثنان يشربان . وبعد نصف ساعةٍ ورد على السفارة تلغراف يقال فيهِ ان القيصرة قد وضعت غلاماً سباعياً وهي والغلام في صحة جيدة . فطارت نفس هرمان شعاعاً واسرع الى ادارتهِ فوجد الجريدة تحت الطبع فاستوقف العمل وكتب عجالة بالخبر وكانت بقية جرائد الصباح لم يبلغها الامر فتهافت الناس على الرعاد وبيع منهـا في ذلك اليوم مئتا الف نسخة ونالت شهرة عظيمة وضعتها في مقدمة الجرائد المهمة

واهتم هرمان بأمر موريسون بعد ان رأى صدقهُ في الخبرين وجعل يفكر فيما عسى ان يكون قصدهُ من ذلك ثم تذكر زيارتهُ الاولى لهُ وطلبهُ الاقتران بجوليـا فقال يظهر انهُ لم يتمكن من الحصول على الدخل الذي اقترحتهُ عليهِ فهو يتزلف اليّ

بهذه الوسيلة . اجل اني احب الفتى واقدر ذكاءهُ قدرهُ ولا اجهل مقامهُ الادبي ولكنني تهمني سعادة ابنتي ولا سعادة الاّ في الغنى فاذا لم يتوفق الى الحصول على المبلغ الذي ذكرتهُ لهُ فلا مطمع لهُ في الحصول عليها . واني لست انكر انهُ ساعدني كثيراً وقد كان السبب فيما نالتهُ جريدتي من الشهرة لكن هذه مع انها خدمةٌ لا تثمن فانها ابعد من ان يكون جزآؤها يد جوليا فالاصوب ان اردّ موريسون الى خدمتي فازيد اجرتهُ لعلهُ يتمكن من جمع مبلغ من المال كافٍ للتفرد في عملٍ ما وربما وفقهُ الله للحصول على بغيتهِ . لكن العجب العجاب من حصولهِ على هذه الاخبار قبل ورودها فانهُ لا بدّ لذلك من سرٍّ اجهلهُ الآن ولكن . . . .

ولبث هرمان ساعةً يناجي نفسهُ بمثل هذه الافكار ثم قرع الجرس واستدعى مساعدهُ فقال لهُ الا تعرف عنوان موريسون . قال لا فانهُ لم يذكرهُ امامي فلعلك تريد ان تواجههُ . قال نعم اودّ جدّاً ان اراهُ فاذا اتى في هذه الليلة فأدخلهُ عليّ حالاً بدون استئذان . ولبث هرمان تلك الليلة الى ما بعد نصف الليل منتظراً موريسون فلم يحضر فاستاء وعاد الى بيتهِ مغموماً وهو يؤمل ان يزورهُ في الليلة القابلة . فمرّ عليهِ اسبوع ولم يزرهُ موريسون ولا سمع عنهُ شيئاً فضاق صدرهُ وجعل يعنف نفسهُ على تقصيرهِ في حقهِ وانهُ لم يكن معهُ اكثر بشاشةً ولم يدعهُ الى زيارتهِ في كل ليلة . وفي تلك الليلة اكمل هرمان عملهُ كعادتهِ ونظر الى ساعتهِ فاذا هو في نصف الليل وشعر باختلاج في جسمهِ صادر عن وهم في مخيلتهِ كمن ينتظر قدوم طارقٍ مفاجئ واذا بهِ يسمع وقع اقدام امام بابهِ ثم سمع صوتاً عرفهُ للحال انهُ صوت موريسون فاسرع بنفسهِ وفتح الباب مرحّباً ثم جلس واشار اليهِ ان يجلس بجانبهِ وقال لهُ هل لديك اخبار جديدة هذا المساء . قال نعم لديّ اخبارٌ في منتهى الاهمية فان الثورة قد بدأت في الولايات المتحدة الجنوبية بين البيض والسود وهذه الثورة تتأجج نيرانها منذ بضعة اشهر وقد علا لهيبها الآن وشرع السود في مذبحة عظيمة بين البيض واستولوا على اكثر مدن ألباما وجرجيا وقد قطعوا الاسلاك البرقية وقتلوا مستخدميها

فصاح هرمان اذا كانوا قد قطعوا الاسلاك البرقية فمن اين بلغك الخبر . ثم تفكر هنيهةً وقال اسمع يا موريسون اني لا انكر انك اعطيتني خبرين في غاية الاهمية ولا اعجب من حصولك عليهما في ذلك الوقت فمن السهل ان يتداخل الانسان في ادارة التلغراف و يتناول اخبارها قبل وقت صدورها ولو كان في ذلك تعدٍّ على حقوق الحكومة وتعرّضٌ لعقوبتها . غير انك في خبرك الاخير هذا قد زدتني استغراباً وكيف تؤمل اني اصدق مقالك وانت تقصّ عليّ ما يجري الآن على بعد ثلاثة آلاف ميل وقد اعترفت انت بنفسك ان الاسلاك قد قطعت والعمال قتلت

ولما لم يحصل هرمان على جواب من موريسون قرع جرساً فضياً امامهُ فحضر الخادم فقال لهُ اريد ان ابعث برسالة برقية الى أُرليان الجديدة فاسأل بالتلفون هل الخط مفتوح . و بقي هرمان غارقاً في تأملاتهِ الى ان عاد الخادم فقال قد اجابتني ادارة التلغراف يا سيدي انهم لا يكفلون وصول الرسالة لاسباب في الجهة الاخرى يجهلونها هنا تدل على عدم انتظام الادارة في الولايات

فنظر هرمان الى موريسون ورأى انهُ ثابت الجأش فقال لهُ يظهر ان خبرك غير عارٍ من الصحة فهل لك ان تزيدني ايضاحاً عليهِ . قال موريسون لم تصلني بعد تفاصيل غير التي ذكرتها لك ولكني علمت ان السود مستعدون من زمنٍ لهذه الثورة ولديهم من السلاح شيءٌ كثير وهم معتصبون تحت قيادة احدهم باترسون وقد ذبحوا امس مئاتٍ من البيض . فقال هرمان وهو متأثر ولكن لا يمكنني نشر هذا الخبر بل اكون فاقد العقل اذا نشرتهُ قبل ان اتحقق كيف بلغك . فتبسم موريسون وقال انت مخير يا مولاي بين ان تنشرهُ او تهملهُ ولم يكن عليّ الا ان انهيهُ اليك مع ما اعلم من اهتمامك برفع شأن جريدتك وفي يقيني انهُ يكون سبب غناك الواسع وشهرتك الفائقة فاذا رفضت نصيحتي فانت وشأنك . قال هذا ونهض يريد الخروج فأمسك بهِ هرمان وقال اسمع ما اقول لك اني ارى في نفسي ما يدفعني الى تصديقك ونشر الخبر فسأفعل ولكن حذارِ من ان يكون قصدك المكر بي واذا كان مرادك

اسقاط جريدتي فانها ستسقط ولكن لا على رأسي وحدي بل اعلم اني سأجتهد في سحقك قبل مماتي . فضحك موريسون وخرج وعاد المدير فكتب الخبر كما سمعهُ وطبعت الجريدة

وفي الصباح التالي انتشرت الجريدة ولم يكن قد بلغ انكلترا شيء من خبر الثورة ولم يدر بهِ احد الا بواسطة جريدة المستر هرمان

وعاد المستر هرمان الى ادارتهِ فوجد السعاة بانتظارهِ من السفارة الاميركية ووزارة الخارجية وغيرها من المحلات التجارية يستفهمون عن حقيقة الخبر وعن محل صدورهِ . ولم يكن للمستر هرمان ما يجيب بهِ فجعل يتوارى من امام السعاة وقد اقلقهُ الامر جدًّا وعاودهُ الظن السيء بموريسون وقال لقد نفذت فيَّ مخالب الخبيث . ولكنهُ ما جاء المساء التالي حتى وردت الاخبار مؤيدةً لما نشرهُ بالحرف الواحد فسُرّي عنهُ وادرك معظم السعادة التي حصلت لهُ فان جريدتهُ لم تلبث ان نالت اعظم شهرة واصبحت هي المعوَّل عليها من جانب الحكومة والمحلات الرسمية . فطار صيتهُ وتواردت عليهِ الاموال فأصبح ملك اصحاب الجرائد والمخبرين

ولم ينسَ هرمان موريسون فانتظر قدومهُ ليشكرهُ على صنيعهِ ولكنهُ مضى عليهِ خمسة ايام لم يرَهُ فيها ولم يسمع عنهُ شيئًا فنشر في جريدتهِ اعلانًا يطلب بهِ حضورهُ . وفي تلك الليلة جلس هرمان ينتظر الى نصف الليل واذا بموريسون قادمٌ اليهِ فرحب بهِ وبعد ان تجاذبا اطراف الحديث قال المدير اني لا اعتقد انك ساحر يا مستر موريسون وانما احب ان اعلم ما هي الواسطة التي تتمكن بها من معرفة ماجريات العوالم الاخرى قبل ان تعلمها الحكومة حتى رجال البرق فضحك موريسون وقال قد خطر لي انك ستسألني عن ذلك فقد احضرت هذه الواسطة معي وهي في العربة خارجًا وسأريك اياها . ثم خرج وعاد بعد بضع دقائق مع الحوذيّ يحملان بينهما صندوقًا من الخشب الاحمر فوضعاهُ على مائدةٍ ولما خرج الحوذيّ اقفل موريسون الباب وقال لا بد انك سمعت يا سيدي المدير بتلغراف مركوني فهذه

آلة من اختراعي تشابه تلك ولكنها اكثر اتقاناً . ثم فتح الصندوق فظهرت آلة كثيرة الاجزاء وفيها الاسلاك الملتفة وآلة كتابية تطبع الكلمات . ثم قال موريسون ان اختراع مركوني لم يأتِ بالفائدة المطلوبة فانهُ اخطأ باستعمالهِ القابل المعدنيّ مؤلفاً من اسطوانة صغيرة لزعمهِ ان هذه تجمع كل الاصوات المدفوعة بالكهربائية اما انا فقد اخترعت قابلاً ادقّ واكمل اتخذتهُ من هذه الاسلاك الدقيقة السريعة التأثر فهي تهتز لادنى حركة ترد عليها من آلة اخرى تضاهيها فترسم الآلة الكاتبة ما يتصل بها من الاهتزازات

وكان هرمان يسمع وهو شاخص متعجب فقال ولكن كيف يمكن ان ترد عليك هذه المراسلات بدون ان يكون في المحل المرسل منهُ آلة كهذه تصدر الاهتزازات الكهربائية . قال هذا ليس بالامر المهمّ في الاختراع ولكن اسمع لاقص عليك ما فعلتهُ . ان هذا الاختراع شغل قواي العقلية ايام كنت اكتب في جريدتك حتى دعاني اشتغالي بهِ الى ان تركت خدمتك ولما تحققت نجاحهُ جئتك بطلبٍ لاظنك تنساهُ ثم سافرت فسجلت هذا الاختراع في كل عواصم اوربا والولايات المتحدة . ولم انشر ذلك في حينهِ رغبةً مني في عمل الامتحانات اللازمة وساعدتني عمتي بمالها فعملت ستة اجهزة مثل هذه الآلة ووضعتها في بطرسبرج والقسطنطينية وبرلين وباريز ونيويرك ويوكوهاما واستودعتها اناساً اثق بامانتهم بعد ان اعلمتهم طريقة الاستعمال فهم مكاتبيّ باجرتهم . وربما استغربت امر حصولي على المال اللازم لهذه النفقات كلها فاخبرك ان اول امتحان عملتهُ كان متعلقاً باشغال المضاربات فربحت منهُ في يومين فقط عشرين الف ليرة

فقال المدير ولكن اخبرني كيف بلغتك اخبار ثورة السود وليس لك وكيل في الولايات الجنوبية . فقال خدمني التوفيق هذه المرة بان مكاتبي ذهب الى هناك لزيارة بعض انسبائهِ وأصحب الآلة معهُ فبلَّغني الخبر بواسطتها

وبينما موريسون يشرح للمدير كيفية تركيب الآلة وعملها اخذت تتحرك امامهما فتوقفا عن الحديث واذا بالآلة الكتابية ترقم امامهما ما يأتي

« يوكوهاما — نزلت قوة عظيمة من الجيوش الروسية الى كوريا واستولت على عاصمتها . الهيجان بالغ حدّهُ . الحكومة اليابانية اعلنت الحرب واصدرت امرها بتحصين المعاقل »

ولم يشك هرمان هذه المرة بصدق اخبار موريسون فنشر الخبر في جريدتهِ وكان كالمرات السابقة سبباً في زيادة شهرة الجريدة وغنى صاحبها

و بعد ان اكمل موريسون شرحهُ اقفل الصندوق فقال لهُ المدير لا شك انك قد اصبحت من الرجال الذين تعتزّ بهم انكلترا. والآن فهل تقبل ان تخصص استعمال هذه الآلة لجريدتي وكم تطلب في مقابلة ذلك . قال موريسون انك لن تغرّني بالمال لاني لست في احتياج اليهِ اليوم كما كنت منذ سنة . قال هرمان انني ادفع لك عشرين الف ليرة استرلينية . قال انت تعلم اني اقدر ان احصل اربعة او خمسة اضعاف هذا المبلغ . قال ولكنك قد اعطيتني من الاخبار ما يفوق هذا المبلغ ولم تطلب مني عوضاً فهل كان لك في ذلك مأرب . قال نعم . قال وما ذاك . قال احببت ان اذكرك بانك منعتني من زيارتك الى ان اثبت لك اني صحيح العقل وان قد صار عندي من الدخل ما تبلغ قيمتهُ الفي ليرة في السنة فهل تذكر تلك الزيارة . قال نعم حين اتيت تطلب ابنتي جوليا عروساً لك واني والحق اقول لك لم اكن اعلم انها تحبك الا يوم امس فقد شئت ان امتحن ذلك فاخبرتها اني قرأت في الجرائد خبر قدومك فظهرت عليها علامات الفرح والاستبشار وقبلتني ثلاثاً . فانا افتخر الآن بان تكون يا موريسون صهراً لي

فتبسم موريسون وعاد في تلك الليلة معهُ الى بيتهِ فتناولا طعام المسآء وكانت جوليا اعظم الثلاثة ابتهاجاً بعودة حبيبها وفرحت بهِ اكثر من فرح موريسون باختراعهِ الجديد

اليابان

قد كان من نهضة اليابان في العهد الاخير ما نبه اليهم خواطر اهل السياسة والعلم في جميع الاقطار المتمدنة ولا سيما بعد حربهم مع الصين مما اظهر انهم قد صاروا في مقدمة الامم الشرقية باسرها وجاروا اعلى ممالك اوربا في الحضارة والعلم والسياسة والقوة الحربية ولذلك رأينا ان نتكلم شيئاً على جغرافية هذه المملكة وتاريخها وتطوّرها في اطوار الحضارة والعلم الى الزمن الحاضر مما لا يخلو من تبصرةٍ لقوم يتفكرون

تتألف مملكة اليابان من عدة جزائر في الطرف الشرقي من آسيا يبلغ مسطَّحها نحواً من خمسين الف كيلومتر مربع وموقعها بين ١٢٦° و١٤٨° من طول باريز الشرقي و٢٩° و٤٧° من العرض الشمالي ويحدها من الشمال القسم المستقل من ترَاكَاي والقسم الروسي من ارخبيل كوريل ومن الشرق والجنوب المحيط الاعظم ومن الغرب مضيق كوريا وبحر اليابان والبحر الازرق . واول من وصف هذه البلاد الرحالة الشهير ماركو پاولو في اواخر القرن الثالث للميلاد ثم وردها قومٌ من البرتوغال سنة ١٥٤٣ فعرفوا من امرها بعض الشيء وكانت قبل ذلك العهد موصدةً في وجوه الاجانب لا يدخلها غريب

وجزر هذه البلاد جبلية يبلغ ارتفاع بعض جبالها نحواً من ٤٠٠٠ متر وبعض قممها لا تفارقها الثلوج . وارضها بركانية وفيها كثيرٌ من البراكين المتّقدة واشهرها بركان سيرايامإ في جزيرة نيفون وارتفاعهُ نحو ثلاثة آلاف

متر ولذلك تكثر فيها الزلازل

اما هوآء هذه البلاد فأبرد مما يُظَن بالقياس الى اقليمها وشتآؤها قارس الا ان جوّها على الغالب كثير التقلب ويكثر فيها الضباب ولا سيما على السواحل وتربتها على العموم قاحلة صخرية ولكنها باجتهاد الاهالي مع جعل الفلاحة فرضاً عليهم تحوَّل اجدب اقسامها الى اراضٍ خصيبة واشهر غلالها الارزّ والقطانيّ باصنافها وفواكه الجنوب والشاي والقطن والكتان واللك والكافور ولهم عنايةٌ عظيمة بالحرير . وفي اليابان مناجم ذهب وفضة وقصدير وحديد ونحاس وزئبق وفحم معدني وكبريت وغَضار صيني وغير ذلك

اما عدد الاهالي فيبلغ نحو ٤١ مليوناً وهم يرجعون الى السلالة المغولية وربما كانت ممتزجةً بالسلالة الملقّية وقاماتهم متوسطة الا انهم شديدو الأَسر وفيهم نخوةٌ وذكآء وثقوب فطنة وشجاعة وحزم ونشاط الى العمل لكنهم قساة الطباع شهوانيون ذوو اضغان والحياة عندهم لا قيمة لها حتى اذا رأى الياباني انهُ قد اهين فكثيراً ما يطعن صدرهُ بحربةٍ وحينئذٍ نخصمهُ ايضاً لكي لا يُعَدّ جباناً يفعل فعلهُ

اما دينهم فمبنيٌّ على عبادة السلَف يضيفون اليهم معبوداتٍ اخر كالشمس وسائر الارواح المتسلطة على المنظورات وغير المنظورات وربما عبدوا بعض الحيوان المقدس كالكلب والثعلب . وينتحلون مع ذلك مذهبين آخرين وهما مذهب كنفوشيوس ومذهب بوذا اخذوا الاول عن اهل الصين وهو عندهم مخصوص بالعلمآء كما هو عند الصينيين واما

الثاني فادخلهُ بينهم الكوريون وهم يخلطون بينهُ وبين مذهبهم الاصلي فيكون في الهيكل الواحد أوثان لكلا المذهبين

اما الحكم عندهم فمن المطلق وهو جائر وشريعتهم دموية تعاقب على كل جريمةٍ بالقتل . وللمملكة رئيسان احدهما ديني ويسمى الميكادو والآخر مدنيّ ويسمى الكوبو والتيْكُون وكان الميكادو قديماً مستولياً على السلطتين معاً واليابان يعتقدون انهُ من سلالة الآلهة ويسمونهُ بالاله المتجسد وهو لا يعبد الاّ الإلاهة تَنْسيون تايسين التي يزعم انهُ من نسلها . واول من يُذكَر في تاريخهم من هذه الطبقة زِين مُو وهو رأس السلالة الثالثة من ملوكهم وابن آخر ملوك السلالة الثانية وكان عهدهُ في اواسط القرن الخامس قبل الميلاد واستمرّت السلطتان تتوارَثان في اعقابهِ الى اواسط القرن الحادي عشر للميلاد واذ ذاك نشأ في المملكة رجلٌ عظيم من القوّاد يقال لهُ كيومري فجعل يضعف شوكتهُ الدنيوية الى ان نزع الملك من يدهِ واستقلّ بهِ ثم اقرّهُ في عقبهِ فكانوا يتوارثونهُ من بعدهِ خلفٌ عن سلف . وفي اواخر القرن السادس عشر قام قائدٌ آخر يقال لهُ تيْكو ساما فاتمّ تحرير الملك من ربقة الميكادو وحصرهُ في الحدود الدينية وما ينتحلهُ لنفسهِ من النسب السماوي وبتيكو هذا سُمّي الحاكم الزمني عندهم بالتيَكون

وفي اواسط القرن المذكور وفد البرتوغال الى اليابان كما تقدم ذكرهُ فابيح لهم ان ينزلوا بفيرَنْدو من جزيرة كوسيو ويتجروا في سائر انحاء المملكة فلم يمضِ على ذلك الا زمنٌ قصير حتى دخل نحو نصف اهل المملكة في الدين المسيحي على يد فرنسوا كزَفيّاسے اليسوعي وغيرهِ من دعاة اهل الدين

ونشأت في خلال ذلك اضطراباتٌ في المملكة على عهد تَيْكو المذكور تداخل فيها بعض اولئك المرسلين بما اوغر صدور الحكام وارباب الدين من اهل البلاد فكان ذلك سبباً في طرد البرتوغال من المملكة وقيام اضطهادٍ شديد على النصرانية استمرّ مدة اربعين سنةً وقُتل خلقٌ لا يُحصى في مذبحةٍ حدثت سنة ١٦٣٧ وعلى اثر ذلك سُنّت الاحكام الشديدة القاضية بمنع دخول الاجانب الى المملكة كلها ما خلا جماعةً من الهولنديين اظهروا لهم المودّة والممالأة فعزلوهم في جزيرةٍ صغيرة يقال لها دشيما ولبثوا يتعاطون التجارة في البلاد

وفي سنة ١٨٦٣ حدثت ثورة اخرى في المملكة كان من اعقابها ان تحالف الميكادو واشراف الأمّة على التيكون فخلعوهُ من الملك وردّوا الحكم الى الميكادو ومذ ذاك أُطلقت ثغور البلاد للاجانب فتواردوا اليها من آفاق اوربا واميركا وكان عن مخالطتهم لهم ما نبّه اليابان للاقتداء بالحضارة الاوربية ونهوضهم هذه النهضة السريعة التي لم يُسمَع بمثلها . وقد أُحصيت مدارسهم سنة ١٨٨٢ اي بعد اقلّ من عشرين سنة من ذلك الموعد فكانت ٢٨ الف مدرسة منها نحو ١٧ الف مدرسة عمومية و ١١ الفاً خصوصية والمدارس العليا من الاولى ١٠٧ ومن الثانية ٦٧٧ وذلك ما خلا الكتاتيب الكثيرة المنتشرة في انحاء المملكة . وبلغت مكاتبها العمومية سنة ١٨٨١ احدى وعشرين مكتبة يتردد اليها نحوٌ من ١١٠ آلاف مطالع . وقد وقفنا على احصاءٍ للمدرسة الجامعة الملكية عن سنة ١٨٩٢ — ١٨٩٣ فكان عدد اساتذتها في جميع العلوم ١٧١ استاذاً منهم ١٥٥ من اليابان و ١٦ من

الاجانب وعدد الدارسين ١٦٨٧ منهم المتخرجون في الندوة العلمية بعد ختم جميع الدروس وعددهم ٥٣ والبقية ما بين طلبة العلوم الشرعية والطب والحِيَل اسيـ الميكانيك والبلاغة والعلوم الطبيعية والزراعة • ويدخل تحت العلوم الشرعية حقوق الدول وتحت الطب علم الصيدلة وتحت الحِيَل بنآء الجسور والسفن والاستحكامات الحربية والكهربآئية والهندسة والكيميآء العمليتان والبارود والمناجم وتحت علوم البلاغة الفلسفة العقلية والتاريخ واللغة وبعض اللغات الاجنبية وتحت العلوم الطبيعية الرياضيات والهيئة والفلسفة الطبيعية والكيميآء وعلم الحيوان والنبات وطبقات الارض وتحت الزراعة غراسة الغابات وتربية الحيوان • ويقضي الطالب في كل واحد من هذه الاقسام ثلاث سنوات الا في العلوم الشرعية والطب فاربعاً • ويتبع هذه الجامعة مستشفيان ومرصد فلكي ومرصد للزلازل ومحطة بحرية وحديقة نبات ومستشفى بيطري ومحل لتربية دود القزّ ودار عاديّات ومكتبة تشتمل على نحو ١١٠ آلاف مجلد بين ياباني وصيني ونحو ٩ آلاف مجلد في اللغات الاجنبية

اما صنائع اليابان فقد بلغت النهاية في الحسن والاتقان وقد كان لهم في المعرض الاخير بباريز ما ادهش زوّار المعرض من جميع طوائف اوربا حتى قال بعض كتابهم انهُ في هذه المرّة قد ارتفع لاوربا طرفٌ من الحجاب الذي كانت مستترةً وراءهُ مزية الشرق الاقصى وما فيهِ من العقول الذكية والنفوس النيّرة • وابدع ما اشتهروا بهِ المصنوعات المعدنيـة من النحاس والحديد والفولاذ وسيوفهم لا يفوقها الا السيوف الخراسانية ولهـم التفنن

العجيب في المنسوجات من القطن والحرير مما أُعجب بهِ اهل الصناعة في اعظم معامل اوربا ومثل ذلك التصوير والحفر وعمل الغضار الصيني وطرائف العاج وغيرهِ من المصنوعات الدقيقة . على انهُ لا يُنكَر ان من تلك الصنائع ما اخذوهُ عن غيرهم كالتصوير بالزيت فانهم ارسلوا اناساً منهم تعلموهُ في پاريز ومونيخ وكذلك صناعة الطراز فانهم اخذوها عن اهل الصين واخذوا صناعة الغضار عن اهل كوريا وصناعة التعدين عن البرتوغال الا انهم في كل ذلك برعوا وفاقوا حتى كانوا في بعضها اطول باعاً من اربابها . اما الصناعة التي اصبحوا فيها نسيج وحدهم بلا معارض فهي صناعة نقش المنسوجات وقد كان من هذه الصناعة في خزائن التروكاديرو من نحو البَرَوانات(١) والمراوح والشُقَق التي تزان بها الجدران ما يستوقف الناظر عجباً حتى انهم يقلدون ريش الطير بكل دقتهِ ولطافتهِ ويمثلون ملاعب النور في شعر الحيوان وتدرجات الالوان في الازهار كل ذلك بما لا يتميز عن المنظر الطبيعي

ومن معروضاتهم في التصوير ثلاث صور مثلوا بها تاريخ اليابان في الثلاثين سنةً الاخيرة احداها لسنة ١٨٧١ حين كانوا في اوائل عهد نهضتهم وحين كان الاعتماد فيها على ارشاد الاوربيين وهي في زيّ اوربي . والثانية لسنة ١٨٧٤ حين اصبح العمل معقوداً بهمم اهل البلاد واجتهادهم وهي في زيّ ياباني . والثالثة لسنة ١٨٨٧ وهو الزمن الذي اصبح الياباني فيهِ عديلاً للاوربي وهي في لباسٍ نصفهُ اوربي والنصف الآخر ياباني

---

(١) جمع بَرَوان بوزن كَرَوان وهو الواحٌ عريضة مغشاة بورق او نسيج يناط بعضها الى بعض بمفاصل تحرك حولها يقصد بها حجب الهواء (معرَّب Paravan)

هذا طرفٌ يسير مما وصلت اليهِ اليابان في علومها وصنائعها ولو شئنا ان نروي كل ما اتصل بنا من وصف هذه الامة وما بلغت اليهِ لوقتها الحاضر لطال بنا القول الى ما لا يسعهُ هذا المقام غير اننا نقول ان اليابان اليوم لا تنحطّ عن اعظم مملكة من ممالك اوربا وقد ادركت هذه المنزلة في اقلّ من نصف قرن من امتزاج اهلها بالاوربيين واخذهم عنهم . وهذا ولا شك مما يدل على تناهي هذه الامة في اليقظة والاقدام وعلوّ المدارك وكمال الاستعداد لتناول اسباب الحضارة والعلم الا ان هذه كلها من الصفات التي لا يتجرد عنها سواهم من ابنآء الشرق وعلى الخصوص اهل هذه الديار ممن كانوا بالامس اساتذة الحضارة ورافعي لوآئها على آفاق العالم القديم باسرهِ وهؤلآء الاوربيون عندنا منذ قرنٍ كامل لم تفتنا منهم قدوةٌ ولم يألونا تبصيراً ولا حثًّا على الاقدام ومع ذلك فانا لم نكد ننتقل عن موقفنا الا بما دلّ على اننا من ابعد الناس عن قبول التمدن الصحيح . فبقي ان للامر سبباً غير ما ذكر من الاسباب الفطرية وهو ما نتوقع الكشف عنهُ من ارباب الاقلام لعلّ فيهِ تبصرةً لبعض القوم عندنا والله المسؤول ان يهدينا الى السبيل الاقوم وهو حسبنا

الكهربائية في الزراعة

بقلم حضرة الاديب امين افندي كرم من خرّيجي المدرسة الزراعية المصرية

قرأت في الجزء الاخير من السنة الثالثة لمجلتكم الغرآء نبذةً تحت هذا العنوان ذكرتم فيها فوائد الكهربائية في الزراعة فعنّ لي ان اذيّل تلك

النبذة بفائدةٍ اخرى للكهربائية لا تقل عما ذكرتموهُ تأثيراً في انماء النبات وانضاج الثمر وهي استعمال النور الكهربائي لانهُ اقرب الانوار كلها الى ضوء الشمس من حيث اللون وقوّة الاشعة فهو يفعل فعلهُ على النبات

اما تأثير ضوء الشمس في النبات فهو في المكان الاول من الاهمية اذ لا فائدة للنبات بدونهِ وبيان ذلك ان النور يولّد في اعضاء النبات وخصوصاً الاوراق ما يدعونهُ بالكلوروفيل وهو المادّة الملوّنة التي بواسطتها وبوجود النور يتناول النبات الحامض الكربونيك من الهوآء ثم يحللهُ الى اكسيجين وكربون فيدفع الاول بالتنفس ويبقى الثاني في جوفهِ فيستحيل الى موادّ نشآئية وموادّ اخر عضوية كسكرية وزيتية وغيرها مما يأول الى تركيب الحبوب والثمار تبعاً لانواع المزروعات واستعدادها . وهذان الامران اي التحليل والاستحالة انما يحصلان نهاراً اي بفعل النور واما في الليل فلا يقوى النبات على تحليل الهوآء ليأخذ الكربون الذي هو قوام غذآئهِ بل يعكس الامر اي يمتصّ الاكسيجين ويدفع الحامض الكربونيك فيكون في ذلك على حدّ ما يفعل الحيوان وبالتالي يتوقف عن العمل فيستريح بالليل من عمل النهار . ويدل على ذلك ان النبات اذا نما في ظلمةٍ تامة يجيء شاحب اللون لعدم تولد الكلوروفيل ولا يتكوَّن فيهِ نشآء ولا ثمر واذا اخذنا نباتاً قد عاش في النور ثم وضعناهُ في ظلمةٍ تامَّة فقد يثمر غير ان وزنهُ ينقص عوضاً عن ان يزيد . وعليهِ فلو تسنى للنبات ان يعمل بالليل ايضاً لأتمّ بالطبع عملهُ في اقلّ مما يلزمهُ من الزمن لو كان يعمل نهاراً فقط . ولتحقيق ذلك اخذ بعض علمآء هذا الفنّ يبحثون عن طريقةٍ يتمكنون بها

من حمل النبات على ان يعمل زيادةً عن حدهِ الطبيعي اي ان يعمل نهاراً وليلاً بغير انقطاع للتعجيل في نضج ثمرهِ قبل اوانهِ . ولما كان النور هو العامل الاقوى في تميم وظائف النبات اخذوا في امتحان التجارب المتنوعة فاعدّوا لهُ غُرَفاً خصوصية ينفذها ضوء الشمس نهاراً وتُنار فيها الشموع او غيرها من انواع المصابيح ليلاً و بعد تكرار الاختبار تبين لهم ان المصابيح الكهربآئية هي التي تكفل بهذا الغرض لمشابهتها لضوء الشمس على ما اسلفنا بيانهُ . ولما تحقق لهم ذلك اخذوا يقيمون البيوت الكبيرة المعروفة عندنا باسم « الصوبة » للفواكه على انواعها ينيرها شمسان الطبيعية والصناعية فتنضج الثمار في مدةٍ لا تزيد كثيراً على نصف ما يلزم من الزمن لنضجها الطبيعي وهي تُهدَى للملوك والامرآء وتباع لندرتها باغلى الاثمان مما يعود على اربابها بالربح الطائل من انزه الوجوه واشرفها

ويحسن بي في هذا المقام ان اوجّه التفات نظارة المعارف الجليلة الى هذا الامر واقترح عليها تخصيص مبلغٍ زهيد يُنفَق على انشآء صوبةٍ واحدة في الاقلّ تقام في المدرسة الزراعية او المعرض الزراعي او في موضعٍ آخر من هذه المدينة تراهُ موافقاً تنيرها بالكهربآئية لاجرآء مثل هذه التجارب التي تعود بالنفع العظيم على ابنآء المدرسة الزراعية و بالتالي على مزارعي القطر باجمعهِ حتى لا يقال انها تضنّ بالقليل وهي التي تجود بالالوف على ما من شأنهِ تثقيف العقول وتنوير الاذهان (كذا) فضلاً عما يكون لذلك من التأثير المعنوي في حياة مصر الزراعية الحديثة النشأة ولا سيما ان ساعدنا الاتفاق واكتشفنا بعد البحث والتجارب مفعولاً جديداً للكهربآئية في

الزراعة وليس ذلك من الامور المستبعدة فان الاكتشاف ابن البحث والتجربة ام الاختراع

وللنور ايضاً فعلٌ حِيَلي اي ميكانيكي يؤثر على انابيب (عُقَل) النبات بأن يؤخّر نموها قليلاً ودليل ذلك انهُ اذا نمت نبتةٌ في الظلام فليس فقط انها تظهر شاحبة اللون لعدم تولّد الكلوروفيل كما تقدم بل الانابيب ايضاً تكون اطول مما لو نمت في النور ولذلك اذا وضعت نباتاً في مكانٍ يدخلهُ النور من مكانٍ واحد ترى ان النبات ينحني الى جهة النور وسببهُ ان النور يؤثر على الجهة المعرَّضة لهُ فيؤخر نموها قليلاً اما الجهة المقابلة من الساق التي هي اقل تعرضاً للنور فيكون نموها اعظم فينشأ عن هذا الاختلاف في النمو انحنآء الساق . وهناك دليلٌ آخر نراهُ كل يوم وهو ان رؤوس الاشجار تنحني غالباً الى جهة الجنوب انحنآءً يدركهُ من يلاحظهُ من اول نظرة والسبب في ذلك هو ان الخط الذي تقطعهُ الشمس في الظاهر هو اميل عندنا الى الجهة الجنوبية تبعاً لموقعنا من خط الاستوآء فتكون بالطبع اشعة النور الواقعة على الشجرة من هذه الجهة اكثر منها في الجهة الثانية فتنحني اعاليها قليلاً الى الجهة الجنوبية لما اوضحناهُ ويُعرَف هذا الانحنآء عند النباتيين باسم الهليوتروپسم اي الانعطاف نحو الشمس . غير انهُ قد يتفق ان ينحني ساق النبتة او رأس الشجرة الى الجهة المخالفة ويُعرَف بالهليوتروپسم السلبي والاظهر فيما اظن ان سببهُ الرياح . ومما يلطف ذكرهُ هنا ان الفلاحين في بعض بلاد اوربا واميركا اذا غابت عنهم معرفة الجهة في اثنآء سيرهم في الغابات الكثيفة يقطعون ساق شجرة ويتخذون من شكل

بنآئها دليلاً على الجهة لان مركز الساق يكون أميل الى الجهة الجنوبية لقلة النموّ هنا فيقوم لهم ذلك مقام الابرة المغنطيسية والله اعلم

الزّيرُغْراف والتّيلُوتُغراف

لا يخفى ان التلغراف كان في اول اختراعهِ يؤدي الرسائل باشاراتٍ يتناولها العامل بالبصر ثم تمرّ من امامهِ ويخلفها غيرها بغير ان تترك اثراً فيُضطَرّ ان يرسم مفاد كل اشارةٍ بيدهِ الى ان تفرغ وعلى هذا كان التلغراف الإبريّ والتلغراف الميناويّ على ما سبق لنا الايمـآء اليهِ في بعض اجزاء السنة السالفة . ولا يخفى ما في ذلك من النقص بحيث انهُ لو شك العامل في كلمةٍ او حرف اوسها عن رسمها لم يجد سبيلاً الى مراجعتها واستثباتها فضلاً عما يمكن حدوثهُ في مثل هذا من الغلط في تناول الاشارات . ولذلك اجتهد العلمآء ان يستبدلوا الاشارات برسمٍ ثابت ترسمهُ الآلة نفسها وبعد طول البحث والتجربة توصلوا الى اختراع آلةٍ ترسم الحروف الهجآئية اما برسومٍ رمزية من خطوطٍ ونقط تدل عليها بالاصطلاح وهو اختراع مُورْس واما بطبع الحروف بصورتها المتعارَفة وهو اختراع هوغ الا ان الاختراع الاول اسهل مراساً واقلّ كلفةً ولذلك عمّ استخدامهُ في جميع الممالك . لكن بقي فيهِ انهُ لا يقرأ حروفهُ الا من عرف سرّها ودرس رموزها فلم يكن بدٌّ في كل رسالةٍ ان تُنسَخ بالخط المتعارَف لتمكن قرآءتها وقد يقع في نسخها خطأٌ او تحريف عمدي وفي ذلك من الضرر ما لا يخفى ولذلك كان لا يزال في الانفس شيءٌ من الحاجة الى اتمامهِ على وجهٍ تنتفي فيهِ

هذه النقائص . وقد تجرّد كثيرٌ من اهل العلم لهذا الامر وانفقوا فيهِ السنين الطوال بغير ان يحصلوا على طائل الى ان برز الاختراعان المذكوران في عنوان هذه النبذة من عهد قريب وأحدهما مكملٌ لتلغراف هوغ وما كان على اصطلاحهِ وسُمّي بالزّيرُغراف والثاني مكملٌ لتلغراف مورس وسُمّي بالتّيلُوتُغراف

اما الزّيرُغراف فيرسم الحروف بواسطة آلةٍ من آلات الكتابة المعروفة ومخترعهُ واحدٌ من علماء الكهربائية يقال لهُ المسيو كامّ . وهو مؤلفٌ من جهازين متماثلين يجمع بينهما سلكٌ كهربائي ويمكن ان يُستخدَم كلٌّ منهما مرسلاً وقابلاً والحروف تنطبع في كلٍّ من مكان الارسال ومكان القبول فتكون المراسلات مسجلةً في الجانبين . وهو سهل الاستخدام لا يقتضي شيئاً من المهارة عند العامل لانهُ لا يزيد على استعمال آلة الكتابة المعتادة بخلاف تلغراف هوغ فان استعمالهُ يقتضي دقةً وخبرةً وطول مراس بحيث ان العامل لا يحسن الاشتغال بهِ الا بعد ممارستهِ اشهراً فضلاً عما يعرض لهُ من التعطيل في بعض اجزائهِ وما يحدث فيهِ من الاختلال في اداء الرسائل . واول ما عُرض هذا الاختراع في الجمعية الملكية بلندرا سنة ١٨٩٧ ثم امتُحن في سكة حديد جُنُفْر و بسويسرا وامتحنتهُ عدةٌ من الشركات التلغرافية كشركة روتر وغيرها

واما التّيلُوتُغراف فينقل الرسائل بنفس خط الكاتب بحيث ان الرسالة التي تكتَب في مصر مثلاً تبلغ الاسكندرية او الآستانة في الوقت نفسهِ مرسومة بصورتها التي جرى بها قلم الكاتب ويعرف منها خطهُ ويمكن بهِ

نقل الرسوم والهيئات والعلامات الموسيقية بكل ضبط على ما رسمها المراسل. واول من اهتدى الى هذا الاختراع المسيو كازلّي وقد عرض آلةً منهُ في معرض باريز سنة ١٨٦٧ سماها بالپانتلغراف فكانت موضعاً لاعجاب الجماهير ممن شاهدها في ذلك الحين الا انها لم تكن خليقةً بالاستعمال لنقصٍ كان لا يزال فيها ومذ ذاك اخذ ارباب هذا الشأن يزاولون اتمامها واشهر من اشتغل بها واحدٌ من علماء الكهربآئية يقال لهُ اليشع غراي قضى في معالجتها نحواً من عشرين سنةً ثم تناولها من بعدهِ واحدٌ من خرّيجيهِ يقال لهُ المسيو رتْشي فاوصلها الى حدّ الكمال

وهذه الآلة تتألف من جهازين كهربآئيين احدهما مرسل والآخر قابل وبجانب الاول مائدة فوقها دَرْجٌ ملفوف من الورق ينحلّ من احد طرفيهِ فيتناول الكاتب طرف الورق ويكتب عليهِ بقلم رصاص متّصل بالآلة وفي الجهاز القابل قلم آخر من المعدن تصل اليهِ حركة قلم الرصاص فيرسم على ورقةٍ اخرى هناك طبق ما رسم الكاتب . وهذان الجهازان يصل بينهما سلكان من اسلاك التلفون تنشأ عليهما الدائرة الكهربآئية وينقلان الحركة من احد المركزين الى الآخر ولذلك تكون هذه الآلة من تتمة المراكز التلفونية . وقد شرعت ادارة البريد والتلغراف في فرنسا في اختبار هذا الاختراع وتحقُّق موضعهِ من الاستعمال واذا وقع قرارها على اعتمادهِ فليس ثمة الا ان تضيف جهازهُ على الاسلاك التلفونية فتستخدَم للتلغراف والتلفون جميعاً

— الخضاب —

ولا يصلح العطّار ما افسد الدهرُ

يروم الانسان ان يبقى في شبابٍ دائم ولو صح ذلك لجاز ان لا ينتقل عن الطفولية الى المراهقة ولا عن المراهقة الى الشباب ولكن للوجود سنناً لا يتعداها وللبنية اطواراً لا تخرج عنها وكل طورٍ مؤلفٌ من احوال لا يكون احدها الا مع صاحبهِ كالجسم لا يتمّ الاَّ بمجموع اعضائهِ . فاذا شاب الشعر كان معنى ذلك الشيب في سائر البنية لحدوثهِ عن سببٍ يعم الاعضاء بجملتها والشيب احدى نتائجهِ وواحدٌ من ادلّتهِ ومن ظن ان الشيخوخة تخفى تحت الخضاب فقد خدع نفسهُ من حيث يظن انهُ يخدع غيرهُ لانها تظهر في تحول الجلد وتثنّي البشرة وانما تخفى عن نظر الاحسر ومن لا يتعدى تمييزهُ الفرق بين السواد والبياض

على انك اذا اعتبرت الامر في نفسهِ وجدت ان سواد الشعر والحالة هذه يكون من المشوّهات لان الجمال في التناسب والمحاسن من طبعها ان تفضح المساوئ فلا رأي للعاقل في الجمع بينهما . الا ترى انك لو عمدت الى المنزل الخرِب الذي قد اخذت منهُ السنون واكلتهُ الرياح والامطار فطليتهُ بالاصباغ الجميلة والالوان الزاهية تزيد قبحهُ ظهوراً وعيوبهُ وضوحاً ولو تركتهُ بحالهِ كان في تناسب جملتهِ ما يشفع في عيوب تفاصيلهِ وقد لا يخلو من وقعٍ في عين من يجلّ الآثار القديمة وعبرة لمن يتّعظ بفعل الدهر ... وان شئت ان تمثل قبح هذه الحال فانظر الى نقيضها في بعض المتهالكات

على طلب الجمال اللواتي استنفدنَ ذرائع التحسين فانتهينَ الى ان يصبغنَ شعرهنَّ بالبياض تر َهناك قبح الجمع بين مظهرَي الشيخوخة والشباب . ومثلهنَّ الشُقر اللواتي يصبغنَ شعرهنَّ بالسواد فانهُ وان لم يكن هناك تنافٍ في مظهر السنّ فان لكل لونٍ من الشعر لوناً من الجلد فيكون صبغ الاشقر شعرهُ بالسواد كما لو صبغ الزنجيّ شعرهُ بالشُقرة

هذا في اعتبار الذوق واما في الاعتبار الصحيّ فان اكثر اصباغ الشعر لا تخلو من سموم مؤذية تضرّ بالشعر والجلد وربما تعدّى ضررها الى صحة الجسم عموماً فقد ذكر المسيو لابُرْد احد اكابر اطبآء الفرنسيس انهُ كان يعالج امرأةً من هزالٍ كان قد ظهر عليها منذ سنةٍ انتحلت بهِ انتحالاً شديداً فنقص وزنها في مدة شهرين او ثلاثة عشرة كيلوغرامات وفقدت شهوة الطعام ولازمها عسر الهضم وكانت تشكو من صداعٍ دائم ونُوَبٍ يشتدّ معها الصداع ويصحبهُ قيء موادّ مخاطية يستمرّ اليوم بطولهِ وكانت اجفانها حمراء شديدة التهيج . فعالجها بما تعالج بهِ المعدة لظنهِ ان مجلس العلة هناك فلم يفلح ولما عجز عن شفآئها عمد الى معالجتها بالحقن تحت الجلد لتسكين الالم

وكانت هذه المرأة في سن الخمسين الا ان شعرها اسود فاحم فاتخذ من هنا بعض الدليل وسألها فاعترفت بدون تردد انها تستعمل خضاب الشعر فأمرها بترك هذه العادة فلم يأتِ عليها الا ايامٌ قلائل حتى انقطعت تلك الاعراض بأسرها وعادت المرأة صحيحة الجسم . قال فبقي على الطبيب ان يتنبه اول كل شيء الى امر هذا الخضاب اذا كان الشخص ممن اعتادهُ ولا سيما ان هذه العادة فاشية في كل مكان حتى ان الذين يركّبون هـذا

الصبغ (يعني في فرنسا) يبيعون منهُ لا اقلّ من خمسين الف قنينة في السنة

وقد ذكرت المجلة العلمية الفرنسوية نقلاً عن المسيو إيڤون ان جميع اصناف الخضاب ذات خطر من المركبات التي قاعدتها الرصاص او نترات الفضة (حجر جهنم) او التي قاعدتها النوشادر واملاح الفضة الى المركبات التي قاعدتها بيكرومات البوتاس وخشب البَقَّم . وقال المسيو ترُسّار انهُ ليس في انواع الخضاب ما لا خطر فيهِ الا الحنّآء على انهُ ليس خالياً من الاذى على الاطلاق كما هو الشائع عنهُ ولا سيما في هذه الايام التي كثر فيها الغشّ في كل شيء . واقلّ خطراً منهُ الخضاب الذي قاعدتهُ البزموت وايبوسلفيت الرصاص لكنهُ بطيء التأثير ولونهُ ليس بالاسود الجميل . والذي عندنا ان مجاراة الطبيعة اسلم واجمل فان للثمر في اوانهِ جمالاً ليس دون جمال الزهر في ابّانهِ وكرامة المشيب اغلى من جمال الشبيبة وما احسن ما قال المتنبي

افدي ظبآء فلاةٍ ما عرفنَ بها   مضغ الكلام ولا صبغ الحواجيبِ
ولا برزنَ من الحمّام ماثلةً   اوراكهنَّ صقيلاتِ العراقيبِ
ومن هوى كل من ليست مموّهةً   تركتُ لون مشيبي غير مخضوبِ
ومن هوى الصدق في قولي وعادتهِ   رغبتُ عن شعرٍ في الرأس مكذوبِ

العَود الى ما قبل برج بابل

استأنف بعض العلمآء في هذه الايام البحث في وضع لغةٍ عامّة يتفاهم بها جميع طوائف الارض لما يجدون من الضرورة اليها في المواصلات العلمية والتجارية وغيرها وهو خاطرٌ قديم اشتغل بهِ كثيرٌ من العلمآء ووضع

بعضهم الفاظ هذه اللغة وقواعدها منذ سنوات وسمّاها بالفولابك الا انها لم تشع ولم تلبث ان طوتها الايام فيما طوتهُ من آثار الاولين . وقد رفع بعضهم في هذه السنة الى ندوة العلوم في باريز اقتراحاً يطلب فيهِ اعادة البحث في هذه المسئلة الخطيرة موقعاً عليهِ باسماء نحو عشرين عضواً من اعضاء الندوة ووافق على هذا الاقتراح عددٌ غفير من العلماء والاساتذة في باريز

وقد افاضت الندوة في الكلام على هذه المسئلة فذكر المسيو سيبرت جماعةً ممن اشتغلوا بها من مشاهير المتقدمين والمتأخرين منهم باكون وپسكال ولبنز ومكس مولر وغيرهم ووصف لغةً من هذا القبيل وضعها الدكتور زمنهوف ذكر ان العارفين بها على حداثة عهدها يربون على اربعين الفاً . ونقل المسيو ميري عن ليو تولستوي الشهير انهُ بعد درسها ساعتين صار يحسن القراءة فيها ثم ذكر عن نفسهِ انهُ بعد مزاولتها اسبوعين صار ينشئ بها المقالات وانهُ في مدة سنة اي منذ شهر مارس من سنة ١٩٠٠ الى مثلهِ من هذه السنة تلقى ١٣٢ رسالة بهذه اللغة في شؤُون مختلفة من ٥٢ كاتباً من سكان العالمَين القديم والجديد منهم روس وبولونيون وبلغار واسبنيول وطليان وبرتوغال واسوجيون وانكليز وغيرهم وانهُ اجاب الجميع بسهولة لم تُعهَد . فما احرى هذه اللغة بان تسمى لغة العليّة الصهيونية

الحسَر

المراد بالحسَر قصر البصر وهو من الآفات التي تصيب الدارسين واصحاب الصنائع الدقيقة واكثر ما تكون في تلامذة المدارس . وقد وقفنا

على الاحصاء الآتي لبعض اطباء الالمان احصى فيهِ عدد المصابين بهذه الآفة من تلامذة ٣٣ مدرسة مختلفة الطبقات فكانوا على ما يأتي

من تلامذة	٥	كتاتيب قروية	١،٤ ٪
« «	٢٠	مدرسة ابتدائية	٦،٧ ٪
« «	٢	عاليتين للبنات	٧،٧ ٪
« «	٢	متوسطتين	١٠،٣ ٪
« «	٢	اعداديتين	١٩،٧ ٪
« «	٢	لتعليم اللاتينية	٢٦،٢ ٪

وكان عدد الذين فحصهم ١٠،٠٦٠ تلميذاً ومجموع المصابين بالحَسَر ١٠٠٤ فيكون المعدل ٩،٩ في المئة

والذي يتحصل من هذا الاحصاء اولاً أن الحَسَر في الكتاتيب القرويّة اقلّ كثيراً مما هو في غيرها . ثانياً ان عدد الحُسر في المدارس المدنية يزيد مع الارتفاع في سلَّم الطلب لزيادة إعمال البصر

ومما تبين للطبيب المشار اليهِ ان هذه الآفة تتفاوت في المدرسة الواحدة بين حلقةٍ واخرى وان اعظم درجات الحَسَر تكون في السنين الاولى من دخول المدرسة

مسئلة السل الرئوي

تقدم لنا في الجزء السالف ذكر الخلاف الذي نشأ في المؤتمر الطبي بلندرا على اثر الرأي الجديد الذي صرّح بهِ الدكتور كوخ في امر عدوى

السل وقد جآء في بعض المجلات الاخيرة انهُ للفصل في هذه المسئلة صدر امرٌ عالٍ بان تُعقَد في انكلترا لجنةٌ طبية يوكل اليها ان تبحث وتقرر ما ينتهي اليه ِبحثها في الامور الآتية

(١) هل السل الحيواني والسل الانساني واحد

(٢) هل يمكن انتقال السل الرئوي من الحيوان الى الانسان ومن الانسان الى الحيوان

(٣) واذا كان ذلك ممكناً فكيف يتم هذا الانتقال من الحيوان الى الانسان وما الاحوال التي تهيّئهُ والذرائع التي يقاوَم بها

وهذه اللجنة مؤلفة من خمسة من اساتذة علم الامراض احدهم من علمآء الطب البيطري ويرأسها البروفسور ميخائيل فوستر

متفرقات

غريبة — رُفعت الى احدى المحاكم الانكليزية دعوى في وصيّة ميت ودُعي شهود القضيّة فكان فيهم واحد سُئل هل لهُ اخوة فقال انهُ كان لهُ اخٌ توفي منذ ١٥٠ سنة . فظن رجال المحكمة انهُ يمزح وامروهُ بالجدّ في حديثهِ احتراماً للمقام فبرهن لهم على صحة ما يقول وكان الامر على ما ذكر . وذلك ان اباهُ تزوج ولهُ من العمر ١٩ سنة فوُلد لهُ ولد ومات في السنة نفسها ثم ماتت زوجتهُ على الاثر فلبث أَيّماً اي بغير زوجة حتى بلغ عمرهُ الخامسة والسبعين ثم تزوج مرةً اخرى فوُلد لهُ

الشاهد المذكور وكان حين اداء الشهادة ابن اربع وتسعين سنة . فاذا أُضيف ٩٤ الى ٥٦ وهي السنون التي عاشها ابوهُ من حين موت الولد الاول الى زواجهِ الثاني اي من سن ١٩ الى سن ٧٥ كان المجموع ١٥٠ سنة

اسئلة واجوبتها

بيروت — انقول ليس زيدٌ قائماً بل قاعدٌ ام بل قاعداً وكيف يُعرَب قاعد على الوجهين . ثم كيف نفهم ما جاء في تاج العروس في الكلام على بل حيث يقول « واجيز ان تكون ناقلةً معنى النفي والنهي الى ما بعدها فيصحّ ما زيدٌ قائماً بل قاعداً وبل قاعدٌ » فهل المراد ان معنى الاول ليس قائماً ولا قاعداً ارجو الافادة عن ذلك كلهِ ولكم الفضل

مستفيد

الجواب — اما في المثال الاول فيجوز الرفع والنصب على السواء والرفع على اضمار مبتدأ محذوف اي بل هو قاعدٌ والنصب على العطف وهو ظاهر وعلى كليهما تكون بل لتقرير ما قبلها على حالهِ وجعل ضدّهِ لما بعدها. واما ما جاء في تاج العروس من انهُ اجيز ان تكون ناقلةً معنى النفي والنهي الى ما بعدها فهو من التوسعات التي تحتملها الصناعة وان اباها الاستعمال فاذا قيل ما زيدٌ قائماً بل قاعداً فالمعنى على هذا بل ما هو قاعداً لان ما الحجازية لا تعمل مع انتقاض النفي فوجب تقديرها بعد بل لتصحيح النصب وحينئذٍ تكون بل حرف ابتداء لا عاطفة ويكون ما قبلها كالمسكوت عنهُ

مثلهُ في قولك زيدٌ شاعرٌ بل كاتبٌ . واما اذا لم يكن الكلام على هذا التقدير اي اذا لم يكن ما بعد بل منفياً وهو المشهور والذي عليهِ الاستعمال فلا كلام في وجوب الرفع بعدها وهو ما اشار اليهِ بقولهِ وبل قاعدٌ . وانما صحّ النصب بعد ليس مع انتقاض النفي ولم يصحّ بعد ما لان ما انما تعمل لمشابهتها ليس في النفي فاذا انتقض زال الشبه فلم يبقَ وجهٌ للعمل وبخلافها ليس فانها تعمل للفعلية وهي ثابتة مع النفي وبدونهِ فيبقى عملها في الحالين

آثار ادبيّة

تاريخ الامير حيدر الشهابي — هو التاريخ المشهور الذي طالما تاق المطالعون الى الوقوف عليهِ لقلة نسخهِ وعزة الحصول على الموجود منها وقد عني بطبعهِ في هذه المدة حضرة الاديب نعوم افندي المغبغب حرصاً على احيآئهِ وافادةً لطلاب هذا الفن بما فيهِ من صحيح الاخبار وحكاية الحوادث التي طواها كرور الايام ولا سيما ما يتعلق منها بالديار الشامية والمصرية . وهو يبتدئ من مولد صاحب الرسالة الاسلامية وينتهي بموت الامير بشير الشهابي الكبير حاكم جبل لبنان مع بيان ما تخلل هذه المدة من الحوادث الخطيرة وما تعاقب فيها من الدول الى ما يتصل بذلك من طرائف الاخبار ونوادر العبر

والكتاب كبير الحجم يقع فيما يزيد على الف صفحة متوسطة وهو يباع في مطبعة السلام وفي اشهر مكاتب القاهرة وثمنهُ مجلداً ثمانية عشر فرنكاً خلا اجرة البريد

فكاهات

آخر حياتي في مصر [1]

قال الراوي

ارسلني والدي منذ حداثتي الى انكلترا لأتلقى العلوم الطبية فعكفت على درسها وبعد ان قضيت فيها السنين القانوية ونلت الشهادة المؤذنة باحرازي فيها قصب السبق عزمت على ان اقيم سنتين في احد مستشفيات انكلترا اتمرّن على العمل قبل ان اشرع في تعاطي هذه الصناعة

وتوفي والدي في هذه المدة وخلف لي املاكاً وعقاراً يبلغ ريعها السنوي ثماني مئة ليرة خلا ما يمكنني ان احصله من مهنتي وهو لا يقلّ عن ضعفي هذا المبلغ ولكن ميلي الشديد الى اتقان صناعتي كان يدفعني الى طلب الشهرة ونباهة الذكر فصممت على ان اجري في طريق مشاهير الاطباء كپاستور وكوخ وفريزر وسانارلي ومانسون وغيرهم طمعاً في تخليد اسمي بين اسمائهم. وكنت اثناء ايامي المدرسية قد ملت الى درس اصناف الحميات ولا سيما الحمى الوبالية (الملارية) ومنها نوعٌ خبيث عجز الاطباء عن شفائهِ. فخطر لي ان اقصر وقتي على اختبار هذا الداء وامتحان علاجهِ وتحققت اني سأنال اعظم شهرة اذا وُفقت الى وجود مضادّ لهُ كلقاح الجدري او مصل الخناق. وقد تبين لي بعد درسهِ ان جراثيمهُ تنشأ في المستنقعات العفنة وانهُ لا ينتقل الى الاصحاء عن طريق التنفس او اللمس كما يزعم بعضهم بل الموصل الوحيد بين جراثيمهِ الخبيثة والجسم الانساني انما هو صنفٌ من البعوض ذو تركيب خاصّ وجسم يختلف عن بقية اصنافهِ فهو يقتات بالجراثيم التي في المستنقعات وتختلط تلك الجراثيم بدمهِ فاذا لسع انساناً دخلت في جسمهِ وخالطت دمهُ فوُجد

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

فيهِ المرض في درجتهِ الاولى وهي في الغالب سليمة اما اذا اقتات هذا البعوض من جسم مصاب بالحمى المذكورة ثم لسع صحيحاً وُجد فيهِ للحال المرض في الدرجة الثانية وهي عزيزة الشفآء

ولا حاجة الى اطالة البيان في هذا الموضوع ولكن اقول ان همي الوحيد كان ان اجد مصلاً او شيئاً آخر اقاوم بهِ هذا الدآء في درجتهِ الثانية . و بلغني ان اشهر مكان تنتشر فيهِ جراثيمهُ ويكثر البعوض الناقل لهُ هو في بلدةٍ بضواحي رومية فوطنت عزمي على الذهاب الى هناك وجهزت نفسي بكل ما يلزمني لهذه الرحلة ولا سيما البيت المتنقل وهو مصنوع من سلك دقيق يختبئ فيهِ الانسان فيكون بمعزلٍ عن حمة البعوض القتال . وانتظرت حلول شهر اوغسطس لاسافر فيهِ لانهُ في هذا الشهر يبتدئ نقف هذا البعوض وانتشار جراثيم المرض

وكان بالقرب من منزلي في انكلترا بيتٌ يقطنهُ رجل يدعى الكولونيل دنزا ولهُ ابنةٌ وحيدة بارعة الجمال يقال لها راحيل لم ارَ في حياتي اجمل منها صورةً واتمّ منها آداباً فملت بكليتي اليها وصممت على اني ان تزوجت لم اتخذ غيرها قسيمةً لحياتي . ولما هممت بمغادرة انكلترا رأيت ان افاتحها في الامر وابوح لها بحبي وان آخذ عليها المواثيق بالمحافظة على عهدي الى ان ارجع فاقترن بها . وقبل سفري بيوم واحد توجهت اليها واسعفني الحظ ان وجدتها وحدها في البيت فجلسنا حيناً نتجاذب الاحاديث المختلفة وانا كلما هممت ان افاتحها في الغرض الذي قدمت لاجلهِ اجد في نفسي من الهيبة ما يمنعني من الخوض فيهِ حتى اذا اعياني ضبط ما يجول في صدري من ثائر الوجد كاشفتها بما في نفسي وتوسلت اليها ان تعدني بمقابلة حبي لها بالمثل وان تعطيني يدها علامة رضاها . ولكني ما كدت انطق بهذه الكلمات حتى كلل جبينها العرق البارد وصبغ وجنتيها الاحمرار ثم اجابتني بتمام السكينة والوقار قائلةً ارى لك ايها الدكتور ان تزيل من رأسك هذا الفكر فانهُ لا يمكنني ان ابادلك هذا الحب ويستحيل ان اكون زوجةً لك . فقلت واليأس يقطع احشآئي ولماذا ايها الملك الطاهر . قالت لانك لست بالرجل الذي اصطفاهُ قلبي لاشاطرهُ

حظ الحياة وان كنت أُجلّ مقامك لما اعلم فيك من جميل الصفات ولذلك ارجو ان لا تفاتحني بعد الآن في هذا المعنى والاّ اضطررت ان اقفل بابي في وجهك .
وكان في لهجتها ما يدل على انها بعيدة عن الاقتناع فقمت لانصرف وقد وطنت النفس ان لا احول عن حبها وان لا بد من الحصول عليها ولو جبرًا

وفي اليوم الخامس من شهر اوغسطس سافرت الى ايطاليا وقصدت المحل الذي اخترتهُ لامتحاناتي وشرعت في العمل فكنت اقسم وقتي الى شطرين الواحد للعمل والثاني للافتكار في راحيل وتدبير السبيل للحصول عليها . وفي الشهر الثاني من وصولي الى رومية وصلني من راحيل الكتاب الآتية صورتهُ

« عزيزي الدكتور جورج ماتشن

لاعتقادي ان حصولي على السعادة يسرّك احببت ان اعلمك بهذا المختصر اني خُطبت لمالك فؤادي القبطان جيوفري شانن وسيتمّ اقتراننا عن قريب فادعُ لي بالهناء ولا تنسَ صديقتك راحيل دنزا »

فلما قرأت هذا الكتاب انقلب الضوء في عينيّ ظلامًا وقضيت ليلةً تتقاذفني فيها تيارات الغضب والحقد وحب الانتقام غير اني سكنت روعي وكتبت اليها باختصار اهنئها بهذا النصيب واتمنى لها سعادة العيش واود ان اكون حاضرًا وقت زفافها . كتبت ذلك رغمًا عن ارادتي والحقيقة ان نيران الحقد والضغينة والانتقام كانت تتأجج في صدري وقد صممت ان لا ادع القبطان ينال من راحيل قلامة ظفر وعقدت عزمي على ان احضر زفافها لا لاكون من شهود العرس بل لاكون انا نفسي عريسها لا سواي

وبعد اجهاد الفكرة تذكرت ابنة عمّ لي تدعى ماريانا فلتشر تعلم شيئًا من امر حبي ولها صداقة مع راحيل فكتبت اليها كتابًا حبيًا وسألتها عما تعلمهُ من احوال لندن واخبارها الحديثة وعلى الخصوص عن الكولونل دنزا وابنتهِ راحيل وأقمت اترقب رجوع البريد وانا على مثل النار من حرّ الانتظار الى ان عدت يومًا الى منزلي فوجدت عدة رسائل باسمي طرحتها جميعًا الى جانبٍ واخذت من بينها

واحدةً عرفتها من طابع البريد وخط عنوانها انها من ابنة عمي مريانا فاذا هي تقول فيها

« ابن العم العزيز الدكتور ماتشن

كنت اتمنى ان اعرف عنوانك لكي اكتب اليك فجآء كتابك في وقتهِ وللحال بادرت بهذا الكتاب لاقص عليك اخبارًا عديدة لا اشك انها تهمك فاعلم ان راحيل دنزا قد خُطبت لفتىً آيةٍ في الجمال والكمال يدعى القبطان جيوفري شانن . اما امر خطبتها فغريب اقصهُ عليك بالاختصار . تعلم انني بعد موت والديَّ اخذني زوج خالتي السير ادمون ماربري وربّاني عندهُ فكنت ولم ازل كابنتـهِ اتمتع بالخيرات الكثيرة والغنى الوافر واتنعم في قصرهِ الفخيم وحدائقهِ الغنآء اذ لا يخفى عليك ان المذكور يدخل عليهِ في السنة من ريع عقارهِ فقط ما لا يقل عن خمسين الف ليرة استرلينية . وللسير ادمون ابن اخ يدعى جيوفري شانن وهو خطيب راحيل الآن . ولم يكن للسير ادمون وارث الاّ جيوفري وأنا فقبل موتهِ اي منذ خمسة اشهر كتب وصاتهُ الاخيرة فوهب جميع املاكهِ وامواله ومقتنياتهِ لابن اخيهِ جيوفري بشرط ان المذكور يتزوج بمن اراد قبل اليوم الاول من السنة القادمة واذا لم يفعل حُرِم كل تلك الثروة وأُعطيت لي انا . فلما قرأنا الوصية رأيت انهُ اذا لم يتزوج جيوفري في الموعد المحدود اصبح انا ملكةً غنية يشار اليّ بالبنان فتصورت نفسي حاصلةً على ذلك الغنى العظيم واسكرتني خمرة الفرح ولكنني ما لبثت ان ثاب اليّ رشدي ورأيت ان وجود تلك الثروة في يد جيوفري يكون خيرًا من وجودها في يدي لانهُ اقدر مني على تدبيرها وتمنيت ان يتزوج ويحصل على تركة السير ولو خسرتها انا . اما جيوفري فكان يهرب من بنات حوآء هربهُ من الافعى وكلما فاتحهُ احد في امر الزواج اظهر النفور والاشمئزاز حتى كان يقول انهُ يؤثر ان يقضي حياتهُ فقيرًا على ان يتزوج ويصير ملكاً . واجتهدت انا خصوصاً في اقناعهِ فلم استطع وكلما ذكرت لهُ اسم فتاةٍ من الموسرات قدم عليها الف اعتراض . ولا تعجب يا عزيزي جورج من ذلك فان بنات اشرافنا كما تعلم قد اسرفنَ في الخلاعة والتهتك رغبةً في ارضآء الفتيان واستمالتهم وهنّ لا يدرينَ انهنّ بذلك يحملنهم على كراهتهنّ

والانقباض عنهنّ ولا سيما اذا كانوا من اصحاب الذوق السليم والتربية الحسنة مثل جيوفري . وما زال جيوفري يمانع في الانقياد الى ان اجتمع اول مرة براحيل دنزا فافتتن بها وسحر بجمالها وادبها واحبتهُ هي ايضاً فتواعدا على الزواج وترى الآن الاستعداد قائماً على قدم وساق في تجهيز لوازم العرس . ثم ازيدك ان الكولونيل دنزا والد راحيل يشكو من الم ٍ في صدرهِ وقد اشار عليهِ طبيبهُ ان يقضي الشتآء القادم في مصر فسيذهب اليها بابنتهِ وسأذهب انا وجيوفري معهما ايضاً في اواسط نوفمبر القادم . ومن المؤكد ان يتمّ زواج راحيل هناك لانهُ لا بد من حصولهِ قبل اول يناير فياليتك تكون هناك فنجتمع معاً والسلام عليك من ابنة عمك ماريانا فلتشر »

فسرّني ما وقفت عليهِ في هذا الكتاب من الاسرار التي كانت غامضةً عني ولكنهُ اثر فيّ مضاً اليماً لما لا يخفى سببهُ فازداد فيّ الشر الكامن في قلب كل بشر واخذت استعد لانفاذ مقاصدي الشريرة . ولم ابرح اواصل كتبي الى ابنة عمي استطلاعاً لما عساهُ ان يجدّ من الامور التي تهمني معرفتها الى ان كتبت اليّ اخيرا تنبئني بسفرهم الى مصر . وكنت قد اتممت اعمالي في محل اقامتي فلم البث ان ركبت البحر وتبعتهم فبلغت القاهرة بعدهم بستة ايام وعلمت انهم نزلوا في فندق الكنتيننتال فرأيت من الحكمة لما قصدتهُ ان لا اكون معهم فنزلت في فندق شبرْد . وبعد وصولي بنحو ساعتين خرجت اتمشى الى ان بلغت الكنتيننتال وامامهُ رواقٌ يطل على أهم شوارع القاهرة وعلى اجمل حدائقها وقد أنير الرواق المذكور بالانوار الكهربائية وهو مملوءٌ بالرجال والنسآء من انحآءٍ مختلفة وفي وسط الجمهور قبةٌ تصدح تحتها الموسيقى الانكليزية والناس يشربون المرطبات والمنعشات . فدخلت وارسلت نظري بين ذلك الجمع الغفير الى ان استقرّ على حبيبتي راحيل وهي جالسةٌ في احدى زوايا الرواق والى جانبها فتى لم اشكّ في كونهِ خطيبها ثم والدها وابنة عمي مريانا . ورأتني راحيل فأخبرت مريانا واشارتا اليّ فذهبت اليهم وبعد التحية عرّفتاني بالكولونيل والقبطان وجلسنا وانا بين نارين نار الحب ونار الانتقام

ولبثنا الى ان اخذ الجمع في الانصراف فاستأذنت وانصرفت على غير هدًى وانا اؤمل ان اجد في النوم ما يزيل اضطرابي وما بلغت الطريق وسرت قليلاً حتى سمعت صوتاً يناديني واذا بمريانا ابنة عمي فقالت انها تودّ ان تسير معي قليلاً فأخذت يدها وسرنا الى حديقة الازبكية وكنا صامتين لا ينطق احدنا ببنت شفة . ثم نظرت اليّ مريانا شزرًا وقالت اراك يا ابن العم قلق البال فما الذي يشغل افكارك . قلتُ لا شيء ايتها العزيزة . قالت لا تنكر عليّ فاني اعلم منك بحالك انك تفكر في وسيلة تمنع بها زواج جيوفري براحيل وانا اسعى في ذلك ايضاً وقد ادركت انك على رأيي ولذلك احببت الاجتماع بك على حدة لنرى كيف نتوصل الى ذلك . فاستغربت مقالها وقلت ولكن ما الذي يدفعكِ الى منع هذا الاقتران . قالت الذي يدفعك انت فاعلم انني بعد ان كنت الحّ على جيوفري بوجوب الاقتران وعدم اهتمامي بالثروة التي كان من الممكن حصولي عليها رأيت بعد ان جرت بيننا المكاتبة الاخيرة انني احبك . نعم انا احبك يا جورج واودّ ان تقترن بي ولذلك فقد ندمت على ما فرط مني في اغرآء جيوفري بالزواج واجتهد الآن في منعهِ او تأخيرهِ الى ما بعد يناير القادم لتصبح الثروة لي واذ ذاك لا اظنك تتأخر عن قبول يد ابنة عمك التي حياتها في هواك واذا عاشت فهي انما تحيا بك ولك

ولو سقطت على رأسي صاعقة في تلك الحال لما كانت اشدّ مضاضةً عليّ من كلام ابنة عمي وشعرت ان اسناني تصطك داخل فمي وركبتيّ ترتعشان فلبثت حيناً كالمأخوذ وانا اجيل الرأي فيما اصنعهُ واخيرًا بدا لي اني لو بحت لمريانا بما انا فيهِ من الشغف براحيل واستحالة ما تطلبهُ مريانا لسعت هذه في الانتقام مني كما اسعى انا في الانتقام من جيوفري وربما قامت حائلاً دون ما اسعى اليهِ ورأيت اني لو اجبتها الى طلبها ربما وجدت فيها عوناً لي على الوصول الى بغيتي وتنفيذ مرامي ولا سيما وهي مع راحيل وخطيبها . فضممتها الى صدري وقبلتها كمن يقبل افعى للتخلص من شرها وقلت لها دعينا الآن نذهب الى مضاجعنا نفكر في الوسيلة التي تبلغنا مرامنا وسنجتمع غدًا وننظر فيما يُفتح بهِ علينا . ثم ارجعتها الى الكتيننتال وعدت الى

مقرّي فقضيت نحو ساعتين افكر فيما حصل ثم أُغلقت خزانة افكاري فنمت نوماً عميقاً وفي الصباح قمت وكان كل متمناي ان ارى حبيبتي راحيل لكن لما لم يكن من اللائق ان ازورها حيث تقيم مع خطيبها خطر لي انها كغيرها من الفتيات لا بد ان تختلف كل يوم الى مخازن خان الخليلي حيث البضائع الشرقية والمطرزات والملابس الحريرية وغيرها فرأيت ان اذهب الى هناك لعلي اتوفق الى رؤيتها فاتزود منها نظرة ولو عن بعد . فاكتريت عربةً وذهبت الى المحل المذكور وجعلتُ انتقل من محلٍ الى آخر وانا لا اهتم لشيءٍ من تلك البضائع النفيسة والعاديّات الثمينة التي يعرضها عليّ التجار فاني كنت انشد ضالةً غير ضالتهم . وبقيت كذلك الى الظهر وحانت مني التفاتة الى بعض المخازن فرأيت فتى سائحاً يشتري شيئاً من الحلى وهو اصفر اللون يتحلب العرق من جبينهِ بكثرة ثم دفع ما عليهِ وخرج . فراقبتهُ وهو يتهادى كالسكران الى ان بلغ عطفةً فترنح فيها وسقط الى الارض واذ ذاك اسرعت اليهِ لاقيمهُ فما لمست يديهِ حتى شعرت بحرارةٍ لا تطاق فعلمت ان الفتى مصابٌ بالحمى الوبالية الخبيثة . فحملتهُ الى عربةٍ وسرنا بهِ وعلمت انهُ انكليزي الاصل واسمهُ المستر ألديس وهو نازلٌ في فندق الكتيننتال الذي فيهِ راحيل واصحابها واخبرني انهُ شعر بهذه الحمى من مدة وكان يقاومها بقوتهِ غير مهتم بها الى ان شعر اخيراً بتغلبها عليهِ ويخشى ان تكون كرّتها هذه القاضية . فأوصلتهُ الى قيّم فندقهِ وعدت وقد اشرق عليّ فكرٌ خطير . وذلك اني كنت قد احضرت معي من رومية عدداً وافراً من بعوض الحمى الوبالية وقد جعلت تلك البعوضات في زجاجة مخصوصة فيها ثقوب للهوآء وكنت اغذوها بثمر الموز وانا معتنٍ بالمحافظة على حياتها لاكمال تجاربي الطبية كما ذكرت اولاً . فسوّل لي الشيطان ان آخذ بعوضةً منها واطلقها على جسم المستر ألديس حتى تمتص من دمهِ ثم احتال في جعلها تنقل العدوى الى جيوفري خطيب راحيل فاذا حصل ذلك مرض الرجل بالحمى الوبالية في درجتها الثانية الغير القابلة للشفآء وحصلت على راحيل بدون ان يتنبه احد لعملي الشيطاني هذا . فأخذت للحال من بين البعوض اثنتين سميت الواحدة عزرائيل

والاخرى ابولون ووضعتها في انبوبة زجاجية صغيرة وتوجهت الى الكتيننتال واستأذنت المستر ألديس في عيادتهِ طبياً فأجاب ولما دخلت غرفتهُ اطلقت عزرائيل وابولون من سجنهما الزجاجي بدون ان ينتبه الرجل الى ما فعلت ثم جلست اليهِ وجعلت احادثهُ عن مرضهِ . ولما علم اني طبيب وليس معهُ احد يعتني بهِ تشكر لي وطلب ان اواصل زيارتهُ ما امكن . و بينما نحن في الحديث رأيت ملكي الموت قد استقرّ الواحد على يدهِ والآخر على جبينهِ فاستبشرت بالخير و بعد نحو دقيقة شعر ألديس بعضّة البعوضة على يدهِ فهم بقتلها فسبقتهُ قائلاً اسمح لي بها ايها العزيز فاني اراها من غير نوع البعوض المألوف وانا مغرم باختبار هذه الهوام . قال خذها لا بارك الله فيها . فاحتلت عليها وادخلتها الانبوب الزجاجي ثم قلت لهُ وهذه شقيقتها على جبينك واخذت الاخرى ايضاً فوضعتها في جيبي وقد شعرت اني ملكت مال قارون . و بعد بضع دقائق استأذنتهُ وخرجت وما بلغت الرواق حتى رأيت ابنة عمي مريانا جالسة تقرأ فجلست بجانبها وغرقنا في حديثٍ مهمّ

اخفيت عن ابنة عمي ما يجب اخفآؤهُ واطلعتها على الباقي ثم سلمتها واحدةً من البعوضتين واوصيتها ان تطلقها داخل سرير خطيب راحيل فاذا عضتهُ تحققنا الفوز اذ لا بد ان يمرض الرجل مرضاً ينتهي بالموت لا محالة . فذهبت مريانا لما اوصيتها بهِ وعدت الى غرفتي انتظر الصباح . فلما جآء اليوم الثاني ذهبت اليها فقابلتني بوجهٍ باش والسرور طافح من محياها وقالت قد قضي الامر وانفذ عزرائيل مهمتهُ كما ينبغي وقد رأيتهُ اليوم مقتولاً على فراش جيوفري واظنهُ قتلهُ بعد ان عضهُ العضة القاضية فان الرجل الآن يتقلب على سريرهِ متوجعاً من الحمى المحرقة وحولهُ خطيبتهُ راحيل ووالدها في وجل عظيم . فحزنت على موت عزرائيل ولكن سرّني نجاح المسعى . ثم قالت والآن فان جيوفري لن يرث الثروة بل سأرثها انا فاستعد لمشاركتي في هذه السعادة . ولم ارَ من موجب لاخفآء ضميري بعد ما حدث فتبسمت باستهزآءٍ وقلت لها وهل يخطر لكِ اني اقدمت على هذا العمل لاقترن بكِ انتِ . أولا تعلمين ان حياتي رهنٌ لراحيل دون سواها فهي وحدها

منيتي وهي وحدها زوجتي واما انتِ فقد استخدمتكِ لغرضي فاذهبي الآن واختاري لكِ من تشائين ولا تطمعي في شراك نعلٍ مني وكفى

فاكفهرّ وجهها وقالت اولا تعلم ان حياتك في يدي وان في امكاني اعلان ما فعلت فاصرح على رؤوس الاشهاد انك قاتل . قلت ان اكن قاتلاً فانت شريكتي في العمل فانا الذي مزجت السم وانتِ التي توليتِ تجريعهُ فان حافظتِ على السرّ والاّ فالموت لكِ اولاً ولي ثانياً . فاطرقت هنيهةً ثم تبسمت وقالت لا . لا . بل لندفن سرنا هذا في اعمق بئر واذا كنت انت لا تحبني فاني بعد حصولي على هذه الثروة لا يعجزني انتقاء الزوج الذي اريدهُ . ولكن قل لي اتعتقد ان هذه الجرعة الواحدة كافية لاعدام جيوفري . قلت ذلك ما لا اشك فيهِ وان شئتِ زيادة الاطمئنان فأبولون لايزال معي فاعيدي بهِ الكرة على جسم جيوفري وانا ابشركِ ان ملايين السير ادمون قد دخل نصفها في جيبكِ من الآن . قالت حسنٌ فأعطني ابولون . وكنت لا ازال حافظاً الانبوبة الزجاجية وفيها البعوضة الثانية فسلمتها اليها ثم ذهبت الى غرفتي فنمت نوماً هنيئاً كما ينام ميت الضمير ولما قمت في الصباح وجدت مع خادم غرفتي رسالة باسمي ففضتها واذا هي من ابنة عمي تقول فيها

« بما انك قد رفضتني وجعلت آمالي هباءً منثوراً فلأحرقنّ فؤادك كما احرقت فؤادي ولتعلم انك لن تنال ما يبرّد غليل حبك . اني لم آخذ منك ابولون لاستوثق من موت جيوفري فان آلامهُ الحاضرة تدل على دنو اجلهِ وانما اخذتهُ لاسمّ بهِ حبيبتك راحيل وقد فعلت ولسعها حال خروجك من عندي فهي وخطيبها سيفارقان هذا العالم تاركين لك فيهِ شقاء الحياة وعذاب تبكيت الضمير وانا سأسافر مع قطار الليل الى الاسكندرية وابحر غداً الى مسقط رأسي فعش انت معذباً ومت مجرماً محتقراً من

ماريانا »

ولا استطيع ان اصف ما حلّ بي عند قرآءة هذه الاسطر من اليأس والاسف وما اخذني من تأنيب ضميري الذي هبّ من رقادهِ يعذبني ويأكل قلبي فلم اشعر

الاوقد صرت عند الكولونيل دنزا فوجدتهُ يندب سوء حظهِ بين سريري ابنتهِ وخطيبها ورأيت الاثنين غائبين تحت اثقال الحمى المحرقة . وفي تلك الدقيقة استيقظت في داخلي العواطف الانسانية بعد ان تغلبت عليها شهواتي الحيوانية فجثوت وطلبت منهُ تعالى ان يصفح لي عما فعلت وقلت حاشا ان اكون السبب في تفريق هذين الحبيبين . ولكن ... جآء الندم بعد اوانهِ لاني رأيتهما على شفا الموت فامرت لهما ببعض المسكنات وحاولت ان اصبّر قلب ذلك الوالد المسكين ثم خرجت وانا لا اعي من الدنيا شيئاً

. . . .

كانت نتيجة ابحاثي ودرسي المرض اثنآء اقامتي في رومية ان اكتشفت مصلاً ترجح عندي انهُ مضادٌ لهذا الدآء ولكني لم اكن بعد قد اختبرتهُ ولا تحققت خلوهُ من الخطر لمن يتعاطاهُ فلما رأيت راحيل تتألم وتيقنت انها مائتة لا محالة علمت ان لا واسطة بشرية تنجيها من مخالب الموت الا هذا المصل اذا ثبت نجاحهُ ولكن من اين لي ان اعرف ذلك . و بعد تقليب الفكرة اخذت زجاجة المصل الذي جهزتهُ وذهبت الى غرفة المستر ألديس فوجدت حالهُ يزداد سوءًا فقلت لهُ ايها العزيز انك تحت خطر الموت ولديّ تجر بة فاما ان تصيب فتحيا او تعجل عليك الموت فهل تسمح لي ان اجريها . قال نعم اسمح بدون تأخير فاما ان اعود الى الحياة واما ان اموت فاتخلص مما انا فيهِ . فبادرت للحال وحقنتهُ بالمصل المذكور وجلست الى الى جانبهِ اراقب ما يكون الى المسآء . ولا اقدر ان اصف سروري عند ما رأيت الرجل في تقدم فحقنتهُ ثانيةً وسهرت بجانبهِ الى الصباح فلما استيقظ من نومهِ هبّ من فراشهِ كانهُ لم يمرض قط فاعطيتهُ بعض المقوّيات ولم يمضِ على ذلك يومان حتى عاد الى تمام العافية . ولما تحققت نجاح مصلي المذكور توجهت توًّا فاستعملتهُ لحبيبتي راحيل وخطيبها جيوفري فجآء بالنتيجة نفسها و بعد اسبوع خرجا ممتلئين من الصحة يقفزان ويمرحان كفرخي نعام وعادا الى استتمام اهبة الزواج وقد قررا ان يكون في الخامس والعشرين من شهر دسمبر

ويظهر انهُ اثناء سهري على راحيل وخطيبها لسعتني البعوضة ابولون وكانت لا تزال حيةً فنقلت اليّ العدوى وجاءَتني الحمى بقوتها الشديدة فلزمت غرفتي في فندق شبرد وقد ايقنت اني هالكٌ لا محالة . ولم تطاوعني نفسي على استعمال المصل الذي اكتشفتهُ لانهُ لم يبقَ لي اربٌ في الحياة بعد ما سمحت براحيل لخطيبها فرأيت ان الموت هو الدواء الوحيد الذي يشفيني مما هو اشدّ من داء الحمى وينسيني اني شقيٌّ أُحِبّ ولا أُحَبّ . نعم اني اتقلب الآن على فراش الالم ولكنهُ لا يطول هذا العذاب وعما قريب ينام جسدي نوم الراحة الابدية

وقد وجدت من نفسي اليوم بعض النشاط فطلبت ورقًا واخذت اكتب قصتي هذه لاهديها الى حبيبتي راحيل وخطيبها حتى اذا متّ هنا غريبًا يهتمان بأمر دفني ويكونان عارفين بخطيئتي وتوبتي فيصفحان ويترحمان . ولكن قبل الختام يجب ان لا اكتم امر هذا المصل الذي وُفقت الى اكتشافهِ وسيكون بلا ريب من اهم الاكتشافات التي تخفف الويلات عن بني الانسان واذ قد تقرّر نجاحهُ فهو يعود على من يستولي عليهِ بشهرة الاسم والغنى العظيم . اما انا فلست بمنتفع منهُ ولكني اهديهِ لكِ ايتها الحبيبة راحيل مع قصتي هذه التي ارجو ان تأخذ مكانها من صدركِ وصدر خطيبكِ جيوفري واستحلفكما بالله ان لا تكونا واجدين عليّ بل ارحماني واصفحا عن ذنبي . اما تركيب المصل المذكور فهو

. . . .

في الصباح التالي دخل خادم الفندق الى غرفة الدكتور جورج ماتشن بطعام الصباح على عادتهِ فوجدهُ ملقى على سريرهِ وقد فاضت روحهُ والى جانبهِ الاوراق التي كتبها وقد استوقف الموت يدهُ عن تتمة وصف العلاج

وكانت الاوراق معنونة باسم راحيل دنزا في الكنتيننتال فاخذها الخادم اليها واعلمها بموت الدكتور فجاءَت مع ابيها وخطيبها الى حيث غسلوا جسدهُ بدموعهم ونقلوا جثتهُ الى لندن فدفنوها مترحمين على شبابهِ

ما وراء نبتون

نبتون هو السيّار الثامن من السيّارة الدائرة حول الشمس وهو ابعدها موضعاً وآخرها اكتشافاً . وقد كان المعروف من السيارة الى اواخر القرن الثامن عشر ستة وهي عطارد والزهرة والارض والمرّيخ والمشتري وزُحَل فكان زحل هو الجرم الذي تنتهي عندهُ حدود العالم الشمسي وفلكهُ ملاصقٌ لافلاك النجوم الثوابت حتى كان بعض العلمآء يتوهم ان ظلهُ يكسف بعض كواكب البروج . فلما كانت سنة ١٧٨١ اتفق انهُ بينما كان وليَم هرشل يرصد طائفةً من النجوم الصغيرة في صورة التوأَمين اذ ترآءَى لهُ نجمٌ من بينها لهُ قطرٌ محسوس على غير المألوف في النجوم الثوابت وكان قطرهُ يزداد تبعاً لقوة المنظار بخلاف بقية النجوم التي حولهُ فانها كانت تزداد مع قوة التكبير دقةً وصغراً مما دلّ على قربهِ وبُعدها . فلم يشكّ انهُ من الاجرام التابعة للشمس لكن سبق اليهِ في اول الامر انهُ من النجوم المذنَّبة وان لم يرَ لهُ ذنباً لانهُ لما كان المعروف والمقرَّر عند العلمآء ان السيّارة ستة ولا سيما وان المناظير كانت قد اختُرعت من اوائل القرن الغابر لم يخطر لهُ انهُ يجوز ان يكون سياراً سابعاً

وعلى اثر ظهور هذا النبأ اخذ علمآء الهيئة في رصد هذا النجم وكانوا فيهِ على رأي مكتشفهِ اي انهم كانوا يظنونهُ احد ذوات الاذناب ولكنهم بعد تكرار الرصد والمراقبة وجدوا طريقهُ مخالفاً لطريق المذنبات لانهُ كان يجري في شبه دائرة لا في طريق مستطيل فجزموا بانهُ سيّارٌ من السيّارة

الدائرة حول الشمس وسموهُ باسم اورانس احد آلهة اليونان على ما اصطلحوا عليهِ في تسمية بقية السيّارة

ومحلّ اورانس وراء فلك زُحَل وهو يبعد عنهُ بمقدار بعد زُحَل عن الشمس او اكثر قليلاً وباكتشافهِ انتقلت حدود العالم الشمسي الى ما يزيد على ضعفٍ آخر من مسافتها الاولى لان معدَّل بعد زُحَل عن الشمس نحو ٨٧٢ مليون ميل ومعدل بعد اورانس نحو ١٧٥٤ مليون ميل . وقطر هذا السيار ٣٣٢٥٠ ميلاً وهو يتمّ دورتهُ حول الشمس في ٨٤ سنة من سني الارض وقد اكتُشف لهُ اربعة اقمار تدور حولهُ في اوقاتٍ مختلفة

ثم انهُ مع تكرار الرصد لهذا السيّار تبيّن لهم ان في حركتهِ اختلافاً لانهُ كان يسرع في بعض اقسام فلكهِ ويبطئ في غيرها فدلهم ذلك على وجود جرمٍ خفيّ بالقرب منهُ يكون تارةً امامهُ فيسرع وتارةً وراءهُ فيبطئ فكان من همّهم البحث عن هذا الجرم . فلما كانت سنة ١٨٤٥ اشار اراغو الفلكي الشهير الى فتى من المتخرجين في الرياضيات يقال لهُ لفرّياي ان يتولى هذا البحث فأخذ في مراجعة جميع القيود المتعلقة باورانس وبزُحَل والمشتري منذ سنة ١٦٩٦ الى السنة المذكورة وبعد المقابلة بينها تبين لهُ انهُ لا بدّ هناك من وجود سيّار مجهول وأن موقع هذا السيار ينبغي ان يكون خارج فلك اورانس لانهُ لم يرَ لهُ تأثيراً في حركة زُحَل ثم انهُ بتتبُّع تأثيرهِ في حركة اورانس حسب مقدار جرمهِ وعيّن موقعهُ في ذلك الحين اي في ٣١ من اوغسطس سنة ١٨٤٦ في برج الجدي على ٣٢٦° و ٣٢َ من الطول وطيّر خبر اكتشافهِ هذا الى مراصد اوربا . ومن غريب ما يُروَى هنا ان لفرّياي

بعد ان عيّن موقع هذا السيار لم يهتمّ بأن يرسل اليهِ نظرةً بالمرقب ليتحقق صحة اكتشافهِ ويُظَنّ انهُ مات ولم يرهُ لكن هذا النبأ لم يكد ينتشر بين علمآء اوربا حتى جاءهُ من احد فلكيي برلين انهُ قد رصد السيار المشار اليهِ فعاينهُ في الموضع الذي رسمهُ لهُ الا انهُ كان على ٣٢٧° و ٢٤َ من الطول فكان الفرق اقلّ من درجة واحدة

اما بُعد هذا السيّار فمعدّلهُ نحو ٢٧٤٦ مليون ميل وهي تزيد على ثلاثة اضعاف من بعد زُحَل عن الشمس وبذلك اتسعت حدود العالم الشمسي مسافةً اخرى ٠ وكأنّ المسافة التي بين الشمس ونبتون انقسمت الى ثلاثة اقسام تقرب من التساوي اولها ما بين الشمس الى زُحَل وهو حدّ العالم القديم ومساحة هذا القسم نحو ٨٧٢ مليون ميل والثاني ما بين زُحَل واورانس وهو منطقةٌ عرضها ٨٨٢ مليون ميل والثالث من اورانس الى نبتون وهو منطقةٌ اخرى عرضها ٩٩٢ مليون ميل ٠ ويتم نبتون دورتهُ حول الشمس في ١٦٥ سنة وقطرهُ نحو ٣٦٦٠٠ ميل فهو اكبر من اورانس قليلاً وقد اكتُشف لهُ قمرٌ واحد ٠ ومن الغريب ان كلاًّ من اقمار اورانس وقمر نبتون يدور في فلكٍ مائل على سطح دائرة البروج ميلاً مفرطاً حتى يتجاوز ١٠٠ درجة ولذلك تتجه حركة هذه الاقمار كلها من الشرق الى الغرب على خلاف حركة جميع الاجرام التابعة للشمس ولا يبعد ان يكون السيّاران انفسهما يدوران على محورهما كذلك

ولا يخفى ان اكتشاف نبتون على الوجه المقدَّم لا يُعَدّ كسائر الاكتشافات التي وقعت لهم من هذا القبيل لان غاية ما كان يتم بهِ

الاكتشاف ان يمرّ الجرم امام منظار الراصد اتفاقاً فلا يبقى عليهِ الا ان يعيّن موقعهُ وبخلاف ذلك ما كان من اكتشاف هذا السيار فان لڤرياي رآهُ كما قال اراغو بدون ان يرسل اليهِ نظرةً في السماء ولكنهُ ابصرهُ على طرف قلمهِ وحدّد موقعهُ وجرمهُ بمجرَّد الحساب وذلك مع وجودهِ وراء الحدود المعروفة للعالم الشمسي ومع كونهِ على مسافةٍ من الشمس تربي على مليار من الغلوات (الغلوة ٤ كيلومترات) وباقوى الآلات البصرية لا يكاد يُرى لهُ قرصٌ يُعتدّ بهِ . قال فلا جرم ان هذا الاكتشاف يُعَدّ من الادلة الساطعة على صدق الحسابات الفلكية ولا ريب انهُ سيكون سبباً في اقدام العاملين من العلماء على الامعان في البحث عن الحقائق الازلية التي لم تبرح مستترةً وراء حُجُب الغيب

قلنا وقد كان الامر على ما قالهُ اراغو فان العلماء مذ ذاك لم يفتروا عن الرصد والتنقيب في نواحي منطقة البروج لعلهم يكتشفون وراء نبتون سيارات أُخر لانهم يرون ان العالم الشمسي لا تقف حدودهُ عند هذا السيار . على ان منهم من يرى ان الاختلاف الذي شوهد بين حركات اورانس المرصودة وحركاتهِ المحسوبة لا يكفي لحدوثهِ تأثير جرمٍ واحد ولكن لا بدّ أن يكون قد اجتمع اليهِ تأثير سيّارٍ آخر وراء نبتون حتى ذكر پِيِرْس ان الاختلاف الناشئ عن هذا السيار في المدة التي تتبَّع فيها حركات اورانس يمكن ان يختلّ معهُ الحساب بما يبلغ خمس الى سبع ثوانٍ . وكان لڤرّياي متيقناً وجود اجرامٍ أُخر وراء نبتون وقد حاول الاستدلال على شيء منها بالمقابلة بين الرصد والحساب فلم يخرج لهُ شيء وكان يقول انهُ يكفي في هذا

الاستدلال ان نجد ولو فرق عشر ثوانٍ حتى نعين موضع الجرم الآخر

وقد اخذ العلمآء بعده يتتبعون الادلة واول ما اعتبروهُ في ذلك حركة المذنبات التابعة للعالم الشمسي وقد حدّدها لاپلاس بانها سُدُم صغيرة اجنبية عن عالمنا تخطو في الفضاء في طرقٍ شلجمية او هذلولية [1] تائهةً من عالمٍ الى آخر من عوالم النجوم فاذا انتهى احدها الى قرب احد السيّارة اعتقلهُ في مسيرهِ وحوّل طريقهُ في خطٍ منحنٍ ثم تناولتهُ جاذبية الشمس فدار من حولها وحينئذٍ لم يكن لهُ بدٌّ من الرجوع الى النقطة التي اعتُقل فيها فيرسم فلكاً مستطيلاً الشمس في احد محترقيهِ ونقطة الرأس منهُ وراء الشمس ونقطة الذنب عند السيار الذي اعتقلهُ . وعلى هذا تُرى جميع افلاك ذوات الاذناب التابعة للعالم الشمسي مما لا حاجة الى تعدادهِ في هذا الموضع ومثلها حلقات الشهب وهي من قبيل ذوات الاذناب فان كل ما رُصِد رجوعهُ منها كانت نقطة الذنب من فلكهِ بالقرب من احد السيّارة الكبرى ولم يُرَ شيءٌ منها كان مرورهُ في الفضآء الذي بين سيارٍ وآخر

اذا تقرر ذلك فقد راقبوا ان من ذوات الاذناب وحلقات الشهب ما تكون نقطة الذنب من فلكهِ وراء نبتون بمسافاتٍ شاسعة مما يدل على ان نبتون ليس هو آخر السيارة الدائرة حول الشمس فان المذنَّب الثالث لسنة ١٨٦٢ وحلقة الشهب التي تمرّ بنا عادةً في ١٠ اوغسطس تكون نقطة الذنب من فلكهما على بعد ٤٤٢٠ مليون ميل من الشمس وعلى ما تقدم فلا بد من

---

(١) الشلجمي ما ذهب طرفا المنحني فيهِ في جهتين متآزيتين بحيث لا يلتقيان والهذلولي ما انفرجا فيهِ فذهب كل واحدٍ منهما في جهة

وجود سيّار على هذه المسافة هو الذي اعتقلها . وذكر المسيو شلهُوف اربعة مذنبات قطعت دائرة البروج الى ما وراء نبتون على مسافة ٦٤٤٠ مليون ميل من الشمس واثنين قطعاها على ضعفي هذه المسافة وذكر غيرهُ مذنبات أُخر على غير هذه الابعاد مما لا نطيل باستقصائهِ

وقد قدّر بعضهم ان السيّار الذي يلي نبتون ينبغي ان يدور حول الشمس في مدة ٣٢٢ سنة وعلى مسافتهِ المذكورة منا ومن الشمس ينبغي ان يعدل نورهُ نور نجمٍ بين القدر التاسع والعاشر ثم نقل عن مذكرةٍ رفعها المسيو شاكُرْناك الى ندوة العلوم الفرنسوية سنة ١٨٥٥ ان بين النجوم التي افتقدها في مواضعها من السماء ولم يجدها نجماً من القدر التاسع رصدهُ سنة ١٨٥٤ وكان موقعهُ على ٢١ ساعة و ٢٨٫٢ دقيقة من الصعود المستقيم وعلى ١٢° و ٥٣َ من الميل الجنوبي قال وهو يوافق الموقع المحسوب للسيّار الذي وراء نبتون في سنة ١٨٥٠ بعد اصلاح مقدار الاضطراب الذي وُجد بين الحساب والرصد في حركات اورانس بحيث ردّ بعضها الى نبتون والبعض الآخر الى السيار المذكور ولذلك حسابٌ طويل لا محل لبسطهِ هنا يؤخذ منهُ ان نبتون والسيار الذي وراءهُ كانا في سنة ١٨٢٤ مقترنين . قلنا وهذا كما اتفق في امر نبتون فانهُ قبل اكتشاف لفرّياي لهُ كان لالنْد قد رآهُ في اثناء بعض رصودهِ وقيّدهُ في زيجهِ وهو يظنهُ من الثوابت ثم افتُقد محلهُ بعد حين في الموقع الذي عينهُ لالَنْد فوُجد خالياً و بعد الحساب عُلم ان نبتون كان في وقت الرصد في ذلك الموضع

والعلماء الى اليوم لا يزالون مثابرين على الرصد والحساب واخذ الصور

الفوتغرافية عن المواضع التي قدّروا فيها وجود هذا السيّار ومقابلة بعضها ببعض عسى ان يتبين لهم فيها انتقال احد الكواكب عن مركزهِ . على انهُ ان صحّ وجود عوالم في ذلك الفضآء السحيق فما تكون الا عوالم الظلمة والزمهرير والجمود لانهُ اذا كانت الشمس لا تُرى من نبتون الا بمقدار ما نرى المشتري في ادنى مسافتهِ من الارض او اكبر قليلاً ولا يبلغهُ من حرارتها وضوئها الا $\frac{١}{٩٠٠}$ مما يصل الينا فما الظن بما وراء ذلك مما يقدّر بُعدهُ عن الشمس بما يقارب ضعفي بُعد نبتون الى ما فوق . لا جرم ان نبتون نفسهُ بل اورانس بالغٌ من البرد ما يكون قطب الارض بالقياس اليهِ مثل نواحي خط الاستوآء او احرّ . وقد قدّروا ان قطر الشمس من اورانس لا يزيد على دقيقة و٤٠ً فيكون نحو $\frac{١}{٢٠}$ من قطرها المرئيّ من الارض ويصل اليهِ من الحرارة والضوء نحو $\frac{١}{٤٠٠}$ مما يصل الينا . فاذا انتهينا الى نبتون كان قطر الشمس منهُ ٦٤ً وهي نحو $\frac{١}{٣٠}$ من قطرها المرئيّ من هنا ومساحة قرصها $\frac{١}{٩٠٠}$ وكذلك ما ينال من ضوئها وحرارتها ولكن اذا بلغنا السيّار الاول بعدهُ كان قطر الشمس منهُ $\frac{١}{٤٤}$ من قطرها عندنا ومبلغ الضوء والحرارة الواصلين اليهِ نحو $\frac{١}{١٩٠٠}$. على انهُ لا بد للجوّ هناك من حالات خصوصية يخالف بها جوّ أرضنا وقد استُدِلّ في طيف اورانس ونبتون على عناصر لا وجود لها في الارض وشوهد في جوّ زُحَل ما يدل على ان الحرارة عليهِ لا تنقص عن حرارة الارض مع ان الواصل اليهِ من حرارة الشمس لا يزيد على $\frac{١}{٩٠}$ من الواصل الى الارض وعلى الجملة فحالة تلك العوالم القاصية محجوبةٌ عنا وراء ستار الغيب كاحتجاب اجرامها عنا وراء ستار البعد والله اعلم

الملاريا

بقلم حضرة النطاسي الفاضل الدكتور حبيب همام

اجمع المشتغلون بالبحث عن ماهية الملاريا واسبابها ان للحميّات الملارية جراثيم خاصة تقضي دوراً من حياتها في دم الانسان والدور الآخر في بعض انواع البعوض المعروف بالناموس الذي هو واسطة اتصالها وسبب انتشارها لانهُ يمتصها فيما يمتصهُ من دم المصاب ثم يقذفها مع ما يقذفهُ من المواد السامة في دم السليم بغية تحويلهِ الى سائل يتمكن من امتصاصهِ فتدخل كُريّات دمهِ الحمراء حيث تجد غذآءً صالحاً لنموها ومرتعاً خصيباً لصغارها فتكبر حجماً وتزاد عدداً بالانقسام الذاتي حتى تضيق الكريات عن حصرها وتنفجر فتخرج الجُسَيمات الملارية الى السائل الدموي حيث تلاقيها كُريات الدم البيضآء فتبطش بفريقٍ منها ويلجأُ الفريق الآخر الى داخل كُريّات حمرآء جديدة فيفعل فيها فعلهُ في الاولى الى ان يخرج وتلاقيهِ الكريات البيضآء على نحو ما تقدم وهكذا على التعاقب فيتناوب المصاب ادوار مرضية قد تشتد الى حد ان يغيب فيها عن الوجدان يتخللها فتراتٌ لا يشعر في خلالها بشيءٍ مما كان

اما مدة مكثها داخل الكريات الحمرآء فتختلف باختلاف انواع الحميات فتكون في حُمَّى الرِبْع [1] ثلاثة ايام وفي المثلثة يومين وفي اليومية يوماً واحداً

(١) اصطلح جمهور الاطبآء من عهدٍ يمكن ارجاعهُ الى ابقراط ان يحسبوا اليوم الذي تبتدئ فيهِ نوب البرَدآء واليوم الذي تنتهي فيهِ والايام التي بينهما وعليهِ تكون

يكون المصاب في خلالها خِلواً من الاعراض المرضية سوى شيءٍ من الضعف اثر ادوار سابقة ويظل كذلك الى ان تخرج هذه الجسيمات من كريات الدم الحمرآء وتلتقي بالكريات البيضآء فترتعد عند ذلك فرائص المصاب وترتجف أعضآؤهُ ويبتدئ فيهِ النافض وما يتبعهُ من الاعراض المشهورة في هذه الحميات مما لا حاجة الى الكلام عليهِ

وقد اختُلف في سبب هذه الاعراض فمن قائل انها مسببة عن مبرزات الجراثيم الملارية السامَّة التي تخرج الى السائل الدموي عند انفجار الكريات الحمرآء فتفعل على المراكز العصبية فعلاً سيئاً . ومن قائل انها تتأتى من العراك العنيف الذي يحدث بين الكريات البيضآء والجراثيم . ومن قائل انها تنشأ عن تكوُّن وازدياد الكريات البيضآء بدليل ما يكون من النسبة بين كثرة هذه الكريات واشتداد وطأة الاعراض ولعل هذا اصحها

وتختلف مدة الاعراض باختلاف انواع الحميات فتطول في اليومية والمثلثة وتقصر في حُمَّى الرِبع . وقد يختل نظام هذه الادوار بسبب تعدد الاصابات واختلاف نوع الجسيمات الملارية فيكون من حمى الربع والحمى المثلثة ادوار تنتاب المصاب كل يوم او كل يوم بعد آخر او تأخذهُ يومين متواليين وتتركهُ يوماً واحداً وذلك تبعاً لاختلاف مواقيت دخول الجراثيم الى كريات الدم الحمرآء وخروجها منها . وقد تجتمع انواع مختلفة من هذه الجراثيم في شخصٍ واحد في آنٍ واحد فتختلف الاعراض ويتعذر

الحمى المثلثة في عرف العامة هي حمى الربع في عرف الاطبآء والتي ترد كل يوم بعد آخر مثلثة

تشخيص العلة وقد تكون مع جراثيم الحمى الملارية جراثيم أُخر غير ملارية فتزداد الحمى التباساً والامراض اشكالاً

ومن هذه الحميات ما هو شديد الوطأة وخيم العاقبة خبيث الفعل ادوارهُ يوميَّة او مثلثة تطول مدتها حتى تكاد تتواصل فلا ينتهي الدور الواحد حتى يبتدئ الآخر وقد لا ينتهي اصلاً الا بموت المصاب وهذا ما يسمى بالحمى الخبيثة . وهنالك انواع واختلاطات متنوعة ليس هنا محلها اضربنا عن ذكرها خوف الاطالة

وتميز جراثيم هذه الحميات (في فحصها المجهريّ) باشكالها واقدارها وعدد نتاجها ومواقيت ثورانها وغير ذلك مما هو من خصائص البكتيريولوجي فلا نتعرض لذكرهِ

ومن غريب امر هذه الجسيمات ان من نتاج الواحد منها يخرج صنفٌ يتمّ جميع ادوار حياتهِ في دم الانسان وصنف يقضي دوراً فيهِ ثم ينتقل الى بعض انواع البعوض فينمو فيهِ ويسير في عروقهِ ويمتزج بلعابهِ ثم يرجع فيدخل دم الانسان ثانيةً على نحو ما سبق بيانهُ ولولا ذلك لماتت هذه الجراثيم بموت الانسان وانقرض نوعها على مرّ الزمان اذ لا سبيل لبقاء نوعها طويلاً الا بانتقالها على هذا النحو . فكأنّ البعوض موكلٌ بالمحافظة عليها والاعتناء بها الى ان تبلغ الحد الذي لها من الحياة وتتمكن من بقاء النوع فسبحان من سخر لكل حيٍّ حيًّا . ومما هو من الغرابة بمكان ان من هذا النوع ما هو ذكر ومنهُ ما هو انثى خلافاً لما هو معلوم من امر مثل هذه الجسيمات الدنيئة ولله في خلقهِ آيات

ومما يجدر بالذكر هو ان هذه الجسيمات الملارية مع اختلاف انواعها وتباين رتبها واشكالها تذعن جميعها لفعل املاح الكينا حتى جرت معها مجرى المثل فقيل « مثل الكينا للدور » هذا اذا أعطيت محلولة بكميَّات وافية في اوقات معينة اي في مدة الفترة ولا سيما قبل النوبة ببضع ساعات بحيث يتمّ امتصاصها واجتماعها بالجسيمات المرضية في السائل الدموي حال خروجها اليه . على انهُ لا ينبغي انتظار مثل هذه الفترات ولا سيما في الحميات الخبيثة التي قد تتواصل نُوَبها فتودي بصاحبها . ومن العبث استعمال املاح الكينا جافةً غير محلولة لان المعدة قد لا تحلّ منها الا قدراً يسيراً غير كافٍ لقتل الجراثيم المرضية ولا سيما اذا كانت مضطربة كما هو الحال في الحميات الملارية . اما طريقة الحقن تحت الجلد او بين العضلات باملاح الكينا القابلة الذوبان مما هو شائع في هذه الايام فهي وان انكرها بعضهم عظيمة الفائدة جزيلة النفع قد لا يُستغنى عنها في كثير من الاحوال حيث لا تنجع الطرق الاعتيادية ويقصد الاسراع في الامتصاص (ستأتي البقية)

تأثير الخمر على البنية

امتحن بعضهم تأثير الخمر في الحيوان فعمد الى طائفة من الخنازير الهندية [١] فقسمها الى فريقين كان يغذوهما الغذآء الواحد ويزيد على غذاء احدهما الخمر وجعل التي تتناول الخمر اربعة ازواج والفريق الآخر زوجين

---

(١) هي نوعٌ من الحيوان صغير يبلغ طولهُ من ٢٥ الى ٣٠ سنتيمتراً مجتمع الخلق قصير القوائم ابيض اللون مبقع بسواد وصفرة وهو من الحيوانات البرية يعيش في

وكان يعطيها الخمر حقناً في الحلق ويقدّر كميتها تبعاً لوزن الحيوان بحيث يكون المقدار الذي تناله على نسبة ما يناله رجل وزنه ٧٠ كيلغراماً . فكان يعطي احد الازواج الاربعة على نسبة لتر في اليوم والثاني على نسبة لتر ونصف ثم على نسبة لترين وثلاثة ألتار . واعطاها اولاً الخمر الحمراء غير ممزوجة بالماء وفيها من الكحل (السبيرتو) ٩ ٪ واستمرّ على ذلك مدة ثلاثة اشهر وكانت كلها الا واحداً تتجرع الخمر بسهولة ومنها ما كانت تتناوله برغبة والذي كان يتجرعها كرهاً مات بعد ثلاثة اشهر اختناقاً بعارض

ثم رأى ان يعطيها الخمر منقوعاً فيها نخالة البُرّ يوزعها عليها صباحاً بعد صوم الليل لتكون اسرع تناولاً لها ولما لم يجد فرقاً محسوساً بين ذوات الكمية الكثيرة والكمية القليلة من الخمر رأى ان يوحّد الكمية المعطاة لها بان يجعلها ٣٠ سنتيمتراً مكعباً لثقل الكيلغرام الواحد من اجسامها فيكون ذلك على نسبة لترين للرجل الذي وزنه ٧٠ كيلغراماً . وابتدأ هذا الامتحان في ٩ ابريل سنة ١٩٠٠ وذلك بعد ان وزن الخنازير كلها عند بدء الامتحان فكان معدّل وزن الواحد في التاريخ المذكور على ما يأتي

من الخنازير التي تناولت الخمر ٣٧٠ غراماً

» » الأُخر ٣٦٨ »

اي انها كانت قريبة التكافؤ في الوزن . وبعد ثلاثة اشهر اخر اي في ٩ يوليو

غابات البرازيل وغويانا ويأكل النبات ومنهُ داجن يربى ويستولد كسائر الحيوانات الداجنة ويستخدمهُ علماء منافع الاعضاء في تجاربهم . واسمهُ في الاصل كوباي وهي كلمة هندية لكن غلب عليه الخنزير الهندي لان فيه مشابه من الخنزير

كان وزن الواحد منها على ما يأتي

من ذوات الخمر	٦٤٠ غراماً
» البواقي	٦٠٦ غرامات

فزادت الاولى على الثانية ٦ ، ٥ في المئة

اما نتاجها في هذه الاشهر الثلاثة فكان على ما يأتي

نتاج ذوات الخمر	١٠
» البواقي	٤

فيكون نتاج الزوج من الاولى ٥ ، ٢ ومن الثانية ٢

ثم انهُ بعد ثلاثة اشهر اخرى وزنها ايضاً فكان وزن الواحد من الفريق الاول ٧٦٢ غراماً ومن الفريق الآخر ٦٧٥ فارتقى الفرق هنا الى ٨٧ ، ١٢ في المئة

وبعد ذلك خطر لهُ ان يمتحن قواها العضلية بأن يحمّلها جرماً ثقيلاً ويرى مدة احتمالها له فوضعها على سطحٍ مائل قد جلله بنسيج معدني ليمنع تزلجها ثم ناط بها ثقلاً من الوراء يعدل ثقلها وراقب الوقت الذي تلبث فيهِ قادرةً على مقاومة ذلك الثقل . وكان وضعها بحيث لا تستطيع ان تلفت رؤوسها ولا تنظر يمنةً ولا يسرة وقد جعل في عنق كلٍّ منها طوقاً ناط بهِ سيوراً تحيط ببكرةٍ صغيرة تتصل بالثقل فتجذبها الى الوراء . فاخذ كل واحدٍ منها يقاوم على قدر طاقتهِ ثم انقطعت المقاومة فجاءةً لانها عوض ان تتأخر شيئاً فشيئاً تدحرجت الى خلفها بمرة واحدة . فظهر لهُ من هذا الامتحان ان شاربات الخمر كانت اشدّ مقاومةً وقد صبرت على احتمال هذا

الثقل خمسة اضعاف صبر البقية

واخيراً اراد ان يختبر تأثير الخمر في الغذآء فعمد الى اثنين من هذه الخنازير غير بالغين وابقاهما مدة شهر يناولهما غذآءً غير كافٍ فكان يعطي احدهما في اليوم ٦ غرامات من نخالة الحنطة مبلولة بعشرة سنتيمترات مكعبة من المآء والآخر مثل ذلك من النخالة لكن معها ٥ سنتيمترات من الخمر الحمرآء و٥ سنتيمترات من المآء . في مدة الامتحان كان الخنزير الذي يتناول الخمر اضعف صحةً من الآخر الا انهُ ازداد في مدة الشهر ١٧ غراماً ولم يزدد الآخر الا ٩ غرامات ثم ان الذي كان يتناول المآء لم يُقم على هذا الغذآء اليسير فمات بعد نهاية الامتحان باربعة ايام واما الآخر فلبث حيّاً ذا صحةٍ كاملة

قال فيتبين من ذلك كلهِ ان هذه الامتحانات ان لم يترتب عليها لزوم الخمر لبنية الحيوان فلا اقل من ان تُظهِر ان اعتياد الخمر مع الغذآء اذا كانت بمقادير معتدلة ليس بمضرّ . اه

منع الخشب من الحريق

من المعلوم ان النار من اقوى العوامل الطبيعية واسرعها امتداداً واهولها فعلاً وليس في الاجسام المعروفة فوق سطح الارض ما يمتنع على قوة النار غير ان الحريق اكثر ما يقع في الخشب ونحوهِ لسرعة قبولهِ للنار ولكثرة الموجود منهُ وعموم استعمالهِ في الابنية والماعون وسائر مرافق الحياة . ولذلك كان من همّ الناس من اقدم زمن البحث عن طريقةٍ تقي الخشب من

النار ولو بمنع الالتهاب الذي هو علة امتدادها الى الاجسام المجاورة وقد توصل المتقدمون الى شيء من ذلك بان كانوا يطلون المواد الخشبية بالاملاح القلوية والالومينية . وقد روى بلوطرخس في الكلام على حصار سِلاّ لآثينا في اوائل القرن الاول قبل الميلاد ان جنودهُ حاولوا احراق برجٍ بها من الخشب فلم يقدروا لانهُ كان مطلياً بالشبّ

ثم انهُ في الاعصار المتأخرة اخذ اصحاب علم الكيميآء الحديث في امتحان المواد المانعة من الحريق واول من تكلم على ذلك جان فاغو احد رجال الندوة العلمية في استُكهُلم سنة ١٧٤٠ فذكر ان افضل ما يوقى بهِ الخشب من النار ان يُطلَى بمحلول الشب او محلول كبريتات الحديد (الزاج) او مادةٍ اخرى من المواد القابضة . وفي سنة ١٧٨٦ امتحن ارفير فصفات النشادر في الخشب والنسيج وامتحن غيرهُ محلول الالومين في الورق . وتعددت التجارب بعد ذلك على انحآء مختلفة الا ان جميعها لم يتعدَّ ما ذكر من منع الالتهاب بحيث تنحصر النار في مكانها ولا تنتشر الى ما يليهِ لان هذه الاملاح تذوب وتلتصق بظاهر المادّة المحترقة فتمنع وصول الهوآء اليها ولا يظهر لها لهب

وقد وقفنا على فصلٍ جديد في هذا المعنى ذُكر فيهِ انهم توصلوا من عهدٍ قريب الى ما ورآء ذلك من منع الحريق بتّةً حتى عن المادّة المباشرة للنار فلا تعمل فيها مهما كانت شديدة الاضطرام كما يتبين من الامتحانات الآتي ذكرها

وقبل الخوض في ذلك لا بدّ من بيان العناصر التي يتركب منها الخشب

ومقدار ما فيه من المواد القابلة الاشتعال · واصناف الخشب تتفاوت في ذلك الا انهُ على الجملة يشتمل على نحو ٤٠ جزءًا في المئة من المآء و٥٨ جزءًا من العناصر القابلة الاشتعال ونحو ٢ في المئة من العناصر التي لا تشتعل وهي التي تبقى اخيراً على شكل الرماد · وهي مؤلفة من املاح مختلفة من الكلس والبوتاس وما اليهما وبنآؤها الطبيعي على شكل خلايا تتضمن او تستبطن المواد القابلة الاشتعال المذكورة قبل

وبيّنٌ ان منع الخشب من الاحتراق لا يتمّ الا بان يُزال منهُ كل ما يقبل الاشتعال وهذا كما لا يخفى مفسدٌ لتركيب الخلايا المذكورة وبالتالي مفسدٌ لبنية الخشب وطبيعتهِ فلزم من ثمَّ ان يُنظَر في معالجة الخلايا بما يوصل الى المقصود مع بقآء تركيبها سالماً والنسبة بين العناصر المؤلفة منها على حالها

وللوصول الى ذلك يوضع الخشب في اسطوانة ثم تفرَّغ الاسطوانة من الهوآء فينشأ عن ذلك بخارٌ تتطاير بهِ الرطوبة المختزَنة بين اجزاء الخشب وتنتشر الى الخارج · ثم يؤخذ سائل مُشبَع من بعض انواع الاملاح وبعد ان يكرَّر تفريغ الهوآء يُنضَح الخشب بهذا السائل نضحاً دقيقاً بحيث يمتزج بالبخار المنتشر في الاسطوانة وتتشربهُ أَلياف الخشب الى ان تبتلّ بللاً كاملاً · وبهذه الطريقة تتخلل الاملاح بين اجزآء الخشب وتحلّ محلّ ما طار منهُ من الرطوبة المآئية وهذه الاملاح لا تقبل الاشتعال كما لا يخفى فتمنع اختراق النار الى ما يستبطنها من العناصر القابلة الاشتعال فضلاً عن انها تمنع تركُّب هذه العناصر التي هي سبب حدوث الالتهاب

وقد امتُحن الخشب المعالج على هذا الوجه بان بُني سفينتان متماثلتان

احداهما بالخشب المعتاد والاخرى بالخشب المذكور وصُنعت جدرانهما على شكل مشبَّك ليمكن تخلل الهوآء ودورانهُ وامتداد اللهيب وجُعلت اضلاع كلٍّ منهما من خشب الراتينج مصفحةً من الداخل بالواح من السنديان ثم أُخذ مقداران متساويان من الحطب اليابس وأُشربا زيت البترول ونُضّدا في كلٍّ من السفينتين مع وضعهما من جهة الريح ووُضعت فيهما النار في وقتٍ واحد فلم يمضِ نصف ساعة حتى احترقت السفينة المصنوعة من الخشب الطبيعي والتهمتها النار بكمالها واما الاخرى فلم يظهر فيها اثرٌ للنار الا في الموضع الذي كان مشبكاً مما يلي الجدران وبعد ما طَفِئت النار كان داخل السفينة بارداً

ثم عمدوا الى السفينة الباقية فاجروا فيها امتحاناً آخر بان فتحوا ابواب الغُرَف ونوافذها فانفتح مجرًى شديد بين المدخنة وداخل السفينة ثم وضعوا فيها مقداراً عظيماً من النجارة والحطب والهبوا النار فتطرّق اللهب في الحال الى جهة المدخنة ولم يلبث زجاج النوافذ ان سال واستمرّت النار تتقد مدة ٢٠ دقيقة وبعد خمودها لم يُرَ اثرٌ للحريق الا ما كان على ظاهر الاخشاب وسائر السفينة سالمٌ لم يلحقهُ اذًى . وكانت هناك علبةٌ مصنوعة من الخشب نفسهِ فتُركت في جوف اللهيب وبعد ذلك وُجد انهُ لم يطرأ الاحتراق الا على ظاهرها وبقي داخلها وما فيها لم يصبهُ ضرر

والخشب المعالج بهذه الطريقة يزداد ثقلهُ بما يدخلهُ من الاملاح من ٨ الى ١٥ في المئة ومقدار الزيادة يترتب على نوع الخشب . واما منظرهُ الخارجي فيبقى على حالهِ خلا انهُ في بعض الاحوال يزداد اللون اشباعاً ولا

يتغير عما كان عليهِ من قبولهِ للصنعة والصقال . ثم ان اشباع الخشب بهذه الاملاح يفيدهُ حفظاً من البلى والسوس فان المواد القابلة الاشتعال في الخشب هي اشد ما فيهِ قبولاً للفساد لانها معرَّضة لان تتاكسد بالهواء المطلق ولقرض انواع شتى من الهوام وضروب الفطر التي تتلف الخشب

وقد وُجد بالاختبار ان هذا الخشب تقلّ فيهِ القوة على ايصال الحرارة نحو ٥٠ في المئة عن الخشب الطبيعي وعلى ذلك فقد صار من الممكن ان تصفَّح بهِ المراجل واساطين البخار لتقليل الحرارة المنبعثة عنها مما كان يُجتنَب قبلاً خوفاً من حدوث الحريق ولا بد ان يعمّ استعمالهُ في المعامل والسفن وسائر المواضع التي تستخدم فيها آلات البخار . اه

متفرقات

آلات الركوب — المراد بآلات الركوب الدرّاجات والسيّارات وغيرها مما اختُرع في هذه السنين الاخيرة وهي اصنافٌ كثيرة ترجع الى النوعين المذكورين لان منها ما يحرَّك بالعضَل وهي الدُرّاجات ومنها ما يحرَّك بقوَّى طبيعية كالبخار والكهربائية وهي التي اصطُلح عندنا على تسميتها بالسيّارات[1] . وقد انتشرت هذه الآلات انتشاراً غريباً في جميع

(١) هي اللفظة التي اختارها حضرة الفاضل احمد زكي بك في تعريب الاوتوموبيل كما سبق لنا الكلام عليها في بعض اجزاء السنة الماضية وقد رأينا عليها عدة اعتراضات ما اطربنا منها الا اعتراض بعضهم بان من معانيها الدلالة على الاجرام الدائرة حول

ممالك اوربا واميركا حتى صارت تعدّ بمئات الالوف وقد وقفنا على احصآء مفصَّل نشرتهُ وزارة الماليـة في فرنسا لهذه الآلات فاحببنا ايراد زبدتهِ تفكهةً للقرآء

وكان الداعي الى هذا الاحصآء ان حكومة فرنسا وضعت منذ نحو عشر سنوات ضريبةً على الدرّاجات باشارة المسيو فرنسوا دُلُنكل فامكن بهذه الواسطة معرفة عددها في البلاد كل سنة . وكانت في اول سنة من وضع الضريبـة ١٣٨ الفاً ثم اخذت تزداد سنةً بعد سنة فكانت في سنة ١٨٩٣ ١٤٩ الفاً وفي سنة ١٨٩٤ ١٨٨ الفاً فازدادت في السنة الاولى ١١ الفاً وفي الثانية ٣٩ الفاً . وفي سنة ١٨٩٥ كان عدد هذه الآلات ٢٥٠ الفاً فكانت الزيادة في تلك السنة ما ينيف على ٦٠ الفاً وفي سنة ١٨٩٦ كان عددها ٣٠٨ آلاف بزيادة ستين الفاً اخرى . ومن بعد هذه السنة ارتقت الزيادة الى اكثر من ١٠٠ الف في السنة فكان عددها في سنة ١٨٩٧ يزيد على ٤٠٠ الف

الا ان هذه الاعداد كلها كانت دون الواقع لتعذُّر الضبط مع هذه الكثرة ولذلك اضطرّت المالية ان تضرب سنة ١٨٩٨ صفائح من معدن ابيض توضع على كل آلة اشعاراً بانها قد خرجت مما عليها للحكومة بأداء الضريبة وفي تلك السنة ضربت المالية من تلك الصفائح لا اقلّ من ٤٠٠

الشمس اي فلو قال قائلٌ جآء فلان على السيارة ربما توهم السامع انهُ جآء على المريخ او الزهرة ... فالحمد لله على زيادة العلم عندنا حتى صار بعضنا يخلط بين الفاظ اللغة ومصطلحات العلوم

الى ٥٠٠ الف صفيحة فلم يمضِ عليها شهر حتى نفدت بأسرها وبقي نحو نصف الدرّاجات بلا صفائح . وفي السنة التالية كان عدد الدراجات وغيرها التي ادّت الضريبة ٧٣٥٫٥٤١ من جميع الاصناف فكانت الزيادة في سنة واحدة ٣٣٠ الف آلة . وباعتبار هذا العدد موزعاً على اهالي فرنسا يكون اصحاب الدرّاجات ٢٢ في الالف ومعظمها في باريز وضواحيها ثم في سائر المدن الكبرى وتقل بعد ذلك كلما بعد المكان عن العاصمة وفي البلاد الجبلية والاماكن القليلة الثروة حتى ينتهي اصحابها في جزيرة كُرسيا الى واحد في الالف

وبالمقابلة بين عدد هذه الآلات وعدد الخيل وُجد ان في مقابلة كل الف فرس في عامّة فرنسا ٢٤٤ آلة . واذا أُخرجت منها باريز وضواحيها وسائر نواحي السّين حيث تزيد هذه الآلات عشر مرات على عدد الخيل — وهذا مع صرف النظر عن خيل الجند واصحاب العربات — كان في مقابلة كل الف فرس ٢٣٠ آلة ثم تقل شيئاً فشيئاً على عكس ما ذُكر في عدد الدرّاجات الا في البلاد التي اهلها فقراء فالقياس هناك بالنسبة الى دوائر الدنانير لا الى دوائر العَجَل

حفظ السمن بالسكّر — من المعلوم ان السمن يُحفَظ عادةً بالملح وهي عادةٌ قديمة مشهورة . وقد وجدوا في هذه الايام طريقةً اخرى لحفظ السمن بحيث لا يلحقهُ شيءٌ من العوارض الكيماوية وذلك انهم يصنعون شراباً من السكّر بان يغلوا الماء المحلّى بالسكر مدةً كافيةً حتى يصير في قوام

الشراب ثم يطلون ظاهر السمن بهذا الشراب بطلاةٍ من الشعر ويرفعونهُ على النار فلا يلبث ان يذوب ويتحد بالسكر وعند ما يبرد يبقى السكر طافياً بهيئة قشرة متماسكة اشبه باللك تحفظ السمن من كل تأثيرٍ للهوآء

ولهذه الطريقة مزيةٌ على الملح بان السمن مع حفظهِ من الفساد لا يتغير شيءٌ من طعمهِ الطبيعي ما خلا قشرةً ضعيفة من ظاهرهِ حالة كون السمن المملوح لا بد ان يخالط الملح جميع اجزآئهِ وفي الناس من لا يطيب لهُ ذلك فيهِ

تقدير السرعة في سكك الحديد — لتقدير هذه السرعة ارتأى بعضهم ان تقاس على المسافات التي بين اعمدة التلغراف فاذا قطع القطار ما بين العمودين

في ١٤،٤ ثانية كانت سرعتهُ ٢٠ كيلومتراً في الساعة

او » ٩،٦ ثوانٍ » » ٣٠ » » »

» » ٧،٢ » » » ٤٠ » » »

» » ٥،٩ » » » ٥٠ » » »

» » ٤،٨ » » » ٦٠ » » »

» » ٤،٠ » » » ٧٠ » » »

» » ٣،٦ » » » ٨٠ » » »

» » ٣،٢ » » » ٩٠ » » »

» » ٢،٩ » » » ١٠٠ » » »

» » ٢،٦ » » » ١١٠ » » »

» » ٢،٤ » » » ١٢٠ » » » وهي اقصى غايات السرعة

حِكَم وآداب

من كتابٍ تحت الطبع تأليف ايليا النسطوري مطران نصيبين في القرن الحادي عشر جمع فيهِ اقوال فلاسفة اليونان وغيرهم من العلمآء والصلّاح - وهو من الكتب التي سعى بنسخها حضرة الاب الفاضل الخوري قسطنطين الباشا من بعض المكاتب الشرقية برومية وقد شرع في طبعهِ ليجعلهُ تحفةً للقرّآء من اهل لساننا العربي • وفي الوقوف على هذا النموذج منهُ ما يشير الى ما كانت عليه اللغة في ذلك العصر حتى عند غير المسلمين مما سنتتبع امثلتهُ على قدر ما تصل اليه اليد و يتيحهُ الاتفاق • قال

ليس الديّن من ابتُلي فصبر لكن الديّن من ابتُلي فرضي

خير الناس من فرح للناس بالخير وشرّ الناس من فرح للناس بالشرّ

من كانت نيتهُ في الناس جميلة كانت عناية الله بهِ جزيلة

اذا رضي الله تعالى على الانسان رزقهُ التواضع وجنّبهُ الغضب وبصّرهُ عيب نفسهِ وعصمهُ ان يتمنى ما لا يكون

من ركب العجلة ركبتهُ الملامة ومن استولى عليهِ التواني احاطت بهِ الندامة ومن استعمل الحزم فاز بالسلامة

الديّن يخاف النار والكريم يخاف العار والعاقل يخاف الشرّ • فمن جُمع فيهِ الدين والكرم والعقل فقد أمن النار والعار والشرّ

سأل كسرى بزرجمهر قال لهُ صف لنا شِرار الناس • قال الشرير من يكرمهُ الناس لاجل شرّهِ • وشرٌّ منهُ من يُعامَل بالجميل ولا يشكرهُ ولا يكافئ عليهِ • وشرٌّ منهُ من يُعامَل بالجميل فيكافئ بالقبيح • وشرٌّ منهُ من تكون هذه صفاتهِ ويعتقد انهُ خير الناس وينكر على من لا يصفهُ بالخيرية

قال ملك الفرس لما رأيت الامور تجري برأي ذوي الجهل مع جهلهم

وقلة تحصيلهم وانصرافها عن ذوي العقول مع اجتهادهم وصحة آرآئهم علمتُ ان المدبّر غيرهم وان الامور ليست لهم

اذا رضي الله على الانسان اوصل اليهِ سعاداتٍ لم يتمنَّها واذا سخط عليهِ عذّبهُ بالمُنى

الحيلة فيما لا حيلة فيهِ الصبرُ

يجب على من يصطنع المعروف ان ينساهُ ويسترهُ وعلى من أُسدي اليهِ ان يذكرهُ وينشرهُ

خاطئٌ يشكر النعمة خيرٌ من بارٍ يكفرها وعاصٍ يعترف بذنبهِ خيرٌ من زاهدٍ يفتخر بعملهِ

من سعادة المرء ان يكون إنعامهُ عند من يشكرهُ ومعروفهُ عند من ينشرهُ

من عظمت نعمة الله لديهِ كثرت حوائج الناس اليهِ

كافئوا المعروف بالمعروف وان لم تقدروا فاشكروا

من لايشكر الناس لايشكر الله ومن لايشكر القليل لايشكر الكثير

فوائد

ازالة الآثار الدهنية عن الملابس — وصف لذلك بعضهم ان يسخَّن اللبن الى حدّ الغليان ويُقرَص بهِ موضع الاثر الدهني ثم يكرر عليهِ ذلك مع الفرك الشديد حتى يخترق اللبن في باطن النسيج ويمنع الدهن من

التجمد والتماسك ثم انهُ قبل ان يجفّ الموضع يُفرَك بالبنزين فركاً شديداً واذا لم يتفق وجود لبن يُطلى الاثر بالسمن ويُفرَك حتى يلين النسيج ثم يُغسَل السمن غسلاً خفيفاً او يزال بالسكين وفي اليوم الثاني يعالج بالبنزين على ما ذُكر . واذا كان النسيج من قطن او كتان وعولج بالسمن يجب ان يُغسَل في اليوم الثاني بالصابون

افضل طلآءٍ للخشب — يؤخذ مقدارٌ من اجود السَمْنْت الطري ويُسحَن مع اللون الذي يراد تلوين الخشب به بكميةٍ من اللبن الى ان يصير بقوام الزيت الذي يُطَلى بهِ الخشب عادةً . والخشب الذي يُطلى بهذا المزيج ينبغي ان لا يكون مجلوّاً ولكن يؤخذ من تحت المنشار توّاً ويجب ان يكون على تمام الجفاف فاذا طُلي والحالة هذه بطبقتين او ثلاث من هذا المزيج اصبح بمأمنٍ من الانحناء والتقوّس وفضلاً عن ذلك فانهُ يصبح غير قابل للاحتراق

آثار ادبيّة

الحب والزواج — اتحفنا حضرة الكاتب الاديب نقولا افندي الحدّاد بنسخةٍ من مؤلَّفٍ لهُ بهذا العنوان توخى فيهِ الكلام على هذين المعنيين من الوجه الفلسفي فبحث في ماهية الحب ومنشئهِ وانواعهِ ومراتبهِ وعللهِ والزواج ودواعيهِ وما تنبغي مراعاتهُ في اختيار الزوجة وما يتبع ذلك من

احكام الخطبة والزواج والعيشة الزوجية الى ما يتصل بهذه المعاني كلها مما استوفى الكلام عليهِ بما لم يسبق لغيرهِ من كتاب العربية . فنثني على حضرة المؤلف لما اطرف بهِ الشبيبة من هذه التحفة النفيسة ونحضّ القرآء على مطالعتهِ لما فيهِ من الفائدة والتبصرة

والكتاب يشتمل على نحو مئة وعشر صفحات وهو يُطلَب من مكتبة الهلال ومن ادارة الرائد المصري وادارة الروايات الشهرية لصاحبها يعقوب افندي الجمال في مصر وثمنهُ ستة غروش اميرية خلا اجرة البريد

تنوير الاذهان بمعرفة مبادئ تقويم البلدان — أُهدي لنا الجزء الثاني من هذا الكتاب المفيد تأليف حضرة الاديب رشدي افندي كمال من موظفي السكة الحديدية المصرية وقد تصفحناهُ فوجدناهُ كصنوهِ الذي سبقهُ في حسن الترتيب وسهولة المأخذ وهو يتضمن الكلام على جغرافية مصر الطبيعية والسياسية وما يتعلق بها مفصلةً التفصيل اللائق بحال المبتدئ. فنثني على حضرة مؤلفهِ ثنآءً طيباً ونحث الطلاب على اقتنآئهِ واغتنام فوائدهِ

المرأة — عنوان مجلةٍ « نسائية علمية تهذيبية فكاهية » تصدر في مصر باسم السيدة انيسة عطآء الله وقد انتهى الينا الجزء الثالث منها فوجدناهُ مشتملاً على كل ما يسرّ المطالع وهي تظهر مرتين في الشهر وقيمة الاشتراك فيها خمسون غرشاً في القطر المصري وخمسة عشر فرنكاً في الخارج فنتمنى لها الرواج

فكاهات

بشّر القاتل بالقتل

اذا ذُكرت مدينة لندن تبادر الى ذهن السامع مدينة هي امّ الدنيا ومجتمع زخارفها وغناها فلا يتصور فيها الا السعادة وسعة العيش والرفاهة والترف . غير ان الواقع خلاف ذلك فبين تلك القصور الباذخة والغنى العظيم يرى الناظر اكواخاً حقيرة في اسوأ حالات الفقر المدقع يأوي اليها اشخاص يتضورون جوعاً ولا يرون بين قصور الامراء ما يسدون بهِ رمقهم ولا تصل اليهم يد الاحسان فيموتون كالزهرة التي تنبت على تربة صخرية وتلفحها الشمس المحرقة فتذبل وتيبس ثم تبدد الريح ذرّاتها فتختفي كأنها لم تكن

وكان في بعض تلك الاكواخ الحقيرة امرأةٌ على فراش من الهشيم وهي في حالة الاحتضار وليس بقربها الا فتى جاثٍ امام فراشها يسكب الدموع السخينة ويتنهد من كبدٍ حرّى . وكانت ملامح المرأة تدل على انها كانت من ابناء النعمة وقد خانها دهرها فهبطت من ذروة السعادة الى حضيض الشقاء . فلما شعرت بدنو اجلها استدعت ولدها الفتى المذكور لتودعهُ الوداع الاخير وتتزود منهُ القبلة الوالدية قبل ان تفارق هذا العالم في سفرها النهائي ولتسرّ في اذنيهِ بعض اخبار لم يطلع عليها قبلاً ولا تود ان يجهلها . وكان في كلامها المتقطع تارةً والمتتابع طوراً ما يدل على رغبتها في استيعاب الكلام قبل ان يعاجلها الموت وكانت تقول لاوقت لي يا حبيبي ادغار اتبادل فيهِ واياك كلمات الوداع فلديّ غير ذلك من الحديث المهم يجب ان ابلغك اياهُ فأصغِ وافهم ما اقول . لم يوجدنا الدهر في بداءة حياتنا في

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

هذه الحالة الذليلة وكان والدك قبل ان اقترن بي يقطن داراً فخيمة في شارع الملكة ولديهِ من الثروة مبلغ يُحسد عليهِ فلما اقترنت بهِ اضفت ثروتي الى مالهِ وصار بين يديهِ مبلغٌ كافٍ من المال فانشأ شركةً تجارية كان يديرها بمعظم الحذق والتدبير فتضاعفت اموالهُ واشتهر اسمهُ وطلبتهُ بعض المقاطعات ليكون نائباً عنها في مجلس الامة . وتعرّف والدك في ذلك الوقت برجل من متمولي البلاد اسمهُ هر برت ديكنس — لا تنسَ هذا الاسم — وبعد ان توالت زيارات هذا الشقي لنا امتلك قلب والدك فأحبهُ واغراهُ ذاك حتى ادخلهُ في شركتهِ ولم يدرِ انهُ قد ادخل الى صدرهِ افعى تنهش لحمهُ وتمص دمهُ . وكان هر برت المذكور يظهر الامانة والوداد والاستقامة وهو يسعى في الخفآء لخرابنا وهدم بنيان سعادتنا تدفعهُ الى ذلك عوامل الخبث والحسد التي توجد غريزية في بعض الناس . ولا يسعني في هذا الوقت القصير ان اقص عليك تفاصيل اعمالهِ الشريرة ولكن كان من نتائجها ان المرحوم والدك طُرد من مجلس الامة مهاناً متهماً بافشآء اسرار المجلس ولولا مساعدة بعض المخلصين لهُ من اهل الخير لنفذ الحكم عليهِ بالاعدام . ولم يقتنع هر برت بذلك فعمد الى تجارة والدك ولم يمضِ الوقت الطويل حتى اصبحت تلك الثروة الطائلة في خبر كان وعاد والدك المسكين من سعة عيشهِ الى مبيع املاكهِ ومقتنياتهِ ولم يبقَ لهُ سوى القصر الذي كنا نقطنهُ واستولت عليهِ عوامل الغم واليأس فكان يقضي اوقاتهُ ساكتاً صامتاً شاخصاً الى السمآء متأملاً في احكامها . وكان اذا دفعهُ عامل الغضب الى الانتقام من هر برت يعود فيقول كلا فالعقاب لله وحاشَ لي ان اعارضهُ فيهِ

وفي ذات ليلة كان والدك في الحديقة كعادتهِ وانا في غرفتي اتضرع اليهِ تعالى ان يعوّض على زوجي المسكين بما يخفف آلامهُ واذا بباب غرفتي قد فُتح ودخل عليّ اللعين هر برت في حالة سكرٍ عظيم فلم اتمالك ان صحت مستغيثةً وكأنهُ خاف العاقبة فخرج وكان زوجي قد سمع صراخي فاسرع ليرى السبب فاستقبلهُ هر برت بمسدسهِ واطلقهُ عليهِ فأصابت رصاصتهُ عين والدك ونفذت من مؤخر رأسهِ فسقط

قتيلاً . . . . وقد سعيت بعدها بمحاكمة هذا الشيطان اللعين فألقت الحكومة عليهِ القبض ولكنهُ استخدم غناهُ و بذر مقادير وافرة من الاصفر الرنان فأخلت الحكومة سبيلهُ بحجة ان ما صنعهُ كان عن سكرٍ لا يعاقب عليهِ . ولما رأيت ان العدل قد مات في هذه البلاد كظمت غيظي واخفيت المي الى ان يتيسر لي الانتقام وللحال بعت القصر وحديقتهُ واويت الى هذا الكوخ الحقير الذي اراهُ خيراً من افضل القصور التي يتنعم بها من البشر اقوامٌ ليسوا الا من القتلة واللصوص وارسلتك الى حيث تلقيت دروسك . وانا انفق من المال المتحصل لي بغاية الاقتصاد والتدبير الى الآن وقد بقي لي منهُ خمس مئة ليرة لا غير تجدها في كيسها الجلدي تحت فراشي . . . . والآن يا ولدي الحبيب قد اطلعتك على كل شيء اما انا فسأموت وسأتركك لتبني لك مستقبلاً بهذه الدراهم الباقية لك غير اني على فراش موتي هذا وفي دقائقي الاخيرة استحلفك يا ولدي بتربة والدك المقتول غدراً و بدمهِ المهدور ظلماً ان تقسم لي الآن امام السمآء وفي دقيقة الموت الهائلة ان لا تقدّم امراً من امور حياتك على الانتقام من ذلك الملعون هربرت . لا . لا . اني لا انزل الى قبري بسلام ما لم اعرف يقيناً ان هربرت ديكنس لا ينزل الى قبرهِ الا ملطخاً بدمٍ كالدم الذي سفكهُ من والدك . فهل تعدني يا ولدي وهل تقسم لي ان تقوم بهذا الامر

وكان ادغار مصغياً الى كلمات والدتهِ والحزن يقطع احشآءهُ وقد زاد فوقهُ حب الانتقام من الوغد الذي جر على والديهِ وعليهِ ذلك البلآء فاكسبت هذه العوامل وجههُ هيئةً وحشية مخيفة فنهض وهو يحاول اخفآء عبراتهِ وقال بصوتٍ ابحّ اشبه بحشرجة الموت

« انا ادغار فرسكيل اقسم في هذه الساعة الرهيبة التي ارى فيها والدتي تفارق العالم الحاضر الى ديار الابدية . اقسمُ بمقتل والدي السيئ البخت و بانفاس والدتي المسكينة و بالشرف و بكل مقدس لديّ ان اسعى من الآن في البحث عن هربرت ديكنس وان انتقم منهُ بقتلهِ جزآء ما جنت يداهُ على والدي وما جرّت اعمالهُ علينا من المصائب »

وعقب هذا القسم سكوت عميق زاده هولاً لم يسمع في اثنائه سوى تنهدات المائتة الضعيفة وضربات قلب ادغار المتهيج ثم مدّت الام يدها فامسكت بولدها وادنتهُ منها فطوقت عنقهُ بذراعيها وقبلتهُ بتبسم وقالت الآن اموت مسرورة وسأخبر والدك ايضاً انك ستنتقم لنا ولك فاحفظ عهدك ولتباركك السمآء . ثم تصاعدت انفاسها وهي شاخصة الى ابنها وهكذا دخلت باب الابدية ولم تبقَ في هذا العالم الا جثتها الباردة

و بقي ادغار بعد موت والدته مدةً لا يهنأ لهُ عيش ولا تطيب لهُ اقامة فكان يقصد الغابات المقفرة او شاطئ البحر ويجلس هناك الساعات الطوال في التفكر وتأمل الطبيعة وفي صدرهِ من الافكار والمقاصد ما لا يعلمهُ الا الله . وكان ادغار ايام وجودهِ في المدرسة قد أُولع بقرآءة الروايات والتواريخ فتعلق بها ولما اصبح في حالة العزلة هذه خطر لهُ ان يؤلف روايةً ففعل ثم طبعها تحت اسم مستعار فلم تلبث ان انتشرت انتشاراً سريعاً فأتبعها باخرى وهكذا حتى اشتهر اسم هذا الكاتب المجهول ورأى ادغار ان مكاسبهُ وافرة وان رأس مالهِ يتضاعف فانقطع الى هذا العمل وهو في اثنائهِ يبحث عن محل وجود هربرت ديكنس للقيام بقسمهِ الذي لابد من انفاذهِ

والقت التقادير يوماً ادغار في باريس فاستطاب سكناها ورأى فيها من ربات الجمال واختلاف الاحوال ما يساعدهُ على كتابة رواية يهتم بتأليفها فاقام في البلدة اياماً . واتفق انهُ ذهب مرةً الى احدى الحدائق العمومية فرأى على مقعدٍ فيها فتاة جميلة الصورة رشيقة القوام فاعجب بمنظرها وجلس على مقعدٍ بازآئها وجعل يتفرس في هيئتها فيجد فيها من معاني الحسن ما يزيدهُ شغفاً بحبها وشوقاً الى التعرف بها وكانت الفتاة تقرأ في كتابٍ عرفهُ انهُ من مؤلفات شكسبير الشاعر الانكليزي الشهير . وبينما هو يفكر في كيف يفتتح معها الحديث اذ جآءت فتاةٌ اخرى فحيتها باسم أليس ثم تخاصرتا وسارتا معاً حتى غابتا عن عينيهِ . فشعر ادغار ان قلبهُ يفارقهُ معها وعلى الخصوص عند سماعهِ اسمها وهو اسم والدتهِ فجددت في صدرهِ جراحاً اليمة . واكثر ادغار بعد ذلك من التردد الى الحديقة المذكورة فكان يرى في كل مسآءٍ

فاتنتهُ هذه ولحظت هي منهُ الولوع والانشغاف واعجبها شبابهُ فاحبتهُ كما احبها ولم يخفَ ذلك على فطنة ادغار فما صدق ان رأى منها ميلاً اليهِ حتى رفع لهـا قبعتهُ محيياً فاجابتهُ بلطفٍ فاقترب اليها وخاضا في بحار الحديث الذي يجرّ الى اوقيانوس الغرام . ولما ارادت الانصراف طلب مرافقتها فسمحت لهُ فسار معها وهما في حديثٍ شاغل قالت لهُ في نهايتهِ اعلم يا هذا انني احببتك كما تحبني فارجو منك ان تخبرني صريحاً ما هي افكارك وما هو غرضك من هذا الحب فاني لم امل الى سواك قبلاً فاذا كنت تضمر حباً صحيحاً يفضي الى سعادة العيش فعاهدني على ذلك والا فان كنت كاكثر فتيان العصر تتسلق الشجرة وتخاطر بحياتك لتقطف ثمرتها فاذا حصلت عليها مصصتها بين اسنانك وطرحتها الى الارض فدستها بقدميك فأعلمني من الآن كي اكون على بصيرة وفي يقيني انك شريف الاصل لا تخونني في الجواب. فقال ادغار رويدكِ ايهـا الملاك الطاهر اني لست من جملة أولئك الفسَدة الاراذل وانا مثلكِ لم احب قبلكِ فاذا كنت تقبلينني قسيماً لمستقبلكِ فاني اعاهدكِ امام السمآء التي فوق رؤوسنا اني اكون وفياً لكِ الى الموت . لكني لا اكتم عنكِ اني مقيدٌ بنذر فلا يمكنني الاقتران قبل وفآئهِ . قالت وما هو هذا النذر وهل يقتضي الوفآء بهِ زمناً طويلاً . فجعل ادغار يسرد لها تاريخ اسرتهِ كما مرّ وانهُ لا يتخلص من قسمهِ ولا يمكنهُ الزواج قبل الانتقام ممن كان سبباً في خراب اسرتهِ . وكانا قد قربا من منزلهـا فقالت ومن هو هذا اللئيم الذي قضيتَ عليه بالموت . قال لا اعلم شيئاً عنهُ سوى ما ذكرت واخالهُ حيواناً في جسم انسان واسمهُ هربرت ديكنس . وما ذكر ادغار هذا الاسم حتى وقفت أليس امامهُ كلبوءةٍ قد فقدت شبلها وقالت ماذا تقول أتريد ان تقتل هربرت ديكنس والدي . فصعق ادغار لهذا الاتفاق ووقف كالمبهوت لا ينطق ببنت شفة. فاقتربت أليس منهُ وقالت لا يا حبيبي ادغار لا تلطخ يدك الطاهرة بالدم . اني اتذكر الآن وافهم الحديث الذي كان يقصهُ عليّ والدي وما كنت افهمهُ حينئذٍ ولكنني اتمثلهُ الآن كما هو . فاعلم ان والدي منذ اربع عشرة سنة يكفرّ عن ذلك الذنب الذي دفعهُ اليهِ جهلهُ الاعمى

واؤكد ان ضميرهُ عذبهُ مدة هذه السنوات اكثر مما تتصور ان تعذب جسمهُ انت . وكثيرًا ما سمعتهُ يتأوه ويتحسر وهو لايدري بأي وسيلة يكفّر عن ذنبهِ وفي هذه المدة كلها لم يفتر عن الصلوات وفعل المبرّات وتوزيع الحسنات فاياك ياحبيبي ادغار ان تسيء اليهِ وهل يردّ عليك قتلهُ شيئًا من عزك الاول ووالديك ام بالاحرى يبعد عنك من اعترفت بحبك لها وتكون قد خسرت سعادةً اخرى . فدع والديك مستريحين في قبرهما وانسَ الماضي وانظر الى المستقبل فهو يشير اليك بالسرور . تأمل مليًا فيما اقولهُ لك وقابلني غدًا في الحديقة بعد ان تقرّ على ما تنويهِ فاما ان نفترق في الحال واما ان تنسى ما مضى وتعتاض بي عما خسرت . وكان ادغار غارقًا في تأملاتهِ يسمع وكأنهُ لا يفهم فولى ظهرهُ مدفوعًا بقوةٍ غير منظورة وسار الى بيتهِ وهو كالتمثال المتحرك . وقبل ان تغمض جفنيهِ سنة الكرى طُرِق بابهُ فهبّ مذعورًا واذا بشرطي ورجال الشحنة قد احدقوا بهِ فاقتادوهُ الى السجن وبينما هم في الطريق علم منهم ان المستر هربرت ديكنس بينما كان راجعًا الى بيتهِ في ذلك المسآء اصابتهُ رصاصة في عينهِ اليمنى اخترقت دماغهُ فسقط قتيلاً وان ابنة المقتول اتهمت ادغار . فقال ادغار وهل قُتل المستر هربرت حقيقةً . قال الشرطي نعم قتل . فتبسم ادغار وقد رأى ان الاقدار تولت عنهُ حلّ هذا المشكل بينهُ وبين حبيبتهِ وسار صامتًا . وفي الغد سألهُ قاضي التحقيق عن مقتل هربرت فانكر تمام الانكار وصرّح بما كان يضمرهُ لهُ ولكنهُ اصرّ على انهُ ليس هو القاتل . ولما لم يرَ القاضي الادلة الكافية لاثبات التهمة عليهِ امر بسجنهِ الى ان تنجلي الحقيقة . وفي اليوم الثاني ورد على ادغار رسالة من أليس تقول فيها «اني لا اعلم لوالدي عدوًّا سواك ومع شدة تعلقي بك فاني ارى ان الحقوق الوالدية اهم واولى بالمراعاة من حقوق الحب ولذلك فضلت اتهامك على اخفآء امرك ولكنني لا ازال احبك ولا اعلم السبب . وقد بلغني من تقريرك ما جعلني ارتاب جدًّا في الامر فاستحلفك يا ادغار ان تظهر الحقيقة على وجهها فاذا كنت انت القاتل فلا ينبغي ان تكون جبانًا فاعترف بما فعلت وساعدني على سلوك واذا كنت بريئًا فبرهن على ذلك فيطلق سراحك وتعالَ الى من لا

نصير لها في هذا العالم الواسع　اليتيمة المسكينة
أليس »

وتابعت المحكمة التحقيق فلم تقف على شيءٍ جديد وقد كانت الادلة كلها تؤيد التهمة على ادغار ولم يكن ما ينفيها سوى انكارهِ فقط ومضى عليهِ في سجنهِ اسبوعان ذاق فيهما امرّ البلاء الى ان اتتهُ يوماً رسالة اخرى غفلٌ من التوقيع فيها ما صورتهُ

« ايها العزيز الذي لا اعرفهُ — للدهر في تصاريفهِ غرائب . انني كنت اترصد خصماً لي منذ خمسة عشر يوماً للفتك بهِ الى ان مرّ امامي شبحٌ ظننتهُ عدوّي فاطلقت عليـهِ غدارتي فاصبتهُ فمات ولكن لسوء الحظ تبين لي في اليوم الثاني ان القتيل رجلٌ غير الذي اطلبهُ فشقّ عليّ ذلك جدّاً وخشيت عاقبة القضاء ولكنني ما عتمت ان علمت بما كان من وقوع التهمة عليك ووجدت ان القدر شاء ان يعفيني من قبح السمعة وعقاب الشنق فساقك الى تحملها عوضاً عني . وبما انهُ قد قضي الامر ولا يسهل عليّ ان اسعى بنفسي الى الوقوع فيما قُدّر لي النجاة منهُ فغاية ما استطيعهُ ان اظهر لك شديد اسفي ولكي لا اترك خدمتك هذه بدون مكافأة فقد وضعت لحسابك في البنك مبلغ خمسة آلاف ليرة يمكنك ان توصي بها لأهلك اذا كان فيهم من يضرهُ موتك وفي الختام تقبَّل شكري لك وترحمي على شبابك »

فلما قرأ ادغار هذه الرسالة استغرب الامر جدّاً ثم طلب المثول امام قاضي التحقيق واطلعهُ على الرسالة فانقلب محور العمل وايقن القضاة ببراءة ادغار فاطلقوا سراحهُ وما زال رجال الشحنة السرية يجدون في البحث والتنقيب على ما هو مشهورٌ من اعمالهم الغريبة حتى ادركوا كاتب الرسالة واجبروهُ فاقرّ انهُ هو القاتل عن غير قصدٍ لانهُ كان يريد الانتقام من رجل آخر كانت بينهما عداوة شخصية فاستلمهُ القضاء

اما ادغار فعاد الى أليس وكان سرورها ببراءة حبيبها يخفف عنها لوعتها لمقتل والدها وبعد ان اتمت ايام الحداد اقترنت بادغار وعاشا عيشةً سعيدة لا يشوبهـا كدرٌ سوى تذكر والديهما وشقاء ايامهما الماضية

تكوُّن الموادّ الارضية

وقفنا على فصلٍ لاحد العلمآء المعاصرين بحث فيهِ في كيفية تكوُّن الموادّ الارضية وما تقلبت عليهِ من الاطوار وأصل ما تسلَّط عليها من القوى الطبيعية والكيماوية فاحببنا تلخيص ما فيهِ لغرابتهِ ولما يشتمل عليهِ من الفوائد العلمية والفلسفية وان لم يكن مسلَّماً في جميع اجزآئهِ قال

لا ريب ان النواميس الكيماوية التي تمّ بها تألُّف دقائق الموادّ في اول ازمنة الارض هي عين النواميس المعروفة ليومنا هذا الا ان مفاعيلها كانت بالغةً من العظمة والشدّة ما لا نشاهد مثلهُ اليوم وهذا ولا جرم من الامور الحرية بالبحث لاستطلاع الاسباب التي دعت الى عملها والاحوال التي أدّت الى توقفهِ وهو ما نحاول بيانهُ في هذا الفصل على قدر ما يوحي الينا مبلغ العلم العصري ونحن لا نقطع بصحة كل ما سنذكرهُ ولكنا سلكنا فيهِ اظهر الطرق الى بيان الحوادث على ما تمثَّل لنا من وجهها مع فرض ما لا بدّ منهُ من المقدمات لاتصال سلسلة البحث وبنآء الاسباب المهيِّئة لظهور القوى المشار اليها فنقول

اذا نظرنا الى القشرة الارضية وجدنا معظمها مؤلفاً من موادّ مركبة قد اختلط بعضها ببعض ولا نكاد نرى من المواد البسيطة الا ما ليس لهُ قدرٌ يذكر بالقياس الى تلك ثم نجد هذه المواد البسيطة في حالة السكون لا ميل بها الى ان تتحد بغيرها كما حدث في الاحقاب الاول مما ادّى الى حدوث تفاعلات عنيفة كانت تتناول مقادير عظيمة من الموادّ العنصرية

ويحدث عنها ما هو معلوم من الانقلابات الهائلة

فاذا فرضنا ان المواد المؤلفة منها الارض وُجدت باسرها بسيطة ثم اخذ بعض عناصرها يتحد ببعض على التدريج تمثل لنا السبب في حدوث الانقلابات الغابرة والسكون الحالي وذلك ان الثوران في العناصر انما يحدث عند التقاء بعضها ببعض وما يقع بينها من التفاعل قبل حصول التألف والاتحاد فاذا تمّ اتحادها عقب ذلك الاضطراب سكونٌ مستمرّ . وانظر في ذلك الى ما يحدث كل يوم في المعامل الكيماوية عند تركيب بعض الموادّ فانك ترى لها جيشاناً وهزيماً شديداً ثم لا تلبث بعد ان يتم اتحادها ان تقرّ وتسكن وانما هي امثلةٌ طفيفة لما كان يحدث قديماً من الانقلابات والانفجارات العظيمة بين براكين وزلازل وزوابع وطوفانات وبين جزرٍ تشخص واخرى تخسف الى غير ذلك مما انقضى عهدهُ بتألف المواد ولم يبقَ منهُ الى يومنا هذا الا حوادث ضعيفة

ولكي نُبرِز ما تقدم في صورةٍ حسية لنفرض ان العناصر التي تألفت الارض منها في حالتها الاولى كان كل عنصرٍ منها منفرداً في حيّزٍ محدود وقد تكوف بعضها حول بعض فاستقرّ اثقلها في المركز ثم تلاهُ الاخف فالاخف على شكل طبقاتٍ كروية كل واحدةٍ منها تحيط بالتي تليها حتى تنتهي الى السطح . ومعلومٌ ان اثقل المواد البلاتين فهو ولا شك في مركز الارض ثم يليهِ الذهب ثم الزئبق فالرصاص وهلمّ جرًّا على ما تراهُ في الجدول الآتي وقد نسقنا فيهِ اشهر العناصر البسيطة مبتدئين من اخفها مع بيان كثافة كلٍّ منها بالتقريب

هدروجين	٠٦٩'	بور	٢'٤٥	حديد	٧'٥٠
ازوت	'٩٧	الومينيوم	٢'٥٠	كوبلت	٧'٨٠
اكسيجين	١'١٠	سليسيوم	٢'٩٠	زرنيخ	٨'٣٠
فلور	١'٢٦	بروم	٣'٤٥	نكل	٨'٥٠
كلور	٢'٤٠	كربون	٣'٥٠	نحاس	٨'٨٠
بوتاسيوم	'٨٠	يود	٤'٤٩	بزموت	٩'٠٠
صوديوم	'٩٧	كروم	٥'٩٠	فضة	١٠'٥٠
كلسيوم	١'٥٠	انتيمون	٦'٧٠	رصاص	١١'٣٠
مغنيسيوم	١'٧٤	منغنيزيا	٦'٨٠	زئبق	١٣'٥٠
فصفور	١'٨٠	زنك	٧'٠٠	ذهب	١٩'٠٠
كبريت	٢'٠٠	قصدير	٧'٣٠	بلاتين	٢١'٥٠

وهذه العناصر كلها في سكونٍ تام لا حركة بينها ولا سلطة على مجموعها لشيءٍ من الكواكب وليس هناك حرارةٌ ولا نور ولا اثرٌ للرطوبة . والموادّ على هذا الفرض تكون كلها غير متأثرة بعضها ببعض ولا في شيءٍ منها ميلٌ الى ان يتحد بالآخر لانهُ مع فقد الكهربآئية تكون جاذبية الدقائق مفقودة

ثم انهُ على حين فجأةٍ انقضّ من احد جوانب السمآء نيزك ملتهب فاخترق الطبقات الغازيّة المنتشرة على محيط الكرة واندفع على اثرهِ الهدروجين بقوة الجاذبية المركزية حتى التقى بالاكسيجين فحدث عن التقآئهما حريقٌ هائل وتتابعت بعد ذلك بقية العناصر فتهافت بعضها الى جهة بعض وحصل عن تصادمها انقلاباتٌ لا تُحصَى

هذا اول تفاعلٍ كيماوي حدث بين تلك العناصر فاخرجها عن حالة

سكونها وقد نشأت عنهُ مفاعيل شتى منها ما يرجع الى نواميس الحركة ومنها ما يرجع الى النواميس الكيماوية . فمما نشأ عن نواميس الحركة ان الاشتعال الذي حدث بين غازي الهدروجين والاكسيجين استطار في جميع جوانب الكرة وطبقاتها حتى بلغ الى الطبقات الصلبة فنشأ عن ذلك حركتان في الارض احداهما من جانب السطح وهي حركتها اليومية حول مركزها والثانية في عامة اجزائها وهي الحركة التي اندفعت بها في الفضاء حيث تناولتها نواميس الجاذبية فدارت حول الشمس دورتها السنوية واستمرّت كلتا الحركتين في مجراها اذ ليس هناك ما يدعو الى وقوفها . وترتب على ذلك حدوث النور لانهُ نتيجة الاشتعال الشديد الذي حدث بين العناصر فكانت الارض كوكباً مضيئاً ولبثت كذلك الى ان تمّ اشتعال الغازات الجوّية القابلة للالتهاب

اما الحرارة الذاتية في الارض فمن رأي ترُوسْت انها تنشأ عن رسوب الدقائق وتساقط بعضها على بعض كما تقع المطرقة على السندان فتُحدِث الصدمة اهتزازاً في الدقائق كلما كان ذلك الاهتزاز اسرع كانت الحرارة اشدّ. وقد عُلم بالاختبار ان هذه الحرارة تزداد في كل ٣٠ متراً من العمق درجةً فقُدّر من ثمَّ انها بالغةٌ في جوف الارض الى حدٍّ يعجز التصوُّر عن ادراكهِ بحيث ان كل ما فيها من المواد يكون مائعاً

واما الكهربائية فنشأت عن كيفية تجمُّع الذرّات العنصرية عند احتكاك بعضها ببعض في حال التفاعل والامتزاج بحيث ان ما وقع بينها من الاصطدام كان سبباً في تهييج السيال الكهربائي وكان ظهورهُ عند حدوث

الاشتعال المذكور هائلاً الى ما يفوت حدّ التصوُّر ثم عاد الى حالة الكمون فلا يظهر الا ان يعرض لهُ تهييج ببعض الاتحادات الكيماوية

قال والى هنا كانت الارض خالية عن كل ما يسمى رطوبة ثم نشأ عن اتحاد الهدروجين والاكسيجين تولد المآء وكان في اول امرهِ بالغاً اعظم مبلغ من الكثرة لانهُ كان غامراً لوجه الارض بجملتهِ ثم كان جانبٌ منهُ متخللاً بين اجزآئها بفعل الجاذبية المركزية والجاذبية الشعرية حتى ينتهي الى اقصى الاعماق فضلاً عما كان يملأ الجوّ من بخارهِ ثم يتساقط مطراً

وما ذُكر من تخلل المآء للارض كان ولا شك سبباً لاكثر التفاعلات الكيماوية لانهُ حيثما اخترق فانحصر تحت الضغط الهائل الذي لا بد منهُ في اعماق الارض وهناك من الحرارة ما يتعدى الف درجة يحل ويتبخر فيحدث عنهُ انفجارات عظيمة من ادلتها البراكين والفوّارات الحارّة والزلازل وغيرها من الآثار التي لا تزال تتجدد الى يومنا هذا

ثم تتبَّع الكلام على اكثر العناصر ومركباتها بما يطول سردهُ هنا لكننا نذكر بعض الشيء من اهمّهِ . فمن ذلك الكربون قال فانهُ كان لهُ شأنٌ كبير في تكوين الموادّ الارضية لكن الظاهر ان نوبتهُ كانت في زمنٍ متأخر لان اكثر اصناف الكربونات التي نشاهدها احدث عهداً من سائر المركبات الاولى . وهو يوجد في حالتهِ الطبيعية بشكل ألماس وغرافيت والذي يظهر لنا ان اول ما وُجد منهُ كان على هيئة كُتَلٍ ضخمة ثم لما اشتعل انفصل عنهُ مقدارٌ كبير من الحامض الكربونيك كان معظمهُ منصرفاً الى تكوين الاشجار العظيمة والفحم المعدني وبهما تطهر الجوّ

اما المعادن فان مقرّها في الطبقات السفلى من الارض غير انها لما كانت كلها قابلة الذوبان يقدَّر انها في وقتٍ من الاوقات انقذفت بهيئة سامات اندفعت الى غير بعيدٍ عن سطح الارض وهي الفِلزّات التي يستخرجها المعدّنون واخفّ تلك المعادن الحديد وقد انقذف بمقدارٍ كبير وانتشر بين اكثر الاجزاء المؤلفة منها قشرة الارض

واما الاجسام الصلبة القليلة القبول للذوبان فاشهرها يرجع الى ضربين احدهما المواد السطحية التي نراها ولا يلحقها الا الضغط الجوّي المعتاد ونواميسها معروفة فلا نطيل بالكلام عليها والثاني المواد الغائرة وهي من اهمّ مواضع بحثنا وان كان ما نعلمهُ عنها قليلاً فانّا نجهل في اي درجةٍ من الحرارة وتحت اي قوةٍ من الضغط كانت ولكننا نرى من حالها ما نقف عندهُ موقف الدهش والعجز فان الالماس والصوان باصنافهِ وسائر الحجارة الكريمة التي نُعجَب بصفآئها وجمال الوانها هي مما لا يمكن ان تبلغهُ معاملنا الكيماوية التي تُعَدّ في منتهى الضعف بالقياس الى اعمال الطبيعة وما عندها من القوة الغريبة التي توصلت بها الى صنع هذه الجواهر

وهنا اطال الكاتب في تعديد هذه المواد بما لا يسعنا نقلهُ في هذا الموضع ثم قال وفي الختام نقول انا اذا اعتبرنا جملة الاجسام التي تتركب منها الكرة على ما هي فيهِ من التنوع والكثرة نجد انها لم تتمّ كلها في آنٍ واحد ولعل معظم تكوّنها حدث في العهد الذي كانت فيهِ الارض جرماً مشتعلاً غير ان الحرارة العالية الصاهرة للاجسام لم يكن من الممكن ان تنتشر على درجةٍ واحدة في وقتٍ واحد في جميع اقسام الارض التي تمت فيها التفاعلات

الاولى لان بعضها كان معارضاً للبعض الآخر كالحامض الكربونيك مثلاً والحامض الكبريتوس فانهما يحولان دون عددٍ كبير من التراكيب الاكسيجينية وعليهِ فمن الاشبه ان الاشتعال كان ينتشر حيناً ثم يتوقف لاسبابٍ تعترضهُ ولذلك لم يتمّ تركيب الموادّ على حالتها الحاضرة الا بعد ان اتت عليها اعصارٌ متطاولة

وكذلك يقال ان التبرُّد والتصلُّب في القشرة الارضية لم يتمّا في زمن واحد في جميع سطحها ولذلك كان بعض الجهات صالحاً لأن يكون آهلاً بالسكان بينا كان غيرهُ في حالة الانقلاب العنيف ولعل في هذا تعليلاً لما يظهر لنا من اختلاف حال الانسان في بعض الاعصار السابقة للتاريخ اذ تُرَى آثار تمدنهِ ظاهرة في بعض الاماكن حالة كونهِ في غيرها كان يأوي الى الكهوف

وجملة الامر ان المواد العنصرية كانت في اول نشأتها في حالة السكون والهمود ثم ظهرت فيها الحياة بشعاعٍ ناريّ اخترق احشآءها فجاشت والتطمت وتداخل بعضها في بعض ثم كمنت تلك القوة بعد ثورتها فلم تظهر بعد ذلك الا في الاحيان . فكأن الله لما بث القوة الحيوية في الكائنات قدَّرها اقساطاً فبثها اولاً في العناصر الجمادية حتى اذا فعلت فعلها وقرّت تلك العناصر ظهرت الخلائق العضوية فملأت ما بين السمآء والارض وبذلك كان تمام العمل الذي قصدهُ الخالق سبحانهُ فتدرج من تلك المبادئ البسيطة الى هذا الختام البديع

الملاريا

بقلم حضرة النطاسي الفاضل الدكتور حبيب همام

(تتمة ما في الجزء السابق)

بقي ان نبين علاقة هذه الحميات ببعض الفواعل الطبيعية ووجه نسبتها الى التغليظ في الاكل والتخليط في الطعام فقد تحدث البُرَداء من تأثير البرد أو التعرض للحر أو من تناول الاطعمة العسرة الهضم الكثيرة الحلاوة مما هو مشهور عند عامة القرآء ويمكن ارجاعهُ الى سبب واحد فقط هو التأثير العصبي الذي ينتج عنهُ ضعف عام في البنية وعجزٌ عن مقاومة الجراثيم المرضية التي قد تكون كامنةً في الجسم . ومن هذا القبيل تعليل النُكس في هذه الحميات فقد تعاود نوبها لأقلّ الاسباب التي مر بيانها وذلك لانهُ يكون قد بقي في الجسم بقيّة قليلة من هذه الجراثيم الملارية التي تظهر قوتها ويعظم بطشها بضعف الجسم وعجز الكُريّات عن الدفاع

وهنا لا بد لي من تفنيد رأي القائلين (من العامة) ان قطع نوب البُرَداء باملاح الكينا يعرّض المصاب للنكس من تناول الحلويات فيتركونهُ من يوم الى يوم ومن اسبوع الى آخر حتى تنتهي نوب البرداء من نفسها بعد ان تمنيهُ بنقص الدم وتسوق اليهِ امراضاً قد لا ينجو منها . وحقيقة الامر انهُ اذا كان لم يزل في الجسم بقية من الجراثيم الملارية فهي تعاود النوب من اكل الحلويات وغيرها مما هو عَسِر الهضم سوآء أُخذ الكينا ام لم يؤخذ ولمنع معاودة النوب يجب ان يعيَّن يوم من كل اسبوع يؤخذ فيهِ

خمس قمحات من سلفات الكينا ثلاث مرات في النهار على مدة شهرين من الزمان

اما وجه نسبة هذه الحميات الى الملاريا مع انها ليست من الملاريا في شيء فلانهُ جرى على السنة القوم نسبتها اليهِ من زمان تقادم عهدهُ فقد عُلم ان الحميات الملارية تكثر في الاماكن الاجمِيَّة الحارَّة الكثيرة الحياض والمستنقعات مما ينبعث عنهُ روائح كريهة فكان ذلك داعياً لتوهُّم أن استنشاق مثل هذا الهوآء يسبب الحميات المذكورة ولذلك سميت بالحميات الملاريّة نسبةً الى الملاريا ومعناها الهوآء الرديء . ولبث هذا الرأي معتمداً عليهِ يعلَّم في المدارس الطبية وينادَى بهِ في المحافل العلمية الى ان قام لافران الفرنساوي فأبطل هذا الرأي وذهب الى ان سبب هذه الحميات جراثيم مرضية خاصة تدخل دم الانسان من لسع بعض انواع البعوض ولتحقق ذلك جآء ايطاليا ام البلدان الملارية واقام فيها مدة يبحث في هذه الحميات وينظر في اسبابها حتى ثبت لهُ صحة مدَّعاهُ فكاشف علمآءَها واطبآءَها برأيهِ فانكروهُ عليهِ مدعين ان ما ارتآهُ وعدَّهُ جراثيم مرضيَّة حيَّة هو بقايا كريات حمرآء مندثرة بسبب هذه الحميات الا انهم ماعتموا ان عادوا الى رأيهِ فاشتهر امر اكتشافهِ في جميع البلدان الاوربيَّة وغيرها ثم هبَّ للجري في مضمار هذا البحث رجالٌ وقفوا حياتهم لنصرة العلم وخدمة الانسانية فضربوا في طول الارض وعرضها وحطوا رحالهم في مستنقعات الهند وواحات افريقيا وغيرها من البلاد التي توطنت فيها الحميات الملارية وبحثوا فيها بحثاً قتلوا الاشيآء بهِ علماً حتى اصبح هذا الرأي مما لايختلف فيهِ اثنان وصار حقيقةً

لا تحتاج الى برهان

ومن يعلم ان البعوض يبتلي المرء بالبُرَداء ويمنيه بالادواء يهلع فؤاده عند ما يشعر به يروح ويجيء يطنّ في اذنيه وهو يحاول لسعه ولكن ليس كل البعوض في ذلك سواء فان المعروف منه حتى الآن يربو عن المئة والخمسين صنفاً ليس منها الا صنف واحد تعيش فيه جراثيم الحميات الملارية وهي لا تكون فيه الا اذا لسع مصاباً . وهذا الصنف نادر جدًّا يأوي الى الآجام البعيدة عن الاماكن المأهولة ولا يقتات منه بدم الحيوانات سوى الانثى لان الذكر متقشف يعيش على أري الازهار وعصارات الاثمار وعليه فيكون الخوف منه في كثير من الاحوال في غير محله . لكن لا بد لنا ان نأتي على شيء من وصفه يميزه عما سواه حتى يُعرَف ما ينبغي ان يتوقى منه ويُبذَل الجهد في اتلافه واستئصال شأفته . فهو يختلف عن غيره في جميع اطواره فبيوضه قليلة متفرقة على سطح الماء لا يربطها الا ما يربط الاجسام الخفيفة الطافية اي الجاذبية بخلاف النوع العادي فان بيوضه كثيرة متلاصقة كالبناء المرصوص . وسِرْوه (١) اخف من الماء فلا يغوص فيه الا بجهد وبعكس ذلك سِرْو العاديّ فانه اثقل من الماء يسهل عليه الغوص ويصعب عليه التصعيد فكثيراً ما يشاهَد يتمعج ويتلوى في صعوده حتى يبلغ سطح الماء فاذا اراد الغوص نزل بثقله النوعي بدون عناء . ويُعرَف سِرْو البعوض الملاري بصغر رأسه وسواد لونه وعومه على سطح

---

(١) المراد بالسرو اتقاف البعوض اي فراخه حين تكون دوداً قبل ان تنبت اجنحتها وهي اللفظة التي استعملها الضياء بهذا المعنى واصلها للجراد حين يكون كذلك

المآء بخلاف سرو البعوض العاديّ فانهُ يكون كبير الرأس رماديّ اللون يقضي اكثر اوقاته في العمق فلا يصعد الى سطح المآء الا ليتنفس الهوآء . اما معظم الفرق فيكون بعد خروجه من المآء وركوبه اجنحة الهوآء فالملاريّ يكون رأسهُ على استقامة جسمه فينتصب على السطوح انتصاباً عمودياً ويمتاز بترقيط اجنحته وطول قرنيه على جانبي خرطومه . اما العاديّ فيكون رأسهُ مائلاً على جسمه وجسمهُ مؤازياً للسطوح التي يستقرّ عليها واجنحتهُ مخططة وقرناهُ في غاية القِصَر . وبقي من مميزاته اشياء اخر لا محل لاستيعابها في هذا الموضع . وهو يعيش في المستنقعات والاماكن الرطبة الحارة التي مآؤها اكثر من ان يجفّ في اسبوع واحد واقل من ان يعيش فيه السمك الذي ياكل بيوضهُ ويلتهم انقافهُ . وعلى ذلك تقل الحميات الملارية ايام الشتآء والبرد حين تكون الحرارة دون الدرجة التي تنقف بيوضهُ فيها وتكثر في ايام الصيف والحرّ حين تتوفر لهُ اسباب الحياة والنمو . ومن غريب امره انهُ يلبث هادئاً سحابة النهار ويخلد الى السكينة في ظل الاشجار حتى اذا جن الظلام ركب اجنحة الهوآء وسار في طلب الرزق وهو امرٌ لم يعزب علمهُ عمن يقطنون الاماكن الملارية فقد اخبرني غير واحد ممن اثق بخبرهم ان العملة في عميّق احدى قرى بقاع العزيز يعملون نهاراً في المحل المذكور وينامون ليلاً في القرى المجاورة خوفاً من لسع البعوض هناك وقد اصطلح بعضهم على استعمال طريقة لا بأس من ذكرها هنا وهي انهم يعمدون الى اكياس كبيرة من الخيش فيدخلون انفسهم فيها ويوكُونها اي يشدّون افواهها فوق رؤوسهم ثم ينامون في وسط المحلات

الملارية غير هيابين فقد شوهد ان من يفعل ذلك يأمن من لسع البعوض ومن تصفح تقارير الباحثين في هذا الشأن ووقف على نتائج ابحاثهم وعرف كيف يوقى المرء من البرداء في الاماكن الملارية علم انهم على هدى وظهر لهُ صحة ما اثبتناهُ في هذه العجالة

اما علاج الملاريا الشافي فأخصّ ما فيهِ املاح الكينا على نحو ما تقدم وما خرج عنها فمن خصائص الطبيب واما العلاج الواقي فيقوم بنزح الماء من الاماكن الملارية او ردم مستنقعاتها والتحرز من لسع البعوض والله الواقي

المـاموث

الماموث كلمةٌ مجهولة الاصل وهي اسمٌ لهذا الصنف الهائل من الفِيلة الذي كان قديماً في النواحي الشمالية من الارض وكان اعظم خلقاً من الفيل الافريقي واعرض جمجمةً وانيابهُ اطول واشدّ انحناءً ٠ وقد وُجد منهُ بقايا في اوربا وآسيا واميركا مما يدلّ على انهُ كان منتشراً في منطقةٍ واسعة من الارض ووُجد منهُ بقايا كثيرة في سيبيريا وعلى شواطئ البحر المتجمد وكان ما فيهِ من العاج محفوظاً حفظاً تاماً يُصنَع منهُ كل ما يراد من الادوات. وقد وُجد اثنان منهُ كاملان عليهما جلدهما وعضلهما حتى انهُ لما نُزعا من الجمد كانت الكلاب تاكل من لحمهما وكان جلدهما مكسوًّا بصوفٍ خشن اشقر اللون وشعرٍ طويل اسود قاسٍ يقيهما من البرد في ذلك الاقليم القارس

ويقول پالاس انهُ لا يوجد في جميع روسيا الآسويَّة نهرٌ ولا جدول ولا سيما ما يجري منها في السهل الا يصادَف فيهِ بقايا من هذا الحيوان

وكذا في السفوح السفلى والصحارى الدلغانية والرملية حيث تخترق السيول وتخدّ في الارض الان هذه البقايا عظامٌ متفرقة ولم يوجد منها هياكل كاملة الا في مواضع قليلة منها جثتان كاملتان وُجدتا في جوف الثلوج المتراكمة على شاطئ البحر المتجمد وكل ما وُجد من العظام لم يبلَ منهُ شيءٌ . ويقال انهُ في سنة ١٧٩٩ عاين احد الصيادين عند شاطئ البحر القطبيّ قطعةً من الجمد تتضمن كتلةً هائلة على شكل حيوانٍ ضخم وفي السنة التالية كان الجمد لا يزال مغلفاً لتلك الكتلة فلم يستطع ان يتبين ما هي وفي اواخر الصيف التالي انكشف الجمد عن بعض جوانبها فظهرت خاصرةٌ من الحيوان ونابٌ كامل . واخيراً فانهُ بعد ان اتت خمس سنين على هذه المراقبة تمّ انحسار الجمد عن تلك الجثة فعامت على وجه المآء ثم اندفعت الى الشاطئ فكان الصيادون يختلفون اليها حيناً بعد آخر فيقطعون من لحمها ويطعمون كلابهم حتى كانها قد ماتت من عهدٍ قريب

وعاج الماموث انخر واثمن اصناف العاج وهو كثير الوجود في نواحي الدائرة الشمالية والاهالي هناك ينتشرون في مدة الصيف يبحثون عنهُ على شواطئ الانهار لانهُ عند حدوث الطغيان في زمن الشتآء تنهار الاجراف التي اندفنت تحتها تلك الجثث الهائلة فتظهر هيا كلها مبعثرةً على الشواطئ فيجمعونها ويتركونها الى الشتآء المقبل حين تصبح المواضع التي وُجدت فيها قابلةً لأن تُجرّ عليها الزلّاجات التي تُحمل عليها عادةً فينقلونها الى مواطنهم . وقد جُلِب منها سنة ١٨٩٨ الى سوق ياقوت وهي بلدةٌ هناك مشهورة بتجارة العاج اثنان وثلاثون الف كيلغرام وهم يجلبون مثل هذا المقدار في كل سنة

والماموث من الحيوانات التي انقرضت من عهدٍ بعيد وقد اخذهُ الموت بغتةً بانقلابٍ عنيف من انقلابات الدهر الرابع اي من قبل وجود الانسان فاندفنت اسرابهُ حيةً تحت اتربة تلك الارض ولا تزال جثثها محفوظةً اتمّ الحفظ بما هنالك من البرد الشديد حيث تختلف الحرارة بين ثلاث درجات فوق الصفر وخمسين درجة تحتهُ حتى تُرَى كانها قد دُفنت بالامس . وقد ذكر المسيو بُونْج في مؤتمر موسكو سنة ١٨٩٢ ان الكلاب التي كانت معهم كانت تاكل من مخ عظام الماموث التي يكسرونها وكان الياقوتيون يتخذون لهم مآدب من اطراف الغضاريف المتصقة بالعظم

وذكر بيلنغ ان ناب الماموث يعدل ناب الفيل في البياض ودقّة البناء ولكنهُ على شكلٍ لولبيّ يشتدّ انحناؤهُ حتى يبلغ نحو ثلاثة ارباع دائرة وقد وجد منهُ ما اذا بُسِط يبلغ طولهُ مترين وستين سنتيمتراً وذكر أَدَمْس انهُ رأى ناب ماموث طولهُ سبعة امتار ومن هنا يتمثل الانسان طول هذا الماموث الذي كان مسلَّحاً بمثل هذا الناب . وروى پاپين ان من الماموث ما يكون نابهُ متعطفاً في شكلهِ اللولبيّ على ثلاثة ادوار كقرون بعض الايائل وهو نادر

والاظهر ان الماموث لم يكن من الوحوش المفترسة وانما كان من آكلات النبات كما يُستدَلّ على ذلك من خلقة اسنانهِ ولهُ طواحن يمكن ان يسحن بها الحصى ولكن ليس في فكيهِ ما يدلّ على انهُ كان ياكل اللحم ويُرَى في الاماكن التي توجد فيها عظامهُ حطبٌ متحجر مما يدل على انهُ كانت هناك ادغالٌ كان يرتعي فيها . واما انيابهُ فالظاهر انها

كانت سلاحاً لهُ يدفع بها عن نفسهِ وآلاتٍ يهصر بها اغصان الشجر اي يعطفها اليهِ ليتناول ورقها وقد انقرضت تلك الاشجار معهُ حتى انهُ الى مسافة ٤٠٠ كيلومتر من جنوبيّ الارض المدفونة فيها جثتهُ لا يوجد من النبات الا اشجارٌ ضئيلة لا يزيد ارفعها على طول عوسجةٍ مما في النواحي المعتدلة

وقد اندفن ايضاً مع الماموث حيواناتٌ أُخر مما كان لعهدهِ في تلك الارض عدّ منها تشرْسكي خمسة وعشرين نوعاً ذكر في جملتها الفهد والدبّ الاغثر والضأن البرّي والأيّل وبقر المسك والفرس الوحشي والكلب الداجن وغيرها وكلها باقية الى اليوم في حالة التجمد لم يكد يطرأ عليها تغيير

غرائب النسل

لا يخفى ان امر كثرة النسل وقلتهِ من الاسرار الغامضة التي لم يتوصل العلماء الى الوقوف على اسبابها . على ان من تلك الاسباب ما يكون عارضاً اما على الشخص كالتعرض لاسباب الضعف والايغال في اتّباع الشهوات واما على الأُمّة كنشوب الحرب ولا سيما اذا طالت كما هو الحال اليوم في بلاد الترنسفال . ويؤيد ذلك ما ذكرهُ بعض اهل الاحصاء عن بلاد باڤاريا من ان معدّل المواليد فيها قبل حرب فرنسا وبروسيا سنة ١٨٧٠ كان ١٦ الفاً في الشهر وفي مدة الحرب نزل هذا العدد الى ألفين ثم انهُ بعد انقضاء الحرب ورجوع الجيش ارتقى العدد المذكور الى ١٨ الفاً . ثم من المقرر ان المواليد في القُرَى والضواحي تكون اكثر منها في المدن لان الهواء ثَمَّ يكون اصحّ

وجهد المعيشة اقلّ . وربما كان لبعض البلاد خصائص في ذلك فقد ذُكر ان بلاد اسوج اكثر نسلاً من سواها فلا يكون ولد الرجل في الغالب اقلّ من ٨ الى ١٢ واحياناً يبلغ ٢٥ الى ٣٠ ويقال ان شمالي اميركا كذلك ولا سيما في الكبك والحكومة هناك تجيز على كثرة النسل فتجعل لرب الأُسرة الذي لهُ ١٢ ولداً نحو ٥٠٠٠ متر مربع من الارض وقد جآء في احصآء سنة ١٨٩٥ ان اصحاب هذا الامتياز كانوا ١٧٤٢ رجلاً وكان فيهم واحدٌ يقال لهُ بولس بلَنْجَر وهبت لهُ الحكومة ١٥٠٠٠ متر مربع لانهُ كان لهُ ٣٦ ولداً

اما تعدد الأجنّة في الحمل الواحد فقد ذُكر منهُ في التاريخ ما ينتهي الى ابعد حدٍّ من الغرابة على ان ما تجاوز التوأمين منهُ لا يكون الا نادراً . وقد ذكر بعض المحققين بعد ان استقرى عدد المواليد فيما يزيد على عشرة ملايين وَضْع ان ذوات التوأمين لم يزدنَ على واحدة في كل ٨٨ وذوات التوائم الثلاثة كنَّ واحدة من ٧٩٠٠ وذوات الاربعة واحدة من ٣٧٠٠٠٠ امرأة واما فوق ذلك من ذوات الخمسة او الستة ففي منتهى الندور

فمن اللواتي وضعنَ اربعة توائم امرأةٌ ورد ذكرها في سجلّ المواليد في باريز وهي واحدة من ١٠٨٠٠٠ امرأة في مدة ٦٠ سنة . وذُكر مثل ذلك عن اربع نسآءٍ اخر احداهنَّ سنة ١٨٩٠ ولّدها الدكتور دُي ليُون والثانية سنة ١٨٧١ وهي زوجة رجل اسرائيلي مقيم في كُرلَنْد والثالثة سنة ١٨٥٦ في قرية يوكينا والرابعة ذكرها بَدفُرْد قال ولدت اربعة توائم كان وزن كلٍّ منهم خمس ليبرات وكانت ترضعهم جميعاً

واما ذوات التوائم الخمسة فذُكر منهنَّ اثنتان وضعتا في سنة ١٧٣١ احداهما في سَكْس العليا والاخرى في پراغ وعاشوا كلهم . ثم انهُ في مارس من السنة نفسها ولدت امرأةٌ في لندرا ثلاثة ذكور وانثى وبعد ثلاث سنوات ولدت اخرى في سُومَرْسة اربعة ذكور وانثى وكانوا كلهم اصحآء الاجسام . وذُكر اثنتان اخريان احداهما من اهل نابُلي سنة ١٨٣٩ والاخرى ذكرتها جريدة اللانسِت سنة ١٨٥٤

واما من ولدت ستة فرُوي ان امرأةً في درُوپيّن وضعت في ٣٠ دسمبر سنة ١٨٣١ ست بنات كنَّ كلهنَّ كاملات الخلقة واجسامهنَّ لا تكاد تصغر عن سائر المواليد لكنهنَّ متنَ باجمعهنَّ في اليوم الثاني . وحدث مثل ذلك في ايطاليا سنة ١٨٤٤ وكذا في فرنسا سنة ١٨٤٧ وهؤلآء مات منهم اثنان وفي لُوركا من اسپانيا سنة ١٨٨٥ ولم يعش منهم الا واحد

ثم ان الحمل المتعدّد ربما تكرر مع المرأة الواحدة فقد ذكر كلٌّ من ارسطو وپلينوس من وضعت خمسة اولاد في بطنٍ واحد وتكرر لها ذلك اربع مرّات . وذكر امبرواز پارّاي ان زوجة اللُرد دُي ملدمان وضعت في الحمل الاول توأمين وفي الثاني ثلاثة وفي الثالث اربعة وفي الرابع خمسة وفي الخامس ستة وفي هذا الوضع الاخير هلكت . والروايات من مثل ذلك كثيرة فلا نطيل بذكرها

اما ما يمكن ان يبلغهُ عدد مواليد المرأة في غير ما ذُكر من الاحوال الشاذّة فقد روى أتكِنْسون ان امرأةً تزوجت في سن السادسة عشرة وتوفيت في سن الرابعة والستين فوضعت في هذه المدة ٣٩ ولداً من غير

إتآم وكان منهم ٣٢ بنتاً و ٧ بنين وكلهم بلغوا سن الحلم ٠ ومثل ذلك ما رواهُ تُورَسْبي في تاريخ لِدْز سنة ١٨١٥ عن امرأة رجلٍ من قرية هرْتْفُرد يقال لهُ وليم غرنهيل ولدت لهُ ايضاً ٣٩ ولداً ٠ وقُرِئ على مدفنٍ في كَرْنْفُنْشير من كُنْوَاي ما صورتهُ « هذا مدفن نقولا نُوكْس وهو الحادي والاربعون من ولد ابيهِ وليم نوكْس وقد كان ابا ٢٧ ولداً توفي في ٢٠ من شهر مارس سنة ١٦٣٧ »

واما ما يمكن ان يولد للرجل الواحد اذا تعدد زواجهُ فالظاهر انهُ لا يقف عند عددٍ محدود ومما يُذكَر في هذا المقام خبر رجلٍ ايطالياني يقال لهُ لويس أَربا سافر من بلدهِ سنة ١٨٩٠ وهو في سنّ الاربعين فساح سياحةً طويلة وكان حيثما حلّ يتخذ لهُ امرأةً وبعد ان مضى عليهِ سبع سنين في هذه السياحة جمع نسآءهُ في پُولينيزيا فكان لهُ منهنّ ٣٧٠ ولداً ٠ على ان مثل هذا لا غرابة فيهِ وان كان نادر الوقوع ومن تفقد تواريخ بعض أُسر الملوك في الشرق وجد من ذلك امثلةً قد تربي على ما ذكر والله اعلم

اسئلة واجوبتها

القاهرة — وقفت في مجلة المشرق الغرآء على سؤالٍ من حلب من حضرة القس ميخائيل اخرس بهذا النص « يقول اهل العلم في زماننا ان الارض تكونت من الشمس والحال ان الشمس خلقت في اليوم الرابع والكتاب يقول في البدء خلق الله السماوات والارض فينتج منهُ ان الارض خلقت في اليوم الاول فهل كانت هذه الارض التي خلقها الله في البدء ارضنا هذه . لكن بما انها كوكب كسائر الكواكب

مثل الزهرة او المشتري او المريخ وبما ان الكواكب خلقت في اليوم الرابع فكيف تكون ارضنا التي هي اشبه بهذه الكواكب قد خلقت في اليوم الاول »

ورأيت بعدهُ الجواب بتوقيع « ا . ص » بهذا النص

ج اولاً قولكم بان اهل العلم في زماننا يقولون بان الارض تكونت من الشمس ولو لم يكن حقيقةً ثابتة هو المذهب الراجح عند العلماء ...

ثانياً لما قال الكتاب ان الله في البدء خلق السماوات والارض عنى بذلك خلق الكائنات كلها بنوع اجمالي ثم اخذ في الكلام بالتخصيص على كل نوع من المخلوقات من نور وسماء وارض ونيرات الخ ...

ثم قال غير انهُ اذا لاحظنا ان الكتاب يذكر خلق الارض في اليوم الثالث وخلق الشمس في اليوم الرابع ظهر ان المشكل لم ينحلّ بل يزيد ارتباكاً (زه) . والجواب عليهِ انهُ ذكر الشمس في اليوم الرابع بصفة جرم نير للارض لا بصفة جرم بسيط فلا يمتنع ان تكون الشمس قد وجدت قبل الارض كجرم انفصلت عنهُ الارض وان تكون الشمس بعد الارض بصفة نير لان الشمس لم تكن دائماً منيرة . اه

اما انا فلم يقنعني هذا الجواب ولاسيما انني عندما راجعت الكتاب وبحثت عما تم خلقهُ في اليوم الرابع وجدتهُ يقول « فصنع الله (في ذلك اليوم) النيرين العظيمين .. والكواكب وجعلها في جلد السماء لتضيء على الارض » . فهذا لا يدل على ان الشمس كانت موجودة من قبل ولو كانت موجودة « كجرم بسيط » وكان المقصود انهُ زاد عليها الانارة فقط لقال فجعلها منيرةً ولم يقل صنعها . ويؤيد ذلك قولهُ « وجعلها في جلد السماء » فاذا فرضنا انها كانت موجودة من قبل فاين كانت يا ترى واذا لم يكن لها محلّ الا جلد السماء فكيف يقول « وجعلها في جلد السماء »

والحاصل ان هذا الجواب قد اوقعني في « ارتباكٍ » عظيم كما اقلق افكار كثيرين من القرآء فارجو ان تميطوا لنا الحجاب عن هذه المسئلة ازالةً للشبهات التي القاها هذا التفسير على عبارة الكتاب ولكم الفضل والثواب يعقوب الجمال

الجواب — اما مسئلة تكوُّن الارض من الشمس وزعم صاحب الجواب ان هذا هو المذهب الراجح اليوم عند العلماء فالصحيح ان ما ذكرهُ هو احد قولين معروفين عند اهل هذا العلم والقول الآخر ان الارض وُجدت قبل الشمس طبقاً لما ورد ذكرهُ في الكتاب والظاهر ان هذا هو الرأي المرجح بأدلةٍ سنوردها في فصلٍ مخصوص نشرح فيهِ هذين القولين في احد الاجزاء الآتية ان شاء الله

واما زعمهُ ان الكتاب ذكر الشمس في اليوم الرابع بصفة جرمٍ نيرٍ لا جرمٍ بسيط (ولا نفهم معنى البسيط هنا) فان السيّارة لم تنفصل عن الشمس في القول الذي ذكرهُ الا بعد ان اخذ السديم الذي تكونت منهُ يتقلص برسوب الجواهر المنتشرة فيهِ وتجمعها في مركزهِ فهو لم يبلغ ان تنفصل الارض عنهُ اي بعد ان تقلص مما وراء نبتون حتى بلغ فلك الارض الا وقد كانت الشمس شمساً منيرة منذ ادهارٍ لا تحصى

وبقي هنا قولهُ ان الله خلق الارض في اليوم الثالث وهو غير المنصوص عليهِ في الكتاب ولكن الذي ذُكر هناك ان الله امر ان تجتمع المياه التي تحت السماء الى موضعٍ واحد وانَ يظهر اليبس . . ولا يخفى ان هذا فضلاً عن كونهِ لا يتضمن خلق الارض في ذلك اليوم يدلّ على انها كانت موجودةً من قبل وان المياه كانت غامرةً لليبس فامر الله بان تنكشف عنهُ ليظهر عليهِ النبات الذي ذُكر خلقهُ في اليوم نفسهِ كما يتبين كل ذلك جليّاً من مراجعة الموضع المذكور

آثار ادبيّة

ديوان حافظ — تلقينا نسخةً من هذا الديوان اللطيف وهو مجموع المنظومات التي جادت بها قريحة الشاعر العصريّ المشهور حافظ افندي ابراهيم وفي شهرة الناظم ما يغني عن اطراء شعرهِ وبيان منزلتهِ من الرقة والابداع وما أُودعهُ من محاسن التفنن ودقائق الاختراع . وقد صدّرهُ بمقدّمةٍ نفيسة في تعريف الشعر

وبيان اغراضهِ ذهب في الكثير منها مذهب الشعر نفسهِ مما دلّ على ان من النثر شعرًا وان من الشعر سحرا

وقد طُبع هذا الديوان مشروحاً بقلم حضرة الاديب محمد بك هلال ابراهيم بعد ان صدّرهُ بمقدّمةٍ اخرى المّ فيها بتاريخ الشعر في الاسلام وما مرّ بهِ من الاطوار الى زمننا الحاضر وهو الزمن الذي اخذ فيهِ يستعيد رونقهُ القديم بعد ما عبثت بهِ ايدي الصناعة اللفظية واخرجتهُ عن حقيقتهِ فأجاد في ذلك وافاد

بيد أنّا لا نجد في هذا المقام بدًّا من الاشارة الى شيءٍ مما يتعلق بهذا الشرح وهو ما نظنّ انّا نترجم بهِ عن رأي اكثر من اطّلع عليهِ من الادباء وذلك اننا عند تصفحنا للديوان لم نكد نجد فيهِ ما يدعو الى الشرح او التفسير لتوخي الناظم الالفاظ المأنوسة والتراكيب السهلة والمعاني القريبة المأتى دون الايغال في عويص اللغة والابعاد في المغازي الى ما يفوت ذهن المطالع وهي المزية التي عُرف بها هذا الشاعر والحلية التي يوصف بها شعرهُ واللون الذي تتمثل بهِ صورة كلامهِ في الاذهان ولذلك لم يكد الشارح يجد ما يخدمهُ بهِ ولم يرَ ان يقتصر على تفسير الغريب وحدهُ لانهُ لا يتعدى الفاظاً معدودة اكثرها يعرف بالقرينة فانصرف الى تفسير المعروف بالمعلوم والواضح بالبين والجليّ بالظاهر وربما فاتتهُ هذه المنزلة احياناً فالقى المطالع في اشكالٍ لو خلى بينهُ وبين لفظ الشاعر لم يكن لهُ اليهِ سبيل . ونحن نستأذن حضرة الشارح الاديب في ايراد شيءٍ من شرحهِ والتنبيه عليهِ قياماً بحق النقد الذي لا يجهل منزلتهُ ولا سيما وهو يقول انهُ تحرى بهذا الشرح فائدة القرآء ولا سيما الناشئة من تلامذة المدارس مما كنا نودّ لو وفاهُ حقهُ من التمحيص والتدقيق ولا نحسبهُ يعتدّ بما اعتذر بهِ في هذا المقام مما يجوز ان يكون عذرًا لهُ عند الناقد ولكنهُ لا يعذرهُ عند المستفيد

فمن امثلة ذلك ما ورد لهُ في صفحة ٣١ من تفسيرهِ المشية (بالكسر) بقولهِ « اسم الفعل من مشى » . ومثلهُ قولهُ في صفحة ٦٢ « هزَّهُ اليهِ او لهُ اي ارتاح اليهِ فنشط لهُ واسم الفعل هزّة بكسر الهآء » . اهـ . وكلٌّ من هذين اللفظين لا يقال لهُ

اسم فعل انما المشية من المصادر الدالة على هيئة الفعل كالرِكبة والجِلسة . والهزّة اسمٌ للمصدر وهو الاهتزاز كالرِحلة من الارتحال والرِدّة من الارتداد . و بقي تفسيره هزّهُ اليهِ بارتاح اليهِ وهو عكس المعنى لان الارتياح يكون تفسيراً للاهتزاز الذي هو مطاوع هزَّ لا تفسير هزَّ وكان الوجه ان يقول هزَّهُ اليهِ اي حركهُ ونشطهُ كما يؤخذ من عبارة القاموس . ومن ذلك قولهُ في صفحة ٧٠ «القاضبات جمع قضبة بفتح القاف وسكون ما بعدها وهي اللطيف من السيوف » فجعل القاضبات جمع قضبة ولا يخفى ما فيهِ على ان القضبة لم ترد بمعنى السيف . وفي صفحة ٨٣ « فقه الشيء بفتح الفاء وضمّ القاف اي علم بهِ وفهمهُ » والصحيح ان هذا الفعل بكسر القاف لان فَعُلَ المضموم العين لا يكون الا لازماً وشذّ من ذلك افعالٌ محفوظة ليس هذا منها . وفي صفحة ١١٢ « المكسال مؤنث كسول » ولا ندري كيف ذلك . وفي صفحة ١١٧ « انكرهُ باعدهُ » ولم يسمع استعمال انكرهُ بهذا المعنى وانما هو ضدّ عرفهُ . وفي هذه الصفحة « الرُّوآء بتشديد وضم البهجة والنضارة » فعدّ التشديد من ضبط الكلمة . وفي صفحة ١٢٢ « الآناء جمع آن وهو الحين والوقت » . والصواب ان الآناء جمع انى بفتحين او بكسر ففتح وهو الساعة . وفي صفحة ١٥٣ « الشقّ بكسر الشين الكاهن » ولم يحكَ الشق بهذا المعنى وانما هو بغير أل علمٌ لكاهنٍ بعينهِ كما ذكرهُ بعد ذلك . وفيها « وحدثان الدهر بفتح الحاء وسكون الدال او بخفض فسكون نوائبهُ » والصواب ان الاول بفتح الحاء والدال . وقولهُ بعد ذلك بخفضٍ فسكون استعمل الخفض هنا مكان الكسر كما قال في صفحة ٢٨ « لما بمعنى لم حرف نفي وسكون » يريد بالسكون الجزم ولا يخفى الفرق بين الاصطلاحين . وهذا القدر كافٍ في هذا المقام لان مقصودنا منهُ التنبيه و يقيننا في حضرة الشارح ان لا يرى فيما اثبتناهُ هنا غير الاخلاص في خدمة العلم التي هي ولا ريب غرضهُ الاقصى والله المسؤول ان يسددنا جميعاً الى الصواب وهو حسبنا

فكاهات

رواية

السر الدفين (١)

هي رواية واقعية نقلها المؤلف عن جريدة نشرتها في حين حدوثها كما سيتبين لك من مطالعتها وقد آثرنا تعريبها لما فيها من لطيف الفكاهة والدلالة على المقدرة الغريبة التي امتاز بها رجال الشحنة السرية في البلاد الاوربية ولعلها لا تخلو من تبصرة لاصحاب هذه المهنة الدقيقه قال

كانت فتاة تتناول طعام الظهر في احد مطاعم باريز وقد جلست الى مائدة عليها الوان الطعام واذا برجل معتدل القامة متوسط العمر قد جآء فانحنى امامها واستأذن ان يجلس الى مائدتها لانهُ لم يجد في المطعم مكاناً فارغاً لجلوسهِ. فاذنت لهُ الفتاة فجلس وطلب ما شآء ثم اخذ يلتهم طعامهُ بسرعة مما دلّ على شرود افكارهِ واهتمامهِ بامرٍ عظيم وكان كمن يفيق من سبات نومٍ عميق فيكلم الفتاة مرةً بعد اخرى بما تقتضيهِ الحال وآداب المجالسة ثم تسطو عليهِ افكارهُ فيستغرق في تأملات بعيدة حتى فرغ من طعامهِ فدفع ما عليهِ ثم نهض فودّع الفتاة بعد ان شكرها وخرج . وكان في احدى زوايا المطعم رجلٌ طويل القامة ذو عينين صغيرتين براقتين تنبعث منهما نار الذكآء والحدة . فلما خرج الرجل الاول جآء هذا الى مائدة الفتاة و بعد ان حياها بلطفٍ قال أتأذنين لي ان اجالسكِ هنيهةً ايتها الكاتبة الفاضلة . وعرفتهُ الفتاة في الحال انهُ احد رجال الشحنة السرية المسمى شبرد فترحبت

---

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

بهِ وسلمت عليهِ ثم قالت عسى ان يكون لديك من الاخبار الجديدة ما اكتبهُ الى جريدتي في انكلترا فقد قرب ميعاد صدورها ولم اتمكن من سماع شيءٍ جديد يلذّ قرّآئي . قال ربما تجدين في حديثي ما ينفعكِ ولكن من هذا الرجل الذي كان ياكل معكِ الآن . قالت لست اعلم عنهُ شيئاً البتة ولم اره قبل اليوم وقد استأذنني في الجلوس على هذه المائدة لعدم وجود محلّ آخر فأذنت لهُ . فقال شبرد لا بأس وقد كنت اخشى ان يكون لكِ علاقةٌ معهُ وهذا ما دعاني الى المجيء اليكِ لانبهكِ الى التحذر منهُ لعلمي انكِ تجهلين تاريخ ماضيهِ فاذا التقيتِ بهِ مرةً اخرى فاياكِ من اظهار معرفتكِ بهِ فهذا الرجل قد قتل وسرق في حياتهِ وهوالآن يتيه من مكان الى آخر ولاطارد لهُ الاضميرهُ . وقد ساعدهُ التوفيق ان أغفلت الحكومة امرهُ ولم تعد تهتمّ بالبحث عنهُ اما انا فدفعتني فطرتي الى تعقبهِ وهو الآن في قبضة يدي ولا يعلم سرهُ الا الله وأنا فان شئتُ دفعتهُ الى يد القضآء وان شئت تركتهُ كما تركتهُ الحكومة وهي لم تفعل ذلك الا لعدم معرفتها بهِ . فاسمعي اقص عليكِ من تاريخهِ ما تقضين لهُ العجب العجاب

تعلمين ان في لندن سككاً حديدية تحت الارض تخترق من احدى جهتي المدينة الى الاخرى ففي ذات يومٍ بعد ما بلغ القطار آخر محطاتهِ ونزل الركاب جعل المفتش يبحث كعادتهِ في العربات لعلهُ يجد شيئاً قد نسيهُ المسافرون في عجلتهم فيأخذهُ الى غرفة الامانات الى حين طلبهِ . فبلغ عربةً في الدرجة الاولى ولما فتح بابها رأى فتاةً لا تزال جالسة على المقعد وقد حوّلت وجهها الى نافذة الغرفة وفي شمالها محفظة من الجلد وقد اماطت شيئاً من قفازها عن يمينها فظهر من تحتهِ ابهامها ومعصمٌ كالفضة النقية . فقال المفتش قد بلغنا المحطة الاخيرة ايتها السيدة فالى اين تقصدين . ولما لم تجبهُ اقترب منها بغاية اللطف وقد ظنها نائمة ولكنهُ ما عتم ان تحقق ان الفتاة ميتة . وكانت ملامحها تدل على هيئة جميلة غير انها كانت جاحظة العينين وقد ارتسم على وجهها اللطيف آثار تشبه آثار الخوف الشديد كأنها رأت منظراً افزعها ثم باغتها الموت فبقي اثر الخوف بادياً على وجهها

فاستدعى المفتش للحال بعض رجاله ووجههم الى اماكن الاقتضاء ولم يمضِ الا قليل حتى جاء ناظر المحطة والطبيب ورجال الشحنة السرية . فكُتب المحضر اللازم واخذ الشحنة ما يلزمهم من التعليمات وقرر الطبيب بعد الفحص الدقيق ان الفتاة ماتت فجاءة وان موتها لم يكن عن مرضٍ داخلي كان مستحوذاً عليها بل من رعبٍ شديد استوقف حركة قلبها أو شيءٍ آخر حدث لها كتعاطيها السم مثلاً . ثم بحث الشحنة في محفظتها لعلهم يهتدون الى اسمها فلم يجدوا فيها سوى بعض قطع من النقود الفضية وزجاجتي املاح يتنشقها المصابون بآلام الصداع وزجاجةٍ صغيرة فارغة استلمها الطبيب و بعد دقة التحليل قرَّر انها كانت تحتوي على الحامض البروسيك وهو اشد السموم فعلاً

و بعد ان اتم كلٌّ مهمتهُ نُقلت الجثة الى مركز الشحنة وأُعلن امر الحادثة حتى اذا كان للميتة اهلٌ او معارف يعرفون جثتها و يستلمونها . فجعلت الجماهير ترد الى المحل المذكور واكثرهم يدفعهم التطالّ الى مشاهدة الجثة الى ان غربت الشمس واذا بعربةٍ يجرها اثنان من جياد الخيل ينهبان الارض حتى بلغا الموقف فترجل من العربة رجلٌ في عنفوان الشباب جميل الهيئة حسن اللباس فتقدم الى رئيس الشحنة والقى بطاقةً باسمهِ وهو المستر هزلدين وقال انهُ كان ينتظر زوجتهُ في البيت فابطأت ثم قرأ تلك الحادثة في احدى الجرائد فقلق فكرهُ وجاء بقصد الاستعلام . فقادهُ الرئيس الى حيث الجثة مسجَّاةٌ على دكة مرتفعة فما وقعت عيناهُ عليها حتى اكفهرّ لونهُ وتساقطت دموعهُ كوابل المطر وجعل يردد كلاماً تقطّعهُ الزفرات المتصعدة عن صدرهِ وكان ما خشيهُ هو الحقيقة فان الجثة هي جثة زوجتهِ

ورأى الشحنة وجوب ارجاء الفحص الى الغد فاذنوا لهُ في الجثة فنقلها الى بيتهِ حيث احتُفل بمأتمها ونقلت الى المدفن يشيعها ذلك الزوج الحزين وقد فقد اعز شيءٍ لديهِ في العالم باسرهِ

ولما كان لا بد من معرفة سبب موت الفتاة ومعرفة قاتلها اذا كان هناك قتلٌ عقدت ادارة الشحنة جلسة و بدأت بحسب قوانينها تأخذ الاستعلامات اللازمة

والتقارير الشرعية وكان اول من طُلب تقريرهُ في تلك الجلسة المستر هزلدين زوج المتوفاة . فلما دخل الغرفة شعر جميع الحاضرين بحزنهِ العميق وتأسفوا لمصابهِ وظهر من بيانهِ انهُ تزوج بالمتوفاة منذ ست سنوات كانت كلها ايام سرور وهنآء ولم يرزقهما الله بنين . وانها كانت متمتعة باحسن صحة الا في المدة الاخيرة فانها اصيبت بالنزلة الوافدة وعالجها الدكتور جونسن وهو الذي يمكن ان يستفاد منهُ هل تسبب لها عن هذه العلة ضعف في القلب عقبهُ هذا الحادث . وكان قاضي التحقيق يود ان يوجه الى الرجل بعض الاسئلة ولكنهُ كان يحجم لما يراهُ من شدة حزنهِ وانكسارهِ الا انهُ رأى نفسهُ مدفوعاً بواجباتهِ الى القآء الاسئلة فقال لهُ هل لاحظت شيئاً في زوجتك المرحومة يدل على اختلالٍ في عقلها . قال لا وانما كانت بعض الاحيان تحادثني وهي ضاحكة في منتهى السرور ثم تنقلب فجأةً الى هيئة حزنٍ فتجلس على حدةٍ كمن يفكر في امر ذي بال ولم اكن اسألها عن افكارها لظني انها تحب اخفآءها . قال القاضي وماذا تظن بزجاجة الحامض البروسيك التي وجدناها معها وهل تعتقد انها هي انتحرت . قال هزلدين معاذ الله فانهُ لم يكن لها من دافعٍ الى ذلك وانني في صباح امس خرجت من البيت وتركتها في حالة سرور وانبساط ووعدتها ان نذهب مسآءً الى الاوبرا فاظهرت ارتياحها الى ذلك وقالت لي انها ستذهب في مدة غيابي لشرآء بعض الحاجات وزيارة بعض الاصدقآء . قال القاضي وهل تعلم اين كانت تقصد حين ركبت القطار تحت الارض . قال لا اقدر ان اقول عن تحقيق ولكن يغلب على ظني انها ذهبت الى شارع بوند حيث اعتادت ان تشتري حاجاتها . قال القاضي اعذرني يا مستر هزلدين اذا اكثرت من الاستقصآء في السؤال فاننا يهمنا التدقيق في التفاصيل لنتمكن من اكتشاف الحقيقة التي نسعى اليها فهل لك ان توضح لنا تماماً هل كانت المرحومة قد وقعت في ضيق مالي او هل كان لها صديقٌ يتردد عليها على غير رضاك . فقال اني كنت وزوجتي في سعة ورخآء ولم يصادفنا ضيقٌ مالي قط اما ان زوجتي كان لها صديق يزورها بدون رضاي فمما لم يكن البتة

ثم عاد القاضي الى الطبيب فسألهُ ان يحقق لهُ اذا كان يعلم هل الموت

طبيعي او مسبب عن حادث . فقال الطبيب قد اثبت لنا البحث انها لم تمت موتاً طبيعياً ولكنها تسممت بالحامض البروسيك . قال اذن نعتقد على رأيك انها انتحرت بتعاطي هذا السم . قال كلا لم اقل ذلك ولا احتم انها انتحرت لكن من المحقق عندي ان موتها حدث عن السم المذكور واما هل تعاطتهُ طوعاً او كرهاً او بدون علم منها فهذا ما لا احكم فيهِ ويغلب على ظني انها حُقنت بهذا الحامض تحت الجلد فماتت في اقل من دقيقتين . وارى ان سيدة مثل التي فحصتها لا تقدم على حقن نفسها بهذه الطريقة التي تستدعي منتهى الجراة والشجاعة فلا بد اذاً من يدٍ اخرى اشتركت في العمل وحقنتها بهِ في محلٍ خفي فسبب موتها . فزاد تقرير الطبيب هذا اهمية الامر ووجد قاضي التحقيق والشحنة ان المسئلة اصعب مما خطر لهم لاول وهلة فجدّوا في البحث عن المظانّ التي توصلهم الى سرّ القضية واكثروا من الاستعلامات والتقريرات من كل من كان لهُ ادنى اتصال بهذه الحادثة

وعلم القاضي في تحقيق آخر من خادمة المتوفاة ان مولاتها خرجت في الصباح بقصد ابتياع بعض الثياب لحضور الاوبرا في ذلك المسآء وانهُ قبل خروجها زارها صديقٌ لها يدعى المستر ارنتون وان هذا الرجل كان يزورها من حين الى آخر ويظهر ان المستر هزلدين لم يكن يميل اليهِ كثيراً . فابرقت اسرة القاضي لانهُ كان يحاول معرفة هذه الحقيقة واعاد البحث من هـذه الجهة فظهر لهُ ان الزوج لم يكن يرتاح الى زيارات ارنتون ولكنهُ ما كان يهتم بها وان المستر ارنتون فتىً مثر لا يتعاطى عملاً وهو منقطع في بيتهِ لدرس الكيميآء . واقتضى هذا التصريح استدعاًء المستر ارنتون فلما دخل المحكمة امتقع لونهُ وتلجلج منطقهُ ولا عجب فمثل تلك التهمة ودخول المحاكمة لاول مرة يلقيان رهبةً على المتهم . والذي زاد الطين بلة ان المستر ارنتون كان قد قطع جواز السفر في ذلك اليوم الى اميركا ففتح ذلك سبيلاً للظن بان لهُ يداً في حادثة اليوم السابق وانهُ يهرب للتخلص من عواقبها

ثم استدعي شاهدٌ آخر فذكر عن نفسهِ انهُ ركب القطار المذكور من اول الخط وانهُ حالما دخل الغرفة وجد السيدة المشار اليها فجلس في الجهة المقابلة لها وكان

في يدهِ جريدة فاشتغل بقرآءتها ولم ينتبه الى شيء آخر سوى انهُ عند الموقف الثاني دخل الغرفة رجلٌ ربعة القامة متوسط العمر بلباس عاديّ ويظهر انهُ يعرف السيدة فحياها واجابتهُ بابتسام ثم اخذا في حديثٍ لم يسمعهُ الشاهد لاستغراقهِ في القرآءة وانهُ في منتصف الخط نزل من القطار فرأى الرجل يودع السيدة ايضاً فهزّ يدها وقال الى الملتقى هذا المسآء فقالت الى الملتقى ونزل الشاهد الى الرصيف ونزل الرجل ايضاً معهُ . ثم ان الشاهد التقى بصديق لهُ فوقفا يتحادثان ريثما تحرك القطار للمسير فاستأذنهُ الصديق وركب القطار وكان ركوبهُ في نفس العربة التي كانت فيها السيدة . فطلب قاضي التحقيق من الشاهد ان يرى المستر ارنتون لعلهُ يكون هو الرجل الذي ركب معهُ وكلم السيدة وبعد ان تفرس الشاهد فيهِ قال اما القامة واللباس فانهما يشبهان قامتهُ ولباسهُ واما الوجه فلا اثبتهُ لاني لم انتبه الى هيئة ذاك انتباهاً كافياً لاثبات الشبه . فسألهُ القاضي عن اسم صديقهِ الذي ركب القطار بعدهُ فقال اسمهُ كمبل وعنوانهُ البورصة وللحال أرسل لاستدعآئهِ فحضر . ولما سئل قال نعم انني قابلت صديقي هذا في المحطة الفلانية ولما دخلت العربة رأيت السيدة جالسة ووجهها الى خارج النافذة فلم اكلمها بل جلست الى زاوية الغرفة وكنت افكر في مسائل تجارية عديدة استغرقت كل انتباهي . وعرضت لي اثنآء تأملاتي بعض خواطر مهمة في امور التجارة واحببت ان ادونها في مذكرة فاخذت قلمي ولكن لم اجد معي ورقاً وبينا انا حائرٌ كيف اصنع اذ وقعت عيني على ورقة بيضآء على الارض بجانب السيدة فالتقطتها فاذا هي بطاقة زيارة فكتبت عليها الافكار التي حضرتني ساعتئذٍ واودعتها جيبي ولم ازل على ما كنت عليهِ الى ان بلغ القطار موقفهُ الاخير فنزلت . واذكر الآن اني رأيت السيدة حال نزولي كما كانت حين ركبت القطار فاستغربت بقآءها على تلك الحالة ولكن حال دون اهتمامي بشأنها ما استولى على افكاري من معضلات الامور التي كنت افكر فيها

قال القاضي وهل كانت البطاقة بيضآء ام مكتوباً عليها اسم احد . قال كان عليها اسم لا اتذكرهُ ولكن البطاقة لا تزال معي ثم اخرجها من جيبهِ وناولها للقاضي فنظر

فيها واذا عليها اسم المستر ارنتون . وللحال ظهرت على وجه المسكين ارنتون علامات التعجب الشديد والخوف العظيم فارتجفت ركبتاهُ وكانت هيئتهُ والشهادات المتقدمة في حقهِ تنبئ باجلى بيان انهُ هو القاتل . ثم أُرسل من بحث في بيتهِ فوُجد عندهُ مختبرٌ كيماوي فيهِ من جملة الاجزآء عدة زجاجات كالزجاجة التي كانت في محفظة السيدة المقتولة وفيها من نفس الحامض البروسيك . فلم يبقَ ثمة ريب في جناية ارنتون او اشتراكهِ في الجناية فاودع السجن واحيل على المحاكمة

على ان هذه ليست باول مرة اخطأ فيها القضاة والشحنة فان ارنتون كان بريئاً تمام البرآءة وانما أُخذ بخوفهِ من هول الموقف ومهارة القاتل الحقيقي الذي رتب الامور بغاية الاحكام لخلاص نفسهِ والصاق جريمتهِ بهذا البريء . اما ارنتون فكان يدافع عن نفسهِ بلسانٍ ملعثم وحجة ضعيفة وهو يقسم انهُ بريء وانهُ لم يركب القطار المذكور قطّ وان سفرهُ المنويّ لا علاقة لهُ بشيءٍ مما يتهم بهِ وانهُ يستغرب اكثر من القضاة انفسهم من وجود زجاجة السم في محفظة السيدة و بطاقة زيارتهِ امام قدميها

وفي يوم المحاكمة حضر المحامي عن ارنتون فتلق التهمة بجأشٍ ثابت ثم اخذ في المدافعة وكانت الحادثة قد اخذت موضعاً من الاهمية فحضر الجلسة جماهير من كتبة الجرائد والمخبرين والمتفرجين . وظهر بتمام الوضوح ان ارنتون كان يزور بيت هزلدين زيارة ولآءٍ واخلاص ولم يرَ قطّ من الزوج ما يدل على استيآئهِ من تلك الزيارة وان سفرهُ الذي كان ينويهِ ليس الا لترويح النفس كعادة الاغنيآء الذين ليس لهم من الاشغال ما يقيدهم عن التنقل . وثبت بالبراهين القاطعة انهُ كان في يوم الحادثة مدعوّاً عند اصدقآء لهُ في خارج لندن حيث قضى النهار بطولهِ ولم يفارق اصدقآءهُ الا بعد الغروب وانهُ لم يركب القطار المذكور قط كما يشهد بذلك اصحابهُ الذين دعوهُ ورافقوهُ في ذهابهِ وايابهِ . وانهُ لو كان حقيقةً يهوى المقتولة لم يكن لهُ من داعٍ لقتلها واذا فُرض المستحيل فكيف يُعقل انهُ يقدم على هذه الفعلة ويترك بطاقة باسمهِ تشكوهُ بمنتهى الصراحة . وما زال المحامي يدافع عن البريء

ارنتون بحجة دامغة وجنان ثابت حتى لم يعد بين القضاة والجموع العديدة من يشك في برآءة ارنتون فصدر الحكم بتبرئتهِ واعادة كرامتهِ فخرج المسكين وهو لا يصدق بالنجاة واثر فيهِ ما حصل حتى فاجأهُ مرضٌ الزمهُ الفراش مدةً طويلة

وبعد منتهى البحث ودقة الفحص وعدم وجود دليل يناقض آرآء القضاة حكمت المحكمة بان المرأة انتحرت بتعاطيها السم المذكور اما عن يأسٍ مجهولة اسبابهُ او عن نوبة مرضية اعترتها على حين فجأة فأقدمت على هذا العمل . وهكذا انتهت قضية القتل المذكورة وكتبت الجرائد النتيجة التي وصلت اليها المحكمة فتاكد لدى الجمهور حقيقة ذلك ونُسي الامر في زمن قصير

اما المستر هزلدن فلم يطالب بحقوقٍ اخرى ولكنهُ ظهر للناس اسفهُ الشديد على وفاة زوجتهِ فلم يعد يميل الى مخلوق وكرهت نفسهُ الاشغال فباع تجارتهُ و بيوتهُ واملاكهُ وخزن نقودهُ في بنك انكلترا وهو يعيش من ريعها متنقلاً من بلدةٍ الى اخرى كريشةٍ في مهب الريح

وكانت الفتاة تصغي بتمام الانتباه لحديث شبرد فلما بلغ الى هنا وكأنهُ اراد السكوت الحت عليهِ ان يتم حديثهُ فطلب كأساً من الوسكي و بعد ان جرعهُ مرة واحدة ومصّ شفتيهِ عاد الى اتمام حديثهِ فقال

لا يخفى عليكِ ايتها السيدة ما كنت فيهِ قبلاً من المكان الخطير اذ كنت الشحنيّ المعول عليهِ في انكلترا لكشف المخبآت واستطلاع الاسرار ولما أُقلتُ من الخدمة لم اعد اشتغل كعادتي ولكنني لا تزال فيّ هذه السجية الغريبة فلا يسعني السكوت عن امر كالذي حصل ما لم اقتنع بهِ تمام الاقتناع . وقد تتبعت امر قتيلة القطار بجميع اطوارهِ فوجدت اخيرًا ان المحكمة في ضلالٍ مبين وقد راجت عليها حيلة القاتل فاتهمت ارنتون بمجرد ادلة ظاهرية وتركت اهم نقط هذه القضية واشتغلت بما هو اقل اهمية منها . اما انا فقد فحصت الجثة فوجدت عند اصل الابهام من اليد اليمنى اثر وخز ابرةٍ خفيف جدًّا لا يكاد يُنتبه لهُ وقد تصلب اللحم على محيطهِ واكمدّ لونهُ فتحققت ان المسكينة قد حُقنت تحت جلد ابهامها بالحامض البروسيك

الذي سبب وفاتها . و بعيدٌ عن الظن ان تكون هي فعلت ذلك لاسبابٍ عديدة منها ان المرأة لا يكون عندها من الجرأة والجلد ما تقدم بهِ على مثل هذا العمل ولو فرضنا ذلك لكان البديهي والاقرب انها تنخس نفسها في صدرها او ذراعها مثلاً لا عند اصل الابهام فلا بد اذًا من فاعلٍ آخر اقدم على هذا الامر . وقد تتبعت في تحصي السرّي جميع الاشخاص الذين قابلوا القتيلة فتحققت اخيرًا ان الرجل الذي جالسها في القطار وكلمها ثم ودعها قائلاً الى الملتقى هو نفس القاتل وانهُ كان في يدهِ خاتمٌ قد ركبت فيهِ ابرةٌ دقيقة مثقوبة ملأها بالحامض المذكور فلما مدّ اليها يدهُ مودعًا ضغط الابرة الخفية فقطرت منها نقطةٌ في داخل جلد اليد كانت كافية لتودي بحياة المسكينة . ووخز هذه الابرة لا يُشعر بهِ ولا سيما اذا كان الشخص في حديثٍ شاغل يلهيهِ عن هذا الشعور الطفيف . بقي عليّ ان اعرف من هو ذاك القاتل . وقد وجه القضاة تهمتهم الى المستر ارنتون البريء كما ذُكر وتخلص من تلك التهمة الشنعاء بأدلة اظهرها المحامي عنهُ مؤسسة على منتهى الصدق والحكمة المعقولة . فأين القاتل اذًا ومن هو . هو هو ابليس اللعين بنفسهِ . هو نفس الرجل الذي كان جالسًا يتناول غداءَهُ الآن بالقرب منكِ . هو المستر هزلدين نعم هو زوج القتيلة بعينهِ . . . .

فارتعشت الفتاة عند سماع ذلك وعاد شبرد الى اتمام حديثهِ فقال . ولكي اعلم السبب في ذلك تتبعت تاريخ الرجل من قبل زواجهِ فعلمت انهُ كان لا يملك فتيلاً وكانت زوجتهُ قد ورثت عن والدتها ثروةً تقدَّر بمئة وخمسين الف ليرة فتداخل هزلدين معها واظهر لها الحب والشغف حتى مالت اليهِ فتزوجها وهو حقيقةً راغبٌ عنها الى ثروتها بدليل كتابٍ اطلعت عليهِ كتبهُ في ذلك الحين الى صديقٍ لهُ يقول فيهِ لا تهنئني ايها الصديق بزواجي بل هنئني بالثروة التي سأستحوذ عليها . ولكنهُ ساءَ فألهُ فان زوجتهُ لم تسمح لهُ من مالها الا بمبلغٍ يسير يتاجر بهِ فكان يربح منهُ ما يقوم بنفقاتهِ الا انهُ لم يكن ليقنع بهذا القدر ولما يئس من الحصول على المزيد وكان بالطبع يكره زوجتهُ عزم على اهلاكها ليستأثر بمالها وجعل من ذلك الحين

ارنتون بحجة دامغة وجنان ثابت حتى لم يعد بين القضاة والجموع العديدة من يشك في برآءة ارنتون فصدر الحكم بتبرئته واعادة كرامتهِ فخرج المسكين وهو لا يصدق بالنجاة واثر فيهِ ما حصل حتى فاجأهُ مرضٌ الزمهُ الفراش مدةً طويلة

وبعد منتهى البحث ودقة الفحص وعدم وجود دليل يناقض آراء القضاة حكمت المحكمة بان المرأة انتحرت بتعاطيها السم المذكور اما عن يأسٍ مجهولة اسبابهُ او عن نوبة مرضية اعترتها على حين فجأة فأقدمت على هذا العمل . وهكذا انتهت قضية القتل المذكورة وكتبت الجرائد النتيجة التي وصلت اليها المحكمة فتاكد لدى الجمهور حقيقة ذلك ونُسي الامر في زمن قصير

اما المستر هزلدن فلم يطالب بحقوقٍ اخرى ولكنهُ ظهر للناس اسفهُ الشديد على وفاة زوجتهِ فلم يعد يميل الى مخلوق وكرهت نفسهُ الاشغال فباع تجارتهُ وبيوتهُ واملاكهُ وخزن نقودهُ في بنك انكلترا وهو يعيش من ريعها متنقلاً من بلدةٍ الى اخرى كريشةٍ في مهب الريح

وكانت الفتاة تصغي بتمام الانتباه لحديث شبرد فلما بلغ الى هنا وكأنهُ اراد السكوت الحت عليهِ ان يتم حديثهُ فطلب كأساً من الوسكي وبعد ان جرعهُ مرة واحدة ومصّ شفتيهِ عاد الى اتمام حديثهِ فقال

لا يخفى عليكِ ايتها السيدة ما كنت فيهِ قبلاً من المكان الخطير اذ كنت الشحنيّ المعول عليهِ في انكلترا لكشف المخبآت واستطلاع الاسرار ولما أُقلتُ من الخدمة لم اعد اشتغل كعادتي ولكنني لا تزال فيّ هذه السجية الغريبة فلا يسعني السكوت عن امر كالذي حصل ما لم اقتنع بهِ تمام الاقتناع . وقد تتبعت امر قتيلة القطار بجميع اطوارهِ فوجدت اخيرًا ان المحكمة في ضلالٍ مبين وقد راجت عليها حيلة القاتل فاتهمت ارنتون بمجرد ادلة ظاهرية وتركت اهم نقط هذه القضية واشتغلت بما هو اقل اهمية منها . اما انا فقد فحصت الجثة فوجدت عند اصل الابهام من اليد اليمنى اثر وخز ابرةٍ خفيف جدًّا لا يكاد يُنتبه لهُ وقد تصلب اللحم على محيطهِ واكمدّ لونهُ فتحققت ان المسكينة قد حُقنت تحت جلد ابهامها بالحامض البروسيك

الذي سبب وفاتها . و بعيدٌ عن الظن ان تكون هي فعلت ذلك لاسباب ٍ عديدة منها ان المرأة لا يكون عندها من الجراة والجلد ما تقدم بهِ على مثل هذا العمل ولو فرضنا ذلك لكان البديهي والاقرب انها تنخس نفسها في صدرها او ذراعها مثلاً لا عند اصل الابهام فلا بد اذًا من فاعلٍ آخر اقدم على هذا الامر . وقد تتبعت في فحصي السرّي جميع الاشخاص الذين قابلوا القتيلة فتحققت اخيرًا ان الرجل الذي جالسها في القطار وكلمها ثم ودعها قائلاً الى الملتقى هو نفس القاتل وانهُ كان في يدهِ خاتمٌ قد ركبت فيهِ ابرةٌ دقيقة مثقوبة ملأها بالحامض المذكور فلما مدّ اليها يدهُ مودعًا ضغط الابرة الخفية فقطرت منها نقطةٌ في داخل جلد اليد كانت كافية لتودي بحياة المسكينة . ووخز هذه الابرة لا يُشعر بهِ ولا سيما اذا كان الشخص في حديثٍ شاغل يلهيهِ عن هذا الشعور الطفيف . بقي عليّ ان اعرف من هو ذاك القاتل . وقد وجه القضاة تهمتهم الى المستر ارنتون البريء كما ذُكر وتخلص من تلك التهمة الشنعآء بأدلة اظهرها المحامي عنهُ موسسة على منتهى الصدق والحكمة المعقولة . فأين القاتل اذًا ومن هو . هو هو ابليس اللعين بنفسهِ . هو نفس الرجل الذي كان جالسًا يتناول غدآءهُ الآن بالقرب منكِ . هو المستر هزلدين نعم هو زوج القتيلة بعينهِ . . . .

فارتعشت الفتاة عند سماع ذلك وعاد شبرد الى اتمام حديثهِ فقال . ولكي اعلم السبب في ذلك تتبعت تاريخ الرجل من قبل زواجهِ فعلمت انهُ كان لا يملك فتيلاً وكانت زوجتهُ قد ورثت عن والدتها ثروةً تقدَّر بمئة وخمسين الف ليرة فتداخل هزلدين معها واظهر لها الحب والشغف حتى مالت اليهِ فتزوجها وهو حقيقةً راغبٌ عنها الى ثروتها بدليل كتابٍ اطلعت عليهِ كتبهُ في ذلك الحين الى صديقٍ لهُ يقول فيهِ لا تهنئني ايها الصديق بزواجي بل هنئني بالثروة التي سأستحوذ عليها . ولكنهُ سآء فألهُ فان زوجتهُ لم تسمح لهُ من مالها الا بمبلغٍ يسيرٍ يتاجر بهِ فكان يربح منهُ ما يقوم بنفقاتهِ الا انهُ لم يكن ليقنع بهذا القدر ولما يئس من الحصول على المزيد وكان بالطبع يكره زوجتهُ عزم على اهلاكها ليستأثر بمالها وجعل من ذلك الحين

يفكر فيما ينبغي ان يفعل الى ان تمت تدابيرهُ الشيطانية على ما ذكر وقد توصلت الى معرفة اين عمل الخاتم المذكور وكيف عملهُ وكيف حصل على الحامض البروسيك وقد رتب حوادث القضية على وجهٍ يوقع الشبهة كلها على ارنتون . وفضلاً عن ذلك فقد علمت انهُ بعد ان ودع زوجتهُ صباح ذلك اليوم لم يذهب الى عملهِ بل غير لباسهُ وارتدى كما يرتدي ارنتون فقابلها في القطار وهو يظهر لها التحبب وانهُ يريد ممازحتها بتغيير ثيابهِ حتى تمكن من عملهِ وكان ما كان . وبعد ان تخلص من الشبهة باظهار حزنهِ العميق وكان قد قتل زوجتهُ فعلاً وسلب اموالها جعل يتنقل في البلاد مبالغةً في اخفاء الامر وانا اتبع لهُ من ظلهِ حتى ادركت كل ما يهمني الوقوف عليهِ وقد اصبحت الآن نفس هذا اللعين في قبضة يدي ولكنني بين فكرين يغلب عليّ الاول اما ان اكشف سرّهُ للحكومة وينال القضاء منهُ حقهُ او ان اتركهُ كما خلصتهُ الاقدار ليقضي بقية ايامهِ شارداً تائهاً يعذبهُ ضميرهُ ليلاً ونهاراً

قالت الفتاة انت في ذلك وما تراهُ اما انا فقد كنت في حيرة شديدة البحث عن شيءٍ اكتبهُ الى جريدتي وقد اتتني التقادير بهذه القصة الغريبة فلست بغافلة عن اغتنام هذه الفرصة . وللحال اخذت ورقاً وكتبت ما علق في ذهنها من حديث شبرد وهو يساعدها وفي اليوم الثاني ظهرت الجريدة بتفاصيل الحادثة وبلغت ولاة الامور فجددوا البحث والتحقيق والقي القبض على هزلدين فأقرّ كما جآء في رواية الشحني شبرد واستلمهُ القضآء للاقتصاص منهُ

وكان بعد ذلك ان استدعي شبرد الى مركز الحكومة فبالغت في اكرامهِ واظهرت لهُ ان لا غنى لها عنهُ وقرّرت لهُ مرتباً يتقاضاهُ في آخر كل شهر وعينتهُ مستشاراً في خفيات الامور يرجع اليهِ رجال الشحنة السرية في ما اعضل من مشكلاتهم وما خفي من الاسرار التي يوكل اليهم البحث عنها فقبل وظيفتهُ بشكر ولا يزال سرورهُ بقضية غامضة تعرض عليهِ لاكتشافها اعظم من سرورهِ بما يحصل عليهِ من المرتبات الطائلة والجوائز السنية

الجوهر الفرد

اتفق جمهور المتكلمين[١] وطائفةٌ من الحكماء المتقدمين على ان كل جسم مركب من اجزاءٍ لا تتجزأ بالفعل ولا بالوهم تسمى بالجواهر الفردة وهو الذي عليهِ اصحاب الكيميآء الحديثة والعلم الطبيعي . لكن اختلف المتقدمون في شكل الجوهر الفرد فقال المتكلمون انهُ لا شكل لهُ لان الشكل عبارةٌ عن احاطة حدٍّ واحد وهو الكرة او حدودٍ وهو المضلَّع ولا يُتصور ذلك الا فيما لهُ جزء . وقيل بل يشبه الكرة اذ لا تختلف جوانبهُ كما أن الكرة لا تختلف جوانبها . وقال بعضهم يشبه المربَّع اذ يتركب منهُ الجسم بلا خلوّ الفُرَج لان الشكل الكرويّ وسائر المضلَّعات وما يشبهها لا يتأتى فيها ذلك الا بفُرَج . وقال آخرون هو يشبه المثلَّث لانهُ ابسط الاشكال المضلَّعة . ولا يخفى ان مبنى هذه الاقوال كلها على ان جميع جواهر الجسم متصلة لا خلآء بينها لكن الذي حققهُ المتأخرون ان الجواهر مهما تلزز بناء الجسم واشتدّ تكاثفهُ لا تتماسّ ولكنها متباعدةٌ بعضها من بعض خاضعةٌ لقوّتي الجذب والدفع المتبادَلين وهما المعبَّر عنهما بقُوى الدقائق وجميعها تتحرك حول مركز توازنها

ثم ان الجواهر يتألف بعضها مع بعض بهيئة مجاميع مرتبطة بالقوى المذكورة يسمَّى كل مجموعٍ منها دقيقة وهي آخر ما يمكن تجزئة الجسم اليهِ بالذرائع الصناعية . واما هيئة تركبها فقد اختلف فيهِ المتقدمون فقال

(١) المراد بالمتكلمين اصحاب علم الكلام وهو كما عرّفوهُ علمٌ يُقتدَر معهُ على اثبات العقائد الدينية بايراد الحجج ودفع الشُّبَه

بعضهم اقلّ ما يتركب الجسم منهُ يعني الدقيقة ثمانية اجزآء وذلك بان يوضع جزآن فيحصل الطول وجزآن آخران على جنبهما فيحصل العرض واربعة اخرى فوقها فيحصل العمق . وقال غيرهُ من ستة بأن يوضع ثلاثة على ثلاثة . وقيل يمكن من اربعة اجزآء بان يوضع جزآن وبجنب احدهما جزءٌ ثالث وفوقهُ جزءٌ آخر وبذلك تحصل الابعاد الثلاثة . وهذا ايضاً كما لايخفى مبنيٌّ على ان جواهر الجسم متماثلة ولكن مدار النظر في تركبها على القدر الذي تحصل منهُ الابعاد المذكورة . الا ان المتأخرين نظروا الى غير ذلك فانهُ لما كان اكثر الاجسام مركباً من عنصرين فما فوق جعلوا نظرهم في كيفية هذا التركيب ومقدار ما يدخل الدقائق من كلٍّ من انواع الجواهر التي يتألف منها الجسم كالمآء مثلاً فانهُ يتركب من جوهرٍ من الاكسيجين وجوهرين من الهدروجين . والاجسام في ذلك تختلف كثيراً فانها تتركب من عنصرين فاكثر مع تكافؤ عدد الجواهر النسبيّ او اختلافهِ ومتى اتحدت جواهر جسمين على هذا الوجه نشأ عنها جسمٌ آخر يخالف الجسمين المركب منهما ذاتاً وخصائص كالمآء المتولد بين الغازين المذكورين وكل جوهرين اتحدا اتحاداً كيماويًّا لا يمكن فصل احدهما عن الآخر الا بالوسائط الكيماوية

ثم ان هذا التركيب يتمّ بان ينتظم احد الجوهرين او الجواهر الى غيرهِ على وضعٍ مخصوص . وخصائص الاجسام تتغير بحسب ما تتألف منهُ من الجواهر المختلفة وتبعاً لهيئة انتظام تلك الجواهر وموقع بعضها من بعض ولذلك فان بعض الاجسام المركبة مع اتفاق العناصر الداخلة في

تركيبها ذاتاً وعدداً قد تختلف مركباتها شكلاً وخصائص ومن امثلة ذلك الزُنجُفر المركب من الكبريت والزئبق على نسبة متكافئة فانهُ اذا اتُّخذ بطريق التصعيد جاء لونهُ احمر ناصعاً واذا اتُّخذ باحماء الكبريت والزئبق او بحلّ الزئبق وترسيبه في الحامض الهدروكبريتيك جاء اسود حالكاً والتركيب في كلتا الحالتين واحد

على ان معاصري الكيماويين يذهبون الى ان الاجسام البسيطة ايضاً مؤلفة من دقائق كالاجسام المركبة الا ان هذه الدقائق مؤلفة من جواهر متماثلة وهي قد تختلف في الوضع ايضاً ولذلك قد تتبدل اعراض الجسم تبعاً لانتظام جواهرها واختلاف وضعها كما يُرَى من اختلاف الهيئة والخصائص بين الأُسرُب (الپلمباجين) والالماس وكلاهما من صافي الكربون

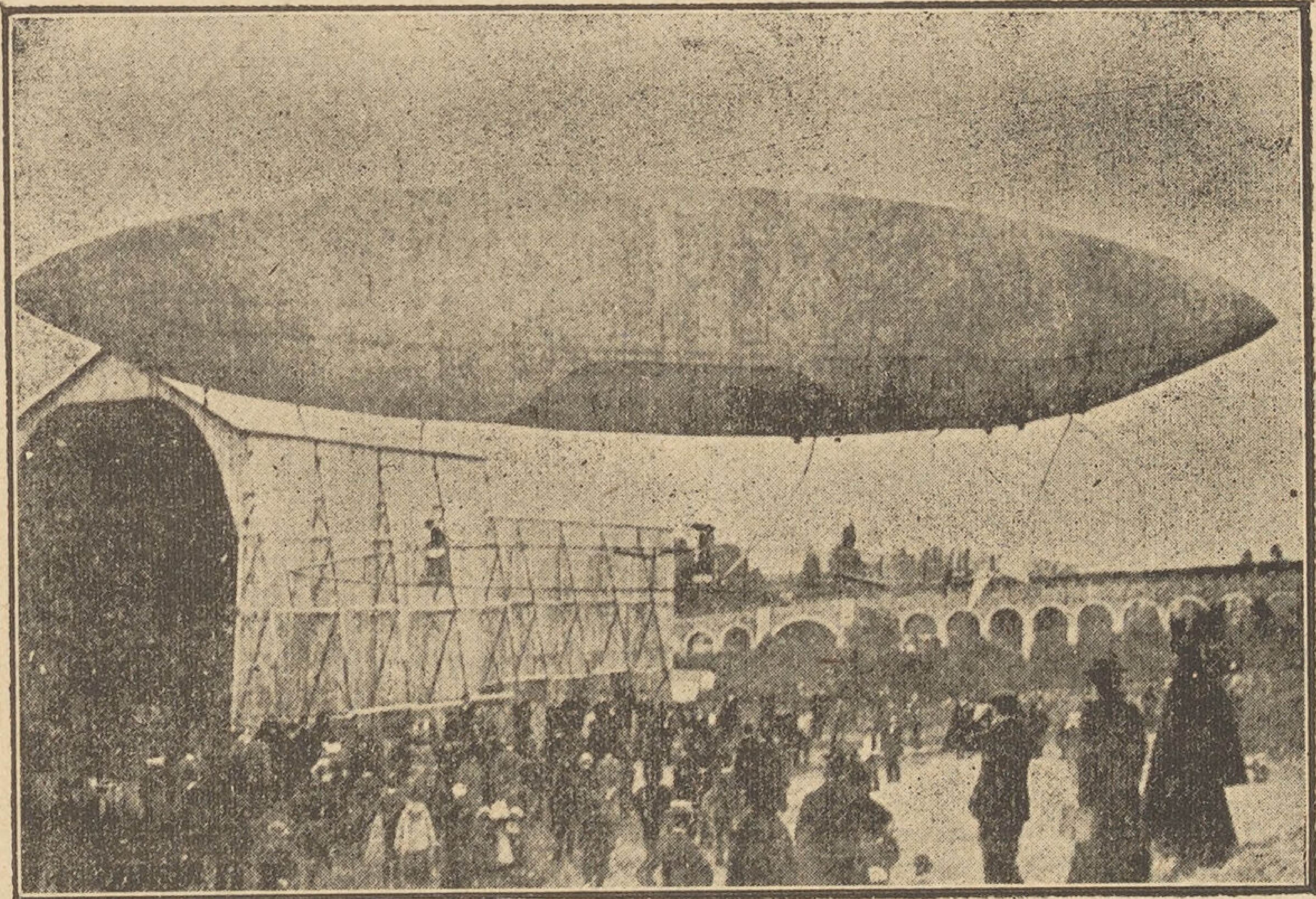
اما حجم الجواهر الفردة فمما لا سبيل الى معرفته وليس في الذرائع العلمية ما يمكن التوصل به اليه على وجهٍ محقق غير ان التجارب والمشاهدات دلّت على انهُ بالغٌ من الصغر الى ادقّ ما يمكن ان يقع في التصوُّر ونحن نذكر هنا بعض الامثلة على ذلك . فمنها انهم بلغوا في طرق الذهب الى اتخاذ رقائق منهُ لو نُضِدّ عشرة آلافٍ منها الواحدة فوق الاخرى لم تزد ثخانة مجموعها على ميليمترٍ واحد . ومنها انهم قسموا مسافة ميليمتر على قطعةٍ من الزجاج الى الف جزءٍ متساوية ووجدوا من النقاعيات ما يبلغ من الصغر ان جسمهُ بجملته اذا وُضع بين جزأين من هذه الاجزاء يبقى غير مماسٍّ لهما فيكون قطر جسمه اقلّ من واحد من الف من الميليمتر ثم ان هذه النقاعيات مؤلفة من اعضاء واعضاؤها مركبة من حويصلات وهذه

الحويصلات مؤلفة من دقائق والدقائق من جواهر . ومن ذلك انهُ اذا أُخذ ٢٠ سنتيمتراً مكعباً من الزيت واريقت على وجه بحيرة تنتهي الى ان تغطي ٤٠٠٠ متر مربع بحيث ان طبقة الزيت الممتدة على هذا الاتساع لا تكون ثخانتها الا جزأين من مئة الف جزء من الميليمتر . ثم ان التحليل الطيفي يكشف في لهب المصباح عن وجود جزءٍ من مليون جزء من الميلغرام من الصوديوم . وقد وُجد ان حاسة الشمّ تتأثر بواحد من ٦٤ مليون جزء من الميلغرام من هدروكبريتات الايثير في الهواء المتنفَّس . وقدّر رَينلد ورُوكَر ثخانة فقّاعة الصابون بما يعدل جزءًا من الف من الميليمتر . وامتحن اللرد رَيلي ان يمنع ثوران ريح الكافور بالزيت فثبت لهُ ان كل حركةٍ للكافور تتوقف تحت طبقةٍ لا تزيد ثخانتها على جزأين من مليون من الميليمتر وهي غاية ما وصل اليهِ الاختبار من قياس صغر الدقائق . اما الجواهر فلا بدّ أن تكون اصغر من ذلك ايضاً فتكون اقلّ من جزءٍ من مليون من الميليمتر . وذكر كُوشي ان تفرُّق الاشعة الضوئية على ما تُرَى في المنشور يقتضي ان لا يتعدى الجوهر جزءًا من مئة مليون جزء من الميليمتر . وقد انتهى اكثر المحققين من الطبيعيين والفلاسفة الى ان الجواهر الفردة لا امتداد لها وانما هي نقطٌ هندسية غير انها قابلةٌ لأن تتحرك وتتفاعل تفاعلاً ميكانيكيًّا فهي مراكز للقوى وامتداد الاجسام ليس الا عبارةً عن المسافات التي تفصل بعض الجواهر من بعض والله اعلم

الملاحة الجوية

نستأنف الكلام على هذه المسئلة الخطيرة عوداً على ما تقدم لنا من نقل اهمّ ما تنتهي اليهِ حيناً بعد آخر ليكون قرآؤنا على بيّنةٍ من استقرآء هذا الاختراع العظيم طوراً بعد طور الى ان يبلغ تمامهُ وليس ذلك بالامر المحال بفضل ما بلغ اليهِ العلم في هذا العصر عصر العجائب والاختراعات ٠ وقد ذكرنا في بعض اجزآء السنة الماضية ما كان من امر المنطاد الذي طيّرهُ المسيو سنتوس دومون في باريز في اواسط شهر يوليو وما اصابهُ فيهِ من الفشل بسبب تعطل بعض الآلات الدقيقة فيهِ الا ان ذلك لم يثنِ عزم المخترع عن تعهد المواضع التي تبيَّن فيها نقصاً في اختراعهِ وتكرار امتحانهِ مرةً بعد اخرى الى ان استتبّ لهُ على الوجه الذي ارادهُ ٠ وقد طيّرهُ المرة الاخيرة وهي السابعة في ١٩ من شهر اكتوبر الماضي فنهض من حديقة سان كلو لساعتين و ٤٥ دقيقة بعد ظُهر ذلك اليوم واخذ في ناحية برج أيفّيل حتى انتهى اليهِ ودار حولهُ في ٨ دقائق و ٤٥ ثانية ٠ الا انهُ عند رجوعهِ كانت الريح مضادّةً لاتجاههِ فلم يبلغ المكان الذي نهض منهُ الا بعد ٢٠ دقيقة و ٣٠ ثانية فكانت مدة سياحتهِ هذه ٢٩ دقيقة و ١٥ ثانية اي اقل من المدة التي سماها صاحب الجائزة بخمس واربعين ثانية ٠ غير انهُ عند ادراكهِ ذلك الموضع كان مرتفعاً كثيراً لانهُ خاف ان يعلق بهِ شيء من رؤوس الاشجار التي كانت تحتهُ فلما بلغهُ عطف نازلاً حتى وصل الى الارض فاقتضت هذه الحركة الاخيرة دقيقة و ٢٥ ثانية بحيث كانت جملة المدة التي قطعها في

هذه السياحة ٣٠ دقيقة و ٤٠ ثانية فكان هذا البطء اليسير موجباً لتوقف اللجنة الموكلة بالجائزة عن اطلاقها لهُ تبعاً لما رُسم لها من ان لا تزيد المدة على ٣٠ دقيقة الا ان صاحب الجائزة قضى لهُ باستحقاقها فنالها . وهذه صورة المنطاد في هذه الرحلة الاخيرة نقلاً عن رسمٍ مأخوذ عن الفوتغرافية



على انهُ مع ثبوت الجائزة لصاحب هذا المنطاد وما بلغ اليهِ من سهولة اقتيادهِ واجرآئهِ على السرعة التي توخاها لا يقال ان فن الملاحة الجوّية قد بلغ تمامهُ وان كان ما وصل اليهِ هذا المخترع قد كشف شيئاً من غوامض اسرارهِ وقرّب المسافة على المشتغلين بهِ لانهُ لو كانت الريح اشدّ مما كانت عليهِ قليلاً لما استطاع مقاومتها وتقدير سرعة منطادهِ على الزمن المفروض . وذلك ان المرجع في هذه المسئلة الى التمكن من مقاومة الريح لا الى كيفية تسيير المنطاد وتوجيههِ تبعاً لمشيئة الراكب فان ذلك يتمّ بالسكّان

(الدفة) كما يتمّ توجيه السفينة في البحر وقد سبق سنتوس عدة مخترعين امكنهم ان يبلغوا ما بلغهُ منهم جيفار وتيسنْديّاي ورّينار وكرَبْس وغيرهم وقد استخدم بعضهم البخار وبعضهم الكهربائية الا ان كل واحد منهم كان يتمكن من قيادة منطاده على هواهُ ما دام الهوآء راكداً ولكن اذا هبّت الطف نسمةٍ كانت تصدمهُ فتحوّلهُ عن وجهتهِ او تردّهُ الى الورآء . وكان اقوى هذه المناطيد على مكافحة الرياح ما كانت قوة محركهِ تعدل قوة ثمانية او تسعة افراس غير انهُ كان اذا تجاوزت سرعة الريح ستة امتار لم يثبت في وجهها . وسبب ذلك ان الهوآء الراكد لا يضيع شيئاً من سرعة المنطاد ولكن اذا هبّت الريح في وجههِ دفعتهُ الى الورآء بمقدار سرعتها وتقدم المنطاد بمقدار سرعتهِ فكان تقدمهُ بمقدار الفرق بين السرعتين فمثلهُ في ذلك مثل الزورق في النهر فانهُ اذا تقدم في الثانية متراً مثلاً ودفعهُ النهر مترين الى الورآء كان مع تقدمهِ متراً يذهب الى الورآء متراً

على ان الرياح قلما تتجاوز في سيرها ١٤ متراً فاذا كان في المنطاد قوةٌ على ان يجري بهذه السرعة امكنهُ ان يثبت في وجهها واذا ضعفت سرعتها عن ذلك امكن ان يخترقها غير مبالٍ . غير انهُ لتبليغهِ هذه السرعة لا بد ان يزداد ثقلهُ وذلك يستلزم الزيادة في حجم المنطاد فيلزم زيادة صفق الريح لهُ واستحكامها منهُ . وحينئذٍ لم يكن بدٌّ من تخفيف ثقل المحرّك الى آخر حدٍّ يمكن بحيث لا يلزم عنهُ تكبير حجم المنطاد وهذا ما حاولهُ سنتوس دومون على ما قدّمنا الكلام عليهِ في محلهِ فانهُ اتخذ لهُ محركاً يدار بخلاصة زيت البترول فكان لهُ منهُ محرّكٌ قويٌّ خفيف الوزن وجعل شكلهُ مغزلياً

مستطيلاً اقتداءً بما فعلهُ جيفار من قبلهِ . ولهذا الشكل مزيةٌ على الشكل الكرويّ بسبب انحسار جانبهِ المعرَّض لمصادمة الريح فانها على الغالب لا تتمكن منهُ زيادةً على تمكنها من منطادٍ كرويّ يعدل قطرهُ اقصر قطري المنطاد المغزلي . ولكي يثبت على شكلهِ جعل في جوفهِ نفّاخةً اي منطاداً صغيراً يملأهُ هواءً وتتصل فوّهتهُ بالهواء الجوّي على نحو ما شرحناهُ في الكلام على منطاد فرمّين بوسُّون وكلاهما اقتدى في ذلك بجيفار . الا انهُ مع ذلك لم يزل غير وافٍ بالحاجة لان معظم سرعتهِ لا يتجاوز ستة امتار الى ستة امتار ونصف فاذا هبّت الريح بما هو اقوى من ذلك قليلاً دفعتهُ امامها فاصبح أُلعوبةً لها كما تشاء . ولذلك لا يُعَدّ الا بمنزلة نموذج لما هو اكبر منهُ اذ الاعمال انما تُمتحَن صغيرةً فاذا صحّت قدّر ان تصح الكبيرة مثلها وهذا وجه اعجاب القوم بهِ وتعلّق آمالهم بالاستيلاء على اعنّة الملاحة الجوّية . ومن هنا تعلم السرّ في تعيين الزمن الذي قدّرهُ المسيو دُويتش لقطع هذه المسافة وبذلهِ في ذلك هذه الجائزة الكبيرة ولعلهُ لا يمضي طويل زمنٍ حتى نسمع بصنع مناطيد تخترق عباب الجوّ كما تخترق بوارج الاتلنتيك لجج البحار

الموسيقى في العلاج

لا يجهل احد ما للنغم من التأثير على العصب بالتسكين مرةً والتهييج اخرى حتى ان الجندي يقتحم الموت غير مبالٍ والطفل ينام والبعير يَنشَط على صوت الحادي الى غير ذلك مما هو مشهور . وقد تنبه الناس من عهدٍ

بعيد لاستخدام النغم في معالجة بعض العلل العصبية والعقلية واقدم ما يُروَى من ذلك ما كان من امر شاول ملك بني اسرائيل حين تخبَّطهُ روح السوء وكان داود يضرب لهُ بالعود فيجد رَوحاً

ويُروَى عن فيليب الخامس احد ملوك اسپانيا انهُ اعتراهُ مسٌّ وكانت الملكة تعلم شدة ميلهِ الى السماع فارسلت الى فارينلّي الموسيقي الشهير في مدريد تستقدمهُ واقامت لهُ مجلس سماع في دار تجاور مقام الملك فلما سمع الملك اول فصلٍ من غنآئهِ حصل عندهُ تنبُّه كمن استيقظ من نومٍ عميق وفي الفصل الثاني طَرِب وارتاح وامر بان يؤتى بفارينلّي الى حضرتهِ وبعد ما غنّى بين يديهِ اثنى عليهِ وجاملهُ وامرهُ ان يقترح عليهِ ما يتمنى . وكان فارينلي قد لُقّن من قِبَل الملكة فسألهُ ان يأذن في حلق عارضيهِ والباسهِ ملابسهُ وان يحضر في مجلسهِ وكان الملك ممتنعاً من ذلك من مدة طويلة فاجابهُ الى ما سأل ومذ ذاك اخذت تنجلي تلك السحابة عنهُ وهو كل يومٍ يسمع غناء فارينلي حتى عاد الى تمام رشدهِ

وذكر الدكتور بِتْشِنْسكي من اطباء بطرسبرج ان وليدةً لها من العمر اربع سنوات كانت تَزعَق اي تخاف بالليل فاشار على ذويها ان يعالجوها بالغنآء فكانت امها تجلس بجانب سريرها وتغنّيها بصوتٍ منخفض فلا تلبث ان تسكن الى صوتها وتنام ولم يأتِ على ذلك شهرٌ حتى شُفيت تماماً . قال ولكن ليس كل الناس في ذلك سوآء فان منهم من لا يسكن الاّ على الصوت المنخفض ومنهم على العكس فينبغي ان يُراعَى في ذلك سجية العليل

واشهر من زاول معالجة الامراض بالنغم في هذا العهد طبيبٌ اميركاني

يقال لهُ ليونار كورننغ وطريقتهُ في ذلك ان يُضجع العليل على وسادة مستلقياً على ظهرهِ ويظللهُ بخيمةٍ لا منفذ فيها فيكون ما تحتها مظلماً ويجعل في رأسهِ كُمَّةً من جلدٍ ليّن قد نيط الى جانبيها مِسمعتان يجعلهما على اذني العليل ويتصل بهما سلكان يفضيان الى فونغراف ويرسل عند اسفل الوسادة حجاباً ابيض يستقبل عليهِ صور اشباحٍ مختلفة بواسطة الفانوس السحري فاذا تمّ اضجاعهُ على هذا الوجه اعمل الفونغراف ووجّه الفانوس الى الحجاب فيسمع العليل انغاماً لطيفة وتترادف امامهُ صور الاشباح والالوان البهيجة وبتوارد هذه المؤثرات على سمعهِ وبصرهِ لا يلبث ان يدبّ النعاس في عينيهِ ثم ينام نوماً هنيئاً يتخللهُ احلامٌ طيبة ومناظر جميلة ويقول الطبيب المذكور ان تكرار مثل هذا على العليل مراتٍ قليلة يؤدي الى الشفاء

وفيما حقق بعضهم أن للسماع تأثيراً على دورة الدم وقد عُني باختبار ذلك اثنان من علماء الفرنسيس يقال لهما المسيو بينّاي والمسيو كورتيّاي فأيّدا هذا القول وذكرا ان اعظم الانغام تقويةً لدورة الدم اكثرها الفةً عند العليل واذا كانت من الانغام المفرحة دقّ معها النبض وقوي ازدواجهُ وبعكسها الانغام الشجية فان النبض معها يكون عريضاً لتأثيرها على العصب الممدّد للاوعية وقد وجدا ان معدّل الذين يتأثرون بالنغم ٧ من ١٠

وقد نُقل عن اوميروس وبلوطرخس وتيوفرَسْت ان الموسيقى تشفي من الطاعون والرثية ولدغ الهوامّ وزعم قومٌ من المتأخرين منهم ديمربرُوك وبُونّيت وكِرْخَر انها تشفي من السلّ والنقرس والكَلَب وذهب غيرهم الى ابعد من ذلك فزعم پورتا انهُ اذا اتُّخذت المعازف من خشب بعض

العقاقير الطبية وضُرب بها على سماع العليل فعلت فعل العقّار نفسهِ ولا يخفى ما في ذلك كلهِ . والذي عليهِ علمآء منافع الاعضآء اليوم ان النغم لا يخلو من تأثير على اصحاب الامراض العصبية والعقلية لكن في رأي بعضهم ان هذا التأثير ليس من قِبَل النغم لذاتهِ ولكنهُ ينشأ عما يصحبهُ من الاهتزاز الذي هو علة اكثر الحوادث الطبيعية وقد اختبر ذلك المسيو لابُورد وهو ممن اشتهر باستخدام النغم حتى في قلع الاضراس فوضع رجلاً معتوهاً بحيث يتأثر باهتزازات كمنجة عن قرب حتى كانهُ هو نفسهُ يعزف بها فكان لذلك عليهِ تأثيرٌ اعظم جدًّا من تأثير النغم المسموع عن بعد والله اعلم

خبايا الزوايا

اوردنا في الجزء الثالث من هذه السنة فِقَراً حكمية من كتاب ايليا النسطوري مطران نصيبين في القرن الحادي عشر للميلاد وهي كما رآها المطالع من رائق الانشآء ومحكمهِ لا تنحطّ عن اعلى طبقات الكلام في ذلك العصر الذي هو عصر الفصاحة الاسلامية ووعدنا ان ننشر ما تصل اليهِ يدنا من مثل ذلك بياناً لما كانت عليهِ اللغة في ذلك العهد من عموم الانتشار وتنازع الجميع فيها كؤوس الفصاحة على السوآء . وقد قرأنا في تاريخ البطاركة الانطاكيين للخوري ميخائيل بريك الكتاب الآتي من اغابيوس بطرك انطاكية الى أنبا ايليا بطرك الاسكندرية وكان قد كتب اليهِ عند توليهِ البطركية سنة ٣٦٧ للهجرة (وهي سنة ٩٧٧ للميلاد) يسألهُ

التقدم الى اهل عمله برفع اسمه في الكنائس على ما جرى به الرسم وانفذ الكتاب على يد راهب من قبله فلما انتهى الكتاب الى انبا ايليا كتب اليه جواباً ينكر عليه انتقالهُ من كرسي حلب الى كرسي انطاكية في كلام لا موضع لهُ هنا فاجابهُ بما نسختهُ

بسم الله الرحمن الرحيم و به نستعين

كتابي ايها الاب الروحاني المشارك في الخدمة المساوي في الرتبة المتحد في الروحانية من الكرسي السليحي بمدينة الله الفائزة بفخر اسمه المحفوظة بتلميذه واول رسله يوم السبت السابع من كانون الاول عن سلامة بيع الله المقدسة واولادها قبلي وسلامتي من بعدهم والحمد لله على ما منّ واولى وهو المسؤول ان يتمم اسبال ستره على هذا الشعب وكمال نعمته على هذه الامة قبلي وقبلك وقبل كل راع استرعاها في كل موضع ارتضاهُ بمنه وكرمه

ثم وصل كتابك ايها الاب الروحيّ الطاهر على يد انبا يوحنا الراهب المنفذ من مسكنتنا الى قدسك وأحطت علماً بمشتمله وسررت باخبار سلامتك وما استدللتُ عليه من الاستقامة قبلك ثم طار بعد ذلك فكري وتعسف ذهني وذهل عقلي وتقطعت خواطري متأملاً ما كتبتهُ ومتحيراً فيما اجبت به ولا ادري ما السبب الذي حملك على دفع غير مدفوع وانكار غير منكر والاحتجاج بما لا يساغ وفعل ما لا يليق . وقد كان ينبغي اذ عرفت موضع ابتدآئي وايثاري التبارك بمشاهدتك وانفاذي رسولي اليك في وقت يكاد ان يتعذر فيه عبور الطيور من جهتنا الى جهتكم فضلاً عن الكتب والرسل ألاّ تكتب بما كتبت به دون ان تحقق انك فيه على حق لا يُبطَل وحجة لا تُدفع وصواب لا يُنكر وقاعدة لا يُنسب الى اهلها هوى ولا غيّ ولا قصد ولا حال من الاحوال التي قدسك متبرئٌ منها ومترفعٌ عنها . واما أن تذكر ايها الاب الروحاني انقباضك عما صار اليه حالي وقلقك مما جرى عليه امري وايثارك الموت دون السماع بمثله فهذا ما كان يليق اذ لم يجر

بحمد الله هنا اراسيس ولا فساد مقالة ولا نقض سنّة ولا حالةٌ غير معروفة والذي جرى هو امرٌ صَغُرَ حالي عنهُ وبَعُدَ موضعي منهُ لارتفاعهِ عني وعظمهِ عليَّ وقلة قيامي بهِ وتفاوت نقص استحقاقي لهُ الا انهُ لم يكن مني ولا اتى بسعيي وانما هو ما اختارهُ اصحابي ورضي بهِ شعبي وامضاهُ رؤساء الدولة وعرفهُ علماء الملة من المدينة العظمى التي عليها يعوَّل ومنها يُقتبَس وكيف يجوز ان ينكر واحدٌ ما يجتمع عليهِ هذه الطبقة وترضى بهِ هذه الامة وهو امرٌ مشهورٌ عندنا ومستعملٌ بيننا من قديم الزمان الى حيث انتهينا

والذي ذكرت ايها الاب الروحاني في هذا الباب انا اعلم انك لم تذكرهُ الا لبعد العهد بهذا الحال ولعدم الكتب التي تنبئ بمثلهِ في ناحيتك ولقلة من يستعملهُ ويقبلهُ في موضعك للاحوال التي دُفع اليها اهل تلك الديار مما نسأل الله المعونة عليهِ . واذا انت رجعت للفحص عن ذلك وجدتهُ امرًا لم يبدأ منا ولا يتناهى فينا ووجدت البطرك افسطاتيوس القديس قد انتقل من اسقفية حلب الى بطركية انطاكية ووجدت ملاتيوس منقولاً من اسقفية اريصا الشام وهي الرستن الى حلب ومن اسقفية حلب الى بطركية انطاكيـة وقد حضر في المجمع الثاني بالقسطنطينية وهذا المجمع نقل غريغوريوس الثاولوغوس من نزينز الى كرسيّ البطركية بها ووجدت افدوكسيوس قد نُقل من اسقفية مرعش الى بطركية انطاكية ومنها الى بطركية القسطنطينية ووجدتِ افسافيوس قد نقل من بيروت الى نيقوميدية ومنها الى القسطنطينية ووجدت آخرين منقولين من مواضع عدة الى غيرها . هذا بعـد مار بطرس السليّح الذي هو اساس البيعة ورأس الشريعة ومُقامهِ اثنتي عشرة سنة بانطاكية وانتقـالهِ بعد ذلك الى رومية وكفاك من شاهدٍ ولو اردنا المزيد على ما ذكرناهُ لطال بنا القول ولكنا اكتفينا بقليل من كثير ليكون قدوةً يقتدَى بها واصلاً يُرجع اليهِ وطريقًا تفسح لك في قبول القول ورفع الاسم لا سيما مع علمك بأن هذا ليس مما تدعو اليهِ حاجةٌ ضرورية وانما يراد بهِ اتحاد البيَع المقدسة بالروحانية ومن طلب ان يتحد مع قدسك ويشارك في خدمتك فليس يجوز ان تنفرد عنهُ بالحجج

التي احتججت بها ويقوم البرهان بصحة غيرها من ذلك

وتشبيه هذا الامر بمن تزوج ابنةً ثم تركها واخذ امها فقد ارتفع الكهنوت الالهي عن ان يشبه بالتزوج البشري ولو كان الامر كذلك لكان اذا توفي اسقف وكان لهُ اخٌ يستحق الرئاسة لا يجوز لهُ ان يأخذ موضعهُ كما انهُ لا يجوز للاخ ان يأخذ زوجة اخيهِ بعد وفاتهِ . والتشبيه بمن طلق امرأتهُ واخذ غيرها يبعد ايضاً عما نحن فيهِ ولا يليق ان يشبه بهِ والا لم يكن بالجائز للمدينة ان يصير عليها اسقفان كما لا يجوز للمرأة ان تتزوج برجلين معاً . فاما قول السيد المسيح ان من طلق زوجتهُ فقد جعلها زانية ومن تزوج مطلقةً فانهُ يزني فلم يكن مقولاً على الكهنوت وانما كان كلامهُ مع اليهود لما حضروا مجرّبين لهُ فاراهم بعد طباعهم عما يوجبهُ ناموس الطبع اللطيف والعقل الحصيف من المحافظة على الزواج البشري والتمسك بحبلهِ لاجل أن الاثنين قد صارا جسداً واحداً كما قال الكتاب وان كان الامر كذلك فاية مناسبة بين هذا المعنى وبين الكهنوت الالهي الذي هو درجاتٌ تتراقى من الدون الى التي فوقها . واما تشبيه هذه الدرجات بطغمات الملائكة التي تحفظ كل طغمة منها موضعها ولا تتعدى الى غيرهِ فهذا ايضاً مما لا يشبه بهِ في حال النقلة والاّ لم يكن من الجائز للاناغنسط ان يرتقي ويصير ايوديا كناً ولا للايوديا كن ان يصير شماساً ولاللشماس ان يصير قسيساً ولا للقسيس ان ينتقل الى ما فوق . واما تشبيهها بالنجوم والكواكب وأن هذه لازمةٌ لنظامها ومواضعها لا ينتقل احدها الى موضع غيرهِ فهذا ايضاً بعيد لان الكواكب اجرامٌ غير ناطقة رتب الباري كل واحد منها في موضعهِ وجعل طبيعتهُ لا تتغير عن حالها واما الانسان فانهُ جعلهُ حيواناً ناطقاً متحركاً من حال الى حال ومن امرٍ الى امرٍ والخليق بهِ ان يكون انتقالهُ الى ما هو اشرف وحركتهُ الى ما هو اعلى فمن هذا السببَ جاز لهُ ان ينتقل وقد قامت الشواهد بهذا الحال

فاما ما التمستهُ ايها الاب الروحاني من احضار محضر من المدينة الشريفة يذكر فيهِ كيف جرت الحالة والرضى بها فلم يجرِ بذلك رسم ولا فعل هذا من تقدمني فافعلهُ انا بعدهُ ولولا تعذُّر الطريق في هذا الوقت الى ما هناك لقد كان ذلك سهلاً .

واما انفاذ خطوط كهنة الكرسي وشيوخهم بالرضى فهذا نريد ان يكون لو لم يتم الامر وحينئذٍ تكون الشبهة لاحقة في مثل هذا فاما بعد تمامهِ ومضيّ مدة سنةٍ عليهِ فانت تعلم بانهُ لو لم يحصل في الاول خطوط ويقع اجماع ورضى قبل التوجه الى المدينة المتملكة لما كان تم الامر وكان بعد تمامهِ اضطراب ولم يقع بعدهُ سكون . فنحن بحمد الله كنيستنا واحدة والمشاركة فيها من كل جهةٍ واقعة والمحبة بين اولادها تامة وليس هنا خلف ولا انفراد ولا انشقاق ولا حالٌ فيها شبهة تحتاج الى انفاذ ما التمستهُ وطلبتهُ من مثل هذا في غير موضعهِ بل الاجابة الى مثل ذلك نقصٌ وايقاع شبهة والاحقّ بالمودّة الالهية والاليق بالاحوال الروحانية ان ندع التماس ما لم تجرِ العادة بالتماسهِ والاحتجاج بما قد بطل وبمثلهِ والرجوع الى الواجب في توكيد المودّة واتمام اتحاد الخدمة والمشاركة حتى يزول الشك و يرفع سبب الفساد ولا يقع في البيعة انشقاق وانت ايها الاب الروحاني تأتي في ذلك الواجب . وقد اردت انفاذ البركة على ما جرى بهِ الرسم والعادة ولم تتأخر الا لبعد الطريق وصعوبة الوقت وانا ارصد الفرصة لانفاذها واتبارك باصدارها واني في ذلك على الرسم الذي انا قلِقٌ لتأخرهِ وانت ايها الاب الروحاني تأتي في قبولها عند وصولها ما جرت فيهِ العادة التي تتبع الروحانيات ولا ينقصها تأخيرها ولا يزيد فيها تقديمها مع ابهاجي بكتابك عاجلاً متضمناً من اخبارك واستقامة الاحوال قبلك ما اسرّ بهِ ومن حاجاتك ومهماتك ما اقوم فيهِ بواجب المودّة والاخوّة الروحانية والمشاركة ان شآء الله

اسطورة هندية

ذُكر ان هذه الاسطورة رُويت في اثنتين وعشرين لغةً منها المصرية القديمة وكل طائفةٍ من اصحاب هذه اللغات تنتحلها لنفسها وتبدّل الاسماء فيها على ما يوافق تاريخها فرأينا ان ننقلها هنا تفكهةً للمطالع وهذا تعريبها بتصرفٍ يسير

كان الملك راما تشندرا من الملوك الغزاة افتتح بلاداً كثيرة وغنم ما لا يُحصَى من الاموال والجواهر فازدادت ثروتهُ حتى اضطُرَّ ان يبني لها ردهةً مخصوصةً يجعلها فيها بمأمنٍ من مطامع اسرتهِ وبطانتهِ

وان الرجل الذي بنى الردهة احتال بان ركَّب حجراً من حجارة الجدار على مِحوَرٍ من حديد واحكم وضعهُ بحيث اذا دُفع الحجر من الخارج يدور على المحور وينفتح بجانبهِ منفذٌ الى الردهة واما من الداخل فكل قُوَى العفاريت كانت تعجز عن قلقلتهِ . فكان الرجل بعد ذلك يختلف الى الخزينة فيأخذ منها الشيء بعد الشيء على قدر حاجتهِ بحيث ان الملك لم يشعر بشيءٍ مما كان يفعل

ولما شاخ البنّآء واحسّ بدنوّ اجلهِ دعا ولديهِ وقال لهما اني حين بنيت الردهة لاموال الملك جعلت في احد جدرانها حجراً اذا دُفع من الخارج انفتح بجانبهِ مدخلٌ الى الخزينة وعلامة الحجر كذا وكذا فاذا عرفتما ان تكتفيا بالشيء القليل ولا تأخذا الا حاجتكما فقط كما كنت انا اصنع الى اليوم فان خزينة الملك تزداد على الدوام فلا يشعر بانكما قد اخذتما شيئاً

ولم يمضِ على ذلك الا ايامٌ حتى حُملت جثة البنّآء الى نضد الحطب وطفق ابناهُ بعدهُ ينتابان الخزينة ولكن بقدر حاجتهما غير انهما لم يلبثا طويلاً حتى طمحت اعينهما الى اتخاذ الاسلحة الثمينة وافيال الصيد والمفروشات الفاخرة فاخذا شيئاً فشيئاً ينسيان وصية ابيهما فاكثرا من طروق الخزينة وكانا كل مرةٍ يستصحبان معهما الثيران لحمل ما يختلسانهِ . وفي آخر الامر

تنبه راما تشندرا الى ان جواهرهُ وامواله كانت تنقص يوماً بعد يوم فطالع خازنهُ بذلك سرًّا فقال لهُ الخازن لا يعلمنَّ احدٌ بهذا الامر لئلا يتحذر السارق ولكن اتخذ لك اشراكاً من قُضُب الحديد وأخفِها بين صناديق الاموال فاستصوب الملك رأي الخازن وفعل كما اشار عليه

فلما كانت الليلة القابلة وفد الأَخوان على ما كان من دأبهما وكان من عادتهما ان يتناوبا العمل فيدخل احدهما الى الخزينة ويلبث الآخر في الخارج فيملأ ما معهُ من الاكياس بما يلقي اليهِ اخوهُ لانهما لو دخلا معاً واتفق ان يُغلَق الحجر بسببٍ من الاسباب لامتنع عليهما فتحهُ . فدخل اصغر الاخوين وما كاد يطأ داخل الردهة حتى نَشِب في احد الاشراك فصاح مستغيثاً فبادر اليهِ اخوهُ ولما لم يستطع انقاذهُ ايقن ان هلاك اخيهِ سيكون سبباً في هلاكهِ فقطع رأسهُ لكي لا يُعرَف ونجا بنفسهِ

ولما عاد الى منزلهِ قصّ الخبر على امهِ فأعولت وولولت ومزّقت ثيابها واقسمت ان لم تُردّ اليها جثة اخيهِ لتجري لهُ سُنَّة الدفن لَتعرّفَنَّ الملك بالقاتل وسارق الخزينة . فقال لها اسكتي ايتها المرأة فانك بصياحكِ هذا تنبّهين الينا الجيران فاذا سمعوا الولاول قالوا هؤلاء غرماء الملك وانا اضمن لكِ ان استخلص جثة اخي ونقيم لهُ نَضَدًا يليق بهِ

ولما اصبح الملك تفقد الخزينة فوجد في الشَرَك رجلاً بغير رأس ونظر هنا وهناك فلم يجد اثراً لموضع دخولهِ فامر بتعليقهِ على احد ابواب المدينة وان تُوصَد الابواب الأُخر بحيث ان كل من يدخل المدينة او يخرج منها لا يكون لهُ ممرٌّ الا من ذلك الباب وامر حرّاسهُ ان يتصفحوا وجوه المارّة

فمن وجدوا عليهِ اثر كآبةٍ او انقباض قادوهُ اليهِ

فلما انقضى ذلك النهار وضرب الليل ارواقهُ عمد اخو الميت الى ثيرانهِ فرفع عليها زقاقاً قد ملأها شراباً مختمراً من لبن النارجيل وتوجه بها الى باب المدينة حتى انتهى الى الجند وقال لهم ان الملك قد بعث اليكم بهذه المكرمة جزاء حسن قيامكم على حراسة الباب . فتهلل الجند ودعوا للملك ثم تهافتوا على الزقاق واخذوا يتراهنون على ايهم اكثر شرباً فلم يلبثوا حتى صرعهم المسكر عن آخرهم وكان الرجل لم يبرح بحجة انهُ ينتظر ان تفرغ الزقاق فاسرع الى جثة اخيهِ وحلها ووضعها على احد ثيرانهِ واسرع في الهرب

وفي الصباح نُمي الى الملك ان الجثة قد سُرقت فاحتدم غيظاً ودعا الحرس فتهددهم بان يضرب كل واحدٍ منهم مئة جريدة ان لم يتوصلوا الى معرفة الخبيث الذي مكر بهم ذلك المكر . وكان في جملة ما سرقهُ الأَخوان جوهرةٌ للملك كان شديد الحرص عليها لانها انتهت اليهِ من السلف وكان قد قرنها بجوهرةٍ اخرى تشبهها واتخذ منهما قرطين فأعلن ان من يستردّ لهُ هذه الجوهرة من السارق يكافأ بألف جريب من الارض بموضع كذا . فلما كانت الليلة التالية سُرقت الجوهرة الاخرى ووجد الملك في مكانها ورقةً من النارجيل قد كُتب عليها « لابتياع نَضَدٍ من الحطب لجثة اخي »

فازداد الملك حنقاً وصمم ان لا يرجع عن طلب معرفة السارق الجريء الذي اتخذهُ هزؤاً ووعد من يدلهُ عليهِ ان يزوّجهُ بابنتهِ الاميرة راحامي ولو كان السارق نفسهُ . ثم امر ابنتهُ فجلست تحت شجرةٍ من النارجيل لتستقبل المخبرين فلم يبطئ السارق ان جاء الى الاميرة وقال لها انهُ يعرف

الرجل الذي اختلس اموال ابيها وقطع رأس اخيه ِ وخدع حرّاس الملك واخذ جوهرة اسلافه ِ . فقالت ومن هو هذا الرجل فقال أنا . فقبضت الاميرة على يده ِ ونادت الحراس وكان قد خبأ يد اخيه ِ في كمّه ِ فأفلت منها وهرب واذا اليد التي قبضت عليها يد ميت

وكان ذلك من سعادة بخت الرجل لان الملك لما وعد بتزويج ابنته حتى للسارق لم يؤكد وعدهُ باليمين المقدسة فلما بلغهُ ما فعل ازداد اصراراً على معرفة السارق فاستأنف وعدهُ وقفّى عليه ِ باليمين الرهيبة وبث المنادين لاعلان الامر وكان الوعد مختوماً بهذه الكلمات «ان لم أفِ بوعدي فلتُحرَم جنازتي كل احتفالٍ ديني الى الابد ولتتقمص نفسي في كل دورٍ اجساد البهائم النجسة الآكلة الجِيَف»

وعند ذلك تقدم السارق جهراً وقصّ على الملك كل ما فعل ثم قال ايها الملك العظيم اني لو لم تقسم اليمين المعظمة لم امثل بين يديك ولم تكن خُدعةٌ في العالم تستطيع ان تأخذني . فقال لهُ الملك لقد كذبتك نفسك ايها المغرور وستعلم حقيقة ذلك في الحال ثم امر بأن يُعقَد لهُ على ابنته ِ وبعد اجراء رسم العقد نادى الحَرَس وقال دونكم هذا الرجل فبادروا من فورهم وكبّلوهُ بالحديد . ثم قال لهُ اني اقسمت على ان ازوّجك ابنتي وقد بررت لك بما اقسمت عليه ِ ولكني لم اعد باني لا اقتصّ منك على جرائمك الكثيرة فسوف تعلم ايُّنا اعظم كيداً واشدّ مكراً

فاجابهُ من غير توقف وقال كلاّ بل الزواج كما شرعهُ لنا مانو لا ينعقد ما لم تُقَد الزوجة الى منزل الزوج فينبغي ان تُفكّ عني هذه القيود وان ابقى

مطلقاً الى ان يتمّ هذا الرسم الذي لا يجري الاحتفال بهِ الا بعد ثلاثة ايام ولتعلم اني لو لم تقسم القسم الرهيب على ان تنزلني منزلة ولدك كنت اغتنمت هذه النُهزة ونجوت بكنوزي . وعند ذلك ارتفعت اصوات الاستحسان بين الحضور اعجاباً بذكاء الرجل وحضور جنانهِ والتفت الملك الى من حولهُ وقال اشهد ان هذا الرجل هو أدهَى رجلٍ في الهند

متفرقات

البارُسكُوپ — هو آلةٌ بسيطة يستعملها بعضهم للاستدلال على حالة الجوّ وهو غير البارسكوپ المعروف الذي يُختبَر بهِ مقدار ضغط الهوآء على الاجسام . يتخذ من انبوبٍ من الزجاج يُملأ سائلاً شفافاً ويُسَدّ سدًّا محكماً ويركَّب عمودياً على حائطٍ ونحوهِ . والسائل الذي فيهِ يتغير شكلهُ تبعاً لضغط الجوّ واختلاف توازن الهوآء وما يشتمل عليهِ من رطوبة وبرد وغير ذلك فيتركب فيهِ بلوراتٌ ابرية يتبدل منظرها ووضعها وتتنقل بين اعلى الانبوب واسفلهِ على ما سيُذكَر والسائل المشار اليهِ يتركب من المزيج الآتي

كحل (سبيرتو) على ٨٠°	٨٠ غراماً
ملح بارود	٦ غرامات
نشادر	٦ »
كافور	٦ »
مآء مقطر	٢٠٠ غرام

وينبغي ان يكون طول الانبوب من ٢٠ الى ٣٠ سنتيمتراً وبعد ان توضع هذه الاجزآء فيهِ يسدّ بالفلين ويُختَم عليهِ بالشمع

واما الاستدلال بهِ على حالة الجوّ فهو على ما يأتي ننسقهُ نقلاً عن احدى المجلات العلمية

اذا استقرّ المركَّب في اسفل الانبوب وبقي ما فوقهُ من السائل صافياً كان ذلك دليل الصحو

واذا ارتفع المركَّب درجاتٍ وظهر فيهِ بلوراتٌ تشبه النجوم تتحرك في وسطهِ دلّ على انهُ قد يكون مطر

واذا ارتفع بعض المركب الى اعلى الانبوب وظهر بشكل ورقة نبات او غصن شجرة من البلور دل على قرب زوبعة او ريحٍ عاصف وهذه الدلالة تكون قبل اربع وعشرين ساعة . واما الجهة التي تعصف منها الريح او الزوبعة فيُستدَلّ عليها بالجهة التي يزداد فيها ارتفاع المركب وظهورهُ بهيئة بلورات وتتحقق هذه الدلالة بخلو الجهة المقابلة من البلورات

ثم انهُ في الشتآء يكون المركَّب في اعلى الانبوب واذا كانت حالة الجوّ منذرة بسقوط ثلج او حدوث جمد كان المركب بهيئة بلورات تشبه النجوم . واما في الصيف فبالعكس فان المزيج يهبط الى اسفل الانبوب ويكون السائل صافياً

علاج غريب — جآء في جريدة الارز الغرآء ما نصهُ

حدث ان ذبابةً سامةً لدغت حضرة القس حنانيا الجاجي في رجلهِ

اليمنى وما مضى غير قليل حتى تمشى سمها في جسدهِ وتورّم رأسهُ وشعر بان احشاءَهُ تستعر ناراً وكاد ان يرمي بنفسهِ الى حوض ماء كان قريباً منهُ فردعهُ بعض الرهبان واجتمع الناس جماً غفيراً عليهِ وفيهم الطبيب سابا طنوس موسى من اهمج فعمد الى علاج نادر في بابهِ وهو انهُ أمر باحماء تنور وغطاه ببلاطة وأوقف القسيس عليها وجرّعهُ الحليب وهو فاقد الهدى فتشقق جسدهُ وسال منهُ عرق ودم كاد يطفىء النار . وبينا الناس موجسون ان ينضج القسيس ويموت عاد اليهِ روعهُ وقد استمر الطبيب على معالجتهِ الى ان تعافى

كسوف الشمس

في صباح الحادي عشر من هذا الشهر كسفت الشمس كسوفاً حلقياً وكان ابتداؤهُ في القاهرة الساعة ٦ والدقيقة ٣٠ والثانية ٧

وابتداء الكسوف الحلقي »	٧ »	٥١ »	٢
ومنتصف » »	٧ »	٥٥ »	٠
وآخر » »	٧ »	٥٨ »	٢
وانتهى الكسوف »	٩ »	٣٠ »	٦

وقد وردت القاهرة بعثةٌ فرنسوية لمراقبة هذا الكسوف ورصدتهُ من الجزيرة على ان هذا الكسوف لا اهمية لهُ بالقياس الى المباحث الفلكية لانهُ ليس من الكسوف التام ولذلك لا ينتظر وراء رصدهِ كبير فائدة

اجتماع السيّارة

من الحوادث النادرة ما يُرى في هذا الاوان من اجتماع السيارة كلها في جانب واحد من السمآء فان الزهرة والمريخ والمشتري وزُحَل مجتمعة كلها في صورة القوس ولما كانت الزهرة اسرع هذه الاربعة حركةً اقترنت بالمريخ في ١٠ اكتوبر الماضي وستقترن بالمشتري في ١٨ من الشهر الحالي وبزُحَل في ١٩ منهُ وفي ٢٨ يقترن المشتري وزحل وهذا الاقتران الاخير من الحوادث النادرة ايضاً فانهُ لايحدث الامرةً في كل ٢٠ سنة . والقمر في اجتيازهِ صورة القوس يمرّ في ١٥ منهُ بالقرب من جميع هذه السيارة

ثم ان اورانس اليوم في صورة الحوّآء (افيوكس) فهو بجوار السيارة الاربعة المذكورة والشمس في هذا الشهر تقطع برج الميزان وهو الى غربي القوس وعطارد في البرج نفسهِ الى غربي الشمس فلا يبقى منفرداً عن هذا المجموع الا نبتون ومحلهُ في برج الثور

آثار ادبيّة

مقدمة ابن خلدون — لا حاجة الى الاطناب في تعريف هذا الكتاب الجليل وما اشتمل عليهِ من سنيّ المباحث في بيان احوال الاجتماع الانساني وما يعرض فيهِ من البداوة والحضارة وطرق الكسب والمعاش وانواع الصنائع والعلوم وشؤون المُلك والدول وفنون السياسة والحرب الى غير ذلك من شوارد الفوائد مما اتى المؤلف على جميعهِ ووفى كل مبحثٍ حقهُ وافرغهُ

في احسن قالب من الفصاحة بحيث جآء انفع كتابٍ في فلسفة العمران يستفيد منهُ الباحث دُربةً وعلماً ويتحداهُ الكاتب في اساليب البلاغة والبيان

وقد عني حضرة الفاضل خليل افندي سركيس صاحب جريدة لسان الحال والمطبعة الادبية في بيروت بتجديد طبعهِ محلًّى بالشكل الكامل فجآء نسخةً جميلة المثال جيدة الورق والطبع تبلغ ما يقرب من ٦٠٠ صفحة وجعل ثمن النسخة منهُ خمسة فرنكات فقط فنحضّ جمهور الادبآء على مقتناهُ ونثني على حضرة الطابع لما اتحف بهِ متأدبي العصر من هذه الذخيرة الثمينة

سياحة مصري في اوربا — اطرفنا حضرة الفاضل علي افندي ابو الفتوح بنسخةٍ من مؤلفٍ لهُ بهذا العنوان ضمَّنهُ تفصيل سياحتهِ في البلاد الاوربية ما بين فرنسا وسويسرا وايطاليا فوصف ما مرّ بهِ من مدن هذه البلاد وصفاً مدققاً بذكر اشهر شوارعها وابنيتها وآثارها واخلاق اهلها وعاداتهم واطال في الكلام على باريز فذكر طرفاً من تاريخها ووصف منازلها وشوارعها وساحاتها وما فيها من حركة التجارة والصناعة وحال المدارس ودور الكتب وقصور العاديّات وردهات التمثيل وسائر الملاهي والمجتمعات ثم وصف المعرض العام بها لسنة ١٩٠٠ وصفاً مجملاً انتقل منهُ الى تفصيل فوائد المعارض ومضارّها وبين كل ذلك خواطر وفوائد شتى ادبية وتاريخية من كل ما تروق مطالعتهُ فنثني على حضرة المؤلف ثناءً طيباً ونحضّ كل اديبٍ على اقتنآء هذه التحفة النفيسة

فكاهات

كيف يصير الجماد انساناً (١)

وقعت اليَّ القصة الآتية وهي روايةٌ واقعية نشرها المسيو لويس ارنولد في احدى المجلات الادبية وقد حضر كثيراً من وقائعها بنفسهِ كما يُعلم من سياقتها فأحببت ان اطرف بها قرآء الضياء لما فيها من الغرابة وما تشير اليهِ من ان اعظم المستحيلات في الدنيا اذا تولاها الانسان بالبصيرة الحاذقة وزاولها بالحكمة والصبر الطويل لا تلبث ان تعنو لهُ وتصبح من الممكنات . وهناك امرٌ آخر لعلهُ اهمّ مما ذكر وهو الدلالة على ما لاخواننا الغربيين من العناية بالانسان والعمل لتخفيف وطأة البؤس عنهُ وايصال اسباب السعادة اليهِ ولو حالت الطبيعة دونهُ باوعر عقبات الشقآء وامنع اسوار اليأس عسى ان يكون ذلك محل اعتبار لأناسٍ منا يستلذّون الدعة والنعيم واخوهم الانسان مطروح بين انياب البؤس ومخالب العنآء . قال

في صبيحة اليوم الاول من شهر مارس سنة ١٨٩٥ وصل الى دير الراهبات المعروفات براهبات الحكمة ثلاثة اشخاص مسافرين وكانوا قد قطعوا ذلك الليل مشياً على القدم لانهم ضلوا طريق الدير فلم يبلغوهُ الا في الصباح . وكان هؤلآء الثلاثة من ناحية اللوار السفلى احدهم رجلٌ صانع براميل ومعهُ نسيبةٌ لهُ وهما يسوقان امامهما ابنةً تبلغ نحو عشر سنوات من العمر الا ان هيئتها كانت اشبه بمخلوقٍ وحشي وكانت دائماً قلقة مضطربة لكنها لا تتكلم ولا تسمع لان الطبيعة قد حرمتها اهمّ حواسها منذ المولد وقذفتها صمآء بكمآء عميآء تاركةً لها حسًّا واحداً وهو اللمس لتشعر بواسطتهِ بوجود مخلوقات سواها على وجه هذه البسيطة

وان اباها السيئ البخت بحث كثيراً عن ملجأ يجعل فيهِ هذه المخلوقة الشقية

(١) معربة عن الفرنسوية بقلم الياس افندي الغضبان

ليخفف بعض الشيء من شقائها فكان عبثاً يتعب لان ملاجئ الصمّ البكم امتنعت من قبولها لانها عمياء وملاجئ العميان ردّتهُ خائباً لانها صماء بكماء . واخيراً رقت لحالهِ اسرةٌ من الاغنياء فقبلتها في منزلها على سبيل التجربة لكنها لم تلبث الاّ قليلاً في دارهم الرحبة حتى رُدّت الى ابيها بحجة انها مختلة الشعور . فاشير عليهِ بان يرسلها الى ملجأ المعتوهين في مدينة نانت الا انهُ لحدة مزاجها خشي ان تزداد حالتها سوءا فلم يشأ ارسالها . وبينما هو يفكر في امرها بلغهُ ان ابنةً لها من العمر ثلاث سنوات ونصف يقال لها مرتا اوبرخت اصيبت بالعمى والصمم والبكم لرعب اصابها في حرب سنة ١٨٧٠ التي اتقد سعيرها بين فرنسا والمانيا وان ابويها وضعاها في دير لرناي حيث علمتها واحدة من الراهبات يقال لها سنت مدول التكلم والقرآءة فما عتم ان نهض لساعتهِ هو وخالة الفتاة وتوجها بها قاصدين الدير المذكور حتى بلغاهُ في ذلك الصباح

ولما دخلا الدير علما ان الراهبة سنت مدول قد توفيت في العام الماضي لكنها تركت تلميذةً لها تسمى سنت مرغريت خلفتها في تعليم الفتاة المذكورة على نفس الطريقة التي كانت تجري عليها معلمتها وبناءً عليهِ قبلت رئيسة الدير ابنة صانع البراميل المذكور وكانت تسمى ماري هورتين وسلمتها الى عهدة سنت مرغريت

الا انهُ كان يوجد فرق عظيم بين ماري هذه والفتاة الاخرى فان ماري كانت فاقدة اهمّ حواسها منذ المولد وتلك فقدتها اذ كان عمرها ثلاث سنوات ونصفاً كما تقدم ولا يخفى ما هناك من التباين ومع كل هذا فان سنت مرغريت قبلت تلميذتها وباشرت الاعتناء بها

ولما استقرّت ماري في الدير وشعرت بمفارقة ابيها وخالتها ادركها من الوحشة ما اصبحت لهُ في حالةٍ يرثى لها فكانت دائمة القلق والاضطراب لا تذوق السكينة ولا تعرف الدعة وكانت ذات منظر مخيف ترمي بنفسها على الارض وتتقلب من جهة الى اخرى ولا تمل من الصياح واستمرت على هذه الحالة مدة شهرين كانت في اثنائهما تراعى بكل اعتناء وكانت الراهبات ينزهنها في حديقة الدير مع باقي

التلميذات الا انهُ في اثنآء ذلك كانت تأتيها نوبة عصبية فتصرعها وتلقيها على الارض خائرة مزبدة فكنّ في الحال يحملنها ويدخلنها مخدعها بكل احتراس وبالاجمال فان هذه الشقية كانت تقاسي عذاباً احرّ من الجمر وهو عذاب نفسها المسجونة في داخلها وهو اشد الماً من عذاب الجسد

اما سنت مرغريت فمع كل هذا لم تحجم قطّ عن تعليم تلميذتها مهما كانت حالتها غريبة وكان لهذه التلميذة ولوع شديد بسكين صغير كان معها من يوم دخولها الدير فلما كانت في احد الايام اخذتهُ معلمتها من يدها فشقّ ذلك على الفتاة وظهر عليها الاغتمام فردتهُ اليها ثم انها امسكت كفيها وامرَّت حرف الواحدة على الاخرى وهي اشارة السكين عند الصمّ البكم . و بعد ساعة عادت فأخذت السكين منها ثانيةً ولما لم تردّها اليها وضعت احدى كفيها فوق الاخرى مثلما فعلت معها معلمتها تشير الى طلب السكين فعند ما رأت منها معلمتها هذه الاشارة ردّت اليها السكين في الحال وهذه اول خطوة خطتها هذه المسكينة اذ ادركت وجود نسبة بين الاشارات والمحسوسات

ومذ ذاك اخذت سنت مرغريت تتابع معها هذه الخطة وكانت قد علمت من خالتها انها تحب البيض كثيراً فأمرت بان تعطى في كل يوم بيضة مع الغدآء . ففي احد الايام بعد ما وضعت لها الخادمة البيضة في صحنها اتت معلمتها واخذتها منهُ ومدّت ماري يدها لتأخذ البيضة فلم تجدها فانقبضت واظهرت علامات الاستيآء فامسكت سنت مرغريت يدها وعملت لها اشارة تدل على البيضة فكررت الاشارة فردتها اليها . وعلى هذا المنوال علمتها عدة اشارات تدل على اصناف الماكولات التي كانت تقدم لها. ثم انها بعد مدة من الزمن كانت تجلسها على المائدة ولا تجعل امامها شيئاً فكانك تطلب هي بالاشارات الطعام الذي تشتهيهِ وهكذا اجتمع لها اول معجم يمكن ان تأخذ منهُ ما تعبر بهِ عن بعض اغراضها اذ كانت لها اشاراتٌ تدل كلٌّ منها على معنى مخصوص

ولما لم يكن في الامكان الاستمرار في تعليمها على هذا الوجه وتحميل قوة

حافظتها لكل معنى اشارةً مخصوصة رأت معلمتها ان تبتدئ بتعليمها حروف الهجاء بالاشارات التي كانوا يعلمونها للصم البكم قبل اكتشاف الدلالة على الحروف برمز الشفاه لانها لما كانت فاقدة البصر لم يكن سبيل الى تعليمها الحروف بالرمز فاخذت تعلمها اشارة كل حرف بيديها . و بعد ما اتقنت معرفة الحروف جميعها ابتدأت تركب لها مثلاً كلمة سكين من اربع اشارات مختلفة عوض الاشارة الواحدة التي كانت تستعملها قبلاً للدلالة عليها وبهذه الطريقة الجديدة استطاعت ان تفهمها اي اسم ارادت وهي تشير الى كل ما تعرفهُ

ولم تقف سنت مرغريت عند هذا الحد بل احبت ان تفتح عينيها وتعلمها القراءة فشرعت في تعليمها قرآءة الحروف على طريقة براي في تعليم العميان وهي ان تُرسم لهم الحروف ناتئة على الورق بحيث تُدرَك صورها باللمس و بينت لها المناسبة بين هذه الحروف والحروف الاشارية التي كانت قد تعلمتها فكان هذا مما سهل عليها تناول طريقة براي في أسرع ما يمكن وهكذا تعلمت كلام الصم البكم وقرآءة العميان ولم يتم هذا الا بعد ما بذلت سنت مرغريت اقصى مجهودها مع ما اظهرتهُ ماري من الذكآء والنباهة مما لم يكن ينتظر منها

وكانت ماري الى ذلك الوقت قد تعلمت عدّة امور الا انها لم تكن تميز الا الاشيآء المحسوسة فكان من اهتمام الراهبات بعد ذلك ان يعلمنها المدارك العقلية فبدأت معلمتها ترشدها الى معرفة الصفات والتمييز بينها. في بعض الايام ادنت منها تلميذتين من رصيفاتها الواحدة طويلة القامة والثانية قصيرتها ووقفتهما امام ماري وامرتها ان تضع يدها على رأسيهما وتلاحظ الفرق الحاصل بينهما وبمثل هذا التمرين جعلتها تميز بين الكبر والصغر . ثم ارتأت يوماً ان تجعلها تميز بين الغنى والفقر فانتهزت فرصة دخول بعض المارين الى الدير واختصت منهم واحدة من الزائرات كانت مرتدية بالملابس الفاخرة وعليها الحلى الثمينة فاستأذنتها ان تأتي ماري وتلمس ثوبها وحليها ففعلت. ثم مرّ احد المتسولين وهو حامل جرابهُ على عاتقهِ وعليهِ اثوابٌ مقطعة فاخذت ماري وجعلتها تجسّ هذا المسكين فاظهرت الانقباض من ملمسهِ

خلافاً لما كان منها عند لمسها المرأة الموسرة واشارت الى انها لا تحب ان تكون فقيرة وعلى هذه الكيفية فرقت بين الغنى والفقر

ومن مضحك ما اتفق لها انها لما رأت معلمتها ان تكشف لها الغطآء عن حالة الشيخوخة اتت بعجوز صمآء بكمآء في الثامنة والثمانين من العمر وامرت ماري ان تلمس وجهها المتغضن وتضع يدها على ظهرها المنحني وتقابل بينها و بين وجهها الاملس وقامتها المستوية كالصعدة . و بعد ما تحققت ذلك قالت لها معلمتهـا انها ستضحي يوماً ما مثل هذه فيتثنى جلد وجهها ويحدودب ظهرها وتحتاج الى ان تمشي على العصا . فلما فهمت الفتاة ذلك اظهرت اشد النفور والابآء وقالت لا لا اني لا اريد ان اصير مثل هذه ولكن احب ان ابقى كما انا وقالت انهـا متى بلغت سن الشيخوخة ستجتهد بأن تنصب قامتها ولا تنحني .فأخذت سنت مرغريت تقنعها بانها هي ايضاً و باقي الراهبات سيضحين كذلك ولما كانت ماري تود معلمتها جدًّا لم تكره اخيرًا ان يكون حظها مثل حظها ومن ذلك الحين ابتدأت تعلمها بعض الاديات الضرورية

واخيراً رأت سنت مرغريت انهُ من اللازم ان تكشف لهـا عن حالة الموت فاغتنمت فرصة وفاة احدى الراهبات التي كانت تتولى ادارة المطبخ وكانت ماري مولعة بحبها واخذت تحدثها عن موتها بقدر ما استطاعت ايصالهُ الى فهمها وقالت لها انها نامت ولن تفيق من نومتها فيما بعد ولن تعود الى ما كانت عليهِ من تدبير المطبخ ابدًا . ثم ادنتها من جثتها وامرتها ان تجسها فلما وضعت يدها عليها وشعرت ببرودة جسمها الهامد اقشعرّ جلدها وظهرت عليهـا علائم الدهش والاستغراب . واذ ذاك ذكرت لها معلمتها انها هي ايضاً سيصيبها مثل ما اصاب تلك الراهبة فوقع ذلك على ماري اعظم مما وقع عليها امر الشيخوخة واظهرت اشدّ النفار والانقباض فأخذت سنت مرغريت تتلطف في تسكين جأشهـا وما ثار في نفسها من عوامل الهلع ولكي تخفف عنها اشجانهـا شرعت تبين لها أنها هي ايضاً ستموت وانها تتلقى هذا الفكر بنفسٍ راضية فلم تجد الفتاة بدًّا من التسليم لانها لم تكن تشك فيما تقولهُ لها معلمتها . ثم انهُ بعد مدة اخترمت المنية راهبة اخرى فصنعت معها معلمتها كما صنعت

في المرة الاولى واذ ذاك علمت ان الموت لم يكن خاصاً بتلك الراهبة وانهُ سيتناول كل واحدة من الراهبات في نوبتها

اما سنت مرغريت فلم تشأ ان تقف ماري عند هذا الحد ولا تدرك من الموت الا ظواهرهُ بل انها احبت ان تعلمها بوجود النفس . ففي ذات يوم ورد على ماري كتاب من والدها ففرحت بهِ فرحاً عظيماً وقبلتهُ مراراً فأخذت مرغريت تسألها هل تحب والدها وهل تحب خالتها واختها الصغيرة فكانت تجيبها كل مرة انها تحبهم كثيراً . فقالت سنت مرغريت وبماذا تحبينهم هل تحبينهم بيديكِ . لا بدون شك وكذلك لا تحبينهم برجليكِ ولكن شيئاً داخل صدركِ هو الذي يحبهم وهو غير الجسد ويسمونهُ النفس. وعند الموت تفترق النفس عن الجسد وهكذا لما ماتت تلك الراهبة التي لمستِ جثتها الباردة فان نفسها التي كانت تحبكِ انتقلت الى مكان آخر وهي تحيا دائماً ولا تزال تحبكِ . وعلى هذا الاسلوب استطاعت ان تولد في ذهن الفتاة معرفة الاشياء الغير الهيولية ولم يبقَ الا ان تنوّر قلبها بمعرفة العزة الالهية

وكانت سنت مرغريت قد اطلعتها على عدة اشياء مما يجري حولها فكانت مرةً تأخذ بيدها وتدخلها مخبز الدير وتفهمها كيفية العجن والخبز وتارةً تأخذها الى معمل النجار فتجعلها تلمس الاخشاب والادوات التي يصنعها وطوراً تقودها الى مواضع البنائين وتضع يدها على الحجارة والجدران التي يبنونها وتشرح لها كل صنف من المصنوعات وكيفية صنعهِ على قدر ما تستطيع ايصالهُ الى ذهنها

وان ماري كانت في احد الايام الباردة في حديقة الدير فكانت تحب كثيراً ان تتدفأ بحرارة الشمس وتمدّ يديها نحوها كأنها تحاول امساكها واحياناً كانت تحاول التسلق على الشجر لتدنو منها . ورأتها معلمتها كذلك فقالت لها هل تعلمين من صنع الشمس وهل تظنين انهُ النجار . قالت لا ولكن الخباز لانها كانت تشعر بالحرارة عينها عند ما كانت تدنو من الفرن . فقالت لها مرغريت كلا ان الخباز لا يقدر ان يصنع الشمس بل الذي ابدعها هو اكبر من الخباز وهو اكبر من رئيسة الدير واعظم من المطران الذي زار ذاك اليوم الدير . وهو اقدر واعلم من جميع

المخلوقات وليس لهُ جسد ولكنهُ مثل النفس وهو يعرفكِ ويراكِ ويحبكِ كما يعرف ويرى ويحب جميع الناس واسمهُ الله . وهكذا بذكر درجات الاشخاص الذين تعرفهم ماري استطاعت معلمتها ان تبلغها الى اعلى درجة من هذا السلم وهي درجة العلي بارئ الخليقة

و بعد ذلك ابتدأت تقص عليها سيرة خلقة العالم ووصف الكواكب والقمر مما ليس في طاقتها ان تبصرهُ في هذه الدنيا ولا تشعر بوجودهِ و بالتدريج تعلمت حوادث التاريخ المقدس وكانت ترتاح اليها وتعجب بها اشدّ الاعجاب كما يحدث عادةً لجميع الاولاد

وان سنت مرغريت حرصاً على بقآء الخطة التي جرت عليها في تعليم هذه الابنة التي انتابها الدهر باعظم رزاياهُ دونت كيفية تعليمها في سجل الدير لتبقى محفوظة. غير ان الامر ليس متوقفاً على عرفان الخطة المتبعة ولكن ذلك يقتضي من الارادة والصبر ما لا يقدّر بوصف . وكانت سنت مرغريت تستعين بتلميذة من تلميذات الدير الصم البكم فكانت تساعدها في تعليم ماري الدروس التي كانت تعطيها اياها

وكان كل من نظر الى هذه الفتاة السيئة البخت تتفطر احشآؤهُ حزناً واسفاً ولا سيما اذ يراها ابنةً في سن الخامسة عشرة على جانب عظيم من الجمال ذات قوام رشيق ووجه وسيم وعينين نجلاوين الاِ انها فاقدة اهمّ حواسها فهي بالحقيقة حالة تدمي الفؤاد

واستمرّت ماري على تعاطي دروسها وكانت معلمتها ما عدا التعليم المسيحي والتاريخ المقدس اللذين كانت تقرأهما قد شرعت في تدريسها صرف اللغة ونحوها وبواسطة خرائط جغرافية كبيرة مصورة بالرسوم الناتئة على اصطلاح براي كانت تعلمها الجغرافية فكانت ترتاح اليها جدًّا . وعند ما ينتهي وقت مدرستها كانت تأخذ بيدها وتأتي بها معمل التلميذات الصم البكم وكنَّ يشتغلنَ بعمل المصنوعات اليدوية التي تدهش النواظر فكانت تتعلم هناك صنعة حياكة الجوارب وفي اثنآء العمل كانت تتحدث مع رصيفاتها بتوقيعها الكلمات على انامله نَّ ويقول راوي هذه

القصة انهُ رأى من شغل يديها شالاً وعدة جوارب

قال وقد رأيت في احدى زوايا ذلك المعمل منظراً عجباً فاني رأيت هناك الصديقة الاولى لماري وهي مرتا تلميذة سنت مدول التي ذكرت انها توفيت قبل دخول ماري الدير بسنة وكانت مباشرة في اعداد الجائزة التي كان يراد اهدآؤها لماري في تلك السنة . والى جانبها عجوزٌ شمطاء الشعر صماء بكماء تقرأ بعينيها في انجيل صغير باللغة الفرنسوية ثم بواسطة الحروف الاشارية كانت توقع كل جملة تقرأها على يدي مرتا وهذه بعد ان تكرر الجملة على يدي العجوز حذراً من الغلط تعود فترسم الجملة نفسها رسماً ناتئاً بحسب طريقة براي على كتابٍ ذي صفحات خالية وهو الكتاب الذي كانت تريد ان تهديهُ لماري . فلا جرم ان ذلك ضربٌ من الاملاء الذي لم يسبق لهُ مثيل في الدنيا فالمملية صماء بكماء والكاتبة صماء بكماء عمياء والمُهدَى لها الكتاب هي ايضاً صماء بكماء عمياء (ويا عجبا كم وكم من عندنا من الناس الكاملي الحواس وهم لا يدرون من القراءة والكتابة امراً)

ومن غريب ما يرى من المشاهد منظر هاتين الصديقتين اي مرتا وماري حين تشرعان في الحديث فانك تراهما واقفتين احداهما بازاء الاخرى واناملهما تنقبض وتنفتح وتتبادل التوقيع بأسرع من لمعان البرق ووجوههما تنطلق بالبشر مرة بعد اخرى تترجم عن حركات انفسهما وما يخامرها من الوجدان المتبادل . وكانت ماري تحادث باناملها اكثر رصيفاتها من الصمّ البكم الا انها لم يكن يحلو لها الحديث الامع صديقتها مرتا ومعلمتها سنت مرغريت . وكانت سنت مرغريت في بدء تعليمها لا تلقنها الا الجدّ لكنها اخيراً ابتدأت تمازحها لانها رأتها تضحك وتنشرح من المزاح وعلى هذا المنوال نقلت سنت مرغريت هذه المخلوقة الغريبة من عالم الجماد الى عالم الانسان . انتهى

تكوُّن العالم الشمسي

اشرنا قبلاً الى ان للعلماء في تكوُّن العالم الشمسي مذهبين متضادَّين احدهما ان الشمس تكونت اولاً واشتُقّت منها بقية الاجرام الدائرة حولها وهو مذهب لابلاس والثاني ان السيّارة تكونت اولاً ووُجدت الشمس بعدها وهو مذهب فاي وسنشرح كلاًّ من المذهبين على قدر ما يحتمله المقام

على ان كلا القولين يردّ خلق الشمس والسيارة وسائر عوالم النجوم باسرها الى مادةٍ غازية في منتهى اللطف يقدَّر انها كانت مالئة الفضآء اللانهآئي ومن هذه المادة تكونت السُدُم التي تألفت منها هذه الاجرام . والظاهر ان القول بتكوُّن الاجرام السماوية من مثل هذه المادّة مذهبٌ قديم واول من قال به أَنكسيمان من اهل القرن السادس قبل الميلاد وقيل أَنكسيمَنْدَر أُستاذهُ وتابعَهُ عليهِ من جاء بعدهُ من فلاسفة المدرسة اليونانية وكان من مذهبهِ ان الاجسام كلها خُلقت من الهوآء كما كان طاليس قبلهُ وهو استاذ انكسيمندر ومؤسس المدرسة اليونانية يذهب الى انها خُلقت من المآء . ثم ان تيخو براهي كان من رأيهِ ان الكوكب الذي ظهر في ذات الكرسي سنة ١٥٧٢ وهو مثل النجم الذي ظهر هذه السنة في صورة برشاوش مركبٌ من المادّة الاثيرية المنبثّة في المجرّة وذهب كپلر الى ان الكوكب الذي ظهر سنة ١٦٠٤ في صورة القوس مؤلف من مادّةٍ اثيرية تملأ الفضآء . وفي نحو ذلك العهد اثبت سيمون ماريوس وجود نوع من السُدُم لا ينحلّ الى نجوم ولكنهُ مؤلفٌ من غازٍ صرف على ما تحققهُ

في سديم المرأة المسلسلة سنة ١٦١٢ ثم وُجد بتكرار الرصد ان السُدُم من هذا النوع كثيرةٌ جدًّا حتى انتهى عدد المكتشف منها في اقل من ٢٠٠ سنة الى ما يذيف على خمسة آلاف سديم لكن اول من ذكر ان هذه السُدُم تتحول الى كواكب هو وليم هرشل في مذكّرةٍ رفعها الى ندوة العلوم الملكية سنة ١٨١١ وصف فيها هذه السُدُم واشار الى ما يُرى فيها من النُكَت النيّرة وان هذه النُكَت لا بد ان تكون مراكز تتجمع اليها جواهر السديم بقوة الجاذبية وتتكاثف مع الزمان حتى يصير كل مركزٍ منها جرماً مضيئاً مستقلاًّ بنفسهِ

بقي الكلام في تكوُّن شمسنا على الخصوص وما يحيط بها من السيارة والاقمار واشهر من تكلم على ذلك لابلاس فجمع بين قول هرشل في تكوُّن الاجرام من السُدُم وقول نيوتن في نواميس الجاذبية العامة . وذلك ان دوران السيارة في افلاكٍ هليلجية والنسبة بين مُدَدها وابعادها كلتاهما من النتائج الضرورية عن الجاذبية المذكورة ولكن هناك اعتباراتٍ اخر لا يصح حملها على الجاذبية ولا يمكن مع ذلك حملها على الاتفاق مما يسوق لزوماً الى الحكم بان جميع الاجرام التي يتألف منها العالم الشمسي ترجع الى اصلٍ مشترَك وتعنو لنواميس ميكانيكية واحدة . وذلك ان جميع السيارة واقمارها ما خلا اقمار اورانس وقمر نبتون تتحرك حول الشمس حركةً واحدة من الغرب الى الشرق والسيارة الكبرى منها تجري جميعها في افلاكٍ موافقة لسطح دائرة البروج على التقريب والتي امكن تحقق دورانها على نفسها تدور حول محاورها الى جهة واحدة اي من الغرب الى الشرق وحينئذٍ فلا بدّ ان تكون هذه الاجرام مرتبطةً بناموس واحد وراجعةً بأسرها الى اصلٍ

واحد . وقد قدَّر لابلاس ان هذا الاصل ينبغي ان يكون الشمس نفسها وبعبارةٍ اخرى السديم الذي تكونت الشمس منهُ فقرض ان الشمس وكل ما يتبعها من الاجرام كانت سديماً واحداً منتشراً الى ما وراء فلك نبتون الا ان ذرّاتهِ كانت من البعد بينها مع تدافعها بسبب ما كانت عليهِ من ارتفاع درجة الحرارة بحيث بطلت من بينها القوّة الجاذبة على الاطلاق ثم انهُ بانبعاث الحرارة منهُ على توالي العصور اخذ بعض اجزائهِ يتبرّد وبذلك ضعفت القوّة الدافعة شيئاً فشيئاً حتى امكن ان يتجاذب بعض تلك الذرّات الى بعض وبتكاثفها حيناً بعد حين اصبح هذا السديم على نحو الهيئة التي اشار اليها هرشل اي ذا مركز نيّر ونواةٍ تنبعث منها الحرارة ويحيط بها جوٌّ غازيٌّ منتشر الى كل ناحية على حدّ ما يُرَى في بعض آفاق السمآء مما يسمى بالنجوم السديمية

اما تكوُّن السيّارة من هذا السديم فانهُ لما كان الجوّ المذكور دائم التقلص بما يرسب منهُ الى المركز وكان مشاطراً لحركة النواة المركزية حول محورها وبالتالي يُعَدّ معها كالشيء الواحد كان كلما ازداد تقلصهُ تزداد سرعة دورانهِ حول المركز لان دقائقهُ تنتهي الى نواحي المركز بسرعةٍ اشدّ من سرعة الاجزآء التي انتهت اليها وحينئذٍ كانت القوة الدافعة عن المركز تزداد بقدر ازدياد السرعة المذكورة حتى تصل الى حدٍّ تتكافأ فيهِ القوة الجاذبة والقوة الدافعة وتُبطِل احداهما فعل الاخرى واذ ذاك يلزم بالضرورة أن الاجزآء الواقعة ورآء هذا الحدّ تبقى مكانها ويستمرّ التقلص فيما يليها الى ان تتكافأ القوتان المذكورتان مرةً اخرى وهلمّ جرًّا بحيث ان هذا الحدّ يضيق

على الدوام ويقرب من المركز تبعاً لازدياد السرعة المتواصل في دوران الاجزآء الداخلية

ولا يخفى ان كل ذلك انما يحدث في النواحي الاستوآئية من الشمس لانهُ في سائر العروض التي تلي خط الاستوآء الى القطبين لا تستطيع القوة الدافعة ان تكافئ القوة الجاذبة وعلى ذلك فان الشمس لم تبرح في حركتها تنفصل منها المنطقة بعد المنطقة بحيث انهُ لو تكاثفت هذه المناطق ولم يقع فيها انفصام لنشأ عنها مع توالي العصور مجموع حلقاتٍ متراكزة تدور حول الشمس في سطح خطها الاستوآئي . غير انهُ لكي يمكن ان يكون انفصال هذه المناطق على شكل قياسيّ وتلبث متماسكة ينبغي ان تكون جميع اجزآئها متساوية وان يحصل التبرد فيها على درجة واحدة وهذا من الامور التي لا تكاد تتفق وليس عندنا من امثلتهِ في جميع اجرام النظام الشمسي الا حلقات زُحَل . ولذلك فان كل منطقةٍ من مناطق البخار التي انفصلت عن الشمس انقسمت الى عدة اجزآءٍ لبثت كلها تدور بسرعة واحدة حول الشمس كما كانت قبل انقسامها وعلى المسافة نفسها بالتقريب . ثم ان هذه الاجزآء اتخذت اشكالاً شبيهة بالكروية واخذت تحرّك حول نفسها الى نفس جهة دورانها في فلكها وفي الجملة فانها اصبحت سيّارةً من بخار تدور متتابعةً حول الشمس الا انها كانت ولا بد متفاوتة في الحجم والكثافة فكانت الكبرى منها تجذب اليها الصغرى الى ان اصبحت كلها جرماً واحداً وعلى ذلك فكل منطقةٍ من المناطق المذكورة استحالت الى شبه كرةٍ من البخار يدور حول الشمس

هذا اصل السيارة الكبرى واما النُجيمات السابحة بين فلكي المريخ والمشتري فانها شذّت عن سائر اجرام النظام بأن المنطقة التي هي اصل مادّتها بعد ما انفصلت عن الشمس وتجزأت على ما ذكر لم تجتمع اجزآؤها الى كتلةٍ واحدة ولعلّ السبب في ذلك ان اجزآءها كانت كلها صغيرةً بحيث لم يكن بينها قطعةٌ كبيرة تقوى على جذب البقية اليها ولا يبعد ان تكون جاذبية المشتري لهذه الاجزآء قد احدثت في حركاتها اضطراباً منع من تجمعها واندماجها فلبثت كُتلاً متقطعة تدور متتابعةً في افلاكٍ متقاربة

وبعد ان تكونت السيّارة على ما ذكر واستقلّ كل واحدٍ منها بكيانهِ اخذت دقائق كلٍّ منها ترسب ايضاً الى جهة المركز فنشأت هناك نواةٌ اكثف من سائر اجزآء السيار ثم اخذت تنفصل عنهُ المنطقة بعد المنطقة على نحو ما ذكر في الشمس فمن هذه المناطق ما بقي على شكلهِ كحلقات زُحَل ومنها ما تجمَّع في كتلةٍ واحدة فكان قمراً يدور حول الجرم الذي انفصل عنهُ كما هو الحال في ذوات الاقمار من السيّارة ومنها ما تشرَّبهُ جرم السيّار كما هو الحال في الزهرة وعطارد من السيّارة التي لا اقمار لها

هذا محصَّل ما ذكرهُ لاپلاس اوردناهُ بما امكن من الايجاز تقريباً لهُ من فهم المطالع وهو كما لا يخفى من ادقّ المباحث الفلسفية واغمضها سريرةً لغياب اكثر حقائقهِ وتشعب طُرُق الاحتمال فيهِ . وقد تقدمهُ الفيلسوف كانْت الالماني بما يقرب من رأيهِ الآن ما ذهب اليهِ كان لا يخلو من نقصٍ وابهام ومناقضةٍ لبعض القواعد العلمية مما ادّى الى اطّراحهِ عند اهل هذا العلم ولذلك لم نتكلف شرحهُ في هذا المقام . على ان مذهب لاپلاس بعد ما

لبث ما يقرب من اربعين سنةً منزَّلاً منزلة الحقائق المسلَّمة نشأت عليهِ اعتراضاتٌ شتى لا يمكن ان يثبت بازآئها الا بعد تمحيص كثيرٍ وتبديلٍ وتكميل وأخصّ من تعقَّبهُ المسيو فاي صاحب المذهب الآخَرِ الذي اشرنا اليه في صدر هذه المقالة وسنذكر انتقادهُ ومذهبهُ في الجزء التالي ان شاء الله

البعوث القطبية في سنة ١٩٠١

قد كان من فوز نانسن والدوك أبرُوز في الرحلة الي النواحي القطبية ما سوّل لكثيرين ان يقتفوا اثرهما بعد ان كان الرحيل الى تلك الآفاق قد توقف مدة سنوات اي منذ سنة ١٨٨٤ وهي السنة التي عاد فيها غريلي بعد ما قاساهُ من الاهوال على ما شرحناهُ في الجزء الاخير من البيان . وقد استأنف نانسن هذه الحركة سنة ١٨٩٣ فلبث في رحلتهِ الى سنة ١٨٩٦ وانتهى الى ٨٦° و١٤َ من العرض ثم تلاهُ الدوك ابروز سنة ١٨٩٩ فبلغ الى ٨٦° و٣٣َ ولم يبقَ بينهُ وبين القطب سوى ٣٨٥ كيلو متراً او نحو ٢٤٠ ميلاً وهي المسافة التي يجهد الرحّالون في قطعها على انهم كلما تقدموا ميلاً كان الذي يليهِ اشقّ منهُ باضعاف لزيادة اشتداد البرد وتراكم الجمد

ويوجد الآن لا اقلّ من عشرة بعوث قطبية بعضها في الطريق وبعضها على اهبة الرحيل منها بعث پيري واصحابهِ وهم الآن مشتغلون بتتمة اكتشاف ارض غرينلاند وينتظَر عودهم في هذه السنة وكان آخر نبإٍ منهم في ٣١ مارس سنة ١٩٠٠

ومنها بعثٌ اميركاني يرأسهُ الربّان بلدوين وقد امدّهُ المستر زِغلر احد

موسري وطنهِ بمبلغ مليون ونصف مليون دولار ارصدها لنفقات هذه الرحلة فسار اولاً الي غرينلند ثم الى ارض فرنسيس يوسف ومن هذه الارض ينوي ان يتقدم جهد امكانهِ الى الشمال في السفينة المسماة اميركا وهي مجهزة بما يلزم من المعدّات ومصحوبة بمنطادٍ كبير

ومنها بعثٌ ألّفهُ الربان پيّرينياي وهو كنَديّ فرنسويّ من كبك وستبدأ رحلتهُ من ڤنكوڤر فيعبر مضيق بهرين ويتتبع شواطئ سيبيريا ثم يركب الجمد ما بين ١٦٥ و١٧٠° فيوغل في جهة الشمال الى ابعد ما يمكن بعد ان يلقي طول طريقهِ كراتٍ مجوَّفة يضمّنها رقاعاً تدلّ على مكانهِ

ومنها وهو اهمّ البعوث الحالية واجرأها نيّةً البعث الذي يجهزهُ المسيو أَنشْتزْ كمپفي من اهل مونيخ وفي عزمهِ ان يبلغ القطب في سفينةٍ تجري تحت المـآء وهذه السفينة يشتغل بصنعها الآن جماعةٌ من مهندسي الالمان في وِلهلْمس هاڤن على ما رسمهُ لهم زعيم هذه الرحلة المشار اليهِ بعد ماتحقق حال الجمد في البحر القطبيّ وقد تبين لهُ ان اعمق ما يبلغ اليهِ تحت سطح البحر لايتجاوز ٢٤ متراً فجعلها بحيث يمكن ان تغوص الى عمق ٤٨ متراً فتكون هناك بمأمنٍ من تأثير البرد والزوابع وضغط الجمد . وهي هليلجية الشكل قطرها الاطول ٢١ متراً وعرضها ٨ امتار وفيها من الفراغ ما يسع ٣٥٠٠ قدم مكعبة من الهوآء وهذا المقدار كافٍ لتنفس ٥ رجال مدة ١٥ ساعة وفي هذه المدة تقطع نحواً من ٥٠ ميلاً على سرعة ٣ عُقَد . وهي تتحرك بزيت البترول وحركتها تتم بواسطة بكرتين احداهما افقية بقوّة ٤٠ فرساً تجري بها الى الامام والاخرى عمودية بقوة ٥ افراس تمنعها من الارتفاع الى سطح المآء فاذا

صادفوا ثغرةً في الجمد وارادوا الصعود يستوقفون حركة البكرة العمودية فترتفع السفينة

وهناك بعوثٌ اخر يشتغلون بتجهيزها منها بعث ماكارُوف الروسي وهو يبني سفينة يمكن ان تشقّ لنفسها طريقاً في الجمد اذا كانت ثخانتهُ لا تزيد على ٣٥٠ ميليمتراً . ومنها بعثٌ آخر بالاشتراك بين نانسن والدوك ابروز وبعثٌ في ارض فرنسيس يوسف يرأسهُ الربان ستُوكّن ومنها غير ذلك مما لا حاجة الى تعداده ومما يدلّ على صدق عزيمة اولئك القوم مهما قُدّر ان يكون المطلب تافهاً ومهما اقتضى دون بلوغهِ من بذل النفقات وركوب الاخطار

المرأة

بقلم حضرة الكاتب نجيب افندي ماضي

قد اكثر الكتبة والمؤلفون في هذه الاثناء من الكلام على المرأة وما لها من الحقوق وما يجب لها من المعاملة وقد افترق جُلّهم على مذهبين احدهما يوجب الضغط على المرأة وتقييدها عن التصرف والظهور والآخر يوجب الافراج عنها وتحريرها من ربقة سلطان الرجل ولكلٍّ من الفريقين حججٌ لم يكن يصعب الفصل بينهما لولا ان دخلت المسئلة اخيراً في طورٍ ديني محض وعاد الحكم فيها من خصائص ائمة الدين . ولذلك لم يكن من اربنا ان نتعرض لها من هذا الوجه ولكننا سنقتصر على ذكر حال المرأة في العصور المختلفة وما كانت تعامَل بهِ عند كل امةٍ من الامم

المشهورة ثم المقابلة في تلك المعاملة بين عصرٍ وعصر بالقياس الى حال تلك الامم واعل في هذا ما يشير الى وجه السداد ويقوم مقام البحث عند من هم في حِلٍّ من جهة التقليد الديني لانهُ يكون كالافصاح عن رأي كل امةٍ من الامم المعتبرة في الدنيا فنقول

لا يخفى ان الشريعة القديمة توجب على المرأة أيّماً كانت او زوجةً او امًّا ان تخضع لسلطان الرجل خضوعاً تاماً ويكون لهُ حق التصرف فيما هو من خصائصها يأتيه بدون مشورتها وليس لها عليهِ حق الاعتراض ٠ وقد كان الطلاق في الزمن القديم كما هو مذكور في شريعة موسى من حقوق الرجل دون المرأة ولم يكن يؤذَن لها في وفاء نذورها الا اذا شاء ابوها ولا ان تنفرد بإرثها اذا لم يكن لها اخوةٌ ذكور وما ذلك الا لانها كانت مشتراة بمال الرجل فكانت بمنزلة متاعٍ لهُ يتصرف فيهِ كيف شاء ويبيعهُ لغيرهِ وينتقل الى ورثتهِ بعد موتهِ

وقد كان الهنود يضغطون على المرأة ضغطاً شديداً ويزوجونها لمن يختارونهُ بعلاً لها من غير ان يكون لها حق الاعتراض على هذا الاختيار ولم يكن لها حقٌّ ان ترث زوجها بعد موتهِ الا اذا كان لها ولد فهو يرث اباهُ والاّ تبنّت لها ولداً يرث زوجها ٠ والارملة تعيش عيشةً ذليلة مهانةً من ذويها مبعدةً عن اهلها واقربائها حتى تكون حياتها مملوءةً بالاحزان وقد جاء في حقها في كتاب مانو ما ترجمتهُ « يجب على الارملة ان تميت جسدها فلا تقتات الا من الازهار والجذور والثمار الطاهرة ولا يجوز لها بعد موت سيّدها ان تتلفظ باسم رجلٍ على الاطلاق ويجب ان تتجاوز الى آخر

حياتها عن كل اهانةٍ تلحقها وتتعاطى كل عملٍ شاقّ وتهجر كل لذةٍ من لذات الحواس وتلتزم جميع قوانين الفضائل التي تتقيد بها النسآء المخلصات لرجالهنَّ » . ويقول في موضعٍ آخر « يجب على المرأة ان تكون مرافقةً للرجل في حياتهِ ومماتهِ » ولهذا كان من العوائد الغالبة عندهم ان تُحرَق المرأة مع الرجل بعد موتهِ وهو امرٌ كثيراً ما تأتيهِ باختيارها تخلصاً من المعيشة بعدهُ على ما فيها من التضييق المذكور . وقد روى بعض المؤرخين انهُ رُفع الى مجلس النبلآء في انكلترا سنة ١٨٢٥ متوسط عدد المنتحرات مع ازواجهنَّ على مدة اربع سنوات فكان ٥٢ امرأةً في السنة في بمباي و ٦١ في مدراس ونحو عشرة أضعاف ذلك في كلكتّا الا ان هذه العادة قد بطلت بعد دخول الانكليز تلك البلاد

على ان المرأة ليست في سائر بلاد الشرق باسعد من المرأة الهندية فانها على العموم تعيش بمعزل عن الرجال ممنوعةً من التمتع بحقوقها الشخصية والشرعية خاضعةً للرجل في جميع احكامهِ خضوع الرقيق لمولاهُ فهي شبيهة بالهندية في جميع احوالها ما خلا احراق جثتها بعد موت بعلها . ففي الصين مثلاً وهي اقدم الاقطار تمدناً من اراد التزوج بامرأةٍ ساوم اهلها في ثمنها كما يساوَم في العبيد والدواب فتباع لرجلٍ لم يسبق بينهُ وبينها ادنى معرفة ومتى دخلت منزلهُ سجنها ورآء حجاب الغيرة فلا يأذن لها ان ترى حتى اهلها ويطلّقها لادنى سبب ولهُ حقٌّ ان يبيعها اذا شآء او يقامر عليها وذكر موريسون ونيهوف ان الفلاح منهم يقرن امرأتهُ وأتانهُ في فلاحة الارض

اما المرأة عند اليونان الاولين فانها كانت تعتبر بمنزلة كائنٍ عاقل

منخفض الرتبة لاشأن لها سوى طاعة اوامر الرجل والاذعان لاحكامهِ محتقرةً مهانة لايسوغ لها ان تستقلّ بنفسها ولا ان تتعلم العلوم التي يقوم بها كيانها الادبي في عالم الوجود . وقد ذكر كزينوفون المؤرخ اليوناني ان المرأة اليونانية لم تكن تتعلم قبل زواجها سوى غزل الصوف وهي معزولةٌ في حجرتها لا تجسر على السؤال عن شيءٍ من شؤون الحياة ولم يكن لها حقٌّ في انتخاب الزوج بل كان ذلك من حقوق الوالدين والاوصيآء فتقبل من يُعرَض عليها صاغرةً بدون معارضة ولا مقاومة

ومثل ذلك كان الحال عند الرومان وكانوا يعتقدون ان المرأة لا نفس لها وانها خُلقت لخدمة الرجل ليس الاّ وهي ما دامت عزَبةً كانت تحت ولاية ابيها وبعد موتهِ تنتقل الولاية الى احد اقاربها فيكون وصيًّا عليها ولم يكن يؤذَن لها ان تباشر عملاً بنفسها ولا ان تكون وصيةً على اولادها بعد موت بعلها ولا ان تتبنى احداً من الناس ولا يتبناها احد ولا ان تسمع لحناً موسيقيًّا ولا ان تكتب وصيةً او تعقد اتفاقاً وكانوا يحيلون حق ارثها الى زوجها فاذا مات مورّثٌ لها كان زوجها الوارث . وبالاختصار فان الرومان كانوا يضيقون على المرأة تضييقاً عظيماً ولبثت على مثل هذه الحال الى عصر الامبراطور يوستنيانوس وكان ممن اشتهر بالذود عن حقوق النسآء فرفع الحجر عنها في كثير من هذه الامور ثم لما انتشر الدين المسيحي في تلك البلاد بطلت الشرائع القديمة كلها واعطيت المرأة الحرية اللائقة بها وما يتبعها من الحقوق (ستأتي البقية)

الحديد والصدأ

مرّت بنا العصور والانسان عاملٌ على معالجة الطبيعة واستنباط مرافقها للاستعانة بها على شظف الحياة وتمهيد عقباتها فكان لكل عصرٍ مميزاتٌ من مكتشفاتهِ ومصنوعاتهِ كما ان لكل عصرٍ ناسهُ وحيوانهُ وشرائعهُ وعاداتهِ وآدابهُ ومعيشتهُ . وقد اتى على الانسان عصر الحجر ثم عصر النحاس فالشبَه واخيراً عصر الحديد وهو آخر اعصار الصناعة وغاية ما انتهى اليهِ الانسان

والعصر الحديدي قديمٌ جدًّا يكون من قبل زمن التاريخ الا ان معظم شهرة الحديد واتساع العمل بهِ لا يزيد على نحو ثلاثين سنةً خلت وقد استُخدِم في كل عملٍ من اعمال البنآء حتى حلّ محلّ الحجر والخشب وقلب الهندسة ونشأت بهِ صناعةٌ جديدة ظهر إبّانُ رونقها في معرض سنة ١٨٨٩ فكان برج أيفّل المشهور من افضل نموذجاتهِ واظهرها للعيان

وقد عمّ اليوم استعمال الحديد في كل ضربٍ من الابنية فيتَّخذ منهُ عَرَق البنآء وحنايا الجسور وأطناف الجُدُر وقسيّ القباب وروافد السقوف وفواصل البيوت بحيث انهُ لا يوجد شيءٌ كان يُصنع قبلاً بالخشب والحجر او الآجُرّ الا وهو يُصنع اليوم بالحديد . وقد توهم الانسان بما اختبر من صلابة هذا المعدن انهُ قد توصل بهِ الى ان يبني البنآء الخالد ولكن الامر على غير ذلك فان هذا البقآء الطويل للحديد ليس الا امراً متوهَّماً فان الابنية الحجرية القديمة مثل الاهرام وابنية بعلبكّ وتدمر على ما لحقها من الرثاثة والتهدُّم بتداول الاعصار وتعاقب الليل والنهار تُعَدّ ابقى من

الحديد وستقطع فوق ما قطعت من الاحقاب بحيث تفنى الابنية الحديدية التي نقيمها اليوم وبقايا تلك قائمةٌ تكافح العناصر ولايبقى من الابنية الحديدية الا ما يُتعهد على الدوام بمثل مداراة الناقه والمصدور بحيث يُتفقد قطعةً منهُ فقطعة على مرّ الايام

وذلك أن الحديد بتعرضهِ لفعل العوامل الجوّية التي لا سبيل الى التفادي منها كالهوآء والمآء ينحلّ شيئاً فشيئاً كما ينحلّ السكَّر بلا فرق خلا أن السكر سريع الانحلال والحديد يقتضي زمناً اطول وهذا الانحلال هو الذي يعبَّر عنهُ بالصدأ وهو ما لا بدّ من حدوثهِ عند ملامسة الحديد لاكسيجين الهوآء او المآء مع ما يخالط الاكسيجين من الحامض الكربونيك بحيث يتركب اولاً كربونات حديدي شديد القبول للتاكسد ثم تتوالى التأثيرات الكيماوية على هذا الكربونات حتى يستحيل الى اكسيد الحديد وهو الصدأ . وهذا الاكسيد متى ركب الحديد ولو ذرّةً منهُ اصبحت تلك الذرَّة مركزاً ينتشر التاكسد حولهُ الى كل جهة لانها تصير مع بقية الحديد بمنزلة رصيف كهربآئي ينحلّ بهِ البخار المآئي المنتشر في الهوآء فيفلت الهدروجين ويتحد الاكسيجين بالحديد

ولا يتهيأ للانسان ان يتصور السرعة التي يتلف بها الحديد ما لم يراقب ذلك ويرَهُ عياناً فقد رُؤي قطعٌ من الحديد تهرأت وتأكلت بعد ان اتى عليها ثلاثة اشهرٍ لا غير من تعريضها للهوآء ولذلك لا بدّ من تفقُّد الابنية الحديدية على الدوام وتلافي تأكُّلها قبل ان يفوت وقت تداركها. غير انهُ كثيراً ما يتفق ان يكون الحديد مدهوناً فاذا صادف الصدأ سبيلاً الى

التسلسل بين الدهان والحديد في رافدةٍ من روافد الجسور مثلاً فعل هنالك فعلهُ بدون ان يُتنبه لهُ فيتأكل الحديد شيئاً فشيئاً وظاهرهُ سليم الى ان ينتخر ويسقط ويتقوض مكانهُ من الجسر ولذلك اضطُرَّ في بعض الجسور الى تبديل الحديد بعد ست وعشرين سنة من بنائهِ فوُجد ان روافدهُ بعد ان كانت حديداً مطروقاً اصبحت اشبه بنسيج الغربال والصفائح التي كانت ثخانتها ٦ ميليمترات اصبحت في ثخانة الصحيفة من الورق بحيث لم يبقَ فيها من القوة ما يكفي لحملها

على ان جسور سكك الحديد اشدّ تعرضاً للتأكل لما ينقذف عليها دائماً من الابخرة الكبريتية المنبعثة من دخان الفحم وهذه الابخرة شديدة التأثير على الحديد ولهذا السبب اضطُرَّ من عهدٍ قريب الى نقض الجسر الذي تمرّ تحتهُ القُطُر الحديدية في سمثفلد ماركِت بلندرا وتجديد بنائهِ مع انهُ لم يكن قد مضى عليهِ الاّ سنواتٌ قلائل

ومثل ما ذكر كثير الحدوث في كل بناء حديدي معرَّض للعوامل الجوّية مما دعا الى الاهتمام بتدارُك هذه الآفة والبحث عن الذرائع المانعة من تأثير هذه العوامل في الحديد وقد وجد بعضهم ان اضافة شيءٍ اليهِ من الكوبلت او الكروم او النِكل قد تفيد في تقليل تأكسدهِ لما يخالطهُ من هذه الموادّ وارتأى غيرهُ ان افضل ذريعةٍ في ذلك ان يُحمَى الحديد الى ٦٥٠° في مجرى بخارٍ مائي بحيث تتركب عليهِ طبقةٌ من الاكسيد المغنطيسي تحول بينهُ وبين المؤثرات الجوّية وعلى كل حال فالامر موكول الى التجربة واصدق مخبرٍ عنهُ توالي الزمن والله اعلم

الحسود

من نظم حضرة الشاعر العصري قسطاكي بك الحمصي في حلب

لستُ انسى عهد ليلٍ قريبْ　　زارني فيهِ خليلٌ اريبْ
يُحسن الوصفَ بحذقٍ عجيبْ　　ولهُ في الشعر ذوقٌ سليمْ
بات يروي لي غريب السمَرْ　　فكأَنّي سامعٌ للنديمْ

*

قال لي جارٌ حسودٌ غيُورْ　　ابداً من حول ختلي يدورْ
حرتُ في استعطاف هذا النفورْ　　لم اكن اعلمُ أَنَّ اللئيمْ
حاسدٌ لي فهو حيث استقرْ　　لذوي الفضل عدوٌّ خصيمْ

*

فسعى بي عند قاضي البلَدْ　　زاعماً أني شديد اللدَدْ
ليس ينجو من لساني أَحدْ　　فان استحسنَ رأياً قويمْ
فليكن بالسجن او بالسفَرْ　　قاضياً فالذنبُ ذنبي عظيمْ

*

فرأى القاضي الحكيم الرزين　　أَنَّ بتّ الحكم قبل اليقين
ليس حزماً من بصيرٍ رصين　　فدعاني شأن قاضٍ حليم
كي يرى صحةَ ما قد هذَرْ　　ذلك الوغد الحسود الذميم

*

وحكى ما عدّد المفتري　　من ذنوبٍ انا منها بري
ودعا من كان في المحضرِ　　لاستماعي بعد قول الغريم

فاشرأبَّ الجمعُ ممَّن حضرْ ليراني اسيءٌ قردٍ زنيم

*

قلت يا ذا الحاكم العادلُ قد وشى بي عندك العاذلُ
ظنَّ هـذا الحاسد الجاهلُ حطَّ قدرِي بعلاهُ زعيم
فابتغى ثلبي وكيدي نَذَرْ وهو ينوي الشرّ لي من قديم

*

والذي اوجب منهُ الضغَنْ ليلةٌ مرّتْ لنا في الزمَنْ
معَ صحْبٍ من كرام الوطن اطرأوا نثري وشعري النظيم
ثم قالوا انت ربُّ الغُرَرْ فصفِ الجاهلَ ثم العليم

*

قلت ربُّ الجهل من يذهبُ وهو في تخليطهِ معُجَبُ
أنَّ جدَّ الناس اذ يُنسَبُ نسلُ قِردٍ هوَ نِعمَ الحميم
فانظروا يا خير اهل النظر كيف عارُ الجهل عارٌ عميم

*

ثم اذ كنتُ اسوق الحديث قد تصدّى ليَ هذا الخبيث
قائلاً هذا كلامٌ غثيث باردٌ في جنب قول الحكيم
قلت مَن ذاك وماذا ذَكَرْ قال انّ الفكر مني عقيم

*

فانبرى مَن كان في المجلسِ من كرام الاصل والانفسِ
لحسودٍ فاسد المغرسِ ورموهُ بالملام الأليم
ثم قالوا لا يعيب القمر نبحُ كلبٍ وهو بدرٌ تميم

*

عند هذا شقّ ذاك الزِحام يافعٌ كالغصن غضُّ القوام

ثم نادى بفصيح الكلام إي وربِّ العرش هذا الرجيم
حاسدٌ يُفسِدُ بين البشر بل عدوٌّ للنبيل الكريم

*

كنت اهوى ذات طرفٍ كحيل ما لها بين الغواني مثيل
وهي لا تختار مني بديل فوشى بي ذا الحسود الكظيم
فأرتني من جفاها سقَر بعد ما قد كنتُ ارجو النعيم

*

بعد هـذا قام شيخٌ جليلْ من ذوي القدر النبيه النبيل
قال لا بِدعَ لوَغبٍ ثقيل غارَ من هذا الغلام الوسيم
بل عجيبٌ كيف بي قد غدر حاسداً حرمة شيخٍ هشيم

*

ذاك اني زرت يوماً صديقْ هوَ عندي بمقام الشقيق
فاحتفى بي كالمحب الشفيقْ واقتفاهُ كل حُرٍّ صميم
كان في مجلسهِ المُعتبرْ حرمةً للسنِّ او للزعيم

*

وعقيد اللؤم هـذا الحسودْ كان يرميني بعين الكنود
فغدا يهزأُ بين الشهود بي كأني في ضلالٍ اهيم
يوهمُ الاصحاب انّ الكبِرْ لم يدع لي غير لبٍّ سقيم

*

وانا اعجبُ من فعلهِ واُزدِرا قدريَ من مثلهِ
دون ذنبٍ لي سوى جهلهِ فرأيت البعد عن ذا اللئيم
خيرَ ما يفعلهُ ذو الحذَرْ فهو للفضل غريمٌ خصيم

*

وهو ان قيل فلانٌ رَبِحْ قال هـذا خبرٌ لم يصح
وتراهُ لو نُفي او ذُبِحْ لا يرى ذلك رزأً جسيم
مثلما لو جئته بالخبرْ عن غنىً احرزتَهُ او نعيم

*

واذا استرضيتهُ يغضبُ واذا صدّقتهُ يكذبُ
وهو إن اطربتَهُ ينـدبُ حَذَراً من أنْ يُسَرَّ الكليم
فسرور الخلق لا يُغتفرْ عند هـذا المتعدّي الاثيم

*

عند ذا نادى بهِ الحاكمُ ايُّهـذا الحاسد الظالمُ
ما لِما قدّمتَهُ راحمُ قد قضى الشرع المنيف الكريم
قتلَ مَن يؤذي لكي يُعتَبر أن في قتلك اجراً عظيم

متفرقات

الاوتوموبيل — الظاهر انَّا لم ننفرد باستثقال هذه الكلمة والرغبة عن استعمالها في لغتنا فهؤلاء الالمان كان لهم فيها نفس البحث الذي عرضهُ حضرة صديقنا الفاضل احمد زكي بك للوقوع على لفظةٍ يستغنون بها عن استعمال لفظة أُوتُومُوبيل واوتوموبيليست وما يتفرع منها الا انهم لما لم يتأتَّ لهم وضع كلمة من لسانهم كما فعل المشار اليهِ في استبدالها بالسيارة كان من رأي المسيو وِيلّ احد اصحاب الهندسة العملية في برلين ان يؤخذ لفظ « أُوت » الذي هو الركن الاول من اللفظة ويُفرَغ في قالب فعل ألمانيّ

الصيغة بمعنى ركب السيّارة فيقال فيه «أوْتن» (auten) ثم تُشتقّ منهُ بقية الكلمات المستعملة من هذه اللفظة

الغرامُوفُون — هو آلةٌ اختُرعت حديثاً تشبه الفونغراف الا انها اكمل منهُ وافضل في الاستعمال . وذلك ان الفونغراف مع كل ما بُذِل من العناية في تميمهِ وتحسينهِ لا يزال فيهِ نقصٌ كبير وهو ما في صوتهِ من الغنّـة المعروفة مما يتنكر بهِ الصوت المحكيّ وما في اساطينهِ من القصَم والتعرض للعطب السريع . والآلة المذكورة لا اساطين فيها ولكن استعيض عنها بأقراص او صفائح مستديرة ترقم ما يقع عليها من الاهتزازات الصوتية وتعيدها والاسطر ترتسم على صفحها في دوائر متتابعة بعضها في ضمن بعض على شكل منطقةٍ يحدّها خطَّان تجري بينهما الابرة الراسمة . وهذه الاقراص توضع افقيـةً على مائدة مستديرة وتحرَّر سرعة دورانها بلولبٍ بسيط فاذا اديرت رجع الصوت عنها طبيعيّاً واضحاً

حرارة الفصول — نشر المسيو فاسيغ فصلاً في مجلة الاحوال الجوّية الانكليزية ذكر فيهِ انهُ بعد استقرآء القيود اليومية لحرارة الجو منذ سنة ١٨١٧ الى هذه السنة لم يتبين لهُ وجود نسبةٍ بين حرّ الصيف وبرد الشتآء خلافاً للشائع في اعتقاد الكثيرين لانهُ وجد ان فصول الصيف التي امتازت بزيادة الحرارة في بعض السنين ونقصانها في غيرها لم يكن لها تأثيرٌ خاص فيما تلاها من فصول الشتآء في السنين نفسها وبالتالي فانهُ لم يثبت لهُ وجود قياسٍ تقاس عليهِ احوال الجوّ من هذا القبيل

فوائد

تعقيم اللبن — المراد بتعقيم اللبن معالجتهُ بما يمنع نموّ الجراثيم الحيّة فيهِ وقد وصف المسيو بُورْد لذلك ان يُجعَل اللبن في قوارير تملأ بهِ الى ثلاثة ارباعها ثم تُسَدّ سدًّا محكماً وتشبَّم (١) افواهها باسلاكٍ من المعدن كما يفعَل بقناني الاشربة الغازيّة وبعد ذلك تُرفَع على النار في ماءٍ مُشبَع بملح الطعام بحيث تغوص فيهِ بجملتها . وهذا الماء اذا كان تام الاشباع بحيث يُطرح فيهِ الملح وهو حارٌّ يغلي على ١٠٧° او ١٠٨° فاذا وُضع اللبن فيهِ والحالة هذه مدة ٣٠ او ٤٥ دقيقة هلك كل ما فيهِ من الجراثيم

من كلام عمَر بن عبد العزيز الليل والنهار يعملان فيك فاعمل فيهما

اسئلة واجوبتها

القدس — قرأنا في كثير من المواضع ان كافّة لا تضاف وانما تستعمل منصوبة على الحاليّة ثم وجدناها في روايات الضياء مضافةً فهل تجيزون اضافتها او كان ذلك سهواً من المعرّب　　خليل السكاكيني

(١) من قولهم شبم الجدي وشبَّمهُ بالتشديد اذا عرض في فيه عوداً وشدّهُ من قبَل قفاه لئلا يرتضع امهُ وذلك العود شبام بالكسر ومنهُ شباما البرقع وهما خيطان تشدّهُما المرأة الى قفاها استعرنا هذا اللفظ للسلك الذي يُعرض على سداد القارورة ويشدّ الى عنقها ليمنع السداد من الطيران اذا تمدد الغاز في جوف القارورة ودفعهُ للخروج

الجواب — اختلفوا في اضافة هذه اللفظة فمنهم من نصّ على منعها كالحريري وابن هشام وصاحب القاموس ومنهم من اجازها لورود السماع بها عن العرب كالزمخشري وصاحب اللباب والخفاجي وقد استشهد في اللباب على صحتها بما ورد في كتابٍ للامام عمر يقول فيهِ « قد جعلت هكذا لآل بني كاكلة على كافة بيت مال المسلمين لكل عام مئتي مثقال » واستعملها الزمخشري مضافةً في خطبة المفصَّل حيث قال « لانشاء كتابٍ في الاعراب محيطٍ بكافّة الابواب » . قال في تاج العروس وقال الشيخ ابرهيم الكوراني من قال من النحاة ان كافة لا تخرج عن النصب فحكمهُ ناشئ عن استقرآء ناقص . اه . وبهذا القدر كفاية

القاهرة — المشهور في الاستعمال ان يقال كسوف الشمس وخسوف القمر فما الفرق بين هذين اللفظين في اللغة رشدي كمال

الجواب — الفرق بينهما هو ان الكسوف مأخوذ من كسف الشيءَ بمعنى قطعهُ لان كسوف الشمس اكثر ما يكون بعضيًّا اي باحتجاب جانبٍ منها فكأَن ذلك الجانب قد قُطع . والخسوف مأخوذ من قولهم خسف المكان اذا ذهب في الارض لان القمر يكثر فيهِ الخسوف الكلّي فكأَنهُ قد خسف في السمآء كما اشار الى هذا المأخذ في تاج العروس . على انهُ قد يخالَف بين هذين اللفظين فيقال كسف القمر وخسفت الشمس قال في القاموس او الخسوف اذا ذهب بعضهما والكسوف كلهما . اه . واقرّهُ صاحب التاج الا ان قياس الاشتقاق يقتضي العكس اي ان يكون الكسوف للبعض

فكاهات

فنون الجنون (١)

حدث طبيبٌ عن نفسهِ قال

بعد ما فرغت من دروسي الاعدادية وجدت من نفسي رغبةً في درس صناعة الطب فدخلت احدى الكليات المشهورة وانقطعت مدة سنوات لدرس هذه الصناعة بجميع فروعها حتى اتقنت معرفتها علماً وعملاً ونلت الشهادة المؤذنة بكفاءتي في تعاطيها غير اني لم اكن اهتم كثيراً بدخلها لاني كنت في سعة من العيش بما تركهُ لي والدي بعد وفاتهِ اذ اوصى لي بجميع اموالهِ ومقتنياتهِ فكان امر التطبيب عندي تسليةً فقط . وكنت اجد في اول الامر لذةً غريبة في تشخيص المرض ووصف العلاج غير ان طول الاختبار اوصلني الى هذه الحقيقة التي اعتقدها الآن وهي ان الطب شعوذة محضة وليس فيهِ شيء من الحقيقة وان العلاج الذي نصفهُ لهذا المريض في الداء الفلاني ويتفق ان يشفيهُ قد يميت الآخر ممن ابتلي بنفس ذلك الداء ان لم يساعدهُ الاتفاق . هذا والطبيب القاتل يتيه عجباً ودلالاً بما حصلهُ من اجرة قتل الرجل وهو غير هياب ولا وجل وقد صدق من قال ان الاطباء قد خُصُّوا بأن لهم الحق ان يقتلوا البشر ويتخلصوا من تبعة القتل بالطرق القانونية

ولما قوي فيَّ هذا الاعتقاد هجرت الطب وصرت اتجنبهُ ما امكن وتحولت الى الاشتغال بعلوم اخرى اشغل بها وقتي فانصرفت الى التبحر في علم الحيوان وما عتمت ان ولعتُ بهِ فانقطعت الى درسهِ ولا سيما تلك الحشرات الصغيرة التي يسمونها بالجعلان ورأيت انها مع صغرها وعدم اهميتها ظاهراً لا تخلو من بحثٍ دقيق وتفاصيل مهمة بالنظر الى اصنافها وحالة تركيبها ومعيشتها واعمالها الى غير ذلك مما

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

زاد رغبتي الشديدة في استطلاعهِ و بدأت لساعتي في جمع رواميز مختلفة الاصناف والحجم من هذه الحشرات وافردت لها غرفةً فسيحة في منزلي وصرت لا اسمع بكتابٍ يبحث عنها او مقالةٍ ذكرت فيها الا اشتري ذلك الكتاب او تلك المقالة وادرسهُ بغاية الدقة والتأمل . ومضت عليّ سنوات وانا لا املّ من ذلك لما كنت اراهُ واكتشفهُ من الامور الغريبة

وكنت يوماً اطالع جريدة التيمس اليومية فوقع نظري على اعلانٍ بحرف كبير استوجب انتباهي جآء فيهِ ما صورتهُ « يُطلب الى العنوان الذي بذيلهِ طبيب ذو خبرة كافية في علم الحيوان ويشترط ان يكون قوي الجسم شديد العزم جريء القلب حافظاً للسرّ . والمذاكرة شخصياً مع د . ه بشارع ستراند رقم ٧٦»

فرأيت في ما ذكر غرابةً يراها كل من قرأ الاعلان وان لم يكن طبيباً ولا سيما الشروط التي تستلفت النظر فصممت ان اذهب بنفسي لمذاكرة الطالب وللحال ركبت عربةً وسرت الى الشارع المذكور . وكنت كلما اقتربت منهُ اشعر بزيادة شوقي الى استطلاع حقيقة الامر وما هو المقصود من هذا الطلب الغريب

ولما بلغنا المنزل وجدتهُ بنآءً فخماً عرفت من هيئة مدخلهِ وسعة ارجآئهِ والحديقة المحيطة بهِ انهُ من بيوت كبرآء القوم فترجلت وقرعت الجرس فاستقبلني خادم عليهِ اللباس الاسود وقبعة لها في جانبها ريشة لا يلبسها الا خدام الامرآء والأُسر الشريفة . فسألتهُ عن رب البيت فقال انهُ في مكتبتهِ فدفعت الى الخادم الاعلان وكنت قد قطعتهُ من الجريدة واصحبتهُ ببطاقة زيارة عليها اسمي . فغاب هنيهة وعاد مهرولاً وهو يشير اليّ بالدخول ثم اقتادني في مماشي البيت وردهاتهِ وانا اتأمل مافيهِ من الرياش الثمين والاثاث الفاخر والصور البديعة والغنى العظيم الى ان بلغنا باب المكتبة فانحنى الخادم امامي فعلمت ان الرجل في الداخل فقرعت الباب ودخلت

ولما بلغت وسط تلك الغرفة الكبيرة رأيت في احدى زواياها مائدة ضخمة عليها المجلدات العديدة والاوراق المبعثرة ووراءها رجلٌ يناهز الخمسين من عمرهِ ذو لحية قصيرة بيضآء فحييتهُ باحترام فردّ التحية باسماً ثم قال أأنت الدكتور فيلبسون قلت

نعم . قال وهل قرأت اعلاني بتدبر وهل تعتقد ان فيك الشروط التي اطلبها . قلت اظن كذلك . قال اعلم اني في احتياجٍ الى نظيرك لامرٍ يهمني جدّاً والخدمة التي اطلبها منك تقتضي مدة اربع وعشرين ساعة متوالية وادفع اليك في نظير اتعابك اجرة قدرها مئتا ليرة فهل تقبل . وكان كل شيء اراه واسمعهُ يزيدني رغبةً في استطلاع اسرار الرجل فقلت نعم . فأشار الى كرسيٍّ فجلست عليهِ ثم قال اما الآن وقد اتفقنا فقد بقي عليَّ ان اعلم شيئاً عن مقدرتك العلمية في العلم الذي طلبتهُ فهل لك المامٌ بعلم الحيوان وهل درست شيئاً عن الحشرات . فتبسمت وقلت اني لا اتقن علماً اكثر من هذا العلم وقد خصصت وقتي لدرس طبائع هذه الحشرات ووظائفها وعندي منها مجموع لا يوجد في دار المجاميع البريطانية نظيرهُ . فتهلل وجه الرجل سروراً وجعل يتمايل على كرسيهِ كترنح السكران ثم قال وهل كتبت شيئاً في هذا الموضوع او هل قرأت مؤلفات احدٍ فيهِ . قلت انني شرعت في تأليف كتاب خاص بهذه الطائفة من الحشرات وقد قاربت الفراغ منهُ وقرأت كثيراً مما كُتب فيها وأهمّ ما وجدتهُ في هذا الشأن كتاب للّرد برسفُرد و . . فقال كفى كفى ثم قرع جرساً فضيّاً فدخل الخادم فقال لهُ ادعُ لي اللادي هود حالاً . وما مضى الا دقائق قليلة حتى فُتح بابٌ آخر دخلت منهُ سيدة لولا ثيابها النسآئية والشعر القليل النابت على رأسها لظننتها انعكاس صورة الرجل في مرآة ولما تقدمت ايقنت انها شقيقتهُ وانهُ هو اللرد هود . فلما صارت بقربهِ عرّفني بها ثم قال لها قد صممت الآن على ذلك الامر وقد وجدت مطلوبي فلا شيء يثنيني عنهُ . قالت ولكن الفنّ الذي لا يمكن الوصول الى الشخص الا بواسطتهِ . . . قال هذا ما سرّني الظفر بهِ فان حضرة الدكتور فيلبسون هو نفس الشخص الذي يحقق فوزنا اذ هو من المغرمين بدرس هذه الحشرات وعندهُ مجموعٌ منها وهو يؤلف فيها والاغرب انهُ قد درس كتاب اللرد برسفرد . فابتهجت لما سمعت هذا الكلام واظهرت من الفرح زيادةً على ما اظهرهُ اخوها غير انها توقفت فجأةً وقالت لهُ ولكن لا اقدر ان اسلم معك باتمام قصدك وفيهِ ما فيهِ من الخطر العظيم على حياتك . قال لا تخشي بأساً فهذا ايضاً

سآمن غائلتهُ بمساعدة عضلات الدكتور القوية . ثم نظر اليَّ كأنهُ يطلب مني التصديق على قولهِ فرفعت يدي وتبسمت

وكأن اللرد هود لم يعد يقبل ادنى معارضة فيما عزم عليهِ فأشار الى شقيقتهِ بالانصراف ولما خلونا قال اذًا اتفقنا على الامر قلت نعم . قال فاذهب الآن واسترح مليًّا وأصب من الطعام مقدارًا كافيًا فأمامنا اربع وعشرون ساعة ربما لا تذوق فيها طعامًا ولا نومًا وصباح غدٍ تأتيني في الساعة الثامنة ولكن اياك ان يعلم احد بما دار بيننا . فاكدت لهُ محافظتي على السر ثم ودعتهُ وخرجت

ولا اقدر ان اصف تصوراتي العديدة اذ ذاك والافكار التي طرأت عليّ وانما اقول اني لبثت مشتغل اللب وانا لا اصدق ان يأتي الميعاد وارى ما هي غاية اللرد وماذا عزم ان يفعل وما هي الاخطار التي ستعرض لنا . ولما كان المسآء تناولت طعامًا قويًا مغذيًا وشربت شيئًا من الوسكي ونمت وما هزمت طلائع الصباح جيوش الظلام حتى استيقظت وتأهبت لموافاة اللرد . ولما اقترب الميعاد توجهت الى بيتهِ فوجدتهُ ينتظرني عند بابهِ في عربةٍ يجرها جواد واحد يسوقهُ هو وكانت شقيقتهُ واقفة بالقرب منهُ تودعهُ والدموع تترقرق في مآقيها . فلما وصلتُ حييت وصعدت الى جانبهِ فقالت لهُ اسألك لآخر مرة ان لا ترجع عن عزمك اكرامًا لي . فقال كوني مطمئنةً فاني لست بتاركٍ فرصةً كهذه تمر من يدي ثم اخذ سوطهُ وسار الجواد ينهب بنا الارض نهبًا

وحاولت ان احادث اللرد في اثنآء الطريق لعلي افهم شيئًا من هذا المقصد الغريب فقال لي لا يذهب عن بالك انك مأجورٌ الآن ولست حرًّا فأوصيك ان لا تكلمني الا اذا سألتك ولا تفعل شيئًا ان لم آمرك بهِ ولا تطلب ايضاحًا عما ترى الى ان افسرهُ لك انا . فاكتفيت بذلك وجعلت اقلب الطرف في تلك الحدائق الجميلة والسهول الفسيحة الخضرآء التي كنا نمر فيها . اما اللرد فكان مطرقًا برأسهِ الى الارض وهو يتململ من حينٍ الى آخر كمن يشتهي ان تقصر الطريق ونصل حالاً . وما زلنا نجدّ السير الى ان اشرفنا على بقعةٍ خضرآء مسوّرة بسياج من شجر

التفاح وغيرهِ من الفواكه وفي وسط البقعة بنآء شاهق من بيوت عظمآء الانكليز الذين يؤثرون حياة الحرية في الخلآء على معيشة المدن واتعابها . فظهرت على وجه اللرد هود علائم القلق وكثرة التفكر ثم انطلق لسانهُ فقال أتعلم لمن هذا القصر قلت لا . قال هو قصر اللرد برسفُرد الذي قرأت كتابهُ في الحشرات وهو الشخص الذي نقصدهُ اليوم واللرد برسفرد يقيم وحدهُ في هذا القصر مع زوجتهِ وخدمهِ اما زوجتهُ فغائبة اليوم وهو هنا وحدهُ . واعلم ان هذا الرجل لا يواجه احداً من الناس اذا شآء زيارتهُ ولو كان ملك انكلترا ولهُ ولع غريب بالحشرات التي كتب عنها فكل هذه الحديقة التي تراها الآن بزهورها ونباتها ليست الا اعشاشاً تتوالد فيها هذه الحشرات المختلفة وقد وقف وقتهُ بأجمعهِ على الاعتنآء بها وملاحظتها . وهو لا يواجه من البشر عموماً الا اياي وزوجتهُ لاننا نفهم قليلاً عن حشراتهِ ونكلمهُ عنها ولما كان غرضي ان اواجههُ بوجود شخصٍ آخر وجب ان يكون الشخص الثالث من ارباب العلم لنتمكن من ادخالهِ عليهِ . وها قد افهمتك اكثر مما يجب فاستعد عند ما تبدو لك اشارةٌ مني ان تتقدم الى اللرد برسفرد واختصر السلام ما امكن وأتبعهُ حالاً بموضوع الحشرات وتكلم فيهِ ما شئت وما استطعت

وعند ذلك دخلت بنا العربة حديقة برسفرد وجعلنا نسير بين الخمائل الغضة والرياحين والورود حتى اذا عطفنا فيها رأينا بعض الاغصان قد انفرجت وظهر من بينها رجلٌ طويل القامة جداً رقيق الجسم يكاد ضعفهُ يكون هزالاً وفي يديهِ قفازان من الجلد الاصفر الخشن وعلى رأسهِ قبعة واسعة الاطراف اشبه بالمظلة . فلما وقع نظر اللرد هود عليهِ استوقف العربة ثم ترجَّل للحال واسرع نحوهُ ورفع قبعتهُ محيياً ثم دار بينهما حديثٌ قصير سمعت منهُ قول اللرد برسفرد اهلاً بك يا عزيزي هود ولكن اراك تحتاج الى ذكرى دائمة بطباعي واخلاقي فقد قلت لك مراراً اني لا احب الفضول ولا اريد ان ارى غريباً في بيتي ومع ذلك ارى برفقتك فتى لا اظن اني اعرفهُ فاسمح لي ان انكر عليك هذا الصنيع واقول لك للمرة الاخيرة انك اذا اتيت اليَّ باحدٍ قبل استئذاني مرةً اخرى اطردكما معاً

فتبسم اللرد هود واشار اليّ بالدنو ثم قال لهُ لو لم اعلم انهُ يسرك جدًّا التعرف بصديقي الدكتور فيلبسون لما اجترأت على استصحابهِ ولكنك ستحكم انت لنفسك . وكنت قد اقتربت منهما فعرّف اللرد هود احدنا بالآخر فانحنيت لهُ اجلالاً وحانت مني التفاتةٌ فرأيت حشرةً تسعى على الارض بالقرب من قدمي اللرد هود فانحنيت للحال والتقطتها بمزيد العناية والانتباه وجعلت اهتمّ بها كاهتمام الام برضيعها ورأى برسفرد مني ذلك فحدّق ببصرهِ واقترب اليّ وقال ماذا يهمك من امر هذه الحشرة . قلت يهمني انني وقفت حياتي على درس طبيعتها وملاحظة اعمالها . فصفق بكفيهِ طربًا واخذ يسألني فلم اترك لهُ بابًا الا ولجتهُ وافضت في الشرح عنهُ حتى دهش الرجل وكنت من حين الى آخر استشهد ببعض عباراتٍ من كتابهِ فقضينا نحو نصف ساعة وانا فيها خطيب لا يملّ وعالمٌ لا يعثر . وكنت استرق النظر فارى علائم السرور والابتهاج المفرط ترتسم على وجه اللرد هود ومثل ذلك من الانشراح والفرح في وجه اللرد برسفرد فتحققت اني فزت في تشخيص الدور الذي عُهد اليَّ فيهِ . ثم تقدم اللرد برسفرد فاخذ بذراعي وقال اني اشكر اللرد هود على احضارك اليَّ فانهُ لم يخطر لي قط ان اجد في كل انكلترا من يوافق ذوقي ويميل مثلي الى درس طبائع هذه الطائفة الغريبة . اما الآن فانا اسعد البشر حالاً فهلمّ بنا الى البيت لتأخذ لك بعض الراحة وهناك اريك المجموع الذي احتفظت عليهِ والذي لا ابيعهُ بتاج الملك . فركبنا العربة ثانيةً وسرنا الى ان بلغنا البيت ودخلنا واللرد برسفرد لا يترك ذراعي وكانهُ لا يريد مفارقتي بعد الآن فجعل يطوف بنا في غرفهِ الفسيحة وردهاتهِ ومماشيهِ وكانت جميعها ملأى بما لا يحصى من هذه الحشرات الغريبة الاجناس بعضها حيّ والبعض ميت وقد رتبها بغاية الذوق والاتقان . وبقينا على تلك الحالة الى المسآء وانا كلما اظهرت الضجر او التعب يقترب مني اللرد هود ويهمس في اذني قائلاً لا تنسَ انك مأجورٌ لخدمتي هذه المدة فلستَ لنفسك الآن . وكنت انظر الى اللرد فأراهُ يجرّ قدميهِ مكرهًا فاتأسى بهِ واتجلد بمرآهُ

ولما حان اوان العشآء تناولنا طعامنا والحشرات موضوع حديثنا وكان اللرد

برسفرد كانهُ في ذروة السعادة لاجتماعهِ بشخصٍ يفهم افكارهُ و يستفهمهُ عن اقوالهِ و بعد العشاء سمح لنا بالراحة فاستأذناهُ وذهبنا الى غرف النوم . وكانت غرفتانا متلاصقتين فدخل كلٌّ منا الى غرفتهِ وما صدّقت ان بلغت سريري حتى القيت بنفسي عليهِ بدون ان اخلع ثيابي . واذا ببابي قد فتح ودخل اللرد هود عليَّ واشار اليَّ ان اتبعهُ فتبعتهُ الى غرفتهِ ولما دخلت اقفل الباب ثم استدعاني الى قرب سريرهِ وجعل يكلمني همساً فقال الآن سيبتدئ القسم المهم من الامر الذي دُعيت لهُ ايها الطبيب فسأنام انا اما انت فيجب ان تبقى ساهراً في غرفتي في تلك الزاوية بدون ان يعلم احد بوجودك معي . واعلم ان حياتي الليلة في خطر القتل فسيأتي شخصٌ ليقتلني على فراشي فيجب ان تسهر عليَّ حتى اذا اتى تنبهني حالاً . فقلت ولِمَ لا تقفل باب غرفتك من الداخل فتأمن دخول ايٍّ كان عليك . قال اني اريد ان يدخل عليَّ هذا الشخص ولي قصد في دخولهِ عليَّ فيجب ان لا امنعهُ من ذلك ولكن لا اريد ان يقتلني . قلتُ انا طوع امرك ولكن احب ان يكون لديَّ كتابٌ ما اقرأ فيهِ فيساعدني على قضاء ساعات الليل الطويلة . قال الامر بالعكس فاذا بقي المصباح موقداً يعلم القادم اني ساهرٌ فلا يدخل وانما يجب ان لا يكون في غرفتي سوى نور ضعيف في الغاية لنتمكن من مراقبة شبح القادم . ثم ان اللرد هود نام في سريرهِ وللحال استولى عليهِ نوم ثقيل لانهُ كان قد اتعب نفسهُ في نهارهِ واجهدها فوق طاقتهِ . اما انا فجلست على كرسيٍّ في زاوية الغرفة وجعلت انتظر الساعات والدقائق الى قدوم القاتل او طلوع الصباح وانا اخال نفسي في اضغاث احلام او بين قوم قد فقدوا عقولهم ودعوت الله ان يخرجني من بينهم سليماً . وكانت الدقائق تظهر لي كالساعات والساعات كالايام اذ لم يكن لديّ شيءٌ اتسلى بهِ وكلما قاربني النعاس اتشاغل بالتدخين واطلق لافكاري العنان فقرعت الساعة العاشرة والحادية عشرة ونصف الليل ثم الساعة الواحدة ولم اسمع شيئاً سوى غطيط النائم ولم تبدُ اقل حركة تدل على ما نخوّف منهُ

ومضت عليَّ بضع دقائق مالت فيها عيني الى الكرى واذا بصوت اقدام خفيف

قد طرق اذنيَّ فأصغيت وعلمت باجلى وضوح ان اقداماً ترتقي السلم الحجري الذي يفضي الى غرفتينا وكانت الخطوة بطيئة و بغاية الحذر . ثم اشرق من ناحية الباب نور مصباحٍ علمت انهُ في يد القادم فوضعت يدي على مسدسي وجعلت انتظر دخولهُ . وما زال يتقدم حتى بلغ باب الغرفة فترك المصباح خارجاً ثم دفع الباب بلطف فانفتح وتقدم الى داخل الغرفة . ورأيت على انعكاس نور المصباح الخارجي الضعيف ما قفَّ لهُ شعر رأسي وارجفني خوفاً لانني تحققت ان ذلك الشبح هو نفس اللرد برسفرد وفي يدهِ مديةٌ طويلة ينبعث الموت من حدّها ورأيتهُ يقترب بسرعة الى جهة السرير . وكنت قد اقتربت من اللرد هود النائم وضغطت على يدهِ فاجابني بالمثل وكان قد افاق عند فتح الباب ثم جعل يتزحزح شيئاً فشيئاً الى الجانب الآخر من السرير . واننا لكذلك واذا باللرد برسفرد قد وثب وثبةً واحدة فحاذى السرير وفي اقل من لمح البصر رفع يدهُ بالمدية وضربها ثلاثاً في وسط السرير وقبل ان يأتي بحركة اخرى كنت قد اطبقت عليهِ وامسكتهُ بذراعهِ وهو رافع يدهُ فوق رأسهِ . وكانت في برسفرد قوة لم اتصور وجودها قط مع ضعفهِ وهزالهِ فجعل يحاول ان يطعنني ورأيت انهُ يكاد يبلغ مرامهُ لو لم يتبعني اللرد حالاً فضربهُ بكرسي على يدهِ اطار منها المدية ثم تعاونّا كلانا فالقيناهُ على الارض . وكان خدم القصر قد سمعوا الضجة فجاء منهم اثنان بالمصابيح فوجدانا على تلك الحالة فاستعنّا بهما واوثقنا اللرد برسفرد ثم حملناهُ الى غرفتهِ وتركناهُ هناك . وامر هود الخدم فرجعوا الى اسرّتهم وعدت واياهُ الى غرفتهِ فقال لي قد حان الوقت الذي اوضح لك فيهِ هذه الغوامض فاسمع لي . ان اللرد برسفرد هو زوج شقيقتي التي رأيتها صباح امس في بيتي وهو من كبار المتمولين واوسع رجال انكلترا علماً كما تشهد لهُ تآليفهُ ولكنهُ انقطع منذ مدة الى درس هذه الحشرات الملعونة وشغف بها الى حدٍّ سبب لهُ شيئاً من الجنون . وكان هذا الجنون ينتابهُ في اوقات مختلفة وحين النوبة يثور كالذئب الضاري ويصمم على قتل اعز الناس عليهِ وليس لهُ من الاعزاء الا زوجتهُ وانا فهمَّ بقتلها غير مرةٍ ولكن الله كتب لها الحياة فنجت منهُ بطرقٍ عجيبة واضطرت اخيراً

ان تستأذنهُ في زيارتي فأذن لها وجاءَتني تخلصاً من شرّهِ . ولما ايقنتُ انهُ جنّ عزمت ان استعين بالحكومة واطلب نقلهُ الى ملجأ المجاذيب ولكن خطر لي ان الحكومة ربما اوّلت ذلك الى عداوة اهلية بيني و بينهُ او الى طمع في ارثهِ لانها ليس لها ادلة تثبت جنونهُ اذ لا تعاودهُ هذه النوب الا في اوقات خصوصية لا يعلم بها احد . ولما كان من الصعب بل من المستحيل اقناع الحكومة بدون برهان وكان من اهم الامور لديّ المحافظة على حياة شقيقتي رأيت ان استحضر طبيباً مثلك يتمكن بواسطة موضوع الحشرات ان يكتسب ثقتهُ وان يشاهد عملهُ في مثل هذه الليلة فيشهد بجنونهِ فان الحكومة اذا رأت شهادة الطبيب قررت الواقع وعملت بمقتضاهُ . ولعلمي ان صهري يحبني كزوجتهِ تحققت انهُ سيحاول قتلي كما كان يحاول قتلها وها قد نجح قصدي وحقق الله آمالي وحفظت حياة تلك المسكينة

وكنت اسمع كلامهُ بمزيد الاستغراب حتى اذا اكمل قصتهُ كان قد اثّر فينا النعاس فنمنا الى الصباح ولما نهضنا زرنا برسفرد فرأيتهُ لا يزال تحت اضطراب اختلال الشعور ففحصتهُ فحصاً طبيًا مدققاً ولما تحققت الامر كتبت شهادة بذلك وذيلتها بتوقيعي

ولا تسل عن سرور اللرد واللادي هود حين قررت الحكومة نقل برسفرد الى مستشفى المجاذيب وعادت اللادي هود الى بيت زوجها فاتلفت كل ما جمعهُ من تلك الحشرات وعادت الى ترتيب بيتها كما شاءَت . وكانت تلك الحادثة عظة لي فخفت ان انا ولعتُ بالحشرات ان يعرض لي مثل ما عرض لبرسفرد فانقطعت عنها وكنت كلما اسعفني الوقت ازور اللرد هود وشقيقتهُ فيستأنسان بي ونتحادث ملياً عن تلك الليلة المشؤومة

ولم تطل حياة برسفرد كثيراً بعد ذلك فتوفاهُ الله واستحضرت زوجتهُ جثتهُ فدفنتها في حديقة القصر وكانت مع سرورها بالخلاص من خطر القتل تتأسف كلما مرّت امام ضريحهِ على شريك حياتها

تكوُّن العالم الشمسي

(عودٌ على ما تقدَّم) ذكرنا في الجزء السابق ملخَّص ما ذهب اليهِ لاپلاس في تكوُّن العالم الشمسي ووعدنا ان نذكر هنا ما وُجّه عليهِ من اعتراضات العلماء بعد عرضهِ على الاصول العلمية والنواميس الطبيعية ثم نورد ما ذهب اليهِ فأنّي بالخصوص مما خالف بهِ مذهب لاپلاس من اصلهِ نسوق ذلك ايضاً بما يمكن من الاختصار تقريباً لمتناولهِ وتفادياً من ملل القرآء

فاما ما اعتُرض بهِ عليهِ فأولهُ ما ذهب اليهِ من ان السيارة تكونت من مناطق انفصلت عن سديم الشمس الواحدة بعد الاخرى بسبب تكاثف الاجزآء المركزية وازدياد سرعة دورانها على ما تقدم تفصيلهُ في محلهِ . ووجه الاعتراض عليهِ أن التكاثف الذي ذكرهُ وما يليهِ من ازدياد السرعة فعلٌ متصل باتصال رسوب الذرّات المنتشرة في السديم بحيث ان الاجزآء المتكاثفة تتقلص على الدوام من غير وقوفٍ ولا فاصل ومقتضى هذا ان الاجزآء الخارجية اي الواقعة ورآء الحدّ الذي تكافأت فيهِ قوتا الجذب والدفع يلحق بعضها بعضاً كلما ازداد التقلص من الداخل وحينئذٍ فبدلاً من ان تستقلّ هذه الاجزآء بشكل مناطق كل واحدةٍ منها منفصلة عن الاخرى تكون بأسرها منطقةً واحدة منتشرة الى آخر حدود السديم او تكون مناطق متتابعة في منتهى الدقة ينشأ عنها اجرامٌ صغيرة منتشرة حول الشمس لا سيّارةٌ كبيرة بينها مسافات شاسعة من الفضآء كما هي الحال في الواقع

والثاني انهُ على فرض صحة انفصال المناطق على ما ذكرهُ فان ما قدّرهُ من ان كل منطقةٍ تجزأت الى كُتَلٍ صغيرة ثم اجتمعت قِطَعها الى كتلةٍ واحدة من الامور التي يُستبعَد حصولها على ما سيجيء واذا تمحلنا لها وجهاً يتم بهِ هذا الاجتماع فانهُ لا يكون الا بعد زمن طويل يستحيل بعدهُ ان تنفصل عنها حلقات الاقمار . وبيانهُ اننا اذا فرضنا ان قطعتين من منطقة نبتون مثلاً كانتا على جانبي الشمس بحيث يكون بينهما ١٨٠ درجة من الطول فمن المحال ان تُحدِث احداهما على حركة الاخرى اثراً محسوساً بل اذا اعتبرنا ذلك في القِطَع باسرها مصطفةً احداها بجانب الاخرى على مسافاتٍ قريبة من التساوي فان تاثير بعضها يُبطِل تأثير البعض الآخر فتلبث كل واحدةٍ منها في مكانها . وحينئذٍ فلا يبقى وجهٌ تنضمّ بهِ احدى هذه القطع الى غيرها الا اذا كان بينها تفاوت في سرعة الدوران حول الشمس بان يكون بعضها اقرب الى الشمس من بعض لان القريبة تكون اسرع حركةً من البعيدة . فاذا فرضنا ان قطعتين بينهما ١٨٠ درجة وكانت احداهما اقرب الى الشمس بالف ميل امكن مع تمادي الزمن ان تدرك احداهما الاخرى فتتجاذبان الا ان ذلك لا يتم الا بعد ١٥٠ مليون سنة وحينئذٍ تكون كلتاهما قد خرجت عن حالة السديمية الى حالة السيلان او الجمود

والثالث انهُ على فرض صحة هذا ايضاً فان السيّارة التي تنشأ من الحلقات على مذهب لاپلاس ينبغي ان يكون دورانها حول محاورها متقهقراً اي من الشرق الى الغرب . وذلك أن الاجزآء التي تنفصل عن الكتلة المركزية كلما كانت اقرب الى المركز كانت اسرع حركةً فكان من مقتضى

ذلك ان المنطقة التي تنفصل تكون اجزآؤها التي الى جهة الشمس اسرع من الاجزآء التي الى الخارج وحينئذٍ فاذا اجتمعت بشكل كتلةٍ مستديرة لزم ان اجزآءها السفلى اي التي الى جهة الشمس تلتفّ حول اجزآئها العليا وتبقى مستمرةً على حركتها فتدور الكتلة حول نفسها الى الجهة المعاكسة لحركة الكتلة المركزية

والرابع ان اول قمري المريخ والحلقة الداخلية من حلقات زُحَل هما اقرب الى السيارين واسرع حركةً مما يقتضيهِ مذهب لاپلاس وبعكسهما قمر الارض فأنهُ ابعد من المسافة التي يقدَّر ان سديم الارض كان واصلاً اليها(١)

والخامس ان اقمار اورانس تدور في سطح قائم على سطح دائرة البروج وقمر نبتون يدور حولهُ من الشرق الى الغرب ولا يبعد ان يكون هذان السياران ايضاً يدوران حول محوريهما كذلك وكل ذلك لا ينطبق على مذهب لاپلاس

والذي يفرضهُ المسيو فاّي في كل ذلك أن السديم الذي تكوّن منهُ العالم الشمسي بدلاً من ان يبتدئ تكاثفهُ برسوب ذرّاتهِ رأساً الى المركز

---

(١) يدور اول قمري المريخ حول السيار في نحو ٧ ساعات و ٤٠ دقيقة حالة كون المريخ يدور حول محورهِ في نحو ٢٤ ساعة و٤٠ دقيقة و بعدهُ عن السيار نحو ١و٤٤' من نصف قطر السيار . وتدور الحلقة الداخلية من حلقات زحل في ٥ ساعات و٥٠ دقيقة والسيار يدور حول محوره في ١٠ ساعات و ١٦ دقيقة . وهي تبعد عن سطحهِ نحو ١ و٩' من نصف قطرهِ . واما قمر الارض فيبعد عنها نحو ٦٠ مرة من مثل نصف قطرها وينبغي على مذهب لاپلاس انهُ عند ما انفصل عن الارض كان سديمها بالغاً ثلاثة ارباع هذه المسافة

كانت اجزآؤهُ تتحرك في دوائر لولبية متحاذية او متقاطعة تدور باسرها حول نقطة المركز فتألفت من ذلك مجارٍ ذوات سرعةٍ متفاوتة على ما هو شرط تكوُّن الدوائر اللولبية في كل مادةٍ سيالة ثم كانت اللوالب المتقاطعة يلتفّ بعضها على بعض بجذب الكبرى منها للصغرى وتتداخل ذرّاتها الى ان نشأ هناك كتلةٌ مستديرة هي كتلة السيّار او القمر من اقمارهِ . اما جهة دوران هذه الكتلة على محورها فلما كان باقي السديم عند تكوُّن هذه اللوالب متساوي الكثافة كانت كل ذَرّةٍ منهُ تدور حول المركز بسرعةٍ مناسبة للبعد من غير ان يكون للمركز تأثير في حركتها فكانت الاجزآء الخارجية من الدوائر اللولبية اسرع من الاجزآء الداخلية ثم لما تألفت كُتَلاً والتفّ بعض اجزآئها حول بعض لبثت دائرةً على محاورها الى نفس الجهة التي كانت تلك الذرّات متحركةً اليها . وعلى ذلك فقد تألفت السيّارة واقمارها في باطن السديم

اما دوران هذه الاجرام كلها في سطح دائرة البروج فانهُ يفرض ان السديم الذي تكوَّن منهُ العالم الشمسي كان قطعةً من السديم الاعظم الذي تكونت منهُ بقية العوالم النجمية ثم انفصل عنهُ ولبث دائراً حول مركزٍ يُستَدَلّ عليهِ من اتجاه الشمس الى ناحية الجاثي وهو مع ذلك متحرك حول نفسهِ حركةً هي في نهاية البطء ولذلك لم يثبت من المجاري اللولبية التي نشأت في باطنهِ الا التي كانت حركتها موافقةً لحركتهِ وسائرها التفّ حول هذه فتألفت منها ومنهُ كُتَل السيارة والاقمار على ما تقدم تفصيلهُ

ثم انهُ في اثنآء المدّة التي تمّ فيها تكوُّن السيّارة والاقمار كانت الذرّات

التي لا تدخل في تأليف الدوائر المذكورة ترسب شيئاً فشيئاً الى مركز السديم بحيث تألفت هناك نواةٌ لكتلةٍ مركزية هي الشمس واخذت هذه النواة تتعاظم على توالي الزمن حتى غلبت على سائر اجزاء السديم وامتدّت جاذبيتها الى جميع اطرافهِ فكانت تجذب ما خرج عنها من الاجزاء بقوةٍ تتغير بالقلب كمربَّع المسافة . واذ ذاك اخذت تلك الاجزآء تدور حولها تبعاً لمقتضى القاعدة الثالثة من قواعد كپلر اي انها كلما كانت اقرب الى المركز كانت حركتها اسرع وهو عكس ما كانت عليهِ في الحالة الاولى . وحينئذٍ كانت اذا تحولت احدى الدوائر اللولبية الى كتلة تدور تلك الكتلة على نفسها الى عكس الجهة التي كانت تتحرك اليها الدائرة المذكورة وفي هذه الحال تكوَّن نبتون وقمرهُ فكانت حركتهما على عكس حركة بقية النظام واما اورانس فانهُ تكوَّن في زمنٍ كانت الجاذبية فيهِ متوسطةً بين حاليها فدار دورةً جانبية وكانهُ تبع حركة اللوالب المعترضة . وعلى هذا الفرض تكون السيّارة قد انقسمت الى طائفتين احداهما تكونت قبل الشمس وهي عطارد وما يليهِ الى زُحَل والاخرى تكونت بعدها وهي اورانس ونبتون وهو احدثها عهداً بالوجود

هذا في نظر الفلكيّ واما في نظر الجيولوجي فلا شك ان الارض اقدم كثيراً من الشمس لان اصحاب هذا العلم يقدّرون ان طبقات الارض لا يكفي لتكوُّنها اقلّ من ٣٠٠ الى ٣٥٠ مليون سنة حالة كون علماء الهيئة يقدّرون ان مدّة الشمس لا تزيد على ٢٠ الى ٣٠ مليوناً من السنين فاذا فُرض ان الارض وُجدت بعدها كان عمرها اقلّ من ذلك ايضاً وهذا ما لا

يتأتى التسليم بهِ الا ابعد نقض مذهب الجيولوجيين وهو ما يعترف اصحاب الهيئة بصحتهِ

فاذا تأملت جميع ما ذُكر رجح عندك مذهب فاي وان كان مذهب لابلاس اشهر لكونهِ اقدم على ان كل واحد من المذهبين لا يخلو من مطارح للنقد وللعلماء فيهما مباحث طويلة يضيق هذا المقام عن بيانها وفيما اوردناهُ كفاية للمستدل والله سبحانهُ اعلم بالصواب

المرأة

بقلم حضرة الكاتب نجيب افندي ماضي

(تابع لما في الجزء السابق)

اما في القرون المتوسطة فقد كانت حالة المرأة في عامة الممالك الاوربية ارقى مما كانت عليهِ في القرون الاولى الا اننا لو قارنّا حالها اذ ذاك بما هي عليهِ اليوم لوجدنا بين الحالتين فرقاً بعيداً فانها كانت على غاية الجهالة والجمود لما كان غالباً على امم تلك العصور من ان تعليم المرأة مضرٌّ بها وبغيرها. ومما يُنقَل عن العلامة مونتون الفرنسوي ان العلم للنساء مشوّهٌ لجمالهن الطبيعي ولذلك كانت تُمنَع من تلقّي علم البلاغة لانهُ في زعمهم يموّه جمالها الفطري بجمالٍ غريب مستعار الا انهُ كان يجوز لها ان تزاول صناعة النظم فقط لتشغل بهِ وقتها وتدفع عن نفسها سأم البطالة ليس الاّ . ونقل مُوليّار عن ألسنة العامة لذلك العهد ان المرأة لاسبابٍ شتى لا يليق بها ان تتعلم اموراً كثيرة

فلما جآء القرن التاسع عشر تنبهت الافكار لامر المرأة ووجوب اخراجها من حالة الخمول الاولى فكان هناك معتركٌ لاقلام الكتاب وألسنة الخطبآء ونهض العلمآء لنصرتها من كل اوب . وكان اول من اوجب تعليمها ونادى بهِ العلامة كُندُرسّاي احد رجال الندوة العلمية الفرنسوية في اواخر القرن الثامن عشر فانهُ جزم بوجوب تعليم الانثى لاسبابٍ اولها ان تكون قادرةً على احسان تربية اولادها الذين هم رجال المستقبل . والثاني ان تجني من هذه التربية فائدةً لنفسها لان اولادها يكونون اذ ذاك عوناً لها قادرين بما اودعتهم من صفات الرجولية الحقة وهيأت لهم من المقام النافع في المجتمع ان يحيوا حياةً طيبة وتحيا هي بحياتهم . والثالث ان ترى ابنتها في حالة سعيدة مع بعلها قائمة احسن قيام بخدمتهِ وسياستهِ وتوثيق عرى الالفة بينها وبينهُ وقادرةً على الافادة والاستفادة في مخالطتها افراد المجتمع الانساني . والرابع ان من العدل والصواب ان تكون المرأة مساويةَ للرجل ويكون لها ما لهُ من الحقوق في تلقي العلوم والمعارف

ولم يلبث هذا الروح ان امتدّ بين امم اوربا وكان العلم والتمدن قد نشرا لوآءهما على العقول والافكار وادرك الرجل منهما ما هيأهُ لقبول هذا التبديل في حالة المرأة ونبذ التقاليد القديمة فعكف على تلقينها العلوم العقلية والدينية والادبية وسنّت لها الحكومات الشرائع حتى جعلت تعليمها اجبارياً وشادت لها المدارس والكليات فعمّ العلم بين نسآء اوربا وتثقفت عقولهنَّ وارتفعت منزلتهنَّ في عالم الادب حتى بلغنَ مقاماً خوّلهنَّ الحق في طلب مشاركة الرجل ومساواتهِ

وقد نالت المرأة في هذا العصر في جميع ممالك اوربا واميركا الحق في تعاطي الاعمال التجارية تشترك فيها مع زوجها او تنفرد بتجارتها واعمالها قائمةً وحدها بترتيب اشغالها والاتجار باسمها وتحت عهدتها . ومن النسآء من يتعلمنَ الطب والصيدلة ومن يتعاطينَ الاعمال الكيماوية ويرصدنَ الاجرام السماوية ويخطبنَ في المحافل ويكتبنَ في الجرائد والمجلات ويؤلفنَ الكتب العلمية والادبية فضلاً عن كل نوعٍ من الصنائع الدقيقة والجليلة وبعض النسآء يعلّمنَ في المدارس العالية ويمتحنَّ الطلبة ذكوراً واناثاً في جميع الفنون

ولما رأت الدولة الانكليزية ما صارت اليهِ المرأة من التقدم والارتقآء جمعت المبالغ الوافرة من الاموال وانفقتها على بنآء المدارس والمستشفيات خدمةً لها واطلقت لها الحق في دخول المحافل السياسية وتقديم الشهادات في المحاكم واقامة الدعاوي والمحاماة عن حقوقها وحقوق غيرها وتسنُّم مناصّ الاحكام وان يكون لها مقامٌ في مجالس النبلآء وحقٌّ في الانتخابات في مجالس الامة وعلى الجملة فانها شاطرت الرجل الاعمال السياسية بالعموم

وكذلك في الولايات المتحدة فانها نالت الحظ الوافر من الحقوق السياسية والتجارية فقد منحتها الحكومة في اكثر الولايات حق المحاماة امام جميع هيئات المحاكم والانتخابات في مجالس النواب وتبوُّؤ كراسيّ القضآء والاشتغال بجميع مناصب الحكومة وذلك لان الخاصّة من الاميركان يعتقدون ان لا نجاح للامة ولا ارتقآء لحالة المجتمع الا بتعليم المرأة وتهذيبها وانزالها منزلة الرجل من العلوم والصنائع والمراكز والوظائف بحيث تكون مساويةً لهُ في جميع الحقوق العمومية

اما في فرنسا فان المرأة لم تصل حتى الآن الى المقام الذي بلغتهُ المرأة الانكليزية والاميركانية ولا ينكر انها نالت الحقوق التي تؤهلها لمشاركة الرجل في اقتباس العلوم والفنون وتعاطي وظائف الحكومة والاشتغال بالتجارة وغيرها من الحِرَف غير ان اللواتي بلغنَ ذلك من الفرنسويات عددٌ قليل الا في التجارة فان نسآء فرنسا في مقدمة اللواتي يتعاطينَ الاعمال التجارية من كل امة. وكذلك الحال في المانيا وايطاليا وغيرها من الممالك الاوربية فان المرأة فيهنَّ تشابه المرأة الفرنسوية في جميع احوالها

اما الروسيون فانهم كانوا قديماً يحجبون النسآء عن الرجال ويحرمونهنَّ التعليم والتربية وجميع الحقوق العمومية الا ان حالتهنَّ تغيرت بعض الشيء في عهد بطرس الاكبر والامبراطورة كاترين اذ شُيِّدت المدارس لتعليم المرأة وتقويم أَوَدها الا انهُ مرَّ عليها بعد ذلك زمنٌ كانت فيهِ عرضةً لانتياب ضروب الشقآء والمذلة الى ان تولى عرش الملك الامبراطور اسكندر الثاني فرفع من شأنها ونالت نصيباً صالحاً من الحقوق الادبية والسياسية والتجارية الا انها على كل حال لا تزال دون غيرها من نسآء سائر الممالك المتمدنة (ستأتي البقية)

فصل الشتآء وامراضهُ

نقتضب ما يأتي عن فصلٍ طويل نُشر في المجلة الصحية لحضرة الفاضل الدكتور اديب افندي الزيات ذكر فيهِ اكثر الامراض حدوثاً في هذا الفصل وطرُق اتقآئها وعلاجها فأحببنا ان ننقل زبدتهُ لقرآء الضيآء لما فيهِ

من الفائدة العامّة قال

اذا دخل فصل الشتآء وبرد الهوآء وعقب صفآء الجوّ الرطوبة والندى اقبلت الامراض الشتوية ضيوفاً ثقيلة تختار من المنازل ارفعها فتحلّ على الغالب في صدور الناس فتولد فيها النزلات الصدرية المختلفة كالنزلة الشُعْبية البسيطة والنزلة الوافدة (الانفلونزا) وذات الرئة وذات الجنب وغيرها

واسباب هذه العلل المختلفة هي البرد وخصوصاً برد الاطراف والانتقال من مكانٍ دفيء الى مكانٍ بارد كالخروج من الاندية والمجتمعات العمومية والملاعب والمراقص ونحوها في الليالي الباردة فيؤثر الانتقال السريع من الحرارة الى البرد الشديد على الجسم ويحدث فيهِ مرضاً في الاعضآء التي هي اشدّ استعداداً لذلك . ولا يسعنا في هذا المقام ان نفرد لكل مرض من الامراض المسببة عن البرد فصلاً برأسهِ وانما نذكر الآن طرفاً من النزلات التي تطرأ على الجهاز التنفسي نعني الزكام الدماغي والنزلة الشُعْبية والنزلة الوافدة

اما الزكام الدماغي او زكام الانف فيُتَّقى عادةً باجتناب الرطوبة وخصوصاً رطوبة الرجل وعدم كشف الرأس اذا كان الجوّ مُشبعاً من الرطوبة ولا سيما اذا كان المرء غير متعودٍ احتمال الرطوبة ولا بد لمن كان كثير التعرض للزكام من تعوُّد المعيشة في الهوآء المطلق كلما مكنتهُ الفرص ويحسن بمن كانوا كذلك ان يعتادوا الاغتسال بالمآء البارد او دلك الجسم دلكاً جافاً او بمآء كولونيا

ومتى ظهر الزكام فينبغي ان يداوَى عند حلولهِ لان اهمالهُ قد يكون

سبباً لامتداده الى الاذنين او الشُعَب وربما ازمن فيها فتسوء عاقبتهُ ٠ واشهر ما يُستعمَل لهُ وصفة براند وهي ان يُمزَج ٥ غرامات من الحامض الفينيك النقي و٥ غرامات من النشادر السائل وعشرة من الكحل (السبيرتو) بدرجة ٩٠ و١٥ من المآء المقطر ٠ ينقَّط من هذا المزيج عشر نقط على قطعةٍ من الورق النشاف المعروف وتُستنشق مدة بضع ثوانٍ ويكرر ذلك كل نصف ساعة مرة ٠ وكذلك قد يتوقف الزكام باستنشاق بخار صبغة اليود او الكلوروفرم النقي او الممزوج بالمنتول او ماء كولونيا

واذا كان المصاب بالزكام عرضةً للنزلة الشعبية الشديدة او مصاباً بزكام الاذن المزمن فينبغي ان يلازم فراشهُ ويكتفي من المآكل بالشيء الطفيف ويشرب الاشربة السخنة المعرّقة او جرعةً من خلاّت النشادر

اما النزلة الشعبية او زكام الصدر فانها اكثر ما تعقب زكام الانف وهي قد تكون خفيفة الوطأة فتكون اعراضها خفيفة تكاد لا تؤثر على الانسان وقد تكون شديدة تصحبها حمى وانحطاط وتعب في الجسم وفقد شهوة الطعام وتلبك المعدة ٠ وفي كلا الحالين يشعر المصاب بحرارة في الصدر فيما يلي الحنجرة وغليان في الشُعَب وسعال قد يكون متواتراً او متباعداً بحسب شدة الزكام

فاذا كان الزكام خفيفاً كفى لزواله بعض الاحتياطات الصحية كاجتناب البرد والرطوبة ولا سيما اذا كان الجسم في حالة العرق وعدم الخروج الى الخارج الا بعد الارتدآء بلباسٍ دفيء واحسن من كل ذلك ملازمة البيت اذا تيسر ذلك مدة يومين او ثلاثة الى ان يأخذ دور الحدَّة في التناقص

ويستعمل لتخفيف السعال غُلاية زهر البنفسج او زهر الخبّازَى او الزيزفون تؤخذ عند النوم خصوصاً مسخَّنة وكذلك يحسن تنطيل القدمين بالمآء السخن المضاف اليهِ شيءٌ من مسحوق الخردل والتدثر عند النوم بغطآء ثقيل لاحداث العرق

اما النزلة الوافدة (الانفلونزا) فلا يُستغنَى في مداواتها عن استشارة الطبيب لانها وان كانت في كثير من الاحوال سليمة العاقبة فان لها احياناً تأثيرات على بعض الاعضآء الرئيسية قد تكون سبباً لامراض عضالة ولذلك نقتصر على ذكر اهمّ اعراضها تاركين وسائل العلاج للطبيب المداوي بحسب ما يترآءى لهُ في الاحوال المختلفة باختلاف السن والمزاج وشدة المرض

فاول اعراضها انحطاطٌ في الجسم وحمى وألم في الرأس وارتباكٌ في المعدة يدل عليهِ قذارة اللسان وتغير طعم الفم وانقطاع شهوة الطعام وفي الغالب يصحب هذه الاعراض امساك او قيء وزكام في الشعب والانف . فاذا ظهرت هذه الاعراض او بعضها فاول ما يجدر بالمصاب تناولهُ مسهلٌ او مقيئ من مسحوق عِرق الذهب من غرام الى غرام ونصف وهذا خصوصاً اذا كان هناك استعداد للقيء لان الانفلونزا في بعض الاحيان تُحدِث افرازاً للصفرآء تقذفهُ المعدة الى الخارج . وكما قدمنا ينبغي استشارة الطبيب عند حلول النزلة الوافدة لاتّباع سيرها واستدراك عواقبها لئلا تصيب عضواً رئيسياً في الجسم فتعطبهُ ويعسر حينئذٍ تلافي الضرر فلا بد من التنبه لهذا الامر والله الواقي

التصوير بدون شَبَحيّة

المراد بالشَبَحيّة الزجاجة المقدَّمة في آلة تصوير الشمس وهي التي تكون موجهةً الى الشبح المراد تصويرهُ وتنفذ منها الاشعة المنعكسة عنهُ الى الصيفحة الحساسة . وقد نشر بعضهم في هذه الاثنآء فصلاً ذكر فيهِ ان هذه الزجاجة يمكن ان يُستغنَى عنها بحيث لا يكون من ذلك ادنى ضرر على الصورة بل ربما جآءت الصورة اوضح وأتمّ وذلك بان يوضع مكانها صفيحة معدنية رقيقة تُثقب ثقباً دقيقاً بابرةٍ ونحوها فتنفذ الاشعة من هذا الثقب وترتسم على الصفيحة الحساسة كما يكون مع وجود الشبحية . الا ان الصعوبة في تقدير قُطر الثقب والمسافة بينهُ وبين الصفيحة القابلة بحيث يقع الرسم عليها جلياً لانهُ اذا زادت المسافة او نقصت قليلاً جآء الرسم منتشراً اي غير واضح الحدود . وانما تقدَّر المسافة بالنسبة الى الثقب فانهُ كلما كان اوسع وجب ان تكون المسافة بينهُ وبين الصفيحة القابلة ابعد وقد امتحن الامر عدة مرات حتى استتبّ لهُ تعيين النسبة بين سعة الثقب وقياس المسافة على وجهٍ لا يخطئ الصواب

اما قياس الثقب فلما كان اضيق من ان يمكن ضبطهُ الا بآلةٍ مخصوصة فقد اتخذ لهُ طريقاً آخر وذلك انه عمد الى ٢٥ ابرة من صيغةٍ واحدة وصفَّها الواحدة بجانب الاخرى وقاس مجموعها بالعشر اي عشر المتر ثم ضرب ما كان في ٤ فكان الحاصل قياس ١٠٠ ابرة وهو من الصيغة التي اختارها ٣٥ ميليمتراً . ولاجل تحديد المسافة بين الثقب والصفيحة الحساسة وجد القاعدة في ذلك ان يضرب قياس الابر المذكور في نفسهِ ويقسم الحاصل على ٨

وعليه فحاصل ٣٥ × ٣٥ = ١٢٢٥ ÷ ٨ = ١٥٣ ميليمتراً وهي قياس المسافة المذكورة

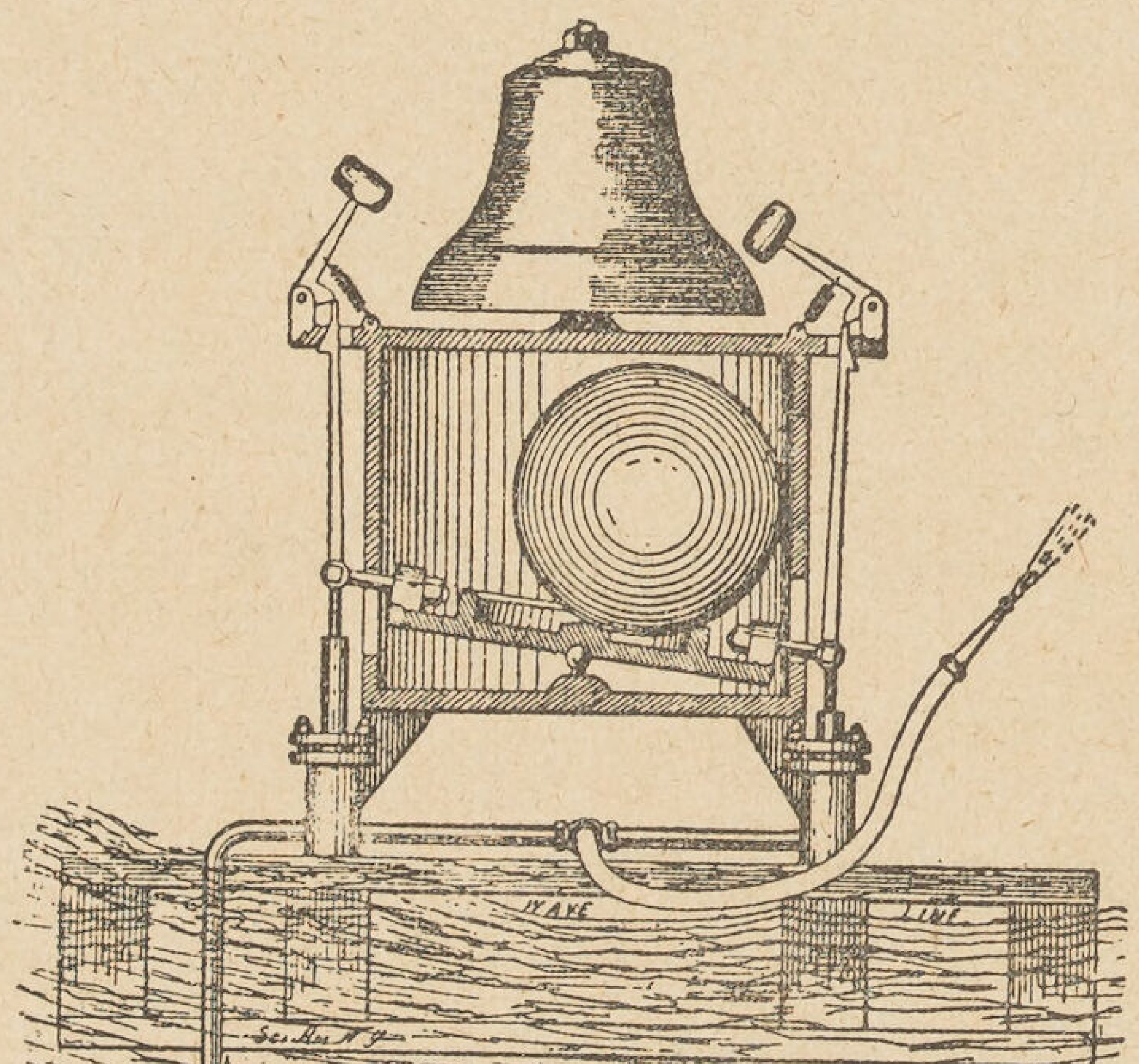
بقي أن هذا الثقب لا يجب ان يكون مستديراً ولكن يكفي ان يكون ذا قطرين متساويين طولاً وعرضاً فاذا كان مربعاً مثلاً كانت عنهُ نفس النتيجة التي تكون عن المستدير لكن لا بد على كل حال من ان تكون جوانب الثقب خاليةً من كل تشعث والاجاء الرسم منتشراً . ولذلك يُختار ان تكون الصفيحة التي يُثقَب فيها من الرقائق المعروفة بالبهرجان ويُختار على الثقب بالابرة نفسها ان يؤخذ صفيحتان من هذه الرقائق ويُقطع بالمقصّ من جانب كلّ منهما زاوية ثم تُجمَع الصفيحتان بان يوضع طرف احداهما على طرف الاخرى وتقرَّبا حتى ينشأ بين الزاويتين ثقبٌ مربع ويضيَّق هذا الثقب حتى يصير بمقدار ما تمرّ الابرة بين اضلاعهِ الاربع ثم تقدَّر المسافة بينهُ وبين الصفيحة القابلة على القياس المذكور

استخدام حركة الامواج

ما زال بعض الناس منذ حين يحاولون الانتفاع بحركة الامواج لِما انها حركةٌ طبيعية دائمة لا تدعو الى عملٍ ولا نفقة وقد امتُحن ذلك على وجوهٍ شتى لم يكد شيءٌ منها يبلغ الى المقصود لتفاوت هذه الحركة قوةً وضعفاً وعدم التمكن من ضبطها على قياس مطرد . غير أن بعضهم قد توصل في هذه الايام الى استخدامها على وجهٍ يمكن ان يُستخرَج بهِ بعض المنفعة . وذلك أن اثنين من الاميركان يقال لهما المسيو بانغ والمسيو كرّي كانا يحثان

عن طريقة لصنع منبه للسفن يتحرك من نفسه حركة دائمة فتوصلا الى اختراع الجهاز الذي تراهُ في الرسم وفيهِ مع التنبيه الذي هو الغرض الاول من صنعهِ انهُ يستعمل بمنزلة مضخة (طلمبة) ترفع ماء البحر فيُجعَل في حياض كبيرة لرش البلدان ويمكن استخدامهُ لنزح السفن في وقت الحاجة

وهذا الجهاز مؤلف من مِرجَل من الحديد قطرهُ نحو ٦٠ سنتيمترا يركَّب على ظهر سفينة أو على سطح من الخشب عائم على وجه الماء وعلى جانبيهِ مضختان متصلتان بهِ في اعلى كلٍ من مِضغطيهما مخلٌ يمتدُّ منهُ ساعدٌ افقيٌّ الى داخل المرجل فيرتبط باحد طرفي السطح الذي عليهِ الكرة وهي من حديد ثقلها نحو ٧٠ كيلغراماً وهذا السطح مركب على محورٍ يميل السطح فوقهُ الى كلٍّ من الجانبين . فاذا تحركت السفينة او البناء الخشبي القائم عليهِ هذا الجهاز انقلبت الكرة من احد جانبي المرجل



الى الجانب الآخر وبهذا الميل يغوص المضغط الذي بجانب الكرة ويرتفع الآخر فيرتفع الماء في المضخة ويمر في القناة التي بين القائمتين صاعداً في الحية المركبة في وسط القناة ثم عند ميل السفينة الى الجانب الآخر يهبط المضغط الثاني فيكون عنهُ كذلك وهلمَّ جرًّا

ثم ترى عند اعلى كلٍّ من المخلين مطرقةً قد نيطت بلولبٍ من

الحديد الى اعلى المرجل وقد برز من ناحية اسفلها هنةٌ ينتهي اليها رأس المخل فاذا انقلبت الكرة الى احد الجانبين ومال السطح الذي هي عليهِ جذب المخل الذي في تلك الجهة بواسطة الساعد الذي يربطهُ بالسطح وعند هبوط المخل من تحت المطرقة يجذبها اللولب بعنفٍ فتقع على الجرس وعند عود الكرة الى الجانب الآخر يرتفع المخل فيرفع المطرقة وتسقط اختها من الناحية الاخرى وهلمَّ جرًّا على التوالي

وقد اظهر الاختبار ان ادنى حركةٍ في الماء تكفي لان تحول الكرة من جانب الى جانب بحيث انهُ مهما كان البحر ساكناً لا تكون الضربات اقل من ١٨ ضربة في الدقيقة ويقدَّر انهُ عند الهيجان يزداد عدد الضربات على نسبة ٤٠ الى ١٠ ولا يخفى ما في هذا الاختراع من المنفعة ولا سيما اذا وُضع منهُ عدة اجهزة في الشواطئ التي يكثر فيها الضباب حيث لا تهتدي السفن الا بالصوت وهو الى الآن افضل اختراعٍ توصلوا اليهِ لهذا الغرض

حكمةٌ تلمودية

جآء في تقاليد التلمود ما تعريبهُ ان الاسكندر خرج يوماً من معسكرهِ وانطلق وحدهُ بقصد النزهة وابعد في البرّ فانتهى الى قفرٍ هامد لا ظل بهِ ولا نسيم ولا تُسمع فيهِ نامة انسان ولا حيوان . وفيما هو سائرٌ اذ اشرف على جدولٍ صافٍ يطرِّد ماؤهُ بين تلك السباسب المقفرة وقد اخضلَّ العشب على جانبيهِ وقلصت عن مياههِ اذيال الريح فتجلى وجهها كصفحة المرآة ترتسم فيها صورة الطلاقة والسكينة وكانها تناجيهِ بلسان حالها تشير

الى ما في تلك العُزلة من الدعة والسلام وتدعوهُ الى اغتنام حظٍ مما جادت به الطبيعة على ذويها . ولكن اين هذا من نفس الاسكندر الذي قد مُلئ صدرهُ بالمطامع وحب الفتوح واعتاد سمعهُ قعقعة الاسلحة وانين القتلى فلم يلوِ على شيءٍ من ذلك ولبث سائراً حتى بلغ منهُ الجهد والعطش فجلس على شاطئ الجدول وتناول قليلاً من مآئهِ فاذا هو باردٌ لذيذ الطعم واستنشى منهُ شذاً طيباً فقال لاشك ان هذا المآء يجري من بلدٍ اهلهُ في خيرٍ جزيل وعيشٍ واسع فلا بدّ لي من قصد هذا البلد . ثم نهض فتتبع مجرى النهر فاذا بهِ قد دُفع الى ابواب الفردوس وكانت الابواب مغلقةً فقرع يريد الدخول فاجابهُ مجيبٌ من الداخل انك لن تُقبَل ههنا فان هذا باب الربّ . فقال لكن انا الربّ ربّ الارض انا الاسكندر الفاتح . قال انّا لا نعرف هنا فاتحاً الا الذي يملك هواهُ ولايدخل هذا المكان سوى الابرار . فحاول الاسكندر ان يدخل عنوةً فلم يجد الى ذلك سبيلاً ولما لم يفلح لا بالتهديد ولا بالمواعيد عاد فكلم حارس الفردوس وقال لهُ تعلم اني ملكٌ عظيم تعنو لي الامم باسرها فان لم تأذن لي في الدخول فلا اقلّ من ان تعطيني ما يُشعِر لي باني قد اتيت هذا المكان الذي لم يبلغهُ احدٌ قبلي . فنبذ اليهِ شيئاً ملفوفاً وقال دونك هذا ولا تكشفهُ الا متى بلغت مخيَّمك فاذا نظرت اليهِ افادك حكمةً تربي على كل ما استفدتهُ من مدرّسيك الى اليوم . فتناول الاسكندر تلك العطية بشغفٍ عظيم وانقلب الى مضربهِ وما كاد يطمئنّ بهِ مجلسهُ حتى حلّ تلك اللفافة واخذ يتأمل ما فيها فاذا هو قطعة من عظم جمجمة . فاخذها بيدهِ وقال اهذه هي التحفة الفاخرة

التي تُهدَى الى الملوك والابطال وهذه ثمرة ذلك القراع الطويل والاقدام على العظائم وهاج به هائج الحنق فرمى بتلك القطعة بعيداً . فقال لهُ احد حكمائه لا يحتقرنَّ الملك هذه العطية مهما ظهرت مَهينةً في عينيه فانها قد انفردت بمزيةٍ يتحققها اذا وزنها بالذهب والفضة . فقال الملك وما عسى ان تكون هذه المزية ثم امر ان توزن كما قال فجيء بميزان ووُضعت قطعة الجمجمة في احدى كِفّتيه ووُضع في الاخرى ذهب فرجحت تلك القطعة على الذهب فزادوا مقدارهُ ولكنهُ ما زال خفيفاً بل كانوا كلما زادوهُ ازدادت كفّتهُ ارتفاعاً . فقال الاسكندر يا للعجب أمثل هذه القطعة الصغيرة من العظم ترجح على كل هذا المقدار من الذهب اذن فليس في الارض مادّةٌ توازنها . فقال الحكيم ولكن هناك مادةً بقليلٍ منها ترتفع ثم اخذ قبضةً من التراب وغطاها بها فارتفعت كفتها للحال . فصاح الاسكندر ان هذا لمن غريب الامور فهل لك ان تكشف لي عن سريرة هذا الامر . فقال الحكيم ايها الملك العظيم ان هذه القطعة من الجمجمة هي التي تكون فيها عين الانسان وهي مع صغر حجمها لا تنتهي في شهواتها الى حدّ وكلما زدتها ازدادت في الطلب فلا الذهب ولا الفضة ولا شيءٌ من كنوز الارض ونفائسها يقنعها ولكن متى نزلت القبر وغطاها التراب كان هناك حدّ مطامعها الواسعة

اسئلة واجوبتها

القاهرة — بينما كنت ابحث عن لفظة « عيسى » (عم) عثرت في معجم الجزويت المسمى باقرب الموارد على النص الآتي

« عيسى اسم عبراني او سرياني وقيل هو مقلوب يسوع . . ولعلهُ تحريف عيسو . . والنسبة اليهما عيسوي وموسوي » . فلم افهم كيف يكون عيسى مقلوب يسوع لان مقلوبهُ عوسي لا عيسى ثم ما الداعي الى قلبهِ ولمَ لم يقولوا فيهِ يسوع كما يقال اليوم . وقولهُ اخيرًا « والنسبة اليهما عيسوي وموسوي » مقتضاهُ ان الضمير من « اليهما » يرجع الى عيسى وموسى مع انهُ لم يذكر موسى من قبل فهل يجوز مثل هذا في الاستعمال　　　نقولا بدران

الجواب — اما لفظ « عيسى » فانهُ محرف عن « ايسوس » باليونانية كما ذكرنا تحقيقهُ في مجلد السنة الثانية من هذه المجلة (صفحة ٥٢٤) ودعوى من زعم انهُ مقلوب يسوع من ادلة الجهل باحكام اللغة لان القلب لا يقع في الالفاظ المنقولة عن الاعجمية . واغرب منهُ القول بانهُ محرف عن عيسو لان هذا الاسم بالعبرية يشوع مثل اسم يشوع بن نون بلا فرق وكلاهما مخفف من يهوشوع ولم يسمع ان احدًا سماهُ عيسو . واما قول المؤلف « والنسبة اليهما عيسوي الخ » فقد اشرنا من قبل الى ان هذا الكتاب ليس الا نسخةً محرفةً عن محيط المحيط للمرحوم المعلم بطرس البستاني الا ان الناقل افسد النقل هنا كما افسدهُ في كثير من الكتاب وعبارة محيط المحيط في هذا الموضع بعد ان ذكر الحكم في لفظة عيسى « وكذلك القول في موسى والنسبة اليهما عيسويٌّ وموسويٌّ » فحذف قولهُ « وكذلك القول في موسى » طلبًا للاختصار او تفننًا في الاستتار . . . . . . !

آثار ادبيّة

مجلة الطب الحديث — وردنا اعلان من حضرة رصيفنا الفاضل الدكتور عيد صاحب مجلة طبيب العائلة المشهورة يذكر فيهِ انهُ قد عزم على اصدار مجلة اخرى بالعنوان المذكور يتوخى بها منفعة الخاصّة من الاطباء

والصيادلة بنشر كل ما يحدث من الاكتشافات الطبية والفوائد العملية والمخترعات والاجهزة الجديدة والمركَّبات الدوائية الحديثة وغير ذلك من كل ما لا يسع الطبيب جهلهُ ولا يمكنهُ وقتهُ من الوقوف عليهِ في اماكنهِ

ويصحب هذا الاعلان بيانٌ تفصيلي لخطة المجلة نذكر منهُ دراسة الامراض الخاصة بالقطر المصري وسائر البلاد الحارّة والبحث في العقاقير المصرية واخبار المدارس الطبية في الشرق والاحصاءات الشهرية الى ابوابٍ أُخر عمومية يقتبسها عن المجلات الخاصة بهذا الفن وتقارير الجمعيات الطبية والمؤلفات الحديثة مما يستغرق جميع انواع الفائدة العلمية والعملية ويكون وُصلةً بين ارباب هذا العلم عندنا ومراكزهِ في اوربا واميركا . وسيصدر الجزء الاول من هذه المجلة في شهر يناير من سنة ١٩٠٢ مع المواظبة على اصدار طبيب العائلة نفعاً للجمهور

ولا ريب ان المجلة المشار اليها ستكون مصدر نورٍ جديد في البلاد في اهمّ المطالب الافرادية والاجتماعية الا وهي صحة الابدان التي يقوم عليها اعظم اركان السعادة والعمران وهي خدمةٌ مع كونها موجهةً الى الخاصّة من الاطباء والصيادلة فلا يخفى ان فائدتها ترجع الى جمهور اهل الوطن ويقتسمها القراء وغيرهم . فنحن نهدي الى حضرة الدكتور الفاضل اجلّ ثنائنا على ما يؤثر بهِ البلاد من ثمرات علمهِ وما وقف عليها من همتهِ واجتهادهِ ونسأل الله ان يأخذ بيدهِ في كل ما يأول الى المنفعة العامة ويجزيهُ على اهتمامهِ خير الجزاء

فكاهات

اشعة رنتجن [(١)]

كان اثنان من اعظم دهاة الشحنة السرية في انكلترا سائرين في بعض شوارعها يدعى الواحد دفراير والثاني هيد فقال الاول اراك هنا يا هيد بعد طول احتجابك عنا فهل من صيدٍ تبتغيهِ في شوارع لندن ام لديك حبائل تسعى في نصبها. قال هيد لا ذا ولا ذاك ولكني قضيت المهمة التي أُمرت بها منذ يومين وليس عليَّ الآن ما افعلهُ وقد سئمت حياة العطلة واني والحق يقال ما عدت التذّ بشيء في العالم الا كشف المخبآت وتتبع غوامض الامور التي يعجز عنها رجال الشحنة . فتبسم دفراير وقال انك تنطق بلسان حالي فانا ايضاً قد فرغت مما كان عليَّ وانا منذ امس في انتظار ان يدعوني المدير العام لامر مهمّ ولكنهُ قد ابطأ فضجرت . واذ قد القتنا التقادير معاً فهلمَّ بنا نأخذ لنا كأساً من الوسكي عند صديقنا دكسون فانني لم ارهُ منذ زمان طويل . قال هيد رأيك حسن ايها الصديق فان دكسون في اشد الحاجة الى اصدقاء مثلنا يعزونهُ عن فقد زوجتهِ وقد رأيتهُ مرارًا عديدة وهو الى الآن في اشد حالات الحزن . قال دفراير وهل ماتت زوجتهُ اللطيفة وكيف ومتى. قال هيد انها ولدت لهُ غلاماً منذ سنتين ثم اصابتها حمى النفاس فلم تنجع فيها الادوية و بعد ان لبثت بضعة ايام على فراش المرض فاجأها الموت تاركةً زوجها في حالة اليأس الشديد فكان يقضي نهارهُ في البكاء وليلهُ على ضريح زوجتهِ حتى اوشك ان يلحق بها لو لم يحط بهِ بعض اصحابهِ فافرغوا جهدهم في التخفيف من آلامهِ وتمكنوا اخيرًا من صرف افكارهِ عن التذكارات المحزنة الى معاودة الاشتغال بصناعتهِ التصوير فنجح مسعاهم وهو كما تعلم من الماهرين في هذه الصناعة ولا اشك

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

انهُ سيصير يوماً من اشهر مصوري بلادنا الحاليين . وانتهى الحديث بين الصديقين امام بيت دكسون المذكور فدخلاهُ و بلغا ردهةً رأيا فيها دكسون واقفاً امام صورةٍ كبيرة الحجم يشتغل باتمامها بمنتهى الدقة والانتباه وكانت تمثل الملكة ماري الاسكتلندية حين تلي عليها الحكم باعدامها . فوقف دفراير وهيد وقد دهشا بمنظر تلك الصورة وكانت اقرب الى الطبيعة من التمثال حتى تخيلا انهما واقفان امام الملكة المذكورة حقيقةً وقد اصغيا ليسمعا الكلام الذي سيخرج من بين شفتيها المفتوحتين لتوهمهما ان الصورة ليست الا شخصاً ناطقاً

وحانت من دكسون التفاتةٌ فرأى صديقيهِ على تلك الحالة فترك الصورة واسرع اليهما مصافحاً وكانا من اخلص اصدقائهِ واوفاهم عهداً ثم جلس الثلاثة معاً امام تلك الصورة البديعة واخذوا في الحديث وكان الصاحبان يعجبان بمنظر الصورة وما اظهر فيها من دقة الصناعة . فقال دكسون اني كنت كعادتي اقضي وقتي في تصوير المناظر الطبيعية من البقاع وما شاكلها وكنت اذا فرغت من عملي ألبث في غرفتي منتظراً عودة ولدي الوحيد ارثر مع مربيتهِ وهي في كل يوم تأخذهُ في الساعة الثالثة الى احدى الحدائق في مركبتهِ الصغيرة و يعودان الساعة السادسة فبينما كنت يوماً في انتظارهِ اذا بهِ قد دخل عليّ مهرولاً مسروراً و بيدهِ قطعةٌ من الحلوى فسألتهُ من اعطاهُ اياها فقال السيدة الحلوة . واذ ذاك دخلت الغرفة فتاةٌ في مقتبل الشباب لا اصف لكما شيئاً من جمالها فانكما ستشاهدانهِ عياناً . فتعجبت من دخولها الفجآئي ولكنني استقبلتها بما يجب فاعتذرت ثم قالت لي انها بينما كانت مارةً في الشارع رأت ارثر مع مربيتهِ فوقفت ضربات قلبها لانها رأت في الولد انعكاس صورة ابنها الوحيد فوقفت تتأملهُ واذا بهِ وابنها كفلقتي لوزةٍ لا يُفرَق الواحد عن الآخر شيئاً . فاستوقفت المربية وسألت عن الولد ثم سارت بصحبتهما واشترت لهُ شيئاً من الحلوى ودفعها حبها لهُ ان دخلت البيت بدون استئذان وهي ترغب ان تتودد الى ارثر وان تزورهُ من وقت الى آخر . وهكذا صرفت وقتي المخصص لأرثر معهُ ومع هذه السيدة وقد عرّفتني بنفسها انها مسس ارثولد

وفي صباح اليوم الثاني جاءتني مسس ارثولد وعرضت عليّ رأياً وقع لديّ موقعاً مستحسناً وهو انها طلبت مني ان اصوّر هذه الصورة التي تريانها امامكما وان تكون هي بشخصها القالب الذي انقل الرسم عنهُ وعرضت عليّ انها تشتري مني الصورة بالفي جناي تدفع نصفها مقدماً . وكانت حالتي المالية لا تسمح لي بالرفض فقبلت طلبها في الحال وجعلت من ذلك اليوم تزورني فتجلس امامي الساعة والساعتين وانا اشتغل بالرسم وكانت في ذهابها وايابها تصرف اوقاتاً مع ارثر حتى كلف بها وهو لا يطيب لهُ عيش الا اذا جاءت السيدة الحلوة كما يدعوها . فهذه الصورة وان تكن تشخص ملكة اسكتلندا فان حقيقتها مسس ارثولد وغداً ميعاد مجيئها في الساعة التاسعة صباحاً فاذا شئتما فتعاليا غداً وتحققا بنفسيكما المشابهة الكلية . قال دفراير ساجيء من غير بد فقد حببتَ اليّ مشاهدة هذه السيدة اللطيفة ولكن ماذا تنوي ان تفعل بالصورة . قال دكسون ان مسس ارثولد كما اخبرتكما عرضت ان تشتريها وقد دفعت نصف ثمنها سلفاً ولكنني بعد ان رأيت اتقان الصورة عزمت ان اعرضها اولاً في معرض الصور الذي سيفتتح عن قريب وقد استأذنتها في ذلك فلم تمانع وقالت لي ايضاً انني اذا تيسر لي بيعها بثمن اكثر فهي لا تعارض في ذلك وتسمح لي بالالف ليرة التي اخذتها سلفاً في مقابلة موافقتي لرغبتها

وبعد ان قضى دفراير وهيد زيارتهما ودّعا صديقهما دكسون على امل اللقآء صباح اليوم الثاني وسارا وكان دفراير مطرقاً بنظرهِ الى الارض كانهُ يفكر في امرٍ ذي بال فسألهُ هيد عن سبب تفكرهِ فقال عجباً الم ترَ في زيارتنا شيئاً غريباً يا هيد . قال كلا سوى رغبتك في العودة غداً لمشاهدة مسس ارثولد مع عهدي انك لست من الميالين الى النسآء . فتبسم دفراير وقال نعم انا لا اميل اليهنّ ولكني ميال الى استخراج الاسرار من مدافنها . قال هيد واي سرٍّ هناك . فاشعل دفراير لفافةً كانت بين اصابعهِ وبعد ان نفخ دخانها الكثيف من بين شفتيهِ قال مرّت علينا في هذه الزيارة عدة امارات تدل على وجود سرٍّ خفي وان اصاب ظني فلا يعتم هذا السر ان يتضح ووراءهُ حقيقةٌ اخشى جدّاً ان ابوح بها ضناً مني براحة صديقنا

دكسون ولكن ما لنا وللمستقبل وعسى ان يكذب ما تبادر الى فكري . اما الذي اوجب اهتمامي فهو اولاً اني عجبت من تعلق مسس ارثولد بطفلٍ غريب لمجرد كونهِ يشبه ابنها . ثانياً انهُ لا بد لتعلقها هذا من سببٍ مهمّ دفعها الى الدخول على دكسون في بيتهِ بدون استئذان . ثالثاً استغرابي ان تتعلق سيدةٌ بابن غيرها لانهُ يشبه ابنها ولا تتعلق بنفس ابنها وهو موجود عندها في كل حين . رابعاً موالاة زياراتها وهداياها لارثر واختراعها امر الصورة ودفعها مبلغاً من المال وما ذلك الا لتطيل ترددها وتعلق نفس الولد بها . خامساً انها اوصت بعمل الصورة وعينت ثمنها الفي ليرة دفعت نصفها مقدماً وهي مع ذلك حين عرض عليها دكسون فكرهُ في ارسال الصورة الى المعرض لم تمانع بل شجعتهُ وسمحت لهُ ان يحج بما دفعت من جيبها سابقاً مما يدل ان غرضها لم يكن الصورة حقيقةً بل انها جعلت الصورة سبباً للتقرب من البيت وزيادة الارتباط بالولد . سادساً . . . . . . فاستوقفهُ هيد عن تتمة الكلام وقال لله درّك يا دفراير كفى كفى قد اشرقت على غباوتي شمس افكارك فادركت بعض ظنونك واراك مثل عادتك مصيباً فالى الغد اذاً . ثم افترق الصديقان فذهب دفراير الى بيتهِ وهو يفكر فيما رأى وسمع وعاد هيد الى مقرّهِ يعجب من سموّ مدارك رفيقهِ وبعد مرمى نظرهِ

وفي اليوم الثاني ذهب دفراير وهيد الى صديقهما دكسون في الاجل المضروب وكانت مسس ارثولد جالسة امام دكسون وهو يأخذ الاصلاحات الاخيرة عنها في صورتهِ فانتظرا ريثما انتهت الجلسة فتقدم دكسون وعرَّف صديقيهِ بالسيدة فحيتهما باحترام وبينما هما يطرئان الصورة ويطنبان في مدح السيدة اذا بالطفل أرثر قد دخل راكضاً وهو يصيح اين السيدة الحلوة ثم القى بنفسهِ على ذراعي مسس ارثولد فضمتهُ هذه الى صدرها وجعلت تقبلهُ ثم اخرجت لهُ من جيبها كعكاً والعاباً احضرتها لهُ في طريقها . وعاد دكسون لتفقد بعض اصلاحاتٍ في الصورة وبقي الثلاثة يتحادثون فقالت السيدة لدفراير اني احبّ أرثر جدّاً لانهُ يشبه ابني ولكي تحققا قولي انظرا . ثم رفعت من عنقها سلسلةً ذهبية معلقاً بها صورة صغيرة في حرز

من الفضة فقالت هذه صورة ابني فهل تجدان فيها فرقاً عن ارثر . وكان اول من اخذ الصورة هيد فتفرس فيها ملياً ثم دفعها الى دفراير فاخذها وتأملها ثم سأل مسس ارثولد هل ولدها حيّ . ولما قال ذلك حدّق اليها ببصرهِ فقالت نعم هو حيّ ولما رأت نظرهُ الحاد الموجه اليها علتها صفرة فجآئية ثم صبغ وجهها الاحمرار وشعرت كانها ارتكبت ذنباً تعاقب عليهِ وللحال اخذت الصورة فردتها الى مكانها ثم تركت ارثر يركض واخذت تتبعهُ فغيرت مجرى الحديث . وكان دكسون قد عاد اليهم فدعاهم لتناول بعض المشروبات فاعتذرت السيدة وانصرفت وبقي الثلاثة معاً يتجاذبون اطراف الحديث ثم قام الصديقان وانصرفا . وبينما هما ذاهبان قال دفراير لرفيقهِ ارى وا اسفاه ان ظني يتحقق شيئاً فشيئاً فلا بد من نفوذ القضآء ولكن يجب علينا الانتباه علنا نتمكن من خلاص صديقنا دكسون قبل ان يمسّ بضرر

ومضت بضعة ايام لم يحدث فيها ما يستحق الذكر الى ان فُتح معرض الصور وتقاطرت اليهِ الافواج المختلفة من المصورين والزائرين وكان دفراير وهيد قد عقدا النية على زيارة المعرض فدخلاهُ كلٌّ من باب . وكانت الصورة التي عملها دكسون قد فاقت جميع ما عُرض من جنسها فوضعتها ادارة المعرض في صدر الردهة وبالقرب منها اسم دكسون والجائزة الاولى التي حكم لهُ بها . وكانت جماهير الزوار محتشدة امامٍ تلك الصورة يعجبون من اتقان صنعها ويمدحون صانعها . وحانت من هيد التفاتة فرأى مسس ارثولد الى جانب تتكلم مع سيدةٍ اخرى مرتدية بوشاح اسود عرفها للحال انها مدام كولتشي الشهيرة . فاقترب شيئاً فشيئاً الى ان مرَّ بحذآئهما بدون ان ترياهُ وبلغت اذنيهِ كلماتهما فسمع مسس ارثولد تقول قد قرب موعد رجوع زوجي ولم يعد في امكاني التأخير البتة فموعدنا غداً او بعد غدٍ . فاجابتها مدام كولتشي قد حذرتكِ يا عزيزتي من التأخير فاياكِ ان تؤجلي الامر بعد . قالت مسس ارثولد قد صممت النية الآن ولكن هل جهزتِ كل شيء وهل الخادمة على استعداد . قالت نعم فلا يكن لكِ . . . . . وكانتا قد ابتعدتا عن هيد فلم يسمع تتمة حديثهما . وما صدّق ان اجتمع برفيقهِ دفراير حتى اعاد على سمعهِ ما سمعهُ حرفاً

حرفاً فقطب دفراير حاجبيهِ وقال قد اقترب الخطر ولكن لا اعلم ما هو فعلينا ان نكون متيقظين

وكانت مدام كولتشي المذكورة مشهورة بالطبيبة لانها اتخذت الطب حرفةً لها تستر وراءها دهاءها ومكرها وافعالها السوداء وكانت شحنة انكلترا قد قررت اكثر من ثلاثين واقعة قتل وسرقة من افظع ما رواهُ الراوون ووجدوا ان لمدام كولتشي اكبر يد في العمل غير انها كانت تتخلص من تبعة تلك الوقائع بمهارة غريبة واعمال تفوق الادراك . فاشتهرت بين رجال الشحنة وجعل ادهاهم جل اهتمامهِ الكشف عن قناع هذا الشيطان المتجسد فلم يشقوا لها غباراً . ولما بلغ دفراير ان لمدام كولتشي دخلاً في اعمال مسس ارثولد ايقن ان للامر عواقب فظيعة وصمم ان يقبض على هذه اللعينة فلا يدعها تنجو من يدهِ هذه المرة . ثم القى دفراير الى رفيقهِ بعض التعليمات وسار الى قضاء حاجاتهِ وهو لا يصدق ان ينقضي ذانك اليومان

وتصرَّم ذلك اليوم وليلتهُ ودفراير كانهُ على جمر نار ولما اصبح اخذ يشاغل نفسهُ الى قرب الساعة السادسة ثم توجه الى بيت دكسون واذا هيد امام بابهِ فدخلا معاً واستقبلهما دكسون بكل ترحاب وجلس الثلاثة يتحادثون. ثم قال دفراير لدكسون لقد احببت ابنك يا صديقي فاين هو الآن فاني لم ارهُ. فنظر دكسون في ساعتهِ ثم قال عجباً قد حان ميعاد رجوعهِ مع مربيتهِ ولم يعد فما الذي اخرهُ يا ترى . ثم قرع جرساً فجاءهُ الخادم فسألهُ عن أرثر فقال لم يعد بعد يا مولاي . قال قل لمربيتهِ حال رجوعهما انني بانتظارهِ وقد قلت لها غير مرة انني لا اريد ان تغيب بهِ الى اكثر من الساعة السادسة . وعاود الثلاثة الحديث فمضت ساعة اخرى ولم يأتِ الولد فقلق دكسون قلقاً شديداً وظهرت علائم الاضطراب على وجههِ فلحظ دفراير ذلك واشار الى هيد ان قد قضي الامر . فوقف دكسون وقال اعذراني ايها الصديقان فقد شغل بالي غياب الولد الى هذه الساعة . قال دفراير اننا نسير برفقتك ايها الصديق وما بلغ الثلاثة الباب حتى دخلت المربية راكضة ودموعها تتساقط على وجهها ثم سقطت امام اقدام دكسون وصاحت انا المذنبة يا مولاي فاقتلني لاني

استحق الموت . وكأن دكسون حلت عليهِ قوة غريبة جددت شجاعتهُ فانهضها بيدٍ حديدية وقال لا فائدة من ارتعاشكِ يا هذه فقصي عليَّ الامر . قالت اخذت ارثر كعادتي الى الحديقة فجلست على مقعد هناك وكان ارثر يلعب ويركض امامي ثم جعل يختبئ بين الشجر وانا اكشف مخبأهُ فيسرّ سروراً عظيماً . واخيراً ركض امامي الى ما وراء السياج فاسرعت لالحق بهِ فسمعتهُ يصيح ها هي السيدة الحلوة ها هي السيدة الحلوة فظننتهُ يعني مسس ارثولد . وفي تلك الدقيقة ظهر امامي فتىً كنت رأيتهُ مرة من قبل فجعل يكلمني بلطف ويظهر لي محبتهُ ولكنني لم اكلمهُ اكثر من خمس دقائق ثم تركتهُ وسعيت وراء ارثر فلم اقف لهُ على اثر وجلت في الحديقة مراراً وانا اناديهِ ولكن لا سامع ولا مجيب . فطار رشدي واسرعت الى بيت مسس ارثولد لعلها تكون رأتهُ واخذتهُ معها فقيل لي انها ليست هناك وانها سافرت من امس الى اسكتلندا فرجعت الى هنا وانا اعترف بخطآئي انني اغفلت حراستهُ فانا استحق الموت يا مولاي فاقتلني . وكانت الفتاة تتكلم بحزن عميق والتنهدات الحارة تخنق صوتها فسعى هيد في التخفيف عنها ونقلها الى غرفتها وبقي دفراير مع دكسون يسليهِ ويؤسيهِ ويعدهُ انهُ يتكفل برد ابنهِ اليهِ . اما دكسون فبعد ان سمع حديث الفتاة طفحت عيناهُ بالدموع وصاح بصوتٍ يقطعهُ اليأس أوَّه ما اشقاني وما اتعس حياتي فكلما تعلقت بشخص اراهُ يختطف من امام عينيّ فعلامَ ابقى انا ولِمَ لا اموت . واجتهد دفراير في تسكينهِ فنقلهُ الى فراشهِ واوصى بعض الخدم ان يعتنوا بامرهِ ثم اشار الى هيد ان يتبعهُ وخرجا وما زالا سائرين الى ان بلغا دار الشحنة فقصا شيئاً من الامر وعادا الى الحديقة فصرفا ليلتهما يبحثان على غير جدوى واشرقت الشمس وهما لا يهتديان الى شيءٍ مما بحثا عنهُ

وبعد ما صرفا اليوم الاول والثاني في البحث والتنقيب جلسا يأتمران فيما ينبغي صنعهُ ولما اصبحا ركبا قطاراً اقلهما الى اسكتلندا الى حيث تقطن مسس ارثولد . ولما تحقق دفراير وجودها في البيت استأذن في الدخول عليها فاذنت لهُ فدخل فوجدها جالسة على كرسي تقرأ وقد ظهر على وجهها بعض القلق . وبعد التحية قال لها اني

بكل اسف اخبركِ ان ارثر ابن صديقنا دكسون قد اختطف منذ ثلثة ايام ولم يجدِ البحث عنهُ شيئًا . اما والدهُ فعلى شفير الدمار فهو ان لم يمت من اليأس فلا بدّ ان يفقد عقلهُ وقد جئت اسألكِ لعلكِ تعلمين شيئًا عن اختطاف الولد فاتوسل اليكِ ان تخبريني بكل صراحة . وكانت مسس ارثولد تسمع بارتعاش عظيم وتأثر فائق فاظهرت حزنها الشديد لما حل بدكسون وقالت لهُ اني اعجب من سوءالك لي عن هذا الحادث وانت تعلم جيدًا اني سافرت من لندن قبل فقد الولد بيوم ومن ذلك الحين لم اسمع شيئًا عن دكسون الا الآن . فكاد دفراير يغير ظنهُ ولكنهُ تجلد فقال لها ذكرتِ مرةً ان ابنكِ يشبه ارثر فهل تأذنين لي في رؤيتهِ لعلّ ذلك يساعدنا في الاهتدآء الى الولد المفقود . قالت لا مانع من ذلك ثم نادت الخادمة وسألتها ان تبعث اليها بالولد واذا بهِ داخل يطفر فرحًا وصاح قائلاً ايتها السيدة الحلوة ماذا تريدين مني . ولما سمع دفراير هذه الكلمات حدق ببصرهِ الى السيدة فرآها قد تغير لونها . ثم فحص بنظرهِ الولد فتحقق ظنهُ وللحال اقترب من مسس ارثولد وقال لها هل انتِ مسيحية . قالت نعم . قال وهل يوجد عندكِ الكتاب المقدس. قالت نعم وها هو . قال ان كان ما تدّعينهُ حقيقةً واذا شئتِ ان تريحي افكاري وتشفقي على حياة صديقنا دكسون فاقسمي لي على هذا الكتاب المقدس انكِ لا تعلمين شيئًا عن اختطاف أرثر وان هذا الولد الذي نراهُ الآن هو ابنكِ حقيقةً . فتوقفت السيدة هنيهةً ثم اقدمت بثبات فوضعت يدها على الكتاب واعادت كلمات دفراير بتمام السكينة والرزانة . فذهل دفراير وشعر انهُ يكاد يخفق في مسعـاهُ ثم قال لها بقي عليّ طلبٌ وحيد اطلبهُ منكِ وارغب اليكِ تحت اية حالة كانت ان تقضيهِ لي . قالت وما هو . قال ان تأتي والولد بصحبتي الى لندن فنزور جميعنا دكسون وفي ذلك الملتقى يكون امتحاني الاخير فاذا كان الولد هو ارثر لا يتأخر عن الهجوم على والدهِ واذا كان كما تدعين ابنكِ فلا يقرب منهُ لانهُ لم يرهُ قط .. واني استحلفكِ بحيـاتهِ ان تنيليني طلبي والا اعتقدت حتمًا ان قسمكِ غير صحيح وسعيت في الامر من وجههِ الرسمي . فظهرت على وجه السيدة علامات

الكمد الشديد ثم سُرّي عنها وقالت اني وما تحب ولكن ليس في استطاعتي السفر في هذا النهار فلنؤخرهُ الى الغد . فاجابها الى ذلك وخرج الى رفيقهِ هيد فقال لهُ ان ما حدث داخلاً يكاد يقطع آمالي غير اني اشعر في قلبي اني قريبٌ جداً الى كشف الحقيقة . ولبث الاثنان يتناوبان حراسة البيت ولما انبثق الفجر دخل دفراير فوجد مسس ارثولد والولد بانتظارهِ فنقلهما الى محطة القطار وكان هيد بانتظارهم فساروا صامتين وكلٌّ يناجي افكارهُ

ولما وصلوا الى لندن ركبوا عربةً واشار دفراير الى السائق فجعل ينهب الارض بجيادهِ حتى بلغ بيت دكسون. وكانت عينا دفراير لا تفارقان مسس ارثولد فقرأ في وجهها ما ثار في صدرها من زوابع القلق والخوف فقال لها يقتضي طلبي ان يدخل ولدكِ هذا وحدهُ الى غرفة دكسون . قالت لا بأس فافعل ما تشاء . ولما بلغوا البيت قابلهم الخدم بالبكاء والعويل فسأل دفراير عن الخبر فقيل لهُ ان دكسون قد ساءت احوالهُ جدًّا وان الطبيب لم يفارق غرفتهُ منذ امس وقد قطع الامل من شفائهِ . ثم ظهر الطبيب ولوائح الغم تلوح على وجههِ فقال قد قضي الامر ولا مردّ لحكم الله وقد تركت دكسون في حالة النزع الاخير وانا اجهل تمام الجهل مرضهُ هذا فهو لا يشكو المًا ولكنهُ قد فقد الكلام من امس واصبح لا يأكل ولا يشرب وغاية ما فيهِ من دلائل الحياة لونٌ احمر صافٍ قد صبغ بشرتهُ منذ ابتداء سكوتهِ ولا يزال هذا اللون يشتدّ حتى اصبح الآن مائلاً الى السواد فهذا المرض مما لم يسبق لي عهد بمثلهِ وشفاؤهُ لا تقوى عليهِ الوسائط المعروفة الى الآن

وكان الجميع يصغون وكان على رؤوسهم الطير وعلى الخصوص مسس ارثولد فصاحت اوه ما اتعس حظي اني أُقدِم على كل شيء ولكنني لا اسمح بموت الرجل ثم ركضت امام الجميع الى غرفة المائت وتبعها الباقون بقلوب يقطعها الحزن . فلما وقع نظرها على وجه دكسون لم تكد تعرفهُ من تغير لونهِ وكذلك الولد فانهُ رعبهُ المنظر وعاد باكيًا . فاومأت مسس ارثولد الى دفراير ان يتبعها وخرجت معهُ الى غرفةٍ ثانية ثم اقفلت الباب وقالت لهُ اني استطيع كل شيء واحتمل كل شيء واما

ان اكون قاتلة فلا . فاسمع حديثي ومهما استطعت ان تفعل لانقاذ دكسون فافعلهُ حالاً وانا اكافئك . اعلم انني من اسرةٍ ضربها الله بمرضٍ لم يكشف احدٌ علاجهُ بعد يصيب الذكور منا فمن ولد ابنةً عاشت سليمةً ومن ولد ذكرًا يعيش قليلاً على تمام الصحة ثم تفاجئهُ آلامٌ لا تفارقهُ الا بالموت وقد مات من اسرتنا لا اقل من عشرين ولدًا بهذه الكيفية . ومنذ ثلاث سنوات خطبني رجل من مشاهير الاغنياء يدعى المستر ارثولد لم يكن يعرف شيئاً عن اسرتنا بسبب تغيبهِ في استراليا ولما قرب وقت زفافي قابلني طبيب اسرتنا وذكرني بالبلية المحيقة بنا وقال لي عليكِ ان ترفضي هذا الزواج ولا تخوني زوجكِ بان تكتمي عنهُ هذا الامر اذ ما هو غرض الانسان من الزواج ان لم يكن لاحياء اسمهِ من بعدهِ وابقاء وارثٍ لهُ يستولي على اموالهِ . فأثرت فيَّ كلمات الطبيب تأثيرًا وقتياً لم يلبث ان زال بعد حين فاقترنت بالمستر ارثولد وهو لا يعلم شيئاً من امري . ولكنني بعد زواجي وجدت لسوء حظي ان زوجي بغيتهُ الحصول على وارث من صلبهِ يراهُ قبل وفاتهِ وانهُ لم يقترن بي عن حبٍّ بل لما رآهُ فيَّ من دلائل الصحة وقوة الجسم فأمل ان يرزق مني ولدًا صحيح الجسم قوي البنية . وفي نهاية السنة الاولى وضعت ولدًا ذكرًا ففرح بهِ زوجي فرحاً شديدًا وكان لهُ معبودًا ثم دعتهُ اشغالهُ للسفر الى استراليا فسافر تاركاً لي كل اسباب الراحة والرفاهية وكل ما يمكن من الوسائط والوصايا للاحتفاظ على الولد . ولكنهُ وا اسفاه ما ادرك سنتهُ الثانية حتى فاجأهُ المرض المذكور فقضى اياماً على ذراعي في اشد الاوجاع ثم اسلم الروح . فلم ادرِ ماذا افعل او كيف اقابل زوجي ولا سيما اذا علم ما كتمت عنهُ فلبثت حائرة في امري الى ان سمعت شيئاً عن مادام كولتشي وحسن آرائها فقصدتها واطلعتها على امري فوعدتني بمساعدتها . وحدث يوماً ان رأيت أرثر بن دكسون فدهشت لمشابهتهِ الشديدة لابني واخبرت مادام كولتشي فارتأت ان اتعرف بوالدهِ واستميل الولد وان نختطفهُ اخيرًا فيقوم مقام ولدي لانهُ لا امل لي في حياة ذكورٍ من نسلي . فاتفقنا على ذلك ولما اعددنا كل شيء اشعت اني سافرت الى اسكتلندا و بقيت الى اليوم الثاني فاختفيت بين اشجار الحديقة حتى

رأيت الولد فناديتهُ اليّ وكان فتىً من جهتنا يشاغل المربية حتى ابتعدنا عنها فاختطفنا ارثر وجئنا بهِ الى اسكتلندا حيث طفقت اعلمهُ ان يدعوني ماما ولكنهُ لم يألف ذلك بعد وقد لاحظتَ ولا بد دعوتهُ لي بالسيدة الحلوة حين دخولك الى بيتي . ولما طلبتَ مني ان اعيد ذلك القسم الرهيب استوقفني ضميري هنيهةً ولكني تصورت خطرًا اعظم يتهدد حياتي حين يأتي زوجي ويعلم بالامر فتجلدت واقسمت ثم سألتني ان ارافقك والغلام الى ابيهِ دكسون فامهلتك الى الغد واخبرت مادام كولتشي بالبرق عما حصل وما تطلب فاجابتني ان احضر بدون خوف وانها تستعمل الوسائط اللازمة كي لا يتمكن ارثر من معرفة ابيهِ وعلى هذا الامل جئت . وكنت اظن ان الامر يقتصر على بعض الامور البسيطة واني بما فعلت اشتري لنفسي السعادة ولا اكلف دكسون سوى حسرة قصيرة الوقت تزول بعد حين ولكن ساء فألي وارى ان هذه المرأة جهنمية يهون عليها قتل الرجل ولا ضمير يعاقبها او يؤنبها وقد لاحظت ان جميع خدم دكسون الذين يعرفون ارثر ليسوا في البيت فلا شك انها فرّقتهم بدهائها المشهور . فهاك قصتي واعلم انني شقية باقدامي على مثل هذا الاثم ولكني حاشا لله ان ارضى بان تكون نهاية عملي قتل رجل لم يذنب اليّ واميتهُ مكسور القلب فاستحلفك بالله ان تنسى ما مضى وان تسعى في انقاذ دكسون واعلم اني اقتل نفسي بيدي ان لم تفعل

وكان دفراير معتادًا سماع اغرب من هذه الحادثة فترك السيدة وخرج حالاً الى غرفة دكسون فرأى لونهُ يزداد احمرارًا وقد ظهر على وجههِ وصدرهِ بقعٌ سوداء اللون وثقل تنفسهُ وغارت عيناهُ فوقف حينًا ثم استدعى هيد وقال اتنظر هذه البقع السوداء وهل تعلم سببها . قال هيد لا اعلم لها سببًا البتة غير اني رأيت مثلها يومًا في شخص طال تعرضهُ لاشعة رنتجن . قال دفراير نعم وهذا تأثير ذلك ولكن من اين اتصلت الاشعة بهذا الرجل هذا ما يجب علينا معرفتهُ فهلمَّ بنا فورًا . ولما قال ذلك اقتاد هيد بيدهِ وجعل يدور في الغرف الملاصقة لغرفة دكسون فلم يرَ فيها شيئًا ثم وصل الى غرفة مقفلة قيل لهُ عنها انها تختص بالبيت المجاور . وكأن نورًا جديدًا

اشرق على بصيرتهِ فوثب الى البيت الثاني وسأل عن ساكنيهِ فقيل لهُ ان طيبة تدعى مادام كولتشي قد استأجرتهُ من مدةٍ قصيرة وقلما تتردد اليهِ . فلم يكن الا كلمح البصر حتى دخل يصحبهُ هيد الى الغرفة الملاصقة لسرير دكسون فرأى فيها آلة كهربائية عظيمة القوة جدًّا تبعث باشعتها المعروفة باشعة رنتجن من وراء الحائط الى جسم ذلك المسكين وللحال اسرع فقطع المجرى الكهربائي ثم خرج بعد ان استدعى شحنةً لحراسة المنزل . وابلغ دفراير الطبيب السبب فاستعمل هذا الوسائل الفعالة في مثل تلك الحال فاخذ لون دكسون يصفو شيئًا فشيئًا وعاودهُ تنفسهُ ولم يزل في تحسن الى ان عاد الى تمام صحتهِ ونشاطهِ ورأى ولدهُ ارثر بجانبهِ فطابت نفسهُ وقام كانهُ لم يُصَب بسوءٍ البتة

وورد على دفراير رسالة برقية قرأها فاذا هي من مادام كولتشي تقول فيها . « لا تحدثك نفسك بالقاء القبض عليَّ فان الرجل الذي سيفوز على مادام كولتشي لم يولد بعد . ستصلك رسالتي هذه وانا في عرض البحر على طريقي الى اميركا وربما لا تسمع عني شيئًا بعد الآن فاستودعك الى الملتقى »

اما مسس ارثولد فكانت قد خرجت خفيةً من بيت دكسون ولم يعلم بها احد الى اليوم الثاني حين وردت منها رسالة الى دفراير تقول فيها . « اشكرك ما حييت . سيصلك كتابي هذا غدًا اما انا فسأسافر الليلة هذه الى حيث لا يعلم بي احد ولن يدرك احدٌ مقرّي فأقضي بقية حياتي في التكفير عن ذنوبي الكثيرة . قابل زوجي وهو مع الباخرة القادمة من استراليا واعلمهُ بتفاصيل حياتي كما قصصتها عليك واطلب لي منهُ الصفح والغفران وقل لهُ انني امام الله والناس احرّرهُ من الارتباط بي واتمنى لهُ زواجًا سعيدًا يعوض عليهِ ما خسرهُ بواسطتي . اني اثق بكرمك وشهامة نفسك ان تحصل لي على مغفرتهِ الحقيقية فاني بدونها لن اجد راحةً في قبري »

الحُسبة

هي بالضم مصدر الأحسَب وهو على ما فسرهُ صاحب لسان العرب الذي ابيضّت جلدتهُ من داءٍ ففسدت شَعَرتهُ فصار احمر وابيض . قال وقال الازهري عن الليث هو الابرص وفي الصحاح هو الذي في شعر رأسهِ شُقرة .. وقال شَمِر هو الذي لا لون لهُ الذي يقال فيهِ أَحسَبُ كذا وأَحسَبُ كذا ... انتهى تحصيلاً وفي كل ذلك اضطرابٌ لا يخفى . والاظهر ان التفسير الصحيح هو الاول وان كان لا يخلو من ابهام لان قولهُ فصار احمر وابيض لا يظهر المراد منهُ على وجهٍ جلي . ومهما يكن فمرادنا بهِ هنا الذي ابيضّ جلدهُ وشعرهُ لآفةٍ تعرض للمادّة الملوّنة فتقلّ من جسمهِ او تُفقَد بتمامها

والحُسبة على انواع فمنها ما يعمّ الجسد كلهُ فيتغير اللون بجملتهِ ومنها ما يخصّ مواضع منهُ دون مواضع فيكون بُقَعاً متفرقة او متصلة وفي كلتا الحالتين قد يكون البياض خالصاً وقد يكون الى السُمرة وكل ذلك تبعاً للمقدار الذي ينقص من المادّة الملوّنة . وهي لا تختصّ بجيلٍ من الناس بعينهِ خلافاً لما اشتهر زماناً وتحدث في جميع الاقاليم الا ان اكثر حدوثها في البلاد الافريقية بين الزنوج وتقلّ في اصحاب اللون النحاسيّ والاسمر وكلما كان الجيل اقرب الى البياض كان حدوثها فيهِ اقلّ . وهي قد تعرض لبعض انواع الحيوان واكثر ما تُرَى في الفئران والافيال والاراويّ والكلاب والارانب وربما حدثت في الطير كالشحارير والغربان والحمام وغيرها

وقد قدّمنا ان سببها نقص المادة الملونة من الجسم وهي مادّة سمراء تسودّ اذا كثرت وتكاثفت ومنها يستفيد كلٌّ من الجلد والشعر والعينين اللون الخاصّ بهِ . وهي قد تُفقَد بعضها او كلها فاذا فُقدت بجملتها ولا يكون ذلك الا في الاحسب فُقد اللون من الجسم عامةً فيكون الجلد امهق اي بلون الجصّ او بلون اللبن ويستحيل لون قُزَحية العين والبؤبؤ الى حمرةٍ وردية ويكون الشعر مع بياضهِ شفّافاً وبهذا يُفرَق عن لون المشيب . على ان فقد المادّة الملوّنة من الجلد لا اذى فيهِ ولكن فقدها من العينين يؤدّي الى اشتداد النور على العصب البصريّ الى حدٍّ لا يطيق احتمالهُ لان المادّة الملوّنة تمتصّ جانباً من النور عند نفوذهِ الى باطن العين ولذلك يحاول الاحسب تقليل مقدار النور الواصل اليهِ فيتخازر ويكثر من الطرف بعينيهِ ولا يستطيع ان يفتحهما الا في النور الضعيف

ثم ان شعر الاحسب اذا لم يبلغ حدّ البياض تلوّن بلونٍ يضرب الى الشقرة وحينئذٍ تتلون القُزَحية ايضاً فيكون لونها ازرق صافياً ومتى كان بهذه المنزلة فقد لا يُتنبَّه لهُ اذا وُجد بين البيض . وقد ذكر الدكتور كُورّ انهُ رأى في مدغسكر توأمين يبلغان من العمر نحواً من ثلاثين سنة وكان جلدهما تامّ البياض مورَّداً في الوجه والعنق بحيث كانا يماثلان اجيال الاقاليم الشمالية تمام المماثلة . وكانت شعورهما شقراء تبنية والقُزَحية زرقاء الى الخضرة الا انها ذات لونٍ كَمِدٍ وما يحيط منها بالبؤبؤ يضرب الى السمرة واما البؤبؤ فكان تامّ السوادٍ وكان بصرهما حادًّا الا في النور الشديد غير انهما لم يكونا بعيدين كثيراً عن احتمال ضوء الشمس . وذكر غيرهُ انهُ رأى في كلدونيا

الجديدة احسب مولوداً من زنجيَّين تامَّي السواد وكان جلده ُ ابيض كالحاً قد توزعت فيه ِ نُقَطٌ سمراء مُشرَبةٌ صفرةً هي مجاميع من المادَّة الملوَّنة وشعرهُ في لون الكتان الاشقر وهو في شكل خُصَل من السحيل ادقّ من شعر سائر الناس وقزحيّة العين ذات زُرقةٍ جميلة مبطنة بسواد فكان يبصر بصراً صحيحاً لا يغلبهُ ضوء الشمس . قال ولا جرم ان مثل هذا لو وُلِد من أُسرةٍ بيضاء لم يُعَدّ احسب ولو كان جلدهُ منقطاً بالسواد لان هذا قد يحدث في البيض ولكنهُ مع ذلك احسب بلا ريب لانهُ مولودٌ من اسودَين

والاحسب يكون في الغالب ضاوياً نحيف البنية وفي زعم بعض المتقدمين انهُ لا يكون الا احمق ولعلّ من هذا قول امرئ القيس

ايا هندُ لا تنكحي بُوهةً　　　عليهِ عقيقتهُ أَحسَبا

وفسروا الاحسب في هذا البيت بالذي في شعر رأسهِ شُقرةٌ والاشبه ان المراد بهِ المذكور هنا ويريد بالبوهة الرجل الاحمق كما فسّرهُ صاحب لسان العرب في باب الهاء عن ابي عمرو ولكن الذي عُلم بالاختبار ان هذا الاعتقاد غير صحيح

والحُسبة من الآفات التي تنتقل بالإرث على انها قد لا تظهر الا في اوان المراهقة او ما بعدها وقد يكون ظهورها تدريجياً وقد يكون دُفعيّاً . ومن المراقبات في ذلك ما ذكرهُ غليوم بِيرْد من انهُ رأى في ڤرجينيا سنة ١٦٩٧ غلاماً احسب في سن الحادية عشرة وكانت قد شرعت اعراضها تظهر فيهِ منذ السنة الثالثة . وذكر غيرهُ انهُ رأى سنة ١٧٥٨ امرأةً في سن الاربعين ابتدأ لونها يزول من سن الخامسة والعشرين وحين رآها كان

اكثر بدنها قد صار ابيض صافياً وكان جلدها شفافاً يُرَى وراءهُ تشعب العروق كما يُرَى في ابضّ النسآء الاوربيات

ومن الغريب ان اطباء العرب لم يذكروا هذه الآفة بين الآفات الجلدية مع ورود شيءٍ في اللغة يشير الى انها كانت معروفةً عند العرب كما يستفاد من النصوص المتقدمة . بيد انها على كل حال من الآفات التي لا شفاء لها كما صرّح بذلك الاطباء المحدثون فهي في ذلك كالشيب والصَلَع وما اشبههما من العوارض الناشئة عن استحالةٍ في البنية والله اعلم

المرأة

بقلم حضرة الكاتب نجيب افندي ماضي

(تابع لما في الجزء السابق)

وقد اسلفنا ان الفتاة عند متقدمي اليونان والرومان لم يكن لها حقّ في اختيار الزوج بل كان ذلك من حقوق الوالدين والاوصياء فلما انتشر الدين المسيحي أُطلق لها حق انتخاب الزوج بشرط موافقة الوالدين او الاوصياء وصارت قادرة ان تشارك زوجها في تربية اولادها وتنفرد في شؤونها البيتية معتبرةً كعضدٍ للرجل في الحياة الدنيا . وهي على ذلك الى اليوم في جميع الممالك المتمدنة فلا تزال تحت عناية والديها حتى تبلغ الثامنة عشرة او العشرين من العمر وبعد ذلك تُطلَق لها الحرية التامة كالرجل فتختار الزوج الذي تريدهُ لا ينازعها هذا الحقّ احد وبعد زواجها تُعتبَر رئيسة بيتها لها مطلق التصرف في تدبير منزلها وتربية بنيها وتدخل المجتمعات الادبية

والسياسية وتتعاطى العمل الذي تختارهُ ويكون لها ما لأخيها من حقوق الميراث والتصرف فيهِ على ما تشآء الهمّ اذا كانت سليمة العقل كاملة الادراك

على ان بعضهم ربما تطرّف في هذا المعنى حتى يخرج عما تبيحهُ الشرائع المألوفة الى هذا العهد وينابذ مقتضى السنن الطبيعية في مثلهِ فقد روت جريدة البصير نقلاً عن الجرائد الاوربية بدعةً جديدة « تجعل المرأة والرجل سيِّين لدى الدين والحكومة دون ان يكون هو افضل منها بأقلّ شيء او يكون للدين دخلٌ في زواجهما كما هو الشأن في الزواج المَدَني بحيث يُعتبر كلٌّ منهما كانهُ منشئ شريعةٍ خاصة تصدر من نفسهِ لنفسهِ دون ان يكون لسائر الشرائع اقل سلطةٍ عليهِ » الى ان قالت « ان الزواج قد تجاوز الحدود الدينية والمدنية بحيث جُعل من ابسط الحالات الطبيعية فاصبح الرجل والمرأة فيهِ كانهما متعاقدان على ان لا يكون بينهما عقد ولا عهد بالاطلاق فاذا شآء تركها واذا شآءت هي تركتهُ دون ادنى تبعة »

هذا اهمّ ما يُذكَر في تاريخ المرأة وما كانت تُعامَل بهِ عند اشهر امم الارض في كل عصرٍ من اعصارها مما يتبين منهُ ان الامة كلما رقيت في سلم الحضارة واستنارت بنور العلم ارتفعت فيها منزلة المرأة وتعزز شأنها ولعلنا لا نبعد كثيراً اذا قلنا ان ارتفاع منزلة المرأة هو السبب الاكبر في ارتقآء الامم وانتشار التمدن الصحيح بينها وذلك لما يستفيد الرجل من اخلاقها وطبائعها ولما تغرسهُ في فطرة الناشئة من المدارك الصحيحة والتهيؤ لان يكونوا من افاضل الرجال الذين يتألف منهم جسم المجتمع الانساني

اما عند العرب بالخصوص فمن المشهور انهم كانوا في زمن جاهليتهم

يكرهون البنات اشد الكراهة ويعدّون ولادتهنَّ من اعظم المصائب عليهم ولكن ذلك كان لسببٍ يتعلق بنوع معيشتهم اذ كانوا قوماً اهل غزوٍ ونهب فكانت النسآء عندهم معرَّضةً للسبي ومن سبى امرأةً بكراً كانت او ذات بعلٍ عاملها معاملة الإماء فيلحق بها وباهلها من عار السبي ما لا يُمحى الى الابد ولذلك كان اناسٌ منهم يَئِدون البنات اي يدفنونهنَّ في الحياة ايثاراً للثكل على العار . واما في غير ذلك فكانت المرأة عندهم مكرَّمةً وكانت منزلتها في كثيرٍ من الاحوال منزلة الرجل بلا فرق حتى كان منهنَّ من تجالس الرجال ومن يتحاكم اليها اكابر الشعرآء اذا كانت من اهل المزية في الشعر وجآء في بعض المنقولات ان منهنَّ من كنَّ يعرفنَ القرآءة والكتابة وهو ما لعلهُ لم يكن في تلك الاعصار الا في نفرٍ معدود من الرجال . وكان للفتاة عندهم حق اختيار الزوج في الغالب فلا تُكرَه على التزوّج بمن لا تريدهُ ولا تُمنَع ممن تختارهُ الا في احوالٍ مخصوصة . ولم يكن الحجاب حتماً عليهنّ بل كانت الفتيات منهنَّ يبرزنَ لخطَّابهنَّ ويجلسنَ اليهم فيخطبونهنَّ عن معرفةٍ ومرأًى لا عن شهادةٍ ورواية ويؤخذ من بعض الاخبار ان المرأة كان لها حق طلاق الرجل اذا انكرت صحبتهُ . ومن تتبع احاديث العرب واشعارهم وجد كثيراً من الشواهد الدالة على ان المرأة كانت في اكثر احوالها مساوية للرجل وان وُجد احياناً ما يخالف ذلك لانهم كانوا قبائل شتى فلا بد انهم كانوا مختلفي العادات والمشارب الا ان الحكم على الاكثر والاشهر

هذا مُجمَل ما يؤخذ من حالها في عصر الجاهلية واما بعد ظهور الاسلام

فقد قضى عليها الشرع (او العادة) بالاستتار ورآء الحجاب والانقطاع عن مجالسة الرجال الامن كان محرَماً لها من ذوي قرابتها والمصير في اختيار الزوج الى ما يرتضيهِ ابوها او وصيها سوآءٌ رضيت او كرهت . وفيما خلا ذلك فان لها حق الاستيلاء على ميراثها الذي هو نصف حظ الرجل والتصرف فيهِ بما شاءت ولا تُمنَع من تعاطي الاشغال الخارجية والاعمال التجارية اذا دعت الحاجة الى ذلك بشرط ان لا تظهر امام الناس الا والنقاب ساترٌ وجهها وسائر اعضاء جسمها الا العين التي تبصر بها والكف التي تأخذ بها وتعطي . وبالاختصار فانها حائزةٌ جميع الحقوق التي تتمتع بها سواها ما خلا الحجاب والمنع من مخالطة الرجال وهو مهما قيل في وجوبهِ فلا شك انهُ من دواعي تأخر المرأة وانحصار معارفها في حدودٍ ضيقة اقلّ ما يقال فيها انها لا تتجاوز الاحاديث المتداوَلة في العالم الانثويّ وناهيك ما هي

(ستأتي البقية)

التوتيآء

هو هذا الحيوان البحري الشبيه بالقنفذ ولذلك يسميهِ بعض الافرنج بالقنفذ البحري وهو غير القنفذ البحري الذي يذكرهُ اصحاب المفردات الطبية ولم نجد لهُ ذكراً في شيءٍ من كتب اللغة ولا ذكرهُ الدميري في حياة الحيوان الكبرى ولا القزويني في عجائب المخلوقات ولا ابن البيطار في مفرداتهِ . وهو من انواع الحيوان السافلة ذو قشرةٍ حجرية تقرب من الكروية مؤلفة من صفائح كلسية البناء ذات شكلٍ مخمَّس قد رُصع

بعضها الى بعض على نمطٍ بديع . وهذه القشرة مثقَّبة ثقوباً دقيقة ويغشاها حُبَيبات مستديرة مختلفة الحجم مرتبة على صفوف متناسبة يُرَى كل ذلك اذا جُرِّد الغشآء من الشوك الذي عليهِ

ولهذه القشرة فوَّهتان متقابلتان احداهما في الاسفل يغطيها غشآء بسيط فيهِ جَوْبة الفم والاخرى في الاعلى وهي مخرج الفضلات . وما بين هذين القطبين مقسومٌ الى عشر مناطق يلتحم بعضها الى بعض بما يقرب من التحام قبائل الرأس وكل منطقةٍ مؤلفة من صفَّين من الصفائح المخمَّسة المذكورة . وخمسٌ من هذه المناطق وهي التي الى جهة الاسفل مثقَّبةٌ صفائحها بثقوب يخرج منها ارجلٌ تنقبض وتنبسط تبعاً لمشيئة الحيوان ويمدّها حتى تتجاوز طول الشوك المحيط بها وهي مِحجَمية الاطراف اذا وقعت على صخرٍ او غيرهِ لصقت بهِ كما تلصق رجل الذبابة على الزجاج وسطوح الجدران

والقشرة المذكورة مغلَّفة بنوعٍ من الجلد تتصل بهِ اصول الاشواك وهي تتحرك بعضلٍ صغير وقد عُني بعضهم بعدّ هذه الاشواك فكانت ما يقرب من خمسة آلاف شوكة لكل واحدةٍ منها واحدة من الحُبيبات المذكورة يتركب بينهما مفصل الشوكة . ثم ان بين الاشواك إبَراً كلسية البنآء في غاية الدقة تتحرك على مفاصل رخوة وفي طرف كلٍّ منها حُمَةٌ ذات شعبتين او ثلاث وهذه الحُمَات سامةٌ في الغالب وهي سلاح هذا الحيوان يدافع بها عن نفسهِ ويستخدمها لازالة الاجسام الحلمية التي تتخلل بين اشواكهِ

وللتوتياء قناةٌ هضمية تتألف من مريءٍ ومِعًى يجمع بينهما ممصٌّ لادخال المآء الى القناة وآلة المضغ فيهِ مؤلفة من خمسة فكوك كلٌّ منها في شكل هرمٍ مثلث الزوايا قمتهُ الى جهة الفم وفي طرفهِ سنٌّ طويلة حادّة تنتأ الى الخارج . اما الجهاز الدَوريّ فانهُ غير واضح التركيب والجهاز العصبيّ مؤلف من طوق ذي خمسة اضلاع يحيط بالمريء ومن زوايا هذا المخمَّس تخرج شباك عصبية يتصل منها فُرَيعاتٌ بالارجل المحجمية المذكورة

والتوتياء منهُ ذكرٌ وانثى لكن لا يتميز احدهما من الآخر الا بعد البلوغ وبيوضهُ تنقف في المآء خارج الجسم فيكون عنها انقافٌ رخوة تسبح مستقلةً ثم يتكامل خلقها شيئاً فشيئاً فتتكتل وتستدير وينشأ عليها الغشاء الصلب وما عليهِ من الاشواك فتكون حيواناً بالغاً

اما وجود التوتياء فاكثر ما يكون في بحار الاقاليم الحارّة ويعيش في خلال الصخور وتحت الحجارة وبين النبات البحري او على الرمال . وغذآؤهُ من صغار الحيوانات القشرية والنقاعيات وأنقاف الهلاميات وربما اغتذى من الطحالب البحرية والجُسَيمات المِجهرية المنتشرة في مآء البحر واشباه ذلك . وذكر المسيو دُرْن من علمآء الحيوان في نابُلي ان التوتياء القصير الشوك في البحر الرومي من آكلات اللحم الشديدة الافتراس يسطو على الحيوانات القشرية كالسراطين وما اليها ومنها نوعٌ يبلغ طولهُ ١٢ سنتيمتراً فيضع قوائمهُ على جسم الحيوان منها وقبل ان يتحرك للانفلات يبادر الى مدّ قوائم اخرى حتى تصير قوائمهُ من حولهِ اشباه قسيٍّ من دوائر فيجذبهُ اليهِ جذبةً منكرة ثم يعتمد ببعض قوائمهِ على احد الصخور ويتزلج بباقيها شيئاً فشيئاً

حول جسم فريسته حتى تصير امام فمه فيشرع في اكلها وهذه المزاولة تقتضي احياناً عدة ايام متوالية

ومن غريب ما في هذا الحيوان ان فيه قوةً على نقب الصخور الصمّاء واول من تنبه لذلك فيه احد علماء الانكليز سنة ١٨٢٥ استدلالاً بما رأى في بعض الصخور من شواطئ ارلندا ثم تتبع ذلك سواهُ من المولعين بهذه المباحث فوجدوا في عدة مواضع انهُ ينقب الصخر الكلسي والمحبب وغيرهُ بحيث ينحت لنفسه مكاناً يأوي اليه ويستطيع ان يتحرك فيه . وقد ذهبوا في طريقة حفره لهُ مذاهب فقيل انهُ ينحتهُ باسنانه بعد ان يثبت نفسهُ على الصخر بواسطة قوائمه وقيل انهُ يحلّ الصخر بسائلٍ حامض يفرزهُ من جسمه وقيل بل هي حُفَرٌ طبيعية يوسّعها ويكيفها باسنانه وحركة اشواكه وفائدتها ان يأوي اليها عند التطام الموج او في اوقات المدّ العنيف حتى لا يستطيع الماء ان يجرّهُ ولذلك لا تكاد تُرَى الا في جوانب الشواطئ

والتوتياء يؤكل كثيراً ولا سيما على شواطئ البحر الرومي قيل وينفق منهُ في مرسيليا وحدها ما يزيد على ١٫٢٠٠٫٠٠٠ في السنة ولا يؤكل منهُ الا المبيض وهو هذا الاصفر الجميل الذي في باطنه الان من اصنافه ما لا يؤكل الا ما بين ستمبر الى ابريل لانهُ في غير هذا الاوان يكون ساماً

معالجة المصعوق بالكهربائية

لا يخفى ان الكهربائية قد شاع استخدامها اليوم في كثيرٍ من الاعمال ولا سيما في حركات النقل والانتقال بحيث اصبحت مما يتعرض لهُ الجمهور

كل يوم ولذلك كثرت اخطارها وحوادثها فيهِ اما بملامسة احد موصلاتها جهلاً او على غير انتباه او بان ينقطع بعض اسلاكها ويسقط على الارض فاذا اصاب انساناً او حيواناً صُعق للحال . وقد تعددت الحوادث من مثل ذلك في بعض عواصم اوربا مما لم يعدُنا وقوع مثلهِ في القاهرة والاسكندرية حتى اهتمت بها الحكومات هناك وعقدت لها اللجان من اهل العلم للنظر في تدارك ما يقع عنها من الاخطار . وقد وقفنا لاحد اكابر الاطباء على فصلٍ في هذا المعنى ذكر فيهِ صورة منشور وزعتهُ رئاسة الشِحنة في باريز على رجالها بيَّنت فيهِ الذرائع التي يجب اتخاذها عند وقوع هذه الحوادث وذيَّلهُ الكاتب بمزيد بيانٍ لا يخلو من تبصرةٍ وايضاح فرأينا ان ننقل زبدة هذا الفصل فائدةً للقرآء . وهذا محصل ما جاء في المنشور المذكور

اذا اصيب انسانٌ بسقوط او ملامسة سلكٍ كهربآئي يجب المبادرة الى فصلهِ عن السلك في اسرع ما يمكن وذلك بواسطة قطعةٍ من الخشب الجافّ ويجب ان يتمّ ذلك بغاية الاحتياط والتحفظ بحيث لا يلمس احدٌ السلك الكهربآئي بيدهِ ولا جسم المصعوق ما دام بينهُ وبين السلك اتصال . وفي تلك الفترة يُستدعَى الطبيب لمعالجتهِ من غير أدنى تأخير غير انهُ لا ينبغي ان يُتوقف عن مباشرة العلاج الى ان يحضر الطبيب ولكن يُنقَل المصعوق الى اقرب موضعٍ يمكن ان يُعالَج فيهِ ويعرَّى عنقهُ وصدرهُ ويُشرَع في ردّ نَفَسهِ اما بجذب اللسان واما باحداث التنفس الصناعي او باستخدام الامرين معاً

اما جذب اللسان فيجب ان يجري في اسرع ما يستطاع ويتم على

الترتيب الآتي

١ً يُضجَع المصعوق على ظهرهِ ويمال رأسهُ قليلاً الى احد الجانبين

٢ً يُفتَح فكّاهُ ولو بالقوّة اذا امتنع فتحهما بالسهولة

٣ً يُمسك اللسان باليد اليمنى بين الابهام والسبابة بواسطة منديل او قطعةٍ من النسيج

٤ً يُجذَب اللسان بشدّة الى خارج الفم ويكرَّر ذلك نحو عشرين مرة في الدقيقة وينبغي عند كل مرة ان يكون الفم مفتوحاً فتحاً واسعاً وان يُخرَج اللسان بتمامهِ الى خارج الفم

٥ً يُواصَل الجذب على هذه الطريقة مدة ساعةٍ على الاقل

فاذا ظهر من المصعوق فواقٌ او قيءٌ فذلك من العلامات المبشرة بقرب افاقتهِ لكن لا ينبغي اذ ذاك الوقوف عن العمل بل لا بدّ من متابعة جذب اللسان الى ان ترجع الاعمال الحيوية الى مجراها

واما احداث التنفس الصناعي فبعد ان يُضجَع المصعوق على ظهرهِ كما سبق تُرفَع كتفاهُ قليلاً ويكون فمهُ مفتوحاً واللسان مجذوباً الى الخارج ثم تُباشَر لهُ احدى الطريقتين الآتيتين

الطريقة الاولى — تُمسك ذراعا المصعوق بالقرب من المرفقين وتُضمّان بشدّةٍ الى جانبي الصدر ثم تُفصَلان وتُرفَعان الى ما فوق الرأس بحيث يُرسم بهما قوسا دائرة ثم تُردّان الى الوضع الاول مع الضغط بهما على جانبي الصدر ويكرر هذا العمل نحو ٢٠ مرة في الدقيقة ويُستمرّ عليهِ الى ان يظهر التنفس الطبيعي

الطريقة الثانية — تؤخذ يداهُ وتُبسَطان بعنفٍ على القسم الاسفل من جانبي الصدر مع الضغط الشديد ثم تُرفَعان ويعاد العمل نحو ٢٠ مرة في الدقيقة الى ان يظهر التنفس الطبيعي ۰ اه

قال ونزيد هنا ان الكهربآئية ينشأ عنها احياناً آثارٌ موضعية شديدة كاحتراقٍ في مواضع متسعة من الجلد وتسلُّخ عنيف في البشرة ولكن على الغالب لايحدث تلف في أعضآء الجسم ومع ذلك فان المصعوق ينقطع تنفسهُ وتسكن ضربات قلبه وتقف دورة دمهِ ۰ الا ان هذا ليس الا ضرباً من الموت الظاهر فان الكهربآئية بتأثيرها على المراكز العصبية تستوقف الحركة التنفسية والدورية فجأةً فتُحدِث نوعاً من الاختناق او الاغمآء على حدّ ما يحدث بالغرق ۰ وحينئذٍ ينبغي ان تنبَّه رئتاهُ للتنفس وقلبهُ للانقباض وهذا التنبيه يتمّ باحداث التنفس الصناعي والجذب المتواتر للّسان ولا ينبغي ان يُقنَط من سلامة المصعوق وان طال العمل وابطأ رجوع حياتهِ ولكن لا بد من الاستمرار على العمل حتى يفيق ۰ ولا بأس هنا أن نذكر امثلةً من الشفآء في مثل هذه الحوادث فمن ذلك ان رجلاً من مستخدَمي الشركة الكهربآئية يقال لهُ فرنك غرُوفَر صُعق بقوةٍ كهربآئية تعدل ثلاثة اضعاف القوة التي يُقتَل بها المجرمون في اميركا وكان في ساقهِ اليُمنَى ويديهِ حَرَقٌ شديد فاستُعملت لهُ طريقة التنفس الصناعي وقد رُدّت اليهِ حياتهُ بعد المواظبة على علاجهِ مدة ساعة ونصف ۰ ومثل ذلك ما حدث لمصعوقٍ آخر في سان دانيس بقوةٍ تنيف على اربعة اضعاف من القوة المذكورة وقد تولى معالجتهُ الاستاذ دَرْسُنْقال احد اعضآء الندوة العلمية فشُفي ايضاً ۰

قال والشفآء في هذه الحوادث لا شذوذ فيه ولكن لا بدّ من الصبر والمواظبة من غير ملل الى ان تعود الحياة الى مظهرها وينتزع المصاب من بين مخالب المنيَّة . اه

الاحصآء الاوربي الاخير

جآء في احدى المجلات الفرنسوية ما تحصيلهُ

ظهر من الاحصآء الاخير في اشهر ممالك اوربا ان عدد النفوس قد ازداد في جميعها زيادةً معتبرة الا في فرنسا فقد بلغ عدد سكانها في الاحصآء الذي تمّ في ٢٤ مارس سنة ١٩٠١ نحو ٣٨ مليوناً و٦٠٠ الف فكانت الزيادة عن الاحصآء الذي تم سنة ١٨٩١ نحو ٣٣٠ الفاً وكان معظم هذه الزيادة في نواحي المدن الكبيرة ولا سيما مدينة باريز وفيما خلا ذلك فان العدد كان الى النقصان على ان الاظهر ان هذه الزيادة كانت من الدخلآء

وقد ذكر المسيو جاك برتيلُون ان فرنسا كانت الى ما قبل سنة ١٨٥٠ اعظم ممالك غربي اوربا عدد سكان ولكن منذ التاريخ المذكور ازدادت المانيا ٢١ مليون نفس وازدادت انكلترا واكوسيا وارلندا ١٤ مليوناً والنمسا اكثر من ذلك قليلاً ولم يشذّ عن هذا القياس الا فرنسا

وسكان باريز اليوم يبلغون مليونين و٧١٤ الف نفس وفيهم زيادة ٢٠٠ الف عن سنة ١٨٩٦ . وكانت ليون اذ ذاك المدينة الثانية باعتبار ترتيب العدد فاصبحت اليوم الثالثة لان مرسيليا اربت عليها فاصبح عدد سكانها نحو ٤٩٥ الفاً حالة كون ليون لا تزيد على ٤٥٣ الفاً . على ان كثيراً من

المدن حدث فيها هذا النقص مثل ليون منها بَزَنْصُون وتولوز وسنت اتيّان ولِيل وكايّن وغيرها

اما سكان انكلترا وفيها بلاد الغال فبلغوا في احصآء سنة ١٩٠١ نحو ٣٢ مليوناً و ٥٢٦ الف نفس فكان معدَّل الزيادة في العشر السنوات الاخيرة ١٢٬١٧ في المئة ٠ واما ارلندا فكانت تنقص في كل احصآء عن الذي قبلهُ فهي اليوم لا تزيد على ٤ ملايين و٥٠٠ الف وهي نحو نصف ما كانت عليهِ سنة ١٨٤١ ٠ وبعكسها اكوسيا فانها ازدادت نحواً من ضعف عددها في التاريخ المذكور ففيها اليوم نحو ٤ ملايين ونصف من السكان

وقد بلغت لندرا ما ينيف على ٤ ملايين ونصف ففيها اذن من السكان ما يزيد على سكان اكوسيا بجملتها ٠ وتجيء بعدها منشستر وسَلْفُرد وهما على الحقيقة تُعدّان مدينة واحدة ففيهما ما يقرب من ٧٦٥ الفاً ٠ ثم ليڤرپول وفيها ٦٨٥ الفاً ثم بِرمنِغام وفيها ٥٢٢ الفاً ٠ وبالاجمال فان كل نواحي انكلترا قد ازداد سكانها زيادةً ذات بال

واما المانيا فبموجب الاحصآء الذي تمّ في اول دسمبر سنة ١٩٠٠ بلغ مجموع سكانها ٥٦ مليوناً و ٣٤٥ الفاً وبلغ سكان بروسيا بالخصوص ٣٤ مليوناً ونصف مليون فكانت الزيادة في مجموع السكان منذ سنة ١٨٩٥ اكثر من ٤ ملايين نفس ومعدلها ٧٬٧٨ في المئة ٠ وكان عددهم سنة ١٨٢٦ لا يزيد على ٢٨ مليوناً فيكون قد ازداد في مدة ٧٥ سنة ضعفاً آخر

وكذلك سكان الألزاس لُورّين ازدادوا من مليون و ٦٤٠ الفاً سنة ١٨٩٥ الى مليون و ٧١٧ الفاً سنة ١٩٠٠ فكانت الزيادة ٤٬٦٦ في المئة

وعلى الجملة فان سكان المدن والنواحي الصناعية في هذه المملكة قد ازدادوا وبعكسهم سكان النواحي الزراعية فانهم نقصوا ومما زاد في مقدار النقص المهاجرة الى البلاد الاجنبية وكانت الى سنة ١٨٨١ قد بلغ معظمها السنوي ٢٢١ الف نفس ثم انحطّت فلم تزد في سنة ١٨٩٩ على ٢٤ الفاً

ثم ان في المانيا ٣٣ مدينة يزيد سكان كلّ منها على ١٠٠ الف ويبلغ سكان برلين مليوناً و ٨٨٥ الفاً وسكان همبور ٧٠٦ آلاف وسكان مونيخ نحو نصف مليون وسكان لبسك ٤٥٥ الفاً . وهناك مدن اخرى لا نطيل بتعدادها منها ٣ يكون سكانها بين ٣٧٠ و ٤٢٠ الفاً و ٧ بين ٢٠٠ و ٢٢٠ الفاً . وقد حُسبت الزيادة في برلين منذ سنة ١٨٩٥ فكانت ١٢ في المئة وهذه الزيادة ليست الا شيئاً يسيراً بالقياس الى ما يحدث في الضواحي المجاورة لها بحيث انهُ اذا انضمت هذه الضواحي الى العاصمة لم يبعد ان تصير برلين اكثر سكاناً من باريز وهو ما طالما حلم بهِ اناسٌ من الالمان

واما سكان النمسا فبلغوا بموجب الاحصآء الذي تم في ٣١ دسمبر سنة ١٩٠٠ نحو ٤٧ مليوناً في جملتهم سكان البشناق وهرْزَغُوفينا وكانت الزيادة في العشر السنين الاخيرة نحو ٤ ملايين ومعدَّلها ٩ في المئة . وسكان فينّا اليوم مليون و٦٦٢ الفاً فازدادت في المدة المذكورة ٢٨٠ الفاً

واما سكان سويسرا فبلغ عددهم في اول دسمبر من السنة المذكورة ٣ ملايين و ٣١٢ الفاً وفيهِ زيادة ٤٠٠ الف نفس عما كان عليهِ سنة ١٨٨٨ ومعظم هذه الزيادة من الاجانب

واما سكان ايطاليا فكان عددهم في السنة الحاليّة ٣٢ مليوناً و ٤٥٠

الفاً وكانوا سنة ١٨٨١ نحو ٢٨ مليوناً و ٤٦٠ الفاً فكانت الزيادة في هذه المدة نحواً من اربعة ملايين ومعدلها ٣٤ ، ٧ في الالف

واما بلاد نروج فبلغ عدد سكانها سنة ١٩٠٠ مليونين و ٢٣١ الفاً وفيهِ زيادة ٢٣٠ الفاً عن الاحصآء السالف

وبلغ سكان الدنمرك مليونين و ٤٥٠ الفاً . واهل البلجيك ٦ ملايين و ٧٤٥ الفاً بلغ سكان انفرس منهم ٢٩٩ الفاً

وبلغ اهل بلاد القاع (Pays - Bas) ٥ ملايين و ١٠٤ آلاف وكانت زيادتهم في العشر السنوات الاخيرة ٥٩٣ الفاً . انتهى

متفرقات

ابعد عمق في جوف الارض — ثقبت حكومة بروسيا ثقباً في الارض بقصد تحقق درجة الحرارة على اعماقٍ مختلفة فبلغت في الثقب الى مسافة ٢٠٠٤ امتار في جوف الارض وهو ابعد عمقٍ امكن بلوغهُ الى الآن وقد وُزنت الحرارة على اربعة وستين عمقاً بآلاتٍ دقيقة في الدلالة على درجة الحرارة فوُجد ان ارتفاعها كان درجةً في كل ٣٣ متراً و ١٠ سنتيمترات . ومعدَّل قطر هذا الثقب ٨٠ مليمتراً وكان الشروع فيهِ سنة ١٨٩٣

مصل السلّ — جآء في احدى المجلات الفرنسوية ان الدكتور رُو المشهور خرّيج پَستُور قد اكتشف المصل الواقي من السلّ وانهُ قد امتُحن فثبت نفعهُ فعسى ان هذا الحلم يصدق هذه المرة

اسئلة واجوبتها

القدس — ارجو الجواب على هذه الاسئلة

(١) جاء في شرح المقامة الاولى من مجمع البحرين في تفسير قولهِ « ادنى من قاب قوسين » ان هذا من باب القلب فكيف يحدَّد القلب وما شرط استعمالهِ

(٢) كيف تُعرَب « ما » من قول طرفة بن العبد

اری العيش كنزاً ناقصاً كل ليلةٍ وما تنقص الايامُ والدهرُ ينفدِ

وان قلنا انها اسم موصول كما هو الظاهر فما الذي اجاز للشاعر كسر الدال من « ينفد »

(٣) قياساً على اي نوعٍ من الجوازات الشعرية كسر زهير ميم « يحلم » من قولهِ في معلقتهِ

وان سفاه الشيخ لا حلم بعدهُ وان الفتى بعد السفاهة يحلمِ

(٤) هل يقال « أعوَن على كذا » بمعنى اكثر اعانةً عليهِ

اندراوس صوايا

الجواب — اما القلب فعرَّفهُ ابو البقاء بأن يجري حكم احد جزئي الكلام على الآخر قال وهو اما قلب اسناد نحو لكلّ اجلٍ كتابٌ اي لكل كتابٍ اجلٌ . او قلب عطف نحو ثم دنا فتدلى اي تدلى فدنا لانهُ بالتدلي مال الى الدنوّ . او قلب اعراب نحو اني اخاف عليكم عذابَ يومٍ محيطٍ اذ المحيط هو العذاب . اه باختصار . وقد يكون القلب في التذكير والتأنيث

كما في قولهِ كما شرقت صدر القناة من الدم · او في الافراد وضدّيهِ كقاب قوسين فيمن حملهُ على هذا الباب وربما سُمع في غير ذلك مما لا حاجة الى استقصآئهِ

واما شرط استعمالهِ فالظاهر انهُ لا يُشترَط فيهِ الا عدم اللبس فلا يقال مثلاً قطعت يد الرجلين اي يدَي الرجل غير ان المستحسَن منهُ ما كان لنكتةٍ كما في بيت رؤبة المشهور

ومهمهٍ مغبرَّةٍ ارجآؤهُ   كأنَّ لون ارضهِ سمآؤهُ

اي كأنَّ لون ارضهِ لون سمآئهِ يصف لون السمآء بالاغبرار حتى صار بحيث يشبَّه بهِ لون الارض · وقد تقدم لنا مزيد بيانٍ في هذا البحث في الكلام على اغلاط العرب (صفحة ٦٤٣ و ٦٤٤ من مجلد السنة الثالثة) فراجعوهُ ان احببتم

واما بيت طرفة « فما » فيهِ شرطية جزمت الفعلين بعدها وكُسِرت الدال من ينفد على اصل تحريك الساكن لان القافية مطلقة · وانما يجوز الكسر في مثل هذا فيما كان سكونهُ لازماً بمعنى انهُ يكون ساكناً في الدرج والوقف جميعاً واما اذا كان سكونهُ عارضاً للوقف فاذا عرض ما يدعو الى تحريكهِ رُدَّ الى الحركة التي يستحقها في الدرج وبهذا تعلمون ان الكسر في قافية بيت زهير لا وجه لهُ وانما هو من التجوزات المردودة

واما قولهم « أعوَن على كذا » فهو مما سُمع كثيراً في كلامهم على انهم قد يتسامحون في بنآء هذه الصيغة من باب افعل كقولهم هو اعطاهم للدينار واولاهم للمعروف واكرمهم للضيف وهذا المكان أقفرُ من ذاك

والامثلة من هذا كثيرة ولذلك جعلهُ سيبويه قياساً في هذا الباب والصحيح انهُ مع كثرتهِ موقوفٌ على السماع وهو مذهب الجمهور

آثار ادبيّة

ترجمة حياة العالم الفاضل المغفور لهُ اسمعيل باشا الفلكي — عُني بهذه الترجمة حضرة الكاتب البارع احمد زكي بك الشهير في خطبةٍ تلاها على اعضاء الجمعية الجغرافية المصرية في ٢١ دسمبر سنة ١٩٠١ وقد بعث الينا بنسخةٍ منها رأينا ان نذكر خلاصتها هنا تسجيلاً لمآثر المترجَم على صفحات الضياء وتنويهاً بما لهُ في خدمة العلم من الايادي البيضاء

وقد استهلّ الخطيب كلامهُ بالالماع الى تاريخ علم الهيئة في القطر المصري لهذا العهد وما كان من تجديد معالمهِ على يد المغفور لهُ محمد علي الكبير وانشائهِ المرصد الفلكي في محلة السبتية من بولاق وقد اختار لاعمالهِ بعض الطلبة النابغين من مدرسة المهندسين التي كان يديرها لمبير بك منذ سنة ١٢٦١ للهجرة (١٨٤٥ م) وهو من فحول علماء المهندسين المتخرجين في مدارس فرنسا العليا

وكان صاحب الترجمة ممن اتمّ دروسهُ في هذه المدرسة واختير للعمل في المرصد المذكور فاستمرّ فيهِ الى عهد المغفور لهُ عباس الاول ثم أُرسل الى باريز فيمن أُرسل من نوابغ الشبان المتخرجين في المدرسة المشار اليها لاتمام معارفهم الهندسية والفلكية وذلك سنة ١٨٥٠ فانقطع هناك لعلم الهيئة

ولما اتم دروسهُ العلمية والعملية كلفتهُ الحكومة المصرية ان يتفرّغ لعمل الآلات الفلكية بنفسهِ ليتمكن بعد عودتهِ من القيام على اعمال المرصد واصلاح آلاتهِ عند الحاجة فاظهر في كل ذلك من البراعة والحذق ما نال لاجلهِ اجمل ذكر بين علمآء هذا الفنّ . وقد تلا الخطيب عدة شهادات في حقهِ من بعض اكابر علمآء الهيئة في اوربا منها ثلاث رسائل من لفرّياي الفلكي الشهير رئيس مرصد باريز ورسالةٌ من كيتلي مدير مرصد بروكسل وكلها طافحة بالثنآء عليهِ واكبار ما ظهر منهُ من البراعة وطول الباع وجآء في احدى رسائل لفرّياي انهُ كان من جملة الذين اعتمدهم مرصد باريز وارسلهم الى اسپانيا لرصد الكسوف الكلي الذي حدث سنة ١٨٦٠ وفي ذلك من الدلالة الناطقة بمزيتهِ ما يغني عن الافصاح

وبعد ان قضى اربع عشرة سنة في اوربا عاد الى مصر فاستقبلهُ المغفور لهُ اسمعيل باشا الخديوي الاسبق بكمال الترحاب والاجلال ثم عهد اليهِ في انشاء مرصدٍ جديد يستوفي جميع ما يلزم لمطالب هذا الفن بحيث يكون شبيهاً بمراصد اوربا فاختار لهُ مكانهُ الحالي في العباسية وجهزهُ بما اقتضاهُ من الآلات والعمّال

وكان رحمهُ الله عضواً في عدة جمعيات علمية باوربا وفي جمعية المعارف المصرية ولجنة حفظ الآثار العربية والجمعية الجغرافية . وهو من جملة الذين حضروا مؤتمر الاحصآء الدولي الذي عُقد في موسكو سنة ١٨٧٣ نائباً عن الحكومة الخديوية . ومن اعمالهِ تخطيط المسافة بين سواكن وشندي سنة ١٨٦٥ . وهو الذي اقترح على الحكومة المصرية سنة ١٨٨٣ انشآء

مدرسة المساحة ولهذه المدرسة في البلاد الخدم التي لا تُنكَر . وقد ابقى للخلف كتاباً جليلاً في علم الفلك عنوانهُ الآيات الباهرة في النجوم الزاهرة وهو كتابٌ يشتمل على بيان الصور السماوية وقد طبعتهُ نظارة المعارف العمومية ملحقاً بجريدة روضة المدارس . ومن آثارهِ ايضاً كتابٌ جليل المقدار في علم الفلك والمساحة الارضية عنوانهُ الدرر التوفيقية طبعت نظارة المعارف الجزء الاول منهُ بأطلسهِ وقد ترك بعض المسوَّدات والملحَّقات اللازمة لتكميل هذا الكتاب النفيس . هذا خلا التقاويم العربية والافرنجية التي كان ينشرها كل سنة بواسطة المطبعة الاميرية وهي التي تعتمد عليها الحكومة المصرية لما فيها من التدقيق وضبط الحساب وكان قائماً بحسابها منذ سنة ١٨٨٦ الى ان توفي في هذه السنة رحمهُ الله رحمةً واسعة ونفعنا بآثارهِ

كتاب اشهر مشاهير الاسلام في الحرب والسياسة — سفرٌ دلَّ عنوانهُ على فخامة موضوعهِ وعظم فائدتهِ تأليف حضرة الكاتب الالمعيّ سليل بيت الوجاهة والحسب رفيق بك العظم توخى فيهِ سرد اخبار الكبرآء من ملوك وقواد هذه الامّة ممن تقاذفوا كرة الارض بصوالجتهم وخططوا ممالكها باطراف سيوفهم فحُقَّ لهم ان يمتازوا بتاريخ يجمع ما لهم من جلائل الاخبار كما امتازت اشخاصهم بما تركوا في الارض من عظائم الآثار

وقد طُبع الجزء الاول من هذا الكتاب الجليل وهو يشتمل على تاريخ ابي بكر الصدّيق وسياقة اخبارهِ من لَدُن عهدهِ في الجاهلية الى اسلامهِ وخلافتهِ وما كان بعد ذلك من وقائعهِ وفتوحهِ وسياستهِ الى حين وفاتهِ

ثم الكلام على خالد بن الوليد اكبر قوّاده وسياقة ما كان منهُ الى آخر امره

ويتخلل فصول الكتاب عدة اغراض شريفة سياسية وادبية واجتماعية وقضآئية تشف عن علمٍ واسع وادب غزيرٍ مما تعم فائدتهُ جميع طبقات القرآء. فنثني على حضرة المؤلف اطيب الثنآء ونسأل لهُ التوفيق الى اتمام هذا التأليف النفيس

وهذا الجزء يشتمل على ١٨٠ صفحة كبيرة وهو جيد الورق والطبع ويباع في مكاتب القاهرة وثمنهُ ستة قروش اميرية لاغير

ديوان ابي العلآء المعرّي — لاحاجة الى الاطناب في وصف هذا الديوان مع شهرة ناظمه وما عُرف به من البلاغة والحكمة وسعة التصرف في المعاني الشعرية والفلسفية . وقد عُني بطبعه في هذه الايام حضرة الاديب امين افندي هندية محلًّى بالشكل الكامل وقد تصفحنا الكثير منهُ فوجدناهُ بالغاً اتمّ مبلغٍ من الصحة في الرواية والضبط مع حسن الطبع وجودة الورق فنثني على همة المشار اليه ثنآءً طيباً ونحث طلّاب الشعر واللغة على اقتنآء هذا الديوان الجليل والانتفاع بفوائده

كتاب دروس الاشيآء — اهدى الينا حضرة الاديب ايليا افندي الحاج الجزء الاول من تأليفٍ لهُ باللغة الانكليزية عنونهُ بدروس الاشيآء (Object lessons) يشتمل على عدة فصول مفيدة للمبتدئين . وقد جعل ثمن النسخة منهُ قرشاً واحداً فنحث طلبة هذه اللغة على اقتنآئه واغتنام فوائده

فكاهات

حلول العام (١)

كان يقيم في شارع حقير من شوارع لندن المدينة العظيمة رجلٌ قد ناهز الخمسين من عمرهِ ومعهُ ابنةٌ لهُ في الثامنة عشرة من سنيها . وكان اسم الرجل توما هلفيلد واسم ابنتهِ فلورا . وكانت هيئة الرجل وملامحهُ تدلّ على انهُ كان من اولاد النعم وذوي الوجاهة والمال وكذلك ابنتهُ كانت مثال ابيها في الهيئة والرواء ظاهرةً فيها امارات الشرف وكرم الاصل . وكانت لا تعرف لها اهلاً ولا تعلم من تاريخها شيئاً سوى انها ووالدها يقيمان في ذلك الشارع الحقير في منزلٍ مؤلف من ثلاث غرف قد رتبها والدها بقدر استطاعتهِ . وكان ابوها قد وضعها في مدرسةٍ داخلية قضت فيها جانباً من حياتها فتلقت فيها ما يلزمها وما يريدهُ والدها من العلوم والتهذيب ولما اتمت ايامها المدرسية عادت الى بيتها فوجدت والدها يدأب مجتهداً لتحصيل القوت واحتياجات الحياة فيتحامل على ضعفهِ ويستنهض قوتهُ الباقية ليوفر لابنتهِ اسباب الراحة والسرور . فلم يرق في عيني فلورا ان تعيش على ما يقطر من دماء قلب ابيها فجعلت تسعى سرًّا في وجدان شيءٍ تعملهُ الى ان توفقت اخيراً الى سيدةٍ من ذوات الثروة كانت تذهب اليها كل يوم فتقرأ لها كتباً وتكتب لها رسائل على الآلة الكتابية باجرة تعادل نصف ما يحصلهُ والدها . وعلم المستر هلفيلد بامر ابنتهِ فالتهب صدرهُ حرقةً ولكنهُ رأى ان دخلهُ وحدهُ لا يكفي لمعيشة كليهما فاضطر الى الصمت وفي صدرهِ نارٌ آكلة ولكنهُ ما لبث ان عاجلهُ مرضٌ عضال القاهُ على سريرهِ فاقد القوى وزاد عليهِ ما يعانيهِ من الانفعالات الباطنة فتسلطت عليهِ حمى كانت تنو بهُ فتفقدهُ رشادهُ . ولما رأت فلورا حالة والدها هذه استأذنت

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

السيدة التي تشتغل عندها في البقآء عند والدها لتمريضهِ فاذنت لها وامرت طبيبها الخاص ان يزور المريض ويعتني بهِ . ولما جآء الطبيب وفحص حالتهُ رأى ان علتهُ لا تقبل الشفآء وتبين لهُ من اعراض الدآء انهُ قد لا تمضي عليهِ تلك الليلة وهو في قيد الحياة . وكانت فلورا ملازمةً لغرفة والدها فجثت الى سريرهِ واستغرقت في صلاةٍ حارة تطلب الى الخالق عز وجل ان يلطف بحالتها ويمنّ عليها بحياة والدها وكانت اذ ذاك آخذة يدهُ الباردة في راحتيها تقبلها وتغسلها بدموعها . وكان ذلك الوالد الشيخ قد افاق الافاقة الاخيرة من غيبوبتهِ ورأى ابنتهُ بجانبهِ فانهملت دموعهُ ثم جذبها الى صدرهِ فقبلها متنهدًا من كبدٍ حرَّى ثم قال لها اني اشعر يا فلورا بدنو اجلي ولست آسف على حياتي لكن يشقّ عليَّ تركك بدون نصير لولا ما اعهدهُ من رزانتك وحسن تربيتكِ. ولديَّ وصيةٌ لا بد من ابلاغكِ اياها ووعدكِ لي بالقيام بها قبل ان يعاجلني الموت . اذكري ما حييتِ والدتكِ الفاضلة واعبدي ذكرها فانها كانت ملكاً كريماً لم يسمح لها الله ان تراكِ فقد ماتت بعد ولادتكِ بوقت قصير ثم اذا متُّ فتوجهي بعد موتي الى بيت اللرد شستر واسألي عنهُ واسمهُ اللورد سسل شستر ولا بد من مقابلته فاذا صرتِ في حضرتهِ فقولي لهُ ان اخاك توما على سرير موتهِ قد صفح لك عما اقترفت في حقهِ وانهُ حال تركهِ هذا العالم الفاني ودخولهِ العالم الابدي يسامحك عن كل سيئاتك ويباركك . ثم انقطع المستر هلفيلد عن الكلام وكانت فلورا في اشد حالات اليأس والغم ولكنها لدى سماع كلمات والدها اصبحت كالسائر في عالم الخيال وخطر لها ان والدها يهذي . وكأن المائت شعر بتأثير كلماتهِ على ولدهِ فاستنهض قواهُ مرةً اخرى وقال لها لا تتصوري يا ولدي انني اتكلم عن عدم تعقل فانا الآن بتمام ادراكي وان تكن روحي قد قاربت التراقي فتعالي قبليني القبلة الاخيرة وعديني ان تقومي بما اوصيتكِ . فالقت فلورا بنفسها على صدر والدها ولما همَّت بتقبيلهِ شعرت بنَفَسٍ حار ينبعث من بين شفتيهِ ثم ارتسمت على فيهِ ابتسامة هنيئة فاطبق عينيهِ وسارت روحهُ الى خالقها تاركةً ذلك الجسم الترابي بين يدي الابنة المسكينة تناديهِ الى الحياة بزفيرها وشهيقها وتغسلهُ بدموعها

واهتمت فلورا بدفن جثة ابيها وفي اليوم الثالث ازمعت على القيام بوصية والدها فارتدت ثياباً سوداء حداداً على فقيدها ثم سألت عن بيت اللرد سسل شستر فقيل لها انهُ يبعد عن منزلها نحو ثلاثة اميال . فخطر لها اولاً ان تكتري عربةً ولكنها لم تجد بدًّا من الاقتصاد في النفقة فعادت وقصدتهُ مشياً على القدم الى ان وصلت الى بقعةٍ من الارض محاطة بسورٍ من شجر التفاح والكمثرى ولما بلغت بابها رأت ضمن السور حديقةً واسعة الارجاء فيها من جميع اصناف الاشجار والرياحين والازهار وقد قام في وسط الحديقة بناءٌ فخيمٌ تنعكس اشعة الشمس عن زجاج نوافذهِ فينبعث منها نورٌ يزيد في ابهة البناء وهو كقصور الملوك . فوقفت فلورا حيناً تسرّح الطرف في تلك المناظر البهيجة ثم قالت لم يعلمني والدي عن اصلهِ شيئاً ولم اعرف من امرهِ سوى انهُ رجلٌ فقير الحال قد سدّت السعادة في وجههِ ابوابها فقضى حياتهُ في الفقر المدقع يدأب للقيام بأودهِ وأودي ولكنهُ يستفاد من وصاتهِ الاخيرة وامرهِ اياي ان اقابل اللورد سسل شستر واقول لهُ ان اخاهُ توما قد سامحهُ ان اللورد المذكور هو حقيقةً اخوهُ فانا اذاً الآن في املاك عمي . . . . . لكن لماذا يا ترى سامحهُ والدي وعلى اي شيء . . . . . الظاهر من ذلك ان هذا المِلك كان حقًّا لوالدي فاغتصبهُ اخوهُ وحرمهُ اياهُ فلا بد ان صفح والدي كان عن هذا الامر او ما يقرب اليهِ . . . . . ومن كان يظن ان ابنةً فقيرةً مثلي يكون لعمها مثل هذه الاراضي وهذا القصر الجميـل . بل من يدري ان هذه الاملاك ليست حقاً لي . . . . . هل يقبلني عمي الآن يا ترى وهل يرى فقري فيدعوني للاقامة معهُ واذا فعل فهل اقبل وابقى . . ان والدي لم يأمرني بذلك ولم يشر اليهِ فآه ما اعجلك يا موت ولمَ لم تمهلهُ ريثما يفيض لي في شرح ما تجب عليّ معرفتهُ . . . ولكن ما لي وللاعتراض على احكام الله فقد جئت لاقوم بما اقسمت عليهِ فيجب ان اتمم الامر وارجع للحال . ولما قالت ذلك تنهدت من كبدٍ حرى ومسحت بمنديلها الدموع المترقرقة في مآقيها وتقدمت الى باب القصر فقرعتهُ بلطفٍ فظهرت لها خادمة المنزل فقالت فلورا هل اللرد سسل شستر هنا قالت الخادمة نعم . قالت قولي

لهُ انني اودّ مواجهتهُ في امرٍ مهمّ اذا سمح لي بدقيقتين من وقتهِ . وخطر للخادمة ان تردّ فلورا من حيث اتت معتقدةً انها من طالبي الاحسان ولكنها رأت في هيئتها ما يدل على خلاف ذلك واثر فيها ما رأت على ملامحها من دلائل الانكسار فغيرت فكرها وقالت لها اتأذنين لي ايتها السيدة ان اذكر لهُ اسمكِ . فقالت فلورا لا مانع البتة ولكنني اعتقد انهُ لا يعرفني فاذا سألكِ فقولي لهُ فلورا هلفيلد

فقدمت الخادمة لها كرسيًّا ودخلت فما غابت الا القليل حتى عادت واشارت اليها بالدخول فمشت فلورا في تلك الاروقة الجميلة و بين الطنافس الحريرية الثمينة وهي كأنها لا ترى شيئًا غريبًا ولما اوصلتها الخادمة الى امام مكتب اللرد قالت لها هو هنا يا سيدتي فتفضلي بالدخول . ولما دخلت فلورا وجدت غرفةً فسيحة مزدانة بالصور والمكاتب العديدة وفي منتصف الغرفة مائدة قد جلس اليها فتى في الحادية والعشرين من عمرهِ جميل الصورة بهي الطلعة رشيق القوام . فلما وقعت عينهُ على الفتاة نهض فاستقبلها وقدّم لها كرسيًّا للجلوس . اما هي فانحنت تشكرًا ولم تجلس ثم قالت لهُ أأنت اللرد سسل شستر . قال نعم فهل من حاجةٍ اقدر ان اخدمكِ بها . قالت اشكرك ايها المحترم انما لديّ رسالةٌ اليك من اخيك جئت لاقوم بابلاغها . ورأت فلورا على وجه الفتى علائم الاستغراب ولكنها مضت في حديثها فقالت ان والدي توما هلفيلد قد قضى نحبهُ منذ ثلاثة ايام وقد استدعاني قبل وفاتهِ وعاهدني على سرير موتهِ ان اقصد اللرد سسل شستر واقول لهُ ان اخاك توما قد صفح لك عما اجترمت اليهِ وانهُ عند تركهِ هذا العالم الفاني يسامحك عن كل سيئاتك ويباركك. فقال اللرد اما انا فلا اخ لي واظن ان المقصود برسالتكِ هو المرحوم والدي الذي توفي منذ سنتين فقد كان اسمهُ كاسمي وكان يخبرني قبل وفاتهِ ان لهُ اخًا يدعى توما سافر قبل مولدي ولم يدرِ احدٌ اين مقرهُ . وأعلم ايضًا ان والدي اجتهد كثيرًا ان يعرف مكان اخيهِ المذكور واعلن ذلك في عدة جرائد فلم يحصل على طائل واخيرًا اعتقد ان اخاهُ اصبح في عالم الاموات فتغيرت حالتهُ وقضى ايامهُ الاخيرة في غاية الحزن والكآبة . واعلم ايضًا ان جدي كان يدعى هلفيلد فيظهر ان

اباكِ لقب نفسهُ بهذا الاسم كي لا يهتدي والدي اليهِ

وكانت فلورا تسمع كلامهُ ولا تفقه شيئاً ولم يرق لها الاسلوب الذي تلقى بهِ اللرد خبر وفاة عمهِ وعدم اهتمامهِ بالمسامحة التي جآءت بها فلما اكمل حديثهُ قالت اذاً لم يبقَ املٌ في ايصال كلام والدي الى محلهِ ولكنني قمت بما وعدتهُ وقد اديت رسالتي فاستأذنك في الذهاب . ولما قالت ذلك انحنت ثانيةً وهمت بالخروج . وكأن اللرد الفتى افاق من غفلتهِ فوثب اليها وأخذ بيدها وقال والى اين تذهبين يا ابنة العم وقد اصبحتِ ولا بيت لكِ . قالت بل الامر على عكس ما ظننت فان لي بيتاً كنت اقيم فيهِ مع والدي ولا ارى ما يدعوني الى البقآء هنـا . قال يدعوكِ الى البقآء هنا وجودكِ بين اسرة عمكِ الذين كانوا يجهلون وجودكِ . قالت اني لم ادرِ ان لي اقارب الامنذ بضعة ايام و يسهل عليّ نسيان ذلك كما يسهل عليك ايضاً ان تنسى هذه المقابلة فاسمح لي ان اذهب . قال لا لا . لا يمكن ذلك قبل ان تري شقيقتي متيلدا وتراكِ فربما كانت اقدر مني على استبقآئكِ . ولمـا قال هذا قرع جرساً فدخل الخادم فأمرهُ ان يدعو شقيقتهُ متيلدا وما غاب الا دقيقة حتى حضرت شقيقة اللرد وهي اصغر منهُ سنًّا واجمل شكلاً فعرّفها بابنة عمهِ وقص عليها ما جرى باختصار فوثبت متيلدا الى عنق ابنة عمها تقبلها ثم قالت لها اهلاً بكِ يا عزيزتي فلورا ان سعدنا سيكون كاملاً بوجودكِ معنا فتعالي اريكِ غرفتي وثيابي وصوري وخيولي و . . . فقطعت عليهـا فلورا قائلةً اشكركِ ايتها العزيزة فاني لا يساعدني الوقت على اطالة الزيارة ولا بد من ذهابي الا ن . وحاول سسل ومتيلدا ان يقنعاها بالبقآء فأبت او ان يصحباها في رجوعها فلم ترضَ فودعتهما وسارت تاركةً الاخوين يتباحثان في الامر و يعجبان من تصرفها . ثم قالت متيلدا لا بدّ من اتباعها وتغيير عزمها فانها وحيدة حيث هي ولا ينبغي ان نتركها هكذا ثم امرت فأحضروا لها عربتهـا فركبتها واندفعت بالسوط على الجواد حتى ادركت فلورا فألحت عليها ان تركب معها ففعلت واجتهدت ان ترجع بها الى بيتها فامتنعت ولما بلغتا الى منتصف الطريق استأذنت فلورا ابنة عمها في الانفصال فودع بعضهما بعضاً وافترقتا . وقالت متيلدا

اذا رأيتِ نفسكِ في حاجة الى شيء ايتهـا العزيزة فلا تتأخري عن ابلاغي اما انا فاذا شئت ان اكتب اليكِ فما هو عنوانكِ . فقالت فلورا بانكسار اني اسكن بيتاً حقيراً في شارع براند وهكذا افترقتا فعادت كلٌ منهما الى مقرها

وفي اليوم الثاني عادت فلورا الى اشغالها عند السيدة العجوز حسب العادة فقالت لها اين كنتِ امس يا فلورا فقد ذهبت لاراكِ فقيل لي انكِ قد خرجتِ . قالت نعم ذهبت الى بيت اللرد شستر لتأدية رسالة . قالت السيدة اني اعرف هذه الاسرة واعرف ان ابن اللرد شستر البكر بذَّر اموال ابيهِ وارتكب جرائم عديدة ثم سافر الى حيث لا يعلم احد وانقطعت اخبارهُ ولعلهُ مات . فتصاعد الدم الى وجنتي فلورا وقالت نعم انهُ مات منذ بضعة ايام ولكنهُ لم يكن كما تقولين فانهُ لم يرتكب اثماً ولم يأتِ منكراً وقد اتهمهُ الناس بأمور هو بريءٌ منها براءة الملائكة من شرور الناس . قالت ومن اين تعلمين ذلك . قالت انا اعلم الناس بوالدي . فتعجبت السيدة جدًّا وقالت قد يكون الامر كما ذكرتِ ولكن الاعتقاد العـام على ان توما شستر رجلٌ رديء لم يكن يستحق اسم اسرتهِ فغير لقبهُ . فنظرت اليها فلورا شزرًا وقالت الا تزالين تعتقدين هكذا وقد قلت لكِ انهُ بريء فما دمتِ لا تحترمين شرف الميت ولا تراعين عواطف ابنتهِ المنكسرة القلب فلست بباقيةٍ عندكِ بعد الآن وصممت على ترك شغلها . واشفقت السيدة على فلورا فألحت عليهـا بالبقآء وعدم العود الى هذا الموضوع فأبت وودعت السيدة وعادت الى بيتها . ومضت عليها عدة ايام وهي في ضيق عظيم لا تدري ماذا تفعل وكانت النقود القليلة الباقية معها تنفد شيئاً فشيئاً فرأت انهُ لا بد لها من استعمال الحكمة فتركت من بيتها غرفتين واكتفت بواحدة وسعت في البحث عن شغلٍ فلم تفلح فصارت توفر من دراهمها ما امكن حتى اذا فرغت عمدت الى بيع ما لديها من الاثاث فقضت ستة اشهر في اشدّ الضنك والضيق . وكانت تلك السنة قد اشرفت على النهاية فجلست يوماً على سريرها تندب سوء حظها وتذكر العام الفائت وما جرّ عليها من الويلات ثم جثت فصلّت الى الله ان يفتح عليها في السنة الجديدة بما ينسيها مصائبها او يأخذها الى

حيث سبقها والداها فتستريح من متاعب الحياة

واشرقت شمس اليوم الاول من العام الجديد وفلورا جالسة في غرفتها تندب شقآءها فان نقودها كانت قد نفدت ولم تذق طعاماً من امس ثم شخصت ببصرها الى السمآء فقالت لم تحسن حالتي يا الهي فكانك رأيت الاصلح لي ان تنقلني الى حيث ينتظرني والداي فها انا مستعدة لذلك . وكان الجوع والضعف واضطراب البال قد اثر فيها كثيراً وشعرت بانحلالٍ عظيم وغشيت بصرها غيمة كثيفة فلم تعد تميز الاشياء الموجودة امامها . . . واذا ببابها يقرع قرعاً خفيفاً فتحاملت على نفسها ونهضت الى الباب ولما فتحتهُ اذا امامها سسل ومتيلدا فرجعت الى الورآء مذعورة واثَّر فيهما ما رأياهُ من ضعفها وتهافتها فابتدرا اليها وامسكاها عن السقوط ولم يحتج سسل الى شرح ما المّ بابنة عمهِ فاسرع واحضر لها بعض القوت والمنعشات فلما عاد اليها شيء من قوّتها جلس وشقيقتهُ بجانبها وجعل كلٌّ منهما ينظر الى الآخر وينتظر ان يبتدئ بالحديث . واخيراً تقدم سسل وطوق عنق فلورا بذراعيهِ وقال لقد مرَّت علينا ايتها الحبيبة زيارتكِ الاولى كحلم ورأينا من نفوركِ عنا ما انسانا تلك المقابلة. وان والدي ترك لي بعد وفاتهِ اشغالاً كثيرة الهتني عن كل شيء وقد تفرغت اخيراً لترتيب البيت والاطلاع على اوراق والدي القديمة وكتبهِ وبينما انا افعل ذلك عثرت في مكتبتهِ على رقعةٍ باسمي كتبها بخطهِ وقد كتب عليها ان لا أفتحها الا بعد وفاتهِ. ولما قرأت الرقعة أطلعت شقيقتي عليها وصممنا ان نجدكِ وندفعها اليكِ فانها تختصّ بكِ دوننا وها هي . فتناولت فلورا الرقعة ولكنها لم تستطع قرآءة كلمةٍ واحدة منها لاستحواذ الضعف عليها فارجعتها وقالت لا اقدر الآن على مطالعتها . قال لا بد اذاً من اسماعكِ ما فيها ثم اخذ يقرأ لها الرقعة وكان فيها ما يلي

ولدي العزيز سسل شستر

اني القي اليك حقيقةً اخجل ان اطلعك عليها شفاهاً فكتابي هذا يظهرها لك بعد مماتي . ان الله رزق والدي ولدين هما اخي الاكبر توما وانا . وكان اخي عنوان الشهامة ومثال اللطف وكرم الاخلاق والدعة والطهارة وطيبة القلب وكنت انا مختالاً

مسرفاً مقامراً الا عهد لي ولا ذمام . وكان والدي يحب اخي ويمقتني فملت بالطبع الى كراهة اخي وكان هو يدافع عني ويزيدني حبّاً كلما زدتهُ بغضاً . وزين لي الشيطان يوماً فكتبت رسالةً عن لسان اخي صدّرتها باسمي كأنها مرسلة منهُ اليَّ ذكرت فيها كلاماً مؤلماً في حق والدي ورغبتي في تعجيل وفاتهِ والاستيلاء على ثروتهِ لانفاقها في بيوت العواهر والقمار . ثم اتيت اخي توما بعجلةٍ كلية فقلت لهُ اني استدنت من احد اصدقائي بضع ليرات وقد كتبت لهُ سنداً وطلبت من اخي ان يوقع باسمهِ على ذلك السند . ولم يكن يمنعني مثل ذلك لرقة عواطفهِ وما كان عندهُ من الحب لي فاخذ الرسالة المذكورة ووقّع عليها بامضائهِ دون ان يقرأها . ولما استوليت على هذا السلاح اطلعت والدي على الرسالة واخبرتهُ انني مهما اسرفت فاني لا اقدم على ما يقصد اخي ان يفعلهُ وزدت والدي كلاماً حملهُ على محو اسم اخي من اسرتنا وحرمانهِ حقوق اللقب والارث وطردهِ من البيت . وادرك اخي توما جلية الامر ولكنهُ آثر الاهانة والفقر على الاقتصاص مني وكانت الجرائد قد ذكرت الامر فسافر سرًّا مع زوجتهِ الى حيث لم يعلم احد قط . وكان والدي قد تأثر من هذا الامر تأثراً شديداً فاصابهُ مرض عضال عجل وفاتهُ بعد هذه الحادثة ببضعة اشهر . فلما صرت انا الوارث الوحيد واستوليت على جميع الاملاك والثروة عاد اليَّ عقلي فادركت فظاعة الامر وكان ضميري قد افاق بعد سباتهِ فجعل يعذبني ليلاً ونهاراً حتى صممت ان استدعي اخي واستغفرهُ واشهد امام العالم اجمع انني اخطأت اليه واعيد اليهِ كرامتهُ فبذلت ما في وسعي واعلنت في جميع جرائد العالم طلباً لمعرفة مقرّهِ فلم افز بطائل . فربما يكون قد بلغ اليأس منهُ فمات او انتحر ولكن لا بد من وجدان زوجتهِ او ولدٍ لهُ وهذا ما لا ايأس منهُ ما حييت . فاذا مت قبل ان ابلغ امنيتي هذه فاسعَ يا ولدي جهدك في تتميم رغبتي فاذا وجدت عمك او زوجتهُ او احداً من صلبهِ فابذل استطاعتك في ارجاعهِ الى دار اجدادهِ وانشر في العالم الانكليزي اجمع براءة عمك وأعد اليهِ كل املاكنا وثروتنا فانها حقٌّ شرعيٌّ لهُ ولستَ انت الا وكيلاً عليها الى حين رجوعهِ فكن اميناً وقم بحق وكالتك . واني احلفك بتربة

والدتك و بالدم الشريف الذي يسري في عروقك ان تفعل بموجب كتابي هذا فتكفّر عن سيئات ابيك وتباركك نفسي

والدك الشقي الحزين

سسل شستر

وكان الثلاثة كأن على رؤوسهم الطير فلما فرغ سسل من القرآءة نظر الى فلورا وقال قد علمتُ الآن معنى صفح والدكِ عن ابي على سرير موتهِ فانهُ كان ينتظر الى الدقيقة الاخيرة ان ينتبه ابي الى ما فعل و يصلح ما افسد حتى اذا وجد نفسهُ على شفير الموت ولا امل لهُ في البقآء سمح بالغفران وجعلكِ انت الرسالة حتى يرق قلب والدي ويعوض عليكِ ما فقدتهِ من حقوقكِ . ولكن ابت التقادير الا ان تجري على نظامها فها انا الآن اردّ عليكِ املاك ابيكِ فانت اللادي شستر صاحبة الارث الشرعية وما انا وشقيقتي الا فقيران. وكانت فلورا كمن ابتلي بالذهول فلما الح عليها سسل ومتيلدا ان تأتي معهما ليسلما اليها كل شيء حسب الوصية نظرت الى سسل بعينٍ يتقد فيها الحب وقالت ساكون صاحبة املاك شستر عملاً بارادة والدك فكن انت صاحبها ايضاً عملاً بارادتي . وفهم سسل مرادها فقال هذا ما ارجوهُ من الدنيا ولم اكن لاطمع فيـهِ بعد ما حصل اما وقد شئتِ ذلك فانا لك ما حييت ثم طوّقها بذراعيهِ وكانت متيلدا رافعةً يديها فوق رأسي اخيها وابنة عمها تباركهما وتطلب لهما الهنآء

وصمم سسل ان يعمل بارادة ابيهِ فينشر الامر في الجرائد فمنعتهُ فلورا واكتفت بأن يعلن برآءة ابيها وعودة ابنتهِ بعد وفاتهِ الى استلام حقوقها

وفي مسآء اليوم الاول من السنة الجديدة الذي استقبلت فلورا شمسهُ وهي على ابواب الموت كانت اللادي شستر على مائدة القصر والى يمينها خطيبها سسل والى شمالها ابنة عمها متيلدا يتناولون طعام المسآء ويعيدون ذكر حوادثهم فيترحمون على موتاهم ويوطنون النفس على احيآء محامدهم بما تصل اليهِ ايديهم من عمل المبرات والاحسان

اللغة العامّية واللغة الفُصحى

نشر بعضهم من سنوات رسائل متتابعة يدعو فيها علمآء العربية وكتّابها الى استبدال اللغة العامّية من الفُصحى واعتمادها في الكتب والجرائد وغيرها ورسم لها حروفاً جديدة تُكتَب بها هي الحروف اللاتينية وقد وضع لبعضها علامات خاصّة للدلالة على المقاطع التي لا صُوَر لها في اللغات الافرنجية . وقد انتهى الينا بعض ما نشرهُ من تلك الرسائل وفيهِ امثلةٌ من حكايات وغيرها باللغة العامّية المصرية كتبها بالحروف المذكورة فكانت نوعاً من الكرشوني (١) الا انهُ متفرنج كاكثر اهل الشرق في هذه الايام واذا قُرئت جاء لفظها اشبه بلفظ رجلٍ افرنجي يتعلم العربية ولا سيما في في امر الحركات التي عبّر عنها باحرف المدّ فاذا نطق بها العربي توهم سامعهُ انهُ يقلّد كلام احد الافرنج المقيمين في هذه الديار . واغرب من ذلك انهُ زعم ان تعلُّم هذه الحروف اسهل تناولاً على الأُمّي من ابنآء مصر وانها افضل ذريعةٍ لتعميم القرآءة في القطر وكانهُ توهم ابن مصر رجلاً من ابنآء امتهِ قد تعلَّم القرآءة بحروف لغتهِ فكان تعلُّم قرآءة العربية بحرفٍ يعرفهُ اسهل عليهِ واقلّ كلفةً من ان يتعلمها بحرفٍ جديد .. والاّ فان لم يكن بدٌّ لمتعلم القرآءة من ان يتعلم اشكال ثمانية وعشرين حرفاً فما الفرق بين ان يتعلمها بهذه الصورة او بتلك . وان قيل ان صورة الحرف الواحد تختلف احياناً بحسب موقعهِ من الكلمة قلنا وهذا ايضاً لا تخلو منهُ الحروف

---

(١) هو العربي المكتوب بالحرف السرياني

اللاتينية بل قد تكون صورتا الحرف الواحد فيها ابعد مماثلةً

على ان الامر طُوي من ذلك الحين ولم يصادف من احدٍ اهتماماً الى ان ظهر في هذه الايام كتابُ ألفهُ المستر وِلمُور احد قضاة محكمة الاستئناف الاهليـة على الطريقة المذكورة جمع فيهِ ما تسنّى لهُ من قواعد اللغة العامية المصرية على وجهٍ يقرّب من الاجنبي تناولها والتكلم بها . والكتاب في هذا الحدّ يُعَدّ ولا جرم خدمةً جليلة خدم بها قومهُ ولاسيما انهم بعد ان رسخت اقدامهم في هذه الديار لم يبقَ بهم غنىً عن تعلُّم لغة البلاد فاختصر لهم الطريق الى هذه البغية بحيث صار يمكن الانكليزي ان يتعلم العربية بحرف لغتهِ . ولهذا المعنى خصص هو وغيرهُ ممن عني بهذا الامر اللغة العاميـة المصرية وقد افصح بذلك صاحب الاجبشن غازيت فيما استهلّ بهِ كلامهُ عند ذكرهِ لهذا الكتاب حيث قال ما معناهُ « انهُ في مدة هذه التسع عشرة سنة (اي منذ حلول الانكليز في القطر المصري) حاول عدة اناس من الانكليز ان يضعوا مؤلفاتٍ لقواعد العربية المحدثة ومفرداتها » الى آخر ما ذكرهُ . ولكن المؤلف وبعض اخوانهِ ممن علّقوا التعاليق في الكتاب وممن قرظوهُ في جرائدهم لم يقفوا عند هذا الغرض من صنيع المؤلّف ولكنهم ذهبوا الى ما وراء ذلك من وجوب نسخ اللغة الفصحى من البلاد واحلال اللغة العامية مكانها مع كتابتها بالحرف اللاتيني على مثل ما ذهب اليهِ صاحب الرِسائل المقدَّم ذكرها . وحجتهم في ذلك ان اللغة الفصحى لغةٌ قديمة ميتة قد انقطع عهد الالسنة بها من زمنٍ مديد فلم تبقَ صالحةً لنشر المباحث والاكتشافات العلمية وانما تنتشر فوائد العلم

باللغة الحية التي تتفاهم بها الامة لا باللغة التي لا توجد الا في بطون الاسفار . واذا كان ذلك ووجب استبدال اللغة العامية من اللغة الفصحى لزم تبديل اشكال الحروف ايضاً لان حروف الهجآء العربية لا تؤدي الاصوات بتمامها اذ لا صورة بينها للحركات بل هي قد لا تؤدّي بعض اللفظ الجاري على الألسنة في اللغة العامية نفسها

وهناك سببٌ آخر وهو أن الاجنبيّ الذي يتعلم العربية يرى في كتبها الفاظاً لا يعرفها الا المتعلمون فضلاً عما يجد من الصعوبة في لفظها لما تقدم من عدم وجود صور الحركات مرسومةً في هجاء الكلمات على مثل ما هو الحال في لغات اوربا

ويؤخذ من كلام المؤلف وبعض الجرائد الانكليزية في القطر الايماء الى لزوم ادخال هذه الطريقة في المدارس اي مدارس الحكومة مع جعل التعليم اجبارياً بحيث انهُ لا يمضي زمنٌ قصير حتى يعمّ استعمالها في البلاد وتكون الضربة القاضية على اللغة الفصحى واسفارها

ولا يخفى ان الحجة الكبرى في ذلك كلهِ الفرق الذي حدث بين اللغة العامية واللغة الفصحى حتى صارتا في نظر الاجنبي كانهما لغتان متباينتان بحيث يتعذر على العاميّ فهم اللغة المكتوبة . ولكن ذلك وهمٌ دسّهُ على اولئك القوم الجهل بلغة البلاد لانهم لو كانوا يعرفون العربية كما يعرفها اهلها لعلموا ان معظم الفرق بين اللغتين مقصورٌ في الغالب على اهمال علامات الاعراب من اللسان العاميّ بحيث اصبح مسموع اللفظين متبايناً على الجملة . الا ان هذا انما تتنكر بهِ اللغة في سماع الاجنبيّ لا في سماع اهلها

الا ترى ان العامي منا لو سمع قائلاً يقول رأيت زيداً وجاء الرجلان والمؤمنون يذهبون لم يلتبس عليهِ لفظ زيد بسبب ما اتصل بهِ من التنوين ولم يجد فرقاً بين الرجلان والرجلين ولا بين المؤمنون والمؤمنين ويذهبون ويذهبوا وانما هذا كلهُ مما يشكل على الاجنبي الذي لم يتعلم الا لغة العامة. ومن اعظم الشواهد على ذلك ان العامة منا يقرأون ويسمعون الجرائد وكتب الروايات والاقاصيص الحديثة والقديمة من مثل سيرة بني هلال وعنترة واحاديث الف ليلة وليلة وغيرها ويفهمونها ويروونها مع ان جميعها مكتوبة باللغة الفصيحة . اجل لا ننكر ان العامي لا يفهم بعض لغة الحريري مثلاً والمتنبي ولا لغة امرئ القيس وعُبَيد بن الابرص الا ان مثل كلام هؤلاء لا يدخل في هذا البحث لان لغة الجاهلية قد أُهملت من زمن طويل فلا يكتب بها احد بل اصبح كثيرٌ منها مما لا يفهمهُ حتى الخاصّة ولغة الحريري نسجٌ مخصوص قُصد بهِ التفنن في اللغة والايغال في غريبها والتبسط في فنون البديع والاكثار من الاستعارات والكنايات وغيرها ولكن هذا لم يكن مطرداً في جميع كتاباتهِ بل لا تكاد تجد لهُ شيئاً منهُ في غير مقاماتهِ . وقس على ذلك رسائل الخاصة من مثل البديع والصابي والخوارزمي وهي ايضاً لغةٌ خاصةٌ لهم يتداولونها بينهم ويتأنقون في السجع ومذاهب البلاغة ولكنهم اذا كتبوا في غير ذلك من نحو رواية خبر او تقرير مسئلة كتبوا بغير هذه اللغة كما تشهد بهِ كتاباتهم الباقية الى اليوم . ومعلومٌ ان اللغة طبقات منها بعد عهد الجاهلية الكتابات التي تقصد بها الخاصة كالتي اشير اليها ومنها الكتابات التي تُلقى الى جمهور المتأدبين

مثل تعريب كليلة ودمنة واخبار الاغاني ومقدمة ابن خلدون وما في هذه الطبقة يُتأنق فيها ولا يُبلَغ بها حدّ الغرابة ومنها ما يُلقى الى العامة مثل كتاب الف ليلة وليلة وكتب النوادر والاقاصيص المختلفة وهي الكتابة الشائعة في المخاطبات والمعاملات ومنها كتابة الجرائد ونحوها في هذه الايام . وهذا النمط الاخير تفهمهُ العامة بتمامهِ ولا يقف دون فهمها لهُ تبديل بعض المقاطع مما تحرّف على ألسنتها وهو قليل او تغيير شيءٍ من هيئة بعض الكلمات بسبب الاعراب وهو لا يلزم الا نادراً واما اوضاع اللغة الاصلية من الاسمآء والافعال والحروف فهي في كلام العامة الالفاظ الفصيحة بعينها ما خلا الفاظاً قليلة من المرتجلة او المنقولة عن اللغات الاجنبية وهي لا تغير جوهر اللغة ولا تلقي عليها صبغةً اخرى

× والذي عندنا ان السبب الواقعي في هذه الحركة والداعي الى احداث هذا الانقلاب العظيم في الامة هو السبب المذكور آخراً وهو ما يجدهُ الاجنبي في اللغة المكتوبة من الالفاظ التي لا يفهمها الا المتعلمون وحينئذٍ كان يجد من نفسهِ انهُ لا بدّ لهُ من تعلم اللغتين جميعاً لانهُ لو تعلم اللغة العامية وحدها بقيت اللغة الفصحى مبهمةً عليهِ ولو تعلم الفصحى وحدها سمع من الفاظ العامة ما لا يفهمهُ لان ادنى تغيير في صورة اللفظة يقف حجاباً بينهُ وبين فهم معناها . والقوم لا يستغنون عن كلتا اللغتين احداها للمفاوضات اللسانية والمصالح اليومية والاخرى لفهم ما يُكتَب ولا سيما في الجرائد السياسية ولا نقول في اوراق الحكومة لان لهذه لغةً ثالثة لا تُعَدّ من هذه ولا تلك ونعني بها اللغة المعروفة بلغة الدواوين ... وهذه

لا نعلم باي طريقة ينوون ان يتداركوها

واما كون اللغة العامية اصلح لنشر المباحث العلمية فلعلهُ لا يخلو من الصحة والذي نقدّرهُ من معنى هذا القول انهُ لما كانت هذه اللغة فاقدة الروابط والفاظها غير مقيَّدة باوزانٍ محرَّرة ولا معرَّضة للحركات الاعرابية كالصيغ الفصيحة كان من الممكن ان تُدخَل فيها جميع الالفاظ الاعجمية المستحدثة في العلم والصناعة وغيرهما من غير حاجةٍ الى وضع مرادفاتٍ لها من العربية او افراغها في قالبٍ من قوالب التعريب وحينئذٍ تكون منزلتها من هذه الجهة منزلة اللغة التركية في هذه الايام . وهذا ولا جرم من الامور التي ينبغي لكل عربيٍّ ان يعيرها نظرة اهتمام فان اضطرارنا الى ادخال علوم العصر في مدارسنا مما لا كلام فيهِ ولكن اكثر مصطلحات تلك العلوم لا لفظ لهُ في لساننا لانهُ مما استُحدِث بعد انقطاع عهد العلم عند العرب بل ربما نشأ هناك فروعٌ من العلم لم يكن لها رسمٌ عندهم ولا عرفوا شيئاً منها كالكهربائية والبخار وغيرهما فضلاً عن العلوم التي تبدَّل رسمها كالكيمياء والهيئة وفضلاً عن اسماء الآلات والمصطلحات الصناعية بحيث كان اكثر اللغة العلمية مما لا مرادف لهُ عندنا واصبح لا يمكن التعبير عنهُ الا باحد وجهين اما بان نستخدم الالفاظ الاعجمية عينها وهي تباين الاوضاع العربية في اوزانها ومقاطعها فتؤدي الى تشويه وجه اللغة وافساد محاسنها واما بان نتكلف تعريب بعضها ووضع مرادفاتٍ للبعض الآخر وهذا على ما نرى لا موضع لهُ اليوم مع انقطاع ائمة اللغة عندنا الى بعض صحف الاوائل ينقّبون في خلال سطورها ويبحثون عما تحت الفاظها

وحروفها من المغازي والاسرار ومع اشتغال الكتّاب منا بتقويم أود السياسة والذود عن حياض الشرق بأسنّة اقلامهم الماضية ..... (وما دام اصحاب اللغة نائمين عن الاهتمام بسدّ ثُلَمها والمصير بها الى مجاراة لغات العصر فهي ولا محالة صائرةٌ الى اقبح مما اشار بهِ مؤلف الكتاب ومَن على رأيهِ بحيث ان اللغة العلمية ولغة الحديث ستصبح كلتاهما فرعاً من المالطية ولا تبقى اللغة الفصحى الا في الجوامع والمحاكم وهذا معنى موت اللغة لا توصف اللغات الميتة بغير ذلك . فان كانوا راضين بهذا فهو متسنٍّ لهم من اليوم ولا نرى وجهاً لاعتراض بعض الجرائد على صاحب الكتاب فانهُ قد صدقنا النصيحة ولم يُشِر الا بما يعود الى ترقية عقول الامة والا بقي ابن الشرق في القرن العشرين كما كان البدويّ في زمن الجاهلية)

واما مسئلة الكتابة وعدم وجود صورٍ لاصوات الحركات في رسم الهجاء العربي فمما لا يُبالَى بهِ بالقياس الى الامة نفسها ان كان النظر اليها مجرداً ولو كان من اصعب العقبات بالقياس الى الاجنبيّ الذي يروم تعلم اللغة والقرآءة في كتبها . وهذا على الحقيقة من المشاكل التي يعسر حلّها لان للحركات عندنا مقادير لا تتعداها فاذا رُسمت بالحروف كما هو الشأن في اللغات الاوربية جآء لفظ الكلمات منكَّراً وربما التبس بعضها ببعض فلم يبقَ فرقٌ بين سَلِم مثلاً وسالِم وسليم اذ يكون بعد السين الف و بعد اللام يآء في الشكل وقد يجيء ما هو انكر من ذلك كما في مثل قتَل وقاتَل لما هناك من الاختلاف الفاحش في المعنى وحينئذٍ لا يبقى غنىً عن وضع علاماتٍ تميز الحركة من الحرف فعاد الامر الى الشكل وهو يغني وحدهُ

بدون الحروف . وذلك فضلاً عما في التزام التحريك في الرسم سوآء كان بالحرف العربي ام اللاتيني من اطالة هجآء الكلمات واقتضآء الكتابة زمناً اطول الى ضعفٍ آخر في الاقلّ . فجملة ما يقال ان الحركات في العربية لا تُكتَب الا بصورة حركات لان لفظها ليس لفظ الحروف الكاملة ولا هي داخلة في بنية الكلمات وانما الغرض الاصلي منها الانتقال من مقطع الى مقطع لكن غاية ما هناك انهُ يمكن استنباط طريقة تمكّن المطابع من وضع الحركات على وجهٍ اسهل وحينئذٍ لا يُشكَل الا الحرف الذي يمكن التباسهُ ولو على الاجنبي فتكون مطبوعاتنا على مثال بعض الكتب التي تُطبَع للتعليم في المدارس وان كان الامر على كل حال فيهِ من الصعوبة ما فيهِ ×

بقي انهُ على تقدير خروج هذا الرأي الى الفعل فان ما يتخلص منهُ الاجنبيّ يقع فيهِ الوطنيّ بل يقع في اشدّ مضضاً منهُ على ما سنذكرهُ . ونعني بالوطني هنا المسلم الذي هو العنصر الغالب في البلاد فانهُ مع تعليمهِ قواعد اللغة العامية لا يستغني عن تعلم اللغة الفصحى لإِحكام قرآءة القرآن وتلقّي الحديث وفهم نصوص الشرع المبنية عليهما ولا بدّ لبلوغ هذه المنزلة من قرآءة كتب النحو والبيان واللغة وسائر علوم الادب . وهذه كلها ان لم يتعلمها في مدارس البلاد لزمهُ ان يتعلمها في مدارس اخرى خاصة او يدرسها في منزلهِ وكلاهما لا يستطيعهُ الا الاغنيآء فضلاً عما فيهِ من المشقة واضاعة الزمن . وكذلك يلزمهُ ان يتعلم قرآءتين احداهما بالحرف العربيّ لتلاوة القرآن لانهُ لا يجوز لهُ ان يكتبهُ بحرفٍ اجنبي الا عند الضرورة على خلاف والاخرى بالحرف اللاتيني المصطلح عليهِ في البلاد

لمطالعة ما يُنشَر فيها من الكتب والجرائد ولدراسة العلوم العصرية التي يرام كتابتها باللغة والحرف المذكورين على ما اشير اليهِ في التأليف ولا نخال التسليم بذلك كلهِ من الامور المستسهلة . ومن هنا يعلم المؤلف وغيرهُ ان العربية لا تقاس في ذلك بالطليانية واليونانية اذ ليس في هاتين اللغتين شيءٌ من الامر الديني الذي اشرنا اليهِ بل فيما حدث اخيراً في امر ترجمة الانجيل الى اليونانية الحديثة عبرةٌ كافية مع انتفآء المحذور الذي ذكرناهُ . وبقي ورآء ذلك كلهِ ما يترتب على هذا الانقلاب من الخسران الجسيم بضياع ما لا يُحصَى من كتب العلم والتاريخ وغيرهما بحيث يتعذر نقل هذه الكتب باسرها الى الحرف الجديد ولا يبقى سبيلٌ للاعقاب الى تناول ما فيها اذا تغير الحرف الذي يقرأون بهِ . ولذلك فالذي نراهُ لواضعي هذه الطريقة ان يقتصروا فيها على تعليم الاجنبيّ لغة البلاد ولا يتجاوزوا الى ما ورآء ذلك من التبديل في شؤون الامة فان محاولة هذا الاحداث فيها ليس في شيءٍ من الحكمة ولا هو من الامور التي يساعدها الامكان

المرأة

بقلم حضرة الكاتب نجيب افندي ماضي

(تتمة ما سبق)

على ان العلمآء مختلفون في امر الحجاب وقد ظهر من مناقشاتهم فيهِ انهُ لا يوجد نصٌّ صريح يوجبهُ او يحدّدهُ تحديداً واضحاً والروايات عن الصحابة وأئمة الدين في ايجابهِ وتركهِ مختلفة ايضاً وحينئذٍ فالامر عائدٌ الى رأي كل

فردٍ من الامة وهواهُ فمن مال الى التشديد في الحجاب لم يعدم ما يؤيد رأيهُ وكذلك من مال الى تركهِ والتساهل فيهِ يجد من النص والعادة ما يبيحهُ . ومهما يكن من هذا الامر فليس من ولايتنا الدخول فيهِ فنتركهُ لاربابهِ وانما نوجه كلامنا الى ما أُلف من معاملة المرأة الشرقية مسلمةً أو غير مسلمة مما قضت بهِ العادة والاستمرار حتى صار من الامور الراسخة في هيئة المجتمع الشرقي

وقد عُلم مما تقدم لنا من تاريخ المرأة على العموم انها كانت منذ وجودها محتقرةً مهانة لا تُعتبَر الاّ بمنزلة خادمٍ للرجل او بمثابة آلةٍ صماء يديرها كيف شاء وشاءت اهواؤهُ لانهُ رآها كائناً ضعيفاً فتسلَّط عليها تسلطهُ على ما حولهُ من الخلائق التي هي اضعف منهُ قوةً واستبدّ عليها حتى في شؤونها الخاصة . فكانت معاملتهُ لها بذلك مما جعلها في حالةٍ لا تستدعي تنبهُّ قواها العقلية لما كان عليها من الضغط والاستبداد واعتزال كل ما يقتضي إعمال الفكر في الامور ويورث الخبرة واتساع نطاق المدركات . وهذا عينهُ هو الذي اوقع في اعتقاد الرجل انها دونهُ عقلاً واستعداداً لادراك الامور ولذلك لم يكن يعاملها الا معاملة القاصر ولا يفوض اليها شيئاً من المهمات حتى فيما تحت ولايتها من التربية وسائر الامور البيتية التي خُلقت لها وجعلتها الطبيعة قيّمةً عليها . وتتابعت عليها العصور الطويلة وهي في هذه الحال محرومةٌ حرية الرأي والعمل مكرَهةٌ على الانقياد الى مشيئة الرجل واقفةٌ تحت رحمة قضآئهِ حتى انتهت الى ايامنا الحاضرة بعد ان اضناها الاستعباد واثقلها الظلم والاستبداد واشرق عليها نور العلم والحرية بما

بصَّرها بحقوقها واطلق لسانها من اعتقالهِ فوقفت رافعةً دعواها ناطقةً بحجتها مطالبةً بما سلبها الرجل من الحقوق التي وهبها لها الخالق واظهرت من قوة برهانها ما حمل الرجل على التسليم بمطالبها والاخذ بيدها حتى وصلت الى ما هي عليهِ من مساواة بعض افرادهِ وتقدمها على البعض الآخر

اجل لا يُنكَر ان القوى العاقلة في المرأة على العموم اضعف مما هي في الرجل ولكن هذا الضعف يرجع الى مثل ما ذكرناهُ من قلة مزاولتها للامور العقلية وانحصارها منها في نطاقٍ ضيّق لانها وان خَرجت من تحت سلطان الرجل فلن تخرج من تحت سلطان الطبيعة التي جعلت لها من مشاغل الحمل والوضع والتربية وتدبير الاحوال البيتية ما لا قِبَل لها معهُ بالتفرغ لمزاولة المدارك العقلية والتوسع في المباحث العلمية والصناعية والخوض في الامور السياسية والقضائية . ولكن هذا لا ينفي انها كائنٌ بشريٌّ عاقل متصف باوصاف مقابلة لاوصاف الرجل وان فيها استعداداً للاشتغال بذلك كلهِ لو تسنى لها التفرغ لهُ وفيما اشتهر من الدرجة التي وصلت اليها بعض نسآء اوربا واميركا مما تقدم لنا الالماع اليه ما لا حاجة معهُ الى برهان .

فالمرأة اذن جديرة بان يُعتنَى بها ويُحرَص على تربيتها وتثقيفها اولاً لتكون سعيدةً في هذه الحياة عارفةً من احوالها ما تستطيع ان تجني نفعهُ وتتقي ضررهُ وليسعد الرجل بمعاشرتها ويجد فيها شخصاً جديراً بمساعدته على قطع مراحل العمر ومساهمتهِ في افكارهِ وملذاتهِ العقلية وتعزيتهِ عند وقوع المكاره . وثانياً لانهُ عليها يتوقف حال خلفهِ من بعدهِ وما يكون من سعادتهم وسعادة الوطن بهم واحيآء ذكره بما اذا ترك الدنيا تركها وهو

قرير العين مطمئنّ البال بانهُ قد استخلف على مالهِ وشرفهِ من يحافظ عليهما ولا يكون سبباً في هدم مجدهِ واضاعة جهدهِ . واذ كانت هذه منزلة المرأة من المجتمع الانساني وعليها يتوقف حال الهيئة على الخصوص والعموم وفي الحال والاستقبال وجب ان يُفرَغ الجهد في تثقيفها وتهذيبها وان يُطلَق لها العنان في تحصيل كل ما امكنها من العلوم والفنون لا بقصد ان تنقطع لمزاولة تلك العلوم والتكسب بها بل لتستعين بها على اتمام وظيفتها من مشاركة الرجل في آرآئهِ واحسان تربية ابنائها والقيام على شؤون منزلها والاقتصاد في نفقات المعيشة والابتعاد عن اخطار الجهل واجتناب الرذائل والتمسك بعُرى الآداب والفضائل اذ لا يخفى ما للجهل من الاخطار التي يقع فيها الانسان ذكراً كان ام انثى وذلك لقصورهِ عن ادراك الحقائق فيرتكب ما يحرّمهُ الدين والآداب وهو يجهل حقيقة ما يرتكبهُ وما يترتب عليهِ من العواقب

على ان المدارس مهما ارتقت واتسعت لا تلقن التلميذ كل ما يلزمهُ للسلوك بين اهل المجتمع بحيث يستطيع ان يكون فيهِ عضواً ذا فائدة ويأمن ان تسري اليهِ ادوآء غيرهِ من الاعضاء الفاسدة لان وظيفة المدرسة ان تفتح عيني الطالب حتى يبصر بهما ما يراهُ بعد خروجهِ منها ولكن ليس في وسعها ان تصف لهُ كل ما سيمرّ بهِ من الامور النافعة والضارّة وانما تلك امورٌ يستفيدها بالمعاشرة والمطالعة ولذلك لا بد لهُ من مخالطة اهل العلم والذوق وانتياب المجالس الادبية ومزاولة البحث والتنقيب بنفسهِ كلما استطاع الى ذلك سبيلاً . وانظر في ذلك الى غالب التلامذة القريبي العهد بالخروج

من المدارس فانهم مع احرازهم القدر الكافي من العلوم التي درسوها يكونون اغراراً في الامور الاجتماعية قد تجوز عليهم ابسط الخُدَع واظهرها للمجرَّب الذي عرك الحوادث وسبر اخلاق الناس واحوالها . وما يقال في ذلك عن الرجل يقال عن المرأة فان الدروس العلمية وحدها غير كافيةٍ لها ولكن لا بد من اختبار العالم بعد احرازها حتى تستطيع ان تتخذها آلةً لتصرُّفها والا كانت تلك الدروس بمنزلة رأس مالٍ واسع في يد من لا يحسن التجارة ولم يختبر احوالها وكيفية الاتجار باموالهِ

واما سلطة الرجل على المرأة واستواؤهُ رأساً لها وقيّماً عليها فذلك مما سنَّهُ جهل المرأة في الازمنة الاولى وقصورها عن سياسة نفسها بحيث كان مثلها مثل الولد القاصر يكون كل تدبيرهِ موكولاً الى والدهِ او وصيّهِ لانهُ لا يحسن القيام بامور نفسهِ . وهذا هو عين السبب في بقاء المرأة الشرقية تحت ربقة سلطان الرجل بخلاف الاوربية والاميركانية ولكنها متى تعلمت ورشدت فانها تحرر من تلقاء نفسها لانها تظهر للرجل بمظهرٍ من المعرفة والذوق والكفاية في الامور يدعوهُ الى احترامها وتكون قادرةً على القيام بشؤون نفسها ومشاطرتهِ اتعابهُ بحيث تكون لديهِ بمنزلة الشريك المعاون على مهمات الحياة لا بمنزلة القاصر الذي يحتاج الى تدبير غيرهِ لهُ . وقد شرعنا نرى في بلادنا مبادئ ذلك في اللواتي خرجنَ من المدارس فهنَّ عائشاتٌ مع ازواجهنَّ مكرَّماتٍ سائداتٍ في منازلهنَّ ومع ما نرى من تنبه الشرقيين في اكثر الاصقاع الى تعليم الاناث وتثقيف عقولهنَّ فان حرية المرأة عندنا ستنتشر شيئاً فشيئاً وبذلك تزداد البلاد ضعف عدد العاملين

في انهاضها حساً ومعنىً وتنتشل الامة من وهدة الخمول والجهل الى قمة المجد والعرفان

الكمأة

هي هذا النوع من النبات الذي يؤكل شبيه المنظر بالقلقاس الافرنجي الا انهُ لا ساق لهُ ولا عروق وهو يختلف من حجم الجوزة الى حجم البيضة . قال في تاج العروس هو نباتٌ ينقّض الارض فيخرج كما يخرج الفُطر وقيل هو شحم الارض والعرب تسمّيه جُدَريّ الارض . وقال ابن البيطار هو اصلٌ مستدير لا ورق لهُ ولا ساق لونهُ الى الحمرة ماهي ويوجد في الربيع ويؤكل نيئهُ ومطبوخهُ

والكمأة اصناف فمنها ما يكون لونها الى السواد وهي اجودها واليها ينصرف اللفظ عند الاطلاق ومنها ما يكون لونها الى الحمرة ويقال لها الجبء او الى البياض وتسمى الفقع . قال ابن البيطار الفقع شيءٌ يكون تحت الارض بقرب المياه وهو مدوَّر ابيض اكبر من الكمأة يوجد في الارض وكل واحدةٍ منهُ قد شُقِّقت ثلاث او اربع قِطَع الا ان بعضها ملتصق ببعض . وقال ابو حنيفة الفقع يطلع من الارض فيظهر ابيض وهو رديءٌ والجيّد ما حُفر عنهُ واستُخرج . اهـ . ومنها صنفٌ رابع يسمى بنات أَوبَر وهي صغار الكمأة تكون ذات زَغَب ولا طعم لها ولا رائحة وهي رديئة عسرة الهضم

والكمأة توجد في جميع انحاء الارض وتنبت في الاراضي الرطبة

الصلصالية التي يخالطها رمل وبين اشجار السنديان والشاهبلّوط وتكون على عمق ١٥ الى ٢٥ سنتيمتراً . اما كيفية تكوُّنها فقد تشعبت فيها الاقاويل لانها لا بزر لها ولا جذور ولا يظهر لها شيءٌ من سائر اعضاء النبات ولذلك قال القزويني انها تنطبخ في اعماق الارض كما تنطبخ الجواهر . وتذهب العامةّ عندنا الى انها تتولد من الرعد ونقل مثل هذا القول عن العامةّ في اوربا ايضاً وهو عجيب والظاهر ان الحامل عليهِ ان هذا النبات يوجد في زمن الربيع وهو الاوان الذي تكثر فيهِ الصواعق والرعود ولذلك يزعمون ان السنة التي لا يكون فيها رعد لا تنبت فيها الكمأة . وزعم بعض العلماء المتأخرين انها تنشأ من وخز بعض الهوامّ للجذور الشعرية من شجر السنديان فتتكون في موضع الوخز سِلَعٌ اي هناتٌ ناتئة على الجذر كما يتكون مثل ذلك على اوراق بعض الشجر واغصانهِ بمثل هذا السبب ومقتضى هذا القول ان الكمأة تتكون من عصارة السنديان وهو مستبعد . وقال غيرهُ انها تتولد من حويصلاتٍ دقيقة تنفصل من كبارها على حدّ ما يتولد اكثر اصناف الفُطر وهذه الحويصلات تتعلق على جذور السنديان فتمتصّ غذاءها منها الى ان تكبر ولذلك تكون على الغالب في جوار هذا الشجر او في جوار شجر البندق وقد توجد على جذور الشاهبَلّوط والزان والحور والدُلب وغيرها . والظاهر انها لا تغتذي في اول امرها الا من صغار الجذور لانها كلما كبرت الشجرة انفرج نطاق الكمأة حولها وتباعدت عن ساقها

اما استنبات الكمأة بالطرائق الزراعية فقد زاولوهُ على عدة اوجه كان

آخرها وانجحها استنباتهُ بواسطة السنديان اي بان زرعوا ثمرهُ المسمَّى بالبلّوط فلما نبت ونمى ظهرت الكمأة على جذورهِ وهي تُستنبت اليوم بهذه الطريقة في كثيرٍ من البلاد ويكون عنها غلالٌ وافرة . اما كيفية زرع البلوط فانهم يأخذونهُ من السنديان الذي سبق نبت الكمأة بجوارهِ ويُختار ان يكون من شجرة قد كثر نبتها حواليهِ مع النظر في صنف الكمأة بحيث لا يكون من الاصناف الرديئة . ويُزرَع في اول الربيع في ارضٍ كلسية على خطوطٍ متجهة من الشمال الى الجنوب يُجعَل بين كل خطين منها مسافة ٥ او ٦ امتار ويكون بين البلوطة واختها على الصف الواحد نحو ٥٠ سنتيمتراً ويُستحَبّ ان يُجعَل حول الحبّة عند زرعها شيءٌ من تراب المكمأة اي الموضع الذي تنبت فيهِ الكمأة . وتُفلَح الارض فلاحة غير عميقة تكرَّر مرّتين في السنة في الربيع والخريف على مدة خمس او ست سنوات الى ان تبدأ الكمأة بالظهور وبعد ذلك تُفلَح مرةً واحدة في السنة في الربيع

اما جنى الكمأة فيستخدمون لهُ الكلاب يؤدّبونها على ذلك بان يخبأوا للكلاب قطعةً من الكمأة يغطونها بالتراب ويجعلون معها قطعة شحم فاذا وجدها تركوا لهُ الشحمة حتى يصير بعد ذلك اذا شمّ ريح الكمأة في موضعٍ يأخذ في بحث التراب فيُعرَف مكانها . ومنهم من يستخدم في ذلك الخنازير وهي اشدّ شمّاً من الكلاب حتى تشمّ رائحة الكمأة على بعد ٥٠ متراً. وقد يُستدَلّ عليها بعلاماتٍ في الارض كتشقق ظاهرها او حوم بعض الذباب عليها وغير ذلك مما يُعرَف بادمان الاختبار

اصلاح العاهات الجسمية

من المشهور في اعمال الجراحة انهُ اذا حدثت عاهةٌ في بعض اعضاء الوجه ولا سيما في الانف بان يتأكل لمرض او يُهشَم بضربةٍ او سقطة يصلحون ذلك الموضع بان يلحموا عليهِ قطعةً من جلد سائر البدن على نحو طريقة التطعيم في الشجر . وهذه الطريقة قديمة العهد جدًّا قيل واول من استعملها اهل الهند لان حكامهم كانوا يعاقبون المجرمين بقطع الانف او الاذن او الشفة فكان المجرم يجهد في اصلاح ما قُطع منهُ اخفاءً لأثر العقوبة . وكانوا اولاً يردّون العضو المقطوع بنفسهِ فيلتحم فلما رأت الحكومة ذلك امرت بالقاء العضو بعد قطعهِ في النار حتى لايبقى سبيلٌ الى ردّهِ فاصطلحوا على ان يعوّضوهُ من جلد سائر البدن ولاسيما جلد الجبهة وهي الطريقة الهندية . ثم انتقلت هذه الطريقة من الهند الى فارس وسائر البلاد الآسَوية وكانت معروفةً عند اليونان والرومان ايضاً ثم أُغفلت في القرون المتوسطة فلم يبقَ من يعانيها الى ان جُدّدت في القرن الخامس عشر في ايطاليا على يد عشيرةٍ مشهورةٍ بالجراحة تُعرَف بال برَنكا لكنهم اصطلحوا على ان يأخذوا الجلد المطعَّم بهِ من غير الجبهة واكثر ما كانوا يأخذونهُ من الذراع وهي الطريقة الطليانية . واصطلح بعضهم لتخفيف هذه المؤونة المضاعفة على الشخص المشوَّه ان يستعيضوا في بعض الاحوال بجلد الضفدع الا انهم وجدوا هذه الطريقة لا يطَّرد نجاحها فاهملوها

ومهما يكن فان هذا العمل من الاعمال الدقيقة الصعبة لانهُ يستلزم

اولاً صنع قالب للانف يوافق شكلهُ يؤخذ من طرف عظم الجبهة وبعد ان يُحكَم وضعهُ في مكانهِ يغطى بقطعةٍ من جلد الجبهة او غيرها تُخاط وتُترك الى ان تلتحم ولا يكون ذلك في اقلّ من ٢٥ يوماً . وقد يتفق انهُ بعد ان يتمّ العمل كما ذُكر لا يثبت الانف على شكلهِ لان العظم الذي يوضع هناك كثيراً ما يُمتصّ ثم يرقّ الجلد الذي عليهِ ويضمر فيرجع العضو مشوَّهاً

وقد ورد في هذه الايام في بعض المجلات العلمية ان جرّاحاً من اطباء فينّا يقال لهُ المسيو جرسوني وُفّق الى استنباط طريقةٍ هي اسهل بما لا يقاس واثبت نجاحاً من الطريقة المتقدمة وذلك باستخدام الشحم المعدنيّ المعروف بالڤازلين . وكيفية استخدامهِ انهُ يعمد الى الانف الذي فيهِ انخسافٌ خلقيٌّ او طارئٌ بسبب من الاسباب ويحقن تحت الجلد في الموضع المشوَّه مقدار سنتيمترين او ثلاثة سنتيمترات مكعبة من هذا الشحم بعد ان يسيّلهُ بالحرارة فيتمدّد جلد الانف عند دخول الشحم تحتهُ ويرتفع . والشحم المذكور يجمد على ٢٧ درجة من الحرارة وهي الحرارة الطبيعية للجسم فاذا تمّ الحقن بهِ لا يبقى الا ان تسوَّى هيئة الانف في اثناء تبرُّدهِ الى ان يصير على الشكل المُبتغَى وحينئذٍ يكون منظرهُ طبيعياً كاملاً

وقد تبين من امتحان هذا الشحم في بعض الحيوانات انهُ لا يمتصّهُ الجلد ولكن يبقى في مكانهِ وفضلاً عن ذلك فانهُ ينشأ حولهُ وفي خلالهِ نسيجٌ من المادة الحية يشبه الخيوط المشتبكة فيكون كنوعٍ من اللبّاد قد مُلئت خلاياهُ بالشحم المعدني وهذا مما يدل على ان العضو بعد معالجتهِ بهذه الطريقة يثبت على الهيئة التي يُصلَح عليها ولا يُخشَى ان يطرأ عليهِ تغيير

وقد روت لهُ المجلة المذكورة عدة اعمالٍ غريبة منها ان ولداً استؤصل احد جانبي فكهِ الاعلى على اثر حدوث سرطانٍ فيهِ وبعد التئام الجراحة قَصُرَ ما حولها من الجلد واجتذب جفن العين الاسفل فبقيت المقلة مكشوفة بحيث كان مع تشوُّه منظرهِ لا يؤمن ان تتلف عينهُ . فحقنهُ في موضع الجراحة دفعاتٍ مكررة حتى امتلأ الموضع وتكوَّن لهُ هناك فكٌّ جديد وارتدَّ الجفن الى موضعهِ . ومنها ان فتاةً كان بها نقصٌ في غار الفم بحيث لم تكن تستطيع ان تلفظ الجيم الحلقيـة لان اللهاة كانت اقصر من ان تبلغ الحلق فحقن لها غشآء الغار بالشحم فقربت اللهاة ثم اعاد الحقن تحت الغشآء المخاطي من الحلق فهبط فاستقام لفظها . وروت لهُ غير ذلك مما لا نطيل بهِ ومما ان صح كانت لهُ فوائد لا تحصى وكفى اصحاب هذه العاهات آلام الاعمال الجراحية وخطرها

اصل الروم الملكيين

هو البحث الذي خاض فيهِ بعض الآبآء اليسوعيين منذ حين وما برحوا يجهدون في استنزاف قرائحهم واستفراغ مبلغ علمهم لاستنباط ادلةٍ من التأريخ تثبت ان الملكيين ليسوا من اليونان او تثبت ان مع اليونان غيرهم كانوا يلقبون بهذا اللقب . فهم تارةً يذهبون الى ان الروم الملكيين في سوريا اصلهم من السريان كما تقدم لنا نقل ذلك عنهم في بعض الاجزآء السالفة من هذه السنة وتارةً يذهبون الى ان جميع القائلين بالطبيعتين — ومعلومٌ ان السريان ليسوا منهم — كانوا يلقبون بالملكيين . وهو لعمر

الله من غريب البحث بل من غريب الخلط الذي لا يصدر مثلهُ الا عن امثال اولئك العلماء ... على ان رجوعهم الى هذه المسئلة بعد ما افرغ كنانة البحث فيها حضرة العالم الفاضل الخوري قسطنطين الباشا في كتابهِ الذي اشرنا اليهِ من عهدٍ قريب لا يُعَدّ الا ضرباً من المكابرة بل فناً من فنون التمويه الذي عُرف بهِ اولئك الآباء في جميع مباحثهم ولعلّ ذلك من قواعد سياستهم « الجزويتية » لاعتمادهم فيها على تغرير العقول الضعيفة وتضليل الاذهان الواهنة لسرٍّ يعلمهُ الخبير بامرهم البصير بما يفعلون ...

وقد وردتنا الرسالة الآتيةَ من حضرة الاب الفاضل الخوري انطونيوس اسعد الباسيلي المخلصي يفنّد فيها ما جاء اخيراً في بعض اجزاء المشرق من هذا البحث فاثبتناها بنصها وهي هذه . قال حفظهُ الله

قرأت في العدد الرابع والعشرين من المشرق من سنتهِ الرابعة انتقاداً على مؤلَّف حضرة الاب الفاضل الخوري قسطنطين الباشا الذي عنوانهُ « بحثٌ انتقادي في اصل الروم الملكيين ولغتهم » اورد الكاتب حجتهُ فيهِ بصورة قياسٍ اقتراني يقول فيهِ ما هو بالحرف . « قد اجمع كل المؤرّخين على ان الملكيين هم الذين تبعوا المجمع الخلكيدوني . والحال ان تبعة المجمع الخلكيدوني كانوا من شعوب وعناصر و بلاد مختلفة . فاذن ليس الملكيون من اليونان فقط » . وانا لا اتعرض هنا للبحث في اصل القضية التي بُني عليها هذا الانتقاد فان في المؤلَّف المشار اليهِ ما يكفي لبيان الحقيقة بالنصوص الواضحة المأخوذة عن اكابر المؤرّخين وثقاتهم ولكنني استأذن حضرة منشئ المشرق ان انتقد هذا القياس واظهر ما فيهِ من مخالفة الواقع دفعاً لما ينشأ

عنهُ من الشبهات عند من لم يقف على النصوص التاريخية

وذلك انهُ عرَّف الملكيين في مقدّمتهِ الاولى التي هي الصغرى بانهم « هم الذين تبعوا المجمع الخلكيدوني » فدخل في هذا التعريف كل من تبع المجمع المذكور من الطوائف الشرقية والغربية على الاطلاق . ثم ما كفاهُ ذلك حتى زعم ان هذا القول « قد اجمع عليهِ كل المؤرّخين » (كذا) والصحيح كما لا يجهلهُ الكاتب نفسهُ ان لفظ الملكيين لم يُطلَق على احدٍ سوى اليونان الذين في سوريا ومصر سماهم بهِ السريان والقبط اصحاب الطبيعة الواحدة في البلادين المذكورتين لانقيادِهم لامر الملك مركيانوس الذي عضد احكام المجمع الخلكيدوني وامر بتنفيذها . وذلك انهُ لم يتبع المجمع المذكور في هذه البلاد سوى اليونان او الروم ولذلك اختصّوا بهذا الاسم ولم يزالوا معروفين بهِ الى اليوم كما لم يزل اليعاقبة معروفين باسم السريان والقبط وفي ذلك ما يدل على ان العامل الاعظم في هذا الانقسام كان التعصب الجنسيّ الباقي الى يومنا هذا حتى بين الطوائف الكاثوليكية . ولا يخفى ان اللفظة المذكورة كلمةٌ سريانية عربية ومن المعلوم انهُ لم يبقَ بعد المجمع المذكور من يقول بالطبيعة الواحدة الا في سوريا ومصر وما جاورهما من البلاد التي دانت للاسلام بعد الفتح ولم يكن من يعرف السريانية والعربية ويستعمل هذا الاسم الا فيهما ولذلك لم يُعرَف هذا اللفظ عند اليونان ولا عند اللاتين ولا ذكر لهُ في تواريخهم القديمة

اذا ثبت هذا تبين لك ما في عبارتهِ من الاجحاف والايهام لانهُ لم يقيد « الذين تبعوا المجمع الخلكيدوني » بكونهم « من اليونان الذين في

سوريا ومصر » فلزم من عبارتهِ ان كل من تبع المجمع المذكور كان يلقب بالملكي . وهو غير الواقع كما اثبتناهُ وكما يؤخذ جليًّا من قولهِ في المقدمة الثانية « ان الذين تبعوا المَجمع الخلكيدوني كانوا من شعوب وعناصر وبلاد مختلفة » ولينُظَر كيف يتفق هذا مع ما ذكرناهُ وايدناهُ بالبرهان . وعليهِ فقولهُ اخيراً « فاذن ليس الملكيون من اليونان فقط » هو نقيض الواقع على الخط المستقيم وانما هذا كلهُ صنيع من جعل غرضهُ تأييد حجتهِ ولو بالمغالطة وتبديل الحقائق وكلاهما من الامور التي لا تليق بالتقارير العلمية ولا سيما في التاريخ الذي لا مستَندَلهُ الا اصدق الرواة . فارجو اثبات ذلك في ضيا ئكم الانور ولكم الفضل . انتهى

متفرقات

اكتشاف سيار جديد بين الارض وآروس — أُعلن من اميركا ان المستر ستيوارت اكتشف على صفيحةٍ فوتغرافية قد أُخذت في ١٤ اوغسطس الاخير نجماً صغيرًا على ٦٢° من الميل الجنوبي وقد أُخذ بعد ذلك ١٤ رسماً عن هذا الجرم امكن منها تقدير مسيرهِ وفلكهِ . وهو اقرب جميع السيارة الصغرى الى الشمس وقد كان بعدهُ عنها في شهر اوغسطس ٦' ١ من بعد الارض وحُسب ان حركتهُ اليومية منظورًا اليهِ من الشمس تكون ٢٢٠٠" اي نحو ثلثي درجة فتكون سنتهُ ٥٨٩ يوماً وهي اقصر من سنة آروس باربعة وخمسين يوماً ويتمها من الارض في نحو ٤ سنين (١٣' ٤) وفلكهُ مستطيل جدًّا يبلغ تباينهُ ٢٢° و٨'

كسوف ١١ نوفمبر — كان من اعمال اللجنة الفرنسوية التي رصدت كسوف

الشمس من القاهرة في اليوم المذكور ان المسيو دلابوم بلوفينال اخذ رسم طيف الاشعة الشمسية المارّة على حدود قرص القمر فلم يتبين لهُ فيها ادنى امتصاص يدل على وجود جوٍّ للقمر

آثار ادبيّة

الاستقلال — مجلة انتقادية حقوقية اجتماعية ادبية ينشئها حضرة الاصوليّ الفاضل نجيب افندي شقرا المحامي الشهير . وقد انتهى الينا الجزء الاول منها فوجدناهُ مزيناً بعدة مقالات مفيدة في الاغراض المشار اليها وفي ذيلهِ مقدمة مؤلَّفٍ لهُ عنونهُ بكتاب المسؤولية وضعهُ في بيان التبعات التي تترتب على الجرائم الجنائيّة والمدنية وهو مؤلفٌ عظيم الفائدة للخاصة والعامة والمجلة تصدر مرةً في الشهر في ٣٢ صفحة وقد جعل قيمة اشتراكها ريالاً واحداً في السنة فنثني على همة حضرتهِ ثناءً طيباً ونرجو لمجلتهِ مزيد الرواج والانتشار

الاخبار — عادت هذه الجريدة الى الظهور موشّاةً بقلم صاحب امتيازها ومنشئها حضرة الكاتب المتفنن الشيخ يوسف الخازن وقد جعلها يوميةً بعد ان كانت اسبوعية وعين قيمة اشتراكها ستين قرشاً مصريًّا في القاهرة مضافاً اليها اجرة البريد في الخارج . وفيما عهد القرآء من براعة الكاتب وحسن اسلوبهِ في الانشآء ما يغني عن اطرآئها والحث على مطالعتها فنتمنى لها الانتشار والثبات

فكاهات

المحكمة السرّية

كان في مدينة باريز بين قضاة محكمتها العليا فتى يسمى راعول لم يبلغ الثلاثين عاماً من سنيهِ رباهُ والداهُ احسن تربية ولقناهُ مجمل العلوم. وكان منذ طفوليتهِ تظهر على وجههِ الجميل علامات الحذق والذكاء وتوقد الخاطر فاذا وُجد بين رفقائهِ من الغلمان ادرك الناظر لاول وهلة انهُ لا يختلط معهم في العابهم الصبيانية بل يوجه افكارهُ الى غاياتٍ اسمى وخواطر ارفع . ورأى والداهُ ذلك فتيقنا ان لولدهما مستقبلاً حسناً في بلادٍ لا تجهل قيمة افرادها وكانا من المثرين فلم يدَّخرا وسعاً في الانفاق عليهِ وتسهيل السبل لهُ لنيل العلوم والمعارف . وبعد ما خرج من المدرسة وهو في الثامنة عشرة من العمر اصيب في والديهِ فتوفي ابوهُ اولاً وبعد اسبوع توفيت والدتهُ ايضاً فبقي وحيداً لا اهل لهُ ولا معين . غير انهُ تلقى هذه الصواعق المحرقة بصدر رحب ورزانة عجيبة فما انقضت مدة حزنهِ حتى عمد الى املاك ابيهِ وثروتهِ الطائلة فوسع املاكهُ واصلحها واقام العمال الامناء ولبث ساهراً على اعمالهِ وعمالهِ بغاية التيقظ والانتباه

وكان راعول قد اتبع فن المحاماة فنبغ فيهِ وطار صيتهُ في اقطار فرنسا وبعد حين انتدبتهُ الحكومة فعينتهُ قاضياً في المحكمة العليا . وما عتم ان رأى اختلالاً في بعض اعمالها فنقح دستورها وضبط قوانينها وعمد الى اصلاحاتٍ جدية رأى الجميع اصابة رأيهِ فيها فوافقوهُ على اثباتها . وما بلغ الثلاثين من عمرهِ حتى انتخب رئيساً لنفس المحكمة مع ان اكثر القضاة المؤلفة منهم كانوا اكبر منهُ سناً الا انهُ كان اوفرهم ذكاءً واوسعهم علماً

(١) معربة عن الفرنسوية بقلم نسيب افندي المشعلاني

وكان راعول من اصدق الناس نظرًا في الامور واكثرهم تثبتاً في الاحكام فكان اذا القيت اليه مسئلةٌ يتلبث قليلاً قبل ابدآء رأيهِ فيها حتى يحيط بجميع وجوهها فاذا نطق بحكمهِ لم يمكن ان يرجع فيهِ ولم يكن ذلك عن تصلبٍ في رأيهِ بل لان حكمهُ كان من اول وهلة يصيب كبد الصواب . وهكذا ثبت راعول في مركزهِ لا يهاب شيئاً ولا يخاف ان يقهرهُ احدٌ سوى عدوٍّ واحد هاجمهُ بغتةً فاخترق صفحات صدرهِ الفولاذية واستولى على حصن قلبهِ فاستقرّ فيهِ وهذا العدوّ هو الحب . فان راعول كان قد رأى يوماً ابنة احد الاعيان في مجتمعٍ فاعجبهُ جمال وجهها واعتدال قوامها ولم يحتج راعول الى اكثر من ذلك الوقت لانتقاد سلوكها وآدابها ومعارفها فوجدها لا تبارَى بين بنات جنسها فمال بكليتهِ اليها وشعرت الفتاة بميلهِ وكان عندها اضعاف ذلك مما لم يخفَ على راعول ففاتحها بما في نفسهِ ولم تمضِ ايامٌ كثيرة حتى خطب الفتاة ودعا عددًا من اصدقآئهِ فقضوا ليلةً من اصفى ليالي الدهر دام فيها تعاطي كؤوس المسرات والمخاصرة الى الصباح

ولم تؤثر حالة راعول الحبية في واجباتهِ القضآئية فكان اذا عمد الى عملهِ ينسى الحب والحبيبة ويشمر عن ساعد الحزم والعمل فاذا فرغ من شغل نهارهِ عاد الى مراجعة التقارير الواردة اليهِ عن اشغالهِ الخصوصية ثم يقضي شيئاً من الوقت في النزهة وترويح النفس وفي النهاية يزور خطيبتهُ فيطارحها الغرام والشوق كانهُ عابدٌ ولهٌ

وبعد خطبة راعول بنحو شهرين كان عيد الميلاد المجيد فدُعي الى مأدبة اقامها اهل خطيبتهِ في منتصف تلك الليلة وهي عادة شائعة يتوارد المدعوون فيها الى محل الدعوة قبل نصف الليل ببضع دقائق حتى اذا تكامل عدد المدعوين وازفت الساعة الثانية عشرة قام الجميع يهنئون بعضهم بعضاً ثم دخلوا الى غرفة المأدبة يفتتحون سنتهم بالمسرات . وفي صباح ذلك اليوم نهض راعول وكانت لديهِ اشغالٌ كثيرة آثر القيام بها على كل شيء فصرف نهارهُ في العمل ولم يفرغ الا في الساعة الثامنة مسآءً . فارتدى فوق ثيابهِ جبةً تقيهِ برد الليل وخرج قاصدًا بيت

خطيئتهِ فاستقبلهُ خادمهُ وعرض عليهِ ان يطلب لهُ عربةً تقلهُ فاعاد نظرهُ في ساعتهِ وقال لا يزال امامي اكثر من ثلاث ساعات وانا اوثر المشي لاروض جسمي بعد جلوسي طول النهار ثم التفّ بعباءَتهِ وضغط قبعتهُ فوق رأسهِ وسار

واجتاز راعول الشارع الاول الكبير ثم عطف الى شارع اصغر منهُ قد وُضعت فيهِ مصابيح بعيدة بعضها عن بعض وكان الضباب يستر نور المصابيح ثم همى الغيث واقفر الشارع فنظر راعول لعلهُ يجد عربةً يناديها ولكن لم يجد في كل الشارع سواهُ فصوّب خطواتهِ وجدّ في المسير . وما بلغ منتصف الشارع حتى سمع وقع اقدام مسرعة وراءَهُ ثم ادركتهُ فتبين ثلاثة اشخاص فنظر لعلهُ يرى مع احدهم مظلةً يستتر بها معهم ولكنهُ قبل ان يفاتحهم بحديث هجم الثلاثة عليهِ و باسرع من البرق امسك اثنان بذراعيهِ وادخل الثالث في فيهِ منديلاً بطريقة غريبة تمنعهُ عن الكلام او ابداء اقل صوت وهمس احدهم في اذنهِ ان اتبعنا صامتاً مطيعاً واعلم انهُ عند اقل حركة مقاومة تبدو منك نتركك في هذا الظلام الحالك جثةً باردة . ورأى راعول ان الصمت والانقياد اجدر بهِ فسار بين الثلاثة كالنعجة الى الذبح . و بعد ما ساروا قليلاً قال احدهم اسمح لنا يا حضرة القاضي ان نعصب عينيك فانك تعلم بدون شك اننا لا نريد ان تعرف الى اين نحن سائرون . ولما قال هذا اخرج من جيبهِ منديلاً اسود عصب بهِ عيني راعول ومضوا في طريقهم صامتين . وما زالوا كذلك وهم يذهبون تارةً شمالاً وتارةً يميناً حتى وقفوا امام بابٍ فاعطى زعيمهم اشارةً سرّية ففُتح الباب ولما دخلوا تخلف اثنان منهم واقتاد الزعيم راعول بيمينهِ فصعد بهِ سلماً عدّ راعول درجاتهِ لانهُ مع ما هو فيهِ لم يفارقهُ تيقظهُ فعمد الى التقاط كل اشارة او حركة تبدو لهُ لعلها تنفعهُ في المستقبل . ثم دخل بهِ الى غرفة فاجلس الزعيم راعول على كرسيّ وقال لهُ لا بد انك استغربت عملنا هذا يا حضرة القاضي ويحق لك الاستغراب ولكنني اخبرك الآن اننا لسنا من اللصوص او القتلة كما لعلك توهمت فانك الآن في بيت من اشرف بيوت الفرنسيس وقد احضرناك جبراً لعلمنا اننا لو دعوناك طوعاً لما اتيت ولا سيما لاننا لا نريد ان تعلم مَن نحن

اما الغرض من احضارك فهو خدمةٌ تطلب قضاءها منك ربة المنزل وستتلوها هي عليك وبعد ذلك فحياتك او موتك رهن ارادتك انت . واني سارفع العصابة عن عينيك الآن وانزع المنديل من فيك فاياك اذا بقيت حيًّا ان تذكر ما ترى واياك ان يصدر منك صوت استغاثة فانهُ لامنزل بجوارنا الى مسافة نصف ميل . وزد على ذلك ان في المنزل من خدم ربتهِ عددًا ليس بقليل من شرسي الاخلاق اذا سمعوا نداءك ربما اوقعوا بك قبل صدور الحكم عليك

ولما انهى الرجل كلامهُ رفع العصابة عن عيني راعول ونزع المنديل من فيهِ فرأى راعول نفسهُ في ظلمة حالكة السواد لا يقدر ان يرى فيها شيئًا ثم لمس الزعيم زرًّا كهربائيًا فاضاء المكان ضوءًا خفيفًا جدًّا تمكن راعول بعدهُ ان يشاهد الغرفة فرآها ردهةً فسيحة جدًّا قد دُهنت جدرانها وسقفها وارضها بلون احمر مشبع وكانت خالية من كل مفروش او اثاث ما خلا الكرسي الجالس عليهِ وثلاث كراسيّ اخر على صفٍّ واحد امامهُ . وبينما هو غارق في تأملاتهِ وتصوراتهِ وما طرأ عليهِ في تلك الليلة وماذا يطرأ على خطيتهِ اذا حلّ نصف الليل ولم يحضر اذا بباب سرّي قد فُتح في الحائط ودخلت منهُ فتاةٌ ورجلٌ يشبه الزعيم الاول في ضخامة بنيتهِ وتركيب جسمهِ . وتمكن راعول مع ضعف النور ان يراقب الفتاة فرأى قامةً كالخيزران وعنقًا كعنق الغزال ويدين يعجز امهر النقاشين عن تكوين مثلهما من الجبس الابيض . اما وجهها فكان يسترهُ برقع من الحرير الاحمر فيهِ ثقبان تظهر منهما عينان ولا عيون المهى . فجلست الفتاة على كرسيّ وجلس الزعيمان عن يمينها وشمالها ثم خاطبت راعول بصوت لهُ رنةٌ ارعشت قلبهُ الذي لم يعرف الخوف قبلاً وشعر لاول مرة في حياتهِ انهُ في موقف مرهب عظيم . فقالت الفتاة انزع من فكرك يا حضرة القاضي راعول كل وجل وتأكد اننا لا نريد بك سوءًا البتة ولا نتجاسر على قتلك ما لم ترد انت ذلك

فقال راعول مبتسمًا اؤكد لكِ يا حضرة السيدة انني لا اريد الموت الآن فاذًا انا في امان

قالت وعلى الخصوص ان خطيبتك في انتظارك قبل نصف الليل فعليك بانجاز الخدمة التي استقدمناك لاجلها عاجلاً كي لا تتأخر عنها

فنظر راعول نظر المتعجب وقال في نفسهِ يظهر ان القوم مطلعون على كل احوالي فما هي يا ترى الخدمة التي يريدون مني القيام بها . واتمت الفتاة حديثها فقالت تذكر يا حضرة القاضي انك صدّقت من بضعة ايام على تنفيذ حكم الاعدام شنقاً في شخص يدعى بول جارفيه المتهم بقتل ثلاثة اشخاص في ليلة ١٣ نوفمبر . فاعلم اذاً ان هذا الرجل بريءٌ من التهمة المذكورة برآءتك انت منها وان كانت جميع قرائن الاحوال تدل على انهُ هو الفاعل . ولديَّ براهين دامغة وحجج قوية تثبت برآءة الرجل وشطط القضاة في الحكم عليهِ ولكنني لا استطيع ذكرها سرًّا ولا جهرًا صيانةً لمصلحة وعرض من يهمهم الامر . غير اني لا اريد ان يُقتَل الرجل ظلماً وقد رهنتهُ شرفي ووعدتهُ انهُ لا يُقتل . ولما كنت انت رئيس قضاة المحكمة العليا ولا مردّ لاحكامك فقد بثت عليك العيون من يوم صدور الحكم لاستحضارك الينا وانا اقسم لك بالشرف العظيم و بالاله العارف بكل شيء ان الرجل بريء ولا يجب ان يُعدم فصدّق كلامي واذ ذاك يساعدك ضميرك على الغآء الحكم ودع رجال النيابة والشحنة يبحثون عن القاتل الحقيقي

قال راعول هذا طلب المستحيل ايتها السيدة فان لنا قوانين لا يسعنا الا اتباعها ولا يكفي كلامي بدون البرهان لالغآء حكمٍ قد قررتهُ المحاكم ووافقت عليهِ المحكمة العليا . اما اذا كانت الحقيقة كما تقولين فلا اسهل من المعارضة قبل انفاذ الحكم وتقديم البراهين التي تدحض التهمة واذ ذاك فتكونين قد قمتِ بوعدكِ وخلصتِ الرجل و بغير ذلك لا يمكن البتة الغآء الحكم . قالت انا اعلم كل ذلك ولكنني قلت لك ان هذا لا يمكن ايضاً ولا بد من ان تفعل كما توسلت اليك فمن كان نظيرك رجل فرنسا الوحيد في هذه الايام لا يصعب عليهِ ان يلغي حكماً بعد اقتناعهِ ببرآءة المتهم ولو كانت البراهين ضدهُ

قال قد قلت لكِ ان هذا مستحيل ولا يمكن ان اقوم بهِ . قالت اما انا فقد

وعدت الرجل المسكين بعد وعدي الاول انهُ اذا لم انجح ونفذ فيهِ الحكم فما يجري عليهِ ساجريهِ انا في محكمتي هذه عليك يا من واقفت على اعدام البريء ولم تستجب لصراخ الحق . ثم تغيرت نغمة صوتها فجآءَةً وقالت يا راعول اما ان تحلف لي الآن بشرفك وتعدني كتابةً انك تلغي الحكم وتخلص السجين من عذاب الشنق وتخضع لامري هذا مذ الساعة واما ان تسجن هنا كما هو مسجونٌ هناك الى اليوم المعين فبينما هو يدخل رأسهُ في حبل المشنقة تكون حبال مشنقتي ملتفة على عنقك وتسقط جثتاكما في دقيقة واحدة . اني انتظر جوابك الآن فافتكر ملياًّ وجاوبني نهائياًّ

وادرك راعول عظم الخطر وقرأ في صوت الفتاة التصميم التام فعلم ان لا مناص الا بخرق الشريعة الفرنسوية وخرق شرفهِ معها او الموت . ومرّت امامهُ في تلك الدقائق الهائلة تذكارات شتى وانبسطت امامهُ اشغالهُ الكثيرة وتعلقاتهُ الشخصية ثم املاكهُ الواسعة وغناهُ الوافر وانهُ ان مات فليس من يستولي على مقتنياتهِ اذ لا وارث لهُ ولا وكيل . ثم تجلت امام بصرهِ صورة خطيبتهِ وانها بانتظارهِ في تلك الليلة وماذا يؤثر عليها خبر اختفآئهِ في اليوم الثاني وكيف يفارق الدنيا وهو لم يقطف اول زهرة من شجرة الحب التي غرس اصولها الى غير ذلك من التصورات التي يعجز القلم عن وصفها . فاستغرق تأملهُ بضع دقائق ساد فيها السكوت العميق وكانت الالوان الحمرآء في ذلك النور الضعيف تزيد المكان رهبةً . ثم مرّت سحابةٌ مظلمة امام عيني راعول وتمثل في نفسهِ انهُ اذا انقاد لارادة هذه السيدة المجهولة فقد مركزهُ واضاع شرفهُ بخرق قانون بلادهِ وهو الذي عدّلهُ فما خطرت لهُ هـذه الافكار حتى رفع بصرهُ الى الجالسين وصاح بصوتٍ تقطعهُ الانفعالات النفسانية وقال الموت ولا العار . كلا . لن اخضع لامركِ ايتها الحاكمة المطلقة التصرف في مملكتها هذه السودآء . وانني متحققٌ قيامكِ بوعيدكِ فاذا كنتِ كما تدّعين من اشراف الفرنسيس ويسهل عليكِ ان تري اكبر قضاة بلادكِ ينقض القانون العام فلا ادري اين يكون شرفكِ اذ ذاك . على انهُ اذا تمكنتِ

من اخماد صوت ضميركِ والتغاضي عن شرفكِ الى ان تفرغي من تقديمي ضحية على مذبح غاياتكِ فاني استقبل الموت باسماً لانهُ يخلصني من الوجود بين اقوامٍ هم في الظاهر من اسمى اشراف العالم ولكنهم في الباطن لا يُفرّقون عن قطاع الطريق

ولما سمعت الفتاة ذلك نهضت ووقف الزعيمان لها اجلالاً فقالت بصوتٍ حادّ جهوري . انت الجاني على نفسك يا هذا فقد حكمت عليك ان نفعل بك كما سيفعل حكمك بذلك المسكين وسترى ان احكام محكمتي هـذه ليست باقل من قوانينكم متانةً ولا اصعب منها تنفيذًا . ثم نظرت الى رفيقيها وقالت قد خرج الحكم من فمي فانظرا في تنفيذهِ

وكانت العظمة ترافق كلماتها والهيبة والجلال يرافقان مشيها حتى بلغت الحائط فانفتح لها من ذاتهِ وتوارت عن العيان . ثم عمد الزعيمان الى راعول فارجعا العصابة على عينيهِ واقتاداهُ بيدهِ فانزلاهُ في سلالم وسارا بهِ في دهاليز عديدة الى غرفة اخرى اوصلاهُ الى صدرها وصعدا بهِ ست درجات الى دكة خشبية فاجلساهُ على كرسيٍّ واوثقا يديهِ الى جانبيهِ ورجليهِ الى مقدم الكرسي ورفعا العصابة ثانيةً فرأى راعول نفسهُ في غرفةٍ اكبر من الاولى وتختلف عنها بان الوانها سوداء ورأى في سقف الغرفة فوق رأسهِ حبلاً منصوباً بهيئة المشنقة فارتجفت اعضاؤهُ . وكان في الجانب الآخر من الغرفة نورٌ ضعيف ينبعث من كاسٍ فيها فتيلةٌ قد غمست في الزيت وكان الهواء يلاعب نورها فتظهر على الحائط اشباحاً غريبة الشكل يؤلفها النور الضعيف . وبعد دقيقة دخلت الفتاة ففحصت وثاق راعول وكرسيهُ فحصاً مدققاً ثم تناولت الحبل المعلق فوق رأسهِ وادخلتهُ في عنقهِ وقالت لهُ انك الآن مثل ذلك المسكين وستبقى الى ان ينقضي اجلكما معاً وسيأتيك الطعام كما يقدمون لهُ وفي نفس اوقاتهِ وسنتركك الآن وحدك مثلهُ لتناجي افكارك . واعلم ان في محكمتنا رحمةً اكثر مما عندكم فاذا شئت ان تغير عزمك وتفعل ما طلبت منك قبل حلول الاجل فما عليك الا ان تنادي فيسمعك الحاجب الذي خارج الباب ويبلغني رسالتك والا فستبقى هكذا الى يوم انفاذ الحكم فترافق روحك روح ذلك السجين

فانكما ستموتان معاً ظلماً

ولما انهت كلامها خرجت وتبعها الزعيمان وأُوصد الباب فبقي راعول في تلك الحالة التي نترك وصفها لتصور القارئ اللبيب . وساد السكوت فلم يسمع سوى ضربات قلب راعول وزفرات انفاسهِ المتقطعة وعاودتهُ افكارهُ المختلفة وترآءت لهُ صور عديدة لكنها لم تثبط عزمهُ ولا حوّلت فكرهُ عن الاستشهاد في سبيل حفظ قانون بلادهِ وحفظ شرفهِ . ولما صمم على الموت وتأكد تقريرهُ جعل يفتكر في ما عسى ان تقول خطيبتهُ عنهُ وما سيكون اذا جآء اليوم الثاني ولم يعرف لهُ خبر وزادت عليهِ المؤثرات من كل جهة وكأن دماغهُ العظيم لم يعد يقوى على الاحتمال بعد شغل النهار وحوادث الليل والافكار التي تتوارد منها الوف في الدقيقة في مثل تلك الحالة وزاد عليهِ صوت ساعةٍ كبيرة في ذلك السكون التام فجعل يعدّ ضرباتها الى ان بلغت العاشرة فخالها رنة الحزن على شبابهِ وسُدِل على عينيهِ حجاب السكون فخدرت حواسهُ ونام غير النوم الطبيعي

. . . .

وافاق راعول من غيبوبتهِ هذه على صوت فتح باب غرفتهِ واذا بالفتاة داخلةٌ يحفّ بها الزعيمان حتى اذا بلغت الدكة وقفت امام راعول وقالت بصوت يسحر الالباب يظهر يا حضرة القاضي ان نجم التوفيق ساهرٌ على حياتك . انني كنت قد صممت على ما مرّ بيننا في هذه الليلة ولكنهُ بلغني في هذه الساعة ان بول جارثيه قد يئس من الفرج وشك في صدق كلامي فانتحر . وعليهِ فقد صرتُ بريئةً من قسمي الذي اقسمتهُ لهُ وقد حمل باختيارهِ عنك وعنا متاعب اخرى وارخى بموتهِ الحجاب على ما حدث في ليلة ١٣ نوفمبر مما صار يجب نسيانهُ قطعياً . وعليهِ ولكي تتحقق انهُ لم يكن لي غاية اخرى فيما فعلت فساطلق سراحك حالاً بعد ان تعدني وتقسم لي بشرفك انك تنسى جميع ما مرّ امامك في هذه الليلة وان لا تذكرهُ امام مخلوق ولا تحاول ان تبحث لتعرف شيئاً عن الاشخاص الذين وُجدت بينهم و بالاجمال كأن هذه الساعات لم تمرّ عليك في حياتك قط فهل تتعهد وتعد بذلك . قال نعم .

فاخرجت الفتاة من جيبها كتاباً مجلداً بالذهب وعلى جانبيهِ الشعار الفرنسوي مرصعاً بالجواهر الثمينة فقالت هوذا الكتاب المقدس اساس دينك وهوذا شعار المملكة التي تدافع عنها وتقسم بشرفها فضع يدك عليهِ واتبعني في تكرار القسم الذي اتلوهُ عليك واختمهُ بتقبيل الكتاب والشعار . ثم حلت لهُ رباط يدهِ وانشأت تلقنهُ كلمات القسم وهو يرددها بوقار واحترام حتى اذا فرغ قبل الكتاب وهو لا يصدق بالنجاة . فتقدم الاثنان وحلا وثاقهُ وانزلاهُ عن كرسيهِ فقالت لهُ الفتاة ان خطيبتك تنتظرك قبل نصف الليل ولسوء الحظ قد اخرناك ولم يبقَ لديك سوى ربع ساعة الى الساعة الثانية عشرة ولكني قد امرت عربتي ان تقلك بمنتهى السرعة الى حيث يمكنك الوصول الى بيت خطيبتك . وقبل ان يتمكن راعول من النطق بكلمة معها خرجت تاركة الزعيمين للاعتناء بهِ . فامرهُ احدهما ان يعيد العصابة على عينيهِ ففعل واقتاداهُ الى العربة فاركباهُ وركبا بجانبهِ وسارت العربة بهم مسرعة حتى بلغت ساحةً عمومية فاستوقفاها وانزلاهُ منها وامرا السائق بالرجوع ثم اكتريا عربةً اخرى اجلسا راعول فيها وقالا لهُ اذا سارت بك العربة فارفع العصابة واذكر القسم . ثم فارقاهُ

. . . .

وكانت خطيبة راعول واهلها والمدعوون بانتظارهِ وقد استاءوا من تأخرهِ ولا سيما وقد ابتدأت الساعة تقرع ضرباتها فما انتهت الثانية عشرة حتى فُتح الباب ودخل راعول ولكنهُ كان اصفر الوجه وعلائم التهيج الشديد مرتسمةٌ عليهِ . غير انهُ تمكن للحال من تقديم بعض الاعذار عن تأخرهِ وقضى باقي ليلتهِ على اتم السرور كأن لم يكن شيء البتة

وحافظ راعول على قسمهِ فلم يعلم احد بما جرى الى ما بعد مماتهِ فوجدت زوجتهُ تفصيل الحادثة في مذكراتهِ الخصوصية وكانت الى ذلك الحين لا تزال تجهل السبب الذي اخرهُ عن الحضور في ليلة عيد الميلاد

كذب الحسّ وكذب الحواسّ

×يعرض للانسان احياناً ان يرى اشباحاً او يسمع اصواتاً لا حقيقة لها في الخارج ولكنها تتصور لهُ بصورة الحقائق الموجودة فلا يشكّ في صحتها وهو من غريب الاسرار المودعة في الفطرة · وربما كانت تلك الاشباح او الاصوات موجودةً في الخارج ولكن الحواسّ تؤدّيها الى المدركة على خلاف صورتها الحقيقية وعلى الحالين يكون العقل مكذوباً اما من قِبَل الحِسّ نفسهِ كما في الحالة الاولى او من قِبَل آلتهِ كما في الحالة الثانية

وكذب الحسّ من الاعراض الدالة على الاختلاط والعتاهة بانواعها الا انهُ كثيراً ما يعرض لأصحّاء العقول لكنهُ اذا تكرر ولزم او كان على وجهٍ يبعد كثيراً عن مقتضى المعقول كان ولا جرم دليلاً على اختلال العقل او مقدّمةً لحدوثهِ واما اذا عرض اتفاقاً او كان غبَّ انهماكٍ مفرط في امرٍ من الامور او على اثر شغلٍ عنيف او وجدانٍ شديد التأثير فانهُ يكون عرضاً ثم يزول بزوال سببهِ · على انهُ في كلتا الحالتين لا يكون الا عن اضطرابٍ في احوال الدماغ وتهييجٍ عنيف في العصب وهما كثيراً ما يمرّان بغير أن يؤثرا في العقل اثراً ثابتاً فيكون بمثابة ما يقع من الهذيان في الحمّيات ثم يزول بزوالها

اما حقيقة هذا الشعور وكيفية حدوثهِ فمما اشتغل بهِ الحكماء في كل عصر وصوّروهُ على اوجهٍ شتى بعضها نسخهُ تبدُّل الآراء العلمية وبعضها لا يزال محلاً للخلاف والبحث · وقد عرّفهُ المتأخرون بانهُ استحالة الفكر الى

شعور وبعبارةٍ اخرى تمثُّل الصور العقلية بهيئة صورٍ محسوسة . واشهر ما ذكروا في سببهِ يرجع الى ثلاثة اقوال احدها انهُ نتيجة خللٍ عقليٍّ خاصّ يبتدئ بتهيجٍ دماغيّ ويحدث عنهُ اختلاطٌ في الخياليات يؤدّي الى فقد التوازن بين القوى العقلية . والثاني انهُ عملٌ دماغيٌّ محض اي شعورٌ حقيقيٌّ ينشأ بغير وجود مؤثّرٍ في الخارج وحينئذٍ فلا خلل في العقل وانما الخلل في جهاز الحسّ بأن يؤدّي الى العقل صوراً زورية ويحملهُ على ان يحكم احكاماً محالية . والثالث انهُ اثر شعورٍ سابقٍ يتجدد على نفس صورتهِ مع زوال المؤثر فهو نتيجة انقباضٍ في الدماغ بحيث يتمثل لهُ الفكر من غير انفكاك ويكون على هيئة شعور . وهناك اقوالٌ اخر لا ترجع الى حقيقة واضحة ولكن على كل حال فان هذا الشعور لا يتمّ ما لم يكن ثمة خللٌ في اعمال الدماغ بحيث ينفرد التخيل عن الارادة على نحو ما يكون في حالة الذهول والانجذاب وحينئذٍ تعمل المتخيلة من تلقآء نفسها من غير ان يتوجه العقل الى تامل الصور التي تمثلها والحكم عليها

ومعلومٌ ان بعض المخدّرات كالحشيش اذا استولى على العقل يفعل الفعل نفسهُ وحينئذٍ فمن البيّن ان من ظهر فيهِ مثل آثار الحشيش بدون ان يتناولهُ يكون دماغهُ وجهازهُ العصبيّ في نفس الحالة التي يكون عليها شارب الحشيش اي في حالة التهيج الشديد ولا فرق في ذلك بين ان يكون عن سببٍ طارئ من مثل الاسباب المذكورة قبلاً ام عن اختلالٍ في اعمال الدماغ فهو على الجملة ليس الاّ حالةً مرضيّة او حالةً عقلية ليست هي الحالة الطبيعية . وهناك مشابهةٌ اخرى بين المشاهدات التي تُرى في هذه الحال وما يعرض

من مثلها في الحلم مما يدلّ على ان لكلتا الحالتين مورداً واحداً وهو ما ذُكر من انفراد المتخيّلة بما تصوّرهُ للعقل وحينئذٍ فهما شيءٌ واحد يصحّ ان يقال فيه انهُ حلمٌ في اليقظة او اختلالٌ في النوم . ثم ان المشاهدات المذكورة كثيراً ما تعرض للانسان بعد ان يغمض عينيهِ وقبل ان ينام فيرى اشباحاً غريبة ويسمع اصواتاً باطنة حالة كونهِ لا يزال مستيقظاً يسمع الاصوات التي حولهُ وهي اذ ذاك منزلةٌ بين الاختلال والحلم . وانما يكون ذلك في ساعة غيبوبة التعقل حين يدخل الانسان في حالةٍ ينتقل منها الى النوم ولذلك اذا انتبه فعمد الى تأمل تلك المشاهدات تغيب عنهُ في الحال وهو الدليل على انها من عمل المتخيلة وحدها ولا عمل معها للارادة التي هي مبدأ التعقل وتمييز المدركات

واكثر ما يقع كذب الحسّ في مدركات البصر والسمع لِما انهما اكثر الحواس ايراداً للمحسوسات على الحِسّ المشترَك ولان اثرهما في الدماغ اشدّ ارتباطاً بالصور المحسوسة مما يرد عن سائر الحواسّ . ويكثر حدوثهُ في الاحوال التي يضعف فيها تأثير المحسوسات على الحواسّ الظاهرة كالظلمة والسكون والاغراق في التأملات الباطنة وما اشبه ذلك لان المتخيلة حينئذٍ تخلو بالدماغ وتصوّر لهُ التماثيل المختلفة من غير ان يكون لها ما يعارضها من الحسّ الظاهر . ولذلك ترى بعض الناس اذا انفردوا ليلاً او سافروا في مجهلٍ من الارض تخيلوا اشباح ضوارٍ او لصوص وسمعوا اصواتاً مخيفة ويكثر ذلك عند من تواترت على اسماعهم الخرافات واستحوذت على عقولهم الاوهام والاباطيل فتتمثل لهم اشباح العفاريت والجنّ والغيلان

واشباه ذلك مما اختُزِنَ في خيالهم

واما في مدركات ما سوى هاتين الحاستين فلا يقع مثل ذلك الا في حالة الاختلال العقلي فان المعتوهين قد يشعرون بروائح وطعوم وهمية ويتخيلون احياناً ان يداً تلمسهم او انهم يُضرَبون او يُوثَقون وكل ذلك لا يعرض للاصحاء الا ما كان منهُ نادراً في الحلم وهو مما يؤيد الشبه بين الحلم والاختلال

واما كذب الحواس فيكون العقل معهُ صحيحاً لان المدركات تكون متحققةً في الخارج ولكنها تتأدى الى العقل على خلاف ما هي فيحكم بمقتضاها . وكذلك الحاسّة تكون سليمةً ايضاً غير انها تلتبس عليها اعراض المحسوسات امَّا لشيء في المحسوس كما تُرَى العصا المغموس طرفها في الماء مكسورةً وكما يُرَى السراب ماء او لشيء في الحاسة نفسها كما يُرَى النجم ذا شعاعٍ متشعب وانما هذه الشُعَب في بلورية العين كما قررناهُ في غير هذا الموضع [1] . واما اذا كانت الحاسة مأوفةً كما يحدث احياناً فساد الذوق لحالةٍ مرضية فيتغير بهذا السبب طعم المَذُوقات وكما يتفق لبعض الناس ان يفقد الذوق والشمّ بتةً او ان لا يفرق بين بعض الالوان كالاحمر والاخضر لم يكن ذلك في شيء مما نحن فيهِ

وكذب الحواس اكثر ما يقع للبصر لاختلاف ما يرد عليهِ من اعراض المُبصَرات اذ بهِ يُدرَك اللون والشكل والحجم والمسافة والوضع وغير ذلك . واكثر ما يخطئ البصر في تقدير حجم الاشباح اذا اختلف لونها كما اذا

(١) مجلد السنة الاولى ص ٦٧

كان احد الشبحين ابيض والآخر اسود او قريباً منهُ فان الابيض يُرى اكبر حجماً وعلتهُ انتشار النور عنهُ حتى كانهُ يفيض عن اطرافهِ وبعكسهِ الاسود ولا سيما اذا كان محاطاً ببياض فان البياض الذي حولهُ يسطو عليهِ حتى كانهُ يأخذ شيئاً من اطرافهِ . ولهذا السبب نرى الهلال في اوائلهِ اطول عند طرفيهِ مما يليهِ من القسم المظلم المنعكس اليهِ نور الارض ونرى بعض النجوم اكبر من بعض تبعاً لشدة ضوئها حتى نتوهم ان لبعضها قطراً محسوساً مع انها تُرى جميعاً بالمرقب (التلسكوب) اشبه بنُقَطٍ هندسية . وبهذا الاعتبار كان المتقدمون يقدّرون اقطار السيّارة اعظم مما هي فان تيخو براهي مثلاً كان يقدّر حجم الزُهَرة اكبر مما هو باثني عشر ضعفاً وكان كپلر يقدّرهُ اكبر بسبعة اضعاف ولكن لما اختُرعت المناظير امكن ان يُرَى كلٌّ من السيّارة والثوابت على حجمهِ النسبيّ لانها قللت كثيراً من انتشار النور وان لم تقطعهُ بالمرّة

وهناك امرٌ آخر وهو اننا نرى الشمس والقمر وصُوَر الكواكب عند الافق اعظم مما تُرَى بعد ارتفاعها مسافةً في السمآء وهو من الامور التي لم يتوصلوا الى بيان علتها على وجهٍ يكفل بالاقتناع ولكنهُ على كل حال راجعٌ الى خطأ البصر لأن الكبر والصغر في مرأى الشبح الواحد انما يتأتيان عن القرب والبعد وليس في مسافة الشمس والكواكب ما يظهر فيهِ مثل هذا الفرق . على انهُ لو كان هذا مما يؤثر في منظرها لوجب ان تُرَى عند الافق اصغر لأنا لو قسنا القمر وهو عند الافق ثم قسناهُ وهو في السمت لوجدنا قطرهُ عند الافق اصغر بنحو $\frac{١}{٦٠}$ من قطرهِ في السمت لانهُ حينئذٍ

يكون ابعد عن الناظر باربعة آلاف ميل التي هي قياس نصف قطر الارض

ومن كذب البصر ان تظهر الالوان على غير ما هي وهو محمولٌ في الغالب على تعب الشبكية وذلك كما اذا وُضع امام العين لونٌ احمر ونظرت اليهِ مدةً فان الجزء من الشبكيـة المتأثر بالاحمر يستمرّ بعد ذلك حيناً لا يشعر بهذا اللون فاذا عُرض على العين والحالة هذه رقعةٌ بيضاء فان هذا الجزء منها لا يبصر الا اللون المتمّ للاحمر فيظهر ما يقع عليهِ من لون الرقعة اخضر . ومثلهُ ما اذا كتب الانسان مدة ساعةٍ او نحوها بالحبر الاحمر ثم نظر بعد ذلك الى صحيفةٍ مكتوبة بالحبر الاسود فانهُ يراهُ اخضر . ومما يعسر تعليلهُ في هذا المقام انهُ اذا وُضع لونان مختلفان احدهما بجانب الآخر لا يُبصَران كما لو وُضع كلٌّ منهما وحدهُ ولكن يُرَى كلٌّ منهما كانهُ قد اضيف اليهِ شيءٌ من متمّ الآخر وعليهِ فاذا وُضع الاحمر بجانب الاخضر ظهر الاحمر اشدّ حمرةً والاخضر اشدّ خضرةً واذا وُضع الاحمر بجانب الازرق يميل الازرق الى الاخضر والاحمر الى النارنجي

وامثلة كذب البصر كثيرة منها في اللون ومنها في الحجم او الشكل او غير ذلك مما ذُكر فلا نطيل بها . وعلى كذب البصر بُنيت صناعة التصوير وتمثيل ما في الاشباح من دقائق الاجزاء الشاخصة والغائرة المقوّمة لاشكال الاجسام واليهِ المرجع في كل ما يُرى من الصور البديعـة الصنع التي يتنافس بها المصورون وتُبذَل فيهـا الالوف من الدنانير . وليس منا الا من رأى منها ما هو بالغٌ اتمّ مبلغٍ من استحكام الصنعة حتى قد يتوهم الرسوم المصوَّرة اشباحاً مجسَّمة وانما هي كذلك عند الباصرة وأما عند

اللمس فليست الاّ اطلية ساذجة على الواحٍ بسيطة . وقس على ذلك ما يتعاطاهُ بعضهم من الشعوذات المختلفة مما حير عقول الاغرار وأوهمهم وجود السيمياَء والطلاسم الى غير ذلك

اما كذب بقية الحواس فهو اقلّ كثيراً لقلة ما يقع في محسوساتها من الاشتباه وهو لا يكاد يعرض الا للسمع واللمس وذلك كما اذا احتجبت جهة الصوت وردّهُ الصدى من جهةٍ اخرى فان السامع يتوهمهُ صادراً من تلك الجهة . ويقرب من هذا الايهامُ الذي يفعلهُ المتكلم من جوفهِ فيوهم السامع ان المتكلم غيرهُ . وكما اذا وضع الانسان يدهُ في ماءٍ حارّ ثم غمسها في ماءٍ فاتر فانهُ يشعر بذلك الماء بارداً . والى مثل هذا السبب يرجع ما نجدهُ من برد ماَء الينابيع في الصيف وفتورهِ في الشتاَء مع ان درجة حرارتهِ في الحالين واحدة . وفي جميع ما ذُكر لا بدّ لادراك حقيقة المحسوس من الاستعانة بحاسةٍ اخرى او الرجوع الى قياس العقل او التجربة وعلى كل حال فالعقل هو قاضي محكمة الحواس واليهِ ينتهي الفصل في كل ما يُعرَض عليهِ منها فاذا عُزل عن منصّتهِ او ضلّ في حكمهِ لم ينفع بعضها شهادة بعضٍ ولم يُوثَق منها بحكمٍ صحيح ×

العلم في الصناعة

بقلم حضرة الكاتب نجيب افندي الشوشاني

من الحوادث الاقتصادية الخطيرة التي يسطّرها التأريخ للزمن الحالي ما احرزتهُ المملكة الالمانية في حلبة الصناعة من اخطار السبق وقصب الرهان

بحيث ادهشت العالم باسرهِ واضحت تزاحم اعظم الممالك صناعةً وعلى الخصوص مملكة انكلترا ربّة الصناعة والتجارة في سائر الاقطار والفضل في ذلك راجع الى العلم الذي اشركتهُ في صناعتها واعتمدت عليهِ في سبيل ما بلغت اليهِ من اتساع الثروة وامتداد ظل التجارة .

وليس ارتقاء المانيا هذا السريع مولود يومهِ وابن ساعتهِ او كالنبات الذي يشبّ سريعاً فيزهر ويثمر ثم لا يلبث ان يذبل ويجف فالشعب الالماني يشتغل بالصناعة اشتغالهُ بالعلم ويشتغل بالاثنين مثلما يحارب متأنياً حاسباً مدققاً متثبتاً واثقاً من نفسهِ بما خصهُ الله بهِ من مميزات العقل وصفات الثبات والصبر على البحث والتوفيق بين النظر والعمل وغير هذا مما هو مأثورٌ عنهُ ومعروفٌ بهِ

ومعلومٌ ان المبادئ العلمية الالمانية لها اليوم منزلة عظيمة في عالم العلميات وليس ذلك لانهُ لم ينبغ في غير المانيا من العلماء امثال الذين نبغوا فيها بل لان الالمانيين عرفوا كيف ينتفعون من عقول علمائهم ولأن العلماء قد قرنوا العلم بالعمل فالعالم لا يكون عالماً عندهم الا اذا كان عاملاً صانعاً والطلبة الذين يتلقون العلم في المدارس العالية والمختبَرات المختلفة يزاولون مع كل علم الصناعة المتعلقة بهِ ويتمرنون على ذلك شأن الصانع في تعلّم صنعتهِ

وقبل ان نبغ پستور في فرنسا لم يكن الفرنسويون يتفطنون لهذه القاعدة بل كان المتعلم للكيمياء يتعلمها ليستطيع تدريسها مثلاً او التأليف فيها وكذلك الفلسفة الطبيعية وغيرهما من العلوم . ومزية هذه القاعدة انها تجمع بين العلم والعمل في وقت واحد ولا يخفى ما في ذلك من سرعة الوصول الى الغاية

المطلوبة والاهتداء الى ما لم يكد يخطر بالبال لان الصنّاع كلما امعنوا في البحث والتنقيب وجعلوا العلم دليلهم في طريق التقدّم وساعدهم الايمن في كيفية العمل عثروا على طرائق مستحدثة واكتشافات خطيرة وجاءوا بمصنوعات احسن واتمّ ولذلك كان اكثر اصحاب المعامل الالمانية يضيفون الى معاملهم مختبرات علمية يأوي اليها العلماء يبحثون ويشتغلون ويستنبطون طرائق تستخدم في الصناعة فتزيدها اتقاناً وارتقاء

وايضاحاً لما تقدم نورد قول المسيو هلر الفرنسوي قيّم المختبَر الكيماوي في نانسي من تقريرٍ لهُ بحث فيهِ عن حالة الصناعة الكيماوية وجعل اكثر بحثهِ في بيان السبب الذي تقدمت بهِ هذه الصناعة في المانيا فذكر ان اعظم سبب في ذلك هو ان اساتذة الكيمياء في المدارس الالمانية العالية هم الادلاء في سبيل انجاح الصناعة وان كل واحد من المعامل الكبيرة قد اضيف اليهِ مختبرٌ حافلٌ بالعلماء العاملين · ومن جملة ما ذكرهُ ان صناعة الطيوب بعد ان كانت منحصرة في استخراج الروائح من الازهار والرياحين وعصير بعض النباتات توسّع فيها الالمانيون ففاقوا الفرنسويين الذين كانت لهم فيها اليد الطولى · واورد شاهداً على قولهِ معمل شيمال وشركائهِ في ليبسك فقال ان في هذا المعمل عشرة كيماويين يشتغلون على نفقتهِ الخاصة وان اثنين منهم يقيمان في شعبةٍ لهُ انشأها في غرفلد بالقرب من نيويرك وكلهم علماء وارباب صناعة معاً لا يفترون عن البحث والتجارب · وقد اتخذ المعمل المذكور في ليبسك ارضاً مساحتها سبعون هكتاراً (الهكتار عشرة آلاف متر مربع) يزرع ثلاثون منها ورداً والاربعون الاخرى نباتات

مختلفة وهذه المزروعات الواسعة تابعة للمختبرات التي في المعمل تُمتحَن فيها زراعة النباتات اللازمة لاستخراج الطيوب وبعد امتحانها في المختبرات يقرر العلماء الكيفية والكمية الواجبتين للعمل ويتفننون بما يفتح البحث عليهم من الاكتشافات وتنتجهُ التجارب من تحقيق الرغبات

ولا بأس من ان نعقّب على قول المسيو هلر المتقدّم الذكر فنورد شاهداً آخر من هذا القبيل وهو معمل المجاهر (المكرسكوبات) وسائر انواع الآلات البصرية الكائن في مدينة يانا من اعمال المانيا المعروف بمعمل كارل زَيْس وهو اليوم اعظم معامل الدنيا من نوعهِ . وقد كان كارل زَيس في اول امرهِ عاملاً ميكانيكيًّا فانشأ سنة ١٨٤٦ مصنعاً صغيراً في يانا لاصلاح الآلات المختصة بتعليم الفلسفة الطبيعية فاتصل بهذا السبب باساتذة المدرسة الكلية في المدينة المذكورة واخذ عنهم شيئاً من العلم استعان بهِ على التفنن في حرفتهِ ثم شرع يصنع الزجاجات البصرية والعدسيات ثم المجاهر وفي سنة ١٨٦٦ بلغ من ذلك مبلغاً كان يناظر بهِ اشهر الصناع الفرنسويين . الاّ ان نفسهُ الكبيرة لم تقف بهِ عند هذا الحد من البراعة في الصنعة اليدوية بل دفعتهُ الى الوقوف على اسرارها العلمية فعكف على دراسة الرياضيات ولم يلبث ان لحظ ان صنعتهُ في تقصير عظيم فتمثل اموراً كثيرة في خاطرهِ الاّ ان معلوماتهِ العلمية لم تكن كافية لتحقيق امانيّهِ فاستعان بالاستاذ « أب » رئيس تدريس الفلسفة الطبيعية في كليّة يانا المذكورة وادخلهُ شريكاً في مصنعهِ . وكان كلاهما يريان ان الطريقة القديمة في صنع المجاهر لم تكن وافية بالمرام فتصوّر الاستاذ أب طريقةً اخرى اقتضت تغيير اكثر ادوات المصنع

وبذل النفقات الطائلة وبعد البحث والامتحان الطويلين تبين لهما ان الزجاجات البصرية المعروفة الى ذلك الوقت لم تكن تساعد على اتمام مايسعيان اليهِ فانشأا مصنعاً خصوصياً لصنع الزجاجات وحدها واضطرّ الاستاذ أب ان يشرك عالماً آخر كيماويّاً في عملهِ وهذا اشرك معهُ غيرهُ من الكيماويين واذ ذاك عيّنت الحكومة البروسيانية مبلغ ثلاثين الف دولر في السنة سدًّا لنفقات المصنع . الاّ انهُ لم يمرّ على يوم انشائهِ ما يقرب من السنتين حتى تمّ للقائمين بهِ ما كانوا يسعون اليهِ من الوصول بالمجهر الى ما هو عليهِ اليوم وعند ذلك اتسع نطاق المعمل وذاع امرهُ وصارت الارباح تنهال عليهِ من كل جانب فلم يعد في حاجةٍ الى اسعاف الحكومة لهُ فتنازل لها عنهُ . على انهُ لم يُقتصر فيهِ بعد ذلك على صنع زجاجات المجهر وحدها فقد صُنعت فيهِ اخيراً زجاجةٌ شبحية لمكبّرة فلكية بقطر مئة وخمسة وعشرين سنتيمتراً

على ان ما ابنّاهُ لم يكن السبب الوحيد في تقدّم الصناعة الالمانية بل ثمَّ امرٌ آخر لا يقلّ اهميةً عنهُ وهو شرائع البلاد التجارية فان قانون التجارة في المانيا قد فاق اليوم قوانين سائر الدول اتساعاً وضبطاً وبُعد نظر وقد جرت اصحاب المصانع في سياسة العمّال على سُنَن من النَصَفة والمساواة والانسانية هي من اعدل السنن وضعاً واحسنها وقعاً وكان البادئ بوضع هذه السنن واقامة قسطاس العدل بين الخادم والمخدوم الاستاذ أب السابق الذكر فانهُ تولى معمل زَيس بعد وفاتهِ مدة من الزمن ولفرط شغفه بالانصاف أحب ان يجعل المعمل كبيتٍ واحد لأُسرة كبيرة فأنشأ للادارة مجلساً لا يزيد اعضاؤهُ عن الاربعة ومجلساً آخر ينتخب اعضاءهُ العمال البالغون الثامنة

عشرة من العمر فما فوق وهذا المجلس يُعاد انتخابهُ في كل سنة وتُستأنف اليهِ العقوبات التي يقضي بها القيّمون والمسيطرون على العمال فيفصل فيها محكمون من اهل الخبرة . ثم ان اوقات العمل معينّة بعدل والاجور موزعة بانصاف ولكل عامل سنّهُ من الثامنة عشرة فما فوق ايام راحةٍ تُمنح لهُ في كل سنة والذين يُدعون الى الخدمة الجندية وهم في العمل لهم حق الرجوع اليهِ بعد انقضآء خدمتهم . وفضلاً عما تقدم فالارباح السنوية اذا زادت عن مقدارٍ معين يوزَّع قسمٌ من الزيادة على العمال الاّ ان ذلك منوطٌ بارادة اصحاب المعمل وليس حقاً من حقوق العمال . وفي المعمل صندوقٌ خاص يُنفق من ريعهِ على الذين يصابون من العمال بالامراض والنكبات واصحاب المعمل يجرون رزقاً على ايتام العمال واراملهم بقدر ما تسمح بهِ الاحوال . ومن جملة احكام هذا النظام ان لا يُصرَف (يُرفَت) احد من الخدمة الاّ اذا اقترف ذنباً والذي يُصرَف لعدم توفر عملٍ لهُ يُنقد تعويضاً مالياً على نسبة اجرتهِ والزمن الذي يكون قد قضاهُ في الخدمة وهذا التعويض لا يكون اقل مقداراً من اجرة نصف سنة . واذا توقف المعمل الى حين لعلةٍ من العلل فكل العمال فيه ينقدون اجورهم عن آخرها بشرط ان لا يغادروا البلدة في اثنآء تلك المدة وان يكونوا في كل ساعةٍ قادرين على تلبية اصحاب المعمل اذا دعوهم الى العمل . وقس على ما تقدّم اموراً كثيرة تختص بادارة المعمل الداخلية مما جرى عليهِ غالب المعامل في المانيا وربما زاد البعض فيهِ او نقص منهُ ولكن الجميع متفقون على ان الرئيس يعامل مرؤوسهُ بانصاف وعدل وان كلاًّ من الفريقين يعلم ما عليهِ من الواجبات وما لهُ من الحقوق

فيعملون بما تقتضيه هذه القاعدة الاساسية والشعب الذي يكون دليلهُ العلم ومركبهُ العدل فبشرهُ بنجاحٍ عاجل وفوزٍ مبين

الجبابرة والنُغاشيون

من غرائب فلتات الطبيعة ما يُرَى احياناً من طول قامات بعض الناس أو قصرها الى ما يتجاوز حدّ الاختلاف المألوف في ذلك حتى كأن بعضهم هابطٌ الينا من المرّيخ او القمر والبعض الآخر هابطٌ من المشتري او زُحَل فيمن يزعم ان طول القامة وقصرها يترتبان على مقدار الجاذبية في الاجرام

وقامات البشر تتفاوت على الجملة من متر و ٣٠ سنتيمتراً الى متر و٩٠، ومتوسطها يتردد بين متر و ٦٠ سنتيمتراً ومتر و ٧٠، . واكثر ما تكون القامات الطويلة في الاقاليم الباردة التي بردها محتمل واشهر ما يُذكر منها في نواحي پاتاغونيا الواقعة في جنوبي شيلي والجمهورية الفضية وفيها اطول الناس قاماتٍ ويقال ان طول الرجل فيها قد يفوت المترين ويليها في ذلك نواحي اسوج وفنلندا والسكس من جهة الشمال . والقامات القصيرة تكون على الغالب في الاماكن المجاورة للقطب الشمالي كقبائل الاسكيمو واللاپون وربما كان منها في بعض النواحي الحارّة كبعض جهات افريقيا الجنوبية مما يلي خط الاستواء . واما الاقاليم المعتدلة فالغالب على اهلها التوسط في القامة وهذا مما يدلّ على ان لدرجة الحرارة تأثيراً في عظم الاجسام ودمامتها ولكن لا شك ان نوع المعيشة ايضاً يؤثر فيها لان سوء الغذاء وشظف العيش

وقذارة المسكن ومعاناة المشاقّ ولا سيما في زمن الحداثة كل ذلك مما يثبّط نماء الاجسام ويقصع شبابها ويورثها العاهات والاسقام وبخلافهِ الراحة والنعيم وخصب المعاش واتقاء العوارض المضعفة فانهُ مما يساعد على استيفاء الجسم حقهُ من البسطة والقوّة حتى ان ابناء المترفين يسبقون في الغالب ابناء الصعاليك في تمام الجسم وبلوغ سن الحلم

على ان ما ذكرناهُ من قياس قامات البشر لا يختصّ بالاقاليم المشار اليها لانهُ فضلاً عما ذكر من الاسباب فان للسلالة يداً في ذلك كما في سواهُ من مميزات اللون والملامح وغيرها ولذلك ترى الناس في كل بلادٍ تختلف قاماتهم فيكون منهم الطويل والقصير وما بينهما مما لا يدخل تحت ضبط ولكنهم على الجملة لا يتجاوزون الحد المذكور طولاً وقصراً . غير انهُ قد يشذّ منهم من يفرط في الطول حتى يبلغ الى مترين ونصف أو فوق ذلك أو يفرط في القصر حتى لا يبلغ الى نصف متر وكلاهما من نوادر الخلق لا يُرَى منهم الا الآحاد في بعض البلاد وقد يمضي القرن بتمامهِ ولا يوجد من الفريقين في جميع المعروف من العمران الا ما لا يتعدى اصابع اليدين . وهؤلاء لا يختصون بجيلٍ ولا اقليم لانهم من قبيل الشذوذ على حدّ من يولد بيدٍ أو بعينٍ واحدة او من يولد اعنش اي بستّ اصابع او يكون ملتصقاً بغيرهِ الى غير ذلك مما يُعَدّ من فلتات الخلق وان رُدّ الى اسبابٍ طبيعية كما هو مذهب المحققين

ويسمّى الطويل المفرط الطول بالجبّار قال في تاج العروس قال اللحيانيّ وبهِ فُسّر قولهُ تعالى ان فيها قوماً جبّارين قال اراد الطول والقوّة والعِظَم

وهو مجاز قال الازهري كأنهُ ذهب الى الجبّار من النخل وهو الطويل الذي فات يد المتناول اهـ . ويسمى ضدهُ بالنُغاشي بالضم ويقال فيهِ النُغاش ايضاً وهو القصير من الرجال اقصر ما يكون . والمشهور اليوم من الجبابرة ستة منهم فتىً كَنَدَيّ فرنسوي عُرِض في الصيف الماضي في معرض بوفالو يقال لهُ ادوار بُوپرّاي عمرهُ ١٨ سنة وطولهُ متران و ٣٤ سنتيمتراً . وقد أُخذ قياس اعضائهِ فكان طول رجلهِ من الارض الى أعلى الفخذ متراً و٧٢، وطول قدمهِ ٤٣ سنتيمتراً وطول كفهِ ٢٨ ووزنهُ ١٩٤ كيلغراماً . ومنهم واحد في فرنسا يقال لهُ هوغُو مولود في سَان مرتّين بالقرب من نيس طولهُ متران و ٢٩، ووزنهُ ٢٠٤ كيلغرامات . وآخر في سويسرا يقال لهُ قسطنطين عمرهُ ١٩ سنة وطولهُ متران و ٢٤، . وآخر في المانيا يقال لهُ هَيرُلْد طولهُ متران و ١٩، . وآخر في باقاريا يقال لهُ أُسوَلد بالّين عمرهُ ٢٤ سنة وطولهُ متران و ١٩، ووزنهُ ١٤٨ كيلغراماً . وفتاةٌ في انكلترا يقال لها اللادي أَما طولها متران و ١٩،

اما الذين تُوفُّوا او لا تُعرَف اماكنهم فمن يُذكر منهم شَنْغ يّت سِنغ وهو صينيٌّ ورد باريز سنة ١٨٧٨ وجال في سائر اوربا وكان طولهُ مترين و٣٢، وقيل مترين و ٤٩، وكان بخلاف هذه الطبقة كلها ذكيًّا متعلماً عارفاً بعدّة لغات . ومنهم فتىً يوناني عُرِض في انكلترا سنة ١٨٨٦ اسمهُ اماناب ولد سنة ١٨٦٨ بناحية طرابزون وكان طولهُ مترين و ٣٦، ومحيط رأسهِ ٦٨، ومحيط جسمهِ عند صدرهِ لا يقلّ عن متر و ٣٤، . ولم يكن يتعاطى حرفةً سوى ان يجول في عواصم اوروبا يعرض منظرهُ ويتكسب بهِ وهو

الذي ترى صورتهُ في الرسم . ومنهم بوّاب كان عند دوك وُرتَمبَرغ بالمانيا طولهُ متران و٤٧ ، . ويقال ان الامبراطور مكسيمين الروماني كان طولهُ مترين و٥٠ ، وكانت فيهِ قوةٌ عجيبة حتى كان يقتلع الشجرة العظيمة ويطحن الحصى الصلبة بين اصابعهِ ويرفس الحصان على فخذهِ فيكسرها .



واطول من ذُكر من هؤلاء الجبابرة رجلٌ اسود من الكنغو رآهُ فندر برُوك طولهُ متران و٦٠ ، ويقال ان في لندرا في رواق الجمعية الطبية جثةً محفوظة طولها ٨ اقدام و ٩ عقَدٍ ونصف اي نحو مترين و ٦٨ ، وهي جثة رجلٍ ارلندي اسمهُ شارل بِيرن توفي ١٧٨٣ وعمرهُ ٢٢ سنة

قيل والجبّارون لايكونون في الاكثر الا ضعفآء المنّة ثقال الحركة منخوبي القلوب خلافاً لما اشتهر عنهم او لما يتبادر منهم وقلما يكونون مع ذلك الا بلدآء العقول وعلى الغالب يسرع اليهم الهرم ولا يعيشون طويلاً . وابن الجبار لا يأتي جباراً مثلهُ ولكن يكون كسائر الناس على انهم كثيراً ما لا يولد لهم

اما النغاشيون فممن يذكر منهم واحدٌ اسمهُ جان فرّي كان طولهُ في السنة السادسة عشرة من عمرهِ ٧٨ سنتيمتراً وادرك الحلم في سن السابعة عشرة وبقي نموّهُ يزداد الى الثامنة عشرة فبلغ ٨٩ سنتيمتراً واذ ذاك تزوج بنغاشيةٍ مثلهِ تسمى ترِيز سُوڤراي لكن لم يولد لهما وما لبث بعد ذلك ان ظهرت فيهِ امارات الشيخوخة والعجز وتوفي في سن ٢٣ . ومنهم واحدٌ يسمى بُورُسْلَسْكي من پولونيا وهو اقصر من جان فرّي بلغ في الثانية والعشرين من عمرهِ ٧٥ سنتيمتراً وكان يحسن الخط والحساب ويتكلم بعدة لغات ويرقص رقصاً بديعاً ويعزف بالشبّابة والكمنجة . وكان لهُ اربعة اخوة لم يكن اكبرهم يفوتهُ الا بثلاثة سنتيمترات ولهُ اختٌ لم يزد طولها على ٥٧ سنتيمتراً واما الاخوة الثلاثة الباقون فكانوا تامّي القامات يبلغ الواحد منهم متراً و٨٠ سنتيمتراً . واغرب النغاشيين واحدٌ كان يسمى پيار بْرْسكي وهو ابن رجل قوزاقي طولهُ ٧٨ سنتيمتراً عاش ٣٠ سنة ولم يكن لهُ يدان وكانت رجلاهُ ملتحمتين من عند الركبتين ولكل قدمٍ منهما اربع اصابع ومع ذلك فقد كان سريع المشي وكان يكتب برجلهِ اليسرى كتابةً واضحة بالروسية واللاتينية ويرسم بالحبر الصيني وكان من اشهر لاعبي وقتهِ بالورق

والشطرنج . وكان في محفوظات برخ جثة نغاشيٍّ طوله ٤٣ سنتيمتراً مات في سن ٣٧ وهو اقصر من ورد ذكرهُ من هذه الطبقة واذا قايست بينهُ وبين آخر من ذُكر من الجبابرة تجدهُ يبلغ اقلّ من سدسهِ والله يخلق ما يشآء وهو المبدع الحكيم

قصيدة عصريَّة

في وصف سوق احسان اقامها العذارى الاسرائيليات في الاوتل كونتينتال بمصر من نظم حضرة الفتى الاديب رشيد افندي المصوبع

حَيِّ في مصرَ اربعَ الغاداتِ ومغاني الحسان والحسناتِ
اربعٌ قد حوينَ كل جميلٍ من صنيعٍ وأوجهٍ سافراتِ
تتجارى الفتيانُ فيها الى البذ لِ باغراءِ اعينِ الفتياتِ
آنساتٌ صيرنَ من كان في القو م بخيلاً يجودُ بالمكرماتِ
يستبيهِ لحظ الحسان فلا يلـ بث ان يبذل اللُّهى والهباتِ
كلٌّ خَوْدٍ للسحر في مقلتيها عُقَدٌ قد خلبنَ بالنفثاتِ
اخذت للفقير منا زكاةً قابلتها من حسنها بزكاةِ
وغدا الزهر غاليَ السعر اذ قد كان يُعطى من تلكم الراحاتِ
يُنثر الوردُ حولنا من يديها فنخال الخدود منتثراتِ
وتُعيرُ النسيم من صدرها أنـ فاس طيبٍ نردُّها زَفَراتِ
فاتناتٌ تسير بالعزّ والاجلال حتى تخالها ملكاتِ
علمت انها شوادن عسفا ن فسارت تتيهُ مفتخراتِ

لابساتٌ من الجمال بروداً ... وبروداً بالحسن متّشحاتِ
من حرير على المعاطف يغشا ... هُ حرير الغدائر المسبلاتِ
ملكاتُ الجمال من ذهب الشعر م ... عقدنَ التيجان للهاماتِ
ونفيسُ الالماس رُصّعَ في أُلها ... م كقطر الانداء في الغدواتِ
وتلوح القاماتُ والزهرُ في أيـ ... دي العذارى كأغصنٍ مزهراتِ
ان يفتها طير الاراكِ فقد كا ... نت عليها قلوبنا طائراتِ
يا لها ليلةً انيرَ دُجاها ... بشموسٍ في افقها طالعاتِ
والمصابيح حولهنَّ تبدّت ... كبدورٍ قد انجلت في الكُراتِ
وتخال المقام منبت بانا ... تٍ لما فوقهُ من القاماتِ
تتبارى الاعطاف ميلاً مع الاعـ ... طافِ حتى تخالها سابحاتِ
وفؤادُ المفتون يخفق من وجـ ... دٍ خفوقَ الاعلام والراياتِ
سوقُ حسنٍ للعاشقين وسوقٌ ... من جميلٍ للبائسين العفاةِ
انشأتها ايدي الكواعب منهنَّ م ... ويا حسنهنَّ من منشئاتِ
ما كفتنا محاسن العِين حتى ... ملكتنا الحسان بالهمّاتِ
هكذا يُجعل الجمال لفعل ال ... خيرِ لا للخِلاب والمنكراتِ
هكذا تُشفق الحسان وتغدو ... للذي رام قربها قاسياتِ
هكذا يُكرَمُ المتيّمُ بالور ... دِ ولكن يُحمى عن الوجناتِ
هكذا تلتقي العواتق في مو ... عدِ خيرٍ يفرّج الأزماتِ
هكذا فلتكُ الكواعبُ اعوا ... ناً على البرّ لا دُمى حاناتِ
هكذا يُعرَض الجمال محلًّى ... بجميل الافعال والغاياتِ

أجمل اللهُ حال من عضّهُ الفقـ رُ كإجمال سعي ذي الآنساتِ
وجمال النسآء مثل ذكاء ألـ مرء يأتي بالنفع والبركاتِ
صاحِ هذا الزمان عصرُ الغواني كل سوقٍ تروج بالغانياتِ
كان ذاك الجمال يشفع في حا لِ اخي البؤس لا قلوبُ السراةِ
حبذا العصر عصر نورٍ به الاحـ سان يجنى من العيون اللواتي
فأرتنا الآدابَ في عصرنا الزا هرِ مثل العلوم مخترعاتِ
أجزل اللهُ أجرَ من قمنَ بالبرِّ حناناً من تلكمُ المحسناتِ

اسئلة واجوبتها

القاهرة — ارجو الجواب على الاسئلة الآتية

(١) يُضرَب المثل بندامة الكسعيّ فمن هو الكسعي هذا وما خبرهُ

(٢) سمعت بعضهم يقول ان لفظة «اغلاط» لا توجد في اللغة وقد تكررت هذه الكلمة في ضيآئكم وكثير من المجلات والجرائد فما قولكم في ذلك

(٣) هل من الممكن استعمال لغةٍ واحدة في مشارق الارض ومغاربها واذا كان ذلك فأيّ اللغات احرى بهذا الاستعمال محمد عبد الحميد

الجواب — اما الكُسَعيّ (بضمٍّ ففتح) فهو رجلٌ من الكُسَع حيٍّ من قيس عيلان وقيل من بني كُسَيعة اسمهُ محارب بن قيس وكان من حديثهِ انهُ رأى قضيباً من الشوحط نابتاً في صخرةٍ فقطعهُ ونحت منهُ

قوساً واتخذ من بقيتهِ خمسة اسهم وخرج ليلاً الى قُترةٍ لهُ على موارد حُمُرِ الوحش (القترة المكان الذي يختبئ فيهِ الصياد حتى لا يراهُ الصيد) فرمى عيراً منها فأنفذهُ ووقع السهم على صوّانةٍ فأورَى اي اخرج شرراً فظنهُ اخطأ . ثم وردت الحمر ثانيةً فرمى واحداً فكان كالذي مضى وتكرر معهُ ذلك الى الخامسة فكان كذلك فقال

ابعدَ خمسٍ قد حفظتُ عدَّها   احملُ قوسي واريدُ ردَّها

واللّه لا تسلمُ عندي بعدَها

ثم خرج من قُترتهِ حتى بلغ صخرةً فضرب قوسهُ بها حتى كسرها ثم نام الى جانبها فلما اصبح نظر الى نبلهِ مضرَّجةً بالدمآء والى الحُمُر مصرّعةً حولهُ فندم على كسر قوسهِ وعضّ ابهامهُ فقطعها ثم انشأ يقول

ندمتُ ندامةً لو أنَّ نفسي   تطاوعني اذن لبترتُ خمسي

تبيَّنَ لي سَفاهُ الرأي مني   لعمر الله حين كسرتُ قوسي

فصار مثلاً لكل من يندم على فعلٍ فعلهُ قال الفرزدق

ندمتُ ندامة الكُسَعيّ لما   غدت مني مطلَّقةً نَوارُ

واما ما سمعتم من ان لفظة « اغلاط » لا توجد في اللغة وبعبارةٍ اخرى ان كلمة غلط لا تُجمعَ لانها مصدر فهو قول من سمع ان المصدر لا يجمع فوقف عند ما سمعهُ . وقد ذكرنا هذا الاعتراض حديثاً رواهُ ابو القاسم العريف قال دخل المتنبي على جعفر بن الفرات الوزير وعندهُ رؤساء بلدتهِ وشعرآؤها وفيهم ابو عليٍّ الآمديّ اللغويّ فرفعهُ واكرمهُ ثم قال يا ابا الطيّب هذا الشيخ ابو عليّ الآمديّ فقال ما اعرفهُ . فغضب ابو عليّ . ثم

انشد المتنبي قصيدتهُ التي مطلعها « انما التهنئات للاكفاء » فقال الآمدي كيف جُمعت التهنئة وهي مصدر والمصدر لا يُجمَع . فقال المتنبي الى بعض اصحابهِ الذي يليهِ وقال امسلمٌ هو . فقال يا سبحان الله هذا الشيخ ابو عليّ الآمدي وتقول فيهِ مثل هذا . فقال أليس يصلي فيتشهّد فيقول « التحيات والتسليمات » فخجل الآمديّ ولم ينطق بكلمة . انتهى

وانما يمتنع جمع المصدر اذا اريد بهِ معنى الحدث مجرداً اذ هو للحقيقة المشتركة بين القليل والكثير كما قررناهُ في غير هذا الموضع فلا يكون لجمعهِ معنى ولكن اذا اريد بهِ النوع كالاسقام والاهوآء والبيوع والعقود او جُعل اسماً لمدلولهِ مجرداً عن ارادة معنى الحدث كالاحقاد والاشواق والأشجان والأطراب وكل ذلك واردٌ في كتب اللغة جمع كبقية الاسماء . وقد تقدم لنا مزيد بيانٍ في هذه المسئلة في مجلد السنة الاولى من هذه المجلة (ص ٣١٠) فراجعوهُ

بقي النصّ على لفظة « اغلاط » بخصوصها وهو ما صرّح بهِ صاحب تاج العروس وعبارتهُ بالحرف « ويُجمَع الغلط على اغلاط قال ابن سيده ورأيت ابن جنّيّ قد جمعهُ على غِلاط قال ولا ادري وجه ذلك » . اه . فنصّ لهُ على جمعين احدهما على أَفعال وهو القياس في جمع فَعَل بفتحتين والآخر على فِعال بالكسر وكأنّ ابن جني حملهُ على مثل جَبَل وجِبال وهو ما التبس على ابن سيده . ثم ان صاحب المزهر عنون النوع الخمسين من كتابهِ بقولهِ « معرفة اغلاط العرب » وكرر هذه اللفظة غير مرة في الفصل المذكور نقلاً عن ابن جني وبهذا القدر في هذا المقام كفاية

واما استعمال لغةٍ عامة فمما اخذ علماء اوربا منذ سنين يبحثون فيهِ وقد وضع اناسٌ منهم الفاظاً واحكاماً لهذه اللغة على عدة انحاء لم يقع الاجماع على شيءٍ منها وآخر ما مال اليهِ الباحثون في هذا الغرض ان تؤلف لغةٌ مختلطة من الفرنسوية والانكليزية لِما انهما اكثر اللغات انتشاراً في الارض وهو ما يتذاكرون فيهِ اليوم ولعلهم لا يفلحون فيهِ الا بعد زمنٍ طويل والله اعلم

القاهرة — بينما كنت اطالع في معجم الجزويت المسمى باقرب الموارد عثرت في مادة (ع ق ل) على العبارة الآتية ارويها لكم بالحرف « العقَل محركةً اصطكاك الركبتين او التواء في الرجل واتساع كبير العرقوبين » اه · فلم افهم معنى قولهِ « اتساع كبير العرقوبين » وبعد ان اطلت التأمل في معنى هذه العبارة على غير طائل رجعت الى الكتاب نفسهِ استفتيهِ في ذلك ففتحت مادة (ع ر ق ب) لعلي اجد في تفسير العرقوب ما يرشدني الى المراد فوجدتهُ يقول « العرقوب عصب غليظ موتَّر فوق عقب الانسان ومن الدابة في رجلها بمنزلة الركبة في يدها » اه · فما زادني هذا النصّ الا ابهاماً وحيرةً ولذلك جئت استنير بأشعة ضيائكم راجياً كشف الستار عن هذا المعمى ولكم الفضل عوض يوسف

الجواب — هذا من المعميات التي لم يكن بودّنا كشف الستار عنها لولا ان العلم امانةٌ لا يجوز كتمها ولا تبديلها وأن للسائل حقّاً على المسؤول لا يخرج منهُ الا بالجواب وكأنا بالمؤلف اذا وقف على سؤالكم هذا ثم وقف على ما وراءهُ من البيان سيستعيذ بالله وينشد بلسان حالهِ قول الشاعر

ما يريد الناسُ منّا ما يكفّ الناسُ عنّا

انما همُّهمُ أَن　　ينبشوا ما قد دفنّا

تقدم لنا في غير موضع(١) عند ذكر هذا الكتاب انهُ ليس الاّ نسخةً عن محيط المحيط للطيب الذكر المعلم بطرس البستاني الا ان الناسخ لم يحسن النسخ فمسخ عبارة الاصل تارةً سهواً وتارةً عمداً وقد اجتمع لهُ الامران هنا كما سنوضحهُ . وذلك ان اصل العبارة في محيط المحيط بهذه الصورة

« العَقَل اصطكاك الركبتين او التوآء في الرجل واتساعٌ كبير قال ابن السكيت هو ان يفرط الرَوَح حتى يصطك العرقوبان وهو مذموم » اه

فقولهُ « قال ابن السكيت » الى قولهِ « يصطك » ساقط من النسخة الجزويتية وهو في محيط المحيط سطر كامل ولأمرٍ ما ضرب الله على بصر المؤلف فزلّ عن هذا السطر الى الذي يليهِ فوقع قولهُ « العرقوبان » بعد قولهِ « كبير » وجاءت صورة العبارة « اتساعٌ كبير العرقوبان » . ونزيدكم هنا ان المؤلف من البارعين في علم النحو فلم يخفَ عليهِ ان « العرقوبان » هكذا بالالف غلط لانهُ بعد هذا المسخ جاء في صورة المضاف اليهِ ولابدّ ان يكون رأى ان البستاني رحمهُ الله قد غلط في هذه اللفظة فحوَّلها من صورة الرفع الى صورة الجرّ فصار لفظ العبارة « اتساعٌ كبير العرقوبين »

فهل من ينكر بعد هذا تسمية مثل هذا المؤلف بالعلاّمة الجهبذ اللغويّ كما تسميّهِ مجلة المشرق ثم هل من ينكر على اصحابها الجزويت انهم معدن العلم ومصدر الصدق .....

(١) ضياء هذه السنة ص ٢١١ والبيان ص ١٨٤

فكاهات

رواية

كشف المغطى

كان في المانيا رجلٌ يقال لهُ هورنشتَين دأب منذ صغرهِ في الاشغال التجارية فما بلغ السنة الاربعين من عمره حتى عظمت ثروتهُ واتسع نطاق شغلهِ واصبح محلهُ من اشهر المحلات التجارية في برلين . وتزوج في صغرهِ فرزقهُ الله ابناً وابنةً عكف على تربيتهما وتهذيب اخلاقهما فما بلغ ابنهُ اشدَّهُ حتى الحقهُ بمحلهِ التجاري وعين لهُ عملاً فيهِ كباقي المستخدمين والكتاب. اما الابنة واسمها اماليا فعادت بعد انتهآء ايامها المدرسية الى بيت والدها لا ينازعها في جمالها منازع ولا تفوقها في آدابها كريمةٌ من كرائم السراة والوجهآء وفوّض اليها والداها مهام المنزل وترتيبهُ فكانت في ذلك القصر العظيم ملكةً مستقلة الحكم لا يفوتها شيء من الحكمة والذوق في جودة التدبير وحسن الترتيب وارضآء كل من اتصل بالبيت داخلاً وخارجاً فاعجب بها الزائرون واحبها الخدام وكانت اوامرها لا تراجع وحكمها لا يخالف . اما الولد واسمهُ غستاف فصادف في ادارة ابيهِ شغلاً قليلاً ومالاً كثيراً فعكف على القصف واللهو والاسراف وكانت حياتهُ كحياة اولاد الاشراف الاغنيآء ....

وكان في ادارة هورنشتين من جملة الكتاب فتى حلو الشمائل رقيق العواطف بهيّ الطلعة اسمهُ هرمان وكان على اعظم جانب من الذكآء وحسن التصرف فاحبهُ هورنشتين ومال اليهِ فجعل يرقيهِ وعزم على جعلهِ شريكاً لهُ في تلك التجارة

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

الواسعة . وكان لهرمان اختٌ اسمها هنريت لا تنحطّ عنهُ في الجمال وطيب الخصال فاحبها غستاف وعزم على الاقتران بها فوافق عزمهُ رضى والديهِ وسرور هرمان لان هذا ايضاً قد طمح بصرهُ الى اماليا بنت هورنشتين فعزم على مبادلة شقيقتهِ بها وكان هذا ما تودّهُ اماليا ايضاً فصار من المقرر ان يجري كل ذلك على حسب افكار هؤلآء الاشخاص المتفقة

اما محبة غستاف لهنريت فلم تكن لتمنعهُ في اوقات فراغهِ من مغازلة الحسان والتزلف الى غيرها من السيدات اللواتي يصيدهنّ بجبال جمالهِ ومالهِ وكان في اثنآء خطبتهِ لهنريت قد علق بسيدةٍ ذات بعلٍ تدعى مدام ليوبولد وزوجها من عمال املاك ابيهِ غير انها كانت امينةً لزوجها محافظةً على عفافها فلم تملك غستاف منها ولا اقلّ اشارة تدلّ على رضاها منهُ . وكانت كلما اظهرت لهُ الجفآء والصدّ وردعتهُ عن مقاصدهِ السيئة لا يزداد الا هياماً بها وتذللاً لها فلا يصادف منها الا النفور والاعراض . ولما يئس منها عمد الى الكيد فنقل الى زوجها كلاماً كثيراً في حق زوجتهِ واحتال عليهِ بطرقهِ الشيطانية حتى اوغر صدرهُ عليها وتاكد فيها الخيانة فتركها يوماً وسافر الى حيث لم يدرِ احد ومضت عليهِ مدة طويلة لم يسمع احدٌ بخبرهِ ولم يأتِ البحث عنهُ بفائدة فظن بعضهم انهُ انتحر من شدة غيظهِ وقال غيرهم انهُ سافر الى معادن الذهب . ولبثت مدام ليوبولد بعد غياب زوجها محافظةً على كرامتها مقيمةً على ما عهد بها من العفة والصيانة ولما لم يكن لها شيءٌ من الدخل ولا مال لديها جعلت تبيع من اثاث بيتها وتنفق بمنتهى الحرص والتقتير . واغتنم غستاف هذه الفرصة فكان يأتيها اليوم بعد الآخر ويعرض عليها المبالغ الباهظة من اموالهِ فترفضها بمعظم الانفة والاحتقار . ولما سئمت من ترددهِ اليها وقطعت املها من رجوع زوجها ولم يعد عندها شيءٌ من المال تركت هي ايضاً بيتها وسافرت مع طفلها الى بلدةٍ اخرى فاقامت مرضعةً عند بعض السراة

وكانت مدام ليوبولد تغرس في رأس طفلها العلوم الابتدآئية واصول العقائد الدينية فنشأ كما نشأت والدتهُ على امتن القواعد الادبية . ولما شبّ اطلعتهُ على

وقائع حياتها وما اوصلهما الى هذه الحالة فتفتت قلب الفتى كمداً واضمر لغستاف الشرّ ولما رأت والدتهُ منهُ ذلك جعلت تخفف عليهِ وتوصيهِ ان لا يفكر البتة في امر الانتقام اذ الانتقام لله . وكان هرمان قد علم بما وصلت اليهِ حال مدام ليوبولد من الفاقة ونفاد ما عندها وعلم ان ما تحصلهُ من الدخل القليل لا يكفي لنفقاتها ونفقات ولدها المدرسية فكان يرسل اليها من وقت الى آخر ما تستعين بهِ وكانت هي تشعر بفضلهِ وتعتقد من جميلهِ ما لا تنساهُ

وجاء اليوم المعين لزفاف هنريت الى غستاف فزينت دار هورنشتين بابهى مظاهر الزينة واحتُفل فيها باقامة وليمة عظيمة دُعي اليها العدد الغفير من الاصدقاء والاعيان وكان ميعاد حفلة الاكليل في ذلك المساء . اما هرمان اخو العروس فكان مسافرًا في شغل يختص بالمحل ويُنتظر رجوعهُ في قطار المساء . فلما خيم الظلام أُوقدت المصابيح وتألقت الانوار واستكملت اسباب السرور واذا بصفير القطار يبشر بقدومهِ يقلّ هرمان . غير انهُ ما كاد القطار يبلغ المحطة حتى دوى من جهتهِ صوتٌ كالرعد القاصف ثم تلاهُ صراخٌ يصمّ الآذان فوقف كل من كانوا في دار العرس يتساءلون عن ذلك الصوت والصياح . وبعد بضع دقائق جاء القصر فتى واخبرهم ان القطار عند بلوغهِ المحطة اصطدم بقطارٍ آخر كان خارجاً منها وكان الاصطدام عنيفاً جدًّا فتكسرت العربات وتحطمت العجلات ولم يعلم بعد عدد القتلى والجرحى . فما سمع اهل البيت هذا الخبر حتى هرعوا الى محل الحادثة فرأوا منظرًا يفتت الاكباد فدماءٌ تسيل واشخاصٌ تئنّ من الالم وارواحٌ تتسابق الى حضرة خالقها . اما هرمان فوجدوهُ في عربة ملطخاً بالدم وقد اصابتهُ جراحٌ عديدة فحملوهُ الى بيت هورنشتين واستدعوا للحال نطس الاطباء للاعتناء بهِ . ولما لم يكن بدٌّ من قران غستاف عُقد لهُ في تلك الليلة على هنريت بمنتهى البساطة والسكوت واهملوا ما كانوا رتبوهُ من دواعي المسرات بسبب تلك الحادثة المؤلمة وعلى الخصوص لما اصاب هرمان اخا العروس

اما هرمان فبقي اليوم الاول والثاني في آلامٍ مبرحة ثم تسلطت عليهِ حمى

شديدة هال الاطباء امرها وافرغوا جهدهم في معالجتها فلم تنجح علاجاتهم وتقرر اخيرًا قطع الامل من شفائهِ . ولما انتشرت هذه الحقيقة انقلبت هيئة ذلك البيت وجعل الجميع يندبون شباب تلك الزهرة النضيرة ولا سيما حبيبتهُ اماليا وشقيقتهُ هنريت فلم تفارقا سريرهُ وهما تتناوبان السهر عليهِ وتمريضهُ حسب اشارة الاطباء وتتمنيان ان يكون في وسعهما اطالة الدقائق الباقية من حياتهِ ولو بخسارتهما اياها من حياتهما

وحدث في ذلك الحين ان اشترى بعض التجار من محل هورنشتين املاكاً بقيمة عشرين الف ليرة ولما تم عقد البيع وطُلب المال من المشترين اظهروا وصلاً بتوقيع المحل يفيد ان القيمة قد دُفعت. فنزل هذا الخبر على رئيس المحل كنزول الصاعقة ووقعت الحيرة على كل من كان في المحل من المستخدمين والكتاب واخذوا يتساءلون عمن استلم هذا المبلغ لانهُ لم يصل الى الصندوق . وفي اثناء ذلك بينما كان هرمان ملقىً على سرير احتضارهِ دخل عليهِ غستاف بوجهٍ اصفر وهيئة مضطربة فطلب الى زوجتهِ وشقيقتهِ ان تغادرا الغرفة هنيهةً ولما بقي وحدهُ مع المحتضَر جثا بالقرب من سريرهِ وقال لهُ يا عزيزي هرمان اخبرك بكل اسف ان الاطباء قد قطعت الامل من حياتك وانهُ ليعزّ عليَّ جدًّا ان ينالك سوء غير انهُ اذا كان هذا الذي سيقع ولا مردّ لقضاء الله فقد جئتك متوسلاً اليك في امرٍ يهمني جدًّا وانا على ثقةٍ انك لا تبخل عليَّ بهِ . فاعلم ان والدي قد خصص لي مبلغاً معيناً اتقاضاهُ من المحل في نهاية كل شهر ولما كان هذا المبلغ غير كافٍ لبعض النفقات التي اضطررت اليها فقد أُلجئت الى استدانة ما احتاج اليهِ من محل فنك وانا لا ادري كيف او متى اتمكن من وفائهِ. وقد جاء فنك في هذين اليومين يشتري الاملاك التي تعهدها وسألني ان أفيهُ المبلغ الذي استدنتهُ منهُ فزورت لهُ وصلاً بتوقيع المحل بقيمة العشرين الف ليرة التي هي ثمن الاملاك المذكورة واخذت منهُ بقية الثمن. ولا حاجة ان اقول لك انهُ متى علم والدي بالواقع فسيطردني من بيتهِ بدون شك اذا لم يسلمني الى القضاء وسابقى مع زوجتي في حالة الضنك الشديد

وانت تعلم النتيجة . ولما علمت انك انت مائتٌ لا محالة قصدت فضلك ايها الاخ الصادق لتوافقني على القآء التبعة عليك فانك اذا مت لا يقدر احدٌ ان يوصل أليك اذيةً ما ولا يهمك اذ ذاك كلام البشر واني اعدك وعد صادقٍ انني بعد ان يتناسى هذا الخبر اترقب الفرص لازالة ما سيعلق بافكار الناس من جهتك واعيد اسمك الى ما هو عليهِ من الكرامة والاحترام

وكان غستاف يتكلم وهو يتضرع الى هرمان ان لا يصدّهُ فتأثر ذاك ولما ايقن انهُ مائتٌ ولا يضرّهُ من هذا الامر سوى اهانة اسمهِ عزم ان يبذل كرامتهُ لانقاذ زوج شقيقتهِ وشقيق حبيبتهِ وما اجاب بالايجاب حتى ابرقت اسرّة غستاف ونهض الى هرمان يقبل يديهِ ورجليهِ ثم اخرج من جيبهِ رقعةً كتب فيها ما يأتي « انني انا استلمت من محل فنك مبلغ العشرين الف ليرة ثمن الاملاك المشتراة من محل هورنشتين واذ كنت في حاجةٍ الى هذا المبلغ لم اوردهُ الى المحل فلا يُتهم غيري بهـذا الامر . اما المال فلا سبيل الى ردّهِ واما قصاصي فقد نلتهُ عاجلاً بما وقع عليّ من القضآء وانا استغفر الله عن ذنبي وارجو من اصحاب الشأن الصفح عما فعلت » . ثم قدم الرقعة الى هرمان واعطاهُ قلماً ليوقع عليها فاخذ هرمان القلم وتوقف هنيهةً ثم وقع عليها ودفعها الى غستاف وحوّل وجههُ الى الحائط

وما صدق غستاف ان اخذ هذه الورقة حتى خرج من الغرفة وتوجه توًّا الى المحل فرأى والدهُ يوالي البحث والتدقيق فاستدعاهُ الى جانب واخبرهُ ان الفاعل هو هرمان واراهُ الورقة التي وقع عليها ذاك وهو يعتقد انهُ لا يعود الى البيت الا ويكون هرمان قد فارق الحياة فيبقى سرّهُ محفوظًا الى الابد . ولما تحقق هورنشتين الامر كاد يفقد عقلهُ لشدة تأثرهِ وعلى الخصوص لانهُ كان يودّ هرمان جدًّا ويعجب باستقامتهِ ويروم مشاركتهُ . فامر اذ ذاك بكتمان الامر وسدل على ما حدث حجاب النسيان

ولم يمت هرمان كما تنبأ الاطبـآء ففي اليوم الثاني هبطت درجة الحمى واخذت صحتهُ تتقوى شيئًا فشيئًا حتى نقه تمامًا وهو في تلك المدة لم يدرِ شيئًا عما جرى في

محل هورنشتين سوى ما ذكرهُ غستاف . فلما اذن لهُ الطبيب في الخروج من غرفتهِ استدعاهُ هورنشتين سرًّا وعنفهُ شديدًا على اخذهِ ذلك المبلغ وقال لهُ انني قد تجاوزت الحدّ في ثقتي بك فسلمت اليك جميع اشغالي ولم يخطر لي قط انك تخونني هذه الخيانة . وبما انهُ قد كان بيني و بين والدك صداقة اكيدة فلاجلهِ لا اسلمك الى الحكومة ولا اكافئك بشيءٍ سوى الطرد من خدمتي فمن الآن تغادر هذا المحل واياك ان تريني وجهك من بعد . وخطر لهرمان ان يبرئ نفسهُ فورًا ويقص على هورنشتين ما فعلهُ ابنهُ غستاف ولكنهُ راجع نفسهُ وابقى الامر مكتومًا اعتمادًا على وعد غستاف وانهُ لا بد ان تنجلي الحقيقة عن قريب و يعود الى مركزهِ السابق . فغادر المحل وقد ترك فيهِ قلبهُ وفي صدرهِ نارٌ احرُّ نار الجحيم ابردها . ولم يكن هرمان من المثرين فجعل يسعى في وجود شغلٍ في محلاتٍ اخرى ولكنهُ كان لا يقابل الا بالرفض والاعراض لان غستاف لما شفي هرمان خشي ان يبوح بما كان منهُ ويكشف عنهُ قناع ردآءِتهِ فكان يسبقهُ الى كل محل ويرميهِ بكل قبيح من التهم ويجتهد في اسقاطهِ وسدّ ابواب الرجآء في وجههِ ليغادر البلاد ويتخلص من شرهِ

وكانت مدام ليو بولد تربي ولدها بما تحصلهُ بعرق جبينها وما يساعدها بهِ هرمان فلما اصابتهُ هذه الحادثة تأخر عن مساعدتها فاخرجت ولدها من المدرسة وكان قد صار شابًّا ولما رأى الولد ضيقة والدتهِ استأذنها ان يسافر الى كلنديك حيث معادن الذهب لعلهُ يصيب شيئًا يهيئ لهُ سبيل المعيشة مع والدتهِ فقبلت والدتهُ بعد التردد الشديد وسافر الغلام على بركات الله

و بعد مضي عشر سنوات على آخر هذه الحوادث جآء البلدة رجلٌ قيل انهُ اميركاني ومعهُ ابنهُ الوحيد وهو شابٌّ في الخامسة والعشرين من عمرهِ . فتعاطى في البلدة تجارةً من نوع اشغال هورنشتين وبحث عن هرمان فوكلهُ على اعمالهِ رغمًا عن سعي غستاف لدى هذا الغريب في ابعاد هرمان وحرمانهِ . وكان هذا المحل يتقدم تقدمًا سريعًا على عكس محل هورنشتين الذي اخذ في التأخر واصبح على

شفير الخراب

وتعرف الرجل الاميركاني بهورنشتين فاخذا يبحثان في شؤون التجارة والشغل وافضيا الى ذكر العمال والحسابات وما شاكلها فقص هورنشتين على الاميركاني انهُ وثق يوماً باعز عمالهِ وسلم اليهِ اشغالهُ فخانهُ وسرق منهُ اموالاً بقيمة عشرين الف ليرة وان اسم هذا الكاتب هرمان . فاظهر الاميركاني التعجب وقال ان الرجل نفسهُ مستخدم عندي وقد فوضت الى عهدتهِ جميع اشغالي ولا اعرف فيـهِ سوى الحزم والاجتهاد في العمل والاستقامة والامانة التامة ولا يمكنني تصديق هذه التهمة عنهُ . قال هورنشتين وانا ما كنت لاصدق لو لم ارَ بعيني اعترافهُ خطّاً وهو على سرير الموت . قال الاميركاني وهل فحصت دفاترك بعد طردهِ فوجدتها خالية من التلاعب . قال لا ولكني واثقٌ بصحتها لاني سلمتها بعد هرمان الى ولدي الوحيد . قال أتأذن لي ان اراجعها معك حتى نتحقق بواطن هذا الامر ونحيط بكل اسرارهِ فاجابهُ هورنشتين بالايجاب وفي اليوم الثاني اجتمع الاثنان واخذا يطالعان دفاتر المحل ويراجعان قيودهُ فما عتم الاميركاني ان وجد مواضع عديدة في القيود حصل فيها تلاعب وسرق بواسطتها مبـالغ جسيمة . فوقف هورنشتين كالمبهوت وقد اكفهرّ لونهُ ولم يملك عبرتهُ وقال يا رباه افي كل يوم ارى مثل هذه الحوادث التي عاقبتها ذهاب مالي وخسران اسمي حتى لا يبقى لي شيءٌ اورّثهُ لولدي بعد وفاتي . فتبسم الاميركاني وقال اذا كان هذا خوفك فكن براحة بال فان هذه الاموال المسروقة لم تذهب الا الى جيب ولدك كما ذهبت قبلها العشرون الف ليرة التي اتهم بها هرمان ظلمـاً . ثم قص على هورنشتين ما جرى بين غستاف وهرمان واخبرهُ كيف كان يجتهد غستاف في اخفاء الامر وتضييق الطرق على هرمان ليضطرهُ الى مغادرة البلاد . فجحظت عينا ذلك الوالد المسكين وقال لهُ ومن اين علمت ذلك وانت غريب . قال انا لست غريبـاً ولكني ممن وصلت اليهم اذية ولدك . انا خادمك ليوبولد وقد بلغ من مكر ولدك بي ان القى الشقاق بيني و بين زوجتي تلك الملك الطاهر والجأني ان اعرّض نفسي للهلكة في بلادٍ بعيدة ولكن الله استقباني وفتح عليّ

ابواب الخير فأصبت ارباحاً وافرة في مناجم الذهب و بلغت ثروتي الملايين العديدة وكنت قد آليت على نفسي ان لا ارجع الى هنا لو لم يسق الله اليَّ ولدي الوحيد. وقد علمت منهُ ما كشف الغشآء عن عينيَّ فرجعت اكفر عن ذنبي لدى تلك الزوجة المسكينة وازيل الحجاب عن الحقيقة التي يسترها ابنك بمكرهِ واحتيالهِ

ولما وضح الامر للمستر هورنشتين اصابتهُ نوبة عصبية فسقط الى الارض مغمىً عليهِ . ولما افاق نقلوهُ الى بيتهِ واسرعوا في مداواتهِ . و بعد ذلك طلب هورنشتين ولدهُ غستاف و بعد التهديد والوعيد اقرَّ الشاب الجاهل بما فعل

ثم استدعى هورنشتين هرمان فجثا امامهُ طالباً منهُ الصفح بكلام يذيب الجلمود وهرمان لا يدري ما السبب الموجب لذلك واذا بالمستر ليو بلد داخلٌ بنآءً على طلب المستر هورنشتين فعرَّفهُ بهرمان وقال لهُ ليو بولد انهُ جعلهُ شريكهُ في مالهِ وتجارتهِ مقابل احسانهِ الى زوجتهِ في غيابهِ . ففرحت هنريت برجوع اخيها واعادة كرامتهِ كما فرحت اماليا برجوع خطيبها وكانت قد حرَّمت على نفسها الزواج بعدهُ . وبحث ليو بولد عن زوجتهِ حتى اهتدى اليها فكانت بينهما مقابلة يعجز القلم عن وصفها انجلت عن صفح تلك المرأة الشريفة القلب عن هفوات زوجها وعادت اليهِ والى ولدها فاستأنفا حياةً جديدة طيبة انستهما مرارة الماضي . واقترن هرمان باماليا فعادت المسرات الى احسن مما كان قبل حلول هذه النكبات

اما غستاف فبعد ان عنفهُ والدهُ تعنيفاً شديداً قال لهُ كان الاولى ان اسلمك الى المحاكم واطلب حكمها عليك بالاشغال الشاقة جزآء ما جنتهُ يداك ولكني اشفق لا عليك بل على هذه الفتاة التي ساقها سوء بختها ان تكون زوجة لك . فها انا أُبينك بجزء من مالي فخذهُ واذهب حيث شئت ولكن لا يكن لك بعد معي مداخلة البتة . اما ميراثي فاهبهُ لابنتي اماليا عسى ان تكفر بتقديمهِ الى زوجها الامين عن سيئاتي وسيئاتك اليهِ . انتهى

اللغة العاميّة واللغة الفُصحَى

تقدم لنا من القول في هذه المسئلة ما لم يبقَ معهُ محلٌّ لمعاودة البحث فيها لولا ان رأينا من تحمس ارباب الاقلام عندنا وتضافرهم لصدّ هذه الغارة ما قدَّرنا معهُ ان الخواطر قد صارت متأهبةً لقبول ما يُلقَى اليها وما بشّرنا بان القوم قد هبّوا من غفلتهم واستيقظوا للذود عن آخر ذخيرةٍ ابقاها لهم الدهر بل آخر مظهرٍ يمثّلهم في عالم الوجود ألا وهو اللغة التي هي عنوان الامة والمعنى الذي يشخَّص بهِ كيانها وتمتاز بهِ عن سواها . وقد طالما كانت هذه النهضة مما تمنيناهُ وتابعنا ندآءنا بالتنبيه اليهِ والحث عليهِ فلم نصادف الا عيوناً ساهية وآذاناً صمآء . فالحمد لله ثم للقاضي ولمور الذي بعث تلك الهمم من رقدتها ولو بدُفعةٍ من المآء البارد . . .

ولقد كنا نتوقع بعد الذي شهدناهُ من استطارة الخواطر على اثر ما اعلنهُ المؤيد من رأي المستر ولمور ان نرى من القوم غير ما رأيناهُ من طرق الدفاع عن اللغة واتخاذ الذرائع التي تضمن بقآءها وتجعلها بمأمنٍ من استئناف هذه الكرّة ولكننا لم نجد في جميع ما وقفنا عليهِ من المقالات الطويلة والرسائل المتتابعة الا ما يستفاد منهُ تسخيف رأي الخصم والاعلان برفض ما عرضهُ على الامة ثم مُسحت الاقلام على هذا القدر واكتفى القوم بما حجُّوا بهِ المستر ولمور واصحابهُ وبقيت اللغة بحالها وهي بادية المقاتل

على ان مسئلة حياة اللغة او موتها لا تتوقف على اقناع الخصم بقوة البرهان او اخامهِ بكثرة اللغَط ولا على رضى الامة بما عرضهُ القاضي ولمور او

إِبآئها لهُ فانا لو فرضنا ان المشار اليهِ طوى كتابهُ او احرقهُ وأمنّا على اللغة من جهته لم نأمن عليها من جهةٍ اخرى هي اشدّ خطراً عليها من كتاب ولمور واعظم وبالاً ونعني بها جهة الامة نفسها وبالحري جهة علمآئها وأئمتها فانهم هم المطالبون بحياة اللغة واليهم ينتهي ما يكون من بقآئها او اضمحلالها . على ان ما ذكرهُ المستر ولمور في مقدمة كتابهِ سوآء كان الغرض منهُ مصلحة قومهِ كما تأولهُ المتأوّلون ام مصلحة الامة المصرية كما هو ظاهر قولهِ فانهُ لا يخلو من مواضع استبصار حريّة بأن لا يذهلنا عامل الحنق على المؤلف او الاشفاق على اللغة او الدين ان ننظر فيها ونعمل بما تقتضيهِ قطعاً للسان الخصم وتداركاً لحال الامة . واهمّ تلك المواضع امران احدهما كثرة تشعب قواعد اللغة واتساعها الى ما يفوت الحافظة ويستغرق الزمن الطويل في تعلمها مما يكون عائقاً عن تحصيل سواها من العلوم والثاني قصور الفاظها عن اداء المعاني العلمية والصناعية وسائر مواضعات الحضارة العصرية على ما اشرنا اليهِ فيما سبق وكلاهما لا ريب فيهِ ولا غنى عن تداركهِ

فاما الاول فمن المعلوم ما بلغت اليهِ النحاة من كثرة المذاهب واختلافها وتعدُّد الاقوال في كل مسئلة وكثرة المفترضات والمستنبطات مما يتشتت بهِ ذهن الطالب ويعجز عن استيعابهِ لكثرتهِ وربما قضى عمرهُ بطولهِ في درس قواعد النحو ومراجعتها ولا يزال شيءٌ منها غائباً عنهُ حتى لا يأمن اللحن احياناً من حيث لا يشعر . وذلك ان العرب كانت قبائل متفرقة لكلٍّ منها لغاتٌ ومذاهب تنفرد بها عن عامتها فلما جمع النحاة تلك اللغات تعين على المتأخران يتعلمها جميعاً ثم زادوا على ذلك كل ما سُمع في

الشعر شاذاً عن القواعد حتى في لسان الشاعر نفسهِ وحينئذٍ فمنهم من اطلق القياس على هذا الشاذ ومنهم من قصرهُ على الضرورة . قال الاندلسيّ في شرح المفصَّل والكوفيون لو سمعوا بيتاً واحداً فيهِ جواز شيءٍ مخالف للاصول جعلوهُ اصلاً وبوّبوا عليهِ بخلاف البصريين قال ومما افتخر بهِ البصريون على الكوفيين أن قالوا نحن نأخذ اللغة عن حرَشة الضِباب وأكلَة اليرابيع وانتم تأخذونها عن أكلَة الشوآء وباعة الكواميخ[1] ... قلنا وما ذُكر هو اصل الخلاف بين البصريين والكوفيين بل اصل هذا الفساد الذي طمى على اللغة والنحو حتى اصبح الخائض في مسائلهما كالخابط في ظلماتٍ بعضها فوق بعض . وزد على ذلك ان منهم من كان يضع البيت من عندهِ يقصد بهِ نصرة رأيٍ ذهب اليهِ او توجيه كلمةٍ صدرت منهُ فيتناولهُ الائمة عنهُ ويحتجّون بهِ في تصانيفهم فازداد الخرق بذلك اتساعاً والطينة بلةً وقد ذكروا ان في كتاب سيبويه خمسين بيتاً من هذا القبيل لا يُعرَف قائلوها

وهناك شيءٌ آخر يسمونهُ تركيب المذاهب وهو يشبه تداخل اللغات قال ابن جنّي وذلك ان تضمّ بعض المذاهب الى بعض وتنتحل بين ذلك مذهباً ثالثاً .. فاذا سميت رجلاً بيرَى (مضارع رأى) فمذهب يونس ان يصغَّر على يرَيئي بردّ الهمزة المحذوفة ومذهب سيبويه ان يصغَّر على يرُيّ مثل فَتَى وفُتيّ لانهُ يكتفي بالحصول على مثال التصغير . ثم ان يونس يمنع

(١) الضباب جمع ضبّ وهو دويبة برية تعرف بالحرذون وقيل الحرذون ذكر الضباب وحرش الضبّ صادهُ . واليرابيع جمع يربوع وهو دويبة نحو الفارة والكواميخ جمع كامخ بفتح الميم وفسرهُ في شفآء الغليل بالمخلل يشهي الطعام

صرف يُرَيْئي وسيبويه يصرف يُرَيّ فيقول من ركّب المذهبين رأيت يُرَيْئياً بردّ الهمزة على مذهب يونس والصرف على مذهب سيبويه وهو مذهب المازني

ويلحق بذلك كلهِ من التعليلات والتوجيهات في كل مسئلةٍ بين ان تُرَدّ الى اصل كذا أو اصل كذا وان تجري على هذه اللغة أو تلك ما يفوت الحصر ويستوقف البصيرة حائرةً دون الحكم . وانظر في ذلك الى كلامهم في اصالة المصدر أو الفعل وفي عامل المنادى والمستثنى واسماء الشرط وتعيين نائب الفاعل في نحو قولك مُرّ بزيدٍ بين ان يكون الجارّ والمجرور أو المجرور وحدهُ أو الجارّ وحدهُ أو شيئاً آخر غير الجارّ والمجرور اي المصدر المفهوم من الفعل وفي مثل اعراب لا سيما وأَجدَّك لا تفعل وكأني بك شاعرٌ ولا عاصم اليوم والفرق بين البدل والبيان ومسائل الصفة المشبهة الى غير ذلك مما اختلفت مذاهبهم فيهِ ولم يدعوا وجهاً مما يمكن ان يتمثل للذهن أو يُتوصل اليهِ بقياسٍ صحيح او فاسد الا طرقوهُ وجعلوهُ مجالاً للمماحكة والجدال . وهذا وامثالهُ هو الذي صيَّر احكام اللغة الى ما شاع عنها من الصعوبة والاشكال حتى صارت تُعَدّ طلسماً من الطلاسم أو كنزاً من الكنوز المرصودة وهو كما ترى يرجع جلهُ اوكلهُ الى مذاهب النحاة واختلافاتهم وليس من كلام العرب في شيء وانما هو صنيع من لا شغل لهُ غير الصور اللفظية يقلبها على ما تحتملهُ من الوجوه فلم يَدَع في ذلك ولم يَذَر

ولا يخفى ان هذا التوسع كلهُ مما لا يحتمل اليوم فضلاً عن ان الكثير منهُ لا حاجة اليهِ الا في بعض الاحوال لتخريج آيةٍ او حديث او بيتٍ

من الشعر وهذا ليس مما يجب ان يحيط بهِ كل طالبٍ للغة والا لزم تعطيل بقية العلوم والاقتصار على علوم العربية وحدها وهي لا تغني في مقام التنازع العصريّ شيئاً

ولذلك فاول ما ينبغي الاهتمام بهِ تأليف لجنةٍ من ذوي البصائر السليمة والعلم الصحيح تتولى كتب النحو بمثل ما فعل مؤلفو مجلة الاحكام العدلية في الكتب الشرعية فيختارون من كل قاعدةٍ اصح الاقوال وامثلها لتكون مرجعاً لطلاب هذه الصناعة وتُنبَذ بقية الاقوال الساقطة والمذاهب المرجوحة ويكون في ضمن ذلك اهمال كل ما يتعلق بالقرآءات المختلفة واللغات الشاذّة والضرورات الشعرية مما يُترَك الكلام عليهِ للتصانيف المختصة بهِ بحيث يتخلص النحو في الوجوه التي عليها الاستعمال ويكون ذلك ذريعةً تتوحد بها قواعد اللغة كما توحدت اللغة بالقرآن

ومثل ذلك يُفعَل بكتب متن اللغة فتُنبَذ منها اللغات المتروكة والالفاظ الوحشية من كل ما لا يُرَى في الكتب المتداوَلة لهذا العهد وما لا يجوز للفصيح استعمالهُ على ما نصّ عليهِ علماء البيان لان هذه كلها مما يقتضي الاطالة في الشرح الى حد الملل ويكثِر التخليط على الطالب من غير فائدة . ثم يُنظَر في التعاريف المبهمة او المهملة ولا سيما تعاريف اسماء الحجارة والجواهر وانواع النبات والحيوان على قدر ما يمكن التوصل اليهِ ولو بالادلة الوضعية والمناسبات الاشتقاقية وترتَّب الالفاظ على وجهٍ سهل المراجعة لا يكلف عناءً ولا بحثاً طويلاً بحيث تكون كتب اللغة عندنا على مثل ما هي عليهِ في اللغات الاوربية

فاذا امكن الوصول الى ذلك كان ولا جرم وسيلةً لتقريب منال اللغة على الوطنيّ بحيث لا يبقى بمعزلٍ عنها ولا يُضطرّ ان يضيع الزمن الطويل في تعلمها وسهّل تناولها على الاجنبيّ فلا يجد فيهـا من العقبات ما يشكوهُ اليوم . وفي ذلك فوائد اخر اهمّها بعد ما ذُكر تكثير عدد المتعلمين في الامة وبالتالي شيوع اللغة الفُصحَى بين افرادها لتمكنهم من فهم كتبها وهذا ولا ريب من آكد الاسباب لتصحيح لغة الاقلام واللغة العامية جميعاً لان الكاتب حينئذٍ يتحدّى ما يقرأهُ من الكتب الفصيحة واذا تكلم تجافى ما استطاع عن الالفاظ السوقية والتعبيرات السخيفة مما يؤدّي الى ان تبطل شيئاً فشيئاً على تراخي الايام (ستأتي البقية)

لسان العرب لا يُمسَخ

بقلم حضرة الكاتب نجيب افندي الجاويش

ليس من غرضي في تدوين هذا المقال ابطال رأي من قال بضرورة ابدال لغة العرب الفُصحَى باللغة العامية وتقميصها اشكالاً عتيقة لاتينية وبعبارةٍ اخرى الاستعاضة عن صورة الحسناء بصورة الشوهاء فهذا شأنٌ قد احتُجّ عليهِ ونهضت براهين الكتبة والمحققين على تزييفهِ وتجريحهِ وتضافرت الآراء الصائبة على انهُ رأيٌ فائل ومذهبٌ عاطل وانما غرضي الاقصى تذكير ابناء هذا اللسان الشريف وقد تنفع في هذا المقام الذكرى ان كل احتجاجٍ بغير سعيٍ عجز وكل اقوال لا يعقبها افعال بناءٌ في الهواء وكلمات مكتوبة على صفحات الماء اقول هذا محرضاً علماء الاسلام والنصرانية في مصر وسورية

على وجوب الاتفاق والاتحاد لانشآء مجمع لغوي يؤلّف من اعلام الملتين لدفع غارة الاجانب عن حوزة اللغة وصون اللسان العربي من التحريف والتبديل وقد لجَّ اليوم داعي الاحتياج الى وجوب سدّ هذا الخلل الفاضح وتقاضي هذه الحاجة بالاقرب العاجل لان القوم على ما يلوح يرومون الحلول في ما بقي لنا من آثار السلف ومفاخر العرب الاثيلة وهو اللسان الذي هو اداة التبيان وعنوان الفصاحة والبيان فانهم يحاولون ان يمسخوهُ ويحوّلوهُ الى صورةٍ يتمكنون بها من محوهِ وملاشاتهِ من لوح الوجود تدريجاً تبعاً لسنَّة تنازع البقآء وما علم المستر ولمور واضرابهُ انهُ ان صحّ في زعمهم مذهب دروين في اصل الانواع واعني بهِ مذهب التحول في ابناء آدم وقردٍ عهدهُ تقادم فلا اعتقد انهُ يصحّ رأيهُ في مسخ لغةٍ يتكلم بها ٢٣ مليوناً من البشر في مصر وسورية والعربية وينتحلها ثلاثمائة مليون من اهل الاسلام يقرأون القرآن ويهوون العربية من اجلهِ . وعلى فرض ان الغالب على امصار العرب يتمكن في مستقبل الايام ان يعمل بهذا الرأي فلا اظنهُ يصل الى ان يمسخ اللسان العربي او يقتدر على محو آثارهِ قبل ان ينفسح الامد لاهل العربية ان يأخذوا أهبة العمل لصونهِ من ايدي التلاعب والضياع هذا اذا دبت اليوم في عروقهم نخوة الاجتهاد ولعبت في صدورهم روح الرجال العاملين على حفظ اللسان من عبث العابثين

قلت ينبغي اتفاق اعلام الملتين على انشآء مجمع لغوي لدفع غارة الاجنبي عن اللسان والسعي الى سدّ هذه الحاجة بقضآئها في الاقرب العاجل لانها قضية حيوية ومسئلة اجتماعية في العمران العربي لا ينبغي اغفالها بتةً . وان

دخل اصحاب العربية في حوزة الاجنبي فاللسان لا يدخل في قبضة الغالب ولا يلحقهُ غبار من غارة الظافر المقتحم ما دام في اهلهِ رجالٌ يوثّقون دعائمهُ ويحصّنونهُ من غارة المعتدين

أليس في خلوّ المجتمع العربي من مجمع لغوي يضم تحت جناحيهِ رجال العلم والاقلام نقصٌ مسجلٌ عليه في اعين الاجانب أوَليس من فروض المشتغلين بالعربية التضافر على انشآء مثل ذلك المجمع ابقآءً على حياة اللغة وايذاناً باننا لا نزال امةً حية تدافع عن مجدها وشرف اسلافها ولو في امر اللسان الذي هو اليوم سلاحنا الوحيد ... فانهُ اذا غلّ الضعف ايدينا فلم نستطع الدفع عن حوزتنا فلا اقلّ من ان نبقى امةً ذات شعارٍ معلوم واذا سلبنا الدهر كل ما ترك لنا السلف من الذخائر الحسية فلا اقلّ من ان تبقى لنا هذه الذخيرة العلمية ولا يحال بيننا وبينها بحجب الجهل حتى نعود قوماً هملاً ولا نعلم من بعد علمٍ شيئاً. فمن لنا بأناسٍ ينهضون بهذا العبء ويردفون القول بالعمل فان القول وحدهُ لا يغني وانما نحن في حاجةٍ الى رجالٍ يقيمون اود المعوجّ ويرأبون الصدع ويعملون لما فيهِ خير الاوطان وعزة اللسان وان كل احتجاجٍ من غير سعيٍ عجز ورحم الله عبداً علم فعمل

الكَلَب

جآء في احدى المجلات ما محصَّلهُ ان هذا الدآء غير مخصوص بالكلاب وحدها فقد يكون في القطط والذئاب والخيل والبقر وغيرها كما ان عدواهُ لا تنحصر في عضّ هذه الحيوانات ولكن لعابها مُعدٍ عن اي طريق

وصل الى الدم . ومما ذكر في ذلك ان امرأةً كان عندها كلبٌ صغير وكان معتاداً ان يلحس وجهها فاتفق ان هذا الكلب عرضت لهُ هذه العلة وكان في وجه المرأة بثرةٌ صغيرة فلم تلبث ان سرت اليها عدوى الكلَب وكان ذلك سبب موتها

اما معرفة الحيوان الكلِب فأصدق دليل عليهِ تشريح جثتهِ وتلقيح بعض الحيوانات بمخّ عظمهِ هذا اذا كان قد عضّ احداً واريد ان يُتحقق امر العدوى . واما في غير ذلك فان الكلب مثلاً اذا عرضت لهُ هذه العلة يتغير طبعهُ تغيُّراً فجآئيًّا فتظهر عليهِ الكآبة والسكوت والنعاس ويمتعض لأقلّ شيء وبعد هذا الانكسار يتهيج وينشط فيعود الى حالة الارتياح والانبساط ويثب ويمرح ويلحس صاحبهُ بشغف وهي امورٌ ربما اغترّ بها من لا يعرفها فأمن جانبهُ الا انها على الحقيقة من اعراض العلة

وبعد ذلك يعود الى ما كان عليهِ من الانقباض ويزداد اضطرابهُ وتمثل لهُ خيالات مخيفة فيتوهم امامهُ اعدآء يندفع عليهم ويهرّ بصوتٍ يختصّ بهذه الحال يدلّ على كرب باطن يكررهُ على دفعتين يكون في احداهما خشناً مغمغماً وفي الثانية حادًّا كما يكون في حال النزع وهو صوتٌ يعرفهُ من سمعهُ مرةً فيشخّص المرض ولو عن بعد . وقد تعرض لهُ نوب هيجان وغضب فيهجم على ما يصادفهُ من الحيوانات ويعضها ويستولي عليهِ عطشٌ مبرّح الا ان الابتلاع يكون شاقًّا عليهِ ولذلك يفيض لعابهُ فيُرَى مزبداً

اما اتقآء هذا الدآء فأفضل ما اصطُلح عليهِ تعقُّب الكلاب الشاردة حتى لا يبقى منها الا ما لهُ مالك ثم شدّ الكمام على افواه الكلاب البيتية حتى

لا تستطيع العضّ . وقد استعملت هذه الطريقة في ڤينّا منذ بضع سنين فانتسخ هذا المرض منها بتةً ثم استعيض عن الكمام بوضع صفيحةٍ في ساجور الكلب اي في قلادتهِ حتى يتميز المملوك من الشارد فعاد الدآء نعادوا الى الكمام فزال اثرهُ

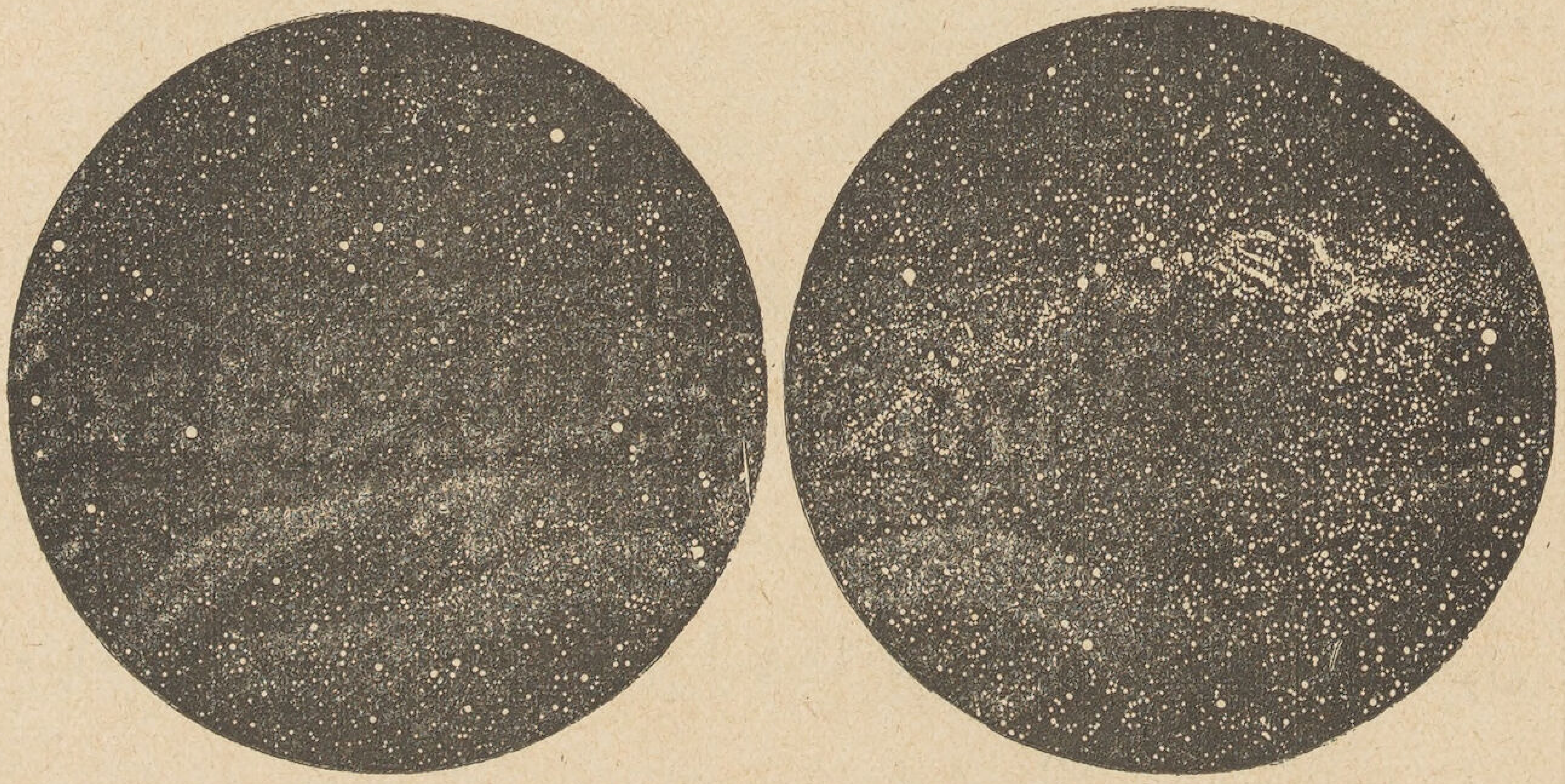
واما الاحتياط الذي ينبغي ان يتخذ للمعضوض فقد اصطُلح في بعض البلاد على غسل مكان العضّ بالمآء والملح ثم كيّهِ مراراً متوالية بالحديد المُحمى . ولا ريب ان الكيّ من الوسائط الفعالة لابطال فعل السمّ الا انهُ شديد الايلام ولذلك يحسن ان يستعاض عنهُ بمحلول كلورور البوتاس فانهُ من افضل مضادّات السموم ومثلهُ صبغة اليود وخلاصة التربنتينا وعصارة الليمون الحامض . وبعد ذلك يُعصَب العضو المعضوض بين مكان العضّة والقلب لمنع امتداد السمّ الى سائر الجسم ثم ينظَّف الجرح ويُغسَل مراراً بالمآء الغالي ويُرسَل الشخص في اعجل ما يمكن الى مستشفى الكَلَب ليُستعمَل لهُ لقاح پستُور المشهور. وفوائد هذا اللقاح لا تنكَر فانهُ قبل اكتشافهِ كان الذين يموتون بالكَلَب من ١٥ الى ٢٠ في المئة فاصبحوا اليوم ٦، في المئة او ٦ في الالف وذلك بفضل هذا الاكتشاف الذي جعل السمّ واقياً من السمّ

اما مدة المحاضنة في هذه العلة فهي من شهر الى شهرين وقد تطول الى اكثر وفي هذه المدة تتواتر عادةً نُوَب ابتدآء الاعراض فتأخذ قُوَى العليل في الانحطاط ويعرض لهُ ارقٌ وانقباضٌ نفساني يعقبهُ تهيُّج وآلام شديدة في الحواس ويأخذهُ عسر بول وسَهَف اي عطش شديد الا انهُ يمتنع من الشرب لما يكون معهُ من عسر الابتلاع على ما ذكر من اعراض

هذا المرض حتى انهُ لمجرَّد النظر الى المآء او آنيته ِتعرض لهُ نوبةٌ تشنجية يكون اشدّها في الحنجرة ولذلك يفيض لعابهُ بكثرةٍ على ما تقدم حتى لا يستطيع ضبطهُ ويعتريه ِقُشَعْريرة ونُوَب غضب واضطرابٌ في التنفس ويصيح بصوتٍ ابحّ . وتكون هذه النوب اولاً متقطعة ثم تكثر شيئاً فشيئاً ويعقبها حالة شلل مصحوب بضعف في العصب يفضي الى الموت اختناقاً . انتهى

المجرّة

اذا نظرت الى السمآء في احدى الليالي الصافية ترى منطقة نيرة ممتدة من افق الى آخر هي المسماة بالمجرة وهي تارةً تضيق حتى يصير عرضها ثلاث



الى اربع درجات وتارةً تنتشر على مساحة تفوقها باربعة اضعاف

والافرنج يسمون هذه المنطقة بالطريق اللبنية وهو تعبير منقول عن خرافات اليونان لانهم كانوا يزعمون انها قطرات من ابن الالاهة يونون

سقطت من فم هركول . والعرب يزعمون انها باب السماء ولذلك يسمونها شَرَج السماء اي الموضع الذي تنشق منهُ

والمجرة تمتدّ من قيفاوس شمالاً وتقطع خط الاستواء بجبال شرقي الجوزاء حتى تنتهي الى الصليب الجنوبي ثم تعطف شمالاً فتقطع خط الاستواء من الجانب الآخر عند الحوّاء حتى تعود الى قيفاوس فترسم دائرةً كاملة

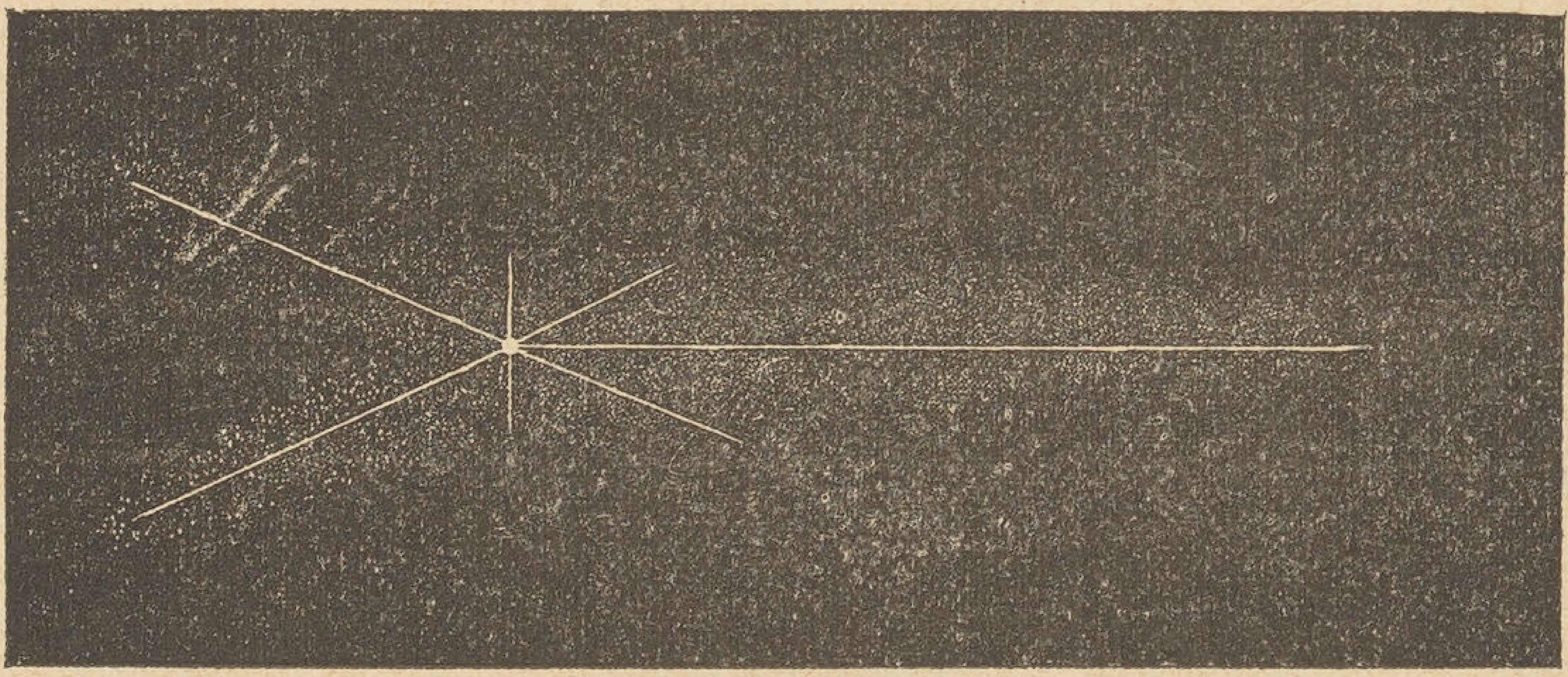
اما حقيقة المجرة فقد عبر الناس قروناً متوالية لا يعلمون ما هي حتى اختُرعت المناظير على يد غاليلاّي منذ نحو ٣٠٠ سنة فكان هو اول من بحث فيها ولما وجه المنظار نحوها ظهر لهُ انها مؤلفة من نجوم متقاربة لا تميز بالنظر المجرد وعلى ذلك ارتأى كپلر ان هذه المنطقة النجمية العظيمة وجميع النجوم المنتشرة خارجها هي نظام واحد الشمس في مركزهِ على التقريب

وبعد ذلك بنحو نصف قرن ارتأى كانْت ان النجوم باسرها تؤلف انظمةً كنظام شمسنا مرتبطة بالجاذبية العامة وان المجرة نظام عظيم تدور الكواكب المؤلف منها في سطحهِ كما تدور اجرام النظام الشمسي في دائرة البروج وهي تدور حول جرم عظيم في مركزها لعلهُ الشعرى اليمانية . وان السُدُم الهليلجية التي لا تقوى المراقب على حلها هي مجرّات اخرى يتكون منها مع المجرة نظام واحد ولكن لبعدها الشاسع تظهر لنا قليلة الامتداد

واشهر من اشتغل برصد المجرة وليم هرشل المشهور فانهُ رصد ما بين ٤٥ درجة من الميل الشمالي الى ٣٠ درجة من الميل الجنوبي وكانت زجاجة مرقبهِ تقع على $\frac{١}{٨٣٣٠٠٠}$ من السماء فظهر لهُ ان النجوم المتوزعة في المسافة المذكورة تختلف اختلافاً عظيماً في الكثرة والكثافة ففي بعضها لا يُرى

بالنظرة الواحدة زيادة على نجم واحد وقد لا يُرى نجمٌ اصلاً وفي بعضها يُرَى نحو ٦٠٠ نجم بمرة واحدة فقدَّر من وجود هذا الاختلاف ان خط النظر يمتدّ تارةً الى ٤٦ ضعفاً من بُعد الشعرى اليمانية وهي الجهة التي ترى فيها النجوم الكثيرة وتارةً الى ٤٩٧ ضعفاً من المسافة المذكورة اي نحو ١١ ضعفاً من البعد الاول فلا يُرى شيءٌ من النجوم لقصور المنظار عن تناولها

وكانت نتيجة رصودهِ الاولى ان المجرة مجموع نجوم عظيم متشعب يشتمل على ملايين من النجوم بحيث لو قُطع كان على الشكل الذي تراهُ



امامك والشمس قائمة فيما يقرب من مركز جاذبيتهِ وهو محل تقاطع الخطوط في الرسم وان النجوم التي ترى بالنظر المجرد هي القريبة من الشمس. اما مساحة المجرة فان قطرها من الكركدّن الى العقاب يبلغ مسافة ٨١٧ مليون ضعف من نصف قطر فلك الارض ومن احد قطبيها الى الآخر اي من الهُلبة الى قيطس ١٥٠ مليون ضعف من نصف قطر فلك الارض. ويلزم النور ليخترقها عرضاً من قطبٍ الى آخر ٢٣٠٠ سنة ولا يلزمهُ اقلّ من ١٢٥٢٠ سنة ليجتاز قطرها الاعظم

اما عدد نجوم المجرة فقد وجد ان معدل ما يوجد منها في قسم عرضهُ

درجتان وطوله ١٥ درجة هو ١٥٠،٠٠٠ نجم وعلى ذلك تكون كل نجوم المجرة نحو ٢٠،٠٠٠،٠٠٠ نجم . وفي قول بعضهم اننا لو ضاعفنا هذا العدد الى ثلاث مرات أو اكثر لا نخطئ

ثم ان وليم هرشل قدَّر ابعاد اجزآء مختلفة من المجرة قياساً على قوة النور الواصل الينا منها فظهر لهُ ان اقرب قسم منها الى الشمس هو الذي يخترق الجوزآء وان جميع النجوم التي تُرَى بالعين المجرَّدة واقربها الينا الشمس هي داخلة فيها ومعدودة منها والله اعلم		فريد البرباري

الأَسَن

هو بفتحتين مصدر أَسِنَ مثل تَعِبَ قال في القاموس اذا دخل البئر فأصابهُ ريح منتنة فغشي عليهِ . اه . ويقال فيهِ ايضاً الوَسَن واليَسَن والفعل كالفعل . والمراد بهِ هنا التسمم الحادث عن انتشاق الحامض الكربونيك أو اكسيد الكربون وهما متقاربا الفعل لكن جآء في مقالةٍ لبعض الاطبآء بيان الفرق بينهما قال فان الناس يخلطون بين هذين الغازين باعتبار مفعولهما القتال ولكنهما على الحقيقة يتفاوتان من هذه الجهة بما لا يخلو بيانهُ من فائدة

وذلك انهُ اذا أُوقد فحمٌ في غرفةٍ مُوصَدة النوافذ فانهُ قبل ان يتمّ اشتعالهُ ينبعث عنهُ غازٌ سامٌ يُؤدّي الى الاختناق وهو الحامض الكربونيك ولكن الذي يميت فيهِ هو اكسيد الكربون المصاحب لهُ لان هذا الغاز مسممٌ لا خانق . ويتم التسمم بهِ بأن يحلّ محلّ اكسيجين كريّات الدم فيحدث

فيها ضربٌ من الشلل تعود بهِ غير قابلة للاحتراق العضوي وهو السبب في حدوث الموت

ويكفي لهلاك الحيوان ان يكون في الهوآء الذي يتنفسهُ جزءان من الف من اكسيد الكربون واذا طالت مدة تعريضهِ لهُ فجزءٌ من سبعة آلاف . وقد يبطئ حدوث الموت اذا تُنفّس هذا الغاز بمقادير قليلة ويكون سببهُ ما ينشأ عنهُ مما يسمى بفاقة الدم والذين يصابون بهِ هم اصحاب الحِرَف التي تستلزم تولُّد هذا الغاز كالطباخين والخبازين والكوّآئين ومبيّضي الآنية وسبّاكي الحروف والمعدّنين ومن الى هذه الطبقة

واما الحامض الكربونيك فان التسمم بهِ يكون اخفّ كثيراً من التسمم باكسيد الكربون ولكنهُ يُحدِث الاختناق . وفعلهُ قد يكون سريعاً اذا كان ما يخالط الهوآء منهُ بمقدار الربع أو الخمس وقد يكون بطيئاً اذا كان دون ذلك كما يحدث في المجتمعات الحافلة من نحو المعامل الصناعية والمثابات العمومية وربما كان شيءٌ من ذلك في المدن الكبرى فان سم هذا الغاز ينتشر فيها بين جميع السكان لاختزانهِ في المنازل في مدة الثماني أو العشر ساعات التي هي مدة النوم

وقد امتحن بعضهم فعل هذا الغاز فادخل منهُ على الهوآء المتنفَّس مقدار ٢٠ في المئة وترك الحيوان فيهِ مدةً فمات فزاد على هذا الهوآء مقداراً من الاكسيجين يعدل ثلاثة اضعاف الاكسيجين الذي يوجد عادةً في الهوآء الطبيعي ثم ادخل اليهِ حيواناً آخر فهلك ايضاً في نفس المدة التي هلك فيها الحيوان الاول فدلّ ذلك على ان موت الحيوان الاول لم يكن من

نقص الاكسيجين في الهوآء ولكن لان كريّات الدم لم تقوَ على التلخص مما خالطها من الحامض الكربونيك

واكثر ما يتعرض لهذا الحامض من اصحاب الحِرَف الذين يحفرون الآبار وارباب الصنائع التي تدعو الى التخمير كما يكون في معامل الجعة والخمر والتقطير والتصفية واشباه ذلك حتى ان تطهير آنية التخمير كثيراً ما لا يخلو من خطر ولذلك ترى اكثر اصحاب هذه الصنائع يصابون بالصداع

اما العلاج فان كان الحادث عن احد الغازين شيئاً من الاعراض المذكورة عولج بانشاق الاكسيجين وان تسبب عنهُ الموت عولج باحداث التنفس الصناعي وجذب اللسان ونحو ذلك مما يُستعمَل في علاج الغرقى والمصعوقين على ان التسمم بالحامض الكربونيك اقلّ خطراً واقرب الى الشفآء والله الشافي

تحنيط الحيوان

الظاهر ان تحنيط الحيوان ليس من الصنائع المحدثة كما يذهب اليهِ بعض الباحثين واصدق شاهد على ذلك ما يُرى في البقايا المصرية من جثث الحيوانات المقدسة الباقية الى اليوم وهي تعدّ بالالوف وكانت تحنَّط على نفس الطريقة التي كانوا يحنطون بها اجساد البشر . وممن استعمل تحنيط جثث الحيوان اليونان والرومان الا انهم كانوا يتحرَّون مع حفظها من الفساد ابقآءها على شكلها الظاهريّ ولم تُعلم الطريقة التي كانوا يستعملونها في ذلك لكن يستفاد من كثيرٍ من النصوص انهم كانوا يستطيعون ان يحفظوا

يحفظوا اشكالها تمام الحفظ . اما في العصور الوسطى فلم تكن هذه الصناعة تتعدى حشو بعض الطير والحيوانات النادرة بالتبن لحفظها في بعض خزائن الاديار والقلاع ولم يتنبهوا لتحسين هذا الفن الا في النصف الثاني من القرن السادس عشر واول من برع في هذه الصناعة واشتهر بهـا الانكليز والطليان وكان جلّ ما افرغوا فيهِ جهدهم اذ ذاك الوصول الى حفظ تلك الاجسام من البلى حتى اذا استقام لهم ذلك انصرفوا الى تكميل هذه الصناعة وتوفيتها حقها من الاتقان حتى توصلوا في هذا العصر بعد توفير اشكال الحيوانات والوانها الى ان جعلوها تمثل حركاتها وسائر هيئاتها الطبيعية

اما طريقة التحنيط فانهم اولاً يستخرجون من جثة الحيوان كل ما هو قابلٌ للتعفن كاللحم والاحشآء ولا يتركون الا الجلد واحياناً عظام الاطراف وذلك بواسطة شقّ في البطن على خطّ الوسط . ثم يحشونهُ بموادّ صلبة مرنة يملأون بها مواضع الفراغ وهذه المواد تختلف تبعاً لحجم الحيوان واكثر ما يستعمل في ذلك المشاقة والقطن ولا يستعمل التبن والحشيش الا في الحيوانات الضخمة الجثث . وبعد ذلك يركّبون فيهِ هيكلاً من خشب أو حديد او صُفر يُحكَم صنعهُ وتركيبهُ بحيث يجيء شكل الحيوان موافقاً للوضع الطبيعي وهو ادقّ ما في هذه الصنعة . واخيراً يُحفَظ الجلد مع ما عليهِ من الشعر أو الريش من قرض الهوام بوضع بعض المركبات الكيماوية وافضل ما اصطُلح عليهِ منها الصابون الزرنيخي وهو يركَّب من ٢١٠ اجزاء من الزرنيخ الابيض و ٢٤٠ من الصابون الابيض و ٩٠ من البوتاس و ٣٠ من الجير و ١٢ من الكافور تذاب في المآء ويُدهَن منها بريشةٍ ونحوها

على المواضع التي يرادها حفظها وهي شديدة الخطر لما فيها من الزرنيخ ولذلك يجب ان يُتحفظ في استعمالها غاية التحفظ

تشريح المعادن

تشرَّح اليوم عضَل الفولاذ وانسجة الذهب والفضة وغير ذلك من المعادن كما تشرَّح عضل وانسجة الحيوان لانهم لم يعودوا يكتفون باختبار المعادن صافيها وخليطها لمعرفة مقدار قبولها للسحب والليّ مما يُتوصل اليهِ بالنظر الى مكسر المعدن ولكنهم يطلبون الوقوف على كُنه بنآئها وتركيب جواهرها وبالتالي معرفة تشريحها العنصري وذلك بواسطة استخدام المِجهر وهو العين التي يمكن ان يُرَى بها حتى جزءٌ من الف من المليمتر

فاذا ارادوا فحص معدن صوّروا مكسرهُ بالفوتغرافية او صوروهُ وهو في الحالة الاصلية بحيث ترتسم صُوَرٌ بلوراتهِ الطبيعية وربما اوصلوهُ الى الهيئة الطبيعية بالصناعة فانهُ اذا أُخذت قطعةٌ من الصفيح المطليّ بالقصدير يمكن ان تظهر هيئة البلورات القصديرية بان تعرَّض تعريضاً خفيفاً لتأثير الحامض الكلوردريك وكذلك الفولاذ فانهُ يُقرَع ببعض انواع الحوامض فيظهر عليهِ الرسم البديع الذي يُرَى على السيوف الدمشقية

فاذا كانت بلورات المعدن ضخمةً يكون المعدن قَصِفاً اي سريع الانكسار وغير صالح لجميع ضروب الصنعة وكذا اذا اختلفت كثافة بلوراتهِ لان السحب والطرق يلزان دقائقهُ فيصير بعض اجزآئهِ اصلب من بعض ولذلك يُستَحبّ ان تكون البلورات دقيقة متماثلة الكثافة وكلاهما تحقق

معرفتهُ بواسطة المجهر لانهُ يُظهِر كيفية تجمّع هذه البلورات وما بينها من التناسب في اكثر المعادن

ثم ان صورة الفولاذ المأخوذة بالفوتغرافية يمكن ان يُعرَف بها درجة الحرارة التي ضُرب عليها او سُحِب وتميزَّ حالة السقي وما يتصل بها وفي كل ذلك فوائد لا تنكَر وهو من جملة الغرائب التي توصلوا اليها في هذا العصر

اسئلة واجوبتها

القاهرة — سمعت من بعض الادبآء ان اسم المفعول من الثلاثي لا يجمع جمع تكسير فلا يقال في جمع مشهور مثلاً مشاهير فما قولكم في ذلك

احد المشتركين

الجواب — ما سمعتموهُ هو المنصوص عليهِ في كتب الصرف قال في المفصَّل وفَعّال وفُعّال وفعّيل ومفعول ومُفعِل يُستغنَى فيها بالتصحيح عن التكسير . ثم ذكر الفاظاً وردت بالخلاف منهـا ملاعين ومشائيم وميامين في جمع ملعون ومشؤوم وميمون وزاد الرضي في شرح الشافية مكاسير جمع مكسور ومساليخ جمع مسلوخة . قلنا وهناك الفاظٌ أُخر قالوا مجنون ومجانين وارضٌ مجهولة واراضٍ مجاهيل وهذه عن لسان العرب . وفي تاج العروس المنشور ما كان غير مختوم من كتب السلطان والجمع المناشير . وفيهِ ويومٌ منحوس ورجلٌ منحوس من مناحيس وكذا قومٌ أنكاد ومناكيد اي مناحيس الا انهُ لم يذكر مفرد المناكيد . وجآء فيهِ ايضاً المطمورة الحفيرة

تحت الارض.. والجمع المطامير. وفي كلام النحاة المفاعيل وهي جمع مفعول. وفي اصطلاح الصوفية المجاذيب جمع مجذوب. وفي كلام غيرهم المقاطيع والمجاميع جمع مقطوع ومجموع او مقطوعة ومجموعة الى غير ذلك. لكن صرّحوا بان كل ما جآء كذلك محمول على الشذوذ والذي عندنا ان صيغة مفعول لا تجمع هذا الجمع الا بعد سلخها عن معنى الحدوث والحاقها بالاسمآء كما أن نحو القاضي لا يجمع على قضاة الا بالشرط المذكور فتقول هؤلآء قضاة البلد وقد حكموا على فلان قاضين عليهِ بكذا ولا تقول قضاةً عليهِ بكذا. واذا استقريت الالفاظ المذكورة وجدت بعضها على ما ذكرناهُ لزوماً وبعضها لا يمتنع ذلك فيهِ فان صحّ هذا لم يبعد ان يكون جمعها كذلك قياساً والله اعلم

زحلة — كيف نلفظ الضمة والكسرة في نحو منهُمْ وعليهِمْ انلفظهما ضمّاً وكسراً صريحين كما في منهُما وعليهِما ام نميل بهما الى الفتح كما هو اللفظ الشائع اليوم　　نجيب هواويني

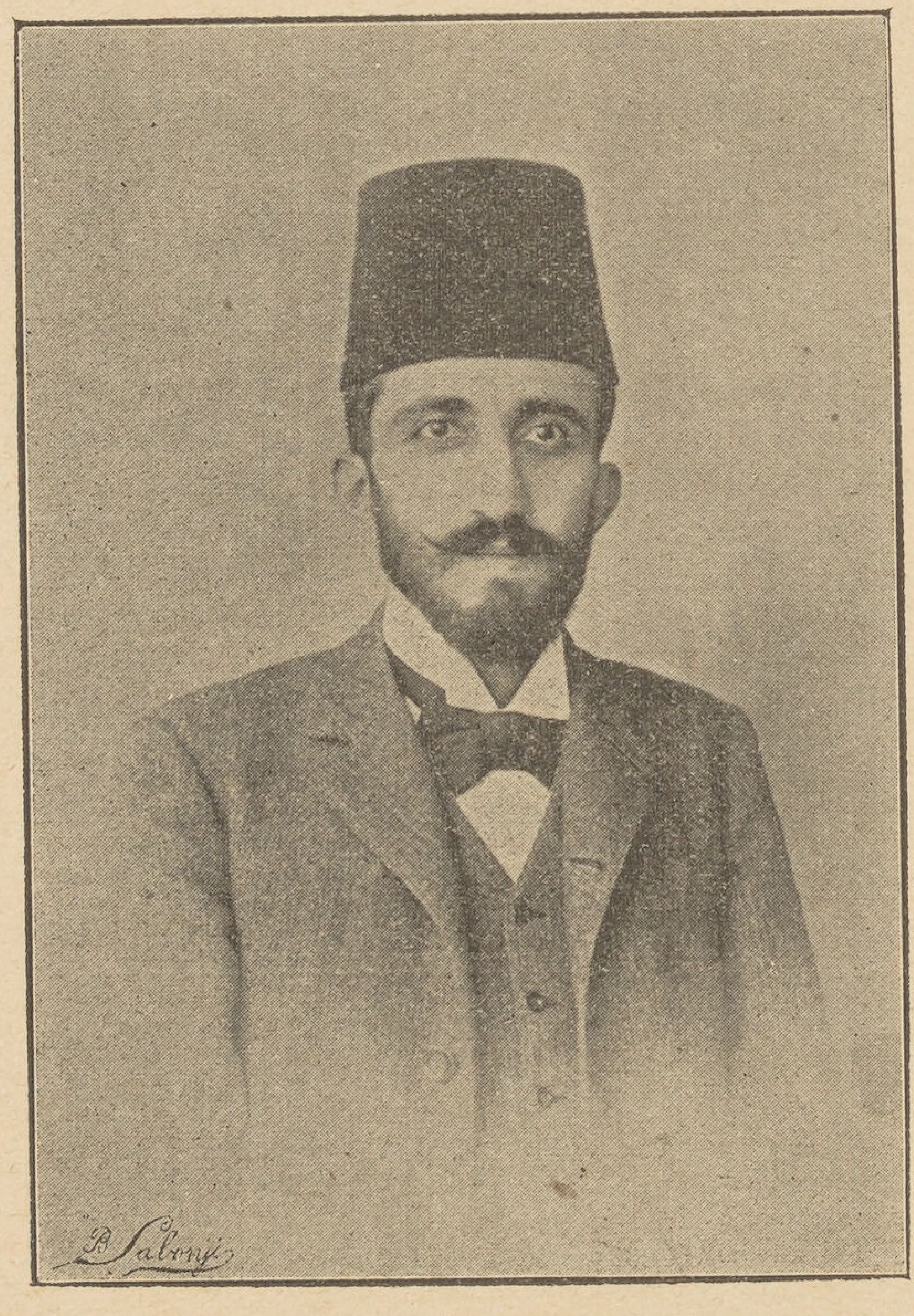
الجواب — الصواب في لفظهما ما ذكرتموهُ اولاً وقد تقدم لنا كلامٌ على هذه المسئلة في مجلد السنة الاولى صفحة ٥٦٢

القاهرة — يقال ان قصة عنترة اكثرها موضوع اي لا اصل لهُ فمن الذي وضع هذه القصة وفي اي تاريخ وُضعت　　احمد شفيق

الجواب — لا يُعلَم ذلك بالتحقيق لكن يقال ان واضعها رجلٌ يقال لهُ ابو المؤَيَّد بن الصائغ في القرن السادس للهجرة وقيل ان احد ملوك مصر حدثت في دارهِ ريبةٌ وكثر تحدُّث الناس بها فسآء العزيز ذلك واوعز

الى شيخ يقال لهُ الشيخ يوسف او الشيخ علي ان يضع قصةً يشاغل الناس بها عن ذلك الحديث فوضع هذه القصة

انّا لله وانّا اليهِ راجعون



قدكان الحادي عشر من هذا الشهر يوماً صدع القلوب رحمةً وأَسفا وقبض الصدور غماً ولهفا نُعي في صبيحتهِ الكاتب الاريب والشاعر الناثر اللبيب المرحوم خليل الجاويش احد نوابغ كتّاب العصر وسُبّاق فرسان البراعة في حلبة النظم والنثر قبضهُ الله اليهِ في مدينة حلوان على

اثر داءٍ عزّ دواؤهُ　وطالت بُرَحاؤهُ　ولهُ من العمر ثلاثون سنةً كان فيها عنوان الذكاء والالمعية　وقدوة العاملين في خدمة العلم والانسانية　ففقد منهُ الادباء بدراً منيرا　وثكل بهِ الاهل غصناً نضيرا　وبكت الصحافة ذاهباً كان من انجب ابنائها　والآداب راحلاً كان في مقدمة الرافعين للوائها

وقد دُفن في البلدة المشار اليها بمشهد العدد العديد من اخوانهِ واحبابهِ بعد ان وفوهُ حق التأبين بما يقتضيهِ طيب شمائلهِ ومحاسن آدابهِ　وعادوا وهم يستمطرون سحب الرحمة على جوانب ترابهِ

اما ترجمتهُ فقد وُلد رحمهُ الله في مدينة بيروت سنة ١٨٧٢ وتلقى مبادئ اللغتين العربية والانكليزية في مدرسة المرسلين الاميركان في دير القمر ثم انتقل الى مدرستهم في سوق الغرب فدرس مبادئ الطبيعيات والرياضيات وفي سنة ١٨٨٦ دخل المدرسة البطريركية في بيروت فتلقى اللغة الفرنسوية وتخرَّج في آداب العربية على صاحب هذه المجلة وبعد خروجهِ من المدرسة أمّ الديار المصرية فانتظم في سلك حكومتها وأُرسل الى پور سعيد من قبل مصلحة الصحة فأقام بها ثلاث سنوات كان في خلالها يراسل جريدة الاهرام المشهورة بالفصول والمقالات السياسية والادبية ثم استقال من خدمة الحكومة وجاء الاسكندرية فتولى رئاسة التحرير في الجريدة المذكورة بانتداب ذويها ولبث على ذلك مدة سبع سنوات اعتلت صحتهُ في اواخرها فاستقال طلباً للراحة والعلاج ولكن الداء كان قد تمكن من جسمهِ النحيف فسافر الى جهات لبنان ثم عاد الى القاهرة فخلوان والايام

لا تزيد العلة الا استفحالاً فلم تغنِ في مناصبتها غلوآء الشباب وعادت بذلك الجوهر الى التراب

اما آثار المرحوم فلم يخرج جلها عما كان يكتبهُ في الاهرام لاستغراقها اكثر اوقاتهِ غير ان بعضها كان يُطبَع تحت اسمهِ وبها عرف الكتّاب موضعهُ من صناعة القلم وغزارة المحفوظ واتساع الرويّة ولهُ عدا ذلك مؤلّف لم يُطبع عنوانهُ العزوبة والزواج اودعهُ خلاصةً فلسفية في المعنى المذكور . ولهُ ايضاً تعريب عدة روايات منها ما نُشر في هذه المجلة ومنها ما طُبع في سلسلة الروايات الشهرية التي ينشرها حضرة الاديب يعقوب افندي الجمّال وغيرها . وكان لهُ نظمٌ قليل مليح الديباجة عصريّ الاسلوب من جملتهِ قصيدة طويلة تبلغ ما يزيد على مئة بيت نظمها بعد اعتلال جسمهِ وضمّنها صوَر ما كان يختلج في نفسهِ من الحركات والمعاني الدالة على لطف حسّهِ وقوّة ادراكهِ ننقل منها هنا قولهُ

وخرجت ابغي الرزق في ارضٍ غدت ... ادباؤها تمشي بغير حذاء
يرجون اقبال السعود بحرفةٍ ... كتبت مع الافلاس صكّ وفاء
عدموا بفقرهمِ الوسائل فانبروا ... يقضون في الاحكام كل قضاء
ورُمُوا بحرمان النصير فأصبحت ... آمالهم شرًّا من الاعداء

رحمهُ الله رحمةً واسعة وعوّض الادب والادبآء من بعدهِ خيراً

بها جدًّا اما الجنرال سميث فاستآء في داخلهِ استيآءً عظيماً لانهُ كان يودّ ان يُرزَق ابناً ذكرًا عوض الابنة فيربيهِ على طباعهِ ويدربهُ في لشغالهِ قبل ان يعاجلهُ الضعف الطبيعي المسبب عن الكبر ويمنعهُ من ذلك . وكان يخشى ان لا يولد لهُ ولدٌ سواها فيتمثل لهُ اذ ذاك ان املاكهُ وامواله صائرةٌ الى الولد كاميل وهو من اسرةٍ اخرى واسمٍ آخر فيزيد ذلك في غصتهِ وربما سبب عندهُ كراهةً لكاميل الا ان محبتهُ الشديدة لزوجتهِ كانت تمنعهُ من اظهار ما يجول في صدرهِ فكتم الامر واخفى عواطفهُ بحيث لم تشعر منهُ بشيء . ولما ترعرع كاميل وحان الشروع في تعليمهِ أُرسل الى مدرسةٍ لا تبعد كثيرًا عن منزل الجنرال وهي اول مرةٍ كان يشعر فيها بمرارة البعاد عن خالتهِ فما كان يصدّق ان يأتي المسآء حتى يصل الى البيت ويرمي بنفسهِ على عنقها ويقبلها قبلات المحب الولهان

وارتأت هنريت ان تسمي ابنتها كاميليا فلم يعارض الجنرال في ذلك لانهُ كان لا يحب الابنة ولا الولد فلم يهتمّ بماذا تسميها. واخذت كاميليا في النمو وكاميل مرافقٌ لها في اكلها ولعبها وتنزهها ونومها فتولد بين قلبي الصغيرين حبٌّ هو ابسط واطهر وامتن ما يسمى حبًّا وكان الواحد لا يلتذّ بامرٍ من مشاغل الصغار ما لم يكن الآخر موجودًا يشاركهُ فيهِ ويشاطرهُ اياهُ ولم تزل المحبة تتمكن في صدريهما بمنتهى الطهارة والعفاف

ولما بلغ كاميل السن التي تقبل فيها التلامذة في المدارس العالية ارسلهُ الجنرال الى احدى الكليات فكان بعدهُ ضربةً اليمة على خالتهِ وعلى حبيبتهِ الا ان الاولى رأت في ذلك خيرًا لهُ فسكّنت لواعج قلبها بان كاميل سيكون يوماً رجلاً يفتخر بهِ وان الله قدَّر لهُ زواجها بالجنرال ليحصل على ما حصل عليهِ ولولا ذلك لبقي عاميًّا وعاش عيشة الجهال . واما كاميليا فلم يدرك عقلها الصغير هذه المنافع الجمة ولم يتمثل لها الا ما تشعر بهِ من بعاد كاميل فكانت تصرف اوقاتها في غرفتها مكتئبةً حزينة واذا اجبرتها والدتها على الخروج الى الحديقة كالعادة تخرج بعد ان تمسح دمعتين بلوريتين من مآقيها فتجول في الحديقة كالوالهة وهي لا ترى لها بهجةً ولا لذةً بدون كاميل

ولما انقضت السنة الاولى من سني المدرسة عاد كاميل باذنٍ من الجنرال لقضاءِ عطلتهِ في البيت وكانت مقابلتهُ الاولى لكاميليا اعظم من ان يقدر ابلغ كاتبٍ على وصفها فانها كانت بانتظارهِ على باب الحديقة الخارجي ولما بلغت العربة التي ارسلها الجنرال لاحضارهِ سور الحديقة ترجل منها كاميل وسار وهو رافعٌ بصرهُ الى نافذة كاميليا لعلهُ يراها مطلةً منها ولكنهُ ما بلغ الباب حتى شعر بجسم ملائكيّ قد وثب على صدرهِ واذرعٍ لطيفة قد التفت حول عنقهِ وكأن آلةً كهربائية حركت يدي كاميل فضمّ خصرها بين ذراعيهِ ووضع فمهُ على شفتيها وصمت الاثنان هنيهةً لم يُسمع فيها سوى نبضان قلبيهما ولم يُشاهد فيها الا احمرار وجناتهما وتبدل الوانهما

وكان كاميل يقضي اكثر اوقاتهِ مع كاميليا يقص عليها ما لاقاهُ منذ تركها وما حدث لهُ في المدرسة حرفاً حرفاً وتقص هي عليهِ ما تحملت في غيابهِ من الشوق والاسى وما علت بهِ نفسها من الآمال الى ان رجع اليها وقد ايقن الاثنان انهما قد اجتازا عقبة المصاعب واستقرّت لهما حياة السعادة والهناء . ولكن الحياة دولابٌ مستمرّ الحركة يدور على محورهِ ويتساوى في دورانهِ الاطفال والاحداث والشبان والشيوخ والرعايا والملوك والفقراء والاغنياء فاذا بلغ جزءٌ من الدولاب اعلاهُ لا يلبث طرفة عينٍ حتى يأخذ في الانحدار . فبينما كاميل وكاميليا يتلذذان باجتماعهما ويسران باحاديثهما لم يشعرا الا وقد انقضت مدة العطلة واضطرّ كاميل ان يعود الى مدرستهِ فتجددت احزانهما اشدّ من المرة السابقة و بدأ كل واحد منهما يذم سوء بختهِ ويسخط على الدهر الذي قضى بتفريقهما

ومضت عليهما سنوات عديدة يغيب فيها كاميل مدة المدرسة و يعود مدة العطلة وما قيل عن السنة الاولى يقال عن السنوات التالية غير انهُ كان يزيد بينهما كل سنة عاطفةٌ اخرى لم يعرفا في مبدأ الامر لها تعريفاً وما هي الا اول شذا العشق الذي يدخل الصدر دخول الرائحة الطيبة ثم يتبخر بعد ان يتجمع فلا يبقى منهُ سوى مادة مخدّرة كالافيون تتسلط على العقل وتلقي عليهِ سباتاً لا يستيقظ منهُ الا بعد القبر . ولما اكمل الاثنان دروسهما وعادا الى منزل الجنرال اذا كاميل رجلٌ

بديع المنظر مهذَّب الطباع رقيق الجانب حلو الحديث وقد وجَّه نظرهُ الى غرضٍ في الحياة وهو ان يوطد لهُ اساساً يبني عليهِ مستقبل ايامهِ و يقترن بكاميليا

ورأى الجنرال سميث ان لا امل لهُ في الحصول على اولادٍ غير كاميليا واشتمّ رائحة شغفها بكاميل ففضل القريب على الغريب وازال من صدرهِ ما كان يضمرهُ لهُ من النفور والكراهة ولا سيما بعد ان رآهُ مكللاً بغار الفوز والامتياز فصار يميل اليهِ و يحبهُ ثم اطلع زوجتهُ على ما عزم من اعطآء كاميليا لكاميل وحصر الارث فيهما بشرط ان يتخذ كاميل سم اسرتهِ وكان هذا ما تتوقعهُ هنريت فشكرت زوجها كثيرًا واصبح من المقرر ان يجري الامر على هذه الخطة . فاستدعى الجنرال كاميل الى غرفتهِ الخصوصية و باحثهُ فيما نوى فلم يهن على كاميل نبذ لقب والدهِ ولكنهُ رأى الخضوع لارادة الجنرال اجدر ولا سيما وانهُ قد عالهُ كرماً منذ حداثتهِ وانفق عليهِ وانهُ سيزوجهُ بابنتهِ ويملكهُ اموالهُ فجثا امام الجنرال وقبل يدهُ وقال ان ابنك كاميل سميث يشكرك و يستسمح والديهِ المتوفيين في تغيير لقبهِ فهما في محل وجودهما يعلمان ضرورة ذلك

وكان الجنرال يودّ جدًّا ان ينتظم كاميل في سلك الجندية و ينال فيها تقدماً كما نال هو وعلى الخصوص لانهُ كان يعشق لقب الجنرال سميث و يشتهي ان لا يموت هذا الاسم بعد وفاتهِ . فاطلع زوجتهُ والحبيبين على رغبتهِ هذه فاستحسنها الجميع ولا سيما كاميل فانهُ كان يأنف ان تكون اموالهُ واملاكهُ هبةً من عروسهِ ويودّ كثيرًا ان يحصل هو بكدّهِ واجتهادهِ مالاً او مقاماً يقابل بهِ شيئاً مما سيحصل عليهِ . وهكذا فانهُ لم تمضِ مدةٌ قصيرة بعد هذا العزم حتى دخل كاميل في الجندية وجعل همهُ الوحيد فيها التقدم والشهرة وساعدتهُ التقادير ومساعي زوج خالتهِ فلم تأتِ عليهِ سنواتٌ كثيرة حتى صار ضابطاً . وكان الجنرال وخالتهُ يلحان عليهِ في الاقتران بكاميليا وهو يماطل في ذلك لا عن عدم رغبةٍ منهُ في الزواج ولكنهُ كان قد آلى على نفسهِ ان لا يقترن بعروسهِ الا وهو قد تزين بلقب جنرال وكان قد اعلم كاميليا بعزمهِ هذا فقبلت اضطرارًا وجعلت تطلب لهُ من الله

الحصول على بغيتهِ وتشجعهُ برسائلها وتاكيد محبتها

ونشبت في ذلك الحين الحرب البويرية في جنوبي افريقيا فاهتزت لها انكلترا واخذت في حشد الجيوش وارسالها الى تلك القارة وتهافت اولاد الكبرآء والاعيان على الدخول في عداد المتطوعين طمعاً في شهرةٍ ينالونها او حظٍّ يصادفونهُ . وكان اول من طلب ارسالهُ الى مواقع النزال كاميل لاعتقادهِ انهُ ان كان املٌ في الحصول على رتبة جنرال فلا ينالها الا هنالك . ولما قُبل طلبهُ عاد الى بيتهِ فقضى فيهِ بضعة ايامٍ يتودع فيها من حبيبتهِ وآلها ثم سافر على بركات الله مصحوباً بادعيتهم الحارة وقلوبهم المبتهلة الى الله ان ينيلهُ متمناهُ

ولا حاجة الى وصف مواقع الحرب ونتائجها واحوال العساكر الانكليزية ومهارة رجال البوير فكل ذلك غنيٌّ عن الذكر ولا تعلق لهُ بهذه الرواية اذ غرضنا متابعة سيرة كاميل . فانهُ ما انفكَّ يقتحم بصدرهِ المخاطر ويهجم على اشدّ المواقع هولاً وقد جعل قبلتهُ كاميليا وطريقهُ اليها الترقي وكان كلما انتهى من موقعةٍ يبادر اول كل شيءٍ الى تدوين ما مرّ بهِ تفصيلاً ويبعث بذلك الى حبيبتهِ ويعدها بقرب الفوز والرجوع اليها سالماً باذن الله

ولاحظ القائد العام كاميل فرآهُ مع صغر سنهِ ونضارة شبابهِ ذا مهارةٍ غريبة في الفنون الحربية ولهُ خفةٌ وجسارةٌ لاتكادان توجدان في سواهُ فقرّبهُ اليهِ وجعلهُ تحت رعايتهِ الخاصة . وكان كلما التحم الجيشان يرى كاميل الاسبق في التقآء الاعدآء بصدرهِ والاخير في رجوعهِ من ساحة المنية وتحقق القائد العام ان انتصار الجيش الانكليزي في موقعتين عظيمتين كان على يد كاميل فاعجب بهِ جدًّا وأنهى لهُ بالترقي ايضاً . واتفق في ذات يوم أن خرج القائد العام بشرذمةٍ من جنودهِ يستشرف العدوّ حسب العادة فلما ابعدوا عن المعسكر اذا بكمينٍ من رجال البوير قد اطبق عليهم من كل ناحيةٍ بعددٍ يفوق عددهم ولما رأى الانكليز ان لا مناص لهم وطنوا عزائمهم على القتال وحدثت بين الفريقين موقعةٌ دموية شديدة ايقن فيها الانكليز بالهلاك لقلة عددهم وعدم تمكنهم من ارسال من يطلب لهم النجدة من

المعسكر . وانهم لفي تلك الحال واذا بجناح البوير الايسر قد ثُغر و بان فيهِ تحت غيوم الدخان و بريق الصفاح كاميل وعددٌ من رجالهِ فانتعشت قلوب المحصورين وخشي البوير الفشل فقاتلوا قتال الاسود. ولما أُفرج عن القائد العام حانت منهُ التفاتة فرأى كاميل قد ابتعدت عنهُ رفاقهُ واطبق عليهِ نحو عشرة من البوير وهو يدافع عن نفسهِ والمسدَّس بيسراهُ والسيف بيمناهُ فوخز القائد جوادهُ وهجم ببعض رجالهِ الى تلك النقطة فتمكن بعد الجهد من صدّ البوير بعد ان تلاشت قوى كاميل وسقط عن ظهر جوادهِ الى الارض مضرَّجاً بالدمآء

وكان السبب في وصول كاميل في تلك الساعة انهُ علم بخروج القائد وحدثتهُ نفسهُ بوقوع خطبٍ عظيم فبقي ساهرًا الى ان سمع جلبةً نقلها اليهِ نسيم الليل فهبّ مذعورًا واستدعى رجال فرقتهِ فتبعوهُ ووصلوا في الدقيقة التي كان فيها القائد في معظم الاحتياج اليهم . وانجلت الواقعة عن هزيمة البوير مقهورين بعد ان سقط عدد عظيم من قتلى الطرفين

وامر القائد بنقل كاميل الى خيمتهِ حيث اعتنى بهِ اعتنآء الوالد بولدهِ الى ان برئت جراحهُ ونقه من حمّاهُ . وسألهُ القائد يوماً بينما كان جالساً عند سريرهِ عن غايتهِ في تجشم الاخطار واقدامهِ على ما لا يُطلب منهُ فقصّ كاميل عليهِ حديثهُ واخبرهُ انهُ طامع في نيل رتبة جنرال وهو مصممٌ اما ان يموت في القتال او ان يفوز بامنيتهِ وينال ما يسعى لاجلهِ . وادركت القائد شفقةٌ على كاميل فعزم على مساعدتهِ في ذلك ووعدهُ بهِ

وطالت مدة الحرب البويرية اكثر مما انتظر الانكليز وبقي كاميل سنتين بعيدًا عن وطنهِ يعارك ويكافح جهدهُ في براري وجبال الترنسفال ويخفف من شوقهِ العظيم ووجدهِ الشديد بما كان يكتبهُ الى حبيبتهِ مع كل بريد . وفي نهاية السنة الثانية وصل الى كاميليا منهُ كتابٌ يقول فيه

حبيبتي الوحيدة ومنتهى املي

ان مدة بعادنا قد قاربت الانتهآء ولا اشك في انكِ تسرّين جدًّا متى

وصلكِ كتابي هذا وعلمتِ منهُ انني قد ادركت بغيتي وصرت جنرالاً . اما حصولي على ذلك فقد كلفني كثيرًا فاني في موقعة الاسبوع الغابر تحملت فوق طاقتي وكانت الموقعة هائلة جدًّا وكنت كلما تلاشت قواي يتمثل امامي شخصكِ المحبوب فيكسبني قوةً جديدة فاعيد الكرّة على الاعدآء بقلبٍ لم يعد يعلم انهُ يوجد ما يسمونهُ موتًا . وتكاثر علينا العدوّ جدًّا فاصابني شبه ظلمةٍ في عينيَّ فلم اعد ارى امامي شيئًا وكانت الدمآء تنزف من جراحي فشعرت اني اسقط عن جوادي الى الارض ولم اعلم شيئًا بعد ذلك . ولما افقت وجدت نفسي في مستشفى الجيش والقائد العام بجانبي وبيدهِ نوطٌ ذهبي جميل فعلقهُ على صدري وقال لي اهنئك بسلامتك ايها الجنرال . فعلمت للحال انهُ قد انعم عليَّ بهذه الرتبة وشكرتهُ بما حضرني ساعتئذٍ . ولكن الاطبآء منعوني عن الكلام وعن اقل حركة او تهيج ووعدني القائد انهُ سيردّني الى انكلترا مع اول باخرة اذا لم تجد الاطبآء مانعاً لسفري . وفي هذا النهار قرَّر طبيبي ان لا مانع من السفر وانهُ من الضروري ان اعود الى انكلترا لتبديل الهوآء فسأترك مدينة الرأس في ٢٠ الجاري

لا تزال حمى خفيفة تعاودني فلا استطيع ان اكتب اكثر . قدّمي تحياتي الى والديكِ واستعدّي للقآء محبك

كاميل

ولما بلغت هذه الرسالة كاميليا واطلعت والديها عليها اغتمّ الجميع مما حدث لكاميل ولكنهم سرّوا بخبر نيلهِ رتبة الجنرال ورجوعهِ وجعلوا يعدّون الايام وينتظرون وصولهُ واكثرهم شوقًا الى ذلك كاميليا . ولما قرب موعد وصول الباخرة جعلت تزين بيديها جميع غرف البيت ولا سيما المحلات التي كان كاميل يحبّ الجلوس او التنزه فيها . وفي صباح اليوم الذي هو موعد وصولهِ ركبت عربتها وذهبت لاستقبالهِ في المحطة وتركت والديها ينتظرانهما في البيت . وحالما ركبت العربة ألهبت ظهر الجواد بسوطها وهي تودّ لو انهُ من النعام او بعض الطيور حتى بلغت المحطة فاقامت تنتظر القطار وما مضى الا دقائق قليلة حتى انبأها دخانهُ

بوصولهِ فهجمت الى الباب وعيناها تتنقلان في اوجه الركاب لتبين حبيبها منهم ولكنها لم ترهُ فشعرت بانقباضٍ في صدرها وترقرقت الدموع من مآقيها . ثم ابصرت ضابطاً فسألتهُ هل الجنرال كاميل بصحبتهم فقال نعم . قالت واين هو فقد جئت لاستقبالهِ . فنظر اليها الضابط نظرة انعطاف وقال يستحيل ان تريهِ هنا ايتها السيدة ولا يمكن ان يراهُ احدٌ قبل بلوغهِ الى نظارة الحربية فالافضل ان ترجعي فتنتظريهِ في البيت الى ان يوافيكِ هنالك

وشعرت كاميليا بخَوَرٍ استولى على حواسها فكادت تقع مغمى عليها ولكنها شددت عزائمها فركبت العربة وعادت يائسةً مكسورة الخاطر ولا تدري لذلك سبباً

و بعد ظهر ذلك اليوم كان الجنرال سميث وزوجتهُ وكاميليا واقفين في مدخل الحديقة يعدّون الدقائق وهم بانتظار كاميل متعجبين من ابطآئهِ واذا بعربةٍ قد وصلت وترجل منها شخص عرفهُ الجنرال سميث انهُ احد رؤسآء اقلام الحربية فتعجب من قدومهِ و بعد التحية ادخلهُ الى بيتهِ واشار الى زوجتهِ وكاميليا ان تتبعاهُ . ولما استقرّ بهم المقام لحظ الرجل في عيني كاميليا نار الشوق لاستطلاع اخبار كاميل فانقبضت نفسهُ وتلعثم في الكلام وادرك الجميع ان خبرًا سيئاً استقدمهُ اليهم فلم يجسر احدٌ ان يبتدئ بسؤالهِ . و بعد صمتٍ قليل كان كلٌّ في اثنآئهِ يناجي افكارهُ لم يشعروا الا بعربةٍ قد وقفت عند البيت ونزل منها اربعة عساكر يحملون نعشاً مغطى بالراية الانكليزية فدخلوا بهِ الى حيث كانت الاسرة مجتمعة

وما وقع نظر كاميليا على النعش حتى ادركت الامر وعلمت ان حبيبها جآء كما وعد وانما جآء ميتاً فصاحت بصوتٍ كانهُ قطع احشآءها وسقطت الى الارض فاقدة الشعور . وانطلق اذ ذاك لسان الرجل الغريب فاجتهد في تعزيتهم والتلطف بحال كاميليا حتى اذا هدأت خواطرهم من مصادمة تلك الفجاة اعلمهم ان الجنرال كاميل عاودتهُ الحمى في البحر وتوفي عند وصولهِ الى بورتسموث وانهُ لما شعر بدنوّ اجلهِ طلب ورقاً وكتب رسالةً . ثم قدم لهم الرسالة فتناولها الجنرال وقرأها بصوتٍ تقطعهُ زفراتهُ وشهيق كاميليا ووالدتها واذا فيها ما يأتي

حبيبتي كاميليا ومنتهى املي

قد عاودتني الحمى بشدة وربما كان سببها تهيجي الشديد لتصوُّري قرب اللقآء وقد اخبرني الطبيب بان اجلي قد دنا فاكتب هذه الاسطر لاودعكِ الوداع الاخير . اني لا اتأسف على فقد حياتي وانما اتأسف ان القضآء لم يسمح لي بالاجتماع بكِ والحصول عليكِ . وقد ابليت في الحرب البلآء الحسن واحرزت بغيتي بنيل لقب جنرال واما الامنية المحبوبة عندي التي هي انتِ فان احصل عليها ومن المستحيل ان ينال الانسان كل ما يؤملهُ . اذكريني ايتها المحبوبة واذا كنتِ تحبينني كما احبكِ فلا تدعي الجزع والقنوط يتسلطان عليكِ وتزودي من دنياكِ ما شئتِ من المسرات . اما اذا التقينا في غدٍ فساكون في انتظاركِ مع محبتي الحالية . يقال انهُ لا زواج في الابدية ولكن يكفيني ان يكون الملك الطاهر وهو انتِ برفقتي في حالة السعادة والهنآء . ان تصوري انني بلغت انكلترا ولا يمكنني ان اراكِ يعجل في موتي فآه من احكام القدر . وفي دقائقي الاخيرة اطلب الى الله تعالى ان يهبني امرًا واحدًا وهو ان ابقى حيًّا الى ان اتزود منكِ آخر نظرة واودعكِ شفاهًا . ولكن لا لا . ان المشهد يكون اعظم مما تقدرين على احتمالهِ وخيرٌ لي ان لا القي عليكِ هذا الرعب . الوداع يا كاميليا . الوداع يا خالتي المحبوبة . الوداع يا سيدي الجنرال. حبيبتي كاميليا . . ان . . .

وكانت الكلمات الاخيرة غير واضحة تدل على اهتزاز يدهِ في كتابتها ومباغتة الموت اياهُ قبل اتمامها

ولاحاجة الى وصف ما حصل من الانفعالات لكل فردٍ من تلك الاسرة مما يعجز القلم عن بيانهِ . فدفن كاميل بمزيد الاحترام والوقار كما تدفن اعاظم رجال الحرب . وآلت كاميليا على نفسها ان لا تقترن بعدهُ باحد فبقيت مقيمةً على وعدها تزور ضريحهُ يوماً فيوماً وتكللهُ بالزهور وتبلل ثراهُ بدموعها

اللغة العاميّة واللغة الفُصحَى

(تابع لما في الجزء السابق)

واما الامر الثاني وهو قصور الفاظ اللغة عن أداء الاغراض العلمية والصناعية وسائر المواضعات العصرية فمما لا خلاف فيهِ ولا ينكرهُ او يستخفّ بحاجتنا الى تداركهِ الاّ من غابت عنهُ احوال العصر ولم يرَ من الكتب الا ما انتهى الينا من بقايا صحف الغابرين ولم يعلم من الشؤون الاجتماعية الا ما يقرأهُ في جرائد الاخبار وكتب الروايات . ولو تسنى لبعض ادبآئنا ان يقرأوا شيئاً من المجلات العلمية التي تصدر تباعاً من الآفاق الاوربية والاميركية او يتصفحوا كتاباً من الكتب العلمية او الصناعية في احدى لغات اولئك الاقوام ويروا ما هنالك من غرائب المصطلحات التي لم يمرّ طيفها بخلد احدٍ من واضعي لغتنا ولا نجد فيما وضعوا لفظاً يعبَّر بهِ عن شيءٍ منها لارتفع لهم شيءٌ من ذلك الحجاب ولعلموا ان ما يتعللون بهِ من الدعاوي الفارغة يموّهون بها على انفسهم وعلى القرآء ليس الا ضرباً من التغرير والاستسلام للقدر حتى يقضي قضآءهُ على ايديهم ويتخذهم اعواناً على انفسهم وعلى بلادهم . بل حَسْبُ من ذهب بهِ الغرور هذا المذهب ان يزور احد باعة البضائع الافرنجية ويسألهُ عن اسمآئها ثم ينظر بمَ يسميها من اوضاع لسانهِ بل حسبهُ ان يدخل ردهة منزلهِ ويتفقد ما فيها من المرافق وادوات الزينة ثم ينظر هل يجد لشيءٍ منها اسماً عربياً . فان قال ولكن هذه من مصنوعات الاجانب وُلدت عندهم وسُمّيت بألفاظهم قلنا فهل وُلدت ألسنتنا عندهم ايضاً والا فأين ما ندعيهِ من اتساع لغتنا ووفرة موادّها وصلاحيتها لتمثيل كل ما يراد من

المعاني . على ان كل جديدٍ اليوم يأتينا من عندهم فان سمينا كل ما نتناوله عنهم بلفظهِ الموضوع في لسانهم فعلى لغتنا السلام وحينئذٍ فلا نقف عند حدّ استبدال اللغة العامية من الفصحى ولكن تصبح لغتنا خليطاً من العربية وسائر اللغات الافرنجية على ما تقدمت لنا الاشارة اليهِ وعلى ما نرى مثلهُ اليوم في الاحاديث اليومية حتى في لغة الفلّاح اذا سمّى بعض ادواتهِ فضلاً عن المباحث العلمية

على ان دعوانا اتساع اللغة مما لا ينكرهُ علينا منكر ولكن معنى اتساعها أن في اوضاعها ما يتسع لأن يشتقّ منهُ الفاظٌ لما شئنا من المعاني لا أن كل معنًى لهُ لفظٌ موضوع لان اصحاب اللغة لم يتنبأوا بما سيحدث بعدهم من المسميات حتى يضعوا لها اسماءً قبل وجودها . ولذلك لا بد لنا من النظر في وضع ما لم يضعوهُ واستدراك ما فاتهم مما حدث في العصور المتأخرة ولا يكفينا في هذا المقام ان نقول ان لغتنا كانت في بعض ما مرّ بها من العصور لغةً علمية فان العلم اليوم غير العلم في الزمن الاول فهو لا يُتلقى عن الاولين تلقّي الاقوال المُنزَلة فضلاً عن ان يبقى محصوراً في الحدود التي بلغوا اليها ولكن هذا العصر عصر بحثٍ وتنقيب وقد انقلب فيهِ العلم وتبدلت حقائقهُ ومصطلحاتهُ حتى لم يبقَ مما قررهُ الاولون الا رسومٌ واطلال فضلاً عما احدث المتأخرون مما لم يكن للسابقين بهِ عهد . وهذا قانون ابن سيناء المشهور كان يُعتبَر الى زمنٍ قريب مجموع العلوم الطبية بأسرها وكان اليهِ مرجع جميع الاطباء والمصنفين في الشرق والغرب ومن زاد عليهِ شيئاً لم يتعدّ شرح بعض مسائلهِ أو اختصار بعض فصولهِ ومثلهُ كتاب المجسطي لبطلماوس في

علم الهيئة وكتب ارسطاطاليس في الفلسفة ولكن هذه الكتب لم يبقَ لها ذكرٌ اليوم الا في برنامجات المكاتب القديمة ولا يطلب علمآء هذه الايام الوقوف عليها الا بقصد الاطلاع على الشيء الغريب كما يحبّ احدنا الاطلاع على عوائد اهل الصين مثلاً . ولذلك فان ما وضعهُ السلف من الالفاظ العلمية لا يكاد يغني عنا شيئاً من المطالب العصرية حتى في العلوم التي بحثوا فيها ولكنهُ ولا ريب الدليل المقنَع على ما ذكر من ان اللغة لا تضيق عن حاجتنا والحجة الناطقة بتقصير ائمة العلم منا واستسلامهم بأفضل ذخائرهم لعوامل الضياع . على أنّا اليوم في اول شوطنا وقد قرع اسماعنا من التنبيه ما يكفي لأن يوقظنا من غفلتنا ويحثنا على المبادرة الى سدّ هذه الثلمة وتدارك اللغة من الفوات فان فعلنا والا لم تلبث ان تلحق باللغات الغابرة ولا يبقى منها الا ما حفظتهُ الخزائن من مصاحف الاولين

وما استغربنا في هذا المقام الا كلاماً لبعض مكاتبي المؤيد يقول فيهِ ما نصهُ « واما اقتراح بعض الافاضل " تشكيل " جمعية لاستبدال الكلمات الاعجمية بما يرادفها من الكلمات العربية فهذا امرٌ لا طائل تحتهُ (! !) فان تشكيل جمعية لاجل تغيير نحو مئة كلمة (كذا) فهذا يمكن " لجريدة " مثل جريدة المؤيد ان تقوم بهِ » .....

واغرب من هذا ما جآء لمكاتبٍ آخر في العدد التالي قال ما حرفيتهُ « وقبل وضع القلم لا بد من التكلم على امرين الاول تعديل اقتراح ذلك الفاضل في المؤيد بأن كل كاتب ممن " نوه عنهم " المقترح يكتب للمؤيد كل ما يراهُ بهذه الصدد وأقترح مع هذا ان يكون المؤيد حكماً .. اما انتظار

تأليف جمعية فأمرٌ يطول واليك ما اراهُ

« تسمى عربة أو توموبيل (جوابة) وعربة الترامواي (سيارة) والتلغراف بسلك (برق) والتلغراف بدون سلك (لمح) أو (شعاع) والتلفون (سفير) أو (الناقل) أو (النمام) والفنوغراف (سمير) والفتوغرافية (عين) أو (رصد) والسنتمواغرافية (خيال) .. والياقة (رقبية) والحرملة (كتفيّة) والبنطو (ظهري) والبنطلون (ساقان) لخاقان » .....

كذا ما قرأناهُ بحرفهِ ورسمهِ . فانظر بعيشك هل سمعت قطّ أو كنت تترقب ان تسمع مثل هذا الكلام واذا كان هذا جلّ ما تنتظرهُ الامة من علمآئها وكتابها في مثل هذا المعترك فيا لفشل الامة ويا لضياع اللغة بل هي البشرى للمستر ولمور واصحابهِ بخروجهم من هذا المجال فائزين ... والا أفليس من الغريب ان يُنشَر مثل هذا الكلام في جريدةٍ هي اشهر جرائد العربية واشيعها ثم لا يوجد بعد نشرهِ من يردّ هذا القائل الى هداهُ ويدفع عن القرآء هذا التغرير الفاضح ولا سيما والمقام مقام مناظرة اوكما يعنونهُ المؤيد تنازع بقآء والخصم واقفٌ بالمرصاد يرمينا بالجهل والغباوة

كلاّ ايها الكاتب الخبير انها ليست «مئة كلمة» كما توهمت بل لو نظرت في احدى المجلات العلمية وقرأت انبآء ما يحدث كل يوم عند اولئك القوم من فنون الاختراع وضروب الاكتشاف لوجدت المئة كلمةً في جزء واحد منها . ولا نكلفك الوقوف على معاجم المصطلحات العلمية والصناعية واصغرُها كمعجم بولياي المطبوع منذ نحو اربعين سنة يبلغ لا اقلّ من ١٨٠٠ صفحة كبيرة بالحرف الدقيق تتضمن الصفحة لا اقلّ من ٦ الى ١٠ كلمات هي

رؤوس المواد فضلاً عما يتخلل شرحها من التفاصيل وكل ذلك لا تجد عندنا منهُ ما يملأ عشرين صفحة والباقي ممـا يتعين علينا ترجمة بعضهِ وتعريب البعض الآخر . ولا نذكر ما حدث في مدة هذه الاربعين سنةً التي اربت الاختراعات والاكتشافات فيها على كل ما سبق منها في السنين الغابرة ولا سيما في فنَّي الكيميآء والكهربائية مما لا يدخل تحت حصر ولا تزال حلقاتهُ متتابعةً الى هذا اليوم . وحسبنا من ذلك ان نشير الى كتاب موسوعات العلوم الكبير الذي شُرع في طبعهِ منذ سنواتٍ باللغة الفرنسوية وقد بلغ الى الآن نحواً من خمسة وعشرين مجلداً كل مجلدٍ منها لا تقل صفحاتهُ عن الف صفحةٍ كبيرة غالبها فيما ذكر وهو لم يبلغ ختامهُ بعد . على ان مؤلفيهِ لم ينتهوا الى ما وصلوا اليهِ اليوم حتى صار يلزمهم ان يرجعوا فيهِ على حافرتهم ويزيدوا عليهِ ما حدث بعد طبع ما طُبع منهُ ثم هلمَّ جرًّا بعد ذلك الى ما يعلم الله حدَّهُ . ومع هذا كلهِ فان من ادبآئنا من يقول ان تأليف جمعية لتعريب الالفاظ التي فاتتنا امرٌ لا طائل تحتهُ وهل من طائل اعظم من هذا ان استطعنا ان نبلغ منهُ ولو القدر الذي تدعو اليهِ أمسّ حاجاتنا الحاضرة وكان فينا رجالٌ قوَّامون بمثل هذا العمل الكبير . ام سبق الى وهم هذا الكاتب ان كل جمعيةٍ لغوية — بل كل جمعية وطنية — تكون على مثال « المجمع اللغويّ » المشهور . . . اللهمَّ ان كانت الجمعية التي أُشير بعقدها ستجري على خطة المجمع المذكور فنحن اول من يشير بتركها تفادياً من تجديد ذلك الوسم المعيب والجمع بين عار التقصير وعار الفشل

(ستأتي البقية)

الغبار الحيواني والنباتي

* لوكان يمكن ان تميّز ارضنا   لوجدتَ نصف ترابها رِمَم البلى

أَجَلْ واذا اعتبرت ان الارض منذ الوف بل الوف الوف من السنين تخرج الحيوان والنبات حتى يغطيا سطحها ويشحنا هوآءها ومآءها ثم يرتدّ كل ذلك اليها على مرّ الثواني لم تجد في هذا القول مبالغةً . ومن تفقَّد اتربة الارض وصخورها وجد الكثير منها مؤلَّفاً من جثث الحيوان وحطام النبات وهذه الطبقات الطباشيرية المؤلفة من خلائق لا تحصى من ذوات الاصداف ومعادن الفحم الحجري المؤلفة من غياضٍ لا تُحَدّ من عظام الشجر شاهدةٌ بذلك وهي ليست بالشيء القليل في الارض ولا محصورةً في مكانٍ منها أو في طبقةٍ من طبقاتها ولكنك تراها في ظاهر الارض وباطنها وفي كل بقعةٍ من سهولها وجبالها وبحارها . ومعلومٌ ان المآء والريح دائمًا العمل في سطح الارض فالمآء يحطّم ما يمرّ بهِ من الصخور ويحلّ الاتربة والريح تجفف هذه المحطّمات وتنسف دقائقها في الجوّ فتتطاير لخفتها وتحملها من اقاصي الارض الى اقاصيها . ولذلك لو فحصت الهوآء الجوّي لوجدتهُ يموج بمقادير لا تحصى من هذه البقايا المتحطمة فضلاً عن جثث الحيوانات الصغرى المتطايرة كاملةً أو متحطمة مما يسهل معرفتهُ لبقآء هيئاتهِ واشكالهِ وقد وجد الفاحصون منهـا ما لا تحصى انواعهُ وما يتجمع منهُ على التمادي في بعض الامكنة مقادير عظيمة . ويضاف الى الجثث الميتة ما ينتثر عن اجسام الاحيآء من الاجزآء المتقشرة فان البنية تهلك انسجتها على الدوام ويتجدد

غيرها وذلك بما يعرض لها من الدثور المتواصل في جميع اجزآئها وكل ما دثر منها ينفصل فيحمله الهوآء . فاذا تفقدنا جسم الانسان وجدنا انهُ يحدث في جميع سطح بشرتهِ تقشرٌ بطيء هو الذي يحفظ على البشرة لينها ونعومتها ومثل ذلك يحدث في بعض الاحوال المرضية على اثر بعض العلل الجلدية كالبرص والقُوبآء والحزاز وغيرها أو العلل النفاطية كالحمرة والجُدَري والحمى التيفوئيدية وفي هذه الحال تكون الاجزآء المتطايرة عن الجسم سبباً لانتشار الامراض التي هي صادرة بسببها

وعدا الريش والزَغَب والقشور الصدفية المتناثرة عن بعض الحيوانات الصغرى فان هناك عدة اشيآء تضاف الى هـذه المذكورات منها قشور بيض الهوام وجلود بعض انواع الديدان والانقاف وسلوخ بعض الحيوانات كالحيات والعقارب والعناكب وامثالها من الحيوانات القشرية وكلها من المواد التي اذا تحطمت حمل الهوآء حطامها ونقلتهُ الرياح في كل وجه . ومثل ذلك نسيج العنكبوت المتطاير في الهوآء بعد تمزُّقهِ ويضاف الى كل ما ذُكر فضلات الحيوان المبرزة التي اذا جفّت تطايرت ايضاً مع الهوآء . وعلى الجملة فان الهوآء الذي نتنفسهُ يشتمل على ما لا يُحصى من المواد التي اكثرها مما يُتقزز منهُ ومما يكون سبباً في كثير من الامراض التي تدخل على الجسم

وكذلك النبات فان الهوآء يحمل من حطامهِ وبقاياهُ ما لا يقلّ عما يحملهُ من الحيوان فان النبات بعد موتهِ تحلل اجزآؤهُ كما تحلل اجزاء الحيوان ثم يجف ويتحطم فتحملهُ الريح وهذا في النبات فعلٌ دائم في الحياة ايضاً فان اوراقهُ وازهارهُ وبزورهُ ولحاءهُ وقشور حبهِ ابداً تتناثر وتتساقط

فيكون عنها مثل ذلك

وفضلاً عن البقايا المذكورة فان الهوآء مشحونٌ بالجراثيم والبزور الحيّة من صغار الحيوان والنبات تحملها الرياح الى كل جهة وهو السبب في انتشار هذه الانواع في جميع اطراف الارض بحيث انهُ لو شخصت جزيرةٌ من دَرَك البحر لم تلبث ان تنبت عليها الاعشاب البرية ويوجد فيها من الهوامّ ما لا يوجد الا في البرّ فسبحان من جعل لكل شيءٍ سبباً وهو المدبّر الحكيم

العقوبة بالقتل

لا شك ان القتل من اهول العقوبات وافظعها لكن ضروب القتل تتفاوت بتفاوت الوسائط التي يتمّ بها حتى يختلف بعض الموت عن بعض خلافاً لما قال الشاعر

ومن لم يمت بالسيف مات بغيرهِ　　تعددت الاسباب والموت واحدُ

والناس مختلفون في تجويز القتل عقوبةً على اي جريمةٍ كانت لما فيهِ من القسوة والفظاعة التي تنفر منها القلوب الرقيقة وقد أُلغي العقاب بهِ من كثيرٍ من الممالك المتمدنة والتي تجيزهُ ما برحت تلتمس لهُ اسهل الطرائق واقلها عذاباً للمقتول عملاً بمقتضى الشفقة وان لم تكن في القتل شفقةٌ بحيث يُقضى عليهِ في اسرع ما يمكن. والظاهر ان اقل آلاتهِ عذاباً المِقصَلة (الكليوتين) لانها تقضي على المجرم في اقل من لحظة وهي الشائعة اليوم في اكثر ممالك اوربا ولعلها اخف من الكهربائية التي اعتمدها الاميركان في السنين الاخيرة

وقد كان القتل قديماً يجري على الغالب بالذرائع التي يقشعرّ منها البدن حتى كأن المقصود بهِ التشفي والانتقام من المقتول دون الزجر والعبرة لغيرهِ ومما يُنقل عن احد ملوك الرومان انهُ كان يأمر بتشديد عذاب المقتول واطالة مدة نزعهِ « حتى يشعر بانهُ يموت »

وقد تفننوا في طرق القتل على ضروبٍ شتى لم يتركوا فيها نوعاً من انواع الخشونة والتوحش الاّ اتوهُ . فمن ذلك ان العبرانيين كانوا خلا ضرب العنق الذي هو الواسطة البديهية في قطع حبل الحياة يستعملون فيهِ الرجم والجلد والاحراق والنشر وهذه الطريقة الاخيرة هي التي قُتل بها اشعياء النبي . وكان المصريون يزيدون على ذلك ضروباً اخرى افظعها ما كانوا يعاقبون بهِ من يقتل احد ابويهِ فانهم كانوا يغرزون في كل جسمهِ قِطَعاً من القصب محدَّدة الاطراف في غلظ الاصبع ويقطعون قِطَعاً من لحمهِ حتى اذا صار كلهُ علَقةً من الدم وكاد يلفظ آخر نَفَسٍ من حياتهِ يرفعونهُ على حزَمٍ من الشوك ويحرقونهُ

وكان الفرس يسحقون المجرم بين صخرين عظيمين أو يسلخون جلدهُ وهو حيّ وربما طمروهُ في الرماد حتى يموت تحتهُ اختناقاً . وكانت لهم طريقة اخرى في العقاب يجعلون المجرم في صندوق يخرجون منهُ رأسهُ ويديهِ ورجليهِ ويتركونهُ كذلك مدة خمسة عشر يوماً يطعمونهُ ويسقونهُ تأخيراً لأجلهِ ويطلون وجههُ بالعسل ليحوم عليهِ الذباب والنمل والزنابير . وتوصل المتأخرون منهم الى ما هو افظع من ذلك فانهم كانوا يبضعون في البدن بضعاتٍ عميقة ويضعون فيها فتائل مطلية بالكبريت يوقدونها ايقاداً بطيئاً

اما اليونان فلم يُروَ عنهم غير الشنق وضرب العنق والذعف اي القتل بالسمّ . والرومان كانوا يعاقبون الاحرار بضرب العنق والأرقّآء بالصلب أو الجلد وكانوا احياناً يقذفون المجرم عن ظهر حالق ومن قتل احد ابويهِ وَأَدُوهُ اي دفنوهُ حياًّ . وكان اشدّ ما يُروَى عنهم من الفظائع ما كانوا يفعلونهُ في التنكيل بأهل النصرانية فانهم كانوا يلقونهم الى السباع او يمزّقون اجسادهم بالكلاليب أو يحرقونهم احيآءً الى غير ذلك مما هو مشهور

وهناك ضروبٌ أُخر منهــا ان تُشَدّ اطراف المجرم الى اربعة افراس يُخالَف بين كل اثنين منها ثم تُطرَد فيتمزق قِطعَاً وربما جذبوا غصنين من شجرتين وشدّوا الى كلٍّ منهما واحدةً من رجليهِ ثم ارسلوهما فينقدّ جسمهُ شطرين واكثر ما كان يُستعمَل ذلك عند متقدمي ملوك الفرنك . ومنها غمس المجرم في حفرةٍ مملوءةٍ من الحمأة حتى يغيَّب فيها فيموت اختناقاً وهي من طرائق الجرمانيين . ومن جملة ما كان يُستعمل عند الروس ما يسمونهُ بالكنوت (او القنوط) وهو سوطٌ يُجمع فيــهِ عدة سيور ضخمة من جلد البقر تجدَل عند اصلها وتُترَك اطرافها سائبة ويُجعل في كل طرف اسلاكٌ مفتولة من الحديد فحيثما وقعت على جسم المجرم سال منهُ الدم فلا تتكرر عليهِ خمس أو ست ضربات حتى يصير الجسم كلهُ كانهُ جراحةٌ واحدة وفي اقلّ من اثنتي عشرة ضربة تزهق نفسهُ

ومما يُروَى عن اهل سومطرا انهم كانوا الى اواسط القرن المـاضي يقطّعون المجرم حياًّ ويأكلون لحمهُ وهو من الاحكام الشرعية عندهم . وكان يُقضَى بهِ على خمسةٍ من مستحقي العقوبة وهم الزانية والسارق والاسير والمتزوج

من عشيرتهِ والمغتال وعند انفاذ الحكم يجتمع رجال القبيلة ويؤتى بالمحكوم عليهِ مشدوداً على سارية ويداهُ ممدودتان ثم يختار كل واحدٍ من الحضور قطعةً من جسدهِ فيقطعها ويأكلها على المكان فاذا فرغوا كلهم نهض زعيم الحفلة فقطع الرأس واكل الدماغ

واشهر الامم بهذه الفظائع اهل الصين فان عندهم اكثر اصناف العقوبات المذكورة واشدّها قسوةً وتعذيباً وعندهم نوعٌ غريبٌ منها وهو ان يملأوا المحكوم عليهِ خلاًّ بواسطة قمع يجعلونهُ في فيهِ حتى اذا صار كالزقّ المنفوخ وقعوا عليهِ بالعصيّ حتى يتقطع جلدهُ ويموت . وهناك نوع آخر اخترعهُ احد ملوكهم تلهيةً لنسآئهِ اذا ضجرنَ وذلك ان يُؤتى ببرميلٍ ونحوهِ من الحديد ويُملأ جمراً مشتعلاً ثم يعلَّق المجرم فوقهُ حتى يشوى . ومن فظيع ما يُروَى عنهم ان رجلاً قتل اخاهُ فحكم عليهِ بأن يقطَّع حيًّا الى عشرة آلاف قطعة . وحكم على احد زعمآء اللصوص بأن يُوضَع في قفص ويُترَك فيهِ حتى يموت جوعاً

ومن قبيل هذا النوع الاخير اي القتل بغير سلاح نوعان آخران احدهما ان يُدغدَغ المجرم (اي يزكزَك) دغدغةً متواصلةً حتى يموت من شدة الضحك ويُنسب اختراع هذه الطريقة الى جماعةٍ من الرهبان يسمُّون بالاخوة المورافيين وهم من بقايا اتباع هُوس . والثاني ان يُمنَع من النوم فيموت معذباً بالسهر واول من ذُكر عنهُ هذا النوع من العقاب محمد بن الزيات وزير المعتصم ولهُ في ذلك قصة غريبةٌ لا بأس من ايرادها في هذا الموضع عبرةً للمطالع . قال ابن خلكان كان ابن الزيات قد اتخذ تنوراً من خشب

فيهِ مسامير من حديد واطراف مساميرهِ المحدّدة الى داخل وهي قائمة مثل رؤوس المسالّ . وكان يعذّب فيهِ المصادَرين وارباب الدواوين المطلوبين بالاموال فيكفما انقلب واحدٌ او تحرك تدخل المسامير في جسمهِ فيجدون لذلك اشد الالم ولم يسبقهُ احدٌ الى هذه المعاقبة . وكان اذا قال احدٌ منهم ايها الوزير ارحمني يقول لهُ الرحمة خَوَرٌ في الطبيعة . فلما اعتقلهُ المتوكل امر بادخالهِ في التنور وقيّدهُ بخمسة عشر رطلاً من الحديد فقال يا امير المؤمنين ارحمني فقال لهُ الرحمة خَوَرٌ في الطبيعة كما كان يقول للناس . فطلب دواةً وبطاقةً فأُحضرتا اليهِ فكتب .

هي السبيل فمن يومٍ الى يومِ   كانهُ ما تْريك العينُ في النومِ
لا تجزعنَّ رويداً انها دُوَلٌ   دنيا تَنَقَّلُ من قومٍ الى قومِ

وسيَّرها الى المتوكل فاشتغل عنها ولم يقف عليها الا في الغد فلما قرأها المتوكل امر باخراجهِ فجاءوا اليهِ فوجدوهُ ميتاً وكانت مدة اقامتهِ في التنور اربعين يوماً . ولما مات وُجد في التنور مكتوباً بخطهِ قد خطهُ بالفحم على جانب التنور

من لهُ عهدٌ بنومٍ   يُرشدُ الصبَّ اليهِ
رحم اللهُ رحيماً   دلَّ عينيَّ عليهِ
سهرت عيني ونامت   عينُ من هُنتُ لديهِ

المكاتب والسوس

ما زال امر سوس الكتب شغلاً شاغلاً لاصحاب المكاتب الكبرى في اوربا وغيرها لما يحدث عنهُ من التلف ولا سيما في الكتب القديمة وقد

فرض مؤتمر المكاتب الذي عُقد في باريز سنة ١٩٠٠ ثلاث جوائز لمن يجد ذريعةً لاهلاكه

وسوس الكتب انواع اشهرها واعمّها الأَرَضة وهي متى كانت نِقفاً تكون اشبه بالدود الذي يوجد في البندق واذا نقفت في كتاب اغتذت من موادّهِ واستمرت تثقب امامها حتى تنفذ الى خارجهِ . وهي قد تثقب عدة مجلداتٍ على الولآء حتى عدّ بعضهم سبعة وعشرين مجلداً مثقوبةً ثقباً واحداً على خطٍّ مستقيم قد ثقبتهُ أَرَضةٌ واحدة. وقد يُظنّ ان ثخانة لوحي الكتاب تمنع الارضة من اختراقهِ ولكن الواقع بالخلاف فقد تبين ان الكتب اذا كانت مغلفةً بورق كان فعل الأَرَضة فيها اخفّ . ووُجد ايضاً ان الكتب القديمة معرَّضة لضررها اكثر من الحديثة لاختلاف نوع الورق اذ الورق كان قديماً يُصنَع من القطن او الكتان وفي هذه الايام يتخذ من الخشب ويخالطهُ شيءٌ من الجص او الكاولين مما لا يطيب لهذه الهوامّ . ومما يزيد في ميل الارضة الى الكتب ما يستعمل في التجليد من الغرآء النشآئي ولذلك ينبغي للمجلدين ان يضيفوا الى النشآء شيئاً من الشب او غيرهِ من المواد التي تمنع تعفنهُ

وقد عُلم ان الارضة اكثر ما تضع بيضها في خشب الزان ولما كانت على ما ذكر من الميل الى النشآء اشار بعض ذوي الاختبار ان يؤخذ قطعٌ من هذا الخشب وتُدهَن بطبقةٍ خفيفة من النشآء وتوضع في مدة الصيف في المكتبة فلا تلبث هذه الهوام ان تجيء وتلقي بيضها عليها . وهذا البيض لا ينقف الا في فصل الشتآء فتُترَك القطع المذكورة الى هذا الفصل ثم

يكشف عنها بين شهري يناير ومارس فاذا وُجد فيها تحزيزٌ أو انتبار في مواضع من سطوحها استُدلَّ على وجود البيض فتُلقى قِطَع الخشب في النار وبهذه الواسطة يُقطَع دابر هذه الهوام

واما اذا كان هناك ضروبٌ اخر من الهوام مما لا يهلك بهذه الطريقة فأفضل ما يُستعمل للوقاية منها زيت التربنتينا او الكافور او ما اشبههما من المواد يجعل شيءٌ منها على قطعة من الجوخ وتوضع وراء صفوف الكتب . واذا كان ثمَّ كتبٌ ثمينة ولا سيما ما كان منها مجلداً بالخشب اختير ان يستعمل لوقايتها زيت الأَرْز وخاصيّة هذا الزيت في طرد الهوام معروفةٌ من قديم . واشار بعض الكيماويين ان يُخلَط غرآء النشاء الذي يتخذ للتجليد بدقيق الشاهبلّوط (الكستنا) الهندي وهو مرُّ الطعم لا تُقدِم عليهِ الهوامّ لمرارتهِ . واشار غيرهُ بان يُستعمَل لذلك البنزين تؤخذ منهُ قطرةٌ فقطرة على اسفنجة وتُمسَح الكتب التي انتابتها الهوام ويكرر ذلك على مرتين فتهلك لا محالة

واشار بعض المجرّبين انهُ متى وُجد ثقبٌ في كتاب يُدخَل فيهِ ابرة او سلكٌ دقيقٌ لقتل الأَرَضة ان كانت باقيةً ثم يُسدّ الثقب بمسحوق الكافور او بالفلفل الحرّيف بعد خلطهِ بالشمع الملين . على ان افضل الوسائط دوام تعهد الكتب بالتنظيف والتعريض للهواء والنور وهي الطريقة المعتمدة في جميع المكاتب العمومية لان هذه الامور الثلاثة من اكبر اعداء هذه الهوام وفي الكتب التي يكثر استعمالها بين ايدينا شاهدٌ على ذلك وما اصدق ما قالهُ بعضهم ان مكاتب العلماء العاملين لا تدخلها الأَرَضة

تحويل المعادن

من العلماء اليوم من عاد الى البحث في امر تحويل المعادن بناءً على ان ما كان المتقدمون يزعمونهُ من هذا القبيل ليس من الامور التي تستحيل في الطبيعة بيد ان المتقدمين كانوا يذهبون الى ان المعادن يتحول بعضها الى بعض بطول الزمن والقائلين بذلك في هذه الايام يرجعون بامكان هذا التحوُّل الى ان جميع الاجسام مردودة الى عنصرٍ واحد وانما تختلف اعراضها باختلاف حركات الدقائق المؤلف منها الجسم وتفاوتها في الكثافة والتلزز . وذلك كما بين الاوزون والاكسيجين فانهما على الحقيقة عنصرٌ واحد وكذلك الفصفور الاحمر والفصفور الابيض وانما اختلفت اعراضهما باختلاف دقائق كلٍّ من الجسمين بأن كانت في احدهما بسيطة وفي الآخر مركبة من عدة دقائق متكاثفة وذلك مع بقاء خصائص الجسمين الكيماوية بحالها وان اختلفا في الخصائص الطبيعية . وبناءً على هذا الاعتبار اخذوا منذ حين يزاولون تحويل الفحم الى ألماس بواسطة الحرارة والضغط الشديدين وقد تحقق لهم ذلك كما تقدم لنا شرحهُ في هذه المجلة (١) ولو لم يصلوا الى صنع حجارة في حجم الحجارة الطبيعية لما هناك من الفرق بين العاملَين ولكن هذا لا يقدح في اصل المبدأ الذي تمّ بهِ هذا التحويل . وعليهِ فاذا امكن تحويل الفحم الى الماس بمثل هذه الذريعة فلا يستحيل في رأيهم ان تحوَّل الفضة مثلاً الى ذهب

(١) السنة الاولى صفحة ٧١٥ وما يليها

ويثبتون هذا الرأي بادلةٍ منها التحليل الطيفي قالوا فان طيف الابخرة المعدنية اشبه شيء بطيف الهدروجين وكلما ارتفعت حرارة المعدن في الامتحان ازداد هذا الشبه قرباً حتى يصير الطيفان اخيراً واحداً . ثم ان جوّ الشمس معظمهُ مؤلف من الهدروجين ومثلهُ جوّ سائر النجوم المضيئة بنفسها على الاطلاق فيظهر ان الهدروجين مصاحبٌ دائماً للحرارة الشديدة وفي ذلك ما يدل على انهُ اصلٌ للعناصر المختلفة تحول عنهُ عند هبوط الحرارة وتبدُّل سائر العوامل . على انهُ ليس من السهل اثبات ان مثل الزئبق والذهب والبلاتين التي هي اثقل المعادن حاصلة من تكاثف عنصرٍ غازيّ هو اخفّ من الهواء باربعة عشر ضعفاً فان ذلك مما تعجز مدارك البشر عن تحقيقهِ . وعلى الجملة فالامر من الاسرار التي لا تزال محجوبةً عنا وانما يوكَّل بكشفها الامتحان وتعاقب الزمان والله اعلم

حمام الزاجل

جاء في خطط المقريزي في الكلام على هذا الحمام ما آثرنا نقلهُ بياناً لما كان لهم من شديد العناية بهِ وما يتعلق بذلك من كيفية استخدامهِ وسائر احكامهِ. قال كان بالقلعة ابراج برسم الحمام التي تحمل البطائق وبلغت عدّتها على ما ذكرهُ ابن عبد الظاهر في كتاب تمائم الحمائم الى آخر جمادى الآخرة سنة ٦٨٧ الفاً وتسعمائة طائر . وكان بها عدّةٌ من المقدّمين لكل مقدم منهم جزء معلوم وكانت الطيور المذكورة لا تبرح في الابراج بالقلعة ما عدا طائفةً منها فانها في برج بالبرقية خارج القاهرة يُعرَف ببرج الفيوم رتبهُ الامير فخر الدين عثمان بن قزل استادار الملك الكامل محمد ابن الملك العادل بن بكر بن ايوب وكانت البطائق ترد اليهِ من الفيوم

ويبعثها من القاهرة الى الفيوم من هذا البرج . وكان في كل مركزٍ حمام في سائر نواحي المملكة مصرًا وشامًا ما بين اسوان الى الفرات فلا تحصى عدة ما كان منها في الثغور والطرقات الشامية والمصرية . وكانت العادة ان لا تُحمل البطاقة الا في جناح الطائر لامور منها حفظ البطاقة من المطر وقوة الجناح ثم انهم عملوا البطاقة في الذنب . وكان يُعمل في الطيور السلطانية علائم وهي داغات في ارجلها او على مناقيرها وكان الحمام اذا سقط بالبطاقة لا يقطع البطاقة من الحمام الا السلطان بيدهِ وكانت لهم عناية شديدة بالطائر حتى ان السلطان اذا كان ياكل لا يتمهل حتى يفرغ من الاكل بل يحل البطاقة ويترك الاكل وهكذا اذا كان نائمًا لا يُمهل بل ينبّه . قال ابن عبد الظاهر وينبغي ان تكتب البطائق في ورق الطير المعروف بذلك ورأيت الاوائل لا يكتبون في اولها بسملة وتؤرخ بالساعة واليوم لا بالسنين ولا يكثر في نعوت المخاطب فيها ولا يذكر حشوٌ في الالفاظ ولا يكتب الا لبّ الكلام وزبدتهُ ولا يعمل للبطائق هامش ولا تعنون الا اذا كانت منقولة مثل ان تسرَّح الى السلطان من مكانٍ بعيد فيكتب لها عنوان لطيف حتى لا يفتحها احد وكل والٍ تصل اليهِ يكتب في ظهرها انها وصلت اليهِ وينقلها حتى تصل مختومة . . قال مؤلفهُ وقد بطل الحمام من سائر المملكة الا ما ينقل من قطيا الى بلبيس ومن بلبيس الى قلعة الجبل ولا تسل بعد ذلك عن شيء وكأني بهذا القدر وقد ذهب ولاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

ومن لطيف ما ذكر في هذا الكتاب ان العزيز بالله (في اواخر القرن الرابع) اراد ان يسافر الى الشام في زمن ابتدآء الفاكهة فامر الوزير (يعقوب بن يوسف بن كلس) ان يأخذ الاهبة لذلك فقال يا مولاي لكل سفرٍ اهبةٌ على مقدارهِ فما الغرض من السفر فقال اني اريد التفرج بدمشق لاكل القراصيا فقال السمع والطاعة وخرج فاستدعى جميع ارباب الحمام وسألهم عما بدمشق من طيور مصر واسماء من هي عندهُ وكانت مئة ونيفًا وعشرين طائرًا ثم التمس من طيور دمشق التي هي في مصر عدّةً فاحضرها وكتب الى نائبهِ بدمشق يقول ان بدمشق كذا وكذا طائرًا

وعرَّفهُ من هي عندهُ وامرهُ باحضارها اليهِ جميعها وان يصيب من القراصيا في كل كاغدة ويشدّها على كل طائرٍ منها ويسرّحها في يومٍ واحد فلم يمضِ الا ثلاثة ايام او اربعة حتى وصلت الحمائم وعلى جناحها القراصيا فاستخرجها من الكواغد وعملها في طبق من ذهب واحضرها الى العزيز بالله فأعجب العزيز بالوزير وقال مثلك من يخدم الملوك . انتهى باختصار

مأساة هندية

الظاهر ان فن التمثيل وُجد عند الهنود من عهدٍ قديم ولا يبعد ان يكونوا اول من سبق اليهِ وعنهم اخذ اليونان وغيرهم الى يومنا هذا . وقد وقفنا في بعض المؤلفات الفرنسوية على فصلٍ من مأساةٍ (تراجيديا) قديمة فاحببنا تعريبهُ فكاهةً للقرآء . وقد كان من حديث هذه المأساة ان احد ملوك الهند المسمى ناراتشندرا اتخذ ضرّةً على زوجتهِ الملكة تسمى أَقاني وكان للملك ولدٌ في السادسة عشرة من العمر كانت اقاني قد كلفت بحبهِ كلفاً شديداً وفرّ منهُ يوماً حمامةٌ ودخلت الى قصر الحرم فدخل ليأخذها فاغتنمت اقاني تلك النُهزة لمكاشفتهِ بحبها . وكان الولد خالي الصدر فلم يفهم ما يراد منهُ وقبَّلها كما قبَّلتهُ فاشتدّ وجدها الى حد الوله وضغطتهُ بين ذراعيها ضغطةً شديدة فلم يزد على ان قال « لقد آلمتِني يا أُمَّاه » . فلما سمعت منهُ ذلك استشاطت من الحدّة فاغلظت لهُ وطردتهُ فذهب والدمع يترقرق في عينيهِ وهو يستفهمها عن ذنبهِ . فلما فَصَلَ عنها وتمثلت ما كان منها ومنهُ اخذت تخاطب نفسها بالكلام الآتي وهو آخر مشهدٍ من المأساة

« ... يا لك من امرٍ لم يسمع بمثلهِ السامعون

« أُمٌّ تدعو ولدها الذي هو اطهر من زهرة السوسن الى الحبّ الدَعِر ولا

تثور البحار فتغمر الارض بلججها ولا تأتمر الكواكب على ابادة هذا العالم الممقوت

« ولا تنهزم الفضيلة والمجد والشرف من ارضٍ ينشأ فيها ضوار مثلي

« ولا ترتعد فرائص جميع الامهات اللواتي يحملنَ في احشاءهنَّ ثمرات حبٍّ قد باركتهُ الآلهة اذا خُيّل اليهنَّ انهنَّ ربما يضعنَ اولاداً يكونون في دناءة أقاني

« ولا يزال النسّاك القدّيسون المعتزلون في الغابات يبتهلون عن الاحياء والاموات

« ولا ينقطع قتار الذبائح عن التصاعد مع البخور والصندل الى سماوات اندرا الاربع عشرة

« ولا يفصم برَهما سلسلة التناسخ على هذه الارض لكي يبيد مخلوقاً يلطخ ضوء النهار بالعار

« انهُ كان طفلاً صغيراً . . . انهُ لم يكن يحسن لفظ اسم الله الذي تعبدهُ كل الآلهة لما دخلتُ بيت ناراتشندرا ابيهِ

« لقد حملتهُ على ذراعيَّ وحضنتهُ في حجري . وانا التي عند ما بلغ ان يأكل كنت اول من ادخل فاهُ حُبيباتٍ من الأَرُزّ وانا التي عند ما حاول المشي كنت انعشهُ من كبواتهِ الاولى

« انا اول من ناداها بكلمة آما وهو يقرع احدى يديهِ الصغيرتين بالاخرى

« آه ايتها الشقيّة . اني الف مرةٍ اوقح والف مرةٍ افجر من اللواتي يستسلمنَ الى عابري السبيل بين اشجار النارجيل

« لقد جآء الى قصري وهو في غضاضة زهرةٍ من الورد وفي طهارة

اريجها الذي ينبعث عن اشعة شمس الصباح

« فاجترأتُ على ان اضغط شفتيَّ على شفتيهِ اللتين تشبهان سوسن الغدير طيباً . وبعد ما ضممتهُ بين ذراعيَّ وانا اتأكل بحرارة الوجد طوَّقت جسدهُ الحَدَث كما تطوّق الافعى الخبيثة احد الاغصان المزهرة وضغطتهُ ضغطةً شديدة حتى صاح من الألم

« قال أُمّاه ... وانا ابكيتهُ ...

« ويلكِ يا شقيّة . ان الموت اقلّ من ان يكفّر عن هذا الاثم الفظيع

« لتحلّ نفسي مدة الف الف دهرٍ من دهور الآلهة في اجساد انجس الحيوانات

« ولا يكن طعامي الا من جِيَف الاموات

« ولا يكن منفايَ الا في الآنية المنتنة التي تستودَع فيها عظام الرمم

« وليكن موتي في كل دورٍ موتاً هائلاً

« ومتى أُعِدتُ الى جماعة الانسان فليبقَ جسمي على مدة الف عقِبٍ مضروباً بالبرص والجُذام »

(ثم تستلّ خنجراً فتغمدهُ في صدرها)

اسئلة واجوبتها

القاهرة — ما كفى هذه اللغة ما وصلت اليهِ من الفساد في ألسنة الناطقين بها وتفرُّق كتبها في ممالك الارض حتى ابتليت بداء آخر وهو ان هذا القليل الباقي منها في بلادنا أو الذي يصل اليها من البلاد الاجنبية

لا ينتهي الينا الا محرّفاً مشوّهاً فلا نتناول الفائدة الا بشقّ النفس ولا نستعملها الا ونحن منها بين الشك واليقين . وقد رزقنا الله هؤلآء الآباء الجزويت يتلاعبون باللغة وبنا كما شآءوا وشآء مبلغ علمهم منها وحرصهم عليها وقد رأينا كم توليتم تصحيح الكثير من كتبهم وان بقي من دون ذلك ما يسهل اصلاح صورة الجاحظ قبل اصلاحهِ ولكن ما لا يُدرَك كلهُ لا يُترَك جلّهُ والله لا يضيع اجر المصلحين

ولقد كنت ممن ابتُلي ببعض كتبهم -- وفي البعض منها كفاية — وكان من جملة ما قُدّر لي معاناتهُ معجمهم المسمى بأقرب الموارد وهو الذي ورد ذكرهُ مراراً في ضيآئكم الباهر واشهد انهُ لم يقرّبني الا من موارد الخطأ ولم يوردني الا سراب الحيرة ولديَّ منهُ اشيآء لا اجد غنًى عن استفتآئكم فيها ان تفضلتم بالكشف عنها حتى ان وجدت منكم ارتياحاً لاجابتي جئتكم بغيرها والله يتولى مكافآتكم عني بفضلهِ وكرمهِ

فمن ذلك ما جآء في مادة (ح ب ب) « حَبُبَ اليهِ صار حبيباً لهُ ولا نظير لهُ الا لَبُبَ وسَرُرَ » . فاني لم افهم المراد بالتنظير بين هذه الافعال الثلاثة أمن حيث الوزن هو ام من حيث فك الادغام . ثم ما معنى « سَرُرَ » فاني لم اجدهُ في موضعهِ من الكتاب

وفي هذه المادّة « المحبة ميل الطبع الى الشيء الملِذّ » وقد راجعت في مادة (ل ذ ذ) فلم اجد صيغة افعل فهل يجوز ان يقال « الملِذّ » من لذّ المجرد

وفي مادّة (ح ج ج) « حَجاج الشمس حاجبها ج حِجاج واحجّة »

فهل يكون فِعال بالكسر جمعاً لفَعال بالفتح

وفي مادّة (خ ي ر) « الخيرة الكثيرة الخير الفاضلة من كل شيء يقال خير الشآء وشرّتهم » ما معنى قولهِ « خير الشآء وشرّتهم » وكيف يكون هذا تمثيلاً على الخيرة

وفي مادة (ق ر د ح) « قردح الرجل اقرّ بما يُطلَب اليهِ او منهُ وتذلل وتصاغر كي لا تحترق (اللسان) » . فما معنى هذه الجملة الاخيرة وباي لغةٍ يتكلم المؤلف هنا

زهدي ابراهيم

الجواب — اما مسئلة حَبُبَ وما يليهِ فالقصد فيها التنبيه الى ورود هذه الافعال من باب كَرُمَ اي بضم العين في الماضي والمضارع وهذا البناء شاذٌّ في المضاعف لم يُسمَع فيما ذكروا الاّ في هذه الافعال الثلاثة . واما الزامها فك الادغام كما رايتموها في عبارة الكتاب فهو غلط والصحيح انها تُدغَم حيث يجب الادغام وتُفَكّ حيث يجب الفك فيقال حبَّ زيدٌ وحَبُبْتَ يافتى كما يقال في سائر الافعال المضاعفة . وكأن الذي غرّ المؤلف قول صاحب القاموس « حَبُبْتُ اليهِ ككَرُمَ صرت حبيباً لهُ ولا نظير لهُ الا شَرُرْتُ ولَبُبْتُ » فظنّ ان هذه الصورة لازمةٌ لهذه الافعال وانما فُكّ الادغام هنا لمكان اتصال الفعل بالضمير كما لا يخفى وهم يفعلون ذلك اذا ارادوا اظهار حركة العين . واما قولهُ « سَرُرَ » فلا معنى لهُ وصوابهُ بالشين المعجمة من الشرّ كما جاء في عبارة القاموس يقال شَرُرْتَ يا رجل اي صرت شريراً

واما قولهُ « الشيء المُلِذّ » فصوابهُ اللاذّ وانما المُلذّ من الفاظ العامة كما يقولون هذا امرٌ مُسِرّ

واما جمعهُ « الحَجاج » بالفتح على « حِجاج » بالكسر فالصواب ان المكسور لغةٌ في المفتوح كما هو ظاهر من عبارة القاموس وكلاهما مفرد والأَحِجّة جمعٌ لكليهما على حدّ زَمان وأَزمِنة وهِلال وأَهِلّة

واما قولهُ اخيراً « خير الشآء وشرّتهم » و « تصاغر كي لاتحترق (اللسان) » فما نعترف بالعجز عن تفسيرهِ . واما « باي لغة يتكلم المؤلف هنا » فلا نخالكم تنوون بهذا السؤال خيراً ولكن نحقق لكم ان الرجل على غير ما ظننتم وانتم بعد ذلك وما يتخيل لكم فيهِ والله اعلم

القدس — هل يجوز ان يقال مثلاً عوضاً عن غرفة النوم التي لي غرفتي النوم كما يقال في الدارج وحسب اصطلاح الاوربيين . وان جاز فهل يكون النوم تمييزاً او مضافاً اليهِ والمضاف محذوف يفسرهُ المذكور

اسبر ضومط

الجواب — الظاهر ان هذا لايجوز بحال لا على جعل النوم تمييزاً كما ذكرتم لانهُ لا ينطبق على حكم التمييز ولا على اضمار مضافٍ محذوف لان عامل الجرّ لايحذف . على ان المعنى على كل حال يقتضي الاضافة وقد حيل دونها بالمضاف اليهِ الاول الذي هو ياء المتكلم وحينئذٍ فلا بدّ من العدول عن هذا التركيب إِمّا الى التركيب الذي ذكرتموهُ اولاً وهو فضلاً عن طولهِ لايخلو من ركاكة واما الى تركيبٍ آخر يفيد المعنى . ولم نقف على شيءٍ من مثل ذلك في كلام العرب سوى انهُ ربما ورد ما يمكن حملهُ عليهِ وذلك انهم اذا ارادوا النسبة الى مركبٍ اضافيّ كتيم عديٍّ مثلاً ينسبون الى

المضاف ثم يكررونهُ مع المضاف اليهِ لامتناع الاضافة مع النسبة فيقولون جاء فلانٌ التيميّ تيم عديٍّ . وقد يجري مثل ذلك مع المضاف الموصوف نحو اهدِنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم . الا ان هذا ايضاً لا يخلو من طول ولعل الاقرب في مسئلتنا ان نضيف الغرفة الى النوم ونضيف النوم الى الضمير ونقول هذه غرفة نومي وهو اخفّ في اللفظ وان لم يخلُ من تكلفٍ في المعنى . على ان هذا انما يصار اليهِ اذا كانت الاضافة الى الاول على معنى اللام كما في المثال أو على معنى في نحو فرغت من عمل نهاري واما ان كانت الاضافة على معنى من كما في خاتم ذهب اكتُفي باضافة الخاتم الى الضمير وجُعل الذهب بياناً للخاتم فتقول هذا خاتمي الذهبُ وحينئذٍ يجري مجرى الوصف في نحو قولك هذا خاتمي الثمين

ولا بأس هنا من التنبيه الى ان بعض كتبتنا يضيف في مثل هذه الصورة الاخيرة كقولهم ظل ظليل الحضرة السلطانية فيضيفون الظل الى الحضرة مع اعتراض الوصف بينهما ولم يكد يُسمَع مثل ذلك قبل هذه الايام الا نادراً كقول ابن النحاس

الجود بحرٌ وهو دُرٌّ يتيمهِ والمجد بيتٌ وهو فيهِ قوامُ

اي وهو دُرُّهُ اليتيم . ومثلهُ قول الامير احمد بن معصوم

هو الحسن بل حسن الورى منهُ مجتدًى وكلهمُ يُعزَى لجوهر فردهِ

اي لجوهرهِ الفرد . وربما استعمل ذلك بعض ائمة العلم عندنا كمن يلقب نفسهُ « مفتش اول اللغة العربية » وكل ذلك مما لا يظهر لهُ في اللغة وجهٌ صحيح

فكاهات

نتيجة الحقد[1]

كان للدوج بادولّي احد عظماء الطليان شهرة واسعة وغنى وافر وكان منطبعاً على طيب القلب وحسن السجايا متحلياً باجمل الصفات الادبية فسار ذكرهُ في الايالات الايطالية وانتخبتهُ لمبرديا دوجاً عليها . ورزقهُ الله ولدين كان بينهما عشر سنوات يُدعى اكبرهما لويجي والآخر مانولي . ومن سنَّة كبار الرجال في اوربا ان تهتمّ بابكارها فلا بد للاب من تفضيل ولدهِ البكر على بقية اولادهِ لاعتقادهِ انهُ يكون بعدهُ المحافظ الوحيد على اسم اسرتهِ وشرف محتدها وتدبير شؤونها وضبط ثروتها بحيث لا تتغير منزلتها على توالي الزمن . فصرف الدوج بادولّي همهُ الى بكرهِ لويجي واعتنى بتثقيفهِ وتهذيبهِ واجرآئهِ على نفس خطتهِ ومع ذلك فلم يهمل امر مانولي كل الاهمال ولكنهُ لم يبذل فيهِ من العناية مثل ما بذل في امر اخيهِ فربي هذا حسودًا ماكرًا طائشاً مسرفاً كاولاد الرعاع . ومما زاد في الطين بلة ان الدوج كتب وصيتهُ قبل وفاتهِ فالقى بمهمات منصبهِ الى بكرهِ لويجي وصرَّفهُ في مالهِ وعقارهِ تاركاً جزءا قليلاً جدًّا لصغيرهِ مانولي . وكان يرى الدوج في بكرهِ آية الحكمة ومنتهى الكمال فيتهلل قلبهُ فرحاً وسرورًا ولما كملت ايامهُ المعدودة في عالم الشقآء ودنت ساعة الفراق ضمّ لويجي الى صدرهِ مودعاً وقال لهُ ساموت مسرورًا يا ولدي مطمئنّ البال باني قد تركت من يحافظ من بعدي على اسم اسرتنا الشريف ويقوم بمهماتها احسن مما كنت افعل انا

وحقق لويجي آمال والدهِ بعد وفاتهِ ونال شهرةً اعظم من شهرتهِ وحبًّا واعتبارًا اكثر مما نال والدهُ . ثم تزوج ورزقهُ الله ولدًا ذكرًا دعاهُ باسم ابيهِ البرتو . وشعر

(١) معربة عن الطليانية بقلم نسيب افندي المشعلاني

لويجي بانكسار نفس اخيهِ مانولي لتفضيلهِ عليهِ فكان يفرغ جهدهُ في ازالة هذا الاثر من قلبهِ واقناعهِ بانهُ ولو ميزهُ الاتفاق وشرائع البلاد عن اخيهِ فهو لا يرى هذا التمييز ويحسب انهُ واخاهُ شخصٌ واحد . وكان يرفع منزلتهُ في عيون النـاس ولا يفضل نفسه عليهِ في شيء فضلاً عما كان يسوقهُ اليهِ من العطايا المادية والهبات الوافرة . وتزوج مانولي ايضاً فولد لهُ ابنةٌ دعاها مرغريت كانت آيةً في الجمال يتسابق اشهر مصوّري الطليان للتمكن من رسم صورتها

وحدث ان خرج لويجي وزوجتهُ يوماً في عربتهِ الخاصة طلباً للنزهة و بلغا غابة من الاشجار الكثيفة فجمح بهما الجواد ودخل بين تلك الاشجار ولم يستطع لويجي كبح جماحهِ فاوصلها الى حافة منحدرٍ سقطت العربة من اعلاهُ ولم تزل تتدحرج حتى بلغت الحضيض . وكان هناك بعض الفعلة فبادروا لتدارك الحادث فوجدوا العربة كسرًا والجواد قطعاً ولويجي وزوجتهُ مهشمي الاعضاء تسيل الدماء من جروحهما فحملوهما الى البيت واستدعيت نطس الاطباء لمعالجتهما فوُجد ان تلك السيدة السيئة البخت قد فارقت الحيـاة اما لويجي فكانت تنبئ جراحهُ الخطرة والعظم المتهشم في صدرهِ انهُ لن يشفى الا باعجوبةٍ سماوية . فاهتمت الاسرة بدفن الزوجة المسكينة ورفع الابتهالات وتقديم النذور لشفاء لويجي . و بعد ان قضى ما ينيف عن ثلاثة اشهر بين ايدي اطبائهِ نقه وتعافى فخرج كعادتهِ الى اشغالهِ ولكنهُ كان قد اثر فيهِ فراق زوجتهِ اشد التأثير فلم يعد يُرى مبتسماً وصارت هيئة وجههِ النضر اشبه بلوح قد رُسم عليهِ اليأس والشقاء . واجتهد الاطباء والاصدقاء في تسليتهِ والتهوين عليهِ فلم يتمكنوا من اطفاء تلك الجمرة من صدرهِ ولم يمضِ على ذلك الا قليل حتى ابتدأت فيهِ اعراض السلّ فايقن الاطباء بهلاكهِ العاجل

وفي السنة الرابعة عشرة من عمر البرتو توفي والدهُ لويجي مأسوفاً عليهِ مبكيًّا من جميع من عرفهُ ولو بالاسم . وحزن البرتو جدًّا ولكنهُ لم يقدر هذا الفقدان حق قدرهِ لصغر سنهِ فما عتم ان نسي والديهِ كانهما لم يكونا . وانتقل عمهُ مانولي باهل بيتهِ الى قصرهِ فاقام بهِ وصيًّا على البرتو ورأى هذا في مرغريت فتاةً فتانة

ابهى طلعةً من شمس الضحى وارق لطفاً من نسمات السحر فنسي العالم وما فيهِ واعتقد انهُ انما اوجد الله الكون لهُ ولابنة عمهِ ليرتعا فيهِ ويمرحا

ورأى مانولي حيثما ذهب ان الاجلال والاكرام انما يقدَّمان الى ابن اخيهِ الحديث السن وهو لا ينالهُ شيءٌ من ذلك . وفوق هذا انهُ لا يستطيع التصرُّف في شيءٍ من المال ان لم يستأذن ذلك الولد فكبر عليهِ الامر واوغر صدرهُ شيطان الحسد فاضمر لالبرتو سوءًا ولكنهُ لم يجد الطريقة لاذيتهِ فصبر على احرّ من الجمر وعمد الى نكاية الولد ما امكنهُ . ورأى انعطاف الولد نحو ابنتهِ مرغريت وانهُ لا يصفو عيشهُ الا باجتماعهِ بها فحال بينهما وتهددهما بالعقاب الشديد ان رآهما مجتمعين . فكان هذا المنع والتهديد مما اذكى جمرة الحبّ بين ذينك القلبين الطاهرين وزاد الشغف والهيام في صدريهما فامتنعا في الظاهر عن الاجتماع واظهرا الانقطاع التام وسلوّ احدهما للآخر ولكنهما كانا يترصدان فرص الاجتماع كلما عنت لهما خلسةٌ فيطفئان ما بهما من غليل الوجد . وزاد الحسد والغيرة في قلب مانولي والد الفتاة ولم يخفَ عليهِ تمكن علائق الحب بين الولدين فضاقت الدنيا في وجههِ ورأى انهُ لاصبر لهُ على الاقامة في منزل ليس هو فيهِ المالك المطلق الحكم فاصبح يوماً وقد حمل زوجتهُ ومرغريت وعاد بهما الى بيتهِ تاركاً البرتو في ايدي خدم القصر وعناية وكيل املاك ابيهِ . وجاء عمل مانولي هذا ضربةً قاضية على سعادة البرتو وصفائهِ لانهُ لم يكن يترقب فراق حبيبتهِ فلما جاءَت العربة لتأخذها ووالديها خرج الى الحديقة ووقف محدقاً ببصرهِ وهو كاسف الوجه دامع العينين ولما مرَّت امامهُ مرغريت ورأتهُ على تلك الحالة لم تملك نفسها من البكاء وخشيت ان يلحظ ذلك والدها فاطرقت الى الارض كانها تصلح رباط حذائها وسكبت دموعاً سخية . ولما ابطأت على تلك الحالة تقدم والدها فرفعها ولما رأى دموعها هاج بهِ الغضب فرفع يدهُ وصفعها على وجهها فسقطت الى بُعدٍ منهُ على الارض وساعدها ذلك على اطلاق عنان ما كتمت من عواطفها فجعلت تنتحب من قلب جريح واسرعت والدتها فانهضتها وادخلتها العربة وساروا جميعاً . اما البرتو فكان الحزن يقطع انفاسهُ وهو

يرافق مسير حبيبتهِ بعينهِ الباكية حتى اذا رأى والدها قد ضربها تلك الضربة القاسية تنهد من كبدٍ حرَّى ثم شعر ان ضبابةً كثيفة قد غشيت عينيهِ فسقط الى الارض على بقعةٍ من الحشيش الاخضر ولم يفق من غشيتهِ الى ان مال النهار

وقاسى البرتو في الايام الاول من فراق حبيبتهِ آلاماً لا تطاق فانهُ كان مضطرًّا الى كتمان ما بهِ وهو لا يرى لهُ والدًا شفيقاً يخفف من بلواهُ ولا والدةً حنوناً تمسح دموع حزنهِ ولا اليفاً يبثهُ شكواهُ . ولما غلبهُ الوجد ولم يعد في طاقتهِ الاحتمال عزم على زيارة مرغريت وقام صباح يومٍ فامر بعربتهِ وتوجه الى بيت عمهِ . فاعترضهُ في الباب خدام المنزل ومنعوا دخولهُ بناءً على اوامر مولاهم فلم يثنهِ ذلك عن عزمهِ ولما كثر اللجاج بينهُ و بين الخدم بلغ الامر عمهُ فجآء مسرعاً و بيدهِ عصاً رفعها مهددًا البرتو بشق جمجمتهِ ان هو تجاسر على وضع قدميهِ في ملكهِ ثم طردهُ شاتماً لاعناً باقبح الكلام . فعاد البرتو وهو يرى اسهل ما عليهِ الانتحار تخلصاً مما لم يعد صدرهُ يطيق احتمالهُ ولما بلغ منزلهُ دخل غرفتهُ واستخرط في البكآء معطياً نفسهُ مداها

ومضت عليهِ ايامٌ خطفت لون وجههِ الوردي وخطت على جبهتهِ علامات الفكر والهموم . ولما ضاق بهِ الامر اخذ يفكر في استنباط وسيلةٍ يتمكن بها من الاجتماع بحبيبتهِ سرًّا عن ابيها مهما كلفهُ ذلك من العناء والمشاق وقرّ قرارهُ اخيرًا على الذهاب اليها ليلاً في بيت ابيها من طريقٍ لا يمنعهُ فيها احد ولا يراهُ رقيب . و بعد ما اتمّ تدابيرهُ خرج ذات ليلةٍ من منزلهِ وقد تأبط سلماً من الحبال وسار مستترًا تحت ظلام الليل الحالك حتى بلغ منزل عمهِ وكان يعرف غرفة مرغريت فاحتال بعد عناءٍ جزيل على ايصال حبالهِ الى نافذتها فعلقت برزازها ولما تحقق تمكنها رقي السلم و بلغ النافذة فقرع عليها بلطف . وكانت مرغريت تجهل قدومهُ فلما شعرت بالحركة ارتعش جسمها ولم تجسر ان تنزل من سريرها لتنادي الخدم ثم خطر لها ان اللص اذا جآء للسرقة فهو لا يقرع اشعارًا بقدومهِ واوحى اليها الحب ان ليس في الامر خطرٌ فتشجعت وقامت الى النافذة وقالت بصوتٍ ناعم خفيف من هذا . فاجابها البرتو انا حبيبكِ يا مرغريت . فلم تعلم كيف تفتح النافذة

وقابلت وجه حبيبها ودار بينهما حديث اسرّ من ظلمة الليل واطهر من نسمات الصباح

وكان والد مرغريت قد قضى ليلتهُ في بعض المنتديات وعاد الى بيتهِ في ساعة متأخرة فلما قرب من منزلهِ شعر بشيءٍ لطم قبعتهُ فاوقعها الى الارض فتوقف فجأةً واخذ يتلمس ما حولهُ حتى عثر على الحبال فادرك شيئًا من الامر واسرع فنادى بعض رجال الشحنة وايقظ خدمهُ وهو يعتقد ان لصًّا طرق بيتهُ . و بينما الحبيبان يتمتعان بذلك الاجتماع ما شعرا الا و باب الغرفة يعالج من الخارج فاسرع البرتو في النزول وما بلغ منتصف السلم حتى شعر بوطء اقدام الشحنة وقعقعة اسلحتهم فتوقف هنيهةً ثم اسرع فعاد الى غرفة حبيبتهِ ووثب الى داخلها وقبل ان تدري مقصدهُ هجم الى خزانتها ففتحها وحمل منها علبةً كانت اودعت فيها حليها وارتدّ باسرع من لمح البصر الى النافذة ونزل الى الارض فما بلغها حتى قبضت عليهِ الشرطة والعلبة في يدهِ فلم يشكوا في كونهِ سارقًا واقتادوهُ الى السجن . وكانت الشرائع الطليانية تقضي على السارق باعظم العقوبات فحُكم على البرتو ان يُطاف بهِ في شوارع المدينة ثم يعاد الى دار الحكومة فيجلد خمسين جلدةً ويلقى في السجن سنتين . فسمع البرتو الحكم صامتًا خاضعًا ولم يفه ببنت شفةٍ سوى انهُ تنهد من قلبٍ جريح وخرجت من بين شفتيهِ زفرة تدل على حرارة النار المتأججة في صدرهِ

وكان تأثير تلك الليلة على مرغريت شديدًا فاصابها انحراف الزمها الفراش فلم تعلم شيئًا مما جرى على حبيبها الى اليوم الثاني حين قرأت الجريدة اليومية وفيها ذكر الحادثة والحكم الذي سينفذ في الغد فطار رشدها وادركت ان حبيبها قد آثر ان يُتهم بالسرقة و ينالهُ العقاب على ان يشين اسمها بشيءٍ . فاظلمت الدنيا في وجهها وقالت كلا لن ينال حبيبي سوء ولا يلحق اسمهُ العار وانا حيةٌ ارزق

وفي صباح الغد اجتمعت الجماهير العديدة الى دار الحكومة لمشاهدة طواف البرتو وجيء بمركبة زرية كدكةٍ مرتفعة تقودها الكلاب وهي المعينة لحمل البرتو في طوافهِ ولما دنت الساعة المعينة اخرجوهُ من سجنهِ ووضعوهُ مقيدًا على العربة وهو صامتٌ مطرق الرأس خجلاً يفتت الفؤاد منظرهُ . و بينما الشرطة والجماهير في انتظار الامر

للمسير اذا بالنائب العمومي قد جآء يشق الجموع حتى بلغ المركبة فحل وثاق البرتو وانزلهُ ثم قبلهُ وجعل يردد لهُ عبارات الاعتذار واقتادهُ بيدهِ الى داخل الدار والبرتو لا يدري بمَ يعلل هذا الصنيع حتى اذا بلغ غرفة القضآء رأى حبيبتهُ مرغريت تبتسم لهُ فعلم للحال انها هي جآءت الى النائب واخبرتهُ بالواقع كما حصل . واستطار الخبر بين تلك الجماهير المحتشدة فعادوا متفرقين الى بيوتهم واشغالهم وهم معجبون بشهامة البرتو وشجاعة مرغريت وحبها

اما والد مرغريت فشاهد وسمع وارغى وازبد وتوعد ابنتهُ وحبيبها بالانتقام . ثم استدعاهُ النائب العمومي وجلس الجميع يتحادثون في الامر وسعى القضاة في التوفيق بين البرتو وعمهِ فابى العم ذلك وقال لهم انهُ يفضل ان يخنق ابنتهُ بيدهِ على ان يزوّجها من البرتو . ولما طال الجدال ولم يرَ ذلك الوالد الظالم لهُ مخرجاً من براهين القضاة والحاحاتهم قال ان الاثنين لا يزالان قاصرين وانا القيم عليهما فلن يشاهد بعضهما بعضاً ولن يتبادلا كلمةً ولا يجبرني على تغيير عزمي هذا شيءٌ من قوات السماوت والارض ما دمت حرّ التصرف في ما هو من ولايتي وفي بلادٍ ليس شعبها من العبيد الارقآء . وستبلغ مرغريت الثامنة عشرة من سنيها في العام المقبل ويبلغ البرتو الحادية والعشرين بعد سنتين فمتى ادركا سن الرشد فهما وشأنهما اما قبل ذلك فتحويل عزمي من المحال . وكان قد فكر في نفسهِ انهُ في تلك الاثنآء اما يرغم ابنتهُ على الاقتران بمن يريدهُ هو او يحتال في ابعاد البرتو او اهلاكهِ اذا اقتضى الامر . ولما رأى القضاة اصرارهُ وتصلب رأيهِ قال لهُ النائب العمومي حسناً قلت يا هذا فلندعهما الى ان يبلغا رشدهما ولكنني انذرك من الآن ان الحكومة تراقب حركاتك باعينٍ متيقظة فاذا ظهر منك في حق ابنتك او في حق البرتو شيءٌ من اعمال القساوة اومما يلقنك اياهُ ابليس فاعلم اني انا خصمك والقضآء رقيبك . وانفضت الجلسة على ذلك فنهض مانولي وعاد بابنتهِ ورجع البرتو الى منزلهِ . وتوفق البرتو الى وجود خادمة امينة كانت توصل الرسائل بينهُ وبين مرغريت فلم يشعر بها احد ولم يهتدِ مانولي الى ذلك مع كل اجتهادهِ في ملاحظة الحبيبين والتضييق عليهما

وانقضت السنتان فبلغ البرتو سن كمالهِ واصبح في ذلك النهار كعادتهِ واذا بوكيل املاك اسرتهِ قد دخل عليهِ واخبرهُ انهُ عملاً بارادة ابيهِ وطبقاً لشرائع البلاد وبتصديق عمهِ يسلم اليهِ الاملاك والمقتنيات ويطلق لهُ الحرية التامة في ما يشاء ان يفعل . وكان البرتو مهتماً بغير هذا فالقى نظرةً سانحة على الدفاتر والاوراق التي قدّمها لهُ الوكيل ثم قال لهُ اني اعرفك يا ڤكتور كما عرفك ابي آية المهارة والامانة والذكاء فارجو منك ان تبقى في وظيفتك عندي وتحمل عني عبء هذه الاعمال واني من الآن ازيد في راتبك الفي فرنك سنويّاً . فشكرهُ ڤكتور وعاد الى اعمالهِ وقد تولد في قلبهِ حبّ عظيم لالبرتو وغيرةٌ كبيرة على مصلحتهِ

وما صدق البرتو ان تناصف النهار فارتدى ثيابهُ وخرج من البيت وكلهُ آمال وسار الى بيت عمهِ وهو يدبر في فكرهِ ماذا يفعل وماذا يقول . ولما بلغ القصر استقبلتهُ مرغريت فاخذتهُ الى غرفتها وجلس الاثنان يتشاكيان ويتحادثان ويرسمان القصور التي عزما على بنآئها . ومضت عليهما ساعات لم يشعرا بمرورها فقال البرتو واين والدكِ الآن لاقابلهُ واتقاضاهُ الوعد . قالت قد خرج منذ الصباح ولم يعد ولكن هل تظن انهُ يرضى عن زواجنا الآن . قال لقد اصبحنا الآن قيمين على انفسنا ولا حكم لهُ علينا فان لم يرضَ طوعاً فسأجبرهُ على ذلك فاني كنت احترمهُ قبل ان تحققت انهُ ظالمٌ غشوم . ولم يكد البرتو يتمّ كلامهُ حتى فُتح باب الغرفة بعنفٍ شديد ودخل منهُ والد مرغريت وهيئة الغضب الشديد مرتسمة على وجههِ فقال انت تجبرني يا لئيم . لا ولستُ بمبقيك حيّاً الى ان تفعل . ثم تناول من الحائط سيفاً كان معلقاً للزينة فاستلهُ وهجم على البرتو ونار الانتقام تتقد في عينيهِ . ورأى البرتو تصميم عمهِ على قتلهِ فاخذ كرسيّاً كان بجانبهِ وجعل يتلقى بهِ ضربات عمهِ الشديدة مدافعاً عن نفسهِ ومتوسلاً اليهِ بألطف العبارات وارق الكلام ان ينزع الحقد من قلبهِ ويصفو لهُ صدرهُ وانهُ يعتبرهُ كابيهِ فلم يزدد الرجل الاسخطاً وغضباً وجعل يتابع ضرباتهِ القوية وقد اصابهُ شيء من الجنون فتحطم الكرسي في يدي البرتو وعمد الى غيرهِ وقد ايقن ان لا نجاة لهُ من يدي عمهِ الوحشي . اما مرغريت

فهالها الامر وابتعدت الى زاوية الغرفة حيث جثت وجعلت تبتهل الى الله ان يسكن غضب والدها والى والدها ان يخفف ما بهِ والى حبيبها ان ينجو بنفسهِ . ولما رأى البرتو انهُ يستحيل تسكين جاش عمهِ وان لا بد من مقابلتهِ بالمثل رفع الكرسي بيدٍ من حديد وضرب بها رأس عمهِ فشجهُ وللحال سقط السيف من يدهِ واختلج جسمهُ وسقط الى الارض . ولم يكن البرتو ينتظر هـذه النتيجة السريعة فوقف كالمبهوت ورمى بالكرسي الى الحائط . و بعد نحو خمس دقائق مرّت على تلك الحال فتح الاب عينيهِ وقال بصوتٍ ضعيف سامحني يا البرتو سامحني قبل ان اموت ولك عندي وصاة فاقترب مني لابلغك اياها . واثر ذلك جداً في البرتو فهطلت دموعهُ واقترب من عمهِ بغاية التأثر والشفقة والحزن واخذ منديلهُ يلتقط بهِ الدم المتدفق من جرح رأسهِ . واذا بمانولي قد ادخل يدهُ في صدرهِ واخرج منهُ خنجراً كالبرق الخاطف فاغمدهُ في قلب البرتو وقال بصوتٍ كانهُ من ابالسة الجحيم . خذ هذه الوصية ايها اللعين انك لن تنال مرغريت ولن تحيا بعدي لتتلذذ بعد موتي وسر امامي الى النار الابدية مقرّ ا . . . . . ثم اسكتهُ الموت عن تتمة كلامهِ . وكانت روح البرتو قد فاضت قبل ذلك ببضع ثوانٍ مع الدم الكثير المتدفق من صدرهِ وفمهِ

ولما همدت حركة الجثتان نهضت مرغريت وقد اصابها شيءٌ من مثل الجنون فاقتربت الى حبيبها وجعلت تقبلهُ وترثيـهِ بكلام يذيب الجلمود و بعد ان ودعتهُ بالقبلة الاخيرة نظرت الى والدها وقالت وانت ايها الظالم والجالب الويل والدمار اقبلك ايضاً فقد كنتَ والدي . ولـما فعلت ارتعش جسمها ووثبت كانها مدفوعة بقوة غير منظورة الى نافذة الغرفة والقت بنفسها الى الخارج فتحطم رأسها ولم ينتبه اليها الخدم الا بعد ان اصبحت جثةً باردة

وانقرضت بهذه الفاجعة سلالة بادولي فاحيلت جميع مقتنياتها الى املاك الحكومة وانقطع بذلك ذكر اسمى اسرة وانمحى مجـد ذلك البيت العظيم نتيجة حقد الاب الظالم الغشوم

اللغة العاميّة واللغة الفُصحى

(تابع لما قبل)

على ان الاقدام على انشاء جمعيةٍ لغوية يوكل اليها تعريب كل ما نحتاج اليهِ من الكلمات وتتولى سدّ هذا النقص العظيم في اللغة ليس بالامر السهل ولا بالعمل الذي يُفرَغ منهُ في مدةٍ من الزمن او ينتهي الى حدٍّ معلوم ولكنهُ لا بدّ لهُ من تعيين جمعيةٍ عاملة تستمرّ على تراخي الزمن وتدوم ما دامت الامة ويكون فيها اناسٌ من العارفين بالعلوم العصرية ولو بالقدر الذي يفهمون بهِ مصطلحها ويقدرون على شرحهِ او بيان معناهُ الوضعي وينضم اليهم جماعةٌ من علماء الامة ممن يكونون راسخي القدم في معرفة اوضاع اللغة ومعاني المشتقات ووجوه المجاز وبعبارةٍ اخرى يكونون على بيّنةٍ من طريقة العرب في الاشتقاق والنقل وغيرهما حتى يحذوا حذوهم ويجروا على سنتهم . وفوق ذلك فان هذا العمل يقتضي نفقاتٍ طائلة ذات موردٍ لا ينقطع لان القائمين بهِ ينبغي ان يقفوا عليهِ ايامهم يقضون معظمها في البحث والتنقيب وتدوين ما يوفَّقون اليهِ وطبعهِ ويكونون مرجعاً للكتاب واهل العلم في كل ما يعرض لهم من مسائل اللغة ومشكلاتها . وأنَّى لنا ذلك كلهُ واين الرجال الذين يضطلعون بهذه الاعباء ويكفوننا هذه المؤَن . انرجو مثل ذلك من الشبان المتخرجين في مدارسنا واعلاها لا تتجاوز تعليم الهندسة لتولي اعمال الحكومة في البلاد . ام من علمائنا واطولهم اشتغالاً بالعلم من قضى سنيهِ في تحرير اعراب البسملة . ام من كتابنا واشدّهم تحرياً في اللغة لا يكلف نفسهُ نظرةً في كتبها ليعلم الفرق بين الصفحة والصحيفة . ام من اغنيائنا

وأحدُهم ينفق الالوف من الدنانير في حفلة زفاف او ابتياع لقبٍ صبياني ولا ينفق الدرهم في عمل من الاعمال النافعة . ام نعوّل في ذلك على حكومتنا وقُصاراها ان تقف سُدًّا دون العلم الا في المقدار الذي يكون بهِ المتعلم اهلاً لخدمتها بل اهلاً للوقوف على ابوابهـا المزدحمة بالمتذللين والمتوسلين ... على ان هذا المقدار الذي تسمح بهِ في مدارسها لا يكون الا باحدى اللغات الاجنبية دون العربية حتى اصبحت دروس هذه اللغة لا تتعدى بعض الاسئلة التافهة التي يلقيها الممتحنون على الطلبة في كل سنة من مثل تثنية المقصور واعراب المستثنى ... ولا يغرَّنّا ما اوعزت الى بعض اساتذتها بتلفيقهِ من كتب النحو والبيان فان تلك الكتب لم تكن الا آلاتٍ لتقويض اساس اللغة وسلاحاً للاجهاز عليها لما في وضعها من التعقيد والالتباس والحشو والاغراب بحيث انها تنفّر الطالب من علوم اللغة وتمثلها لهُ في ابغض الصوَر لما يجد في معاناتها من الصعوبة وما يقاسي من كدّ الذاكرة في حفظ اشياء لا يفهمها ... ومن غريب ما يُذكَر في هذا المقام ان التلميذ بعد ان يكابد ما يكابدهُ في درس هذه الكتب حتى ينال الشهادة التي تؤهله للدخول في خدمة الحكومة اذا قُبل في احدى وظائفها أُمر باهمال كل ما تعلمهُ والجري على لغة الدواوين المعهودة وفي ذلك سرٌّ لا يخفى تأويلهُ على اللبيب ... واغرب من هذا ان المدارس الوطنية ايضاً جارية على نسق تعليم الحكومة وفي نفس كتبها حرصاً على ما علمتهُ من امل الدخول في الوظائف بحيث صار موظفو نظارة المعارف منا وارباب المدارس الوطنية وآباء الدارسين كل اولئك اعواناً على اللغة لا تجد لها بينهم من حزبٍ ولا نصير

على ان داء الحرص على طلب الوظائف والتهافت على الدخول في خدمة الحكومة ليس خاصًّا بالامة المصرية فهذه الامة الفرنسوية على وفرة ما عندها من ابواب الاعمال واتساع مذاهب العلم وتوفر المساعدات عليه قد ابتليت بالمرض نفسهِ على ما ندّد بهِ المسيو دمولان في كتابهِ سرّ تقدم الانكليز وعدّد مضارَّهُ بالامة وتبعهُ في ذلك الخطباء والكتاب من كل اوب . وايّ ضرر اعظم من حصر مدارك الناشئين في حيّزٍ واحد من العلم وتقييد عقولهم بحركةٍ استمرارية مثلها حركة الدولاب وعقارب الساعة وقصر مطامعهم على راتبٍ ينالونهُ فيما لا يعنيهم منهُ سوى ذلك الراتب واقلّ ما في هذه الامور تضييق نطاق العلم في البلاد واطفاء نور الذهن وابطال ملكة النظر والحكم في اطراف المعقولات واقعاد الهمم عن السعي والاقدام والتصرف في انحاء المطالب . وزد على ذلك كلهِ ما في هذه الحال من الذلّ الذي يميت النخوة ويُذهب الأنفة ويَمني النفوس بالصغر اذ يكون الانسان رهينًا لمشيئة غيرهِ واعمالهُ موقوفةً على ما يراد منهُ لا على ما يريد بحيث لا يبقى لهُ اعتدادٌ بنفسهِ ولا يكون وجودهُ الا صورةً يتمثل فيها وجود قيّمهِ كالحرف معناهُ في غيرهِ . وانما يتهالك قومنا على طلب الوظائف لامرين احدهما ما يتوهمون فيها من الشرف ولو كان رداؤهُ المذلة والاسترقاق والثاني ما فيها من توسّد مهاد الراحة والخلوّ عن السعي والمزاحمة في ابتغاء الرزق . ولا يخفى ما في ذلك من الاغراء بالكسل والقعود حتى يكون المرء عيالاً على غيرهِ فلا يخرج من حجر والدهِ حتى يدخل في حجر الحكومة وقد جعل لحياتهِ حدًّا لا تخرج عنهُ ولنظرهِ امدًا لا يتجاوزهُ . لا جرم ان هذا هو العجز بل الموت

بعينهِ واذا كان كل متنوّرٍ في الامة هذا سبيلهُ فلا نخطئ اذا قلنا انهُ شكل من اشكال موت الامة . هذا على ان الذين يفوزن بالوظائف ليسوا الا عدداً يسيراً من اولئك الطلبة والدارسين وسائرهم وهم معظم شبان البلاد ومن ينبغي ان يكونوا موضع آمالها وساعد نهضتها لا ينقلبون عن ابواب الحكومة وقد مسحوا عن جباههم غبار التمرغ على عتباتها حتى يصيروا على ابواب الحانات ومواضع القمار والمنكر فيتمرغون في حمأة المخازي والكبائر ويخرجون وهم يزُجّون امامهم مطايا الفقر ويجرّون وراءهم اذيال التبِعات

وقد كدنا نخرج عما كنا فيهِ فنعود الى توفية الكلام في امر الجمعية او المجمع وهو ما ابنَّا ان لا حياة للغة الا بهِ ولكن اذا كان حال اقطاب الامة وحكومتها على ما وصفنا و بودّنا ان نكون مخطئين فيهِ فاللغة سائرةٌ ولا ريب في سبيل الاضمحلال قائمةٌ على شفير الزوال الا اذا قُيّض لها من يتداركها من طريق آخر . والذي نراهُ انهُ اذا كان للأمل عرقٌ ينبض وكان للامة ان تتوسم وجهاً للنجاح ولو بوضع اول حجرٍ من هذا البناء فمن هذه الجمعية التي عُقِدت من عهدٍ قريب ونعني بها جمعيةَ الكتّاب المصريين التي سيأتي ذكرها في هذا الجزء فانهم هم الواقفون على كنه هذا الداء الشاعرون بوجوب مداواتهِ لانهم مدفوعون الى الكتابة في كل معنىً على ما هو شأن الصحافيّ وليس بهم غنًى عن تعريب كلام الجرائد والمجلات الاوربية والاميركانية سياسةً كان او علماً او صناعةً فهم مضطرّون بطبيعة عملهم الى نقل تلك المعاني باسرها الى لغتنا وليس من ينكر أن كل لفظةٍ حدثت في اللغة في هذا العهد فهي من آثار اقلامهم . على انا لا ننكر ان الغناء بمثل

هذه الجمعية قليل لاعتمادها على قومٍ يتعيشون من شق القلم فليس بهم سعةٌ للقيام بنفقات العمل الذي نحن في صدده ولا في طوقهم التفرغ لهذا الشغل الكبير لان غالبهم لا يملك مهلةً بين حركة فكره وحركة يراعه ولكن لا اقلّ من ان يضعوا الكلمة بعد الكلمة ويعربوا الحرف بعد الحرف على قدر ما تدفعهم اليه الحاجة وتهيئهُ لهم المقدرة ثم ان يكونوا مهمازاً لعلماء الامّة وصوتاً حيّاً يقرع اسماع اغنيائها ومثريها عسى ان يفتح لهُ مجرًى في اصمخة آذانهم ويجد مساغاً الى ابواب خزائن سخائهم المزدحمة بما هنالك من رسل المطالب المختلفة مما تقدم شرحهُ　　　　(ستأتي البقية)

زنجبار

بقلم حضرة الكاتب ديمتري افندي نقولا صاحب مجلة الفكاهة
عن كتابٍ لهُ تحت الطبع

هي مملكةٌ واقعة على الساحل الشرقي من افريقيا بين ٥° من العرض الشمالي و١١° من العرض الجنوبي وهي مؤلفة من جزيرتين كبيرتين وبعض جزرٍ صغيرة وجانبٍ من برّ افريقيا الشرقية . ودُعيت زنجبار نسبةً الى الزنج سكانها الاصليين وكان العرب يسمونها في كتبهم بلاد الزنج وباللغة الهندية زنجبار

وعدد اهاليها مختلَفٌ فيهِ وعلى الخصوص الآن لان بعض سواحلها الجنوبية دخلت تحت الحماية الالمانية والسواحل الشمالية دخلت تحت حماية انكلترا ولم يبقَ الآن تحت حكم سلاطين زنجبار سوى جزيرتي زنجبار وبمبا

واربعين ميلاً في الساحل طولاً و ١٠ اميالٍ عرضاً . واهل هذه البلاد يُعرَفون بالسواحليين ويقال ان عددهم مع الداخلين في حماية انكلترا والمانيا يبلغ ١٠ ملايين واما الخاضعون لسلطان زنجبار مباشرةً في الجزيرتين والساحل فلا يزيدون عن مليوني نفس

واهل زنجبار مؤلفون من ثلاثة اجيال احدها العرب البيض واصلهم من عُمَان وحضرموت والبحرين وهم السائدون ومنهم أُسرة جلالة السلطان والولاة والكبرآء والثاني العرب المختلطون بالزنوج والثالث السودان وهم سكان زنجبار الاصليون وكلهم مسلمون . والعرب العُمانيون منهم على مذهب الاباضيين وهم الذين فارقوا الامام عليًّا في واقعة النهروان وأتوا الى عمان وتملكوها . وفيهم ايضاً سنّيون وشيعيون من فرقة الاحد عشرية ولكلٍّ من المذاهب جوامع مخصوصة وقضاة على مذهبهم

اما هوآء هذه البلاد فغير محمود ولا يوافق النزيل الغريب لتقلبات احوال الجوّ . وتربتها وافرة الخصب تخللها انهار كثيرة واكثر حاصلاتها القرنفل الذي حض على زراعتهِ المرحوم السلطان سعيد فصار المصدر المهم لثروة البلاد ويصدر كلهُ الى اوربا وللحكومة منهُ العشر . ومن حاصلاتها ايضاً الذرة والسمسم والنارجيل وهو ذو غلة وافرة ثم الارزّ وقصب السكر والكوتابرخا واما الفاكهة فيها فقليلة كالتين والليمون والعنب واما الموز فكثير جدًّا ومنهُ صنف تبلغ الموزة منهُ مقدار ذراع ويأكلونهُ رطباً ويابساً واكثر قوتهم منهُ وغالباً يخمرونهُ بعصير النارجيل ويتركونهُ اياماً كثيرة حتى يختمر فيجعلونهُ قوتهم باقي السنة وهو مقوٍّ مغذٍّ

واما حيواناتها فكثيرة منها الفيل والاسد والكركدّن وهو المعروف بوحيد القرن والفهد وفرس النهر وفي قفارها الوعل والايل ويكثر فيها الماعز والبقر

واما تجارتها فقد أخذت في الاتساع وقد كانت منحصرة قبلاً في ايدي البانيان وهم الهنود الوثنيون . وقد اعتنى المرحوم السيد برغش سلطان زنجبار الاسبق والسلاطين من بعدهِ بتوسيع طرق التجارة واقامة العمال لمعاطاتها وتسهيل ابوابها وبنى لنفسهِ مراكب تجارية وحربية . وكانت صادراتها سنة ١٨٧٢ نحو مليون ونصف مليون ريال واما الآن فتزيد كثيراً واكثر الصادرات القرنفل والعاج والكوتابرخا وجلود البقر والماعز وزيت الجوز الهندي (النارجيل) ووارداتها المنسوجات وخصوصاً البيضآء مثل الكرباس (التفتة) والخام والسلع والمصنوعات على انواعها

وفي السنة ثلاثة اشهر يقال لها الموسم تأتي مراكب شراعية من عمان وعدن وحضرموت وسواحل العربية الجنوبية الى زنجبار فيبيعون اهلها ويشترون منهم ثم يرجعون

اما عوائد اهلها فهي مختلطة من عوائد عرب عمان والزنج الاصليين وملابس العرب منهم تقرب من الزيّ العربي القديم فالرجال يلبسون ثوباً طويلاً يشدون فوقهُ منطقة ويضعون في اوساطهم خناجر ذات مقابض من ذهب او فضة اونحاس بحسب قدرة كل واحد وغناه . ويلبسون العمائم والجباب المطرزة اطرافها بالحرير والقصب وفي ارجلهم نعال من جلد بسيور . اما النسآء فيلبسنَ السراويل وثوباً الى الركبتين يشدون فوقهُ منطقة ويتبرقعنَ ويغطينَ رؤوسهنَّ بمنسوج كالكوفية ويلبسنَ ايضاً الحلى وهي نقود ذهبية

يصففنها على رؤوسهنَّ ويضعنَ في كلٍّ من آذانهنَّ سبع حلقاتٍ صغار ويتقلدن بالقلائد ويضعنَ في اعناقهنَّ السلاسل الذهبية وفي ايديهنَّ الاساور والخواتم وفي ارجلهنَّ الخلاخيل ويجهدنَ انفسهنَّ بتحسين الوجه بالتزجيج والتكحل وهنَّ على الغالب يتزوجنَ في الثانية عشرة من سنيهنَّ . والنسآء الزنجيات هناك ونسآء العامة يجلنَ نهاراً لقضآء لوازم البيت وبعضهنَّ يزرعنَ الذرة . واما نسآء العرب عموماً فكثيرات التحجب ولا يخرجنَ من بيوتهنَّ الا ليلاً طلباً للنزهة او الزيارة واذا لقيهنَّ رجلٌ في الطريق لزمهُ ان يتنحى ويوسع لهنَّ الطريق تأدباً او يقف متوارياً رعايةً لحرمتهنَّ　　(ستأتي البقية)

النور البرجي

من نظر في هذه الايام الى جهة الافق الغربي بعد غروب الشمس وانقضآء ضوء الشفق يرى نوراً مستطيراً في الفضآء على شكل مخروط عريض مركز قاعدتهِ عند الموضع الذي غربت فيهِ الشمس وقمتهُ ذاهبة صُعُداً في عنان السمآء مع ميلٍ الى جهة الجنوب . وهو انما يظهر في الليالي التي لا قمر بها وتكون رؤيتهُ اجلى كلما كان الجوّ صافياً من الاكدار والابخرة والانوار الباهرة فيُرَى بضوءٍ ساطع ولا سيما عند قاعدتهِ ثم يضعف شيئاً فشيئاً كلما ارتفع في الفضآء وامتدّت جوانبهُ عرضاً حتى يتلاشى وتختلط أطرافهُ بظلمة الليل

وسُمّي هذا النور بالبرجيّ لانهُ لا يظهر الا في منطقة البروج واول من تنبه لهُ وتكلم عليهِ كلاماً علمياً كاسيني الفلكي الشهير سنة ١٦٨٣ ومذ

ذاك اخذ العلماء في مراقبته والبحث عن حقيقته وسبب ظهوره . وكان من رأي كاسيني انهُ سديمٌ محيطٌ بالشمس عدسيّ الشكل يمتدّ الى ما وراء فلك عطارد والزهرة ويبلغ احياناً الى فلك الارض . وذكر بعض من راقبهُ في



بعض المراصد المبنية على القمم الشامخة حيث يكون الجوّ على تمام صفائه انهُ رآهُ ممتدًّا من احد جانبي الافق الى الجانب الآخر على شكل دائرة من الدوائر العظمى وامتدادهُ موازٍ للسطح الذي تدور فيهِ الارض حول الشمس بحيث

يظهر ان الارض غائصةٌ فيهِ تدور في ضمن حدودهِ . الا ان معظم ظهورهِ يكون في الاوقات التي تكون فيها الشمس حوالي المعدَّل فيُرَى في اوائل الليل في فبراير ومارس وابريل وفي اواخرهِ في اوغسطس وستمبر واكتوبر وكلما قرب الناظر من خط الاستواء رآهُ اشدّ نوراً واعظم ارتفاعاً . وقد تعددت الاقوال في حقيقتهِ فقيل هو فضلةٌ من بقايا السديم الاول الذي تكونت منهُ الشمس ولا يبعد في رأي بعضهم ان يكون طرف اكليل الشمس الذي يُرى في اوقات الكسوف الكلي ممتدًّا على موازاة خط الاستواء الشمسي . وقيل هو حلقةٌ مؤلفة من ذرّاتٍ دقيقة منتشرة في الفضاء كالتي تتألف منها اذناب المذنَّبات وهي تدور حول الشمس والشمس في مركزها . وارتأى بعضهم انهُ من توابع الارض لا من توابع الشمس وانهُ بقيةٌ من سديمها الاصلي على حدّ حلقات زُحَل مثلاً وهو من الاقوال المستبعدة بدليل ماذكر من موافقة محورهِ لخط استواء الشمس دون الارض وبين سطحي هذين الخطين نحو ١٦°

اما تفاوت الضوء المنبعث عنهُ فانهُ كلما قرب من مركز الجذب الذي هو الشمس يزداد تكاثفهُ بالضرورة ولذلك يزداد نورهُ في الوسط ثم يضعف على التدريج الى الاطراف . على ان هذا التدريج فيهِ غير مطرد ايضاً لانهُ كثيراً ما يشتدّ نورهُ دفعةً فينقسم احياناً الى مناطق عدّ منها بعض الراصدين اربعاً وهذا مما يؤيد القول بتألفهِ من ذرّات منتشرة يختلف النور المنعكس عنها باختلاف تكاثفها

وبقي ماذكر من ان معظم ظهورهِ يكون في الربيع في اوائل الليل

وفي الخريف في اواخرهِ وهذا ما لم نجد لهُ تعليلاً في كلامهم والاظهر في سببهِ ان معظم هذا النور واقعٌ الى احد جانبي الشمس بحيث ان موقع الشمس بالقرب من احد طرفيهِ لا في مركزهِ الهندسيّ على ما اشير اليهِ في احد الاقوال السابقة فيقع مرةً الى شرقيّ الارض في دورانها السنوي ومرةً الى غربيها . وينبغي ان يكون موضعهُ من الشمس في الجهة المقابلة للابراج الشتوية فاذا كانت الارض في فصل الصيف كان بيننا وبين الشمس واذا كانت في فصل الشتآء كانت الشمس بيننا وبينهُ وفي كلا الحالين لا نكاد نرى الا اطرافهُ الضعيفة اذا كان الجوّ تامّ الصفآء . ومتى قطعت الشمس ابراج الصيف واشرفت على ابراج الخريف ظهر لنا من ناحية الغرب لأنا نصير حينئذٍ الى شرقيّهِ فنراهُ في اول الليـل ثم اذا قطعت ابراج الشتآء واشرفت على ابراج الربيع ظهر لنا من ناحية الشرق لانا نكون الى غربيّهِ فنراهُ في آخر الليل . وفي هذا دليلٌ آخر على صحة القول بأنهُ مؤلفٌ من حلقةٍ تدور حول الشمس وحينئذٍ فتكون هذه الحلقة اهليلجية على حدّ سائر حلقات الشهب والشمس في احد محترقيها والله اعلم

منافع العظام

وقفنا في احدى المجلات العلمية على فصلٍ في هذا المعنى فأحببنا تلخيصهُ لما فيهِ من الفائدة قالت

يحرص الذين يجمعون الخِرَق على ان يجمعوا معها ما يجدونهُ من العظام لما فيها من المنافع العديدة في الصناعة واشهر هذه المنافع استخدامها في صنع

ضروبٍ من الادوات كالحُقق ومقابض السكاكين ومقاطع الورق وشعريات الاسنان والازرار وغير ذلك مما يقلَّد بهِ العاج فيُستهلك في هذه المصنوعات كل سنةٍ مقادير كبيرة من العظام يؤخذ منها ما يصلح للصنعة فيصبح كلهُ عروضاً ذات قيمة . ثم ان ما يبقى من خُراطة هذه المصنوعات لا يذهب سدًى ولكنهُ يُجمع ويكلَّس فيتَّخذ منهُ مسحوقٌ لجلآء الاسنان

واما العظام التي لا تصلح للصنعة فتستخدَم في منافع أُخر منها الاصطلاب وهو استخراج وَدَكها بالإغلآء وهذا الوَدَك يُستعمَل لطبخ الصابون ويُعرَف بشحم العظام

ومنها استخراج الهُلام اي الجلاتين الداخل في بنآء العظام اذ هو ليس على الحقيقة الا نسيجها الحويصليّ بعد ان يخلَّص من الاملاح الكلسية . وطريقة استخراجهِ انهم يقطعون العظام صفائح ثم يعالجونها بالحامض الكبريتوس خالصاً أو محلولاً في المآء حتى تنحلّ الاملاح المذكورة فيسترخي نسيج العظام استرخآءً تامًّا ويأتي الهلام المتخذ بهذه الطريقة شفافاً لا لون لهُ

ومنها اتخاذ ما يسمى بالأسوَد الحيواني وهو مسحوق الفحم الحيواني وهذا الفحم يتخذ من العظم ومن كل مادّةٍ حيوانية تكلَّس وهي محجوبة عن الهوآء على حدّ ما يُصنع الفحم النباتي الا ان افضلهُ ما اتُّخذ بتكليس العظم . وهو يُستخدَم لعدة اغراض في الصناعة اهمها تنقية السكَّر وتبييضهُ وكانوا قبلاً يستعملون لذلك الفحم النباتي ثم عدلوا الى الفحم الحيواني لانهم وجدوهُ اقوى مفعولاً في التطهير وازالة العفونات ولذلك صاروا يستخدمونهُ في تطهير المآء الآسن حتى يصير صالحاً للشرب ويستعملهُ الاطبآء لدفع

عادية بعض السموم كسمّ النحاس والزرنيخ وعصارات بعض انواع النبات

ويُستعمَل العظم ايضاً سماداً للنبات بعد معالجتهِ بالحامض الكبريتيك وهو من انفع انواع السماد واطولها بقاءً . وطريقة استخدامهِ لهذا الغرض سهلةٌ يستطيع كل زارعٍ ان يتولاها بنفسهِ وذلك ان توضع العظام بعد تكسيرها قِطعاً صغاراً في اناءٍ من خشب او فخار ويُفرَغ عليها نحو ثلث وزنها من الماء الغالي ثم تحرَّك حتى تُغمَر بجملتها في الماء وبعد ذلك يضاف اليها نحو ثلث وزنها ايضاً من الحامض الكبريتيك وكبريتات النحاس وتحرَّك بمِجدَح من خشب ثم تُترك بضعة اسابيع حتى ترسب فتكون صالحة للاستعمال . ولا بأس ان تُخلَط عند استعمالها بشيءٍ من السماد القديم او نُشارة الخشب ولكن لا ينبغي ان يضاف اليها شيءٌ من الكلس

ومن منافع العظام استخراج ما في تركيبها من الفصفور وقد كانوا من قبل يستخرجون هذا العنصر من البول بان يكلسوا راسبهُ في اناءٍ من الصلصال المخلوط بالرمل ثم صاروا يستخرجونهُ من العظام ولهُ علاجٌ طويل لا محل لبسطهِ هنا

ويُستعمَل عظم الضأن بخصوصهِ لتركيب صنفٍ من العاج الصناعي بعد نقعهِ في كلورور الكلس واماعتهِ بحرارة البخار فيأتي جميل المنظر ناصع البياض قابلاً للصنعة والصقال . وهو قد يفضل العاج الطبيعي بان يمكن ان يتَّخذ منهُ قطعٌ كبيرة لا يتهيأ قطع مثلها من الناب . وللعظام فوائد اخر غير ما ذكر بحيث انهُ لا يترَك شيء منها الا يُستخدَم لمنفعة من المنافع . اه

اذا فرغ الفحم الحجري

ما زال امر الفحم الحجري شغلاً شاغلاً لافكار الكثيرين ممن ينظرون الى مستقبل الانسان لان ما يُستهلك منهُ سنويًّا مقادير هائلة لا بدَّ ان تفضي الى نفادهِ عاجلاً او آجلاً . ولذلك كان من همهم تقدير المبالغ الباقية من الفحم في جوف الارض ومعرفة ما يُنفَق منها كل سنة حتى يُعلم الزمن الباقي الى فراغ هذه القوة ثم تقديم النظر في القوة التي ينبغي ان تخلفها وتستمرّ بها حركة الصناعة والتجارة في الارض

وقد تقدم لنا كلامٌ في هذا المعنى في احد اجزاء السنة الماضية عن تقرير للدكتور فرَيخ استاذ علم طبقات الارض في كلية برَسْلا يؤخذ منهُ على ما قدَّر ان معظم الفحم الموجود في المناجم المعروفة لا يفرغ قبل اربعة آلاف سنة فما فوقها . وقد وقفنا في هذه الايام على فصلٍ آخر في احدى المجلات الفرنسوية قدّرت فيهِ الكمية التي تُستهلك من هذا الفحم كل سنةٍ على التقريب بناءً على ما يستفاد من الاحصاءات المختلفة لسنة ١٩٠٠ فذكرت ان ما أُنفق من الفحم في هذه السنة بلغ مايقرب من ست مئة مليون وثلاثين مليوناً من الاوساق (الوسق نحو ٨٠٠ اقة) . ثم قدَّرت القوة التي تصدر عن ايقاد مثل هذا المقدار من الفحم بأنهُ اذا فُرض ان كل نصف كيلغرام من الفحم يصدر عنهُ من القوة ما يعدل عمل فرسٍ بخاريّ على مدة ساعة وهو ما يقدّرهُ اصحاب هذا الشان وأن قوة الفرس الواحد تعدل عمل سبعة رجال كان المقدار الذي أُوقد من الفحم في السنة المذكورة يعدل عمل ثمانية

مليارات وثماني مئة وعشرين مليون رجل مدة ساعة أو نحو مليونين ونصف مليون من الرجال يعملون عشر ساعات كل يوم مدة سنةٍ كاملة وهذا العدد من العمال يعدل نحو ستة اضعاف مجموع البشر على وجه الارض . ولا شك ان مثل هذا المقدار مع ازدياد الاعمال سنةً بعد سنة لا يثبت عليه معدنٌ مهما كثرت مادّتهُ وحينئذٍ فلا يمضي زمنٌ طال أو قصُرَ حتى يفرغ الفحم من الارض فأي مادةٍ يمكن انِ يستعاض بها عن هذه المقادير العظيمة . وقد يقال ان في الارض ينابيع غزيرة من الزيت المعدني يمكن ان تُستخدَم زمناً طويلاً ولكن هذا ايضاً الى نفاد ولو بعد زمن فبقي ان يُنظر في قوةٍ لا تفرغ ولا تتوقف على استهلاك الموادّ بحيث يكون الانسان على ثقةٍ من آتيهِ ولا يفجأهُ يومٌ تتعطل فيهِ جميع اعمالهِ وهي الغاية التي يجهد العلماء اليوم في الوصول اليها تداركاً للخطب قبل حلولهِ . على ان الطبيعة التي هي مصدر الاشياء لا تعجز عن ضمانة هذا المطلب على اتمّ وجوههِ فان في خزائنها من القوَى ما لا يُحَدّ ولا يفرغ وحسبنا منها الآن حركة المدّ والجزر ومجاري الانهار والشلالات وحركة الريح وحرارة الشمس

على ان حركة الريح وحرارة الشمس لا يُعتمد عليهما الا الى حدّ لانهما لا تنضبطان ولا تطرّدان على قوةٍ واحدة ولذلك لا يتهيأ ارصادهما لاعمالٍ مستمرّة . واما حركة المدّ والجزر فلا ينكر انها من القوى العظيمة ولا يبعد عن الامكان ان يُدَّخر شيءٌ منها فتُستخدم في الاعمال الى ما شاء الله غير انهُ الى الآن لم يستتبّ لهم تقييدها واستخدامها مباشرةً ولكنهم لا يعدمون الوصول الى ذريعةٍ تُستخدم بها من طريقٍ آخر . وذلك انهُ قد صار من

السهل اليوم احالة القوة الميكانيكية الى قوةٍ كهربآئية وايصالها الى مسافاتٍ بعيدة عن مركزها فصار في الامل امكان الاستيلآء على قوة الحركة البحرية واستخدامها في الاعمال

على انهم الآن قد توصلوا الى استخدام الشلالات الطبيعية أو الصناعية بحيث انها صارت تُستخدَم فعلاً في ضروبٍ شتى من المعامل ولا سيما في جهات نياغَرا وهو نهرٌ عظيم باميركا الشمالية بين كندا العليا والولايات المتحدة يبلغ عرضهُ في بعض المواضع نحواً من ١٥ كيلومتراً وفي بعض مجراهُ هُوَّةٌ ينحدر منها عن ارتفاع ٥٠ متراً بعد ان يفترق الى شعبتين هما الشلاّلان المشهوران فيكون لهويّهِ صوتٌ يُسمع من مسافة ٦٠ كيلومتراً . ومعلوم ان المآء اذا سقط من علْو نشأ عنهُ كهربآئية سلبية يتشرَّبها الهوآء الذي حولهُ وانبثّ فيهِ من الهوآء كهربآئية موجبة وهذه الكهربآئية هي التي توصلوا الى ضبطها واستخدامها . وقد استخرجت الشركة الاولى التي تعاطت هذا العمل في احد الشلالين المذكورين سنة ١٨٩٥ ما تبلغ قوّتهُ ١٠٠٠٠٠ فرس وزعتها على مسافة ٣٠ كيلومتراً في معامل مختلفة . وفضلاً عن ذلك فهم اليوم يعملون على ضبط القوة الكهربآئية المنتشرة في الجوّ والارض لتسخيرها في المعامل الصناعية وعلى الجملة فقد صار من المتوقَّع ان لا ينتهي القرن الحالي حتى تحقق الاماني من جميع هذه القوَى أو من اكثرها بحيث يُستغنى بها عن القوة البخارية ولا يبقى للموادّ المشتعلة معنًى الا استخدامها في الوَقود

اسئلة واجوبتها

طنطا — قرأت في بعض المؤلفات العصرية ان الصواب في جمع زهر ازهار وازاهير وأن جمعهُ على زهور عاميّ مع اني رأيتهُ في كلام اناسٍ من الثقات مجموعاً على زهور فهل نعدّ ذلك غلطاً جورج ابراهيم

الجواب - الظاهر ان جمع زهر على زهور لا يمتنع لانهُ القياس الغالب في جمع فَعْل بفتح فسكون مثل قلب وقلوب وقد ورد مجموعاً كذلك في كلام كثيرٍ من كبرآء اهل الادب كقول ابن الرومي في مقامتهِ الانطاكية

لما بكى فقدَ الهموم سحابُها ضحكت وقد عاش السرورُ زهورُها

ومثلهُ قول الحائك الأُميّ رواهُ في نفح الطيب

في روضةٍ ابدت ثغورُ زهورها لما بكى فيها السحاب تبسُّما

وقول الشيخ عبد الغني النابلسي وفيهِ نكتةٌ لطيفة

جئنا الى قريةٍ يقال لها يبرود ذات الزهور والوردِ

وبردها قارسٌ ولا عجبٌ يبرود مشتقةٌ من البردِ

وفي المنثور جآء في خزانة الادب لابن حجة الحموي في باب الاستعارة ما نصهُ «وقد عنَّ لي ان انثر في حدائق الاستعارة نبذةً من زهر المنثور واورد منهُ ما يزهو بورودهِ على روضات الزهور» ٠ وفي مروج الذهب للمسعودي عند الكلام على تنقل الشمس في البروج «وهي العلة الكبرى في الاحيآء وما حدث من الثمر والزهور ٠٠» وفي تاريخ ابي الفدآء في الكلام على غزوة فارس «وكان لكسرى بساطٌ طولهُ ستون ذراعاً ٠٠ وكان على هيئة روضةٍ

قد صُوِّرت فيها الزهور بالجوهر .. » ونظن هذا كافياً . واما جمعهُ على أزهار فهو على لغة من قال فيهِ الزَهَر بفتح الهآء لان فعْلاً بفتح فسكون لا يُجمع قياساً على افعال . واما ازاهير فهو جمع الجمع كما لا يخفى

دوما (لبنان) — ارجو الجواب على هذين السؤالين

(١)　لم اجد في كتب النحو ما يبين مواقع حتى ومعانيها تماماً فالرجآء ان تتكرموا بالافادة عنها

(٢)　اكثر كتابنا يقولون في وصف الامر الواضح كالشمس في رابعة النهار ولم اجد رابعة في هذا المعنى بل رائعة النهار فهل من معنى لرابعة في هذا الموضع او جوّز استعمالها كثرة تواردها　　　داود بشير

الجواب — اما الكلام على حتى فتجدونهُ مفصلاً في مغني اللبيب وهو منقول في محيط المحيط برمتهِ فراجعوهُ في احد هذين الكتابين . واما رابعة النهار فذُكر ان المقصود بها الساعة الرابعة منهُ على ان الرابعة والرائعة كلتيهما لم تردا في كتب اللغة بهذا المعنى وكأنهم اشتقوا الرائعة من ريع الضحى وهو بياضهُ ورونقهُ ويحتمل ان تكون مقلوب الراعية وهي اول الشيب فنُقلت الى اول النهار والله اعلم

آثار ادبيّة

جمعية الكتّاب المصريين — لا يختلف اثنان في ان مصر هي اليوم أُمّ الاقطار العربية ومبعث مجدها ومعرض آدابها ومُنبثَق انوار حضارتها وقد

قيّض الله لها من اسباب النهضة الحاليـة ما اصبحت بهِ محطًّا لرحال العلم ومجمعاً لرجال الفضل ومطلعاً لانوار الذكآء ومجرًى لسوابق الاقلام فقد احتشد فيها من نخبة ارباب الفِطَن وجلِة اهل الادب وقادة الافكار في العلم والسياسة ما لا تكاثرها فيهِ بلادٌ من الآفاق المشرقية على الاطلاق

ومعلومٌ أن الاتحاد مِلاك القوّة وأن الايدي اذا تضافرت والافكار اذا تناصرت اصبح الفرد بمقام جماعةٍ اذا عمل غيرهُ بيدَين عمل بأيدٍ وان نظر سواهُ الى الامر من وجهٍ تصفَّحهُ من وجوه . وان هذه العصبة القليلة في تعدادها الكثيرة في مواهبها واستعدادها رأت انها لا تستغني فيما اخذت على نفسها من خدمة البلاد عن ان يكثُر الواحد منها بأخيهِ وان تكون كالبنيان المرصوص يشدّ بعضهُ بعضاً فاتفقت على ان تؤلف من رجالها جمعيةً ذات وجهةٍ واحدة هي خدمة العلم والوطن العربيّ تُعرَف بجمعية الكتّاب المصريين . وقد اختارت من افاضلها من يسنّ قوانينها ويتولى وظائفهـا وعقدت اول اجتماعٍ قانوني في اول هذا الشهر برئاسة حضرة العالم الفاضل سليمان افندي البستاني الشهير وهي جلسةٌ تمهيدية كان اهمّ ما فيها تلاوة القوانين وتثبيتها

وهذه الجمعية لا تقتصر على الذين شرعوا في تأليفها من نخبة كتّاب الجرائد ولكنها توسيعاً لمباحثها وتكثيراً لسواد العاملين فيها قد ندبت للدخول فيها جماعةً من اعيان اهل الفضل والادب والغيرة الوطنية من كتاب وشعراء واطبّـاء ومحامين وغيرهم من طبقة المتنورين وحملة الاقلام والمأمول ان منفعتها لا تكون محصورةً في هذه العاصمة ولا في الديار المصرية او العربية ولكن تعمّ كل جديرٍ بأن ينضمّ اليهـا من الناطقين بهذا اللسان في جميع

مدن القطرين المصري والسوري وفي البلاد الاوربية والاميركية وغيرها حتى تكون سلسلةً تجمع افراد المتأدبين من هذه الأُمّة وتكون ذريعةً لعموم نهضتهم وسعيهم في ردّ مجدهم القديم

فنحن نهنئ أولئك الافاضل بهذا العمل المجيد ونهنئ البلاد بهم ونتوقع من ثمرات اعمالهم ما يكون لهُ اجمل اثرٍ في الامة واطيب ذكرٍ في التاريخ وكل ما نرجو لهم الثبات والاستمرار على ما بدأوا بهِ والله سبحانهُ وليّ التوفيق بمنّهِ وكرمهِ

كتاب دفع الهمّ — تقدم لنا نقل انموذجٍ من هذا الكتاب الجليل تأليف ايليا النسطوري مطران نصيبين المعروف بأبي حليم صاحب الخطب المشهورة وهو من الكتب التي انتسخها حضرة الاب الفاضل الخوري قسطنطين الباشا من المكاتب الشرقية برومية وقد طبعهُ على نفقتهِ ايثاراً لاهل الوطن بفوائدهِ . والكتاب « يبحث في آداب النفس وفضائلها وقد جمع فيهِ أبلغ ما قال الفلاسفة والحكماء والادباء والرهبان العلماء في وصف كل فضيلة وما تكسب صاحبها من الخير والسعادة مع وصف الرذيلة التي تقابلها وما تجلب على صاحبها من الضر والشقاء » فهو « للعالم مجلة حكمة وللمتعلم الصغير كتاب قراءة وتهذيب وللمتأدب الكبير كتاب بلاغة وانشاء ولرجل الدين سفر مواعظ وآداب » . فنثني على حضرة طابعهِ اطيب الثناء لما اطرف بهِ الوطن من هذه التحفة السنية ونحضّ جمهور المطالعين على مقتناهُ والانتفاع بفوائدهِ

والكتاب حسن الطبع جيد الورق يقع في نحو مئة صفحة وهو يباع مجلداً وثمنهُ اربعة غروش مصرية

الرأي العام - هي الجريدة المشهورة التي طالما عرفها القرّآء بما امتازت بهِ من طلاوة العبارة وفكاهة الحديث والتفنن في المباحث ودقة الانتقاد في المعاني السياسية والادبية . وقد عادت الى الظهور بعد انقطاعها في المدة السابقة مدبجةً بقلم صاحبها الكاتب اللوذعي اسكندر افندي شاهين رئيس تحرير جريدة مصر الغرآء . فنهنئ مشتركيها بعودها الميمون ونرجو لها الثبات ومزيد الانتشار

المصوَّر - وردنا العدد الاول من جريدةٍ بهذا العنوان لحضرة منشئها الكاتب المتفنن خليل افندي زينية صاحب مجلة الراوي ورئيس تحرير جريدة الاهرام سابقاً . وهي جريدةٌ سياسية ادبية فكاهية تصدر مرةً في الاسبوع مزينةً بالصور الكبيرة الملوَّنة على نمط احسن الجرائد الاوربية وقد صدَّر هذا العدد منها بصورة رحلة الجناب العالي الى السودان ثم صورة تذكار رمزي لفكتُور هُوغُو وغير ذلك من المناظر الشائقة . وفي العدد عدة مقالات ونُبَذ مستحسنة في الاغراض المشار اليها مما تغني شهرة الكاتب عن اطرآئهِ

والجريدة تصدر في ثماني صفحات كبيرة من الغرار الكامل وقيمة اشتراكها السنوي خمسون غرشاً اميرياً في القطر المصري وخمسة عشر فرنكاً في الخارج فنرجو لها مزيد الرواج

فكاهات

الجاسوسية

توفي بعض رجال الانكليز عن زوجةٍ فتاة وابنةٍ صغيرة في الخامسة من عمرها فاشتد حزن الزوجة من بعدهِ حتى اصيبت بمرضٍ عضال فاشار عليها الاطباء بتغيير الهوآء فاخذت طفلتها وجاءت باريز حيث اكترت لها بيتاً واقامت فيهِ تخفف احزانها وتجبر قلبها الكسير . ولكنها ما لبثت طويلاً في تلك المدينة حتى هام بها رجلٌ من الفرنسويين يدعى راعول واحبها حبًّا شديدًا وساعدهُ التوفيق فتزوج بها وقضى معها ومع ابنتها بضعة اشهر في السياحة وترويح النفس . ولم تكن حياة تلك الامّ المسكينة طويلة فعاجلها الموت بعد زواجها الثاني بسنتين عن غير اولاد سوى ابنتها ديانا التي تركتها عند زوجها راعول

وكان راعول من اصحاب الهندسة الميكانيكية وكان منقطعاً الى درس الآلات البخارية ثم خصص معارفهُ لتحسين اختراع السيارات ولهُ صديقٌ كان يعاونهُ في عملهِ هذا يدعى دانيس . فبعد وفاة زوجتهِ صرف نيتهُ عن الاقتران بغيرها وبقي مع الابنة ديانا يربيها ويجد بها تعزيةً عن فقد والدتها وتسليةً عند اضطراب دماغهِ بعد العمل . ولم يبخل على تهذيبها وتثقيفها ولكنهُ كان يميل الى استصحابها في جميع اعمالهِ فكانت اذا انتهت من مدرستها يأخذها معهُ الى محل شغلهِ فتساعدهُ فيهِ ويشرح لها بالتفصيل عن القطع الحديدية الملقاة امامها وكيفية تركيبها ومنفعتها فبرعت ديانا في ذلك ورأى راعول فيها ذكآءً خارقاً فكان يستشيرها في كل عمل

وحدث ان الحكومة الفرنسوية قررت اعطآء جائزة لاحسن واسرع « سيارة » يمكن اختراعها وفتحت باب المسابقة لمن شآء وعينت يوماً للامتحان تجري فيهِ السيارات

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

من باريز الى بوردو . فتقاطر الى باريز من رام الدخول في هذا الامر من مهرة الانكليز والالمان وغيرهم فسجلوا اسمآءهم وجنسياتهم واخذوا الاوراق اللازمة التي تجيز لهم الدخول في هذا المضمار وانثنى كلٌّ الى عملهِ يجهد قريحتهُ و يشحذ افكارهُ لاختراع اسهل الطرق واقربها الى الفوز

وكان راعول من المتسابقين فتمكن بمساعدة ديانا من تحسين الاختراع تحسيناً عظيماً تيقن بعدهُ انهُ سيكون السابق بدون شك وانفق في عملهِ مبالغ جسيمة استدان اكثرها وهو يعد نفسهُ بالفوز وانهُ سينال مالاً طائلا يفي منهُ ديونهُ ويبقى لهُ ما يكفيهِ لتأسيس معملٍ تكفلهُ الحكومة وتضمن لهُ فيهِ الشهرة والغنى . وكان لا يدع ديانا تفارقهُ البتة وعلى الخصوص عند تجربة سيارتهِ حتى اصبحت من مهرة راكبي السيارات

وما زال راعول يبذل جهدهُ في عملهِ حتى انتهى اخيرًا من صنع مركبتهِ وانهى معداتها بتمامها وجعل يجربها في الليالي وهو جالسٌ يسوقها والى جانبهِ ديانا قابضةً باليد الواحدة على المفتاح الذي يعدّل مسير المركبة او يستوقفها وفي اليد الثانية آلةٌ تقيس بها المسافة التي يقطعانها وتعرف بها سرعة جري السيارة . وكان راعول يزيد في كل ليلةٍ قوة الآلة زيادةً قليلة حتى بلغت الدرجة النهائية التي لا يمكن احتمال اكثر منها فسرّ جدًّا لفوزهِ وتحقق انهُ لن يجد بين المتسابقين من يشق لهُ غبارًا

وقبل الاجل المعين للمسابقة بيومين خرج راعول وديانا بعد منتصف الليل لعمل التجربة الاخيرة فاخذ سيارتهُ وجلس هو وديانا في مكانيهما ثم اطلق للآلة العنان في ضواحي باريز . وكان الليل حالكاً والطريق خالية فاندفعت السيارة بهما كاندفاع النيازك تطوي المسافات الطويلة وتتطاير الرمال والحصى تحت عجلاتها كوابل المطر وهي تشق بنور مصباحيها الكهربائيين في مقدمها حجاب ذلك الظلام القاتم . وكان على وجه كلٍّ من راعول وديانا براقع سودآء يلبسها سائقو السيارات اتقآء للغبار والدخان فلا يظهر من لابس البرقع سوى العينين تحت الغطآء البلوري في فوّهات البرقع . وكانت ديانا تنظر من حين الى آخر الى عدّاد الآلة وتنبه

اباها الى مقدار سرعة السير فينظر اليها ذاك بوجهٍ ملؤهُ المسرّة والابتهاج ويقول لا شك اني ساكون انا الفائز يا ديانا فمن المستحيل ان يسبقني احد في مثل هذا المسير الذي تقصر عنهُ سرعة الريح فسأسحق جميع المسابقين الاجانب واردّهم الى اوطانهم خاسرين وأُري فرنسا ان بين ابنآئها من يكفيها حمل منة الغريب

ولم يكد راعول ينهي كلامهُ حتى دوى ورآءهما في الفضآء صوتٌ كالرعد القاصف تبعهُ صياح بشري يأمرهما بالانحراف الى يسار الطريق فالتفت الاثنان الى ورآئهما فرأيا عن بعدٍ مصباحي سيارةٍ اخرى تتبع آثارهما فادركا انها لاحد المسابقين وقد جآء نظيرهما يجربها في ذلك الخلآء ويستعدّ ليوم الامتحان . وعنّ لراعول ان يبدأ من تلك الساعة بالتجربة مع هذا القادم الجديد فلم يعبأ باخلآء الطريق ولكنهُ اطلق منتهى القوة لعربتهِ ليري مزاحمهُ ان دون ادراكهِ خرط القتاد فوثبت العربة بهما وثبة غيظٍ واندفعت بهما كالسيل المنهمر فقهقه راعول فرحًا بفشل العربة التابعة لهُ ولكنهُ لم يتهنأ بسرورهِ هذا لانهُ في اقل من دقيقة ادركتهُ العربة الاخرى ومرت عن جانبهِ مرور السهم عند مفارقتهِ الوتر وسُمع لسيرها صوتٌ كصوت الرصاصة عند خروجها من فم البندقية فما كاد راعول ينتبه الى نفسهِ حتى كانت هذه العربة قد سبقتهُ شوطًا بعيدًا تاركةً اياهُ على بعدٍ عظيم يشتم ويلعن . وعرف راعول مزاحمهُ انهُ المسابق الانكليزي وهو فتىً يدعى سدني ارمسترونغ فطار رشدهُ وجدَّ في اتباعهِ فضغط على الآلة الى منتهى سيرها تحت خطر الانفجار ولكنهُ لم يزل بذلك متأخرًا كثيرًا عن العربة الاولى التي ما زالت تبتعد امام عينيهِ باسرع من البرق الخاطف حتى غابت عن بصرهِ . واذ ذاك اشار الى ديانا بالوقوف فادارت يدها المفتاح ووقفت بهما السيارة فنزل منها الى الارض ورأت ديانا على نور المصباحين انقلاب سحنتهِ وانخطاف لونهِ وعلائم اليأس مرتسمة على وجههِ . ولم تكن في حاجةٍ الى ان يخبرها احد بما حلّ بوالدها اذ ذاك ولكنها تجاسرت وسألتهُ قائلةً ما لك يا ابي . فقال والاسف يقطع صوتهُ تسألين ما لي يا ديانا ألم تري ان جميع آمالي قد اضمحلت وانها بعد ان كنت منها على يقين قد ذهبت ادراج الرياح .

انني منذ بضع دقائق كنت متحققاً تمام الفوز والغنى وانهُ لا توجد قوة ارضية تتمكن من سبق سيارتي فاراني الآن اقارع قوةً سماوية وهي التي ابصرتها تمرّ امامنا في هذه الدقيقة ولا شك انها ليست من اختراعات البشر بل انما هي جرمٌ سماوي او نيزك منقضّ لم تصل الى ادراك قوتهِ عقول الناس . . . ولكن لا . فقد رأيت بعيني السيارة يسوقها هذا الشيطان الانكليزي ارمسترونغ فكيف تمكن يا ترى من ان يسبقني هكذا وما هو سرّ اختراعهِ وكيف لم اتمكن انا من الحصول على هذه السرعة . آه يا ديانا انني اكاد اجنن من مجرد تصوُّر ذلك وعلى الخصوص لانني ان لم افز في الامتحان وانل الجائزة الموعود بها فلا اتمكن اذ ذاك من وفآء ديوني وتكون عاقبتي الخراب والدمار فآه . آه . بربكِ يا ديانا ساعديني برأيكِ الثاقب ان استطعتِ فهذا هو الوقت الذي تقدرين فيهِ ان تقابليني على ما صنعت اليكِ من الاحسان وما عاملتكِ بهِ من الشفقة اذ اعتنيت بتربيتكِ وتهذيبكِ وانفقت عليكِ من مالي الخاص وحرمت نفسي اشيآء كثيرة اكراماً لكِ وانا لم اطلب منكِ عوضاً قبل الآن افلا تقدرين في هذه الساعة الحرجة ان تكافئيني مرةً واحدة وتساعديني على منع هذا الانكليزي اللعين من الفوز عليَّ

وكانت ديانا تحب راعول لانهُ زوج والدتها ولكنها كانت تكرههُ ايضاً لاسبابٍ منها انهُ كان يكثر من احتقار الانكليز امامها وتلقيبهم باقبح الالقاب مع علمهِ انها انكليزية الاصل وثانياً انهُ كان لا يفتر عن الامتنان عليها بكونهِ يربيها وينفق عليها حتى انها كثيراً ما لعنت الدهر الذي حرمها والديها وتركها تحت رحمة هذا الرجل ليتصدَّق عليها . ولما قال لها الكلام السابق استآءت كثيراً ولكنها اشفقت على حالتهِ فاجتهدت في تسليتهِ وتعزيتهِ ووعدتهُ انها تخبرهُ في الغد عن سرّ اختراع ارمسترونغ واذ ذاك فيمكنهُ اكمال النقص الباقي في سيارتهِ واسترجاع آمالهِ في الفوز والنجاح .

ثم عاد الاثنان فركبا ورجعا وهما مطرقان في الارض وافكارهما سائحة في عالم الخيال ولما بلغا البيت ذهب راعول لتنظيف سيارتهِ وفحص آلاتها وذهبت ديانا الى سريرها لتنام وهي تفكر في ماذا يجب عملهُ في اليوم الثاني

ولما كان الصباح نهضت ديانا فارتدت بعض ابسط ملابسها وخرجت من البيت وجعلت تجد السير حتى بلغت شارعاً يختص بالاعمال الحديدية والآلات فأخذت تتفقد عناوين الابواب حتى بلغت احدها فقرأت عليهِ بخطٍّ دقيق « سدني ارمسترونغ » فعلمت انها وصلت الى حيث هي قاصدة فتوقفت هنيهةً كأنها تراجع افكارها ثم ثبتت عزمها وقرعت الباب ففُتح للحال وظهر منهُ فتى رقيق القوام طلق المحيا في نحو السابعة والعشرين من عمرهِ ما وقع نظر ديانا عليهِ حتى شعرت بعامل خفي يلزمها ان تحاذر الاضرار بهِ ولكنها تذكرت المهمة التي جاءت لاجلها فمضت على عزمها . وكان الفتى قد حياها بالفرنسوية فاجابتهُ بالانكليزية ثم قالت لهُ بصوتٍ ضعيف يخالهُ السامع صادرًا عن شخصٍ في دقائقهِ الاخيرة . اين صاحب هذا المحل . فتبسم الفتى وقال هو انا يا سيدتي فاية خدمةٍ يمكنني ان اقوم لكِ بها . قالت انني فتاةٌ يتيمة انكليزية الاصل اسعى في طلب الرزق واستطيع العمل على الآلة الكتابية والقيام باعمال الكتبة ولما علمت ان صاحب هذا المحل انكليزي جئت لعلي اجد في ابن وطني شفقةً وميلاً الى مساعدتي . قال حبذا لو كان ذلك في استطاعتي ولكن هذا محلي امامكِ ايتها السيدة فليس فيهِ اعمال كتابية ولا حسابية وما هو الا غرفة اتعاطى فيها اعمالاً ميكانيكية لا تقوم بها ايدي سيدة نحيفة نظيركِ . فهمَّت الفتاة ان تنصرف ولكنها صارت ترتجف ثم نظرت الى الفتى وقالت اعذرني فاني لم اذق طعاماً اليوم بعد وانا شاعرة بانحطاط قواي ولم تعد رجلاي تقويان على حملي ثم هوت بجسمها الى الارض . وكانت حيلتها هذه في غاية الدقة حتى ان الفتى ارمسترونغ هالهُ الامر واشفق عليها فطوقها بذراعيهِ قبل ان تصل الى الارض ثم اجلسها على كرسيٍّ هناك وقال عفوًا يا سيدتي فليس في هذا المحل شيء للقوت ولكن اذا سمحتِ لي فانا اطير الى مطعم يبعد نحو اربع دقائق عن محلي واحضر لكِ منهُ شيئاً من اللبن والشاي لسد رمقكِ وللحال وثب الى الباب واخذ يعدو طالباً المطعم . ولم يغب شخصهُ عن باب المحل حتى طرحت ديانا عنها هيئة ضعفها ووثبت كاللبوءة الى داخل الغرفة فرأت ستارًا كبيرًا وراءهُ السيارة

العظيمة المعدة للمسابقة في اليوم الثاني والتي جلب منظرها على راعول الخوف والارتعاب . وكانت ديانا كما ذكرنا قد تمرنت في هذه السيارات واطلعت على تركيبها ودقائق قِطَعها فانحنت بمعظم السرعة على تلك الآلة وجعلت تتفحص كيفية تركيبها فلم ترَ فيها شيئاً جديداً سوى انها من الالومينيوم الاسمر ثم انتبهت الى انها لم ترَ لها الصندوق المحتوي على الآلة التي تدار بها كما في بقية السيارات ورأت في ارض العربة قطعة خشب نظير باب فتحتهُ للحال فظهر لها اذ ذاك سرّ الاختراع اذ وجدت ثماني اسطوانات افقية متقاطعة ادركت لساعتها ان الغرض منها الاستغناء عن حوض المآء البارد الذي يكون في العربات الاخر وهو ضخم الجرم عظيم الثقل وتبين لها ان الآلة يبردها الهوآء فمتى دارت الاسطوانات دورتها الافقية دارت معها ايدٍ كالمراوح تجلب الهوآء البارد . وكانت الدواليب تتصل بهذه الاسطوانات رأساً مما يزيد القوة ويضاعف سرعة المسير . وقد قدّرت ان قوة الاسطوانة الواحدة تعادل خمسة من الخيل فيكون مجموع الاسطوانات الثماني بقوة اربعين حصاناً ثم ان خفة وزن الالومينيوم تزيد في ذلك فتبلغ قوة السيارة ستين حصاناً

ولما ادركت ديانا كل ذلك ابرقت اسرتها واُعجبت جداً بمهارة الفتى وتاكدت ان اباها سيخسر بدون شك ما لم تحصل اعجوبة تعوق الفتى الانكليزي عن المسابقة وللحال اقفلت باب العربة كما كان ورجعت فلم تكد تجلس على كرسيها حتى دخل ارمسترونغ وبيدهِ صينية عليها الشاي والخبز والزبدة فقدمها لها فشكرتهُ بغاية الرقة وجعلت تاكل امامهُ . وكانت ديانا قد شعرت اذ ذاك بتوبيخ ضميرها وساءها ان تتجسس احوال الفتى وتخونهُ بعد ان اكلت طعامهُ وبعد ان عرض عليها مساعدتهُ بما في امكانهِ الى ان تتوفق الى الاستخدام . ولما فرغت من الطعام كررت شكرها العظيم لفضلهِ واستأذنت في الانصراف ثم ودعتهُ باحترام فشيعها بعواطفهِ الرقيقة وقد تأثر قلبهُ لمصابها واشفق عليها وود جداً لو كان في استطاعتهِ ان يساعدها ويكفيها شرّ الخدمة . اما افكار ديانا فكانت في اضطراب عظيم بين انها تفشي سرّ الفتى لوالدها وبذلك تكون قد خانت ابن وطنها وارتكبت عملاً دنيئاً وبين ان

تحافظ على سرّهِ كما يقتضي الشرف وذلك ما جعلها تندم على ما فعلت وعلى الخصوص لانها لم تكن تحب راعول كثيرًا . ولكنها عزمت اخيرًا ان لا تنطق الا صدقًا وان تجتهد في عدم الحاق ادنى ضرر بارمسترونغ

ولما بلغت البيت اخبرها الخادم ان راعول قد خرج واوصاهم انهُ اذا اتت ديانا تنتظر رجوعهُ . ثم قال لها الخادم و بعد خروجهِ اتى ساعي البريد ومعهُ هذا الكتاب باسمكِ ودفعهُ اليها فتعجبت ديانا جدًّا لانهُ لم يسبق قط ان يرد اليها رسائل باسمها وزاد تعجبها حين رأت طابع البريد الانكليزي فاخذت الكتاب وفتحتهُ فاذا فيهِ ما يأتي

« ايتها السيدة

علمتِ من كتبنا السابقة ان موت عم والدتكِ قد زاد المبلغ الذي يخصكِ والذي اعتدنا ان نرسلهُ اليكِ سنويًّا فصار خمسة عشر الف فرنك في السنة . ونزيدكِ علمًا الآن انهُ من عهدٍ قريب توفي عم والدكِ واذ ليس لهُ وارثٌ سواكِ فقد ضُمت تركتهُ الى المبالغ المختصة بكِ في عهدتنا والتي نرسل اليكِ ريعها السنوي حسب العادة في نهاية كل سنة . فمذ الآن اصبح المبلغ السنوي الذي نرسلهُ اليكِ ثلاثين الف فرنك فلزم تعريفكِ ذلك والسلام　　　　وكلاء التركة

دجبي وشركاؤهُ »

ولما اكملت ديانا قرآءة الكتاب شعرت كانها في حلم لانها لم تدرك مغزاهُ اولاً ثم اخذت تظهر لها الحقيقة شيئًا فشيئًا وعلمت ان الكتب التي كانت ترد اليها من وكلاء التركة والمبالغ المخصصة لها كان يستلمها والدها راعول ويخفيها فلا يذكر لها منها شيئًا . وليس ذلك فقط بل انهُ كان دائمًا يمتنّ عليها بقولهِ انهُ يعولها وينفق عليها في سبيل الله . فتعجبت من غدرهِ وخيانتهِ وزاد نفورها منهُ وبغضها لهُ ثم طوت الكتاب ووضعتهُ في جيبها واذا براعول داخل فلم تفاتحهُ بشيءٍ لانها لم تحب ان تعاديهُ وهي في بيتهِ . فقال لها ماذا فعلتِ بالمهمة التي ذهبتِ لاجلها . قالت اطلعت على السر وعلمت ان لا امل لك في مزاحمة ارمسترونغ فلا بد انهُ ينال السبق ويغلب جميع المسابقين . فقال والغضب يقطع صوتهُ وكيف ذلك قولي لي .

فاخذت ديانا تقص عليهِ كيفية الاختراع ولما اتمت التفاصيل قالت وبما ان المسابقة ستكون غداً فلا يتسع لك الوقت لتقليد اختراعهِ وبغير ذلك لن تنجح فانا انصح لك ان تنسحب قبل النزول الى هذا الميدان . ورأى راعول ان ديانا لم تعد من حزبهِ لسببٍ لم يعلم ما هو فلم يفه ببنت شفة عما عزم ان يفعل ولكن ديانا قرأت في عينيهِ علائم الخبث والافكار الشريرة وادركت انهُ سيقوم بعملٍ شيطاني فعزمت على ان تراقب حركاتهِ بتمام الانتباه لترى ما سيكون منهُ

ومضى النهار وجآء الليل فذهب كلٌّ الى فراشهِ يستعد للغد موعد السباق اما ديانا فانطرحت على سريرها ولم تقدر ان تنام لانها علمت انها اخطأت في حق الفتى ارمسترونغ وان الضمير والشرف يطلبان منها السهر على مصلحتهِ ومنع وصول اذية اليهِ بسببها . وما زالت تفتكر وقد هجرها الرقاد حتى انتصف الليل فسمعت وقع اقدام امام باب غرفتها فانصتت قليلاً فسمعت صوت والدها راعول يخاطب معاونهُ دانيس قائلاً يظهر انها استغرقت في النوم فلا خوف من مداخلتها وهلمَّ بنا نتكلم في الردهة ثم سار الاثنان الى غرفةٍ اخرى فدخلاها واوصدا الباب من الداخل . ولما تحققت ديانا ذلك فكرت في كيف تتمكن من استكشاف نياتهما فلم تجد طريقاً الا من نافذةٍ الى جهة الحديقة تعلو نحو ثلاثين قدماً عن الارض فاسرعت بغاية السكون الى سطح المنزل ثم نزلت على ميازيب المآء بخفة ومهارة غريبة حتى حاذت النافذة فرأت راعول ودانيس يتحادثان . واشمأزّت نفسها من عملها هذا ان تتجسس حديث اثنين عن غير علمٍ منهما ولكنها رأت وجوب ارتكاب هذه الخطيئة لمحو الخطيئة الاولى التي ارتكبتها في حق ارمسترونغ

و بعد ان انهى راعول كلامهُ قال لهُ دانيس اذاً لم يبقَ لنا امل في الفوز فمن المستحيل ان نمنع سيارة ارمسترونغ عن السبق ومن المستحيل ايضاً ان نعمل نظيرها في ليلةٍ واحدة . فقال راعول نعم ولكن لا يستحيل علينا ان نمنع ارمسترونغ من المسابقة وقد عزمت على امرٍ فسينام الفتى من الآن الى مساء الغد ولا يستيقظ من نومهِ الا بعد ان يكون قد انقضى السباق ونلنا الفوز . وادرك دانيس غاية راعول

فاظهر الاعجاب الشديد وصاح قائلاً احسنت احسنت . ثم سكب راعول كاسين من الشمبانيا وشرب الاثنان نخب نجاح مسعاهما واتجها الى الباب فاسرعت ديانا وتسلقت الحائط وعادت الى غرفتها بسرعة الغزلان فلم يدرِ بها احد ولكنها شعرت ان صدرها يكاد ينشقّ

وكان ميعاد السباق في الساعة الثامنة من صباح الغد فنهض ارمسترونغ من نومهِ الساعة السادسة واذا بخادم المطعم قد جاءَهُ بالطعام حسب العادة فتناولهُ بسرعة وشرع في لبس ثيابهِ ولكنهُ ما عتم ان شعر بدوارٍ في رأسهِ وانحلالٍ في اعضائهِ ثم سقط الى الارض لا يعي شيئاً

ولما استيقظ ارمسترونغ من نومهِ كانت طلائع الظلام قد حلت مكان جيوش النهار فخرج الى باب حانوتهِ فرأى الازقة مظلمة تلمع فيها الانوار الغازية والكهربائية فظن انهُ كان في حلم وانهُ لم يأتِ بعد صباح السباق فعاد الى داخل المحل ليرى عربتهُ فلم يجدها هناك فطار رشدهُ واصبح في حالةٍ لا يتمكن الكاتب من وصفها . ثم سمع باعة الجرائد يصيحون في طوافهم « سباق السيارات وفوز العربة الانكليزية » فكان كل ذلك في اذنيهِ لغة اعجمية محضة . ثم استدعى ولداً فابتاع منهُ جريدة وجلس في جانب الحانوت فوقع نظرهُ على مقالةٍ في صدر الجريدة هذه صورتها

سباق السيارات تحت ادارة الحكومة

وفوز العربة الانكليزية لمخترعها

سدني ارمسترونغ

في الساعة الثامنة من هذا الصباح اجتمعت السيارات المعينة للسباق في ساحة المدينة ولكن المخترع الانكليزي لم يحضر مع البقية فظن الجميع انهُ عدل عن النزول الى الميدان . ثم جاءَ الرئيس المندوب من قبل الحكومة فاطلع على اوراق المسابقين ثم صدر الامر بالمسير وبعد دقيقتين رأى الجميع ارمسترونغ قادماً بعربتهِ كالبرق الخاطف حتى بلغ المحل الذي سارت منهُ العربات وكان كباقي المتسابقين مبرقع الوجه ولكنهُ بخلافهم لم يستصحب معهُ ميكانيكياً آخر فقدم اوراقهُ الى الرئيس واستأذن

في المسير ثم اندفع ورآء باقي السيارات كالشهاب المنقضّ وفي بضع ثوانٍ سبق العدد الاعظم منها ولم يبقَ امامهُ سوى عربة راعول المخترع الفرنسوي . وشعر راعول بصوت عربةٍ تجري ورآءهُ فالتفت ولما رأى عربة ارمسترونغ اضطرب وادار يدهُ عن غير انتباه فسبب ذلك انحراف مسير عربتهِ الى جانب الطريق فوقعت ووقع منها راعول ومساعدهُ دانيس . ولما رأى ارمسترونغ ذلك استوقف عربتهُ ونزل فانهض الرجلين وساعدهما على ردّ عربتهما الى مكانها ثم سألهما هل اصابهما ما يمنعهما من المسير فقالا لا فاشار اليهما ان يتقدماهُ ففعلا ثم تبعهما على الاثر . وادرك جمهور المشاهدين مروءة ارمسترونغ وكرم اخلاقهِ فلم يتمكنوا من السكوت عن التصفيق طرباً والهتاف اعجاباً بفعلهِ العظيم ثم وردت الاخبار البرقية من بوردو تفيد ان سدني ارمسترونغ قد وصل اليها بسيارتهِ وسبق اسرع السيارات ببضع ساعات ثم ترادفت البقية على اثر ذلك الواحدة بعد الاخرى . وقد قررت الحكومة افضلية الاختراع الانكليزي وسجلت اسم سدني ارمسترونغ وحكمت باهدآء الجائزة لهُ . اه .

وكان سدني ارمسترونغ يقرأ الجريدة وهو يعرك عينيهِ ثم ينحني فيلمس الارض ثم يعض اصابعهُ ليتحقق انهُ في يقظة وفي تمام عقلهِ . فتحقق ذلك ولكنهُ لم يفهم كيف تم هذا الامر وهو لا يزال نائماً في حانوتهِ ولم يخرج قط وعربتهُ مسروقة . وانهُ لكذلك واذا بدويّ سيارةٍ قادمة حتى بلغت باب الحانوت فدخلت الى زاوية الغرفة حيث كانت اولاً ووقفت هناك ثم ترجل منها فتىً مبرقع الوجه جعل سدني ارمسترونغ ينظر اليهِ بوجلٍ وتعجبٍ شديد لانهُ رآهُ كهيئتهِ تماماً وفي نفس ثيابهِ الخصوصية فظنهُ من العفاريت . ثم رفع الشخص لثامهُ وقبعتهُ فظهر تحت ذلك وجه ديانا الجميل وانتشر شعرها الذهبي على اكتافها فجحظت عينا ارمسترونغ وجفّ حلقهُ فلم يستطع كلاماً . ولما ملك روعهُ قال لهـا أحقٌّ ما جاء في هذه الجريدة . قالت نعم كلهُ حق ثم اخبرتهُ بحديثها من اولهِ بكل تفاصيلهِ وقالت لهُ علمت في الصباح ان زوج والدتي جآء المطعم ووضع في طعامك مادةً منومة ليتخلص من مزاحمتك ولما قرب الوقت عزمت على انقاذك فجئت بعد ان خرج راعول من البيت

ووجدتك نائماً فحاولت ايقاظك فلم افلح فلم يكن لديَّ غير الواسطة التي فعلتها وهي اني لبست ثيابك التي رأيتها هنا وفيها الاوراق اللازمة وتبرقعت واطلقت العنان للسيارة . اما باقي الحديث فقد قرأتهُ في الجريدة . وحالما بلغت بوردو استرحت قليلاً وقفلت راجعةً لعلمي انك ولا شك تكون قد استيقظت وربما افضى بك القلق والغيظ الى ما لا تحمد عقباهُ وهاءنذا قد وصلت في وقتي واتممت ما يلزمني وانا احمد الله على انني لم احرمك الفوز الذي تستحقهُ وفي املي ان عملي هذا لم يسؤك وانك تصفح عن ذنبي

فصاح ارمسترونغ وقال اصفح عن ذنبكِ وهل اذنبتِ اليَّ باهدآئكِ لي السعادة . ثم هجم اليها مدفوعاً بعوامل لم يقدر على امتلاكها فطوق خصرها بذراعيهِ ثم جثا امامها وقال اقبلي شكري واحترامي يا ملكي الحارس

ثم جلس الاثنان يتحادثان فساقهما الحديث الى ان قال الفتى انني قد احببتكِ من اول نظرة حين اتيتِ لتسرقي اختراعي وانا اجهل ذلك وكنت اكون طلبت محبتك لي من تلك الدقيقة ولكن منعني ضيق ذات يدي عن تقديم هذا الطلب . اما الآن وقد صرت على طريق الغنى بعد هذا الفوز فهل تمنّين عليَّ بيدكِ . فقالت ديانا وانا احببتك ايضاً ولم اكن لاقبل بالتثقيل عليك لو بقيتُ كما كنت اظن فقيرةً اعيش من فضل راعول . اما الآن وقد علمت اني مستقلة عنهُ ولديَّ ريع سنوي مقدارهُ ثلاثون الف فرنك فانا اطرح ذلك مع زهرة شبابي امامك ما دمتَ مصمماً على اقتطافها

وكان بعد ذلك ان استقلت ديانا عن زوج والدتها راعول فاقترنت بسدني ارمسترونغ واقاما يتعاطيان كؤوس المسرات والافراح تاركين راعول يتجرع مرارة الاسف التي جناها على نفسهِ بسوء تدبيرهِ ولؤمهِ

اللغة العاميّة واللغة الفُصحى

(تابع لما قبل)

بقي ان اللغة فضلاً عما رَهِقها من العجز عن مجاراة لغات العصر بسبب ما ذُكر من تبدُّل شؤون الحضارة وما نشأ في الاعصر الاخيرة من المخترعات والمكتشفات فان الذي وصل الينا منها والذي تجري بهِ السنتنا واقلامنا ليس الا جانباً يسيراً من مبتذلها وعاميّها لا يكاد يفي بالتعبير عن اغراضنا الطبيعية ولا يتأتى بهِ تمثيل كثيرٍ من الخواطر والمعاني الدقيقة . وبعبارةٍ اخرى فانهُ لم يصلنا من الفاظها الا ما يدلّ على اجناس المعاني دون ما تحتها من التفاصيل وما يُنحَى بها من الاعتبارات المختلفة بحيث لو جُمعت تلك الالفاظ في معجم لم تبلغ ربع ما تكلمت بهِ العرب وبالتالي فانها بعض لغةٍ لا لغة . ولا نعني بما فاتنا منها الالفاظ المترادفة كاسماء السيف والاسد وغيرهما مما يعبَّر بهِ عن المسمى الواحد بمئاتٍ من الالفاظ ولا ما يتعلق بالاحوال البدوية من نحو وصف الابل والخيام وما اشبه ذلك ولكن هناك الفاظاً وتراكيب مما نفتقر اليهِ كل يوم في مخاطباتنا ومكاتباتنا حتى ان الكاتب كثيراً ما يعوزهُ اللفظ لاوسع المعاني شيوعاً وابدهها اغراضاً مما لا شك ان العرب وضعتهُ وتكلمت بهِ ولكنهُ تنوسي لبعد العهد بالفصيح وزوال صناعة القلم من بيننا ادهاراً طوالاً . ولذلك كثيراً ما ترى الكاتب منا يعبّر عن الشيء بغير لفظهِ وربما اخطأ اللفظ بتةً فلم يجد ما يعبّر بهِ وهذا هو السبب في انك ترى بعض كتابنا ممن قلّ رأس مالهم من اللغة يرمونها بالقصور ويميلون الى استبدال العاميّ من الفصيح على ما هو رأي القاضي ولمور وحزبهِ ذهاباً الى ان العامي

اوسع مذهباً وأطوع للتعبير عن وجوه المعاني المختلفة . ولو وُفّقوا الى استقراء كلام العرب والوقوف على ما كان لهم من سعة التصرف في ابراز المعاني على اختلاف مناحيها وتباين الوانها لعلموا ان القصور من جهتنا لا من جهة اللغة وانها فيما خلا الاوضاع المحدثة لا تعجز عن تمثيل معنًى من المعاني مهما اختلفت صوَرهُ بل هي في ذلك على ما لا تضارعها فيهِ لغةٌ من لغات الارض على الاطلاق

لا جرَم ان من طالع كتب الاوائل وتفقد معجمات اللغة يجد ما لا يُحصَى من الالفاظ والتراكيب التي نشعر بأشدّ الحاجة اليها ولا نجد في لغة الكتابة الحالية ولا في اللغة العاميّة ما يرادفها او يُغني عنها . الا ان العثور على تلك الالفاظ والوصول منها الى القدر الكافل بالغناء يقتضي فراغاً طويلاً ودرساً متواصلاً وليس ذلك في طوق كل احدٍ ان يفعلهُ فضلاً عن ان مثل هذا القدر لا يمكن ان يرسخ في المحفوظ لكثرتهِ وقلة تداولهِ في الاستعمال اذ هو مقصورٌ على الكتابة دون الحديث . ولهذا كان من امسّ حاجاتنا جمع اكثر الالفاظ دوراناً في كتابٍ يضعها بحيث يجد الطالب ضالّتهُ منها على غير كلفةٍ ولا عناء وهذا انما يتمّ بأن توزَّع الالفاظ على اجناس المعاني فيُذكر لكل معنًى القالب الذي يعبر بهِ عنهُ وهو الترتيب الذي جرى عليهِ صاحب الالفاظ الكتابية . الا ان هذا الكتاب مع اقتصارهِ على بعض الاغراض دون بعض ومع قصر فصولهِ احياناً الى ما لا يشفي الطالب فقد كان من سوء الطالع ان النسخة التي اشتهرت منهُ وهي التي طبعها جماعة اليسوعيين في بيروت جاءت على اسوأ حالٍ من التحريف والتصحيف والزيادة

والنقصان حتى عددنا فيهـا نحو ٩٠٠ غلطة مع ان الكتاب لا يتجاوز ٣٠٠ صفحة صغيرة كما سبق لنا الايماء الى ذلك في بعض اجزاء البيان وقد نبهنا على بعض هذه الاغلاط في مواضع من الضيآء ممـا تكفي مراجعتهُ لمعرفة ما صار اليهِ هذا الكتاب[1] . وكنا قد عمدنا الى تصحيح هذه النسخة على ان نعيد طبعها منقحةً خدمةً للطلاب ولكنا رأينا بعد التصحيح انها قد بعدت كثيراً عن الصورة التي طُبعت عليها ولا بدّ ان تكون قد بعدت كذلك عن اصل التأليف فأهملناها وشرعنا في وضع كتابٍ آخر ضمنّاهُ ما شآء الله من الاغراض فجآء فيما يقدَّر بألف صفحة أو ما يقرب منها . غير اننا بعد ما شرعنا في طبعهِ قيّض لهُ سببٌ من ورآء الغيب ذهب الكتاب بجريرتهِ فراح فريسة التهوُّر والطيش ثم عرض لنا من الشؤون ما اوجب توقفنا عن معاودة الاهتمام بهِ وسنستخير الله في اعادة طبعهِ اجابةً للراغبين وعلى الله الاتكال[2]

---

(١) بشرتنا مجلة المشرق في هذه الايام بأن مصحح هذا الكتاب الاب لويس شيخو قد وقف على نسخ اخرى منهُ وفي نيتهِ ان يعيد طبعهُ على طريقةٍ علمية (؟) مع الاشارة الى كل نسخة بعلامات اصطلاحية كما يفعل العلمآء المستشرقون ..... فموعدنا بالكلام على النسخة الجديدة حين ظهورها ولعل التسع مئة تصير ببركة حضرة الاب ١٥٠٠

(٢) كان من امر هذا الكتاب اننا بعد ان طبعنا نحو ربعهِ في المطبعة الادبية في بيروت عرض لنـا السفر الى الديار الاوربية فبينا نحن في باريز وردنا الخبر بأن المطبعة قد احترقت او أُحرقت لسبب لا نذكرهُ وكان فيها الف وخمس مئة نسخة منه ذهبت بأسرها طعمة النار . فلما القينا العصا بهذه الديار هممنا باستئناف طبع الكتاب ولكن رأينا ان الكتب هنا والمدارس والمعلمين وطرق التعليم كل ذلك محتكرٌ لنظارة المعارف تحت طابع ما يسمى بالبكلوريا ... فتوقفنا عن الطبع الى ان نجد سبيلاً الى احصآء هذا الكتاب في جملة الكتب المقررة لمدارس النظارة لأنا وجدنا اننـا اذا

نقول اخيراً انهُ لم يمرَّ بهذه اللغة عهدٌ هي فيهِ احرج موقفاً من عهدها الحالي فانهـا قائمةٌ بين خطرين عظيمين احدهما ما طفح عليها من جانب العالم الغربيّ من الوف الاوضاع والمصطلحات التي لا غنى لنا عن استعمالها واللغة خِلوٌ منها والثاني ما نرى من تضافر العناصر على نسف دعائمها

اعتمدنا فيهِ على من عندنا من الادباء والكتاب انحصرت الفائدة التي نتوخاها منهُ في نفرٍ معدود ولم يكن في ريعهِ ما يسدّ نفقاته • وكان قد بقي عندنا نسخةٌ من المطبوع فرفعناها الى سعادة الناظر وذاكرناهُ في الامر فأصبنا منهُ ارتياحاً الى تلبيتنا وكلفنا ان نكتب شرحاً نبين فيهِ مضمون الكتاب ففعلنا ورفعنا اليه عرضاً بهذه الصورة

الى جانب نظارة المعارف المصرية الجليلة

المعروض انهُ لمـا كانت في هذه الايام قد راجت صناعة القلم بين عامة المتأدبين بآداب لغتنا العربية وهبت الرغبة في النفوس لتحدّي الكلام الفصيح والنسج على منوال المتقدمين من كتاب هذه الامة وكان ذلك لا يتسنى الاّ باستظهار الفاظهم واستحضار صور اساليبهم وهو ما لا يتيسر الاستيلاء عليهِ الاّ بعد ادمان الجهد وقضاء الازمنة الطوال حثتني الرغبة في تقريب ذلك على روّامهِ ان اجمع من تراكيب الفصحاء وناصع الفاظهم في كل ضرب من ضروب المعاني والاغراض المتداولة ما يكون مورداً لأقلام المنشئين والمعرّبين بحيث يجد الطالب في كل واحد من تلك الاغراض عدّة قوالب مترادفة المعاني متباينة الاسلوب يختار منها ما يوافق اربهُ ويلائم ذوقهُ على غير جهدٍ للروية ولا عناءٍ في البحث

وقد نسقت ما جمعتهُ من ذلك في ابواب وفصول يُرجع اليها في الطلب تتبعت فيها احوال الانسان وما يعتبر فيـهِ من الصفات ويعرض لهُ من الشؤون ورتبت تلك الاحوال على اعتبارين احدهما ما يتعلق بالانسان في خاصة نفسهِ فيدخل فيه وصف فطرتهِ واخلاقهِ وما يعرض لهُ من الاحوال الطبيعية والانفعالات النفسانية وما يرجع اليهِ من نسب ويتصف بهِ من علم وادب الى ما يلحق بذلك ويتفرع عنهُ والثاني ما يضاف اليه باعتبار وجودهِ في الحال الاجتماعي ومخالطتهِ للامور الخارجية في اثناء تصرّفهِ وكسبهِ فيندرج في ذلك تفصيل ما يقع لهُ من الاحوال والافعال في ضروب

ودرس معالمها مع ما ألمّ بأصحابها من الغفلة والذهول حتى ذهب اكثر قديمها فضلاً عن عدم احداث جديدٍ فيها. ومن انكد ما مُنيت بهِ ان العارف من اصحابها قد ضرب الاملاق على يدهِ فهو قصير الباع اشلّ الساعد والمثري لا يهمّهُ امر اللغة ولا الامة فهو في وادٍ والعلم وذووهُ في واد

المعاشرات والمعاملات ووصف ما يجدهُ في مزاولة الامور ومعالجة الاشيآء وذكر ما ينتظم بهِ حال مجتمعهِ من السياسة والقضاء وما ينضمّ الى ذلك من تفصيل احوال الملك والحامية والجند ووصف ما يسعهُ من مسكن يأوي اليهِ وبلدٍ يضرب فيه وجوٍّ يكتنفهُ الى ما يتصل بهذه الاطراف وختمتهُ بذكر الاحوال الاخروية والتهيؤ لها وما أُرصد لهُ فيها من ثواب وعقاب

وقد قرنت كل غرض من هذه الاغراض بضدهِ تسهيلاً للطلب واختصاراً من تعداد الفصول فذكرت البخل مثلاً في باب الجود والجبن في باب الشجاعة وكذا الكذب مع الصدق والهزل مع الجدّ والجور مع العدل والبعد مع القرب والهدم مع البناء وهلمّ جرًّا في كل ما احتمل ذلك

اما حجم الكتاب فيبلغ نحواً من الف صفحة ستصدر في ثلاثة اجزاء تطبع بالشكل الصرفي واللغوي مع تفسير الغريب باصحّ تعاريفهِ اخذاً عن اوثق كتب اللغة واشهرها بحيث لا يكون للمطالع ادنى ريب في الاعتماد عليهِ

ولما كانت مدارس حكومتنا السنية خالياً برنامجها عن كتابٍ من هذا النوع على شدة لزومهِ وافتقار المتعلمين اليهِ رأيت ان اعرض نموذجاً منهُ على هذه النظارة الجليلة لتنظر فيهِ حتى اذا وجدتهُ موافقاً للغرض من انشاء تلك المدارس مهيئاً لأنْ يُشفع العلم بالعمل من اقرب سبيل وموصلاً لاظهار ثمرة التدريس فيها باوضح جلاء اصدرت قرارها بجعلهِ من الكتب الرسمية فيها ولها في ذلك رأيها الموفق ان شاء الله تعالى

ثم اني بالاشتراك مع رصيفي حضرة الدكتور بشارة افندي زلزل ارفع الى مقام النظارة الجليلة الجزئين الاولين من مجلة البيان التي شرعنا في اصدارها في هذه العاصمة وهي مجلة علمية ادبية طبية صناعية تتضمن اهم المباحث في الابواب المشار اليها مع ذكر كل ما يحدث في عالمي العلم والصناعة من الاختراعات والاكتشافات مما تحتملهُ حالة العلم

على ان ما نحن فيه اليوم ليس بأول عاصفٍ هبَّ على هذه اللغة فوقفت منهُ موقف السفينة من التيار فقد عبرت في مثلهِ ايام انتقل ذووها من ظلال المضارب الى اكنان القصور وغادروا مسارح البادية الى شوارع المدن ولكنهم كانوا قوماً اهل حزمٍ ويقظة عارفين بقدر لغتهم حراصاً على روابط

في هذا القطر وقد فسحنا فيها موضعاً للمباحث اللغوية نورد فيهِ ما يتفق لنا الظفر بهِ من آثار السلف ونحيي ما اندرس من الفاظ هذه اللغة الشريفة ومصطلحاتها العلمية والصناعية مع بذل الجهد في وضع ما خلت اسفارها عنهُ من الالفاظ العصرية التي حدثت معانيها بعد الواضعين تذرعاً الى اتمام اللغة والحاقها بسائر اللغات المعاصرة

ولا يخفى ما في هذه المطالب كلها من الفائدة والتبصرة للدارسين بما ينشأ عنها من ارهاف اذهانهم بالمباحث العلمية والفلسفية والادبية واكسابهم ملكة التعبير على الاسلوب الصحيح فضلاً عما هناك من المسائل المتعلقة باللغة على خصوصها مما لا يكاد يخلو جزء من اجزائها عن شيء منهُ

فنرجو التفضل بالنظر فيها ايضاً مع الرسم بما يحسن وعلى جميع الاحوال فالامر لوليه

القاهرة في ٢١ ابريل سنة ١٨٩٧

ومضت على ذلك الايام ودرجت الاسابيع ونحن في انتظار الجواب ثم علمنا ان الامر موقوف على ما يرتئيه حضرة « مفتش اول اللغة العربية » ... وكان في تلك المدة متغيباً في بعض نواحي القطر و بعد ان اتى على ملتمسنا نحو شهرين ونصف وردنا الجواب بهذه الصورة

حضرة المحترم ابراهيم افندي اليازجي

ان كتاب المترادفات والعددين من مجلة البيان المقدمين من حضرتكم بمكاتبة في ٢١ ابريل سنة ١٨٩٧ الجميع حسن في بابه عنوان على فضل مؤلفه غير ان في الكتب المقررة للمدارس ما فيه غنا للامذة واقتضى تحريره لحضرتكم للمعلومية ومعهُ الملازم والاعداد المذكورة

وكيل المعارف

في محرم سنة ١٣١٥ — يونيه سنة ١٨٩٧ — محل الختم

٣ صفر سنة ٣١٥ — ٣ يوليه سنة ٩٧ — يعقوب ارتين

جامعتهم فقـام امثال الامام عليّ وأبي الأسـوَد الدُؤَلي والخليل بن احمد وغيرهم وتداركوا امر اللغة من السقوط ثم جاء مَن بعدهم فعرَّبوا كتب اليونان والفرس وغيرهم ووضعوا ما لا يُحصى من الالفـاظ المستحدثة في العلم والصناعة وغيرهما مما لا تزال آثارهُ في كتبهم ناطقةً بفضلهم . فأين منا اليوم تلك الهمم وعلى من نعوّل في ادراك هذه الخُطَّة البعيدة والذين نرجوهم لها على ما وصفنا

جملة الامر أن اللغة اليوم واقفةٌ على مفصل طريقين لا محيد لها عن

فشكرنا النظارة المشار اليها على ما تفضلت بهِ علينا من الثناء ولم يسعنا الامعذرتها في الاستغناء عن الكتاب اذ اسنا عليها بمسيطرين غير انهُ لم يزل في النفس شيء من معرفة الكتاب المقرر للمدارس في هذا الغرض لعلنا اذا وقفنا عليهِ نجد نحن ايضاً ما يغنينا عن تجشم عناء التأليف ونفقات الطبع حتى اظفرنا الطلب بل الصبر بالضالة المنشودة لان الكتاب لم يبرز الا في هذه الايام ..... فوجدنا ما استوقفنا بين الحيرة والفكر لانا وجدنا هناك كراسةً لا تتجاوز ٦٢ صفحة جاء في عنوانها ما نصهُ . « قررت نظارة المعارف العمومية طبع هذا الكتاب واستعماله « بالمدارس » الثانوية بعد ان « نظره » فضيلتلو حضرة العلامة الفاضل الاستاذ الشيخ حمزة فتح الله مفتش (اول) اللغة العربية « بالمدارس » و « أقرّ » على طبعه » . وجاء في ختامها العبارة الآتية . « قد تلوت هذا الكتاب واكملتهُ تصحيحاً وضبطاً لمفرداته اللغوية عراضاً على امهات الكتب فجاء بحمده تعالى صحيح المبنى والمعنى وقلما يوجد ذلك في اضرابه من الكتب المؤلفة في بابه (كذا) وفرغت منهُ في اواسط جمادى الآخرة سنة ١٣١٨ — ١١ اكتوبر سنة ١٩٠٠ كتبهُ الفقير اليهِ عز شانه حمزة فتح الله » اه

وانما ذكرنا هذا كلهُ ليكون عبرةً لقومٍ يتفكرون وليعلم منهُ الداء الذي اوهن جسم الامة وحلّ اعصاب الجامعة الوطنية وسنوافي القراء بما يبدو لنا من الكلام على هذا التأليف والله المسؤول ان ينير بصائرنا ولا يجعل بيننا و بين الحق حجاباً حتى لا نكون ممن ضاع الحق بينهم ... والسلام

سلوك واحدٍ منهما فإمّا ان تحيا وتستعيد ماضي شبابها حتى تكون كاحدى لغات اهل العصر واما ان يُسجَل عليها بموتٍ لا حياة بعده ُولا مبعث منه ُ. وكلا الامرين منوطٌ بالامة معقودٌ بهممها وسخآئها فان وُجد في خاصتها وعلمآئهـا من ينتدب لامساك هذا الرمق الباقي منها وفي حكومتها أو في ذوي الوجاهة واليسار منها من يشدّ ساعدهم في ذلك والا فليؤ بنها ذَوُوها من اليوم ما دام فيهم فصيحٌ يحسن تأبينها ثم ليؤبّنوا الامة على اثرها فلا بقاء لامةٍ بدون لغتها ولله البقآء وهو سبحانهُ مقلّب الليل والنهار وفي يدهِ ازمّة الامور

زنجبار

بقلم حضرة الكاتب ديمتري افندي نقولا صاحب مجلة الفكاهة
عن كتابٍ لهُ تحت الطبع
(تابع لما قبل)

اما عوائدهم في الاعراس فاذا اراد شخص ان يتخذ لهُ زوجةً يرسل احدى قرائبهِ الى بيت العروس التي صمم على خطبتها فتنظرها وتتفحص عن احوالها فاذا رجعت ووصفت لهُ حسنها وجمالها وراقت لهُ يرسل والدهُ او عمهُ او احد اقربآئهِ ليخطبهـا لهُ من والدها او عمها او وليّ امرها وفي الوقت نفسهِ تذهب النسآء من قرائب الرجل الى والدة او عمـة العروس لخطبتها ايضاً ويقرَّر الصداق . وهو على درجات فبنات الامرآء صداقهنَّ ١٠٠٠ ريال وبنات الاعيان ٥٠٠ ريال وبنات المتوسطين من ٢٠٠ الى ١٠٠ ريال هذا اذا قُبِل الخاطب من اهل المخطوبة (من غير علم العروس نفسها)

وقَبِل هو شروط اهل العروس وهي كثيرة كقولهم ان بنتنا لا تعرف الطبخ ولا الخياطة ولا تدابير المنزل فيجيب اهل الخاطب انها مقبولةٌ على علاتها فيشترطون ايضاً انهُ لا يضربها ولا يسيء اليها ولا يجوّعها (كما هو واقعٌ من بعض الازواج) وربما اشترطوا لاجل طعامها وكسوتها مبلغاً معيناً فتُقبَل عن الخاطب جميع هذه الشروط لان رفض شرطٍ واحد يترتب عليهِ بعض الاحيان رفض الخاطب بالكلية . وبعد هذا يعيَّن يوم ارسال الصداق المتَّفَق عليهِ بين الاهلين

وفي فجر اليوم المعيّن لان يُرسل الصداق في ليلتهِ يبعث اهل الخطيب فيدعون الجيران والمعارف من النسآء للاشتراك في هذه الحفلة وكيفية هذه الدعوة ان كل واحدةٍ من نسيبات الخطيب تزين خادمةً لها بجميع ما عندها من الحلى (واذا لم يكن عندها حلية كاملة تستعير من صواحبها) فيجتمع عن ذلك احياناً عشر خادمات فما فوق الى اربعين خادمة وكل واحدة منهنَّ تحمل مروحةً في يدها ويذهبنَ بالزغاريد والغناء من بيتٍ الى بيت يدعون النسآء للحضور طول ذلك النهار فتحتشد النسآء في منزل الخطيب من كل بيت ويستمرّ الغنآء والفرح الى آخر النهار ويحضرنَ اللعبة المسماة «مسَنْجا» تجمع الخوادم من اتباع المدعوّات في شكل دائرة وفي يد كلٍّ منهنَّ قرن ثور وفي اليد الثانية قطعة عصا ويكون في وسط الدائرة طبلان أو ثلاثة تضرب عليها الطبّالات وتغني واحدة منهنَّ والبواقي يضربنَ القرون والعصيّ ويجاوبنَ الغناء فيُسمع لهنَّ صوتٌ كالتصفيق على ايقاعٍ مخصوص وهي من اللعب التي يطرب لها كل زنجباري وتُعمَل هذه المسَنْجا على سطح البيت

أو في احدى الغُرَف . ويستمرّ الحال على ذلك الى الغروب واذ ذاك يجعلون الصداق في طست من فضة ويضعون في الطست عدا الصداق ثياباً من الحرير وغيرها من الحُلَل الموشاة بالقصب الذهبي ويُحمَل الطست على رأس خادمة مزينة بأحسن ما يوجد من الحلى وتلتفّ حولها جميع المدعوّات من النسآء والخادمات ويخرجنَ بالغنآء والزغاريد الى بيت العروس حيث يكون قد اجتمع عددٌ عظيم من معارف ذويها فيُصَبّ الصداق في طرف ثوب العروس وتُعَدّ الدراهم وبعد ما تدور الحلوى على الحضور يقمنَ فيخرجنَ

وبعد ما يتم هذا تتواتر الدعوات الخصوصية من قِبَل اهل العروس الى اخصّ الصديقات فيجتمعنَ للمشاورة فيما ينبغي مشتراهُ من الرياش والاثاث لاجل العروس وبعد ما يتكامل الاثاث ترسل دعوة عمومية الى جميع المعارف من النسآء مثل دعوة يوم ارسال الصداق ويسمى هذا اليوم في لغتهم بما معناهُ يوم ندف القطن لانهُ في ذلك اليوم يُندَف القطن لتنجيد اثاث العروس من فرش ومخدّات وغيرها فيصبح منزل اهل العروس ذلك اليوم غاصّاً بالمدعوات وترتفع الزغردة والغنآء ويكرر ذلك احياناً في اليوم الثاني والثالث الى ان يتم ندف القطن وحشوهُ

وقبل موعد الزفاف بيوم أو يومين تحضر المدعوّات الى بيت العروس ويرزّمنَ اثاثها لاجل نقلهِ الى بيت الزوج وعند غروب الشمس من ذلك اليوم اي يوم الزفاف يحملنَ الاثاث على رؤوس الخادمات ثم يصففنهنَّ الواحدة خلف الاخرى ويسرنَ والنسآء من حولهنَّ بالغنآء والزغاريد الى منزل الزوج فاذا بلغنهُ حططنَ الاحمال وبعد ان يطاف عليهنَّ بالحلوى

والتانبول [١] يقمنَ وينصرفنَ ما خلا بعضاً منهنَّ يبقينَ لاجل ترتيب الاثاث في اماكنهِ . وفي اثنآء هذه المدة تقضي العروس نهارها وليلها بالبكآء ولا تاكل الا قليلاً (واذا لم تفعل كذلك قالوا انها مشؤومة أو عابوها بأمرٍ من الامور) .

واما العقد فلا يتم الا بنظر الطالع ويقرَّر لهُ ساعة معينة يقررها الشيخ الماهر أو المنلم وهو من الامور التي لا محيد عنها لاحد وان تزوج احد بدون ذلك واصابهُ حادث نُسِبَ الى مخالفتهِ لهذا الشرط . فاذا تقررت الساعة السعيدة أُحضر الشيخ العاقد وحضر الزوج مع من يريدهُ من خلانهِ وكذلك يحضر وكيل العروس بعد ان يستمع نطقها بالقبول من خلف باب فيُجري حينئذٍ الشيخ العقد وعند انتهآئهِ يطاف بالحلوى على الحضور ويعطى الشيخ شيئاً من الدراهم نظير تعبهِ وينصرفون

ثم انهُ اذا دنا يوم الزفاف فقبل ذلك بيوم أو يومين تجتمع المدعوَّات في بيت كلٍّ من العروسين ويداومون الغنآء والولائم للنسآء (لان وليمة الرجال تكون صباح ليلة الزفاف) ولعب المسَنْجا حتى اذا كان غروب يوم الزفاف تُزَيّن العروس بأجمل زينتها وتحملها خادمة على ظهرها وتسير بها والنسآءُ من حولها والخادمات حاملات القناديل على رؤوسهنَّ مشعلةً بالشموع وهنَّ يغنينَ ويزغردنَ الى ان يصلنَ الى بيت الزوج . وكذلك الزوج يدعو اصحابهُ ومعارفهُ ويدخلهم الى ردهة منزلتهِ وبعد ان يتكامل عدد المدعوّين يدخل اربع خادمات او اكثر الى عشر بيد واحدة منهنَّ مرشٌّ من الفضة

---

(١) هو ورق شجر هندي يخلط بنوع من الجوز يسمى فوفل وبالتبغ والجير ويمضغ وهو يستعمل في الهند وزنجبار واكثر البلاد الافريقية

أو الذهب أو من البلور مملوء من ماء الورد وبيد اخرى طست فتضع حاملة الطست طستها امام الزوج وترفع رجليهِ وتضعهما فيهِ وتتقدم صاحبة المرشّ وتصبّ ماء الورد على رجليهِ والثانية تفركهما وبقية الخادمات في يد كلٍّ منهنّ مروحةٌ تروّح الجالسين . وفي اثناء صبّ ماء الورد على رجلي الزوج تنشد الواحدة منهنّ اغنيّةً بلسانهم استهلالها ما ترجمتهُ « نغسل السيد بماء زمزم » واذ ذاك يقف احد الحضور ويخرج بعض رُبيّات يلقيها في الطست ثم يدور الطرح على الحضور حتى يتم وبعد هذا تخرج الخادمات بالطست وتدور الحلوى والقهوة ثم ينصرف المدعوّون وهم يدعون للعروسين بالرفاء والبنين (ستأتي البقية)

اللهب المتكلم

تقدم لنا في بعض اجزاء السنة الماضية ذكر اللهب الموسيقي وهو الذي تُستخرَج بهِ الانغام بواسطة الانابيب الزجاجية على ما مرّ تفصيلهُ هناك . وقد وقفنا الآن على ما هو اغرب من ذلك وهو اختراع آلةٍ تتكلم بواسطة اللهب فتنقل صوت الانسان بلفظهِ ومقاطعهِ على حدّ الفُونُغراف أو الفُوتُغرافُون وقد سميت هذه الآلة بالفُوتُغرافُوفُون

وهي تتألف من جهازين احدهما قابل أو مسجل يتلقى اثر الصوت ويقيّدهُ والآخر مؤدٍّ أو ممثّل يبرز اثر الصوت ويؤديهِ عند الاقتضاء . والاول مؤلف من خزانة مظلمة كالتي تستعمل لرسم الصور المتحركة يُثبَت في احد جدرانها بكرتان تدوران على محاورهما احداهما فوق الاخرى ويُلَفّ عليهما طرفا

عصابةٍ طويلة تتخذ من غشآءٍ حسّاس يتأثر بالنور كما تتأثر الصفائح الفوتغرافية . فاذا اريد اخذ رسم الصوت وُضع تجاه العصابة لهبٌ شديد الضيآء يُختار ان يكون لهب قوسٍ كهربآئية و يقف المتكلم امام هذا اللهب فاذا تكلم تموّج الهوآء بحركة الصوت فيضطرب اللهب وترتسم حركتهُ على العصابة التي امامهُ على شكل طرائق سودآء و بيضآء . وفي هذه الحال تدار احدى البكرتين ادارةً سريعة فتلتفّ العصابة عليها وتحلّ عن الاخرى و في اثنآء انحلالها تمرّ امام اللهب فتقع الطرائق متتابعةً عليها على حد ما يكون في رسم الصور المتحركة . ولكي يكون رسم هذه الطرائق تامّ الوضوح يستعان بعدسيّةٍ اسطوانية تجمع نور القوس على العصابة و بعد ان ترتسم عليها الاهتزازات تكشَف وتثبَّت كما تعالج زجاجات التصوير الشمسي

واما الجهاز المؤدّي فيتألف من فانوس مثل فانوس الصور المتحركة ويمكن ان يستعمل فيهِ الجهاز السابق نفسهُ بعد ان يحوَّل الى نوعٍ من الفوتوفون وهو آلةٌ تلفونيةٌ مبنيّةٌ على خاصيّةٍ من خصائص السيلينيوم وهو معدن شبيه بالكبريت تختلف قوة ايصالهِ للكهربآئية تبعاً لمقدار ما يقع عليهِ من النور . فاذا ارادوا احداث صوتٍ متقطع في التلفون وسّطوا هذا المعدن بين التلفون والرصيف الكهربآئي ثم سلطوا عليهِ شعاعاً من النور يقع عليهِ وقوعاً متقطعاً فيُحدِث في التلفون عملاً مطابقاً لحركة النور . فعند استعمال الجهاز المؤدّي المذكور تُجعَل العصابة المرسومة في موضعها منهُ و يوضع امامها مصباحٌ شديد الضيآء و يجعل السيلينيوم ورآءها ثم تُحَلّ فتمرّ متتابعةً امام المصباح وينفذ النور منها الى السيلينيوم بقوّة متقطعة أو متفاوتة شدةً

وضعفاً تبعاً لما يمرّ بهِ من الطرائق الشفافة والمظلمة فتختلف قوة المجرى الكهربائي الواصل الى التلفون ويصدر عنهُ الصوت مطابقاً للهيئة التي ارتسم بها على العصابة

السكك الحديدية في العالم

وقفت في احدى المجلات العلمية الفرنسوية على احصاء طويل للسكك الحديدية في العالم فاقتطفت منهُ الخلاصة الآتية

كان اول ظهور السكك الحديدية في انكلترا وذلك سنة ١٨٢٥ ثم ظهرت في فرنسا سنة ١٨٢٨ وفي اميركا سنة ١٨٢٩ وفي آسيا سنة ١٨٤٩ في الهند وفي استراليا سنة ١٨٥٤ في مستعمرة ڤكتوريا وفي افريقيا سنة ١٨٥٦ في مصر

ولم يكن في الارض من الخطوط الحديدية سنة ١٨٣٠ الا ٣٣٢ كيلومتراً فزادت في هذه السبعين سنة حتى صار فيها الآن ٧٩٤٫٠٠٠ كيلومتر وكان فيها

سنة	١٨٤٠	٨٫٦٤١ كيلومتراً	وسنة	١٨٧٠	٢٢١٫٩٨٠ كيلومتراً
وسنة	١٨٥٠	٣٩٫٤٤٣ »	وسنة	١٨٨٠	٣٦٧٫٨٥٥ »
وسنة	١٨٦٠	٢٠٦٫٨٨٦ »	وسنة	١٨٩٠	٨٠٦٫٨٢٨ »

واكثر القارات خطوطاً حديدية هي اميركا فانهُ يوجد فيها نحو ٤٠٠٫٠٠٠ كيلومتر أي اكثر من نصف خطوط الكرة الارضية كلها . ثم تأتي بعدها اوروپا وفيها ٢٨٥٫٠٠٠ كيلومتر ثم آسيا وفيها ٦٠٫٠٠٠ كيلومتر ثم افريقيا وفيها ٢١٫٠٠٠ كيلومتر واستراليا وفيها ٢١٫٠٠٠ كيلومتر .

اما الممالك فأغناها بالخطوط الحديدية هي الولايات المتحدة وفيها

٣٠٧،٠٠٠ كيلومتر ثم تأتي بعدها المانيا وفيها ٥١،٠٠٠ كيلومتر ثم روسيا وفيها ٤٦،٥٠٠ كيلومتر ثم فرنسا وفيها ٤٣،٠٠٠ ثم الهند الانكليزية وتوابعها وفيها ٤٠،٠٠٠ ثم النمسا والمجر وفيهما ٣٦،٥٠٠ ثم كندا وفيها ٢٨،٠٠٠

واذا اضفنا الى خطوط هذه الممالك خطوط مستعمراتها كان في الولايات المتحدة ٣١،٠٠٠ كيلومتر وفي انكلترا ومستعمراتها ١٣٧،٠٠٠ كيلومتر وفي مملكة روسيا ٥٤،٠٠٠ كيلومتر وفي فرنسا ومستعمراتها ٤٨،٧٠٠ كيلومتر

واما اكثر الممالك خطوطاً بالنسبة الى مساحتها فهي البلجيك وفيها ٢١ كيلومتراً لكل ١٠٠ كيلومتر مربع من الارض ثم انكلترا وارلندا وفيهما ١١ كيلومتراً للمساحة نفسها ثم المانيا وفيها ٩،٣ كيلومترات ثم هولندا وسويسرا وفيهما ٩ كيلومترات ثم فرنسا وفيها ٧،٦ كيلومترات ثم الولايات المتحدة وفيها ٩،٣ كيلومترات ثم روسيا وفيها ٠،٩ الكيلومتر ثم نروج وفيها ٠،٦ الكيلومتر

ثم ان اقرب الخطوط الحديدية من القطب الشمالي يوجد في اسوج ويتجاوز الدائرة القطبية الى جهة الشمال وهو الخط الذاهب من لوليا الى معادن جليّفارا الحديدية ويليهِ الخط الممتدّ من بطرسبرج الى أليابُرْج ثم الخط الذي يُمَدّ الآن في كلنديك

واما أبعد الخطوط عن خط الاستوآء الى جهة الجنوب فهي خطوط تَسْمانيا وزيلندا الجديدة واميركا الجنوبية واقربها من القطب الجنوبي الخط الواصل الى إنفركَرْجيل وكَمبلتُون في الطرف الجنوبي من زيلندا الجديدة ولكنهُ أبعد عن القطب الجنوبي من الخطوط السابقة عن القطب الشمالي

ويأتي بعده الخط الواصل الى ريُّوشو بوت من الجمهورية الفضية

واعظم نَفَق في كل الكرة الارضية هو نفق سان غُوتار في اوروبا طوله ١٥ كيلومتراً ويحفرون الآن نفقاً في سِمپلُون يبلغ طوله ١٨ كيلومتراً

وأعلى الخطوط الحديدية في اوروبا خط في سويسرا يمتد من زرمات الى كُرْنرغرات ويبلغ ارتفاعه ٣٠١٨ متراً وفي اميركا خط في المكسيك يبلغ علوه ٣٠٤١ متراً ويبلغ علو سكك حديد جبال دنْفَر وريوغرَنْد في الولايات المتحدة بين ٣١١٩ و٣٤٥٣ متراً ويبلغ بقرب مناجم بَلَكايُو في بوليفيا ٤١٥٢ متراً ويرتفع احد خطوط بُورتز دلكرُوزرا الى علو ٤٤٧٠ متراً ولكن أعلى خط حديدي في العالم هو الموجود في كلاَّو من الپيرو ويبلغ علوه ٤٧٧٤ متراً . انتهى　　فريد البرباري

حجر الزُجاج

هو من المصنوعات التي تمّ اختراعها من عهدٍ قريب يتخذون من الزجاج حجارةً للبناء يزينون بها جدران المنازل والابنية الفاخرة وتُصنَع هذه الحجارة من الزجاج المعطَّش(١) اي الذي قد أُذهِب ماؤُهُ وأُزيل شفوفهُ .

واول من تنبه لاحداث ذلك في الزجاج رِيُومُور احد علماء الطبيعيات من الفرنسيس من اهل القرن الثامن عشر فانهُ وجد ان الزجاج اذا بقي مدةً طويلة في حالة الذوبان يزول شفوفهُ شيئاً فشيئاً الى ان يذهب بتمامهِ فكان

(١) تعريب قولهم dévitrifié وهو من التعريب بما يصح ان يقوم مقام اللفظة لا بما هو مرادفٌ لها في الوضع

بعد ان يذيبهُ يتركهُ مدة اثنتي عشرة ساعة على درجة الحرارة نفسها ثم يبرّدهُ فيخرج شبيه المنظر بالخزف الصيني ويكتسب صلابةً شديدة بحيث اذا اقتُدح بهِ يوري شرراً . وقد اجتهد اهل الصناعة زمناً طويلاً ان يدخلوهُ في معاملهم فلم يجدوا الى ذلك سبيلاً لصعوبة علاجهِ وكثرة ما يقتضيهِ من نفقات الوقود حتى وُفّق الى ذلك المسيو غَرْشاي قيّم معمل الزجاج في سآن غُوبّين بعد ان اهتدى فيهِ الى طريقةٍ اسهل واقلّ نفقةً من طريقة ريومور

ومحصّل هذه الطريقة كما ذكرتها احدى المجلات الفرنسوية ان تؤخذ قِطَع الزجاج المكسّر من الواح وقوارير وغيرها فتُغسل ثم تُفرَغ في هاوَن فتُدَقّ حتى تصير جريشاً ناعماً ثم تغربل في غربالٍ مخصوص حتى يتميز كل حجمٍ منها وحدهُ . وبعد ذلك يُجعَل الناعم في قوالب من حديدٍ مُفرَغ وتوضع القوالب في تنّور مُوقَد وتُترَك هناك نحواً من ساعة بحيث تحمى تدريجاً فتفقد مادّة الزجاج كل ماء لها وتلين الحُبيبات الناعمة حتى تصير كلها عجينةً شديدة . واذ ذاك تُدخل القوالب في تنورٍ عالٍ تبلغ حرارتهُ ١٣٠٠ درجة ولكن لا تُترَك هناك الا بضع دقائق ثم تُنقَل الى المضغط المائي فتُضغط فيهِ ويحرَّر شكلها وبعد ذلك تبرَّد في تنّورٍ خاص وتُخرَج من القوالب الحديدية فتكون معدّة للاستعمال

وافضل الزجاج الذي تتخذ منهُ هذه الحجارة ما كان كثير الكلس والألومين والمغنيزيا وهو ما عليهِ زجاج القوارير والالواح . وقد امتُحنت متانتها فظهر انهُ اذا أُريد كسرها كان فيها قوّة لمقاومة ٢٠٢٣ كيلغراماً من

الثقل على كل سنتيمتر مربع مع ان اصلب المواد كالمحبَّب لا يحتمل اكثر من ٦٥٠ كيلغراماً . ثم امتُحنت بالاحتكاك ليُعلم مقدار صبرها على الاستعمال فلزَّت الى جانب رحىً شديدة السرعة فوُجدت ابطأ تأ كلاً من المرمر المعروف ببرفير سان رافائيل وهو من اصلب اصناف الرخام

اما ثمن هذه الحجارة فبالقياس الى رخص ثمن المواد التي تتخذ منها تباع بأرخص كثيراً من حجارة السِمِنْت أو الحجارة المنحوتة . وهي تستعمل في عدة اغراض واكثر استعمالها في تغشية الجدران وهي افضل ما تغشَّى بهِ لانهُ يمكن غسلها دائماً وقد امتُحنت في تبليط السكك فكانت فيما يقال غير مزُلِقة فضلاً عن انها امتن من سائر انواع الحجارة واقوى على احتمال جري العربات

متفرقات

النمر الابيض - هو ما لا يكاد يوجد لان النمر ابداً مرقَّط بنُمَر اي نُكَت مختلفة الالوان وبها سُمّي نَمِراً . لكن جاء في احدى المجلات الفرنسوية ذكر ثلاثة انمار بيض احدها قتلهُ الماجور روبنصن في پُونا وطولهُ ٣ امتار و ٥٥ سنتيمتراً . والثاني عُرِض جلدهُ في لندرا سنة ١٨٨٩ . والثالث قتلهُ غرِينش في أَسّام وهو فتيٌّ لا يزيد طولهُ على مترين و ٨٥ سنتيمتراً وشعرهُ تام البياض ولكن في جلدهِ اي تحت الشعر طرائق سوداء لا تظهر الا اذا بُلّ كثيراً

وصل بحر قزوين بالبحر الاسود - تنوي الحكومة الروسية ان تحفر ترعةً تصل بين بحر قزوين والبحر الاسود تسهيلاً لنقل الحاصلات التجارية من النفط والفحم والقطن وغيرها . وسيكون عرض هذه الترعة ٤٧ متراً وعمقها ستة امتار و ٨٠ سنتيميراً وقد عدّلت نفقتها بما يبلغ ١٦٠ مليون فرنك

كلمة من ٣٢ حرفاً — عثرنا في احدى المجلات على كلمة بهذا الهجاء Electrolickedisonintophitsaphone وهي اسم آلةٍ مخترعها رجل اميركاني زعم انهُ يحدث عنها كهربآئية كلقانية وتخرج شررًا وتستخدَم بمنزلة فانوس سحري وتصدر جميع الاصوات التي يريدها مستعملها وتتكلم كالمتكلم من جوفهِ . قلنا وبقي فيها معجزةٌ اخرى نسي ان يذكرها المخترع وهي انهُ لايستطيع احدٌ ان يلفظ اسمها بنَفَسٍ واحد

اسئلة واجوبتها

القاهرة - ارجو الاجابة عن هذين السؤالين

(١) جاءت في صفحة ٦٧٣ من السنة الاولى من ضيائكم الباهر هذه العبارة « ولعلهُ ادّى الى سأم بعض القرآء » وقد جآء في درة الغواص للحريري ان ذلك لايجوز لما فيهِ من التناقض لان معنى لعلّ التوقع وهو يكون فيما يأتي لا فيما قد مضى فما قولكم

(٢) هل يجوز استعمال لفظة « يتيم » للصغير الذي فقد ابويهِ كما رأيت ذلك في كلام بعضهم

محمد عبد الحميد
بمدرسة الطب

الجواب - اما مسئلة لعلّ فانها تأتي تارةً للتوقع وتارةً للشك وبهما فُسّر معناها في الصحاح في فصل العين وفصل اللام · ومتى كانت بمعنى الشك فلا يمتنع الاخبار عنها بالماضي اذ لا تناقض هناك كما لا يخفى وهو ما يتحصل من كلام الخفاجي على هذه المسئلة في شرحهِ على درة الغواص اخذاً عن ابن برّيّ وابن هشام · ومن امثلة ورودها مع الماضي قول الشاعر وهو من شواهد النحو

لعلك والموعود حقٌّ لقـاؤهُ بدا لك في تلك القَلوص بَداءُ

وقول الآخر وهو من شواهد النحو ايضاً

لعلّ الله فضّلكم علينـا بشيءٍ ان امكمُ شريمُ

وقول امرئ القيس

وبُدّلتُ قرحاً دامياً بعد صحةٍ لعلّ امانينا تحولنَ ابؤُسا

وفي الحديث وما يدريك لعل الله اطّلع على اهل بدر ·· والشواهد على ذلك كثيرة فلا نطيل باستقرآئها

واما مسئلة اليتيم فقالوا انهُ يقال في الناس لمن فقد اباهُ وفي الحيوان لما فقد امهُ فان اريد النص على انهُ فقد اباهُ وامهُ قيل فيه لطيم فان ماتت عنهُ امهُ وهو رضيع سوآء كان حيواناً أم انساناً فعُلّل بلبن غير امهِ أو بشيءٍ آخر قيل فيهِ عجيٌّ وزان صبيّ وقد عاجيتُ الصبيَّ اذا أرضعتهُ بلبن غير امهِ او منعتهُ اللبن وغذيتهُ بالطعام

القاهرة — تأذنون لي ان اسألكم عن اشيآء رأيتها في كتاب اقرب

الموارد للآباء اليسوعيين وان كنتم ولا ريب قد ضجرتم من كتب هؤلاء الآباء لكثرة ما يردكم من الاستفهام عن اغلاطها . على اني ابحث الآن عن نسخةٍ من محيط المحيط حتى اذا ظفرت بها لم اتوقف ان اضرب بكتابهم عرض الحائط

اما الاشياء التي اريد السؤال عنها فقد جاء في مادة (ح ب ق) « الحَبِق الرُدام وهو الرجل لا خير فيهِ ومنهُ « لهم حَبِقٌ والسور بيني وبينهم » فاني لم افهم كيف يستقيم ان يكون الحبِق في هذا الشطر بمعنى « الرجل لا خير فيهِ » والا فالشاعر يخلط

وفي مادة (ق ر ق ر) « قالت لهُ ريح الصبا قَرْقارِ اي قالت لهُ قرقر بالرعد كانهُ يأمر السحاب بذلك » . فلمن يرجع الضمير من قولهِ يأمر

وفي مادة (ف ق أ) « وفقأ فلانٌ ناظريهِ اذهب غضبهُ » كيف يفقأ الانسان عينيهِ ليُذهب غضبهُ « وبأيّ ... عقلٍ يتكلم المؤلف هنا »

عبده داود

الجواب — اما قولهُ « الحَبِق الرُدام » فهي عبارة محيط المحيط ويريد بالحَبِق مصدر « حَبَق العنز » الذي افتتح بهِ المؤلف هذه المادّة... والرُدام مصدر « رَدَم فلانٌ » الذي ذكرهُ في موضعهِ وفسرهُ بحَبَق وهو مقصود الشاعر يرمي اعداءهُ بالجبن حتى خافوا منهُ وبينهُ وبينهم السور يمنعهُ من الوصول اليهم . واما قولهُ « كانهُ يأمر السحاب » فصوابهُ « كانها تأمر » والضمير لريح الصبا . واما قولهُ « فقأ فلانٌ ناظريهِ » فمن غريب الفهم وعبارة القاموس « فقأ العين والبثرة ونحوهما كسرها وقلعها ...

وناظريهِ اذهب غضبهُ » يريد وفقأ الرجل ناظرَي خصمهِ مثلاً كناية عن قهرهِ كما يقال ارغم انفهُ فالضمير في فقأ لواحد ومن ناظريهِ لآخر كما هو ظاهر ولكن المؤلف زاد بعد « فقأ » قوله « فلان » وحينئذٍ تعيَّن بحسب التركيب ان يكون هو مرجع الضمير من « ناظريهِ » ففسد المعنى حتى جآء كما رأيتموهُ خارجاً عن المعقول ...

آثار ادبيّة

رسالة الشيرازي في علم الاخلاق ـ عني بطبع هذه الرسالة حضرة الفاضل عبد الحليم افندي صالح المحامي وهي رسالة غزيرة الفوائد اثيرة العوائد تشتمل على بيان فضائل النفس وملكات الخير واضدادها مع الحض على التزام الاولى واجتناب الثانية وفيها كثيرٌ من النصائح الحكمية والاقوال الجارية مجرى الامثال مما يُنتفع بهِ ويُتأدب عليهِ

وقد صدّرها بمقدمة تمهيدية ذكر فيها اقوال الحكمآء في فلسفة الاخلاق وكيفية اكتساب الخيّر منها فأجاد فيها وافاد . والرسالة تقع في ٨٠ صفحة متوسطة وثمنها ثلاثة غروش مصرية

الانصاف في التنبيه على الاسباب التي اوجبت الاختلاف بين المسلمين في آرآئهم ـ هذا الكتاب من تأليف الامام ابي محمد عبد الله ابن السيد البطليوسي ذكر فيهِ اسباب الاختلاف المذكور وحصرها في ثمانية اوجه

ترجع الى كيفية تفهُّم عبارة التنزيل أو السنَّة وطريقة تحمُّلهما وقد فصّل تلك الاوجه تفصيلاً بديعاً دلّ على غزارة علمٍ وطول باع فجآء كتاباً جليلاً يتضمن فوائد لا تُحصى في اللغة والادب فضلاً عن الغرض المقصود منهُ

وقد عني بطبع هذا الكتاب حضرة الفاضل الشيخ احمد عمر المحمصاني البيروتي الازهري وتولى تصحيحهُ وضبط كلماتهِ وشرح ما جاء فيهِ من الابيات الشعرية مع ردّ كل بيتٍ الى قائلهِ وذكر ترجمتهِ مما اقتضى ولا شك بحثاً طويلاً وعنآءً جزيلاً فاستحق بذلك جزيل الشكر وجميل الاجر

تعاليم جمعية الجزويت الخفيَّة — انتهت الينا نسخةٌ من رسالةٍ بهذا العنوان مترجمة الى العربية بقلم حضرة الاديب محمد افندي ثريّا وقد افتتح الترجمة بمقدّمةٍ ذكر فيها من تاريخ هذه النسخة انها وُجدت في مكتبة احد الرهبان اليسوعيين في مدينة پراغ عاصمة بوهيميا في اثنآء بعض المصادرات التي وقعت عليهم فتُرجمت من اللاتينية الى الالمانية ومنها الى التركية ومن التركية الى العربية

ونحن الآن نطوي كشحاً عن الكلام في مضمون هذه الرسالة الى ان نستثبت صحة نسبتها اليهم وان كان اكثرها يشفّ عما تتناقلهُ الالسنة من اعمالهم وتثبتهُ شهادة التاريخ واحكام الملوك والبابوات ولعلنا نعود الى نشر شيءٍ منها مع ردّ الحكم فيها الى جمهور القرآء والله المسؤول ان يكفي بلادنا شرّ الاجنبيّ فقد تضمن الشرق من الفساد ما كفاهُ

فكاهات

الشَبَح

يؤلف ضباط الانكليز حيث حلوا اندية تكون لهم بمثابة بيوت يتناولون فيها طعامهم ويقضون اوقاتهم بالالعاب والقرآءة والكتابة الى غير ذلك مما يعنّ لهم فيجتمع منهم عددٌ كبير يكون بمنزلة اهل بيت واحد مدة اقامتهم في الجيش . فحدث ان بعض الضباط منهم اجتمعوا ليلةً في احد هذه الاندية بمدينة لندن و بعد ان تعشوا دخلوا غرفة الجلوس فاخذ بعضهم في التدخين ومطالعة الجرائد وغيرهم في بعض الالعاب كالشطرنج والورق وتشاغل آخرون بالمحادثة والسمر وقد تألبوا حول واحدٍ منهم كان يطرفهم بضروب الاخبار والاحاديث والروايات الغريبة حتى اجتلب بقية الحاضرين اليهِ فانصرفوا لسماعهِ وتجمعوا حولهُ كالحلقة . وجرى في بعض احاديثهِ ذكر الاشباح التي يزعم بعضهم انها تُرى في المساكن المهجورة او بين القبور والخيالات الليلية التي تسطو على منازل السكان فتملأ قلوبهم رعباً وهولاً وتطردهم من منازلهم فأخذ كلٌّ من الحاضرين يروي ما عندهُ من الاخبار في ذلك وكان بينهم فتى حلو الشمائل جريء القلب تتدفق من وجههِ الجميل علائم النضارة وقوة الشباب يدعى ريشارد فضحك من رفاقهِ وزعمهم وقال انهُ لا يصدق بوجود مثل هذه الارواح وانها ليست الا خزعبلاتٍ صبيانية او اوهاماً تسطو على عقول الضعفاء ولا يصدقها الا الجبناء او ناقصو الادراك . وكان الضابط الاول خطيب الجلسة ممن يعتقدون بظهور هذه الارواح فجعل يبرهن على حقيقة ذلك و يعارضهُ ريشارد ثم علا بين الجماعة اللغط واشتبك الجدال فأسكت الخطيب الجلسة وقال ما انا ولكثرة الكلام فاسمعوا لي اروي لكم حادثة حقيقية جرت في وقتنا هذا ولا تزال

---

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

مطروحة لفحص من شآء ممن يعتقدون الخلاف

كان في هذه المدينة من عهدٍ غير بعيد فتى اسمهُ جون توفي والداهُ عن ثروةٍ طائلة وغنىً وافر يقدَّر دخلهُ بالملايين . ولم يكن جون في احتياجٍ الى تعاطي الاشغال فعكف على الملاهي والمسرات الادبية ولم يكن في سيرتهِ ما يوجب أقل انتقادٍ على تصرفاتهِ سوى انهُ كان لا يحرم نفسهُ شيئاً من الملذات التي سهلها لهُ غناهُ

وتعرَّف جون بابنة احد وجهاء المدينة واسمها أليس وكانت فتاة جميلة الصورة فاحبها حبًّا شديدًا وعزم على الاقتران بها . وما صدَّق والداها ان سمعا برغبتهِ هذه حتى بذلا جهدهما في تحقيقها طمعاً بغنى جون وقد تاكدا ان ابنتهما ستكون معهُ اسعد من ملكةٍ تُحسد على هذه النعمة وتقضي حياتها في تمام الراحة والسرور . وكانت أليس قبل ان تتعرف بجون قد علقت بحب فتى من أقربآئها جميل المنظر تامّ الظرف والادب سوى انهُ لم يكن من اصحاب الثروة فأبت ان تقبل طلب جون وردَّت لهُ محبتهُ رغبةً في الحصول على حبيبها الاول . وما كاد والداها يتحققان ذلك حتى قامت قيامتهما شأن من يرى السعادة في الغنى وجعلا يضطهدان ابنتهما ويحاولان اكراهها على سلوّ حبيبها والقبول بجون تارةً بالوعد وتارةً بالوعيد حتى اصبحت حياة الفتاة عذابًا مستمرًّا وبيتها سجناً وسرورها شقآء . وبعد ان قاست من اصناف العذاب ما لا يطاق ولم ترَ لها راحماً او مجيرًا وتاكدت خلوّ قلب والدتها من الشفقة وابيها من الرحمة اجابتهما الى ما ارادا ووعدت بقبولها جون بعلاً لها وتوسلت اليهما بعد وعدها هذا ان لا يمنعاها من مواجهة حبيبها الاول لتبلغهُ الامر بالتدريج وتتمكن من استئصال جراثيم حبها شيئاً فشيئاً . واذ كانا على ثقةٍ من وعدها أذنا لها في ذلك وكانا يترصدان اعمالها ويراقبان حركاتها

ولما بلغ جون خبر رضى أليس عنهُ وتاكد نيل بغيتهِ طار فرحاً وانشرح صدرهُ وشعر انهُ قد امتلك ناصية الكون وادرك اوج السعادة . فانهالت على أليس ووالديها منهُ الهدايا الثمينة والتحف والجواهر وهو لا يدري باية طريقة يعرب عن سرورهِ

ويقابل هذه النعمة العظيمة التي هبطت عليهِ . وابى ان يستقبل عروسهُ في منزلهِ الحالي فرأى ان الاوفق لمقامها ان يبني لها منزلاً جديدًا يليق بهذا الملَك المترفع عن طينة البشر وللحال اوعز الى وكيل مالهِ فابتاع لهُ ارضاً في احسن جهات المدينة وبنى فيهِ قصرًا باذخاً جميل الهندسة متقن البناء وهو لا يبني فيهِ حجرًا او يمدّ رواقاً قبل ان يستشير أليس ويحصل على موافقتها ليكون بيتها على وفاق رغبتها فلا ترى فيهِ الا ما يسرّها . ولما كمل بناء البيت عاد الى فرشهِ بافخر الرياش واثمن المنقول وكانت اليس تحضر بنفسها بناءً على طلبهِ فتأمر وتحكم في انتقاء الوان الاثاث ونسيج الاطالس والحرائر وقسم البيت الى اقسام شرقية وغربية جعل في الاولى بناءهُ ومفروشاتهِ كبيوت الخلفاء الاولين ستائرهُ مرصعة بالاحجار الثمينة وبلاطهُ مغطى بافخر انواع الطنافس وفي عرصته بحيرة صغيرة قام في وسطها اسدٌ من المرمر تتدفق المياه من بين شدقيهِ. وجعل القسم الثاني كبيوت ملوك فرنسا القدماء بكامل زينتهِ ومعداتهِ وكان ينتظر سرعة اتمام ذلك ليحضر عروسهُ اليهِ ويتشاطرا سعادة الحياة ورغد العيش

وتمت جميع هذه الاستعدادات على ما يرام وقبل حلول يوم الفرح عزم جون ان يغيب يومين يذهب في اثنائهما الى باريز لاستحضار بعض الجواهر والمصوغات التي يودّ ان يقدّمها الى عروسهِ يوم عرسها وترك بيتهُ الجديد في عهدة أليس علها ترى في غيابهِ ما يحتاج الى الاصلاح او الابدال

وفي ثاني يوم غيابهِ ذهبت أليس الى القصر الجديد كعادتها غير ان زيارتها هذه المرة لم تكن بقصد النظر في شؤون المنزل ولكنها كانت قد طلبت من حبيبها الاول ان يوافيها الى هناك لتجتمع بهِ على انفرادٍ وتكلمهُ في بعض الشؤون المهمة . وما بلغت حديقة القصر حتى رأتهُ في انتظارها فتأبطت ذراعهُ ودخلت بهِ الى داخل القصر فجلس الاثنان على تلك الطنافس الحريرية وجعلا يتفرسان كلّ واحدٍ منهما في صاحبهِ وهما في سكوتٍ تام تنوب فيهِ اعينهما عن الكلام وانفاسهما عن الشكوى . وبعد بضع دقائق وثبا كانهما تماثيل تحركها الاسلاك الكهربائية واعتنقا معاً

ثم جلسا وكل واحدٍ منهما بين ذراعي الآخر لا ينطقان ببنت شفة ولا يسمع في تلك الردهة الواسعة سوى خفقان قلبيهما وشهيق روحيهما المتألمتين من عوامل الحب المقضيّ عليهِ . ثم نظرت أليس الى وجه حبيبها وجعلت تمسح دموعهُ باكمامها وقالت لهُ ألم تتمكن من بغضي بعد يا جورج

قال علم الله يا أليس انني منذ مقابلتنا الاخيرة اجتهد في ان اتصوَّركِ باقبح الصفات واستصرخ القوات السماوية والارضية على جعلكِ مكروهةً في عينيَّ واستئصال حبكِ من قلبي فلم ارَ لي معيناً ولا راحماً بل كان حبكِ تتوطد دعائمهُ في قلبي ويزيد ولهي وهيامي فلماذا عرفتكِ بل لماذا حييت وما الذي ارتجيهِ من وجودي وما هي آمالي بعد الآن . اني لا ارى الارض امامي الا قاعاً صفصفاً واطلالاً خربة ولذلك فقد صممت على . . . ولكن آه . . . يا الهي كن معيني

وكانت زفرات أليس تقطع صدرها فطوقت عنق حبيبها وقالت لهُ اما انا يا جورج فقد سحق الشقآء قلبي وكسرت المصائب نفسي وقد طالما بكيت واشتكيت على تحجر والدتي واسترحمتها و برهنت لها ان سعادة المرء في يدي حبيبهِ الذي يميل اليهِ وليست في الدنانير الخرسآء وبكيت امام والدي وتوسلت اليهِ ان يرحم حياتي ولا يزج بنضارة شبابي في سجنٍ هو عذاب حياتي فلم يجبياني الا بالنفور والشتائم وهما يقولان انني جاهلة لا اعرف خير نفسي وانهما والداي والمسؤولان عن سعادتي فعليَّ ان اتكل عليهما في تأسيس دعائمها . ولا اكسر قلبك ايها الحبيب بتعداد العذابات التي لقيتها منهما ولا الاعمال التي تنفر ضواري الغابات من الافتكار بمثلها ولا العيشة التي لا يعامل برابرة افريقيا اسراهم بمثلها فلما لم يعد في وسعي الاحتمال وخشيت ان تصل اذيتهما اليك ايضاً قبلت بما جرى ووعدتهما بالانقياد لامرهما وانا ارجو الله الذي لم يبقَ لي سواهُ ان يوجد لي الخلاص من حيث لا اعلم في مدة انتظار يوم العرس . ولكن وا اسفاه قد اصمّت السمآء آذانها عن صوت تضرعاتي ايضاً وسيكون العرس غداً ولكن هيهات ان يضمّ جسدي وجون مضجعٌ واحد او يطبق الليل جفنهُ على شخصينا . فقد دعوتك الآن

لاودّعك الوداع الاخير لانني صممت على الانتحار

فصاح جورج وقد اخذ منهُ الدهش — الانتحار ؟ . . .

قالت نعم الانتحار فلا تحاول تغيير عزمي ولا تطل الجدال فاني انتظر قدوم جون قريباً فيجب اتمام الامر قبل مجيئهِ . اني استدعيتك لتحضر لي سماً اتجرعهُ في هذه الليلة فاياك من الممانعة واياك من الاعتذار فاذا كنت تحبني فافعل واشفق على صباي فعاجلهُ براحة الموت قبل دخولهِ في سجن الهاوية المخيف المفتوح امامي .

فقال جورج لا احاول ممانعتكِ ايتها المفدّاة ولكنني اعجب من توارد الخواطر فانني انا ايضاً قد صممت على الانتحار قبل ان اراكِ في يدي غيري وقد استحضرت هذه الزجاجة (واخرجها من جيبهِ) ففيها سمٌّ يميت لساعتهِ وقبل ان اتجرعهُ جآءني رسولكِ فجئت لاودّعك قبل هذا الرحيل

ثم فتح جورج الزجاجة وادناها من فيهِ فابتلع منها بعض قطرات واذا بأليس قد هجمت عليهِ فانتزعتها منهُ وقالت كلا لن تموت أنت فان الارض لا تزال باسمةً لك وحظك فيها سعيد بل انا التي اطلب الموت وانا التي ينبغي لي ثم ابتعدت عنهُ وافرغت الزجاجة في فمها وسقطت الى كرسيٍ بالقرب منها

وللحال فُتح باب الغرفة ودخل منهُ جون واصفرار الموت مرتسمٌ على وجههِ .

وكان السبب في قدومهِ انهُ فرغ من عملهِ في باريز وعاد الى منزلهِ فلما بلغهُ رأى أليس وجورج داخلين اليهِ كما اسلفنا فتعجب من ذلك ودخل ورآءهما من بابٍ سرّي ثم كمن ورآء باب الغرفة التي جلسا فيها فسمع ما دار بينهما وكان يودّ ان يدخل قبل حصول تلك النتيجة المحزنة ولكن استولى عليهِ الحنق من جهة والتعجب والذهول من أخرى فبقي في مكانهِ كالمسحور لا يستطيع ان يتحرك ولا ان يتكلم حتى اذا اخذت اليس الزجاجة وشربتها هاج دمهُ ودخل كما تقدم ورأى انهُ قد قضي الامر مع أليس فتوجه الى جورج يوسعهُ شتماً وتوبيخاً ثم استلّ خنجراً وقال لهُ لا بد لك من اجرةٍ على ما فعلت فقد سممتَ زوجتي ولكنك لن تذهب بدون جائزة فدونك هذه . . .

وللحال وثبت أليس من مكانها وقالت خف غضب الله يا جون وامسك يدك فليس على جورج ذنب وانما انا المذنبة ولا شك انك تكون علمت ما الجاني الى هذه الفعلة ولكنها اوفق لكلينا من ان نعيش معاً في عذاب مستمر . ولكنها قبل ان تتم كلامها وقبل ان تصل ذراعاها لردّ جون عما نوى ان يفعل كان قد اغمد خنجرهُ ثلاثاً في صدر جورج وسقط هذا الى الارض يجود بروحهِ . وكان السمّ قد فعل في جسم أليس فتشنجت اعصابها وجعلت ترتجف وتتلوَّى ثم سقطت بجانب حبيبها واسلمت الروح

و بعد هذه الحوادث انقطع جون عن العالم وحبس نفسهُ في منزلهِ ولكنهُ كان كلما انتصف الليل يستيقظ على صياح شديد فيرى شبح جورج المقتول هاجماً عليهِ قاصداً الاخذ بثأرهِ والدم يتدفق من جراحهِ ثم يرى شبح أليس مهرولةً وهي مادة ذراعيها تستغيث بهِ وتتوسل اليهِ ان لا يقتل حبيبها . وكانت هذه الاشباح تزور جون في كل ليلة فتحرمهُ النوم وتذيقهُ العذاب الشديد حتى امتنع عن الطعام واضطر اخيراً ان يهجر قصرهُ وينتقل الى محلٍ آخر . وقد رغب كثيرون في استئجار القصر ولكنهم كانوا لا ينامون فيهِ الليلة الاولى حتى يتركوهُ في الصباح الثاني بعد ان تكون ظهرت لهم الاشباح المذكورة ورعبت قلوبهم . وجرب كثيرون ممن لا يعتقدون بالارواح ان يناموا في ذلك المكان ولكنهُ لم يستطع احدٌ قط ان يبيت فيهِ ليلتين بعد ان يرى الاشباح وتكلمهُ في الليلة الاولى وقد ذاع صيت المحل حتى هجرهُ الجميع وهو الآن مقفلٌ لا يجسر احد على الدنو منهُ

ولما انهى الضابط روايتهُ هذه و برهن على صدقها واثبت كلامهُ بقيت رفاقهِ نهض ريشارد فقال اما انا فلن اصدق مثل هذه الاخبار البتة وسأذهب غداً وانام في القصر الذي تكلمتم عنهُ فاذا رأيت الاشباح حقيقةً قدمت لها ولكم اعتذاري وآمنت بها والا علمتم ان كل ما ترونهُ ليس الا من الخرافات العجائزية . فاكبر الضباط عزم ريشارد وحاولوا ان يمنعوهُ عن قصدهِ فلم يزدد الا تمسكاً بهِ ولما يئسوا من اقناعهِ سلموا الامر لهُ واقام الجميع ينتظرون مساء الغد ليروا ماذا سيكون

وفي الصباح ذاكروا وكيل القصر في استئجارهِ فسلمهم مفاتيحه فاعطوها لريشارد لينام ليلتهُ فيهِ . اما ريشارد فلما تحقق الامر خامرهُ شيءٌ من الريب وكانت تتناوبهُ افكارٌ مزعجة وهو يجتهد في صرفها عنهُ ولكنهُ كان يشعر بصوتٍ خفي يقول لهُ وما ادراك ان لا صحة لما يؤكدهُ الكثيرون بل كيف تحكم ان الارواح والاشباح لا وجود لها . فصار من جهة يشتهي ان يمضي الوقت سريعاً وينتهي من ذلك الاختبار ومن الجهة الاخرى يلوم نفسهُ لتعرضهِ لهذا الخطر . وخوفاً من ازدراء رفقائهِ كتم امرهُ واخفى ما بهِ وجعل يسايرهم وقد عمد الى الشراب ليسكن بهِ مخاوفهُ فما امسى المساء حتى دبت الخمرة في رأسهِ ونبههُ رفقاؤهُ الى اقتراب الساعة فتأبط زجاجةً من الوسكي وسار واياهم حتى بلغوا القصر فادخلوهُ واقفلوا عليهِ من الخارج ورجعوا ينتظرون الصباح

ولما دخل ريشارد القصر انار مصباحاً وجعل يتفقد جميع غرفهِ ودهاليزهِ فلم يرَ فيها شيئاً ثم تجسس الابواب والنوافذ والخزائن وكل محتويات القصر ولما تأكد ان الطمأنينة والسكوت سائدان فيهِ دخل الغرفة المعهودة وفيها السرير الذي سينام عليهِ فخلع ثيابهُ ثم عمد الى زجاجة الوسكي واخذ يشرب منها حتى اتى على آخرها ثم اطفأ مصباحهُ وتوجه الى سريرهِ لينام وبعد ذلك لم يعد يعلم شيئاً

ولما انبلج الصباح اجتمع الضباط في ناديهم حسب الاتفاق وساروا الى القصر وكلٌّ يفكر في ما عساهُ ان يلاقي هناك وهل تكون نتيجة ذلك الامتحان مما يؤيد قولهم او قول ريشارد . فلما بلغوا القصر وفتحوا ابوابهُ دخلوا وهم مترددو الافكار حتى بلغوا سلماً يؤدي الى الطبقة العليا فرأوا ريشارد مطروحاً على الارض وفي يديهِ ورأسهِ عدة جروح قد سال منها الدم وجمد عليها فخالوهُ ميتاً لو لم يتحققوا تنفسهُ الثقيل المنبعث من صدرهِ كمن صادف انزعاجاً عظيماً . فاجتمعوا حولهُ وجعلوا يستعملون لهُ الوسائط القريبة حتى افاق ولما رآهم اطرق الى الارض بخجلٍ وقال اعذروني فاني الآن اصدق ما قلتم واعتقد بالارواح . قالوا وهل رأيتَ الشبح . قال نعم رأيتهُ وقد قضيت ليلتي واياهُ في حربٍ عظيمة هذه آثارها . ولكن اياكم والذهاب الى

تلك الغرفة لانني اعتقد انهُ لا يزال فيها وقد سمعتهُ يقول انهُ اذا تجاسر احدٌ بعد على اقلاق راحتهِ فهو لا يبقي عليهِ . ولما كان الجميع متشوقين الى استماع تفصيل الخبر اخذهم ريشارد الى غرفةٍ مجاورة وجعل يقص عليهم حديثهُ فقال . لما تحققت خلوَّ المكان مما يكدر الراحة اطفأت مصباحي وذهبت الى سريري وقبل ان اصل اليهِ سمعت صوتًا خفيفًا فنظرت حولي واذا بشبح رجلٍ قد انتصب امامي خارجًا من الحائط فوقفت امامهُ وقلت لهُ هيهات انني لا اخاف من الاشباح ولا اعتقد بوجودها وان كنت حقيقةً موجودًا فاني انصح لك ان تنصرف من هنا والا اغمدت خنجري في صدرك . ولكن لم تؤثر كلماتي في مسمع الشبح المذكور بل نظر اليَّ نظرةً رعبتني ورأيتهُ يتقدم الى جهتي فعزمت اذ ذاك ان اعاملهُ بالقوة فاخرجت خنجري ووثبت اليهِ فطعنتهُ طعنةً شديدة في صدرهِ بلغ من قوتها ان دخل خنجري في عظامهِ ولم اعد اتمكن من استخراجهِ فصاح الشبح بصوتٍ مزعج . ولكن الغريب ان الضربة لم تؤثر فيهِ وبقي واقفًا امامي ينظر اليَّ تلك النظرة الجامدة المخيفة التي لا تبرح من امام مخيلتي . وكنت لا اجسر ان احوّل نظري عنهُ ولكنني رأيت بطرَف عيني شبح الفتاة قد جاءَت من زاوية الغرفة فمدت ذراعيها وصاحت بصوتٍ يخترق العظام . واذ ذاك استولى عليَّ رعبٌ شديد وصممت ان لا ابيع نفسي رخيصةً فهجمت على الشبح الاول فوجدت جسمهُ بين يديَّ كقطع الزجاج فجعلت اصارعه ويصارعني ودام الحال بيننا مدةً وقعت في اثنائها مرارًا كثيرة وزاد تعجبي ان الشبح المذكور كان لا يتقدم اليَّ اذا سقطت ويختفي من امامي فلا يعود الا متى وقفت على رجليَّ . وآخر ما اعلمهُ من امري ذلك الصراع المستمرّ ثم غبت عن رشادي الى ان جئتم اليَّ وانا لا اعرف شيئًا غير ما ذكرت . فتعجب القوم من خبرهِ وابرقت اسرتهم لفوزهم عليهِ بهذا الاعتقاد . ثم جعلوا يشجعون بعضهم بعضًا على زيارة تلك الغرفة علهم يجدون فيها شيئًا من آثار الشبحين المذكورين . وبعد اللتيا والتي ساروا جميعًا والخوف يؤخر خطواتهم حتى بلغوا الغرفة ولما صاروا في وسطها لم يروا شيئًا ولكن ادرك الجميع الحقيقة بلمحةٍ واحدة وجعل كلٌّ يخفي وجههُ حياءً

من الآخرين

وكانت الحقيقة ان لا اشباح ولا ارواح في المحل ولم يكن امن امر ريشارد الا مثل ما كان من امر جون مجرد تصور واضطراب افكار فانهُ لما تقدم الى سريرهِ لينام وكانت تلك الليلة ليلةً مقمرة وقد دخل نور القمر الضعيف من خلل نسيج الستائر حانت منهُ التفاتة الى جهة الحائط فنظر خيالهُ في مرآةٍ كبيرة وزين لهُ السكر والوهم انهُ يرى شبحاً فكان ما كان ورأوا خنجرهُ مغروزاً في خشب المرآة الى الحائط وكان الصوت الاول الذي سمعهُ تكسر ذلك الزجاج . اما شبح الفتاة فكان انهُ من اضطرابهِ عند خلع ثيابهِ قد علقت يدهُ بستائر النافذة البيضاء فلما هجم على الشبح سحب الستائر معهُ فتمزقت وصدر عنها الصوت الثاني . وكانت الجراح في رأسهِ ويديهِ من مصارعتهِ لخيالهِ وقبضهِ على الزجاج المتكسر . وظهر ان الرعب الذي استولى عليهِ جعلهُ يترك الغرفة خوفاً فما بلغ السلم حتى ادركهُ التعب وخانتهُ قواهُ على اثر تلك المجاهدة مع تأثير الوسكي فسقط على الارض ونام

ولما وضحت جلية الامر للضباط خرجوا من ذلك المحل وهم خجلون من ريشارد بعد ان اظهرت الحقيقة فساد زعمهم ودلت على جبانتهم وخوفهم . وكان ريشارد يخجل منهم لما ظهر من ضعف قلبهِ وعدم تثبتهِ ولو تبين اخيراً انهُ كان هو المصيب في اعتقادهِ

ولم يمضِ على هذه الحادثة الا بضعة ايام حتى انتشر خبر الاشباح وريشارد وبلغ سماع جون صاحب القصر فتحقق الآخر ايضاً ان بيتهُ غير مسكون بالارواح وان ما رآهُ في لياليهِ الاول لم يكن سوى الاوهام وصوت الضمير الذي سطا عليهِ بعد مقتل جورج وأليس فعاد الى قصرهِ وسكن فيهِ آمناً . وكان ذلك مما حقق لجميع اصحاب الاوهام ان لا وجود للارواح وان كل ما يقال من هذا القبيل ليس الا وساوس عارية عن الحقيقة

الجزويتية والطرائق الاسلامية

ما زال الجزويت منذ نشأت جمعيتهم موضع حيرةٍ لافكار ذوي الالباب ومثاراً للريب في نفوس ارباب السياسة ومبعثاً للقلق بين اصحاب الاديان ومرمىً للسخط من جانب اولي الرئاسة والسلطان وقد تجرّد كثيرون من اكابر علماء اوربا ودُهاتها للكشف عن كُنه هذه الجمعية وسرّ نشأتها والغاية التي تجري اليها فتفرّقوا في امرها طرائق واحزاباً وقد تشكلت لهم مناظرها وتغوّلت اشباحها فتمثّل فيها لكل ناظرٍ صورة وتخيَّل منها لكل مقلةٍ شبح واصبح القادح فيها والناضح عنها كلاهما راكب عمياء أو خابط ليلةٍ ليلاء . وقد وقفنا في مجلة المجلات الفرنسوية على مقالةٍ للمسيو ڤكتور شربُونَيل بحث فيها بحثاً تاريخيًّا استقصى فيه مبدأ هذه الجمعية من اول نشءٍ ظهر منها في سماء التصوُّر الى ان سال سيلها في البلاد فرأينا ان نجعلها طُرفةً لقرآء الضيآء لما فيها من الغرابة وما تضمنتهُ من دقة البحث واهميتهِ مما يتشوق كل مطالع الى الوقوف عليهِ وهذا ملخص ما جاء في تلك المقالة نوردهُ بتصرفٍ قليل

وُلد اغناطيوس لوَيُولا زعيم الجزويت وواضع طريقتهم سنة ١٤٩١ وكان مولدهُ في القصر المعروف بقصر لويولا وهو قصرٌ قديم في بسكايا من بلاد اسپانيا واليهِ نسبتهُ . ودخل في اول امرهِ في الجندية فجُرح في احدى المواقع الحربية سنة ١٥٢١ في حصار مدينة پمپلُون فنقِل الى لويولا واقام هناك الى ان برأ من جرحهِ . واتفق في تلك المدة ان وقع في يدهِ بعض

الكتب الروحية فاكبَّ على مطالعتها فنشأ عنده ُ ميلٌ الى الامور الدينية وكان بسبب ذلك الجرح قد اصابهُ عطبٌ في احدى رجليهِ منعهُ من العود الى خدمة الجندية فنذر على نفسهِ ان يتجرد بقية حياتهِ لخدمة الدين

ولما تمَّ برؤهُ نهض فانطلق الى دير الرهبان البَندِكتان في الجبل المسمى بمُونْسرّا فزار هناك كنيسة العذرآء وعلّق فيها خنجرهُ وسيفهُ ثم اعتزل الى مغارةٍ في مَنْرِيزا وهي مدينةٌ بحيال ذلك الجبل نخلا فيها مدةً قضاها في التوبة والقنوت

وكان في اواخر القرن الخامس عشر واوئل السادس عشر قد بقي في اسپانيا عددٌ كبير من العرب وكانت العامّة من الاسپنيول وطبقة الاصاغر من السراة يودّون اخراجهم من البلاد و بعكسهم طبقة الكبرآء من سراة الدولة فان كثيرين منهم كانوا مصاهرين لهم فضمنوا لهم الامان في البرّ والبحر وكذلك شرلكان كان قد أمّنهم بشرط ان يدينوا لشرائع البلاد التي تحت سلطانهِ وذلك قبل سنة ١٥٢٤ وهي السنة التي امر فيها باجلآئهم من البلاد بعد عرضهم على ديوان الفحص المشهور

والظاهر ان اغناطيوس كان في اول الامر على رأي من يقول بطرد بقايا العرب فكان اول ما خطر ببالهِ من خدمة الدين التي ارصد لها نفسهُ ان يتجرد لمناصبتهم • واتفق في تضاعيف ذلك انهُ بينا كان مسافراً على بغلةٍ لهُ الى مونسرّا صادف في طريقهِ واحداً من اشرافهم وتحتهُ ركوبةٌ فاخرة فتسايرا وتحادثا ثم دخلا في غمار المباحث الدينية لان احدهما كان مسيحياً وقد وقف نفسهُ على خدمة الدين والآخر كان من اصحاب احدى الطرائق

الدينية في الاسلام فاحتدم بينهما الجدال حتى تضايق المسلم فيما يقال ففصل عن خصمه وقد تكلم في حق العذراء بما يقبح سماعهُ . واذ ذاك وقف اغناطيوس وهو يؤامر نفسيه بين ان ينتقم منهُ للعذراءِ أو يتركهُ في سبيلهِ ثم نظر فرأى امامهُ طريقين فأجمع رأيهُ على ان يردّ الامر الى مشيئة الله ويترك البغلة تسير على سجيّتها فان اقتفت اثر الرجل ادركهُ واوقع بهِ والاّ وكلهُ الى الغضب الالهي فسارت البغلة في الطريق الآخر فاتخذ ذلك على ما يقول مؤرخو الجزويت دليلاً قاطعاً على ان الله انما اراد ارسالهُ الى العرب ليدعوهم الى الايمان المسيحي ومن ذلك الوقت شعر من نفسهِ بانهُ رسول

ولما تقرر عندهُ امر هذه الرسالة لزمهُ ولا جرم ان يتقرب من العرب ويخالطهم . قيل وكان الرجل الذي لقيهُ في الطريق يقصد مدينةً بجوار مونسرّا ولم يكن اذ ذاك مدينةٌ في تلك الناحية الا منرّيزا فلا يُستبعد ان يكون قد صادفهُ فيها مرةً اخرى فعاودا حديثهما واطّلع منهُ على شيءٍ من امر الطريقة التي كان داخلاً فيها كما انهُ لا بد ان يكون قد لقي غيرهُ من العرب المنتشرين في تلك الناحية اذ كان معظم التجارة في ايدي المسلمين واليهود فجالسهم وباحثهم . وعلى كل حال فالذي يؤخذ من مُجمَل اقاويل الرواة ان اغناطيوس شرع في وضع قوانين جمعيتهِ في منرّيزا وانهُ هناك نشأ لهُ اول خاطر ان يُحدِث في حضن الكثلكة جمعيةً يحذو فيها على مثال الطرائق الاسلامية

ثم انهُ في سنة ١٥٢٣ خرج من منرّيزا ورحل الرحلة المشهورة في تاريخ حياتهِ وان كان مؤرخو هذه العصابة يميلون الى كتمانها وهي رحلتهُ الى فلسطين وبيت المقدس اقتداءً بما يفعل المسلمون في حج مكة وزيارة

قبر النبي فلبث في ارض فلسطين مدة شهرين كان في اثنائهما يتقرب من المسلمين وطوّح بنفسهِ حتى في اجتماعات اصحاب الطرائق منهم فاوغر ذلك صدورهم عليهِ حتى اوشك على ما رواهُ هنّين دُكوفيلياي ان يُفاح دمهُ. على ان تلك الغيرة منهُ على الدعوة الى الكثلكة كانت في غير اوانها حتى ان الفرنسيسكان حرّاس قبر المسيح انذروهُ تحت عقاب القطع من شركة الكنيسة ان يُقلع عن هذا الامر الذي اثار عليهم حنق اصحاب الطرائق الاسلامية وان يرجع الى اوربا

ولما لم يسعهُ الا الامتثال قام وانقلب راجعاً الى اسپانيا وكان الكردينال اكزيمِيناس قد انشأ في ألكالا مدرسةً جامعة لتعليم المتنصرين من العرب وترشيح معلمين لدعوة من لم يتنصر منهم فدخل في تلك المدرسة . ولما كان رجال الفحص المقدَّس متيقظين لامر رسالتهِ خامرهم ريبٌ في صحة عقيدتهِ وطلبوا حبسهُ فسُجن اياماً في مُطبَق(١) التفتيش ثم أُطلِق فارتحل الى سلمنك غير انهُ لم يزل مواظباً على مخالطة العرب فعاد الريب من جهتهِ وسُجن مرةً اخرى بامر الفاحصين و بعد ان لبث في سجنهِ اثنين وعشرين يوماً أُطلق سبيلهُ بوسيلةٍ لم يُدرَ ما هي فلم يسعهُ المُقام بعد ذلك في ارض التفتيش فخرج من اسبانيا ولحق بباريز فاقام بمونمارتر وهناك شرع في تأسيس الجمعية

وقد تقدم ان الرجل الذي صحب اغناطيوس في الطريق كان من اصحاب احدى الطرائق الدينية وان اغناطيوس حين كان في فلسطين حاول الدخول في الجمعيات الاسلامية . وقد كانت هذه الجمعيات كثيرةً في القرن

(١) سجن مظلم تحت الارض

الخامس عشر والسادس عشر وكثيرٌ منها باقٍ الى هذا العهد نذكر منها ما لهُ علاقةٌ بغرضنا. فمنها الطريقة القادرية وكانت نشأتها في آسيا الصغرى في القرن الثاني عشر وزعيمها سيدي عبد القادر وبهِ سُمّيت ثم دخلت بلاد اسبانيا فانتشرت فيها انتشاراً عظيماً ولكن بعد فتح غرناطة خرج اكثر اصحابها الى مرّاكش وبقي افرادٌ منها متفرقون في الجزيرة الى ان تعقبهم ديوان التفتيش بأمر شرلكان سنة ١٥٢٤

ومنهم الشاذلية وزعيم هذه الفرقة سيدي ابو مدين من اهل اشبيلية المولود سنة ١١٢٦ وكان من المدرّسين في مدرستي اشبيلية وقُرطبة وسُمّي اتباعهُ بالشاذلية نسبةً الى ابي الحسن الشاذلي ثالث مشايخهم وهو رجلٌ عظيم الحرمة في الاسلام على العموم . وانتشرت هذه الطريقة في عامّة اسبانيا وشمالي افريقيا وكان اصحابها فِرَقاً منها المندانية والرحمانية والخَلْوَتية نسبةً الى الخلوة لانهم يوجبون الخلوة على الداخل في طريقة الشاذلية على ما سيجيء وكان منشأهم في القرن الرابع عشر. واصحاب هذه الطرائق كلها من الصوفية أو الاخوان يجمعهم قانون واحد يسمونهُ بالورد وارادتهم منوطة بشيخ يتسلط على جميعهم وبمقدّمين هم الموكلون بالزوايا وهي شبيهة بالاديار عند النصارى

اذا عُلم ذلك بقي ان نثبت ان اغناطيوس كانت له خُلطة بعرب اسبانيا واصحاب الطرائق الاسلامية وانهُ اقتبس من قوانينهم وشعائرهم لسنّ قانون جمعيتهِ . ولست اجهل ان محاولة اثبات مثل هذه الدعوى مما يدعو الى الاستغراب وقد تكلف مثل ذلك في القرن السابع عشر والثامن عشر اناسٌ

من خصوم الجزويت فاخطأوا وجه الحجّة لانهم لم يكونوا يعرفون من اصحاب الطرائق الاسلامية الا طائفة الحشاشين واتباع شيخ الجبل فزعموا انهم انما اخذوا عنهم مع ان الحشاشين كانوا قد انقرضوا من قبل وجود الجزويت بنحو قرنين من الزمن فضلاً عن انهم كانوا اناساً معروفين بالنهب وسفك الدماء ولذلك ردّ عليهم المنصفون من علماء التاريخ وابطلوا مزاعمهم. ولست انكر من جهةٍ اخرى انهُ ليس عندنا نصٌّ صريح على ان اغناطيوس اقتبس تعاليمهُ من الطرائق الاسلامية لانهُ لم يعترف بذلك او لأن الجزويت الاولين الذين طالما سدلوا على تاريخ نشأتهم حجباً من اللبس والتزوير طمسوا هذه الحقيقة . على انهُ لا يزال الى اليوم هؤلاء الآباء يحاولون ان يضعفوا الادلة التاريخية التي تظهر من خلال البحث ويزعمون انهُ اذا امكن ان يثبت وجود شيء من الآثار الاخوانية الاسلامية في قوانين الجزويت فمنشأهُ ان الجمعيات الاسلامية كانت تستمدّ احياناً من قوانين الرهبانيات المسيحية وعليهِ فما يوجد من المشابهة بين الاخوانية والجزويتية انما هو مجرّد اتفاق ونزوعٍ الى القواعد الرهبانية القديمة بدون ان يكون احد الفريقين مقتبساً عن الآخر

لكن لا بد لنا هنا من التنبيه الى ان الجزويت يخالفون سائر الرهبانيات المسيحية وان لجمعيتهم طبيعةً خاصة تنفرد بها عن طبيعة الكنيسة الكاثوليكية وما انفردوا بهِ من ذلك هو الذي اخذوهُ عن الطرائق الاسلامية ولا سيما القادرية منها والشاذلية . وبالتالي فاذا كانت الجزويتية تشبه في ظاهرها سائر الرهبانيات الكبرى في النصرانية لان اغناطيوس استمدّ قوانينها من

كتاب سِيِنْرُوس البندكتاني مدة اقامته بدير مَنْرِيز فان لهذه الجمعية نظاماً وتعليماً خاصين بها هما اللذان يتعرف بهما معنى الجزويتية • ولاثبات ذلك لا بأس ان نقابل بين كلٍّ من الرهبانيات المسيحية والطرائق الاسلامية وجمعية الجزويت في اربعة امور وهي اولاً طريقة الابتدآء وثانياً النظام الداخلي وثالثاً مقام السلطة ورابعاً روح كلٍّ من هذه الجمعيات وغرضها وسنفرد لكلٍّ من هذه المعاني بحثاً برأسهِ (ستأتي البقية)

زنجبار

بقلم حضرة الكاتب ديمتري افندي نقولا صاحب مجلة الفكاهة
عن كتابٍ لهُ تحت الطبع
(تابع لما قبل)

واما عوائدهم في المآتم فاذا توفي شخصٌ خرجت خادماتهُ للحال وكل واحدة منهنَّ قد عصبت جبهتها بخرقةٍ سوداء وشبكت عشر اصابعها على رأسها وهي تولول وتنوح وتصيح واسيّداه وايتماه ويذهبنَ كذا صارخات من بيت الى بيت من معارف الميت ويطفنَ البلدة كلها وربما صحبتهنَّ خادمات اخر من البيوت التي يمررنَ بها ويزعجنَ النائمين من السكان لانهُ حالما يموت الشخص ولو نصف الليل تخرج الناعيات على مثل ما ذُكر فلا تمرّ ساعة حتى يغصّ البيت بالوافدات من جميع الطبقات ويستمرّ النواح والعويل وينقطع احياناً مدة الليل الى الصباح • وفي هذه الاثناء يحتشد معارف الميت في جانبٍ من المنزل وفي الجانب الآخر المغسلون يغسلون الميت ويسير الخدام لحفر الضريح • وفي وقت غسل الميت وتجهيزهِ تسكت الباكيات

وفي اثناء هذا السكوت يكون في يد كلٍّ منهن قطعةٌ من القطن الذي يجهز به الميت تشتغل بنفشها وهنَّ يهللنَ ويكبّرنَ الى ان ينتهي الغسل . ومتى تم ذلك يؤتى بالجنازة ويوضع الميت فيها فيسمع الحاضرون عند خروجها من الصراخ والعويل ما لا يقدر القلم على وصفهِ وترى من النسآء من تهمّ ان ترمي بنفسها من طاق البيت فتمسكها التي بجانبها

وحال خروج الجنازة الى المقبرة تخرج جميع الخادمات من البيت بالعويل (وكل واحدةٍ معصبة جبهتها بخرقةٍ سودآء كما سبق وهو شعار الحزن بحيث انها اذا مرّت في اي قسمٍ من البلد يُعرَف ان احد سادتها قد مات) ويجتمعنَ حول واحدةٍ منهنَّ تحمل على رأسها طستاً فيهِ ثياب الميت التي مات فيها وهي متوكئة على اكتاف الخادمات (لانها لا تستطيع ان تمشي وحدها من الحزن) وهكذا ينطلقنَ مئاتٍ الى ساحل البحر خارج زنجبار فيغسلنَ تلك الثياب ثم يرجعنَ مهللات وهذه العادة جارية عند الجميع ولكن لا يُعرَف ما اصلها

اما الخارجون بالجنازة فان كانوا من الاباضية فجنازتهم يحملها خدامهم او البياسر (١) وهم الذين يتولون غسل الميت ودفنهُ والدفن عند هذه الطائفة يجب ان يكون حالما يموت الشخص منهم لان ابقاء شخصٍ في البيت بعد

(١) هم خدام بيض الالوان لا يتميزون من العرب واحدهم بيسر واصلهم من عمان الا انهم فاسدو النسب ولكل قبيلةٍ من عرب عمان عدد عظيم من البياسر كانوا يتخذونهم خداماً منذ صغرهم ثم تزوج بعضهم من بعض فكثروا حتى اصبحوا قبائل كثيرةً كالعبيدانية والشبينية والخصيبية والبعض منهم اذا وضع امضاءهُ يكتب مثلاً فلان بن فلان خادم بني رواحه او خادم آل بو سعيده وما اشبه ذلك

موته حرام . وعندهم لا يجوز الترحم على ميتهم ابداً الا اذا كان اماماً (وفي هذا الزمان لا يوجد بينهم امام) لان في اعتقادهم ان الانسان اذا مات وعليهِ بعض الذنب ودخل النار فلن يخرج منها ابداً . وبعد الدفن يقام العزآء او المأتم فيجتمع الرجال في احد المساجد والنسآء في منزل الميت وعند دخول المعزّي لتعزية ولد الميت او نسيبهِ في المسجد يقدَّم لهُ صحن حلوى ومنشفة فيتناول لقمةً واحدة وينشف اصابعهُ ثم يُسقَى فنجان قهوة وبعد ذلك يخرج . وفي اليوم الثاني تُكتَب رقاع الدعوة الى المعارف والاصحاب فيحضرون صباح اليوم الثالث في نفس المسجد ويأكلون الطعام المصنوع ذلك اليوم وينصرفون . والعزآء في جميع زنجبار يستمرّ ثلاثة ايام فقط

اما النسآء ومأتمهنَّ في منزل الميت فيلبثنَ فيهِ تلك الايام الثلاثة يقلقنَ الجيران بكثرة النواح واصوات العويل فلا يرجعنَ الى بيوتهنَّ الا بعد انقضاء هذه المدَّة . وهي من العوائد الرديئة لما يحدث عنها احياناً من الفساد لغياب كل امرأةٍ عن منزلها مدة ثلاثة ايام بلياليها وهي مطلقة العنان فضلاً عما يحدث من مثل ذلك بين الخدام والخادمات المتجمعين في ذلك البيت بلا مناقش ولا رقيب . وينتهي المأتم عند غروب اليوم الثالث واذ ذاك يتفرقنَ فتعود كل امرأةٍ منهنَّ الى منزلها . انتهى

الابرة

من نظر الى الابرة ورأى ما هي عليهِ من بساطة الصنعة وصغر الحجم ورخص الثمن توهم انها من اسهل المصنوعات عملاً واقلها اقتضآء لاختلاف

الايدي ولكن من استقرى طريقة صنعها وجد انها لا تبلغ تمامها حتى تمرّ بين ايدي عددٍ من العمال لا ينقص عن مئة وعشرين عاملاً وسنذكر بيان ذلك بما يسعهُ هذا الموضع من التفصيل

اما اختراع الابرة فلا يُعلَم زمنهُ بالتحقيق ولكنها بالضرورة وُجدت من اول ازمنة الحضارة الا ان المادّة التي تُتَّخذ منها اختلفت تبعاً للعصور وموضع الصناعة من الاتقان . وكانت قديماً تتخذ من شظايا العظام كما يُرى ذلك في الآثار الباقية عن الاولين ثم صارت تُصنَع من الحديد الأنيث ثم من الحديد الذكر اي الفولاذ او الصلب وهو ما هي عليه الآن

وكانت الابر المعدنية تُصنَع اولاً على السندان ضرباً بالمطرقة كما يُصنع بعض المسامير اليوم ثم يتمم صنعها بالمبرد والمسنّ ولم يُصطلَح على اتخاذ الابر من الاسلاك الا منذ عهدٍ قريب لعلهُ لا يكون قبل القرن الرابع عشر . والظاهر انها اول ما صُنعت في مدينة نورَمبرْغ من باڤاريا وقد كان فيها سنة ١٣٧٠ عدة معامل لهذه الصناعة ومنها انتشرت في سائر مدن المانيا وانتشرت بعد ذلك شيئاً فشيئاً في بلاد القاع (Pays-Bas) وفرنسا وانكلترا وغيرها

ويقال ان صناعة الابر وُجدت في لندرا سنة ١٥٤٣ او ١٥٤٥ كان يتعاطاها رجلٌ هندي وقيل انهُ لم يبح بسرّها لاحد فلما مات ماتت معهُ فأخذ يزاولها رجلٌ يسمى خرستوف غرينغ حتى استقامت لهُ سنة ١٥٦٠ . وقد اشتهرت الابر الانكليزية من اوائل القرن السابع عشر وهو الزمن الذي عمدوا فيهِ الى استبدال الحديد بالفولاذ حتى كان اكثر الابر المستعملة في

الارض من المعامل الانكليزية وهي لا تزال كذلك الى اليوم وان زعم بعضهم ان الصناعة الالمانية ستتغلب عليها

والمادّة المستعملة في الابر اليوم تتخذ غالباً من اسلاك وستفاليا من بلاد المانيا وهي تؤخذ بهيئة لفائف مستديرة على شكل حلقة فتُحلّ هذه الحلقة وتقوَّم ثم تُقطع حزَماً بطول ابرتين وتجري الصنعة من اولها الى آخرها على هذه القِطَع المزدوجة وتكون كل ابرتين متصلتين من ناحية الرأسين اي من الجهة التي فيها الثقب فلا تُفصَلان الا في آخر العمل

اما كيفية صنعها فاولاً يحرَّر تقويمها بان تُحمَى الى درجة الحمرة ثم تُمَرّ بين اساطين تدور بعضها على بعض فيزول منها كل انحناء ثم يؤخذ في تحديد اطرافها فتحدَّد اولاً من الطرف الواحد ثم من الطرف الآخر ولهذا التحديد آلةٌ مخصوصة سريعة العمل يمكن ان تحدّد في اليوم ٢٠٠٠٠٠ ابرة. وهي مؤلفة من مسنّ مستدير من السنباذج مقعَّر المحيط تُعرَض عليه بكرة مغشّاة بالمطّاط والى جانبي البكرة مائدة قد غُشّي سطحها بالمطاط ايضاً تُجعَل الابر عند ملتقى السطح وأحد جانبي البكرة ثم تدار البكرة فتمرّ الابر تحتها الواحدة بعد الاخرى وتحتكّ بالمسنّ وهي دائرة على محاورها فتخرج من الجانب الآخر تامة التحديد ثم تُردّ فتحدَّد من الطرف الآخر . والبكرة توضع على المسنّ وضعاً منحرفاً بحيث تحتكّ الابر من احد طرفيها الى مسافة تقدَّر بميل البكرة

ومتى تمّ تحديد طرفيها تُعرَض للطبع وهو عبارةٌ عن ضرب اوساطها بقالبٍ ينفلطح به كلٌّ من الرأسين المتصلين في الموضع المُعدّ للثقب وهذا

الطبع يتمّ بآلةٍ ذات عضادتين متينتين يجري بينهما ثقلٌ ضخمٌ يُرفع الى مسافةٍ ويؤخذ كل اربع أو ثماني ابر وتُصفّ على قطعةٍ من المعدن ويوضع القالب فوقها ثم يُترك الثقل فيهوي بين العضادتين سفلاً ويقع على القالب بقوةٍ شديدة فينطبع اثرهُ في الابر ٠ وبعد ذلك تنقل الى آلة الثقب وهي شبيهة بآلة ضرب السكة تنتأ منها رؤوسٌ حادّة على وفق مواضع الثقوب ويُضغَط بها على الابر فتنثقب ٠ وقد اخترعوا لهذا العمل آلةً تنقل الابر وتضعها في اماكنها وتثقبها وكل ذلك تفعلهُ من تلقاء نفسها

فاذا تمّ ذلك تُجمَع هذه الابر وتُنظَم في سلكين معدنيين يمرّ كل واحدٍ منهما في ثقب فتكون معُدّةً لصنعة البرّاد فيجعلها في ملزمة مخصوصة تحرَّك بالرجل ويزيل ما حدث فيها من الحيود اي الحروف الناتئة بعد الطبع ويفصل كلاًّ منها الى ابرتين وبعد الفراغ من ذلك كلهِ تُحمَى وتُسقى بالزيت ثم تُدفع للصقال ٠ فتؤخذ حزُماً كبيرة يكون في الحزمة منها نحو ٥٠٠,٠٠٠ ابرة وآلة الصقال تسَع في المرة الواحدة من ٢٠ الى ٣٠ حزمة اي من ١٠ ملايين الى ١٥ مليون ابرة ٠ وفي هذه الحال توضع الابر بالخلاف اي تكون رؤوس بعضها الى جهة اطراف الأُخر وتجعل في نحو برميل يدار على محورهِ فيحتكّ بعضها على بعض الى ان تزول منها كل خشونة ٠ وبعد الصقل تُنقل الى برميل آخر يجعل فيهِ نُشارة خشب منخولة وتدار فيهِ ايضاً حتى يزول ما عليها من الآثار الدهنية ثم تُغربل في غربالٍ مخصوص لتخلص من النشارة ٠ وهذه الاعمال من الصقل فما يليهِ تكرر الى عشر مرات احياناً في الابر المتقنة الصنع فلا يُفرغ منها الا بعد ثمانية أو عشرة ايام

وهناك اعمالٌ اخر تكميلية منها ان تنظم الابر كلها على اتجّاهٍ واحد فتُجعل رؤوسها الى ناحية واطرافها الى اخرى وهذا العمل يتمّ بأن تُصَفّ الابر على طرف سطحٍ افقي وتُدفع بمسطرةٍ او نحوها دفعاً رفيقاً الى جهة الخارج ولما كانت الرؤوس اثقل من الاطراف فان الابر التي تكون رؤوسها الى الخارج تسقط بثقلها الى اسفل وتبقى الابر التي رؤوسها الى الداخل فتؤخذ ويعاد العمل في البواقي الى ان تنتظم كلها . ومنها ان تزرّق اي تُعرَض رؤوسها على الحرارة حتى تزرقّ فتُجمع في حقاقٍ مخصوصة تُبرز رؤوسها منها وتسلَّط عليها شعبة لهبٍ غازيّ والغرض من ذلك ان يكون ثقبها أبيَن للنظر . ومنها الترليم وهو صقل بواطن الخُرَب اي الثقوب وازالة ما يكون على جوانبها من الحيود حتى لا تقطع الخيط وهذا يكون بأمرار رأس دقيقٍ من الفولاذ في الثقب يدور بحركةٍ شديدة السرعة فيأخذ العامل قبضةً من الابر يرتبها في يده على شكل مروحة ثم يعرض ثقب كل واحدة منها على الرأس المذكور من الناحية الواحدة ثم الاخرى . فاذا تمّ ذلك كلهُ لم يبقَ الا ان تُجعل الابر في ورق على ترتيبها المعلوم وهذا العمل الاخير وحدهُ يقتضي ثمانية عمّال يتناوبونهُ الواحد بعد الآخر

ومما يلطف ايرادهُ هنا قول بعضهم في الابرة ملغزاً

سعت ذاتُ سُمٍّ في قميصي فأثّرت ... بهِ اثراً واللهُ يشفي من السُمِّ
كست تبّعاً ثوبَ الجمال وقيصراً ... وكسرى وعادت وهي عارية الجسمِ

خبايا الزوايا

ننقل الى حضرات القرّاء شذراً من كتابٍ وقفنا عليه لبعض ائمة الدروز لم نهتدِ الى اسم مؤلفه لان الكتاب ناقصٌ من اوله وانما العبرة بالقول دون القائل . ولا جرم ان من تأمل ما في هذا المنقول من الحكم الناصعة والزواجر الرائعة وما اشتمل عليه من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والتزام جانب الله في الزهد والتقوى والعمل للآخرة دون الدنيا علم ما في هذه الامة المستترة من الفضل والكمال وما تحت تلك الاعبئة الغليظة من كرم الشمائل ورقة الخلال قال بعد كلام

.. اما بعد فالذي يثبتهُ البرهان والنقل ويحكم بهِ علم العيان والعقل أن لا راحة في الآخرة لمن تعجَّل الراحة في الدنيا ولا حظّ للنفوس في النعيم لمن آثر حظّ الاجسام في دار الفنا ولا غناء في الآجل لمن كدّ بدنهُ رغبةً في العاجل فمن اتعب نفسهُ في الواجبات أُعطيَ الراحة فيما هو آت فالذي يوجبهُ العدل ويقضي بهِ العقل حَسَبَ ما برز من الاوامر الواجبة والمواجب اللازبة أن نراعي الذمّة ونحفظ حق النعمة ونسلّم الامر الى صاحبهِ ونصبر من الزمان على اهوالهِ ونوائبهِ فمن صبر على محن الزمان ادرك نعيم الجنان ومن ذاق حلاوة الثواب هان عليهِ المصاب ومن لم يترك في الدنيا ما يحبّ لم يبلغ في الآخرة الى أرب ومن لم يصبر على ما يكره لم يشاهد ما يرضيهِ في المنقلَب ومن آثر في الدنيا طلب الجاه لم يبلغ في الآخرة ما يتمناه .. من آمن بالله اكتفى بالقيام بأوامرهِ ومرادهِ

ومن استسلم لانبيائهِ اشتغل بتحصيل زادهِ فان كنتم بالله مؤمنين وبرسلهِ مصدّقين وبكتبهِ موقنين وبرحمتهِ واثقين فلا يأخذكم الاسى على فوات جاه الدنيا المنقرضة مع الثبات على الطاعة المفترَضة فانظروا الى مصارع اهل الزمان ممن طلب الجاه والرئاسة وكثرة الاعوان كيف سُلب عنهُ دينهُ ودنياه وهدم منزلتهُ وخسر مسعاه في أُولاهُ وأُخراه فان رمتم الصولة والاستظهار وعلوّ الكلمة وانبساط اليد بالاقتدار في دار الدنيا ودار القرار فهذا مرامٌ لا ينالهُ احدٌ من الاخيار حتى ولا الانبيآء الاطهار فالاولى بكم ان تصرفوا العناية الى ما انتم بهِ مطالَبون وعنهُ مسؤلون وعلى تركهِ معاقَبون وعلى العمل بهِ مثابون . . من استقصّ حقهُ من عدوّهِ في العاجل فلا حقَّ له عليهِ في الآجل فما جعل الله للعبد جنّتين ولا قدّر لهُ راحتين ولا حكم لهُ بنعيمين فنعيم الدنيا ينال بالصبر والاحتمال وعذابها يطال على اهل التعدي والضلال فاستدركوا فرصة الفوت وحيدوا عن طريق الموت فلا محنة اشقّ في هذا الزمان من موت العقل والجَنان فمن مات جسمهُ عزّي في دنياه ومن مات قلبهُ عزّي في أُخراه واعلموا ان الدنيا ميدان والاجسام خيل والنفوس فرسان والسباق هو الى الله فما يلحق بالقوم الا من شمَّر ولا يباري في حلبة السباق الا من ضمَّر ومن صبر مدةً قليلة ادرك فرصةً طويلة فما الدنيا مع الآخرة الا كالهبآء في الفضا . كما قال داود النبيّ عليهِ السلام ما مَثَل الدنيا مع الآخرة الا كمثل قطرة طارت من سبعة ابحر في صحاري رمل والذي اقعدكم عن نهج الطريق الواضح موت القرائح والكسل

الفاضح وعدم القبول من الناصح والتعامي عن الذنوب والرخصة في اتّباع الحقّ المندوب فموافقتكم لاهل الحق هي بالطبيعة والاجسام وانتم في غاية البعد عنهم بالعقول والافهام فلهذا ابت نفوسكم ان تتحد بالعنصر الكريم الشريف لعجزها عن درك العبادة المنيف لقد انشبت فيها مطالب الشهوات سهامها وانفذت فيها مقادير الزلات احكامها حتى سيَّرتها من عالم الكون والفساد واخرجتها من بيوت القصد والمراد وجعلتها غرضاً لاسباب البلآء وطردتها من الحَرَم الحصين الى شقوة البيدآء تلسعها اراقم الزلات وتفترسها ضراغم الشهوات قد سُلِبت معارفها بموبقات الاعمال وانحدرت في دَرَك المسوخية الى الانخفاض والاستفال فلم ينجع فيها الوعظ والتذكار ولم ترتدع بالزجر والتهديد والتخويف من حريق النار ولم تصدّق بسخط العليّ الجبار على من عصى اوامرهُ واتّبع سبيل الاشرار * * * *

الاستحمام بالضيآء

بقلم حضرة الاديب الياس افندي الغضبان

ربما سبق الى ذهن المطالع ان المقصود بهذا العنوان استحمام بعض الكتب العصرية ولا سيما مؤلفات الآباء اليسوعيين التي لم تزل عند اول كل شهر ومنتصفه ِ تستحمّ في اشعة مجلة « الضيآء » لتطهيرها من ادران التصحيف والتحريف وازالة ما التصق بهذه الادران من « الميكروب الجزويتي » الذي هو « الدآء الخبيث » أو لوقاية القرآء من « الدآء الخبيث »

الذي هو « الميكروب الجزويتي » بعينه كما عرّفته لنا صريحاً مجلة المشرق الغرّآء[1] . وانما غرضي هنا الكلام على شيء آخر وهو الاكتشاف الجديد الذي حدث في عالم الطبّ وقد ذكرته احدى المجلات الفرنسوية تحت العنوان المذكور قالت

ما زال اصحاب الطب الحديث دائبي البحث والتنقيب عما تشتمل عليه الطبيعة من الخواص النافعة في معالجة الامراض . وقد وُفقّوا في هذه السنين الاخيرة الى واسطة فعّالة من العلاج انتشرت انتشاراً عظيماً في اوربا واطلقوا عليها اليق لفظٍ تسمى به وهو « الاستحمام بالضيآء »

وهذا الاستحمام يتمّ بواسطة جهاز اشبه بخزانة مثمّنة الزوايا مصفحة بتمامها من الداخل بمرآءٍ ينعكس عنها الضيآء من عددٍ محدود من مصابيح كهربآئية في درجة البياض بحيث يكون بين يدي الطبيب واسطتان للعلاج هما في منتهى القوة ونعني بهما الحرارة والضيآء

فأما الحرارة وهي تكون في هذا الجهاز جافةً بالطبع ويمكن ان ترتفع الى ما فوق ٨٥ درجة فانهـا من الوسائط المحمودة في كلا الطبين القديم والحديث لان من خاصيتها كما هو معلوم ان تزداد بها قوة التجديد في موادّ الجسم وتستدعي ردّ الفعل اللازم لزيادة الاشتعال الداخلي بحيث انهُ بواسطة العرق الناشئ عنهُ يحصل افراز الفضلات السامّة التي تتجمع في انسجة البنية

واما الضيآء فهو من الوسائط المستعملة حديثاً في العلاج اذ قد تبين من الاختبارات البكتيريولوجية انهُ اذا وقع ضوء الشمس مباشرةً على مجموعٍ

---

(١) السنة الخامسة من المشرق صفحة ٣٣٥

من الجراثيم العضوية المرضية تهلك هذه الجراثيم بجملتها في بضع ثوانٍ وفي الوقت عينه يبطل فعل السمّ الذي تفرزهُ . ولما كان الضوء الكهربائي اقرب الانوار الى ضوء الشمس امكن ان يُتوصل باستعمالهِ على مُدَدٍ مقدَّرة الى نفس النتائج الصادرة عن ضوء الشمس

فحمّام الضياء اذن يفيد في العلاج من وجهين احدهما الحرارة وبها تعالج جميع اصناف الرَثْية (الروماتزم) المفصلية والعضَلية والنقرس وما جرى هذا المجرى . والآخر الضياء وبهِ تعالج جميع العلل الجلدية من ابسط اصناف الشرَى الى اخبث انواع القروح

واذا اجتمعت هاتان القوتان كانتا افضل علاج محقق النفع للسِمَن المفرط بحيث ان المتعالج بهما يضمُر جسمهُ بالتدريج لكن بدون ان ينالهُ ادنى تأثير في الجهاز العصبي (الدماغ) او الجهاز الوعائي (القلب) كما يقع كثيراً عن استعمال الادوية الصيدلية التي تجهَّز للغرض نفسهِ والجلد مع ذلك يبقى دائماً على نضارتهِ ومرونتهِ ولا يتقلص الا تدريجاً بمقدار ما يذهب من المادة الشحمية . انتهى

الحمَّار وابنهُ وحمارهُ

من نظم حضرة الاديب جبران افندي النحاس

لو كلما ثرثرَ انسانٌ وَجَبْ　سماعهُ مُتْنا ولم نبلغ أرَبْ
وما الذي استصوبَهُ كل الورَى　فأُترك ملام الناس وافعل ما ترى
فالعجز عارٌ والنجاح مغفره　اما نَقُوع الأُذن فاسمع خبرَه

وانما يُفيدُ ايراد الخبرْ لمن رأى العبرة يوماً فاعتبرْ
دعا أمروءٌ ولدَهُ وسارا حتى يبيع معَهُ حمارا
وكي يُظنَّ انهُ ما زالا جحشاً فتيَّاً قلعا النعالا
ثمةَ اوثقاهُ مثل السخله وحملاهُ يا لها من حمله
حتى اذا ما صار فوق الرأسِ سارا به مثل جهازِ العرسِ
فأول امرئٍ عليهِ ألقى نظرهُ قهقه حتى استلقى
وقال حقَّا انصفوا فاحسنوا حمرُهم لا كالذي نخمّنُ
فخُبِل الحمّارُ من فرط الخجل وانزل الحمارَ عنهُ بالعجَل
اماَ الحمار فاشتكى وعاتبا اذ كان يستحلي الذهاب راكبا
لكن تراءى الشيخُ بالتغاضي عن بدعِ جحشهِ في الاعتراضِ
واركب ابنَهُ وحث الراحله حتى اذا ما صادفتهم قافله
صاح كبير القوم في ذاك الصبي وقال تبًّا لك من غِرٍّ غبي
تركبُ والشيخ الجليل راجلُ هلاّ احترمتَ سنَّهُ يا غافلُ
تتركهُ في عجزهِ الملازمِ يدلف من خلفك مثل الخادمِ
اولى لك أُخسأ فترجَّلْ عجِلا فنزل الغُلامُ والشيخ اعتلى
حتى اذا لاقتهُ بعض النِسْوَه قلنَ لهُ ويلك ما ذي القسْوَه
شيخٌ كبيرٌ وقليل الهيبَهْ لا عاف عزرائيل هذي الشيبهْ
قد قمت كالهامة فوق الجحشِ وخلفك الطفل الصغير يمشي
فأردفَ الغلامَ لكن لم يكد يجوز خمسَ خطواتٍ بالعدد
حتى بدا لوجههِ من قالا قتلُ الحمير قد غدا حلالا

ماذا يرى الشيخُ الذي قد حمّلا　حمارَهُ عيالهُ والمنزلا
أليس فيهِ رأفةٌ بعبدهِ　أم اكتفى بعظمهِ وجلدهِ
فهتف الحمَّار لا حول ولا　قد جُنَّ من اراد ان يرضي الملا
وقال بعد قدح زند الفكرَهْ　لعلنا نحسنُ هذي المرَّهْ
وقام وابنهُ معاً وسارا　وعن قليل صادفا مهذارا
فقال كاشراً عن الانيابِ　أهوَ زيٌّ اليوم يا اصحابي
ان يتخطى جحشكم دلالا　وان تخوضوا خلفهُ الاوحالا
ان شئتمُ أن تسمعوا كلامي　فالآنَ وافى زمنُ الزُكامِ
فأشرُوا لهُ بعضاً من الخِفافِ　كي لا يسير في الطريق حافي
ومن فروض الاخوةِ المحبَّهْ　قال الفتى وقد اضاع لُبَّهْ
انا حمارٌ وعدمتُ نفسي　شنقاً اذا ركبتُ غير رأسي
كن تاجراً أو كاتباً أو حاكما　أو خادماً أو جاهلاً أو عالما
أو مكثراً أو مقتراً أو عازبا　أو آهلاً أو فاتكاً أو راهبا
أو غير هذا ان تُرِدْ أم لم تُرِدِ　لا تنجُ من لذع لسان المنتقدِ

اسئلة واجوبتها

القاهرة — تطفلت قبلاً على حضرتكم بالسؤال عن مشاكل عنّت لي في اثناء مطالعتي لمعجم الجزويت المعهود فلم تضنّوا عليَّ بايضاحها بما كشف غواشي الابهام ومزّق حواشي ذلك الظلام بيد أني ما زلت ارى في هذا الكتاب الغازاً يصعب عليَّ حلها فكأن المؤلف قصد ان يجعلهُ مجموع

احاجيّ يمتحن بها بصائر الادبآء والدارسين أو كذلك اللغز الذي جعلهُ الشاعر عقدةً للشعرآء الى يوم الدين ولذا لم اجد بدًّا من العود الى قرع ابواب فضلكم راجياً اجابتي على الاسئلة الآتية لا زلتم مقصداً للمُريد ولا برح ضيآؤكم الساطع هدًى للمستفيد

فمن ذلك قولهُ في مادة (خ ي ر) — وقد فاتني ان اذكرهُ في المرة السالفة — « يقال امرأةٌ خيرَى وخُورَى اي فُضلَى » والذي اعهدهُ ان افعل التفضيل لا يتصرَّف الامع أل أو الاضافة الى معرفة وقد كررهُ هنا ثلاث مرات بصيغة المؤنث مع انهُ نكرة فما الوجه في جواز ذلك

وقال في هذه المادة ايضاً « الخيرّ الكريم وقيل الخَيْر بالتخفيف في الجمال والميسم والخيرّ بالتشديد في الدين والصلاح » فما معنى هذا الكلام

وقال في مادة (س ط ر) « المسطرة بالكسر ما يسطَّر بهِ الكتاب » وقد راجعت ترجمة سطَّر فوجدتهُ يقول فيها « سطَّر الَّف الاساطير وفلانٌ علينا جآء بأحاديث تشبه الباطل وفلان على فلان زخرف لهُ الاقاويل ونمقها » اه ولم يذكر « سطَّر الكتاب » فهل ترك ذكرهُ سهواً ام هذا الفعل غير موجود في اللغة وان كان الثاني فمن اين جآء بهِ المؤلف

وفي مادة (ن م غ) « النمَغة ما يخرج من يافوخ الحبيّ اول ما يولد » وهو كلامٌ لم افهم منهُ شيئاً وقد بحثت عن معنى « الحبيّ » في موضعهِ فوجدتهُ يفسرهُ بالسحاب الذي يعترض اعتراض الجبل ... فكيف يكون للسحاب يافوخ وما الذي يخرج من يافوخهِ وما معنى قولهِ اول ما يولد .

اللهمَّ ان هذه طلاسم لا قِبَل لنا بحلها زهدي ابراهيم

الجواب — اما قولهُ « يقال امرأةٌ خِيرَى وخُورَى الى آخره فالصحيح ان كل ذلك « لا يقال » للسبب الذي ذكرتموهُ . وعبارة القاموس في هذا الموضع « فلانة الخيرة من المرأتين وهي الخَيْرة والخِيرة والخِيرَى والخُورَى » فأورد كل ذلك بالتعريف . ومثلها عبارة اللسان

واما قولهُ «وقيل الخير بالتخفيف في الجمال» الى آخر ما اوردهُ فالذي في كتب اللغة ان هذا الفرق في الخَيرة بالتآء لا في الخير . قال في لسان العرب « قال الليث رجلٌ خيّر وامرأةٌ خيّرة فاضلة في صلاحها وامرأةٌ خَيْرة في جمالها ومِيسمها ففرق بين الخيّرة والخَيْرة » . اه . والى هذا تشير عبارة القاموس لمن تبصَّر مرادهُ وعرف اصطلاحهُ وقد اوضحهُ في تاج العروس بما لا يحتمل الاشكال

واما قولهُ « المسطرة ما يسطَّر بهِ الكتاب » فهو من زيادات المرتضى فيما استدركهُ على القاموس فكان عليهِ وقد ذكر المِسطرة في محلها ان يذكر سطَّر ايضاً في محلهِ ويفسّرهُ كما فعل صاحب محيط المحيط الذي نقل عنهُ . ولكنهُ حذفهُ لان صاحب محيط المحيط جعلهُ من كلام العامّة وهو قد اعتاد ان يحذف الالفاظ العامية من الكتاب غير انهُ لما انتهى الى ذكر المسطرة والفعل نفسهُ مذكورٌ في تفسيرها نسي انهُ حذفهُ هناك فأبقى العبارة كما هي حتى لا يكون صنيعهُ في الموضعين الا تقصيراً لانهُ ان كان سطَّر عاميًّا فتكون المسطرة مثلهُ لان كليهما من موردٍ واحد وكليهما غير منقولٍ عن العرب فكان يجب اما اثباتهما جميعاً واما حذفهما جميعاً . على ان الاظهر عندنا ان كلا اللفظين مولَّد واشتقاقهُ من السطر وهو مأخذٌ صحيح

كما أخذ سائر الالفاظ المولدة

واما قولهُ « النمَغة ما يخرج من يافوخ الحبي » فمن الفحش ما رأينا من ضروب التحريف ومن أدلّهِ على علم الكاتب بما يكتب . قال في تاج العروس « النمَغة محركة ما "تحرَّك" من يأفوخ "الصبي" اول ما يولد » فتحرَّف عليهِ تحرَّك بيخرج والصبيّ بالحبيّ » فهكذا فليكن من الَّف في اللغة والا فلا .....

آثار ادبيّة

تقويم المؤيد — ظهر هذا التقويم المفيد لسنة ١٣٢٠ الهجرية وهي السنة الرابعة لهُ محرراً بقلم حضرة الكاتب الالمعي محمد افندي مسعود احد منشئي جريدة المؤيد الغرآء وقد وسَّع فوائدهُ وزادهُ اتقاناً عما كان عليهِ في السنين الماضية وهو حسن الطبع والتجليد يقع فيما يقرب من ٣٠٠ صفحة وثمنهُ خمسة غروش مصرية

الغزالة — هي الجريدة الادبية الفكاهية المشهورة عادت الى الظهور في هذه الايام بعناية والتزام حضرة صاحبها الاديب يعقوب افندي الجمال صاحب الروايات الشهرية وقد جعلها بهيئة مجلة تظهر مرتين في الشهر في ٣٢ صفحة متوسطة مكتوبة على عهدها باللغة العامية وقيمة اشتراكها السنوي ٢٥ غرشاً

فكاهات

لـكلّ امرئٍ ما نوى

كان لعهد لويس الرابع عشر ملك فرنسا شريف من نبلاء الفرنسويين يدعى ارمان لوري اختارتهُ الحكومة لبعض الوظائف المهمة لما رأت فيهِ من سعة الرويّة وعلوّ الهمة وحسن التدبير ورغبتهِ في مصالح المملكة والامة . ولم يكن هذا الشريف في الاصل من الاسر العريقة في النسب ولكنهُ تقدم على اقرانهِ بالعلم والادب وسموّ المدارك واستقامة المسلك وفاق سواهُ في الاقتصاد السياسي وخدمة البلاد والبلاط الملوكي فلم ينكر مزيتهُ احد واشرق نجمهُ متلألئاً في افق السعادة . وكان ملك فرنسا بالاسم اي لويس وملكها بالفعل اي الكردينال مازارين مع تباين مقاصدهما واعمالهما قد اتفقا على ان يقدرا ارمان حق قدرهِ فادنياهُ من المراتب العالية وجعل كلٌّ منهما يرقيهِ الى وظيفةٍ ارفع مما قلدهُ الآخر فلم تمضِ عليهِ سنوات عديدة حتى صار من ارباب الشورى يعوَّل عليهِ في معضلات الامور وسنّ القوانين العامة وما زال حظهُ في تقدم ونجمهُ في ارتفاع حتى اقطعهُ الملك اراضي واسعة وغمرهُ الكردينال بغنىً وافر ثم انعما عليهِ بلقب الدوق لوري فصفا لهُ جوّ الحياة وانقطع الى تدبير وسائل جديدة ينفع بها مملكتهُ في مقابل ما جاءَهُ منها من النعم والخيرات

ورأى الدوق لوري الاضطراب والفساد السائدين في اللوفر فسوّلت لهُ نفسهُ ان يسعى في اصلاح داخلية القصر الملكي وظن ان في الامر سهولةً ولكنهُ ما عتم ان رأى استحالة ذلك لاستفحال الخلاف بين الملك والكردينال من جهة ومن الجهة الاخرى لكثرة الشرور والمفاسد والآثام التي كانت تتفاقم ضمن جدران اللوفر

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

ويسترها عن عيون الشعب هيبة الملك وخبث مازارين . وبعد ان سعى لوري جهدهُ في الامر تركهُ وقد تحقق ان لا خير يرجى من تعبهِ . ثم اخذ نجم سعدهِ في الهبوط فجعل الملك يحتقرهُ لظنهِ انهُ من حزب الكردينال والكردينال يسعى في كسر شوكتهِ زعماً منهُ انهُ يميل الى الملك فدارت على رأس الدوق دواليب الحيل والوشايات وعلم انهُ ان بقي على ما هو عليهِ لا يسلم من تهلكةٍ يُلقى فيها فاعتزل الاعمال وتجنب الخدمة ثم استقال من منصبهِ وعاد الى املاكهِ . وجآء عملهُ هذا مرضياً لرغائب لويس ومازارين فاكتفيا منهُ بذلك ونسيا في مدة قصيرة انهُ كان يوجد في المملكة شخصٌ يسمى الدوق لوري

وكان للدوق لوري ابنان يدعى اكبرهما ألبر واصغرهما اوغست فلما بلغا سنّ الشباب ورأيا نفسيهما في عزٍّ ونعيم بين امثالهما من فتيان الفرنسو يين اهملا امر الكدّ والدرس وانهمكا مع رفاقهما في الملذات والمسرات . وكانت اشغال والدهما من جهةٍ وحنوّ قلبهِ من جهة اخرى يصدّانهِ عن الانتباه الى سلوك ولديهِ فغض الطرف عن اعمالهما وهو لا يدري انهُ يربّي لنفسهِ بهذا العمل افاعي تنهش لحمهُ وتلسع قلبهُ في زمن شيخوختهِ . ولم يرَ الولدان رادعاً لهما عن اعمالهما فازدادا انغماساً في الشهوات والفجور والتهتك والمقامرة ولم ينتبه الدوق للامر الا بعد فوات الفرصة وبعد ان يبس الغصن وصار لا يمكن تقويمهُ الا بكسرهِ . وكان ذلك حين استقالتهِ فوجه كل اهتمامهِ لردع ولديهِ فلم يفلح وبعد ان اتخذ كل الوسائل التي في استطاعتهِ ورآها لم تأتِ بفائدة طردهما من بيتهِ ومنع عنهما المال الشهري الذي كان قد رتبهُ لنفقاتهما وعاد الى املاكهِ البعيدة يقضي بقية حياتهِ في التندم والاسف على غباوتهِ الماضية في عدم الانتباه الى حالة ولديهِ قبل ان تورطا في شرورهما الى هذا الحد

ولما انقطع المرتب الشهري عن الولدين عمدا الى رفاقهما يستدينان منهم اجزآءً قليلة مما انفقاهُ عليهم فقبلها هؤلآء بصدور رحيبة لما يعلمون من غنى والدهما الدوق وهم يظنون انهُ في نهاية الشهر ترد على الولدين المرتبات المفروضة فيردّان ما اخذاه ولكن لما علموا ان الدوق قد طرد ولديهِ ابتعدوا هم ايضاً عنهما فاصبحا في حالةٍ

يرثي لها من الشقاء والحاجة وابتدأا يذوقان كاس المرارة التي ادناها الدهر من شفاههما بعد كاس الحلاوة التي متعهما بها زمانًا

وكأن ألبر ورث عن والدهِ شيئًا من التعقل لم ينزعهُ طيشهُ بتمامهِ ففكر في حالتهِ وما صار اليهِ وادرك ان لا سبيل الى اصلاح احوالهِ الا بالرجوع الى ابيهِ وطلب الصفح والغفران فجآء الى قصر والدهِ وطلب مواجهتهُ فلم يسمح لهُ بها وبعد ان الح وتردد وتوسل على غير جدوى عاد الى باريز حزين النفس مكسور الخاطر يطلب الموت ليريحهُ من شقائهِ . ثم ذهب الى بعض النبلاء من اصدقاء ابيهِ وطلب اليهم ان يتوسطوا في امرهِ لدى والدهِ ففعلوا غير ان الدوق ابى قبول شفاعة احد في ابنهِ وقال ان ألبر هو الذي ساءني وجلب على شيخوختي الحزن واليأس وهو الذي جرّ اخاهُ الى حضيض الفساد والذل فلست بقابلٍ توبتهُ لاني لا أعتقد صحتها ولو طلب ذلك مني اخوهُ اوغست لما تمنعت لاعتقادي ان لا لوم عليهِ فقد قادهُ اخوهُ الى ما فعل أما ألبر فلا يطعمنَّ في رضاي فلن يحصل عليهِ ما دمت في صحة عقلي

اما اوغست فلم يكن يهمهُ شيء من كل ذلك وكان قد حسب نفسهُ فريدًا في العالم لا يعوّل على احد فجعل مقرّهُ الحانات ودأبهُ الميسر والمسكر

وكان ألبر يقف بعض الاحيان في ازقة باريز يعضّ اصابعهُ لهفًا على حياتهِ السابقة فيتصوّر نفسهُ مهانًا مرذولًا مطرودًا من بيت ابيهِ يشتهي ان يقتات بفضلات الطعام التي يرميها خدم قصرهِ فكان كلما طرأت على مخيلتهِ هذه الافكار يشعر بفقد صوابهِ ولا يجد لهُ راحة الا بالانتحار وكثيرًا ما كان يقف على شاطئ السين ويهمّ ان يلقي نفسهُ في تيارهِ ثم يعود فيقول لنفسهِ لا . لا يجب ان اكمل آثامي بهذه الخاتمة وهي اشدّ رداءةً من البداءة فلا بد من اصلاح امري واني وان كنت قد استوجبت حرمان نفسي من ثروة ابي فلست براضٍ ان احرم نفسي من بركتهِ قبل موتهِ

وبينما كان ألبر سائرًا في احد الايام في احد شوارع باريز وجد نفسهُ امام معمل صابون فوقف حائرًا ورآهُ صاحب المعمل فسألهُ عن شأنهِ فقال اني فقيرٌ يا مولاي ولا تطيعني نفسي على الاستعطاء ولي قوة كافية للشغل اذا وجدتهُ فهل

لك ان تقبلني في عداد العملة الذين يعملون تحت ادارتك . ورأى المدير في لهجة ألبر ما حرّك شفقتهُ عليهِ فادخلهُ الى محلهِ وعين لهُ شغلاً كباقي العملة فما صدق ان جلس الى وظيفتهِ حتى ابتدأ بعزمٍ نشيط وكانت دموعهُ لا تفارق مقلتيهِ عند تذكرهِ احوالهُ وما وصل اليهِ . ثم شغلهُ العمل عن التفكر فاعتادهُ شيئاً فشيئاً وصمم عزمهُ على الابتدآء بحياةٍ جديدة يسعى في ميدانها فاما ان يفوز بما في نفسهِ او يموت وهو في ذلك الجهاد .ورأى مديرهُ حسن سلوكهِ وكأن عاملاً خفيًّا جعل في قلبهِ حباً للفتى وشفقةً عليهِ فجعل يزيد اجرتهُ ثم عرض عليهِ ان يستودع لهُ عندهُ ما جمع من الدراهم ويدخلها في العمل ويعطيهِ ما يصيبها من الارباح فقبل ألبر شاكرًا وساعدهُ القدر فاخذت احوالهُ في التحسن وحالتهُ في النجاح

واجتهد ألبر في ابلاغ والدهِ تحسن حالتهِ ولم يكن الباعث لهُ على ذلك الطمع في الاستيلآء على الثروة والجاه ولكنهُ كان يشعر بافتقارٍ شديد الى بركة والدهِ ورضاهُ عنهُ قبل موتهِ . اما الدوق فكان لا يبالي بما يسمعهُ عن ألبر بل جعل يتوقع توبة اوغست صغيرهِ لانهُ كان قد وقف حبهُ عليهِ ولم يضمر لالبر الا الكراهة والبغض وكان يبلغهُ في كل يومٍ اخبارٌ عن اعمال اوغست وشرورهِ فيسكب دموعاً سخية ويطلب الى الله ان يردّهُ اليهِ تائباً

ولم يعد الدوق يهتمّ لشيءٍ في العالم فانقطع في قصرهِ وقد حنى ظهرهُ الكبر وبيضت شعرهُ الشيخوخة فحبس نفسهُ في غرفتهِ ولا انيس لهُ سوى خادم امين كان قد رباهُ وجعلهُ خادماً ورفيقاً واميناً على اعمالهِ واسرارهِ . وكان هذا الخادم يرى انقلاب ألبر وتوبتهُ وسقوط اوغست وخسارتهُ فمال الى البر سرًّا ولكنهُ لم يكن يجسر ان يجهر بذلك لئلا يفقد مودة مولاهُ ومكانهُ من ثقتهِ فصبر على تلك الحالة وكان كلما سمحت لهُ الحال يبلغ البر عن حالة والدهِ ويسليهِ على مصابهِ

ولما حسنت احوال البر ورأى ان ذلك لا يفيد في استرضاء والدهِ جعل همهُ مساعدة الفقرآء والبائسين وكان من حين الى آخر يستدعي اخاهُ ويجتهد في اصلاحهِ فيسمع هذا مواعظهُ وارشاداتهِ ويأخذ منهُ مبلغاً من المال ثم يعود الى شرٍّ مما كان

ومرض الدوق مرضاً شديداً فاستدعى خادمهُ نطس الاطبآء وبذل وسعهُ في استعمال كل ما يمكن عملهُ للمحافظة على صحة مولاهُ ولكنهُ كان قد نفذ القضآء واصبح الدوق تحت خطر الموت فأعلمهُ الاطبآء بذلك وتركوا منهم واحداً يزورهُ من حين الى آخر عملاً بارادتهِ . وبلغ الخبر البر فاجتهد اذ ذاك ان يزور والدهُ فمانع الاب بصلابة قلبٍ صخرية ورفض مواجهتهُ قطعيًّا ولكنهُ كان اذا اشتدت عليهِ حمى المرض ينادي باسم اوغست ويتمنى عودتهُ اليهِ ثم امر خادمهُ ان يرسل يستدعيه . اما اوغست فلم يهمهُ الامر وكان اكثر اوقاتهِ في مجامع القمار او حانات المسكر فلم يحفل بطلب والدهِ ولم يهمهُ شيءٌ من امرهِ . وصادف اوغست في بعض المحلات التي كان يتردد عليها فتاةً سلبت لبهُ فاحبها حبًّا مفرطًا وطلب اليها الاقتران بهِ فقالت لهُ الفتاة انها مخطوبة لفتىً من اسرتها فلا سبيل لها الى اجابة طلبهِ . فثار عامل الغيظ في صدر اوغست ولما كان قد تربى ولم يرَ في حياتهِ من يمسك شكيمة افكارهِ او يمانعهُ عن بلوغ مشتهياتهِ صمم على الحصول على الفتاة باية طريقة تمكنهُ. وتعرَّف بعد ترددهِ اياماً الى الحانة بخطيبها ولم يمضِ عليه وقتٌ طويل حتى صادقهُ فصارا يلعبان ويسكران معاً . وفي ذات يوم اشتدَّ سكر اوغست فقال لهُ لقد رأيت خطيبتك يا صاح وقد احببتها جداً واودُّ الاقتران بها فهل تسمح لي بها . فقال وكيف ذلك وهل سمعت باحدٍ قبلك طلب مثل هذا الطلب . ثم اخذ الاثنان في المحاورة والمجادلة فاتفقا اخيرًا ان يلعبا معاً وان الغالب منهما يكون الاحق بالفتاة . فطلبا ادوات اللعب وخمرًا جديدة وجلسا وقد ايقن اوغست بفوزهِ لما يعلم من مهارتهِ في الميسر وقد انفق فيهِ حياتهُ باسرها غير ان سكرهُ الشديد في تلك الليلة افقدهُ رشادهُ فخسر مبلغاً من المال وزادت الخسارة في حدَّتهِ فلم يعد يتمكن من اللعب وايقن بعد خسارة مالهِ انهُ قد خسر الفتاة فرمى الاوراق من يدهِ ثم استل من منطقتهِ خنجرًا وطعن الفتى في صدرهِ فسقط الى الارض يتشحط بدمهِ

ورأى صاحب الحانة ما حصل فوثب الى نافذة المنزل واستدعى الشحنة فجاء احدهم وضبط الواقعة ثم اقتاد اوغست الى السجن . وظهر بعد ذلك ان جرح الفتى

غير ذي خطر فاخذوهُ الى المستشفى وجعلوا ينتظرون تعافيـهُ واقامة الدعوى على اوغست لينال ما يفرضهُ عليه القانون

وبلغ الخبر ألبر فاسودت الدنيا في عينيهِ ولم يطق ان يرى اخاهُ في سجن المجرمين وعلم ايضاً ان اقل جزآءٍ ينالهُ على هـذا العمل اذا لم يمت المجروح ثلاث سنوات في الاعمال الشاقة. ثم فكر انهُ اذا بلغ الخبر والدهُ فلا شك انهُ يعجل وفاتهُ فيموت حزيناً مكسور القلب. وكانت شريعة البلاد لذلك العهد في ايدي النبلآء وكانوا اذا اجرم احدهم لا يحملونهُ العقاب كبقية الناس هذا اذا كان من ذوي الالقاب والا عاملوهُ كاحقر الشعب وسجنوهُ مع افظع المجرمين. وللحال خطر لألبر ان يسعى جهدهُ في اقناع والدهِ ان يمنح لقبهُ لاوغست فاذا فعل يخلص اخاهُ من الذل والعار فلم يرَ بدًّا من السعي لمقابلة ابيهِ وتوجه الى القصر. ولما دخل غرفة الاستقبال جاءهُ الخادم فاطلعهُ ألبر على سبب مجيئهِ فشق الامر على الخادم جدًّا وقال ان دخولك على مولاي من المستحيل لانهُ لا يرضى بهِ وقد قال لي الطبيب اليوم انهُ صار على دقائقهِ الاخيرة فاقل اضطراب او عارضٍ فجآئي يحصل لهُ يطفئ النور الباقي في سراج حياتهِ. فقال البر كنت اود ان افديهُ بدمي ولكن هذا حكم لا مردّ لهُ واظن ان وفاتهُ ايضاً تفيد في خلاص اخي اوغست اذا كان قد جعلهُ الوارث للقبهِ فهل كتب ابي وصاتهُ الاخيرة وهل تدري شيئاً منهـا. قال الخادم اعلم انهُ كتب وصاتين اودعهما في ظرفين مختومين على مائدة بالقرب من سريرهِ ولما علم بدنو اجلهِ امرني ان ابقي نارًا بالقرب منهُ وقال لي انني قبـل مفارقتي الشعور سأطرح احدى الوصيتين في النـار فالتي اتركها يجب ان يُعمل بها وتتم رغبتي بمقتضاها. ففكر ألبر مليًّا ثم نظر الى الخادم وقال لهُ وكيف حالة والدي الآن. قال اصبح في غاية الضعف وقد فقد بصرهُ وشيئاً من سمعهِ. قال البر اذهب وقل لهُ ان ابنك اوغست جاء وهو يطلب مقابلتك ليتوب اليك وينال رضاك. فوقف الخادم مترددًا كالمبهوت وقبل ان يجيب الحَّ عليهِ البر بالامتثال خشيةَ ان يفوتهما الوقت فذهب الخادم وهو لا يدري ما هي غاية البر وماذا يريد ان يفعل

ولما ابلغ الخادم الدوق ان ابنهُ اوغست جآء ويطلب مقابلته ترقرقت الدموع في مآقيهِ وقال بصوتٍ متهدج وافرحتاه انني الآن اموت مسرورًا فاحضرهُ اليَّ في الحال لاني اشعر بدنو اجلي . فعاد الخادم الى البر واخبرهُ بما حصل فتجلد البر وقال للخادم تعالَ معي يا هذا ولكن اياك ان يظهر منك ما يجعل والدي يعرف انني البر ولست اوغست . ثم مشى الاثنان ولما دخلا الغرفة ورأى البر والدهُ بعد تلك المدة الطويلة ملقىً على سرير موتهِ وقد كلَّ بصرهُ وخارت قواهُ واصبح كالطفل لم يتمالك نفسهُ من ذرف الدموع ثم جآء فجثا لدى السرير واخذ يد والدهِ وجعل يقبلها ويبكي . وشعر الدوق بذلك فقال بصوتٍ ضعيف أهذا انت يا حبيبي اوغست لقد طالما استدعيتك لتأتي اليَّ فاباركك واتزود من مرآك ولكن قلب اخيك القاسي منعني من هذه النعمة فالحمد لله على مجيئك ولو اتيتني متأخرًا . ثم توقف هنيهةً وقال لم اعد استطيع سماع كلامك يا ولدي فخذ يدي بيدك واذا سألتك فأجبني بضغطها مرةً علامة النفي ومرتين علامة الاثبات . انني اعلم ان الذي اوصلك الى حالة الشقاء التي كنت فيها هو اخوك الخبيث البر ولكن قل لي الحق هل تبت الى الله الآن وهل نبذت سلوكك الماضي وصممت على ان تعيش كما يليق بمقامك الآن . فضغط البر على يد والدهِ علامة الايجاب . فتبسم الشيخ وقال انني يا ولدي الحبيب قد كتبت وصيتي واوصيت بلقبي واملاكي وثروتي بأسرها لك ولما لم تأتِ اليَّ وخفت انك لا تأتي على الاطلاق كتبت صورة الوصية باسم اخيك البر لانني مع بغضي لهُ رأيتهُ احق من الحكومة بالاستيلآء على مال ابيهِ . وقد وضعت الوصيتين امامي حتى اذا عدتَ انتَ طرحت وصية اخيك في النار او عاد هو اعدمت وصيتك وايقنت انك لستَ بعائد . اما الآن وقد تمَّ سروري برجوعك فسأحرق ما كتبت لاخيك وتصبح انت وارثي الوحيد وحامل اسمي وصاحب املاكي واذا شئت ان تعطي اخاك شيئًا فانت وما تختار . ثم مدَّ الدوق يدهُ الضعيفة الى المائدة التي امامهُ واخذ واحدًا من الظرفين المختومين وطرحهُ في النار فالتهمتهُ . وكان الخادم قد بلغ منهُ التأثر وعزم ان يقول للدوق ان اوغست لا يزال شاردًا متمردًا وان ولدهُ

التائب الجاثي امامهُ هو البر ليمنحهُ بركتهُ ووصيتهُ ولكن البر نظر اليهِ نظرة زجر فأسكتهُ

ثم قال الدوق تعالَ يا ولدي لتباركك نفسي وضمّ البر الى صدرهِ فقبلهُ وقال لهُ ليمنحك الله بركتهُ فلا تعود الى طريقك السابق وليعطك حكمةً لتتبع الطريق الصالح وتحيي ذكر والدك ولتمطر السمآء عليك بركاتها فتزيد غناك اضعاف ما تركتُ لك . اما اخوك البر فلا العنهُ في ساعة موتي الاخيرة فانهُ ابني ولو كان قد كدَّر صفو حياتي ونغص عيشي فهو مبارك ايضاً وكفاهُ قصاصاً انني لم ارَهُ ولم اضع يدي على رأسهِ . ثم لفظ الدوق روحهُ فمات كانطفآء المصباح

ولما سكنت حركة الجثة وتملكها الموت والبر والخادم واقفان بسكوت وسكون تام قال الخادم ويلاه يا مولاي قد ضحيت نفسك ومصلحة حياتك بدون نتيجة ولو تركت والدك يعرف من انت ويتحقق عدم رجوع اوغست لكنت نلت انت الوصية وقدرت ان تنتفع وتنفع بها اما الآن فقد قضي الامر واذ لا امل في ارتداد اخيك عن طرقهِ فلسوف يبدد هذه الثروة في ايامٍ قليلة ويهدم مستقبل حياتهِ وحياتك ويمحق المجد الذي قضى والدك حياتهُ في تأسيسهِ

فقال البر اسكت يا هذا فان الله لا يعدمني وسيلة اعيش بها . اما تضحية نفسي لخير اخي فلا يوجد سواها واسطة لتخليصهِ من عذاب السجن وانتقام الحكومة . اجل انني احزن على هذه الثروة التي سيبددها بجهلهِ اذ لا امل في اصلاحهِ ولكن سروري يكون اعظم من مسآءتي حيثما اتمثل انني خلصتهُ من العار والضيق . فهلمَّ الآن نبعث اليهِ بهذا الكتاب الذي لا يُعلم مضمونهُ وتعرف الحكومة ان اخي قد صار دوقاً حتى تطلقهُ من سجنهِ باكرام واعتبار وتعيدهُ الى املاك ابيهِ . ولما قال هـذا نظر الى الظرف الذي كان بيدهِ ثم صاح صيحة الدهش وقال ماذا ارى ان هذا الظرف معنون باسمي فما المعنى يا ترى وللحال فض ختمهُ وتقدم الخادم ليرى فوجدا ان الوصية باسم البر وكان الدوق قد رمى الى النار الوصية المكتوبة باسم اوغست وهو يظنها وصية البر . فقال البر وا اسفاه قد غلط والدي في اتمام قصدهِ

فكيف العمل . فقال الخادم ضاحكاً مسرورًا بل هكذا شآء الله ان ينال صاحب الحق حقهُ لحفظ اسم ابيك ومجدهِ العظيم فلا تجحد نعمة الله واقبلها بشكر وتصرف بحزم كما يليق برجلٍ عاقلٍ نظيرك

ثم انحنى البر فوق النار علهُ يرى شيئًا باقيًا من وصية ابيهِ لاخيهِ ولكنهُ لم يجد فيها سوى رماد الورق الذي جعلتهُ النار هبآءً فأنَّ انين اليأس وقال هي مشيئة الله فمن يعارضها

وشاع خبر وفاة الدوق فاقيمت لهُ حفلةٌ ومأتمٌ عظيم الابهة ودُفن في مدافن العظمآء واعترفت الحكومة بالدوق البر وارث ابيهِ . وكان اول ما سعى فيهِ البر انقاذ اخيهِ من الورطة التي سقط فيها فلم يذخر وسعاً ولا سعياً في الاسترحام والتوسل و بذل الاموال حتى تمكن اخيرًا من الحصول على امر العفو موقعاً عليه بامضاء الملك وما صدَّق ان حصل عليهِ حتى امتطى جوادهُ وسار ينهب الارض قاصدًا الباستيل وهو السجن المشهور لذلك العهد . ولما بلغهُ قابل حاكمهُ واطلعهُ على امر الملك فاخذهُ الحاكم وسارا يصحبهما سجان وحداد لقطع قيود اوغست وكانا يطوفان في دهاليز الباستيل وسراديبهِ ولا يصدق البر ان يصل الى اخيهِ ليبشرهُ بالعفو و يرجعهُ اليهِ . فلما بلغوا الغرفة وفتحها السجان وانار مصباحاً دخلوا ولكن الدهر قضى ان لا ينال البر بغيتهُ في خلاص اخيهِ فوجدوا اوغست ممدّدًا في ارض الغرفة جثةً هامدة ممزق العنق سابحًا في بحرٍ من الدم . فانهُ كان قد يئس من الحيـاة وعلم ان من يدخل الباستيل لا يعود منهُ حيًّا فتمكن من اخفآء صحن الطعام حتى اذا خلا بنفسهِ كسر الصحن وجعل يمرّهُ على عنقهِ ففتح شراينهُ ونزف دمهُ حتى مات . ولم يكن البر ينتظر هذه النتيجة المحزنة فاغمي عليهِ لشدة التأثر ولما ملك روعهُ وافاق استصحب جثة اخيهِ فدفنها بجانب والدهِ ثم عاد الى املاكهِ يصرف بقية الحياة مترحمًا على المائتين ويراجع الدرس الذي كلفهُ حفظهُ موت والدهِ واخيهِ

الجزويتية والطرائق الاسلامية

(تابع لما في الجزء السابق)

اما طريقة الابتداء فان كل طالب الدخول في احدى الرهبانيات يتعين عليه قبل ابراز نذره ان يجوز مدة الامتحان واقلها سنةٌ ويوم وهذه المدة يقضيها في تفهُّم قانون الرهبانية واخذ نفسه بالفضائل التي ينبغي لهُ الجري عليها فيما بعد فهو اذ ذاك راهبٌ مبتدئ وهذا كل ما هنالك

واما في الطرائق الاسلامية فيُفرَض على الطالب قبل ترشيحه للسرّ ان يدخل في رياضةٍ أو خلوةٍ تكون مدتها من ثلاثين الى اربعين يوماً فينقطع في حجرةٍ منفردة من مسكنه أو غرفةٍ في احدى الزوايا وان اقتضت الحال ففي مغارةٍ أو غابة . وينبغي لهُ في مدة التخلي ان لا يكلم احداً الا شيخهُ أو المقدّم الذي يقوم مقام الشيخ وما يحتاج اليه يطلبهُ بالاشارة أو الكتابة ولا ينام الا ساعاتٍ محدودة لا يتجاوزها وكل مدة انتباهه ينبغي ان يشغلها بالصلاة اللفظية وهي تكرار كلماتٍ بعينها الى عشرة آلاف أو عشرين الف مرة أو بالتأملات الباطنية ويجوز لهُ احياناً ان يستعين بالمطالعة في بعض الكتب وفيما خلا وقت القرآءة يجب ان يغمض عينيه لينير فؤادهُ (١)

(١) جآء في بعض كتبهم في وصف الخلوة ما نصهُ . ليكن بيت خلوتك على ما اذكرهُ لك ولتكن فيه انت على حسب ما نحدّدهُ لك . فاما صفة البيت المخصوص بهذه الخلوة فهو ان يكون ارتفاعهُ قدر قامتك وطولهُ قدر سجودك وعرضهُ قدر جلستك ولا يكون فيه نقبٌ ولا كوّة اصلاً ولا يدخل عليك ضوء رأساً ويكون بعيداً من اصوات الناس .. واذا خرجت لحاجتك فسدّ عينيك واذنيك وليكن غذآؤك معك في بيتك (اي في بيت خلوتك) معدًّا او خلف باب بيتك محفوظاً

وكذلك في جمعية الجزويت تُفرَض على المبتدئ رياضة ثلاثين الى اربعين يوماً وعلى ما في دستور الرياضة لاغناطيوس ينبغي للطالب ان يقضي الاسبوع الاول في تطهير النفس وفي مدة هذا الاسبوع يُحجَب عنهُ ضوء النهار بتةً الا في وقتي القرآءة والاكل « ويمتنع من الضحك ومن كل كلمةٍ تدعو الى الضحك » ولا يرى الا مرشدهُ ولا يكلم الا اياهُ وهو الذي يفرض لهُ مواقيت الصوم والسهر. وعليهِ مدة اربع ساعات في النهار وساعةٍ عند منتصف الليل يقضيها في التأملات ولا يكون تأملهُ والحالة هذه الا في التصورات المخيفة من الموت والجحيم

وهناك مشابهاتٌ أُخر في جزئيات هذه الرياضة ولواحقها ليست بأقلّ قرباً مما ذُكر. منها ان الاخوان من المسلمين يذهبون الى ان كتب قوانينهم وآداب طريقتهم منزَلة وكذلك الجزويت يرون ان دستور الرياضة وحيٌ الهي هبط على اغناطيوس في رؤيا منريزا

ومنها انهُ جاء في ورد الاخوان ان الطالب اذا كان من العامّة ينبغي ان لا يُعطَى الطريق الا بالتدريج فلا يكلَّف الا صلواتٍ خفيفة ومثلهم الجزويت فانهُ يُقرأ في دستورهم انهُ اذا علم المرشد ان المبتدئ على غير اهبةٍ كاملة أو جدارةٍ طبيعية ينبغي ان يفرض عليهِ رياضاتٍ خفيفة

ومنها ان الاخوان يكررون الذِكر مئاتٍ وآلافاً من المرّات الى حدّ التدلُّه والجزويت يفعلون كذلك في بعض الفاظ الدستور فيكررونها على صورةٍ واحدة حتى يبلغوا الى مثل ما ذُكر من شدة انهماك العقل وما يليهِ من غيبوبة الشعور

ومنها ان الاخوان يلتزمون في اثناء الصلاة نِصبةً مخصوصة للجسم وفي كتبهم وصفٌ مدقق لهذه النِصبة واخصّ ما فيها ان يوجه المصلي نظرهُ الى نقطةٍ واحدة لا يحوّلهُ عنها وهذا كما هو معلوم وكما كانت العرب تعرفهُ من ادعى الوسائط للسبات . وفي دستور الجزويت وصفٌ للهيئة التي ينبغي ان يكونوا عليها في وقت تلاوة الصلوات والتأملات وفي جملتها ان يوجّه النظر الى نقطةٍ واحدة لا يحوّل عنها

ومن عوائد الاخوان ولا سيما القادرية منهم والشاذلية ان يصلّوا على توقيعٍ مخصوص اي ان يلفظوا عند كل نَفَسٍ اسماً من اسماء الله ويمدّوا نَفَسهم ما استطاعوا ليتأملوا معنى الاسم وهم يحرصون غاية الحرص ان لا يلفظوا بين نفسٍ وآخر الا اسماً واحداً . وكذلك الجزويت فان لهم نوعاً من الصلاة وصفهُ لهم اغناطيوس وسماهُ اقتداءً بالعرب بصلاة التوقيع قال في دستورهِ وهي تتم بأن يصلي المصلي بقلبهِ ويلفظ بشفتيهِ عند كل نَفَسٍ كلمةً من الصلاة الربانية أو غيرها بحيث لا يلفظ بين كل نفسٍ وآخر الا كلمة واحدة والوقت الذي يمرّ بين نَفَسٍ ونَفَس ينصرف فيهِ الى تأمل معنى هذه الكلمة

وفي تعاليم الاخوان من المسلمين اذا صلى احدهم ان يتمثل الشيء الذي يذكرهُ في صلاتهِ ويشعر بهِ بكل واحدةٍ من حواسهِ الخمس فيبصرهُ ويلمسهُ ويسمعهُ الى آخر ما هنالك وذلك كما اذا ذكر الجنة مقام النعيم الخالد الذي ارصدهُ الله للانبياء والمؤمنين أو ذكر النار وما أُرصِد فيها من العذاب للكافرين . وكذلك الجزويت لهم طريقةٌ في الصلاة شرحها اغناطيوس في دستورهِ شرحاً مسهباً وهي طريقة الصلاة بالحواس وبمقتضاها

يبصر الواحد منهم ما يتأمل فيهِ ويسمعهُ ويشمّهُ ويذوقهُ ويلمسهُ . فاذا تأمل في الجحيم مثلاً قال اولاً اني ارى بعيني عقلي هذه النيران العظيمة ونفوس الهالكين كأَنها حالّة في اجسامٍ من نار . وثانياً اسمع بقوّة تصوُّري التأوُّه والصراخ والتجديف على السيّد المسيح وعلى جميع القديسين . وثالثاً اتخيل اني اتنفس الدخان والكبريت وأشمُّ روائح قواذير وموادّ متعفنة . ورابعاً اتمثل اني اذوق في باطني اشيآء مرّة كالدموع والكآبة والدود الذي ياكل الضمير . وخامساً اشعر بأني المس هذه النيران المنتقمة واجهد بأن افهم حق الفهم كيف تحيط بنفوس الهالكين وتحرقها

ثم ان عند الاخوان عدة اطوار للابتدآء والكمال فعندهم اربع وسائط لفنآء العبد في الله وسبع قواعد لتعبير الرُؤَى والاحلام وسبع علامات للانابة الصادقة واربعون طريقاً يتوصل بها المؤمن الى الله واربعة وستون طريقاً لاتشذ عن الايمان الصحيح وخمس وصايا للنبي او قواعد للايمان الصحيح . وكذا الجزويت يُذكَر في دستورهم اربع قواعد لصحة الاختيار وثلاثة انواع من الصلوات وثماني قواعد لتمييز ملائكة الخير من ملائكة الشرّ وثلاث درجات للخضوع وثماني عشرة قاعدة للايمان الصحيح

وعند الاخوان عدا الخلوة التي سبق ذكرها مدة ثلاثين أو اربعين يوماً خمسة امتحانات وهي اولاً خدمة الفقرآء اقتدآء بزعيم الطريقة كشيخ القادرية الذي كان يجوب الطرق حاملاً قربةً من الماء البارد يسقي منها المجهودين من الفقرآء والمسافرين أو ما اشبه ذلك من التطوّعات . وثانياً حج البيت الحرام أو زيارة ضريح احد المشايخ المكرَّمين في الطريقة . وثالثاً ان

يملك الانسان رقهُ مدة الف يوم ويوم (كما يفعل المولوية مثلاً) . ورابعاً ان يعلّم القرآن للأُمة . وخامساً ان يخطب في المحافل وهذا الاخير مخصوصٌ ببعض المبتدئين في الطريقة . وكذا الجزويت فانهم خلا الرياضة ثلاثين الى اربعين يوماً كما يفعل الاخوان يفرضون على المبتدئين الامتحانات الخمسة بعينها . فعليهم اولاً ان يخدموا المرضى من الفقراء مدة شهر تذكاراً لاقامة زعيمهم في دير منريزا حيث كان يخدم اصحاب العاهات والزوّار . وثانياً ان يحجّوا الى اورشليم كما فعل اغناطيوس أو الى احد الاماكن المقدَّسة التي يختارونها مزوَّدين برسائل شكر وسائلين الضيافة مدة سفرهم كله . وثالثاً ان يتولوا الاعمال الدنيئة في الدير . ورابعاً ان يعلّموا العقائد المسيحية للاولاد والاميين . وخامساً ان يمرّنوا انفسهم على الوعظ والارشاد

على انهُ لا يُنكَر ان بعضاً من هذه الامتحانات الاخيرة غير مخصوص بالجزويت من بين اصحاب الرهبانيات ولكنك لا تجدها مجتمعةً كلها عند احدى الرهبانيات وعلى وفاقٍ تامّ بينها وبين الجمعيات الاخوانية كما تجدها عند الجزويت . بيد انهُ ما خلا هذا الاستثناء الطفيف هنا فان سائر ما ذكرناهُ من الخصائص لا يوجد في شيءٍ من الجمعيات الدينية في الكنيسة وانما هي امورٌ انفردت بها الجمعيات الاسلامية وجمعية الجزويت وهي اكثر واخصّ من ان تأتي من طريق الاتفاق وبالتالي فان بناء الرياضات الجزويتية على الاصول الاسلامية مما يشفّ عنهُ تاريخ هذه الجمعية بما لا يمكن جحدهُ　　　　(ستأتي البقية)

اصل اللغات الساميّة

هي مقالةٌ لكاتب هذه المجلة تليت في ردهة المدرسة البطريركية في بيروت يوم احتفالها بتوزيع الجوائز سنة ١٨٨١ وطُبعت في مجلة المقتطف في الجزء السادس من مجلد السنة المذكورة ونحن معيدون طبعها في الضياء اجابةً لاقتراح بعض مشتركينا الادباء وهي هذه

هو بحثٌ اقتُرِح عليَّ على ضيق الوقت وتشتت البال ونزارة المادّة وضعف العُدّة وعلى كونه من المباحث التي تباعدت فيها مسافة الخلاف وخفيت اعلام البيان وكثرت الدعاوي وتخلّف الدليل فمن دون الوصول الى غايته تيهٌ سحيق ومن دون ابداء الرأي فيه ألسنةٌ حداد وصدورٌ حرار ولكني سأتوخى فيه ما اظنّهُ الاشبه والامثل ولعلّي لا اعدم في جانب الحقّ نصيراً وفي جانب الحلم صفحاً جميلاً

المراد باللغات السامية اللهجة التي كانت على ألسنة ابناء سام بن نوح عليهما السلام ومن اخذ إخذهم وهم سكان القسم الجنوبي من غرب آسية من حدود الارمن شمالاً الى البحر العربي جنوباً ومن خليج العجم شرقاً الى البحر الاحمر غرباً . وكانت ألسنتهم تنقسم الى ثلاث لغاتٍ في الجملة وهي العربيّة في ناحية الجنوب والعبرانيّة في ناحية الغرب والإرَميّة في ناحيتي الشمال والشرق . وهناك لغاتٌ اخرى من نحو الفينيقية والفلسطية من اللغات الداثرة والسامرية من لغات المتأخرين والحبشية من لغات ابناء حام بأفريقية نومئ الى بعضها من جانب الكلام اذ ليس لنا من الذرائع المبلّغة الى موضع البحث فيها ما ينبسط به الرأي ويتهيّأ الحكم وحسْبنا الكلام

فيما نعلمهُ فاذا استتبّ لنا الحكم فيه لم يمتنع علينا الاستدلال على غيره من جانبٍ آخر

ونحن نورد اولاً رأي كل فريقٍ من علماء هذه اللغات في ايّها كان اصلاً لسائرها ونتاقى كل قولٍ بحجّته وما أُورد عليه من الدفع ثم نعود الى رأي علماء البحث المتجردين عن المتابعة والهوى ونأتي في عرض ذلك بما يعنّ للبصيرة القاصرة من هذا القبيل وعلى الله سبحانهُ قصد السبيل

ففي مقدّمة المنتحلين أصالة اللغات علماء العبرانيّة من اليهود وتابعهم كثيرون من مشاهير علماء النصرانية وغيرهم قالوا هي اللغة التي فتق الله بها لسان آدم عليه السلام وبقيت في ولده شيث حتى انتهت الى ابرهيم عن طريق عابر ابن سام ولذلك سمّيت بالعبرانية . قالوا وكان عابر خارجاً عن عداد الذين بنوا الصرح فلم يعرض على لسانه ما عرض على سائر الألسنة من البلبلة . ويستظهرون لصحّة دعواهم بأن كثيراً من الاسماء الواردة في حديث الخلق وما بعدهُ الى الطوفان مثل آدم وعدْن وفيشون وجيحون وغيرها اسماءٌ عبرانية . وزعم يوسيفس انهُ وُجد لعهده في هذه الديار عمودٌ من حجر كان منصوباً من قبل الطوفان بأمدٍ طويل عليه كتابةٌ بالعبرانية في تلخيص جميع الصنائع والعلوم وانهما كانا عمودين على هذا المثال نصب احدهما شيث والآخر اخنوخ فذهب الواحد في مياه الطوفان وبقي هذا

وادّعت السريان ووافقهم كثيرٌ من مؤرّخي الشرقيين كالمسعوديّ وابن خلدون وغيرهما ان اصل اللغات كلها السريانية ودليلهم في ذلك ان نوحاً والذين كانوا معهُ في الفلك نزلوا بعد الطوفان بأرض الجزيرة وما يليها من

بلاد ما بين النهرين المجاورة لارمينية حيث استقرّت السفينة ولغة تلك البلاد منذئذٍ الكلدانية وهي والسريانية لسانٌ واحد على ما سنبينّهُ بعد . قلت وهذه الحجّة هي عين حجّة الارمن في مثل هذه الدعوى مع انهم ليسوا من الساميّة في شيء وانما هم فيما ذكروا من سلالة يافث . ويزيدون على ذلك ان الله عز وجل جبل آدم من تربتهم وانزلهُ بأرضهم لان الفردوس كان بأرمينية وهناك علّمهُ اللسان ولما انقضى امر الطوفان اعاد البقية البشرية الى ارضهم واقرّ السفينة في بلادهم فانتشرت من ثمّ اللغة في سائر الارض فكانت فيها نشأة الانسان الاولى ومنها منبعثهُ الثاني . ولهم في ذلك ادلّةٌ اخرى لفظية من نحو ادلّة اليهود لانطيل بذكرها

وقالت العرب كان اللسان الاول الذي نزل بهِ آدم من الجنة عربياً الى ان بَعُدَ العهد وطال فُحُرِّف وصار سريانياً فكان ذلك لسان الناس الى حين الغرق . قالوا ولم يكن في الفُلك مَن لسانهُ العربيّ الاّ رجلٌ واحد يقال لهُ جُرهُم فلما خرجوا من الفلك تزوج إِرَم بن سام بعض بناتهِ فمنهم صار اللسان العربيّ في ولدهِ عُوص ابي عاد الى آخر ما ذكروا

فأما حجة اليهود فيقال فيها ان العبرانية لم تكن من لغة ابرهيم بدليل ان عشيرتهُ في حاران كان لسانها الكلدانيّ وشاهدهُ ما ورد في الكتاب من حديث يعقوب ولابان وأنهما حين تعاهدا في جبل جلعاد ونصبا تلك الجثوة من الحجارة سماها يعقوب جلْعاد وهي لفظةٌ عبرانية وسماها لابان يَغَرْ سَهَدُوثا وهي لفظةٌ كلدانية ومعنى التسميتين واحد اي جثوة الشهادة . ومن هنا يُستدَلّ على ان العبرانية كانت لغة الكنعانيين الذين هاجر ابرهيم

اليهم وهم الفلسطيون ومن جاورهم وبهِ يشهد اشعياء حيث يسمي العبرانية لغة كنعان (الفصل ١٩ : ١٨) . واما تسميتها بالعبرانية وأنها منسوبةٌ الى عابَر فان صحّت هذه النسبة اليهِ فانما هي للشعب لا للغة بدليل ان اهل كنعان كانوا يسمون ابرهيم عبرانيًّا وهذا اللقب لم يكن بالنظر الى اللغة قطعاً لِما تقدّم قريباً . غير انهُ لما ارتحل العبرانيون عن ارض كنعان فمكثوا في مصر احقاباً متطاولة وخرجوا بعد ذلك الى البرّية فأقاموا بها زماناً وهم في هذه المدّة كلها بين اقوامٍ لغتهم تخالف الكنعانية نُسِبت هذه اللغة اليهم وسُمّيت بالعبرانية وعليهِ فاللغة منسوبةٌ الى العبرانيين لا الى عابر كما توهموها. ويزيد ذلك تأييداً ان جميع الاسماء الكنعانية القديمة من أعلام الناس والمواضع كأَبيملك وأدوني بازَق وقِرْية يَعارِيم وغيرها الفاظٌ عبرانية خالصة مع انها من الاوضاع التي كانت قبل ابرهيم . ولا يصحّ ان يُدَّعى انها حُوّلت الى العبرانية لان الاعلام تُحكى على اصلها والاّ فقد سقط احتجاجهم بما ورد من الاسماء العبرانية قبل الطوفان على ما تقدّم في مقالتهم . على ان العبرانيّ من تلك الاسماء التي يذكرونها قبل الطوفان ليس الاّ الفاظاً معدودة وقد بقي من دونها الفاظ كثيرة بعضها لا ينطبق على لغةٍ من اللغات المتعارَفة البتة وبعضها ينطبق على غير العبرانية فلم يبقَ في ذلك حجَّةٌ لاحد . واما مقالة يوسيفس فخبرٌ أبتر لم يشفعهُ تواتر ولم يؤيّدهُ سند ولم يشهد بهِ عيان وهؤلاء المؤرّخون الشرقيون كلهم لم يرد هذا النبأ عن احدٍ منهم ولا سُمِع ان هذا العمود نُقل الى بلادٍ اخرى فلا بدّ من بقاء هذه الرواية موقوفةً حتى تؤيّد بثَبَتها

وحجّة السريان مدفوعة بأن بلبلة الالسنة المشهورة كانت في بابل مقرّ اللغة الكلدانية حيث اختلطت الالسنة ولم يعد يتميز بعضها من بعض فما الدليل على ان فصيلة ابرهيم سلمت من هذه البلبلة ومن اين يُعلَم ان الكلدانية هي اللسان الذي كان يتكلم بهِ سام والذين نزلوا من الفلك

وحجة الارمن مردودة بمثل ما رُدّت بهِ حجة السريان للنصّ على ان البلبلة كانت شاملةً للالسنة كلها وبأن لغات السواد الاعظم من الامم المعروفة لذلك العهد بقيت بعد البلبلة يشابه بعضها بعضاً ولغة الارمن انفردت بمخالفتهنَّ جملةً فهي لذلك ابعدهنّ دليلاً . وبأنهُ لو كانت الاسماء القديمة حجّةً في مثل هذا لكانت الحجة للعبرانيين لكونها في لغتهم اكثر . وبعد فقد روى هيرودوطس ان الارمن في اصلهم طارئةٌ من فريجية خيّمت بناحية أراراط فان صحّ هذا القول فقد قطعت جهيزة قول كل خطيب

ومقالة العرب عاريةٌ عن السند ولكنهم ألقوا دلوهم في الدلآء فنتركها حتى يتبيّن دليلها . وفي الجملة فان الدعاوي في ذلك متزاحمةٌ متعارضة فكلّ فتاةٍ بأبيها مُعجَبة وكل قومٍ بما لديهم فرِحون

وهنا أستميح المعذرة من سادتي علماء الالسنة وجهابذة اللغات عمّا اجترأت بهِ من التعقيب على أحكامهم فما فعلت استخفافاً ولا تزييفاً ولا اتّخذت هذه الدالّة بين ايديهم الاّ يقيناً بأني واياهم أمُّو غرضٍ واحد هو احقاق الحقّ ونبذ الباطل . واسأل اخواني ارباب العصبيّات ان لا يعجلوا الى الموجدة لما اسخطت بهِ كل فريقٍ منهم فسيرون عمّا قليلٍ اني متعملٌ في ارضائهم جميعاً وسأثبت لهم بالبيّنات الدامغة ان كل واحدةٍ من لغاتهم

اصلٌ قائمٌ بنفسهِ فينقلبون جميعهم راضين عني ان شآء الله ويكونون نصرآئي في وجوه المعترضين

وذلك أن الذي اذهب اليهِ ولست الأوَّل فيهِ أن تلك اللغات بجملتها كانت اصلاً واحداً كما نُصَّ عليهِ في حديث البلبلة ودعوى الاصالة للغةٍ منها بخصوصها لا تثبت ولا يمكن ان يقوم عليها دليل والقول بأن في اللغات امهّاتٍ وبناتٍ يتولد بعضها من بعض ليس من المذاهب المرضيَّة في وجه البحث . انما القول ان كل طائفةٍ من اللغات مهما تبدّلت هيئاتها وتعدّدت فروعها في الظاهر فالاصل متحقّقٌ في كل واحدٍ من تلك الفروع مُستصحَبٌ في جميعها على السوآء . وما اعتور ذلك الاصل من التباين وتفرّق اللهجة انما عرض بسبب تفرّق المنتحلين لهُ وطول انقطاع بينهم مع ما يضاف الى ذلك من تلوّن الشؤون وتعاقب الاحقاب وما زالت اللغة دائمة التغيّر معرّضةً للزيادة والنقصان شأن الارض وما عليها (ستأتي البقية)

اللبن والرضاع

وقفنا في احدى المجلات العلمية على المقالة الآتية للدكتور جانُو فأحببنا تعريبها لما فيها من الفائدة قال

من المتَّفَق عليهِ ان افضل ما يُرضَعهُ الطفل لبن امهِ غير انهُ كثيراً ما يتفق ان الوالدة لا تستطيع ارضاع طفلها لمانع فتلتجئ الى تغذيتهِ بلبن الحيوان واكثر ما يُستعمَل في ذلك لبن البقر الا انهُ على الغالب لا تتوفر فيهِ الشروط الملائمة للصحة فيكثر بسببهِ الموت في الاطفال

والشائع في استعمال الارضاع الصناعي ان يكون بواسطة الممصّة وهي القارورة المعروفة ذات الحلمة من المطّاط الا ان هذه الآلة كثيراً ما تكون مجلبة للاسقام لما يتجمع في حلمتها من الجراثيم المرضية ولذلك قلّ استعمالها اليوم كما استُبدِل اللبن المسخّن — وهو كثيراً ما لا يُبلَغ بهِ حدّ الغليان — باللبن المعقَّم الخالي من كل جرثومةٍ مضرّة

اما مزج اللبن والحالة هذه بالمآء فمسئلةٌ مع بساطتها في بادي الرأي لاتستغني عن فحص تركيب اللبن وما يعرض لهُ من الكيفيات بعد التعقيم . واللبن يشتمل على اربعة اركان أوّلها المآء وهو معظم مادّتهِ . والثاني الجوهر الجبنيّ . والثالث السكَّر اللبنيّ وهو الذي يوجد في المصل . والرابع المادّة الدهنية وهي ما فيهِ من الزُبد . ويتضمن خلا ذلك مقادير قليلة من املاحٍ معدنية ويسيراً من الالبومين (وهو المادّة التي يتكون منها بياض البيض وما في طبيعتهِ) . والمقادير النسبية لهذه الموادّ تتفاوت تبعاً لنوع الحيوان واما في افراد النوع الواحد منهُ فان المادّة الجبنية والسكَّر لا تتغير نسبتهما ولكن المادّة الدهنية تقل وتكثر تبعاً لحالة الحيوان وتبعاً لغذآئهِ وموعد درور اللبن فيهِ

ثم ان اللبن من الموادّ القابلة الفساد بالضرورة فانهُ حالما يُحلَب ويعرَّض للهوآء يتراكم عليهِ عددٌ من الجراثيم العضوية الا ان هذه الجراثيم قلما تضرّ البالغ ولكنها اذا دخلت قناة الطفل الهضمية اكتسبت سُمّيّةً شديدة يحدث عنها اسهال الاطفال ولذلك وجب الاهتمام باتلاف هذه الجراثيم وهذا يُتوصل اليهِ بأن يُحمَى اللبن مدةً ما الى ١٠٠ او ١٢٠° من الحرارة

وهو ما يعبَّر عنهُ بالتعقيم

والتعقيم فضلاً عن انهُ يهلك الجراثيم المذكورة يفعل على المادّة الجبنية ويغيّر نوع تجمُّدها في المعدة . وذلك انهُ في الحالة الطبيعية اي اذا لم يكن اللبن معقَّماً تتجمد المادّة الجبنية فتكون كتلةً واحدة كثيفة البناء يعسر هضمها فيحدث عنها تلبكٌ في معدة الطفل وبعكس ذلك اذا كان اللبن معقماً فانها عند التجمد تبقى متخلخلة الاجزآء فتكون اشبه شيء بالقشدة وبذلك يقرب لبن البقر من لبن المرأة لانهُ يتجمد على هذه الهيئة الا انهُ على كل حال يخالفهُ في ان المادة الجبنية تكون كثيرةً فيهِ مع زيادة في مقدار الملح ولذلك ارتأى بعضهم ان يعدّل تركيبهُ بأن يضيف اليهِ محلولاً من سكَّر اللبن الا ان هذه الاضافة قليلة النفع بل ربما لم يكن لها نفعٌ اصلاً ولا سيما في المدن حيث يباع اللبن على الغالب خالياً من الزبد او ممذوقاً بالمآء

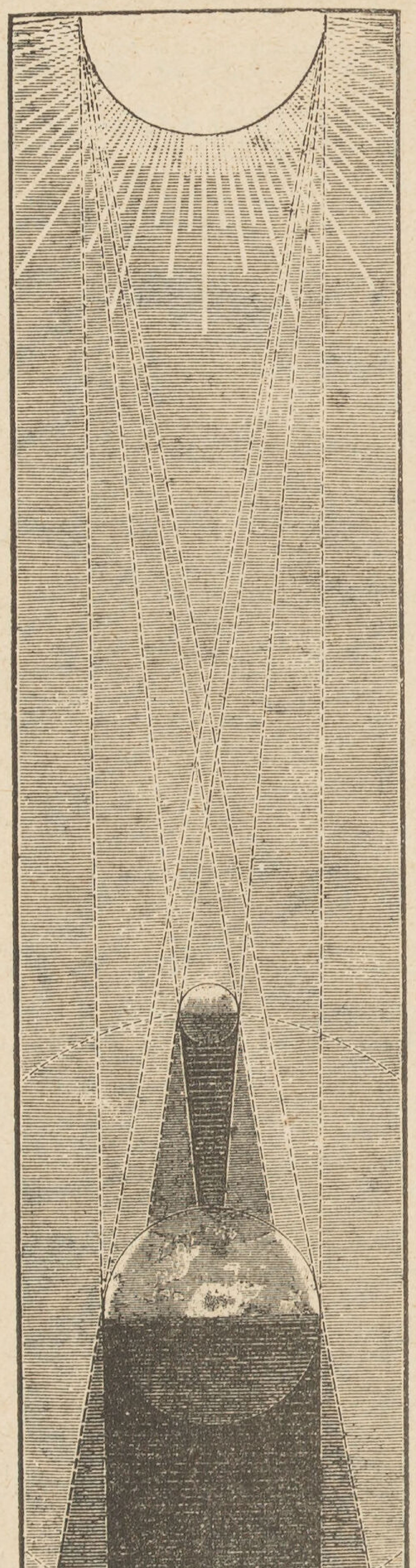
اما مزج اللبن بالمآء الصرف فلا فائدة منهُ مهما كانت صفة اللبن وما يُرى احياناً من عدم صلاح الاطفال على الرضاع الصناعي باللبن المعقَّم فليس سببهُ ترك المزج ولكنهُ على الغالب يكون من قِبَل المقدار الذي يُعطَى للطفل بأن يكون كثيراً في كل مرة أو تكون المرات متواترة الى حدٍّ لا تحتملهُ معدتهُ فتتلبك معهُ اعمال الهضم . وهو امرٌ ينبغي للأم ان تتنبه لهُ تنبهاً مخصوصاً فلا يُعطَى الطفل في كل مرة الا مقداراً معيناً من اللبن وعلى فتراتٍ مقدّرة تحدَّد برأي الطبيب واذا حدث مع ذلك شيءٌ من الاعراض المعديّة أو المعوية عُلم ان الطفل مصابٌ بعسر الهضم او بالتهاب اغشية المعدة أو الامعآء وحينئذٍ فلا بد من مراجعة الطبيب

ثم ان اللبن المعقّم ليبقى على خاصيّته لا ينبغي ان يكون مما عُقّم من زمن طويل ولا ان يُفرَغ من اناء الى آخر ولكن ينبغي ان يبقى في نفس الاناء الذي عُقّم فيه . وافضل طريقة يجهز بها الطريقة المنسوبة الى سُكسلاي وهي ان يسخَّن اللبن فيما يسمى بحمّام ماريًا وهو اناء يُغلى فيه الماء ويُجعَل اللبن في قناني تُسدّ افواهها بسدائد من المطاط توضع على اعلى الفم بحيث يفلت الغاز من تحتها عند تمدُّده في اثناء الغليان وتترك القناني في الحمام المذكور مدة ساعة الى ساعة ونصف ثم تُرفع عن النار فاذا اخذ اللبن في التبرُّد وابتدأ الفراغ في داخل القناني يضغط الهوآء على السدائد بشدّة فتُسَدّ سدًّا هرمسيًّا

هذا افضل ما توصلوا اليه في تطهير اللبن من الجراثيم المضرّة على انهُ في كل حال مهما تحسنت طريقة الارضاع الصناعي لا يمكن ان يقوم مقام الارضاع الطبيعي ولاسيما اذا كان من ثدي الوالدة . اه

خسوف القمر

قد كانت ليلة ٢٢ من هذا الشهر من الليالي المشهودة في هذا القطر بل في اكثر بلاد المشرق لم يكد القمر يبرز فيها فوق الافق حتى بدا جانبهُ الشرقي مسودًّا ثم اخذ نورهُ في النقص فاكفهرّ وجه الطبيعة وظهرت النجوم مرتدية ثوب الحداد ثم لم يكن الا ساعةٌ او بعض ساعة حتى ماجت شوارع القاهرة بالجماهير المتتابعة فرقة بعد فرقة وفي ايديهم النحاس والصفيح يقرعونهُ من كل جانب وهم يضجون ويستغيثون وترك مئات الباعة الذين يطوفون في الشوارع نداءهم وعمد كلٌّ منهم الى كفتي ميزانه يقرع احداهما بالاخرى . هذا والقمر قد اخذ بعد سواده في الاحمرار



وقد نشبت فيهِ انياب الحوت فصبغت وجههُ بالدم وتلك الجماهير لا تزداد الا طنطنةً وصياحاً حتى اهتزت المدينة بأسرها ولبث الامر على ذلك عدة ساعات حتى اذا اخذ وجه القمر في الانجلآء انطلقت زغارد النسآء من المنازل والسطوح استبشاراً بنجاة القمر من فم الحوت ولولاما لحقهُ من الخوف بتلك الاصوات المزعجة لما افلتهُ ولما رأينا وجه القمر آخر الدهر

وهذه العادة اي عادة قرع النحاس في اوان الخسوف قديمة جدًّا قيل واصلها ان منجماً بالهند انبأ احد ملوكها بخسوف القمر فحبسهُ على ان يختبر صدقهُ فان صح انبآؤهُ اجازهُ والاضرب عنقهُ واتفق انهُ عند ما خسف القمر كان الملك نائماً وهاب المنجم ان يوقظهُ فأشاع في المدينة ان حوتاً في السمآء قد ابتلع القمر وامرهم ان يخوفوهُ بقرع الاواني النحاسية فقامت ضجة النحاس في المدينة حتى اقلقت السكان واستيقظ الملك فرأى القمر مخسوفاً فأطلق المنجم واجازهُ ومذ ذاك رسخ هذا الاعتقاد في عقول العامة يتناقلونهُ الخلف عن السلف

على ان كلاًّ من الخسوف والكسوف يظهر لمن لا يعلم سببهُ من خوارق الطبيعة ولذلك كانا قديماً باعثاً للخوف والاضطراب حتى عند الامم المتمدنة . قيل واول من تكلم على علة الكسوف

والخسوف أنكساغورس الفيلسوف اليوناني في القرن الخامس قبل الميلاد وكان الكلدان قبلهُ قد توصلوا الى معرفة مواقيتهما بالقياس على ما سبق حدوثهُ منهما لانهم وجدوا انهما يتكرّران على ترتيب واحد كل مدة من الزمن على ما سيُذكر

وسبب الكسوف والخسوف ان القمر في دورانهِ حول الارض تارةً يقع بين الارض والشمس فيحجب ضوءها عن الارض وتارةً تقع الارض بينهُ وبين الشمس فتحجب ضوء الشمس عنهُ كما ترى رسم كلتا الحالتين في الشكل ولذلك لا يقع كسوف الا والقمر في المحاق ولا خسوف الا وهو في الاستقبال . على ان فلك القمر مائل على فلك الارض نحو ٥ درجات فهما يتقاطعان في نقطتين متقابلتين يقال لهما العقدتان وفي ما سواهما ينفرج الفلكان فيقع القمر الى جنوبي فلك الارض او الى شماليهِ ومتى وقع القمر في احدى العقدتين أو بالقرب منها يحدث الكسوف أو الخسوف ولو كان القمر والارض يدوران في سطح واحد لحدث كسوف عند كل محاق وخسوف عند كل استقبال

والعقدتان تنتقلان حول الارض متقهقرتين من الشرق الى الغرب ومقدار تقهقرهما ١٩° و ٣٥َ في كل دورة فتتمان دوراناً كاملاً في ١٨ سنة و ١١ يوماً يدور القمر في اثنآئها ٢٢٣ دورة وحينئذٍ يعود كلٌّ من الشمس والارض والقمر الى ما كان عليهِ في اول المدة المذكورة ثم يعاد ما كان اولاً فكل كسوف أو خسوف يقع في وقت من الاوقات يتكرر حدوثهُ بعد ١٨ سنة و ١١ يوماً

ومتى كان القمر بيننا و بين الشمس وهو في العقدة أو بقربها يقع ظلهُ على الارض فيرسم دائرةً تمر بدوران الارض على جميع البلدان المواجهة للشمس والبلدان التي يمر عليها هذا الظل يكون الكسوف فيها اما تامًّا اذا كان القمر على اقرب مسافاتهِ منها حتى يصير قطرهُ اكبر من قطر الشمس أو مثلهُ واما حلقيًّا متى كان في أبعد مسافاتهِ حتى يصير قطرهُ اصغر من قطر الشمس كما حدث في الكسوف الاخير في ١١ نوفمبر من السنة الماضية واما جزئيًّا اذا كان مركز القمر منحرفاً عن مركز الشمس ولا يحجب الا قسماً منها

والارض تلقي وراءها ظلاً مخروطيًّا مقابلاً للشمس معدل طولهِ نحو ١٠٨ مرات من طول قطرها وهو يضيق كلما بعد عنها حتى ينتهي بنقطة وسعتهُ على بعد القمر المتوسط نحو مرتين من قطر القمر فهو لا ينخسف الا متى اجتاز في هذا الظل . ثم ان مخروط ظل الارض محاط بظل اخف منهُ يسمى الظَلَيل وهو يكون ايضاً بهيئة مخروط الا ان رأس هذا المخروط متوسط بين الشمس والارض اي في النقطة التي تتقاطع فيها اشعة الشمس المارة من محيطها الى محيط الارض كما ترى في الرسم . وذلك ان المساحة التي يملأها هذا الظليل لا يأتيها نور الشمس الا من جهة واحدة بحيث لو وقف ناظرٌ في الظليل لا يرى الا جانباً من الشمس و باقيها محجوب بجرم الارض وحينئذٍ فالقمر يعبر اولاً في الظليل فيظهر عليهِ ظل ضعيف يمتد شيئاً فشيئاً كلما تقدم الى ان يدخل في مخروط الظل فينقطع عنهُ نور الشمس جملةً غير انهُ في هذه الحال يأخذ في الاحمرار وسببهُ ان اشعة الشمس الواقعة على الارض من الجهة المقابلة والمحيطة بمخروط الظل تنكسر بمرورها في جو الارض وتميل الى مركز المخروط فيقصر المخروط بذلك وتتلون الاشعة الواقعة حولهُ بلون يشبه لون الشفق عند غروب الشمس وهذه الاشعة تنعكس الى القمر فيظهر فيهِ الاحمرار المذكور . على انهُ احياناً لا يظهر على القمر احمرار البتة حتى لا يعود يُعرَف مكانهُ للناظر كما حدث سنة ١٦٤٢ و ١٧٦١ و ١٨١٦ واحياناً يكون شديد الصفاء حتى يشك الناظر في خسوف القمر كما وقع سنة ١٧٠٣ و ١٨٤٨ وكلاهما مما يصعب تعليلهُ على وجه مقنع

والخسوف قد يكون كليًّا كالذي حدث هذه المرة وذلك اذا دخل القمر بجملتهِ في الظل وقد يكون جزئيًّا اذا مر بعضهُ في الظل . وكل اشكال خسوفهِ ترى في الخسوف الكلي لانهُ يبتدئ من احد جانبيهِ ثم يتدرج حتى يعم كل وجههِ وبعد ذلك يبتدئ في الانكشاف من الموضع الذي ابتدأ منهُ حتى ينجلي بتمامهِ . وقد كان ابتداء الخسوف بالقاهرة والقمر تحت الافق لان المماسة الاولى للظليل كانت على ما انبأ بهِ المرصد العباسي الساعة ٥ والدقيقة ٥٠ و برز القمر من الافق الساعة ٦ والدقيقة ١٨ اي بعد ابتداء الخسوف بثمان وعشرين دقيقة وكانت الشمس

اذ ذاك فوق الافق لانها غربت الساعة ٦ والدقيقة ٢٦ اي بعد طلوع القمر بثماني دقائق فظهر قرصهُ بتمامهِ والشمس اعلى من الافق بما يعدل قطرها مرتين . وهو منظر مستغرب في الظاهر ولكن الحقيقة ان القمر رؤي قبل طلوعهِ والشمس بقيت مرئيةً بعد غيابها بسبب انكسار النور الذي تقدم ذكرهُ وهو يكون في الافق نحو نصف درجة او ٣٣ دقيقة فنرى الشمس قبل طلوعها بنحو دقيقتين من الزمن وكذلك بعد غروبها لا تزال منظورة نحو دقيقتين . واما سائر اوقات الخسوف فكانت على ما يأتي

	د	س
المماسة الاولى للظل	٠٠	٧
ابتداء الخسوف الكلي	١٠	٨
وسط الخسوف	٥٣	٨
انتهاء الخسوف الكلي	٣٥	٩
آخر ممارسة الظل	٤٥	١٠
آخر مماسة الظليل	٥٥	١١

فريد البرباري

البطريرك بطرس الرابع

في الرابع والعشرين من هذا الشهر رُزئت طائفة الروم الكاثوليك بل رُزئ الوطن السوريّ والمصريّ بفقد الحبر الكبير والعلَم الشهير المثلَّث الرحمات السيد بطرس الجريجيري بطريرك انطاكية والاسكندرية واورشليم توفاهُ الله اليهِ في مدينة بيروت غبّ مرضٍ طالت ايامهُ وبرَّحت آلامهُ فكان فقدهُ رزءًا صُدِع بهِ مفرق الانسانية وثُلم ركن الوطنية وهِيض جناح العلوم والآداب وتلجلج لسان الفصاحة والخطاب فلا بدع اذا

انحنت اسفاً عليهِ اعواد المنابر　　وخُضِبت وجوه الصُحُف بدموع المحابر
وعُدَّ فقدهُ خَلَّةً في الوطن لا تُسَدّ　　ورُزءًا بواحدٍ لا تُغني عنهُ كثرة العدد
فرحمهُ الله رحمةً تكافئ جزيل احسانهِ　　وأفآء عليهِ ظلال عفوهِ ورضوانهِ



اما ترجمتهُ فقد وُلد رحمهُ الله في مدينة زحلة من جبل لبنان سنة ١٨٤١ وبها نشأ وتأدب ولما بلغ الحادية والعشرين من عمرهِ انتظم في سلك الاكليريكية وتقلب بعد ذلك في خدمة الدين والعلم فقضى صدرًا من ايامهِ في المدارس الكبرى ما بين

تهذيبٍ وارشاد ثم سافر الى اوربا فأتم دروسهُ الدينية والفلسفية في مدرسة بلوا من فرنسا وعاد بعد ذلك الى سوريا فأنشأ فيها عدة مدارس في نواحي زحلة وما يتبعها من بلاد البقاع وفي سنة ١٨٨٦ قُلّد مطرانية بانياس فلبث فيها اثنتي عشرة سنة حسنت فيها آثارهُ وبنى فيها كنيسة فخيمة على اسم القديس بطرس وأنشأ كثيرًا من المدارس وكانت جملة ما أنشأهُ فيها وفي نواحي زحلة تزيد على اربعين مدرسة للذكور والاناث منها المدرسة الاسقفية في زحلة وثلاث مدارس كبيرة في حاصبيّا وراشيّا والجُدَيّدة ومدرسة زراعية للايتام في مرج عيون عزّزها بالاوقاف وهي لا تزال عامرةً الى اليوم . وفي سنة ١٨٩٨ وقع عليهِ الانتخاب لتولي المقام البطريركي فنهض باعباء هذا المنصب الخطير اتمّ نهوض وكان اول ما شرع فيهِ تأسيس كنيسة في القاهرة ومدرسة في طنطا وكان ينوي ان ينشئ مدرسة في القاهرة كالمدرسة البطريركية في بيروت ففاجلهُ امر الله دون ما نوى وبقيت تلك العزائم من ودائع القدر الى ان يقيض الله لهُ خلفًا يضطلع بتلك الاعمال وينعش من بعدهِ عاثر الآمال

وكان رحمهُ الله رجلاً جسورًا عالي الهمة رحيب الصدر بصيرًا بسياسة العصر قيّمًا على مصالح الرعية وكان من مصاقع الخطباء حادّ الذهن فياض القريحة بليل المنطق ولهُ الخُطب الرنانة في بعض كنائس فرنسا وغيرها على رؤوس الآلاف من كبرائها واعيانها . ومما انفرد بهِ واستحق لاجلهِ جميل الذكر وطيب الثناء انهُ كان اول رئيس ديني في هذه البلاد خطب في الحضّ على نبذ التعصب والدعوة الى التقرب واجتماع الكلمة فادنى بين القلوب المتباعدة وألّف بين النفوس المتنافرة وازال كثيرًا من ذلك الصدى القديم ولو طالت مدتهُ لقلع معظم تلك الجراثيم من البلاد ونفخ فيها روحًا جديدًا

وعلى الجملة فقد فقدت بهِ البلاد ركنًا من اعظم اركان الانسانية وداعيًا من

اكبر دعاة الاصلاح ولما كان تأبينهُ فرضاً على كل من عرف منزلتهُ ورثاؤهُ دَيناً على مَن قدَر الرزء فيهِ قدرهُ لم نجد بدًّا من حمل القريحة الخامدة على وفاء هذه الذمة فأملَت الابيات الآتية نثبتها في هذا الموضع وان كانت دون ما يستحقّهُ رحمهُ الله وجزاهُ افضل ما جزى بهِ المحسنين

خاننا فيك حادث الايامِ ... فاحتكمنا الى الدموع السجامِ
تلك اوفى في النازلات وان لم ... تكُ اشفى للوعةٍ واُوامِ
وقليلٌ من بعد مصرعك الدمع ... ولو سال من جفون الغمامِ
ولعمري ليس البكاء بمغنٍ ... من فواتٍ قد عدَّ في الاحلامِ
انما تلك سُنّةٌ للمآقي ... سنَّها العجز في الخطوب العظامِ
جلَّ خطبٌ نفرُّ منهُ لخطبٍ ... وسقامٌ نطبُّهُ بسقامِ
قدَرٌ انفعُ السلاحينِ فيهِ ال ... صبرُ واليأسُ غاية الإقدامِ
ان للدهر في الحوادث شأناً ... غيرَ شأن البكاء والإبتسامِ
والشقا فيهِ والسعادة من احوا ... ل هذي النفوس والاجسامِ
والردى كالوجود ما فيهِ للمر ... ء اختيارٌ ولم يكن عن مرامِ
يولد المرء للحياة اضطراراً ... واضطراراً يذوق كأس الحِمامِ
ايها الراحل الحثيث رُوَيداً ... واصحبنّا ولو ببعض كلامِ
وامنح العين نظرةً من وداعٍ ... لك هيهات بعدهُ من سلامِ
ويح ناعيك وهو أهوَلُ نعيٍ ... كيف اجرى لسانهُ بالضرامِ
نبأٌ بَرقَعَ الضحى بظلامٍ ... ونفى في الظلام طيب المنامِ
لم يكُ الشرق فيهِ ادرى من الغر ... ب بزلزال رجفةٍ واهتزامِ

لا ولا مصرُ والعراقُ بأدنى لوعةً من صدور اهل الشآمِ
مأتمٌ باتت الفضائل فيهِ باكياتٍ بادمع الايتامِ
ونواحٌ بين المنابر والحشد وبين الطروس والاقلامِ
يا لكَ الخير والمراحم من ابقيتَ فينا للحادثات الجسامِ
والى من عهدتَ في الحزم والعز م ونقض الامور والابرامِ
كنتَ ركناً لنا فلما تداعى آذنَ العزُّ والعلى بانهدامِ
غيرةٌ مثلها اللهيبُ وعزمٌ دونهُ في المضاء حدُّ الحسامِ
قارعتكَ الخطوب دهراً فما وليتَ الا وغربها في انثلامِ
ان هذا المصاب اول خطبٍ فيهِ اسلمتنا الى الايامِ
نتوخى عنك اصطباراً فيغدو ال صبر ماءً من المحاجر هامي
ونروم العزاء عنك فتبدو الف ذكرى تأتي بالف ذمامِ
ليت شعري ما يرتجي المرء في دنيا هُ ما بين صبحهِ والظلامِ
خالطَ الموتُ منذ كان دماهُ وثوى بين لحمهِ والعظامِ
نحن في دار قُلعةٍ ليس فيها من دوامٍ ولا لها من دوامِ
اهلُ قفرٍ تناوبتهُ رياح ال بين في ظل خيمةٍ من ثُمامِ
بل طريقٍ نجوزها فتخيرْ لكَ منها زاداً لدار المقامِ
فهيَ ان شئتها طريقُ بوارٍ وهيَ ان شئتها طريق سلامِ

فكاهات

الانتقام الحلو(١)

من عوائد الانكليز انهُ اذا مات احد اغنيآئهم يترك معظم ثروتهِ للابن البكر وذلك ليخلد جاه الاسرة واسمها اما بقية الاخوة فينالون نصيباً زهيدًا وربما لا ينالون شيئًا . وحدث ان توفي في لندن اللرد ابرنون عن ولدين فترك كل امواله ولقبهُ لبكرهِ ولم يخصص الاصغر الا بشيء يسير فكان يعيش منهُ ثم تزوج فرزقهُ الله ولدًا سماهُ رُدريك نلسن . ولما ترعرع الولد ارسلهُ والدهُ الى كلية ايتن يتلقى فيها العلوم ثم توفي والدا ردريك وهو في المدرسة فاشتد حزنهُ لفقدهما ورأى نفسهُ مضطرًّا الى الخروج من الكلية المذكورة اذ لم يبقَ لهُ مَن ينفق عليهِ فيها

وكان ايضاً بين نبلاَء الانكليز رجلٌ يدعى السر دنزل ستورم حارب في زمن شبيبتهِ في المعارك الاسبانية ونال حظًّا وافرًا فرافقتهُ السعادة ثم اقترن بغادةٍ اسبانية وعاد الى انكلترا فانعمت عليهِ ملكتها بلقب شرفٍ وكان من الاغنياَء العظام . ورزقهُ الله ولدًا دعاهُ هربرت فارسلهُ الى كلية ايتون حيث يتعلم ردريك ولما مات السر دنزل اصبح ابنهُ هربرت وارث اسمهِ وثروتهِ وعُدَّ بين اشهر اغنياَءِ فتيان انكلترا

واستحكمت الصداقة بين هربرت وردريك فلما اصبح الاخير يتيماً فقيرًا وقد انقطع املهُ من البقاَء في المدرسة رقَّ هربرت لحالهِ واخبر والدتهُ بذلك فاستدعت ردريك الى بيتها وعاملتهُ كولدها وانفقت على تعليمهِ وجميع لوازمهِ فاصبح لها ردريك ابنًا ثانيًا . وشعر ردريك بجميلها فكان يحترمها احترامًا عظيماً ويفكر في واسطة تمكنهُ من مقابلة معروفها ومكافأتها بما يدل على اعترافهِ بجميلها وعظم منتها عليهِ

وفي تلك الاثناَء نشبت الحرب الانكليزية البويرية فقدم ردريك نفسهُ لخوض

---

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

غبارها وتطوع تحت قيادة اللورد مثوين الشهير فاظهر مهارةً غريبة ودراية فائقة ولا سيما في معركة ماجر سفونتين فترقى الى درجات عالية وذاع اسمهُ بين صفوف العساكر ومضت عليهِ سنتان ادرك فيهما اعظم مراتب الشهرة والنفوذ . وحدث يوماً بعد معركة هائلة ان أصيب ردريك برصاصة في ساقهِ فسقط الى الارض وتُرك بين الجرحى والقتلى بينما كانت بقية العساكر تطارد الاعداء وتبتعد عنهُ . ولما جمع رشدهُ بعد تلك السقطة وجد ان جرحهُ خفيف لا يعوقهُ عن المسير ثم جس وعاء الماء المعلق في منطقتهِ فوجدهُ ملآن فرأى ان يطوف بهِ بين الجرحى علهُ يجد بينهم من كان في حاجةٍ الى تبريد ظمئهِ وللحال نهض وجعل يسير بين جثث القتلى ويتأسف على تلك المناظر المحزنة والاشباح الهامدة . ثم استوقفتهُ حركةٌ بالقرب منهُ فقصدها فرأى فتىً ملقىً على الارض يئن انيناً يذيب الفؤاد ولما صار اليهِ وقف وقد اخذهُ الدهش لانهُ عرفهُ انهُ هربرت صديقهُ واخوهُ فهجم عليهِ وجثا بجانبهِ وعرفهُ هربرت فضمهُ الى صدرهِ وقبلهُ ثم قال لهُ لا شك انك تستغرب امر وجودي هنا وقد اخطأت في عدم اخبارك بذلك قبلاً فاعلم انني تطوعت في هذه الحرب منذ ستة اشهر وكان غرضي ان لا يعلم بي احد وقد اصابتني اليوم رصاصتان في صدري كما ترى واشعر بدنو اجلي فانا مسرورٌ بذلك وقد زاد سروري برؤيتك الآن لاوصيك بوالدتي . وكان كلامهُ متقطعاً بأنينهِ وتوجعهِ الشديد فادنى ردريك وعاء الماء من فيهِ وقال لهُ اشرب قليلاً يا اخي هربرت وبعد ذلك اجتهد في نقلك الى المعسكر . فتبسم هربرت وقال لا احتياج لي الى الماء ولا امل لي في البقاء فقد قاربت نفسي ان تعود الى خالقها . ثم تمتم ببعض كلمات واسماء لم يفهمها ردريك وبينما هو في حيرةٍ اذا بهربرت قد افاق مرةً اخرى وقال بربك يا عزيزي ردريك قل لها اني سامحتها ثم اطبق جفنيهِ وفاضت روحهُ . وكان الموقف مؤثراً في الغاية فلم يتمالك ردريك ان انحنى فوق جثة اخيهِ يقبلها بلهفةٍ ويغسلها بدموعهِ الحارة

وبعد بضعة ايام من هذه الحادثة استدعى اللرد مثوين ردريك وقال لهُ لم يبقَ لك حظٌّ في الخدمة فان عمك اللرد ابرنون قد قضى نحبهُ واصبحت انت وارث

تلك الأسرة الشريفة الغنية فينبغي ان تعود الى وطنك لتتقلد مركز اللردية وتدبر اموركَ . فاستغرب ردريك ذلك وقال لكنني اعلم ان لعمي ولدين فكيف وصل الارث اليَّ . قال مثوين نعم ولكن عمك اساَء تربية ولديهِ فانهمكا في الملذات ومرضا فمات اولهما بالسل والثاني بعدهُ بقليل بالحمى التيفوئيدية ثم لحق عمك بهما لشدة حزنهِ على فقدهما . فامتثل ردريك اشارة اللرد مثوين وهمّ بالارتحال و بعد ان قضى بقية مهماتهِ في الجيش وسلم ما عليهِ استأذن اللرد مثوين وعاد الى انكلترا . وكان في طريقهِ يفكر في كيف يبلغ اللادي ستورم فقد ولدها هربرت

ولما بلغ القصر علم من الخدم ان خبر وفاة سيدهم قد وصل من مدة فامرهم ان يخبروا سيدتهم بمجيئهِ ثم دخل ردهة الاستقبال ينتظر قدومها فلم يلبث حتى رآها داخلةً عليهِ وهي غائصةٌ في السواد فوثب ردريك لمقابلتها وقبل يديها وكانت دموعهُ تمنعهُ عن الكلام . اما هي فتجلدت وقالت هوّن عليك يا ردريك فانا اعلم مقدار حزنك لفقد اخيك ولكن قل لي هل رأيتهُ هناك وهل اجتمعت بهِ . قال انني لم اكن اعلم قط انهُ انضمّ الى العساكر المحاربة في الترنسڤال ويمكنكِ ان تتصوري دهشتي العظيمة حين رأيتهُ لاول وهلةٍ ساقطاً الى الارض وقد اخترق الرصاص صدرهُ . فقالت اللادي قد اخطأنا في عدم اخباركَ بعزمهِ على السفر لتستقبلهُ وتضمهُ اليك ولكن آه قد قضي الامر وعلى الله مجازاة من كان السبب في موتهِ . ثم اخذت تقصّ عليهِ خبرهُ فقالت ان هربرت بقي بعد غيابك وحيداً لا يسرهُ شيء ولا يسليهِ امرٌ على وحدتهِ الى ان صادفنا سوء الطالع وتعرفنا باسرةٍ تدعى اسرة هلدرد . وكان في هذه الاسرة فتاتان احداهما ابنة المستر هلدرد واسمها ماري والثانية ابنة اخيهِ واسمها ماريانا مات والداها فضمها عمها الى اهل بيتهِ . وكانت ماريانا بالغةً اعظم مبلغ من الجمال فلما رآها هربرت وقع في شركَ هواها واسرهُ لحظها فلم امانع في محبتهِ هذه وا اسفاه لاعتقادي انها ستكون سبب سعادتهِ وهنائهِ . ثم ازداد الحب بينهما فعقدت لهُ خطبتها واصبح لا يهنأ لهُ عيش الا بالقرب منها ولا يطيب لهُ سرورٌ الا بجوارها . ودامت الحال بينهما على ذلك حتى عزم المستر هلدرد على مغادرة انكلترا قاصداً

بعض جهات المانيا للانتفاع بحماماتها المعدنية فذهب باسرتهِ تاركاً هربرت على احرّ من الجمر ينتظر عودتهم ليقترن بماريانا . وكان ينتظر كل بريد ليحصل على خبر من حبيبتهِ فمضى الاسبوع الاول والثاني ولم يبلغهُ منهم خبر فضاق صدرهُ واعياهُ الانتظار . وبينما هو في قلقٍ شديد اذ ورد عليهِ كتاب من حبيبتهِ تقول فيهِ انها تتأسف جدًّا لعدم استطاعتها المحافظة على حبه فهي لا تحبهُ ولا تميل اليهِ وترغب اليهِ ان يسلوها وان يرجع لها كل رسائلها والآثار التي حفظها منها ولا يعود الى مكاتبتها بعد . فما وقف هربرت على هذا الكتاب حتى قامت قيامتهُ فاعول وانتحب حتى خشيت عليهِ ان يفقد عقلهُ . وبعد ان قضى ثلاثة ايام لا يذوق فيها طعاماً جمع كل ما لديهِ من تذكارات حبيبتهِ وبعث بهِ اليها ثم كاشفني بعزمهِ على الانضمام الى الجيوش المحاربة في الترنسڤال . فبذلت جهدي في اقناعهِ بتغيير عزمهِ ولكنني لم افلح واخيرًا سمحتُ لهُ بذلك وانا اظن ان السفر ينسيهِ حبيبتهُ الخائنة ويبرد من لوعتهِ فسافر وا سوء حظي وكان ذلك اليوم آخر عهدي بهِ فيا ليتني مت قبل ان فارقني

ولما اتمت اللادي ستورم حديثها ذرفت دموعاً سخينة وكانت زفراتها تشق صدرها ثم قالت لردريك اخبرني كيف رأيت ولدي وهل ادركتهُ قبل موتهِ وهل قال لك شيئاً . فقال لها اني ذكرت لكِ كيف قابلتهُ وفي اي حالٍ رأيتهُ ولما عرضت عليهِ جرعةً من الماء رفضها بتبسم لطيف وقال لا فائدة منها فهو مائت لا محالة ثم اوصاني ان ابلغكِ وداعهُ . وبعد ذلك حصلت لهُ غيبة تكلم في اثنآئها كلاماً لم افهمهُ ونطق باسمآءٍ لا اعرفها ثم قال لي بربك يا عزيزي ردريك قل لها اني صفحت عنها

فلما سمعت اللادي هذه الجملة صرَّت باسنانها ثم وثبت عن كرسيها كاللبوءة وقالت قد صفح عنها . . نعم صفح عمن كانت السبب في قتلهِ . . اما انا فلن اصفح وقد كنت اود الموت واشتهيهِ اما الآن فلا اريدهُ قبل ان انتقم من هذه الخائنة واكسر قلبها كما كسرت قلبي . وبعد سكوتٍ قليل اخذت اللادي ستورم يد ردريك وقالت لهُ يا ردريك اذا سألتك امرًا فهل تمنحني اياهُ . فجثا ردريك امامها وقال الا تعلمين يا سيدتي عظم ما اشعر بهِ من جميلكِ وان لكِ عليَّ فضلاً في حياتي اعظم

من فضل والديَّ اللذين لم اعرفهما كما عرفتكِ ولم يسبغا عليَّ نعمهما كما اسبغتِ انتِ عليَّ وانا اشعر الآن بحالتكِ بعد فقد الحبيب هربرت ووالدهِ وازيدكِ انني اصبحت وارثاً لعمي فانا الآن اللرد ابرنون ولديَّ دخلٌ سنوي لا يقل عن العشرين الف ليرة فانا ومالي في يديكِ ولست اتأخر عن سفك آخر نقطة من دمي في سبيل مرضاتكِ . فتبسمت السيدة وقالت بلغني لقبك الجديد واهنئك لحصولك عليهِ ولست في حاجةٍ الى مال بل انا في حاجةٍ الى رجلٍ صادق يقوم بما يعد فهل تعدني ان تقوم بما اطلب منك القيام بهِ وهل تقسم لي على ذلك فقال ردريك متأثرًا نعم انني اقسم لكِ الآن وفي هذه الحالة التي يشهد عليَّ بها الله ان اقوم بكل ما تأمرينني ان افعلهُ ولو كلفني ذلك بذل حياتي ومالي

فقالت حسنٌ فبارك الله فيك فان ظني لم يخطئ محلهُ منك فاعلم انني احب قبل ان اموت ان انتقم من قاتلة ولدي هذه الفتاة الخائنة ماريانا واكسر قلبها وغرضي منك ان تجتهد في التعرف بها واستمالتها اليك حتى اذا أُخذت بحبائل حبك وذلك لا بدَّ منهُ لطمعها في جمالك ومالك تعدها ان تقترن بها واذا تمَّ كل ذلك وتعين موعد الاكليل تدعها تذهب لانتظارك في الكنيسة فاذا رأيتها دخلت الكنيسة فسافر الى حيث تشآء واتركها تنتظر على مواقد النار الى ان تعرف انك هزأت بها وباهلها وانتقمت منها لدم ولدي المسفوك هدرًا بين صخور الترنسفال فترجع الى بيتها ملتحفةً بالخزي والخجل كما يليق بالفتيات الخائنات

وكان ردريك متأثرًا من حالة اللادي ستورم وقد سطا على عقلهِ تذكار مقتل هربرت فوعد واقسم وهو لا يدري ما يقول فاعطتهُ السيدة يدها فقبلها ثم خرج من لدنها ودخل الى غرفتهِ . ولما خلا بنفسهِ افاق لطلبها ووعدهِ فرأى ان الامر اصعب مما كان يظنهُ فسُقط في يدهِ ولبث كالمأخوذ لا يدري ماذا يفعل . ولحظت السيدة في المسآء ارتباك ردريك وتردده فقالت لهُ هل ندمت على ما وعدتني وهل تشآء ان تجحد يمينك . وكان في صوتها رنة غريبة ونغمة استهزآء جلبت الدم الى وجه ردريك فقال كلا لست بمخلف وعدي يا مولاتي ولا بد من القيام بما امرتِ

وحدث بعد ذلك ان اجتمع ردريك بالمستر هلدرد في نادٍ فتعارفا ودعاهُ هذا الى بيتهِ فزارهُ يوماً وبينما هما جالسان حانت من ردريك التفاتةٌ فرأى الفتاتين تتمشيان في الحديقة وكانت احداهما قد كسفت طلعتها وجه رفيقتها وهي تتخطر بقامةٍ تفضح خطرات الاغصان على حركات النسيم فلم يكد ردريك يرمقها ببصرهِ حتى شعر ان كهربآء الحب قد امتدت الى قلبهِ وصار كلما اقتربت الفتاتان منهُ يزداد شغفهُ بها وهو يتمنى في نفسهِ ان لا تكون هي ماريانا المكلف بالانتقام منها لانهُ شعر ان قلبهُ لا يطاوعهُ على ايصال ادنى اذيةٍ اليها . ولما وصلتا الى الردهة نهض المستر هلدرد فقدم صديقهُ رُدريك الى الفتاتين وعرّفهُ بالاولى وهي ابنتهُ ماري ثم بالاخرى صاحبة الجمال ابنة اخيهِ ماريانا . ولما علم ردريك ان فاتنتهُ هي الفريسة المقصودة اضطرب فؤادهُ وشعر بانزعاجٍ عظيمٍ وتسلطت على وجههِ غيوم الكآبة ولكنها ما عتمت ان انقشعت حالما جلست الفتاة بقربهِ ودخلا في الحديث وكان ردريك كلما فكر فيما اتخذ على نفسهِ ان يفعلهُ تظلم الدنيا في عينيهِ ويرى مقدار دناءتهِ وفقدان شرفهِ ان هو انفذ ما امرتهُ بهِ ام هربرت ثم يخطر لهُ ان يعدل عن عزمهِ فيتذكر وعدهُ وقسمهُ وكونهُ مضطرًّا الى ارضآء اللادي ستورم التي كانت لهُ اماً حنوناً واعتنت بتربيتهِ

ومضت الايام وردريك لا يزال يتردد على بيت هلدرد وهو كلما دخلهُ شعر في نفسهِ بحصولهِ على النعيم غير انهُ كان اذا زاد بهِ الشغف والهيام وابدى لماريانا ما يكنهُ فؤادهُ من لواعج الحب الشديد يخطر لهُ بغتةً خاتمة ذلك الحب فيقوم من مكانهِ فجأةً ويخرج الى شرفة القصر او حديقتهِ ويسير كمن بهِ مسٌّ من الجنون . وكانت ماري بنت هلدرد تلاحظ ذلك من ردريك وتعجب من فعلهِ فتيقنت شدة حبهِ لابنة عمها ولكنها لم تتمكن من ادراك ذلك الشعور الغريب الذي كان يفاجئهُ فيغير حالتهُ في اثنآء تمتعهِ بسعادة الحب . ولما ايقن ردريك بتبادل الحب بينهُ وبين ماريانا طلبها عروساً لهُ فلم يمانع عمها ولا هي مانعت بل شعر الجميع بسرور لا مزيد عليهِ واخذوا في تجهيز معدات العرس

وكانت ايام الخطبة بين ردريك وماريانا من اشهى ايام الحياة وزاد اختبارهُ للفتاة فرأى فيها قلباً صافياً ووداداً حقيقياً ولطفاً وكال احساس مما زادهُ تعلقاً بها ورأى انهُ قد ملك ناصية السعادة بقربها لو لا بضع دقائق يتصور فيها ما ستكون نهاية تلك المحبة وما سيفعلهُ من تضحية ذلك الفؤاد النقي ارضآء لوالدة هربرت . وكان اذا خلا بنفسهِ يفكر في طريقةٍ يتخلص بها من هذه الورطة فاما ان يطيع هواهُ ويقترن بها ولو غاظ اللادي ستورم او يتمم ما فرض عليهِ ويقضي على حياتهِ ومستقبل الفتاة او يغتنم تلك الفرصة ويسافر الى حيث لا يعلم بهِ احد فيتخلص من العار . ولكنهُ كان يتمثل امامهُ قسمهُ الرهيب وصوت الشرف يناديهِ للقيام بما اخذهُ على نفسهِ فتضطرب افكارهُ واخيراً صمم على الانتحار تخلصاً من جميع هذه المشاكل

وأزف اخيراً اليوم المعين للزفاف وكان ردريك في تلك الليلة جالساً الى حبيبتهِ وقد طوق خصرها بذراعيهِ وكانت ابنة عمها ماري في الطرف الآخر من الغرفة تعمل شغلاً بيديها وتختلس النظرة بعد النظرة الى وجه ردريك فتقرأ فيهِ علامات الاضطراب التي ترسمها العوامل المشتغلة في صدرهِ فزاد شوقها الى معرفة ما يكنهُ فؤادهُ . اما ماريانا فلم تنتبه الى شيءٍ من ذلك وكانت اذا نظرت الى حبيبها او جلست بجانبهِ كأنها في عالم فوق العالم الذي نحن فيهِ وقد ترفعت عن شقآئهِ وعلت عن المكايد والانتقام . ثم القت ماريانا رأسها على صدر حبيبها وشخصت الى وجههِ بعينين يترقرق الدمع من اجفانهما وقالت لقد اصبحت في اوج السعادة يا حبيبي وهذا ما يخيفني لانهُ يقال انهُ اذا زاد السرور تحول الى غمّ . فارتعش ردريك وقال واي غمّ تتوقعين يا غاية مناي . قالت لا اعلم ما هو ولكن قلبي ينبئني ان بين هذه الورود شوكةً قاسية ربما مزقت صدري فهل تحبني حقيقةً يا ردريك وهل انت واثق من بقآء حبك لي ما حييت . فتنهد ردريك من كبدٍ حرَّى وقال احبكِ ويشهد الله انني لم اعرف في حياتي الحب قبل ان رأيتكِ ولن يدخل صدري هوًى بعد هواكِ فآه . واندفعت من صدرهِ زفرة اشبه بحشرجة الموت . فقالت ماريانا وقد طأطأت رأسها خجلاً اما انا فاستشهد الله على حبي لك وهو مما لا ينحطّ كثيراً عن

العبادة ولا تظن ذلك من رغبتي في مال او جاه كلا بل هو لاني رأيت في صدرك قلباً طاهراً ينبض مع قلبي في خفقانهِ فاسأل الله ان يثبتني في محبتي هذه ويجعلني امينةً لك ما حييت وسبباً لسرورك وطيب حياتك . ولا اخفي عنك انني خُطبت قبل الآن لصديقك هربرت ستورم واعترف لك الآن انني لم احبهُ عشر ما احببتك ولكني رأيت شدة ولوعهِ بي وعظم حبهِ وتعلقهِ وقد سألني يوماً باكياً هل ارتضيهِ قريناً لي فرقَّ لهُ قلبي وذكرت انني ضيفةٌ في بيت عمي ويليق بي ان اريحهم من ثقل وجودي فوعدتهُ وهكذا قيدت نفسي بالرغم عني وانا اعتقد انني مع تمادي الايام وزيادة الالفة اتمكن من مقابلتهِ بمثل حبهِ لي . غير اننا بعد ان ذهبنا الى المانيا لقضاء بضعة اشهر انقطعت كتبهُ عني ثم وصلني منهُ رزمة فتحتها فوجدت فيها رسائلي المرتجعة وجميع ما كنت اهديتهُ لهُ على سبيل التذكار فايقنت ان حبهُ لي قد اضمحل فجأةً كما نشأ . ولم يسؤني ذلك لانني كما اخبرتك لم اكن اميل اليهِ كثيراً فقلت لعلَّ الله رأى انهُ لا يمكنني ان احبهُ فحكم بما جرى وسلمت الى مشيئتهِ . . . .

ثم توقفت ماريانا عن الكلام ونظرت الى ردريك فرأتهُ مشرَّد الافكار شاخصاً في الفضاء فعلمت انهُ لم يفقه شيئاً مما قالت فتنهدت واعادت رأسها الى صدرهِ . ونبههُ تنهدها فارتعش ثانيةً ثم رفعها عن صدرهِ وقال ينبغي ان اذهب الآن ايتها الحبيبة فاستودعكِ الله . قالت لا تقل كذا بل قل الى الملتقى غداً في الساعة العاشرة امام المذبح . قال ورنة الحزن بادية في صوتهِ الى الملتقى ولم يمكنهُ النطق باكثر من ذلك فضمها الى صدرهِ وقبلها قبلة الوداع وهو يقول في ضميرهِ ايها الملاك الطاهر تحسبين قبلتي هذه آخر قبلةٍ قبل الزواج ولكنها آخر قبلةٍ قبل الممات وانني لآسف من صميم قلبي المحترق على الاهانة التي ستلمُّ بكِ في الغد ولكن سبق السيف العذل وقد اقسمت واصبح الدين والشرف رهن قسمي فهيهات الخلاص بغير الانتحار . . .

ثم ذهب ردريك الى منزلهِ وتوسد فراش الأرق فقضى ليلتهُ في الوساوس والهموم حتى انبثق الصباح وارتفعت الغزالة في سلم القبة الزرقاء . وكان لِردريك صديق يدعى جيوفري كان يودهُ كثيراً وقد علم باقترانهِ فعرض نفسهُ ان يكون لهُ

اشبينًا . فلما اصبح جآء الى بيت ردريك ليساعدهُ في قضآء حاجاتهِ ولما دخل الغرفة رآهُ متكئًا على سريرهِ بلباس النوم والى جانبهِ مسدس صغير وقد دلت هيئتهُ على ارقهِ وشدة همومهِ . فبهت جيوفري ولبث حينًا ساكتًا لا يبدي حراكًا . وبعد قليل قال مالك يا ردريك هل تشكو من المٍ وهل تريد ان استدعي لك طبيبًا . قال كلا فانا بتمام الصحة والنشاط . قال ما بالك اذًا على هذه الحالة وقد قربت ساعة الاكليل ولا بد ان تكون العروس في طريقها الى الكنيسة . فنظر ردريك الى ساعة معلقة في الحائط وكانت قد اقتربت الساعة العاشرة فتنهد تنهدًا شديدًا ثم نظر الى المسدس المطروح بجانبهِ ولم يجب بشيءٍ . اما جيوفري فكاد يفقد رشدهُ فصاح قائلاً بالله يا ردريك ماذا حدث لك . ألا تأنف من تركك العروس تنتظر مجيئك في الكنيسة هلمَّ بنا واذا تأخرنا بضع دقائق فقط فلا بأس . فجحظت عينا ردريك وقال كلا لست بذاهب الى الكنيسةِ فلتنتظر العروس ما شآءت ثم اسرع الى المسدس فتناولهُ وادناهُ من رأسهِ ولكنهُ قبل ان يطلق الرصاصة القاضية كان جيوفري قد قبض على يدهِ وانتزعهُ منها . وللحال سمع الاثنان قرعةً ضعيفة على باب الغرفة ثم فُتح وظهرت فيه ماري بنت هلدرد فتفرست قليلاً في الغرفة ثم أومأت الى ردريك انها تريد مشافهتهُ على حدة فتبعها على غير هدًى كأ نهُ يسير بآلةٍ تحركه رغمًا عنهُ . ولما خلت بهِ قالت قد تحققت الآن ما توقعت حدوثهُ من زمن فانك تريد ان تذهب ابنة عمي لانتظارك عبثًا في الكنيسة ثم تعود من هنالك اضحوكةً وسخريةً للناس وذلك انتقامًا منها لصديقك هربرت أليس هذا مرادك . قال بلى . قالت ولكنك تحب ماريانا ابنة عمي حبًّا شديدًا فانت مدفوعٌ بالرغم منك الى هذه الفعلة الشنعآء ومما يثبت ذلك انك فضلت الانتحار على اهانة شرفها أليس الامر كذلك . قال بلى . قالت اذًا لا تتأخر البتة عن موافاتها الى الكنيسة في اسرع من لمح البصر واياك ان تعرض قلبها الطاهر لليأس وشرفها لازدرآء الناس واغتنم الفرصة لاتحاد قلبيكما فلم يوفق الدهر زوجين مثلكما . واياك ان تفكر في الانتقام منها فهي لم تذنب ولا تستحق القصاص . فقال ردريك وقد اشرق عليهِ بعض الامل وكيف ذلك ومن المذنب اذًا . قالت

انا التي اذنبت وانا اعاقب نفسي على ما اقترفت فاعلم انني حسدت ابنة عمي على هربرت وصممت ان استخلصهُ من يدها وقد زين لي الجهل ان ابعدها من طريقي واتخذهُ مكانها . وكنا في صغرنا قد مثلنا رواية في المدرسة من بعض فصولها ان تكتب ابنة عمي رسالةً الى عشيقها ترفض حبهُ وكانت قد كتبت صورة الرسالة المذكورة بخطها فاخذتها وحفظتها عندي . فلما سافرنا الى المانيا اخذت الرسالة المذكورة وزورت توقيعها ثم اضفت الى الرسالة التاريخ والعنوان وارسلتها الى هربرت وكنت اخفي رسائلهُ اليها ورسائلها اليه فلما بلغتهُ الرسالة المذكورة بعث اليها بأوراقها و بلغ منهُ الحزن ان انتظم في الجندية وسافر الى حيث لقي حتفهُ . اما ماريانا فتأثرت في اول الامر ولكنها ما عتمت ان نسيت هربرت لانها لم تكن شديدة الميل اليهِ كما اسلفنا وكان ما كان . اما انا فقد نلت جزآئي من تعذيب الضمير وها انا اعترف امامك بفعلتي الشنعآء فانا المذنبة الشقية فلا تدع انتقامك يقع على رأس البريئة . وقد صممت ان لا أتزوج في حياتي عقاباً لي عما جنيت ووقفت حياتي للصلاة والتعبد ضارعةً اليهِ تعالى ان يغفر سيئاتي فلا تعاقب ماريانا بجريمتي وهلمَّ فاسرع الى الكنيسة حيث تنتظرك لبركة الاكليل وعيشا معاً بسلام

فلما سمع ردريك ذلك تغيرت احوالهُ فابرقت اسرتهُ وعاودهُ السرور والارتياح وفي اقل من لمح البصر ارتدى ثيابهُ وسار مع ماري وجيوفري الى الكنيسة حيث كانت العروس وآلها في انتظارهِ . وقبل دخولهِ باب الكنيسة قابلهُ خادم من قصر اللادي ستورم فقال لهُ ان السيدة قد فارقت الحياة وقد كتبت لك هذه البطاقة قبل موتها ببضع دقائق فاخذها ردريك واذا بها تقول فيها اشكرك يا ردريك فقد جعلتني اموت هنيئة البال واني اهبك جميع ما سأتركهُ فتصرف فيهِ كيف شئت . فقطب ردريك حاجبيهِ قليلاً ثم تبسم اذ علم انها توفيت وهي متيقنة انهُ فعل كما اوصتهُ ثم دخل المعبد فاستوى الى جانب عروسهِ وتلا الكاهن صلاة الاكليل و بعد الفراغ منها خرج ردريك وماريانا زوجين شرعيين فعاشا بقية ايامهما بالرغد والهناء

الجزويتية والطرائق الاسلامية

(تابع لما قبل)

واما النظام الداخلي فان قوانين الرهبانيات على اختلافها مؤسسة على قواعد الاخوة بين جميع الافراد فليس هناك مزية ولا تفاوت ولكن الشريعة للجميع واحدة . فكل مبتدئ وفى شروط الابتداء المرسومة في القوانين كان مقبولاً في النذر وكل ناذر بعد ان يأتي عليهِ عددٌ محدود من السنين يكون عضواً في مجمع الرهبانية ولهُ اذا كان من المنتخبين ان ينتخب رؤساءهُ واذا كان من المنتخَبين ان يُختار لسياسة رهبانيتهِ وليس بعد ذلك شيءٌ آخر

اما في الطرائق الاسلامية فالامر على الخلاف فان للابتداء عندهم درجات متعددة وكذا ما يليهِ من رُتَب الوظائف [1] . وليس لهم قانونٌ يجرون عليهِ بالسواء فاذا طلب طالبٌ الدخول في طرائقهم مثلاً فمرجع امرهِ الى ما يرى شيوخ الطريقة وهم الذين يعيّنون لهُ درجة الامتحان

---

(١) ذكر نابوليون ناي في كتابهِ المعنون بالجمعيات السرية الاسلامية ان في طرائقهم سبع درجاتٍ للمؤمن حتى يصل الى الكمال فهو اولاً (طالب ثم) تلميذ ثم مريد ثم فقير ثم صوفي ثم سالك ثم مجذوب . وهناك درجتان اخريان اعلى من الدرجات المذكورة وهما درجة المحمدي ودرجة التوحيدي

ثم ان الترقي في الطرائق يكون تدريجيًّا فيكون الطالب مريدًا وهي درجة العدد الاكثر ثم مريد الخير ثم مريد خير الخيور . وهذه الدرجة الاخيرة لا يصل اليها الا عددٌ يسير ممن اوتوا موهبة التصرف ومن خصائصها ان تميط الحجاب عن اسرار الطبيعة وتصرفها عن وجهتها وهو طور اصحاب الكرامات

فيفرضونها على ما يبدو لهم لا يرجعون في ذلك الى قاعدةٍ مقررة وليس عليهم فيه اعتراض ولا سؤال . ولذلك فهم غير متكافئين في المنزلة ولا يمكن ان تكون بينهم اخوةٌ صحيحة على ما هو المفهوم من حدّها

وما ذُكر من التفاوت في درجات الابتداء يوجد بعينه عند الجزويت وهو ما صرّح البابوات غير مرةٍ بانهُ منافٍ للشرائع القانونية ولروح الكنيسة وبالتالي فهو لا يكون الا من اصلٍ اجنبيّ . فالمبتدئ عندهم بعد سنتين من ابتدآئهِ يستخدمونهُ في وظيفة التدريس وبعد ان يستمرّ فيها مدة اربع سنوات يجعلونهُ معاوناً زمنياً (والمراد بذلك ان يتعاطى المهن الحقيرة في الدير من نحو الاهتمام بملابس الرهبان والقيام على مهمات المطبخ والمائدة ومشترى بعض حوائج الدير وما في هذه المنزلة) ثم يرقى الى وظيفة معاون روحي (وهو الذي يتولى امور الاخويات والوعظ والتعليم الديني وما شاكل ذلك) . وبعد ذلك يُقبَل في اداء النذور الثلاثة او يُرفَع درجةً اخرى فينذر النذور الاربعة . وذلك ان الجزويتي خلا النذور الثلاثة المفروضة في سائر الرهبانيات وهي التبتل والطاعة والفقر عليهِ نذرٌ رابع وهو ان يَعِد وعداً خصوصياً ان يقف حياتهُ كلها على الجمعية (١) ويكتب هذا الوعد في صكٍّ على حدَتهِ . والرئيس العام عند الجزويت بمنزلة الشيخ عند اصحاب الطرائق فهو الذي يحكم في ترقية كل واحدٍ من رهابينهِ الى الدرجة التي يستحقها .

---

(١) كذا في كلام الكاتب ولعلّ الاصحّ وهو ما قرأناهُ في بعض كتب المحققين « ان يعد بان يكون مدة حياتهِ كلها رهيناً لاوامر البابا » ومعنى هذا ان يجعل طاعة البابا مقدمةً على طاعة رئيسهِ وفي هذا النذر سرٌّ لا يخفى على من تأملهُ

وقد ذكر ريبّار دُمُنكلار ان كل شيء في هذه الجمعية ملتبس وان كل ما هو محدَّدٌ في قوانين سائر الرهبانيات على وجهٍ لا يقبل التبديل هو هنا وراء حجابٍ كثيف ويُقضى فيه تبعاً لمُطلَق الهوى . قال ففي سلطان الرئيس العامّ ان يمسك الشخص كل حياته تحت الامتحان فيقضي ايامهُ كلها في التدريس ولهُ ان يطردهُ او يحطّهُ الى اخس حالات المعاون الزمني او يقصرهُ على درجة المعاون الروحي او يرضيه بدرجة النذور الثلاثة الوهمية او يرفعهُ الى درجة النذور الاربعة . وعلى الجملة فان من نذر على نفسه دخول هذه الجمعية لا يكون على ثقةٍ من تحقق نذرهِ بالفعل لان هذا النذر يكون مفوَّضاً الى مشيئة غيرهِ ... فليس ثمة شيءٌ ثابت يمكن اتخاذهُ قانوناً تتعين بهِ هذه الدرجات أو يُعرَف بهِ زمان الترقي فيها لان هذا الثبوت منافٍ لجوهر الجمعية نفسهِ ... فمن العبث ان يحاوَل التنظير بين هذه الاحكام الاستبدادية وقوانين سائر الرهبانيات

وهناك ثلاثة امور جوهرية تتحقق بها المشابهة بين الجمعيات الاسلامية والجزويت ومباينة كلٍّ من الفريقين للجمعيات الرهبانية . احدها ان الطرائق الاخوانية تعنو لشرائع سرية يعاهد اصحابها من انفسهم على ان يكتموا عن العامة وان يتكتم بعض اصحاب الدرجات منهم عن بعض وهذا العهد يكون بيمين احتفالية . على ان اختلاف درجات الدخول من مقتضياتهِ ان تكون الاجتماعات سرية وقد زاد على ذلك ان تعقب رجال التفتيش لهذه الجمعيات في زمن لويولا كان مما اضطرّها الى المبالغة في التكتم فلما ألف الجزويت جمعيتهم نسجوا على منوالها وكان اغناطيوس على ما ذكر

برتولي في ترجمة حياتهِ اذا سئل عن شيءٍ من الحقائق المتعلقة بكيان الجمعية يقول انهُ كذلك أُنزِل عليهِ في منرْيزا . ولقد طالما شعر الناس في الخارج بوجود اسرار لهذه الجمعية فان اصولها سرّية ونظامها سرّي وشرائعها سرّية الى اقصى غايةٍ تقع في الامكان حتى ان المسيو هرمان ملّر يقول انها من اعلى سلّمها الى أدناها من الرئيس العام الى آخر مبتدىء لا يخلو واحدٌ من اشياء يكتمها ويموّه جانباً من السرّ الذي وُكل الى حراستهِ

ثم ان الجزويت عندهم تعاليم سرّية لا يكاشف بها الا المتقدمون في الدرجات وهم اصحاب النذور الاربعة والبابوات انفسهم يجهلونها ولهم كتبٌ خطيّة هي المعوَّل عليها في سياسة الجمعية يُحتفَظ بها تحت الاقفال الوثيقة كما نُصَّ عليهِ في قانونهم واذا توفي رئيس احد الاقاليم يجب ان يُبعَث بها الى الرئيس العام وهذه هي المتضمنة الشرائع الحقيقية للجمعية

والامر الثاني ان الاخوان بناءً على ما تقتضيهِ طبيعة الاجتماعات السرية ليس لهم زيٌّ مخصوص فلا يُرَى في هيئتهم الظاهرية ما يدلّ على شيءٍ من الاخاء الذي بينهم . وكذلك الجزويت فانهم قد جروا على الحكمة نفسها فهم لا يتزيَّون باللباس الرهباني اصلاً لكن يغلب ان يتزيوا بلباس قسوس البلد الذي يحلّون فيهِ الا ان هذا ليس بقاعدةٍ عندهم فلهم ان شاءُوا ان يتزيَّوا بلباس العوامّ . ولا يخفى ما في هذا الخروج من الاهمية لما أنّ التزام ثوبٍ معلوم عند رجال الدين من كل جمعية يُعدّ من اوكد الفروض فلا يباح لهم نزعهُ ولو يوماً واحداً والا كانوا عرضةً للعقوبة الشديدة واحياناً للقطع وفي بعض الرهبانيات لا يجوز لهم خلعهُ حتى في وقت النوم

وليس لهم من جميع الاحوال ما يبيح لهم استبداله الا ان يكونوا تحت خطر القتل كما في وقت الاضطهاد مثلاً وهذا الاخير اغلبيٌّ لا عامٌّ

على ان الاخوان مع عدم اختصاصهم انفسهم بزيٍ معلوم فان لهم اصطلاحاً في لوث العمائم وشدّ اطرافها يمكن ان يتعارفوا به . والجزويت لا يعدمون شيئاً من مثل هذا فانهم مع تزيّيهم بلباس القسوس لهم هيئة مخصوصة في طوق القباء وشدّ الزنار بها يتميزون في النظر الدقيق عن سائر الاكليرس الذين لا علاقة لهم بالرهبانيات

والامر الثالث ان اصحاب الطرائق الاخوانية يضمّون الى انفسهم اناساً من العوامّ يربطونهم باخوّتهم ويستخدمونهم في اغراضهم الزمنية ولا سيما السياسية فيسعون بالمؤامرات والطرق الخفية وهم تحت حجاب التنكُّر . ومثل هؤلاء عند الجزويت الأتباع المعروفون بالجزويت السرّيين او اصحاب الرداء القصير وهم جماعاتٌ من العوامّ يدخلونهم في طريقتهم سرًّا ومنهم فرنسوا دُبُرجيا وزير شرلكان فان اغناطيوس ادخلهُ في جمعيتهِ وقبلهُ في جملة اصحاب النذور . وقد جاء في كتاب مجمع الجزويت ان من الناس من يُختار ان تجري الرياضات في منازلهم مبالغةً في الاستتار . ويقول الاب بتيديديايّ ان النذر على ضربين احدهما صريح لهُ صيغةٌ مرسومة والآخر مقدّرٌ لا غير اي يكون بالنية دون الصيغة وهو كالاول كافٍ لان يُعتبر صاحبهُ راهباً حقيقياً ناذراً وبهذا النذر المقدَّر صار أناسٌ من البابوات والكرادلة والامراء والوزراء ورجال السياسة من كل نوع جزويتاً سرّيين . وهناك ضربان آخران من ادق فنون الدهاء الجزويتي وهما القطع الكاذب والقطع

التعليقي وقد فسر المسيو هرمان ملر هذين الضربين من القطع فقال

قد يقطع الرئيس العام احد مرؤوسيهِ قطعاً ظاهرياً ليستخدمهُ فيما هو انفع لمصلحة الجمعية تحت الثوب العاميّ او الاكليريكي على ان يعود الى الجمعية عند اول ايعاز وهذا ما يعبَّر عنهُ بالقطع الكاذب . واما القطع التعليقي فهو اشدّ التباساً بحيث يكون من اصعب الامور تمييز الجزويتي المعلَّق عن شركة الجمعية وهو باقٍ على الارتباط بها من المقطوع الذي قد نُفي حقيقةً من الجزويتية حتى ان الجزويت انفسهم لا يعرفونهُ دائماً . فاذا قطعت الجمعية احد اعضائها وعلى الخصوص اذا كان هو الراغب في الانقطاع فانها تعتبر انهُ لا يزال لها عليهِ ما يسمَّى في قانونها بالمراقبة الحبية واذا حُلَّ من نذورهِ حتى باذن البابا لم يبطل حقها من ان تدعوهُ الى معاودة شركتها بان تجعلهُ يجدّد نذرهُ على الصيغة التي اعتاد الجزويت ان يعيدوها كل سنة . والحاصل ان الجزويتي يمكن في الوقت الواحد ان يكون مقطوعاً من الجمعية ولا يبطل مع ذلك اختصاصهُ بها وبقاؤهُ تحت سيطرتها

على اني لا اجهل ان لكل الجمعيات الدينيـة اخويات خارجية اي اناساً من العوام يحملون تحت ملابسهم علامةً تربطهم بالجمعية هي بمنزلة اختصار للثوب الرهباني تتخذ على شكل حرزٍ ذي علاقة ولكن ليس هناك الى الآن الا تبنٍّ تقَويّ . على ان البابا لاون الثالث عشر تقليداً للجزويت السرّيين الذين هم قومٌ عاملون وكثيرو الاختلاط بالعامة ارتأى ان تتخذ من تلك الاخويات الخارجية نوعاً من الفراماسونية العاملة يجعلها في وجه الفراماسونية الحقيقية . واما قانون الجزويت السرّيين من العوام فهو بدعة

في الكنيسة ادخلها اغناطيوس وباستقرآء هذا القانون مع بقية الاصول القائم عليها النظام الداخلي للجمعية نجد بلا ريب برهاناً آخر على اقتباس هذه الاصول من نظام الجمعيات الاخوانية　　　　(ستأتي البقية)

اصل اللغات الساميّة

(تابع لما في الجزء السابق)

وتقرير ذلك ان اللغة نشأت اوّل وضعها بين نفر معدود في اول مجتمع انسانيّ لما تدعو اليهِ ضرورة التفاهم والتخاطب ثم انقسم اصحابها بعد ما كثروا فصاروا احياءً ثم قُرًى ثم امصاراً ثم ممالك فتباينت بذلك السنتهم تبايُن عاداتهم وملابسهم وسائر خصائصهم . وحَسْبنا ثَبَتاً لذلك ما يُرَى لهُ من المُثُل لأيامنا هذه فانّا اذا اعتبرنا هذا اللسان العربيّ في الذين نُقل عنهم من البدو وفيمن اتصل اليهم من اهل الامصار لم نكد نجد قبيلةً الاّ ولها خصائص في منطوقها ولا اهل بلدٍ الاّ ويخالفون اهل البلد الآخر بل نرى ذلك بين القُرَى المتجاورة وبين اهل ناحيتين من البلد الواحد . ولنا من شواهد ذلك في التاريخ ما ورد في سفر القضاة من ان الجلعاديين اصحاب يفتاح حين تعقّبوا رجال افرائيم كانوا اذا رأوا الرجل منهم فانكر انهُ افرائيميّ يقولون لهُ قل شِبُّولِت اي سنبلة وكان بنو افرائيم ينطقون بالشين المعجمة سيناً مهملة فلا يفطن لغرضهم فيقول سِبُّولِت فيأخذونهُ . قلت وهذا الابدال في لغة افرائيم ينزع الى لغة العرب فانك قلَّما ترى شيناً في العبرانية الاّ وهي في العربية سين كما ان العكس في اللغتين كثيرٌ وسيأتي

الايماء الى ذلك في محلهِ . وقد وقع من هذا التباين في لغات العرب ما بين قبيلةٍ واختها وحيٍّ وآخر ما لا يُحصى . فمنهُ ما هو بالابدال كقولهم في الخِباء الخِباع وفي إِذْنْ عِذْنْ وهي عنعنة تميم وقيس . وكقولهم في تميمي تميمج وفي ايّل أجلّ وهي عجعجة قُضاعة . وقولهم في القربُوس القربُوت وفي الناس النات وهي من لغة اليمن وتسمى الوتم . ويقولون لَبَّيْشَ اللهمَّ لَبَّيْش اي لبيّك وتسمّى الشنشنة . ومُضَر وربيعة يخصّون هذه الشين بالانثى يقولون عليشِ ومنشِ اي عليكِ ومنكِ . ومنهم من يزيدها بعد الكاف يقولون عليكِشْ وبكِشْ وتسمى الكشكشة . وبعضٌ من ربيعة يقولون عليكِمْ وبكِمْ بكسر الكاف وتسمى الوَكْم . ويقولون منهِمْ وبينهِمْ وتسمى الوَهْم . وفي هذا الكسر ميلٌ الى العبرانية فانهُ يُكسَر فيها ما قبل الميم من كاف الضمير وهائهِ ابداً . واغرب ما جاء في هذا الباب قولهم تعظلم الليل اي اظلم كانهم ابدلوا من الهمزة عيناً على ما في لغة تميم فصار ملحقاً بالرباعيّ فالحقوهُ بمزيدهِ . وقول بعضهم دَحّاً مَحّاً يريد دَعْها مَعْها فخلط المخرجين فتولّد بينهما حرفٌ ثالث ومثل هذا مسموعٌ في السنة بعض عامّتنا . ومن ذلك ما هو بتقديم بعض احرف الكلمة على بعض كقولهم الجعانس والعجانس وجلفهُ وجفلهُ وجعفهُ وجفعهُ والجُبارج والجُباجر وانفٌ اقعم واقمع وما اطيبهُ وما ايطبهُ وصاعقة وصاقعة ولعمري ورَعملي واضمحلّ وامضحلّ وشَرْخ الشباب وشخرهُ الى غير ذلك . وكثيراً ما تنفرد الطائفة منهم بالفاظٍ تختصّ بها من بين سائر العرب او تختلف طائفتان في معنى لفظةٍ واحدة حتى ان كثيراً من تلك الالفاظ جاء بمعنيين متضادّين وهذا منتهى الخلاف .

فمن امثلة الاول القَدَس في لغة اهل الحجاز بمعنى السطل والعواهن للخوافي من السعف والأَبُّ في لغة هُذَيل للخصر والشِميح للجادّ في الامور والجماميس للنخل والخَزُومة للبقرة والغَنَج للشيخ والإِجْل في لغة اليمن للوّبآء والعِنْك للباب والبغْش للسواد والشاعبان للمنكبين والسَخْل في لغة اهل المدينة للحَشَف من التمر وبَلحارث بن كعب يسمّونهُ الشِيص والظِمخ في لغة طيّئ للتين والطَرْق للنخلة والعَتيل للاجير وهذه من لغة جديلة والحَوْف في لغة الشِحر للهودج والحَوْش في لغة العراق لشبه الحظيرة والصَعْفصة في لغة اليمامة للسكباجة وغير ذلك . ومن امثلة الالفاظ المتضادّة قولهم سَجَدَ تستعملهُ عامّة العرب بمعنى خضع وانحنى وهو في لغة طيّئ بمعنى انتصب وقولهم رَزَقهُ اي اناله وهو في لغة الأَزْد بمعنى شكرهُ والسُدْفة تستعملها قيس بمعنى الضوء وهي في لغة تميم بمعنى الظلمة وكذلك ليلةٌ غاضية جاءَت في لغة بعضهم للمظلمة وفي لغة غيرهم للمضيئة وتقول بنو عُقَيل لَمَقْتُ الشيء اي كتبتهُ وسائر قيس يستعملونها بمعنى محوتهُ وجاءَت الخريق للريح الباردة الشديدة وللّيّنة السهلة والجَوْن بمعنى الاسود وبمعنى الابيض والجَلَل للعظيم وللحقير والضَحْضاح للقليل من المآء وللكثير منهُ والصريم للصبح وللّيل ورَتَوْتُ الشيء اذا شددتهُ واذا ارخيتهُ والغابر بمعنى الماضي وبمعنى الباقي والبَسْل للحلال وللحرام والأَشراط للارذال وللاشراف . ونكتفي بهذا القدر من ذلك كلهِ وقوفاً عند الحدّ الذي يقتضيهِ غرضنا ولو شئنا ان نأتي على المنقول منهُ لاقتضى كتاباً برأسهِ . وهذا كلهُ في لغة أمةٍ واحدة ذات مستقرٍّ واحد لم تفارقهُ منذ كانت فما الظنّ بأمتين قد افترقتا قروناً متوالية لا تجمع

بينهما ارضٌ ولا تضمّهما صلة . ومن هنا تعلم كيفية تباعد اللغات واشتقاقها وما يعرض بينها من التفاوت واذا اعتبرت العبرانية مثلاً مع العربية لم تجد بين الفاظ اللغتين فرقاً يزيد كثيراً عمّا بين لغة هُذَيل مثلاً ولغة اسد . أجَلْ ان لكلٍّ من اللغتين فروقاً ومصطلحات لا تتلآءم كما تتلاءم لغات العرب لكن غرضنا هنا الاستدلال على وحدة الاصل قبل افتراق الأمتين على حدّ ما قررناهُ في لغات قبائل العرب ومعلومٌ انهُ كان بين العرب والعبرانيين من انقطاع الصلة ما لم يكن بين العرب في انفسها فلا غرو اذا تباعدت مسافة الفرق بين اللغتين ولا سيما انهُ كان لكلٍّ من الأمتين شأنٌ ليس للاخرى . ومع ذلك فان المناسبة باقية بين الكثير من الفاظ اللغتين وخصوصاً الالفاظ الطبيعية التي لا تتغير بتبدُّل المواطن واختلاف الحالة الاجتماعية من نحو السمآء والارض والشمس واليوم والليل والسنة والريح والمطر والمآء والبَرَد والطَلّ والنهر والزرع والبُرّ والحنطة ومن نحو اسماء الاعضآء كالرأس والعين والاذن والانف والشفة واللسان والسنّ والكتف واليد والذراع والكف والاصبع والظفر والبطن والرجل والعقِب وغيرها فان مادّة هذه الالفاظ في اللغتين واحدة على اختلافٍ قليل في بعض المقاطع والاوزان ممـا يرجع جُلّهُ الى الخصائص المقوّمة لهيئة كلٍّ من اللغتين في الخارج ولا يخرج باللفظتين عن حدّ الوحدة . وكذا الافعال وسائر الاسمآء المأخوذة بالاشتقاق فان الجانب الكبير منها متناسب الوضع متداني اللفظ ولا سيما في الحرفين الاوّلين من الافعال الثلاثية على ما هو معلوم من شأن هذه الطائفة من اللغات ومصطلَحها في الوضع . مثال ذلك قول العبرانيين

قصّ بمعنى قطعَ وجاء في لغتهم قصب وقصر وقصع وقصف وقصى وكلها لا تخلو عن معنى القطع او شبهه . وهذه الالفاظ بعينها جاءت في العربية بالمعنى نفسه وجاء زيادة عليها قولهم قصد وقصل وقصم مما لم ينطق به في العبرانية ولكنها لا تخرج مع ذلك عن كونها مجانسة لما نطقوا به بردّها الى قصّ بعد تجريدها من الزوائد واعتبار المناسبة في هذا الاصل اذ الحروف التالية انما زيدت لتخصيص معنى القطع بضرب من ضروبه او الذهاب به الى معنى يقاربهُ من نحو الكسر والهدم وما جرى مجراهما . ثم ان اللغة العبرانية تخلو عن بعض الحروف العربية كالضاد مثلاً فيرادفها عندهم ما يلاقيها في المخرج كالصاد يقولون مثلاً في الارض آرص وفي ضِلَع صِلَع وعليهِ فمادّة قضّ عندنا وما يشاركها من قضب واخواتها ينبغي ان تُردّ عند اعتبار المجانسة الى قصّ ايضاً وقس على ذلك (ستأتي البقية)

الأُرجُوان

هو هذا الصِبغ الاحمر المعروف وهو على ما في مفردات ابن البيطار عن التيفاشي معرَّب أُرغوان بالفارسية قال وهو شجرٌ ببلاد الفرس لهُ زهرٌ احمر شديد الحمرة فسمّت العرب باسمهِ كل لونٍ يشبههُ في الحمرة . انتهى المقصود منهُ ونحوهُ في كتب اللغة . ويُطلَق الارجوان على الثياب المصبوغة به يقال حلة ارجوان ومُطرَف ارجوان ومنهُ ما انشدهُ ابن برّي

عشيّةَ غادرت خيلي حُمَيداً ... كأنّ عليهِ حلّةَ أُرجوانِ

والأُرجوان معروفٌ من زمنٍ قديم ولهُ ذكرٌ كثير في التوراة ومنهُ

كانت بعض شُقَق خيمة القدس وحجابها وملابس الكهنة وغير ذلك ولفظهُ بالعبرانية أَرْغَمان . وهو من الاصباغ الثمينة لعزّة وجوده ولذلك لم يكن يلبسهُ الا الملوك ومنهُ كانت ملابس ملوك مديَن على ما ذُكر في سفر القضاة والى هذا المعنى يشير ابو الطيب المتنبي في قوله

مَن الجآذرُ في زيّ الاعاريبِ		حمر الحلَى والمطايا والجلابيبِ

يريد ان حلاهنَّ من الذهب ومطاياهنَّ النياق الحمر وهي اكرم النياق عند العرب وثيابهنَّ حمر اي مصبوغة بالارجوان يعني انهنَّ من نسآء الملوك . وكان عند الرومان لا يحقّ لبسهُ الاّ للقائد الذي يعود من احدى الحروب منتصرًا ثم خُصَّ بالامبراطور حتى صار لبسهُ كناية عن الامبراطورية وفي الازمنة المتأخرة صار من خصائص اكابر رؤسآء الكنيسة ثم صاروا يكنون عن رتبة الكردينالية بالارجوان الروماني او البرفير الروماني وهي لفظةٌ يونانية

والارجوان في الاصل اسمٌ للمادّة الملوّنة بهذا اللون ثم أُطلق في عُرف العلمآء على الحيوان الذي يفرز هذه المادة وهو أصنافٌ كثيرة تبلغ فيما ذكروا نحو المئتين وكلها من الحيوان البحري من النوع الهلاميّ ذي الصدف البوقي . وغالبها يعيش في الشواطئ ولاسيما على الصخور المكسوّة بالطحلب المرجاني واكثر ما توجد في البحر الرومي وقد رُؤي منها في البحر المحيط وفي المانْش . واشهر اصنافه اثنان احدهما المعروف بالارجوان القديم لونهُ احمر يضرب الى البنفسجي وطول صدفته من قيراطين الى ثلاثة في نصف ذلك عرضاً والثاني المعروف بارجوان الصباغين وهو ابيض الظاهر وصدفتهُ الى الصُفرة او الزُبدة ولكلٍ منهما مميزات ليس هنا محل ذكرها

ولهذا الحيوان غدّة في باطنهِ تفرز السائل الارجواني ولونهُ يختلف ما بين الاحمر القرمزي الى البنفسجي وقيل الاحمر يخرج من الحيوان الذي يعيش في اللجّة والبنفسجي من الحيوان الذي يعيش في الصخور

قيل واول من عرف الارجوان واستعملهُ في صبغ المنسوجات اهل صور في زمنٍ لا يُعرَف بالتحقيق ولذلك كانت لهم فيهِ الشهرة الاولى وكان الارجوان الصوري افخر الارجوان واثمنهُ . وكانت طريقة اكتشافهِ فيما زعموا ان راعياً كان يمشي على شاطئ البحر فبصُرَ كلبهُ بصدَفةٍ ملقاةٍ على الشاطئ فتلقفها وطحنها بين انيابهِ ونظر اليهِ الراعي فرأى خطمهُ مخضباً بالحمرة فتنبه لذلك وكان من ثم اكتشاف هذا الصبغ الثمين . وكان في اول امرهِ محصوراً في اهل صور ثم انتشر في سائر مدن فينيقية ولم يمضِ زمنٌ حتى عُرِف في اكثر المدن الصناعية وعلى الخصوص في ايطاليا لكثرة هذا الحيوان في شواطئها وكان في هذه المدن كلها سبباً لثروةٍ واسعة حتى يقال ان الاسكندر لما افتتح مدينة سوسن وجد فيها من المنسوجات الارجوانية ما تُقدَّر قيمتهُ من سكة هذه الايام بمئة مليون فرنك

وكانت طريقة الفينيقيين فيهِ على ما ذكرهُ بلينوس انهم كانوا بعد ان يصطادوا اصدافهُ يدقّونها ثم يطرحونها في الماء المملوح وهو في درجة الغليان وبعد ذلك يتركونها منقعةً فيهِ على درجةٍ معتدلةٍ من الحرارة مدة ثلاثة ايام حتى ينحلّ ما فيها من الاجزاء اللحمية فيصفّون السائل عنها ثم يبخرونهُ حتى يتطاير ما فيهِ من الرطوبة المائية فيكون معدًّا للاستعمال . وعند ارادة الصبغ بهِ يُغمَس المنسوج في محلولهِ بعد ان يؤسَّس بماء الكلس ثم يُنشَر في الهواء

حتى يجفّ فيكتسب لونهُ شيئاً فشيئاً على التدريج

وقد استفيد من هذا البيان ان اللون لا يكون متحققاً في مفرز الحيوان ولا يكتسب النسيج تمام لونهِ حتى يُنشَر مدةً في الهوآء فهناك فعلٌ كيماوي يتم بمباشرة النور كما حققهُ علماء الطبيعة في العصور المتأخرة . وقد ذكر المسيو دُبوا انهُ بعد فحص الغدّة المفرزة في الحيوان وجد أنها تتضمن مادّة لا لون لها يمكن استخراجها بغسل الغدّة بروح الخمر (السبيرتو) وهذه المادة اذا عُرّضت للهوآء حدث فيها فعلٌ كيماوي مجهول فتلونت بالحمرة او بالزُرقة تبعاً لصنف الحيوان المستخرجة منهُ

على ان هذا الصبغ قد أُهمل اليوم للاستغنآء عنهُ بالموادّ الكيماوية كما استغنوا عن النيل النباتي بالنيل الصناعي وعن الفوّة بالأليزارين واشهر الموادّ التي يستعملونها في مكانهِ مجهَّزات البنزيدين والنفطلين وغيرهما من مستخرجات زيت القطران المعدني ولذلك لم يبقَ لهُ اهمية الا بالقياس الى قيمتهِ التاريخية

صنعة القراطيس المالية

وقفنا في احدى المجلات العلمية على فصلٍ لبعض مكاتبيها وصف فيهِ صنعة هذه القراطيس في الولايات المتحدة فآثرنا تعريبهُ لما في هذه الصنعة من الغرابة والدقة　قال

تبتدئ صنعة القراطيس المالية او سكة الورق في الدار المعروفة بدار الحفر والطبع في واشنطن وفي هذه الدار طائفةٌ كبيرة من الحكّاكين

اي النقاشين في المعادن مرصدةٌ لحفر طوابع السكة من صفائح الفولاذ وفيها اوسع مطبعةٍ في الارض تشتمل كل ردهةٍ منها على خمس مئة عامل من رجال ونساء . وبعد ان يُطبع على الصفائح المذكورة توضع في صناديق من الحديد لا يعلم مكانها الا كبار المتوظفين . ولكل مطبعةٍ عدّادٌ يَسِم كل قرطاس عند الطبع بعدده حتى تكون الحكومة دائماً على بيّنةٍ من عدد المطبوع . والسرّ كل السرّ في كيفية صنع الورق الذي تُتخذ منهُ هذه القراطيس وهو يجهزَّ في معامل مسّاشوسّيت تحت مراقبة واحد من رجال الحكومة يُتَّخذ من خِرَق في منتهى النعومة تُغسَل وتنقَّى وتُغلى حتى تصير عجينةً رائبة وبعد ان يتمّ صنعهُ ويصير لفائف من الورق الناعم يخلَّل بخيوطٍ دقيقة من الحرير تُدخَل في بنآئهِ بطريقةٍ سرّية وهو الامر الذي يتميز بهِ ويتعذر على المقلدين محاكاتهُ

وبعد ذلك يُعَدّ هذا الورق اولاً وثانياً ثم يُجمَع رِزَماً متساوية تُغلَّف وتُحفَظ في دار الخزينة في صناديق من الحديد وعند الحاجة يُرسَل منها القدر الذي يُحتاج اليهِ الى دار الحفر والطبع . وقبل اخراجهِ من دار الخزينة تُعَدّ الرزم ثلاث مرات وتدفع الى الموكل بتسلُّمها فيعدّها مرةً اخرى ثم يذهب بها الى دار الطبع وهناك تُحَلّ لفائفها ويُخرَج الورق منها فيتُناقل بين ثمانٍ وعشرين يداً من ايدي جماعةٍ من النسآء مُرصَدةٍ لهذا العمل ليتحقق العدد الواصل منهُ الى الطباعين . وقبل ان يخرج العمال من المكان الذي يُعدّ فيهِ الورق ينبغي ان يعرض كل واحدٍ منهم على الحاجب جوازاً يثبت انهُ قد خرج من عهدة كل قطعةٍ من الورق مرّت بين اصابعهِ

وقد يتفق ولو في النادر ان تضيع احدى هذه الاوراق واذ ذاك تُقفَل الابواب ويُمنَع كل واحدٍ من العمال الذين يكونون في ذلك القسم ان يخرج قبل تمام التفتيش فاذا لم توجد تلك الورقة غُرّم متوظفو القسم بالقيمة التي كان ينبغي ان تُطبَع عليها . وقد اتفق من مدة قريبة ان ضاعت ورقة بيضاء كانت معدّةً لأن تكون قرطاساً بقيمة ثمانين دولاراً فضُربت قيمتها على العمال

ومتى وصلت القراطيس مطبوعةً الى دار الخزينة تُوسَم كل واحدةٍ منها بختمٍ ملوَّن على وجهها وهناك ست مطابع تطبع الختم المذكور فيُجرَى عليها نفس الاحتياطات التي أُجريت على المئتين والخمسين مطبعة كبيرة التي تُطبع بها القراطيس وأقلّ قُصاصةٍ من الورق تسقط من الآلات تؤخذ للحال ويُبعَث بها الى دار الحفر والطبع لترَدّ عجيناً وايّ عاملٍ اخذ قصاصةً حكم عليهِ بسجن خمس عشرة سنة وغُرّم بخمسة آلاف دولار

وفي اثناء هذه الاعمال المختلفة يُفحَص عدد القراطيس ايضاً ست مرات واخيراً تُقسَم رِزَماً في كلّ منها مئة قرطاس وتُغلَّف بورق يكتب عليهِ رقمها وتختم بالشمع الاحمر وتُحفظ في دار الخزينة في صناديق من الحديد فلا تنتهي الى هناك حتى يكون كل قرطاسٍ منها قد عُدّ ثلاثاً وستين مرة . والصناديق التي تحفظ فيها هذه القراطيس سبعة يحرسها ليلاً ونهاراً فرقةٌ من الجند يرأسها امير فرقة وقائم مقام يطوفان كل ربع ساعة من الليل مرة حول الخزينة . وهذا الاحتياط الشديد ليس عن عبث فان اصحاب المطامع ما زالت عيونهم موجهةً الى هذا الكنز وقد حاولوا عدة مرار

بطرائق شتى ان يصلوا الى الملايين المخزونة هناك ومع كل ما ذكر من الحرص فانهُ من مدة اربعين سنةً سُرق من هذا الموضع ربع مليون من الدولارات وكان المخزون فيهِ اذ ذاك خمسة واربعين مليارًا

ثم ان الاوراق التي تتلف في ايدي الناس لعارض أو لطول التعامل بها لها موضعٌ مخصوص تُستَرَدّ فيهِ ويُعطى عوضها والعمّال في هذا الموضع من النسآء وهنّ يتناولنَ القراطيس التالفة ويفحصنها ولهنّ في هذا الفحص مهارةٌ عجيبة بحيث لا يجوز عليهنّ شيءٌ مزوَّر على انهُ اذا ظهر احيانًا شيءٌ من ذلك أو وقع غلط في العدد غرمنَ النقص . والقراطيس القديمة بعد ان تُعَدّ تقطع نصفين بآلةٍ تسمى المِقصَلة (كليوتين) ثم يُجمَع كل نصفٍ وحدهُ ويُرسَل الى موضعٍ مخصوص فيحرَّر عددها مرةً اخرى وبعد ذلك تُرسل الى المعمل فيعاد طبخها ويُصنَع منها ورقٌ جديد

يومُ عيدٍ في الجنَّة

معرَّبة عن الفرنسوية بقلم حضرة الكاتب الشاعر الالمعيّ قسطاكي بك الحمصي

لله ربّ العرشِ والاكوان | فِكَرٌ تفوتُ تصوُّرَ الانسانَ
ولقد اتاهُ ذاتَ يومٍ خاطرٌ | رقصت لهُ الجنَّاتُ بالسكَّانَ
فأقام في اسمى قصور جنانهِ | عيداً لهُ سجدت ذوو التيجانَ
ودعا اليهِ وهو اكرم مَن دعا | غيدَ الفضائل زينةِ العمرانَ
لكنهُ ساوى الجميع وربما | فاق الصغارُ الكُبرَياتِ الشانَ
فسلكنَ في لطف التحيّة مسلكاً | يزري على النسماتِ في الاغصانَ

وجميعهنَّ جرينَ جريَ قرائبٍ   وشقائقٍ في طاعة الرحمانِ
ونَهلنَ كاسات الولآء وقد تبا   دلنَ الحديث تبادلَ الاقرانِ
لكنَّ ربَّ القصر جلَّ جلالهُ   اذ كان ينظر نظرةَ العرفانِ
لمحَ اثنتينِ كأنما احداهما   لا تعرف الاخرى فتأتلفانِ
ولعلمهِ بطريقة البشر الأُلى   بلغوا من العمران خير مكانِ
مدَّ اليدينِ اليهما متناولاً   يدَ كل خودٍ منهما ببنانِ
والى اليمين اشار وهو يقول ذي   في الارض تُدعى رَبّة الاحسانِ
واشار للاخرى وقال وهذهِ   تُدعى كذلك رَبّة الشكرانِ
فتفرَّسَ الاختانِ كلٌّ منهما   في اختها كتفرُّسِ الحيرانِ
اذ منذ خَلْق الله دُنيانا الى   ذا اليوم لم تتواجه الأُختانِ

متفرقات

رش السكك بالبترول — قد اصطلحوا منذ مدة على ان يستخدموا البترول عوض المآء لرش السكك وفائدتهُ الصاق الغبار بالارض وتسهيل الانتقال على الطرق اذا كانت قليلة التعهد . واول من امتحن ذلك اهل كاليفرنيا فكان عنهُ نفعٌ ظاهر حتى اقتدت بها سكك سائر البلاد منعاً لهذه السُحُب من الغبار التي تثور مع جري القُطُر . وقد وُجد ان مقدار البترول الذي يُستهلك في هذا الرش يكون نحواً من ٩٠٠٠ لتر لكل ميل وهو يعالج علاجاً مخصوصاً بحيث لا يكون عنهُ رائحة وبهذه المعالجة يختر قوامهُ حتى

لا يعود قابلاً للاشتعال . والرشة الاولى منهُ تقتضي من النفقة ما بين ١٥٠ و٢٢٥ دولاراً لكل ميل تبعاً لبعد المكان الذي يجتلب منهُ البترول واما الرشات التالية فتكون نفقتها اقلّ كثيراً وقد التزمت احدى الشركات في كاليفرنيا ان ترش السكك ثلاث مرات في السنة بحيث تمنع كل غبار من اول مايو الى آخر نوفمبر بمبلغ ١٠٢٠ فرنكاً للميل

وهذه الطريقة فضلاً عمّا فيها من الصاق الغبار بالارض فانها تقلل نفقات الحصب والتعهد وتكون بها الموادّ المحصوب بها اطول اقامةً . وزيادةً على ذلك فان الزيت يميت كل نباتٍ في الطريق ويتألف منهُ قشرةٌ صلدة لا ينفذها المآء فيمتنع بذلك فعل السيول في تخريب السكك

فوائد

نقل الصور الفوتغرافية على الزجاج أو الصيني — نشرت احدى جرائد هذا الفن طريقةً لنقل الصور الفوتغرافية المطبوعة على الورق الى الزجاج أو الصيني وذلك بأن تُمَدّ على سطح الصفيحة أو الانآء المراد نقل الصورة عليهِ طبقة من الهُلام (الجلاتين) المصنوع بالبيكرومات . وهذا المحلول يركَّب من ٥ غرامات من الهلام النقي و ١٠٠ من المآء وغرامين أو ثلاثة من بيكرومات البوتاس . وبعد ان تمدّ هذه الطبقة تُترَك الى ان تجفّ وتعرَّض للنور حتى لا تعود قابلةً للانحلال ثم تُغسل لازالة القدر الزائد من البيكرومات . اما الصورة فتؤخذ على الورق بحسب العادة وبعد ان تعالج

في مغطس الذهب وتثبت كما تثبت بقية الصور تغطس في محلول من الفورمول التجاري على نسبة ٥ في المئة ثم توضع على الزجاج أو الصيني المعدّ على ما ذكر وتُدَلك بمدلك أو باسطوانة من المطاط حتى تلتصق بجملتها ثم تكبس بعد ان يوضع عليها شيء من الورق النشاف وتترك حتى تجف وبعد ان يتم جفافها تُغمس اولاً خمس دقائق في الماء البارد ثم تغمس ربع ساعة في ماء على ٨٠° س وبعد ذلك يُسلخ الورق الذي كانت عليهِ بأن يُمسك من احدى زواياهُ فيخرج ابيض وتبقى الصورة لاصقة على ما تحتهُ

آثار ادبيّة

كتاب حاضر المصريين أو سرّ تأخرهم — هو سفرٌ ظهر حديثاً من تأليف حضرة الاديب محمد افندي عمر احد المستخدمين في مصلحة البريد المصري نسج فيهِ على منوال الكتاب المعنون بسرّ تقدم الانكليز قال ولكنهُ مع الاسف يشرح سرّ تأخر المصريين لا تقدمهم . والحق يقال انهُ كتابٌ جمع فأوعى تتبع فيهِ احوال المصريين فلم يترك جليلاً ولا دقيقاً مما يجري في دُورهم ومجتمعاتهم ومعاملاتهم ومحادثاتهم وزواجهم وتربيتهم وتعليمهم وسائر شؤونهم الا ذكرهُ أو ذكر لُمعةً منهُ وشيئاً من امثلتهِ فكان على الحقيقة مرآةً تمثل كل ما ظهر وبطن من حالة المصريّ في جميع طبقاتهِ . ونحن مع اعترافنا بصحة اكثر ما جاء فيهِ ان لم نقل بصحة جميعهِ كما شهد بذلك حضرة الفاضل احمد فتحي بك زغلول فيما كتبهُ مقدمةً للكتاب فانا لا نبرّئ المؤلف من

تحامل على ابناء وطنه ومبالغة في بعض المواضع حتى كان بكلام المندد اشبه منه بكلام النصيح المشفق . ولسنا ندفع مع ذلك قول من ادعى انه ليس من اثر قلم واحد بل الذي يستقري عبارته وغرضه يجد فيه آثار اقلام شتى لا يخلو بعضها من روح استخفاف بالوطني وتعمد للازراء به لغرض في النفس أو لشيء في الطبع ... وهو اكبر عيب يؤخذ على المؤلف بحيث ان كتابه جاء متفاوت اللحمة متشعب المرامي الى ما اختلط به وجه القصد منه واصبح بعضه ينقض بعضاً . بيد انا نقول على الجملة ان الكتاب على ما فيه لا يخلو من فوائد كثيرة يمكن ان يستبصر بها المصري وان انكر بعضها فان قليل ما فيه مما يؤاخذ عليه المؤلف لا يبطل فضله في الكثير مما يستحق عليه الثناء الطيب وقد قيل كل العناقيد وأرم العود للنار

والامة ولا ريب في حاجة الى اصلاح كثير فعسى ان يكون هذا الكتاب مهمازاً لعقلائها ومقتدريها وحاثاً لهم على تدارك ما هي فيه من سوء الحال مما اذا تتبعه متتبع لم يجد له مصدراً الا تفشي الجهل واستيلاء الخرافات والتقاليد الوهمية وهو السر الصحيح في تأخر امم الشرق على العموم ولا دواء لهذه الآفة الا تعميم العلم وابتناؤه على القواعد الصحيحة والله المسدد الى الخير والفلاح بفضله عز وجل وحسن الهامه

كتاب الحضرة الانيسية في الرحلة القدسية — هو كتاب رحلة للشيخ عبد الغني النابلسي الشهير ذكر فيه مسيره من دمشق الى بيت المقدس ووصف كل ما مر به من المشاهد والمعاهد والآثار التاريخية والدينية

وقد طُبع بعناية حضرة الاديب ديمتري افندي نقولا احد منشئي جريدة الاخلاص الغرّآء وعلى نفقة حضرة صاحبها الفاضل ابرهيم افندي عبد المسيح فجاء في نحو ٨٠ صفحة متوسطة وهو يباع في ادارة الجريدة المذكورة وثمنهُ خمسة غروش

الدنيا في باريس — تقدم لنا في بعض اجزآء السنة الماضية الايمآء الى هذا الكتاب المفيد وهو مجموع الرسائل التي كتبها حضرة الفاضل اللوذعي احمد زكي بك الكاتب الثاني لمجلس النظار في وصف معرض باريس العام سنة ١٨٩٠ وقد تمّ طبعهُ من عهدٍ قريب فجاء فيما يقرب من ٣٠٠ صفحة مزيناً بالصور والرسوم . وهو يتضمن وصف كل ما اشتمل عليهِ المعرض من المعروضات الصناعية والطبيعية وتفصيل ما يختصّ منها بكل امةٍ من الامم التي اشتركت فيهِ ويتخلل ذلك كثيرٌ من الفوائد التاريخية والعمرانية . فنحض القرآء على مقتناهُ وهو يباع في ادارة مجلة طبيب العائلة وثمنهُ خمسة عشر غرشاً مصرياً

الاخلاق مجموع عادات — عنوان خطابٍ القاهُ في نادي المدرسة الشرقية بزحلة حضرة الاستاذ البارع عيسى افندي اسكندر المعلوف مدرّس البيان العربي والعلوم التعليمية في المدرسة المشار اليها . وقد تصفحنا الكثير منهُ فوجدناهُ مشحوناً بالفوائد الفلسفية والنصائح الادبية والعبر التاريخية حريّاً بأن تثقَّف عليهِ الاخلاق وتُقتبس منهُ محاسن الآداب فنثني على حضرة الخطيب ونسأل لهُ تحقيق ما توخى بهِ من النفع وايلآءهُ جميل الثواب

فكاهات

شارلمان (١)

لما توفي البابا غريغوريوس الثالث سنة ٧٤٠ خلفهُ البابا زكريا الاول وهو الثاني والتسعون من بابوات رومية . وزاد هـذا على سلفهِ في تحمسهِ الديني وكان بصرهُ يطمح الى فرنسا وذلك على عهد تملك كلوتير فعمل على تمديد سلطتهِ الى تلك البلاد . وكان كلوتير قد نبذ الدين وعكف على ملذات الحياة ورأى في شعبهِ من الوثنيين ما يوافق شهواتهِ الحيوانيـة فانحاز اليهم تخلصاً من ثقل نير الدين الذي كان كرسي رومية يضعهُ على رقاب الملوك . فاجتهد البابا زكريا المذكور في كسر شوكة كلوتير فاستدعى اليهِ واحداً من امرآء فرنسا يسمى پّيپّين ومنحهُ بركتهُ الرسولية وقلدهُ امراً اطلق لهُ فيهِ ان يفعل ما شآء بشرط ان يخلع كلوتير عن كرسي الملك وان يرشد الشعب الفرنسوي الى الدين المسيحي . وكان پّيپّين هذا ايضاً من المتشددين في الدين فما صدق ان اخذ مثل هذه الرسالة حتى انضم الى اخيهِ كارلوس فجيَّشا جيشاً عظيماً وزحفا بهِ على فرنسا معتمدين على بركة البابا وما يعرفان في انفسهما من البسالة وكانا من اشجع رجال عصرهما . واول معركة اصليا نارها لم يكن الشعب الفرنسوي الوثني على استعدادٍ لها فانهزم امامهما فاغتنما تلك الفرصة لالقآء الرعب في قلوب الاهالي فكانا مع جيوشهما يقتلان الرجال والنسآء والاولاد بدون شفقة ولا رحمة ويدمران البيوت ويحرقان القرى واخيراً اسرا كلوتير وقبضا على زمام الحكومة الفرنسوية وكانا اذا عثرا على وثنيّ قتلاهُ باشنع اصناف العذاب او رأيا كاثوليكيّاً قرَّباهُ الى البلاط وغمراهُ بالنعم والمواهب السنية فما عتمت فرنسا ان طرحت عنها المذهب الوثني وانتحلت الديانة النصرانية وصارت باسرها كاثوليكية

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

وبعد ذلك اتفق پيپين مع اخيهِ وسارا الى المانيا للقصد نفسهِ وفي وقت قصير تمكنا من اخضاعها لحكمهما وقيادة الشعب لطاعة الكرسي الرسولي وبعد ان تمهد الامر لپيپين قاسم اخاهُ فأجلسهُ على عرش فرنسا وابقى لنفسهِ قسماً من المانيا فاقام في مقاطعة باڤاريا في قصر على قمة جبل راتسبون وبنى هنالك ديرًا يقوم الآن على آساسهِ دير الرهبان البندكتيين المشهور

وكان في بريطانيا لذلك العهد ملكٌ يدعى كرنيول سمع باخبار پيپين وبأسهِ وفتوحهِ فعزم ان يحالف هذا الملك القادر . وكان لهُ ابنةٌ وحيدة اسمها برتا وهي بارعة في الجمال وعلى جانب عظيم من التقوى والوقار فارسل الى پيپين بعضاً من رجال بلاطهِ يذكرون لهُ هذه الفتاة ويعرضون عليهِ الاقتران بها . فلما بلغ الوفد المذكور قصر پيپين استقبلهُ بغاية التجلة والاكرام وسرَّهُ غرضهم جدًّا فاستدعى مشيريهِ وفاوضهم في الامر فاستحسنوهُ ايضاً ولكنهم قالوا لهُ انهُ ربما بالغ الوفد في مديح برتا واشاروا عليهِ ان يتحقق جمالها واخلاقها قبل ان يعد بالاقتران بها . فاستصوب پيپين الرأي واعطى صورتهُ للوفد ليقدموها الى ملكهم وامرهم ان يأتوهُ بصورة الفتاة ليراها قبل ان يقطع بالامر ثم اسبغ عليهم الهدايا والصلات النفيسة وصرفهم شاكرين

وبعد مدة عاد الوفد وقد استصحبوا صورة الاميرة برتا فلما رآها پيپين راعهُ جمالها وشغف بها وصمم ان يستحضرها بدون تأخير . وكان بين وزرآئهِ رجلٌ يدعى كارين ماكرٌ محتال قد تمكن بدهآئهِ من التغلب على افكار پيپين حتى جعلهُ مشيرهُ الخاص . فلما رأى هذا صورة الاميرة برتا ظهرت على وجههِ علامات الاستغراب الشديد وبقي مدةً يتفرس في الصورة ولا يرفع نظرهُ عنها . ثم اسرَّ الى الملك انهُ يودّ مكالمتهُ سرًّا فلما خلا بهِ قال لم ارَ يا مولاي في حياتي اجمل من صورة هذه الاميرة فهي لا تليق الا بك ولكني اخشى ان تكون الصورة خلاف الحقيقة فاذا امرتني اذهب من قبلك الى بلاط ملك بريطانيا واشاهد الفتاة عياناً فاذا وجدتها كما وصفوا ورأينا من صورتها احضرتها معي والا تنصلت لدى الملك ابيها بحسن تدبيري وسياستي بحيث لا ادع سبيلاً للنفار بينكما . فاستحسن پيپين مقالهُ ثم جهز

كارين بافخر الهدايا ودفع اليهِ خاتمًا نفيسًا ليقدمهُ الى الاميرة برتا وصرف الوفد وكارين واقام ينتظر قدوم وزيرهِ وهو لا يعلم ما طوي لهُ في صحف الغيب

وكان لكارين زوجةٌ وابنة قد اسكنهما بلدةً بعيدة عن راتسبون لكي لا يبقى عندهُ من يراقبهُ في عمل المنكر والتحيل والمكر فلما رأى صورة الاميرة برتا وجد فيها شبهًا شديدًا من ابنتهِ بحيث كانت كانها صورتها بعينها فسوَّلت لهُ نفسهُ الماكرة ان يستبدل الاميرة بابنتهِ ويزوجها للملك بيبين بدون ان يدري احد فيكفل لنفسهِ بقآء السطوة والجاه . وجآء استحسان الملك لمشورتهِ موافقًا لخطتهِ فما صدق ان سافر مع الوفد حتى ارسل خبرًا الى زوجتهِ ان توافيهُ مع ابنتهِ الى قريةٍ صغيرة عند غابة كثيفة تدعى غابة أسبرغ ثم جعل يحث السير حتى بلغ دار الملك كرنيول فاستُقبل بالتعظيم والاجلال . ولما رأى الاميرة برتا وجدها تفوق في جمالها وتهذيبها اضعاف ما وصفها الوفد فقدم لها خاتم الملك علامة للزواج وفرَّق الحلى الثمينة والجواهر وهو يلحّ في سرعة الرجوع الى ملكهِ . فالح عليهِ كرنيول ان يبقى عشرة ايام لتودع الاميرة آلها وذويها وتستعدّ لمقابلة زوجها العظيم فقبل كارين ولكنهُ قال للملك ان مولاي يشترط عليك امرين اولهما ان تتلثم الاميرة برتا من الآن ولا تكلم احدًا من الغربآء الى ان تبلغ بلاط زوجها والامر الثاني ان مولاي لا يسمح لاحد من رجالك بمرافقة الاميرة الا الى منتصف الطريق حيث تكون رجالنا في انتظارنا . فقال الملك كرنيول ليكن ما ارادهُ ملكك وتشرع زوجتهُ في طاعتهِ من الآن . ولم يدرِ احدٌ بمكيدة كارين وانهُ قد ابتدأ باعداد وسائلهِ الجهنمية لاهلاك الاميرة وقد طلب ان تخفي وجهها وصورتها لكي لا يراها احد من رجالهِ ويعلم فيما بعد ما فعل

وفي اليوم المعين ودعت الاميرة برتا والديها وآلها وسارت بصحبة كارين وعددٍ من الكبرآء والعظمآء الذين ارسلهم والدها لتشييعها الى حدود بلادهِ . وكان للاميرة كلبٌ صغير قد اولعت بهِ فأخذتهُ معها واخذت عيبةً اي محفظة من الجلد اودعتها بعض ادوات التطريز لتسلي نفسها بالعمل في اثنآء السفر . فلما بلغوا الحدود رجع رجال كرنيول وتابع كارين السفر بالاميرة مع رجالهِ الاخصآء الى ان بلغوا

عشية يومٍ المنزل الذي تنتظرهُ فيهِ زوجتهُ وابنتهُ فترجلوا ودخلوهُ للمبيت

ولما انتصف الليل وساد سكونهُ وكان الجميع الا كارين غارقين في بحار النوم نهض متلصصاً الى عبدَين من عبيدهِ فأيقظهما سرًّا وخلا بهما ثم دفع اليهما صرةً فيها ثوب كانت تلبسهُ ابنتهُ وامرهما ان يذهبا الى غرفة الاميرة برتا فيوقظاها ولا يدعاها تأتي اقل حركة ينتبه لها احد ثم يلبساها ثياب ابنة كارين و يأخذاها الى وسط الغابة فيذبحاها هناك ويدفناها ويرجعا اليهِ قبل بزوغ نور النهار بلسانها وقميصها الملطخ بالدم ليتحقق انهما فعلا ما امر وتهددهما بالقتل والتعذيب ان هما افشيا سرّهُ. فأخذ العبدان الثياب وذهبا الى غرفة الاميرة فأيقظاها فارتعبت جدًّا من نظر العبدين في غرفتها وهمت ان تصيح مستغيثةً فرفع احدهما خنجرهُ فوق رأسها واشار اليها ان تلزم الصمت فسكتت ثم امراها بنزع ثيابها والارتداء بما احضراهُ لها ففعلت مكرهةً ثم اومأا اليها ان تسير امامهما فسارت وقد اخذت في يدها محفظتها وهي لا تدري احلمٌ ما تراهُ ام حقيقة . وكان كلبها قد استيقظ على تلك الحركة فتبع مولاتهُ وهو يبصبص بذنبهِ وينظر بين هذا وذاك كانهُ يستغرب هذا المسير

وخرج العبدان بالاميرة تحت ظلام الليل الحالك فأوغلا في تلك الغابة الكثيفة واشتد الخوف والضعف على الاميرة فلم تعد تقوَى على المسير فتأبط كلٌّ من العبدين احدى يديها وكانا كأنهما يحملانها . اما هي فكانت غارقة في صلاة حارة تطلب من الله ان يتداركها برحمتهِ ثم وقفت بغتةً وقالت لهما قولا لي بر بكما الى اين تسيران بي وماذا تبغيان مني . فجعل العبدان ينظران الواحد الى الآخر ثم اخبرها احدهما بأوامر كارين فأوشك ان يغمى عليها ولكنها تجلدت وصاحت من قلب جريح رُحماك يا الهي فلتكن ارادتك

و بلغ العبدان وسط الغابة فوقفا وكانا في اثناء الطريق يكلمان بعضهما بعضاً بالاشارات فلما وقفا علمت الاميرة ان ساعتها قد دنت فجثت على الارض وجعلت تصلي بحرارة فابتعد العبدان عنها خشيةً ووقارًا ثم قال احدهما للآخر ان قلبي لا يطاوعني على قتل هذه الفتاة فكلما رأيت جمالها الساحر وسمعت صوتها العذب ورأيت

طاعتها العمياء يذوب فؤادي . فقال الآخر وانا لا اشعر بأقل من ذلك ولكن ماذا يقول كارين اذا لم ننفذ امرهُ . فقال الاول لا اسهل من خداع اهل المكر فاذا اتفقت معي على تخليص الاميرة واقسمت لي ان لا تشي بي فانا اتعهد لك بعدم معرفة كارين ذلك واننا ننال منهُ جزآء عظيماً . فاقسم الثاني على ذلك ورجعا الى الاميرة فلما رأتهما قادمين استعدت للموت وصاحت بصوت ضعيف قائلةً . اني اصفح عنكما من كل قلبي فما انتما الا مأموران بهذه الفعلة الشنعاء وانما ارجو منكما ان لا تطيلا عذابي . فصاح احدهما وقال خفي عنكِ ايتها الاميرة فنحن ممن يخافون الله ايضاً وسنبقي عليكِ اذا وعدتنا انك لا تحاولين الرجوع الى بيت ابيكِ ولا تسعين في اظهار نفسكِ فيكفيكِ ان ترجي حياتكِ ومن كانت مثلكِ لا بد ان تحصل قوتها اينما ذهبت . ولما وعدت الاميرة بذلك نزعا عنها قميصها ولفا بهِ الكلب الذي كان لا يفارقها ثم طعناهُ بخناجرهما مرارًا فمات ذلك المسكين وعيناهُ شاخصتان الى الاميرة بذلٍ وانكسار كانهُ يقول لها انني اموت فدًى لكِ يا مولاتي . ولم تستطع الاميرة ان تقف امام هذا المنظر المؤثر فسترت وجهها بيديها وجعلت تنتحب . ولما اكمل العبدان عملهما قطعا لسان الكلب واخذاهُ مع القميص ثم ودعا الاميرة وحرَّضاها ان تبتعد عن المكان وان تحافظ على السر ورجعا الى كارين . وما صدَّق هذا ان علم باتمام الامر حتى انهض ابنتهُ فألبسها ثياب الاميرة واخبرها بحقيقة الامر وان الملك پيپين سيتخذها عروساً لهُ تحت اسم برتا بنت ملك بريطانيا ولقَّنها ما ينبغي ان تقول وتفعل . ولما انبثق الصباح ركب القوم وعاودوا المسير حتى بلغوا بلاط پيپين فجاء يستقبل عروسهُ وهو يظنها الاميرة فادهشهُ جمالها ووقعت من قلبهِ موقعاً جليلاً ورزقهُ الله منها ثلاثة بنين وابنتين وكان اكبر اولادهِ يدعى لاون وهو الذي انتُخب بابا في رومية وعرف باسم لاون الثالث بعد وفاة ادريان الاول سنة ٧٩٥

اما برتا فبعد ان فارقها العبدان ورأت نفسها امام جثة كلبها الغارقة في الدم جعلت تنتحب وترثي ذلك الخل الوفي ثم حفرت بيديها الناعمتين قبرًا اودعت فيهِ بقايا كلبها وسارت في تلك الغابة وهي لا تعلم الى اين يقودها المسير . وبزغ

نور الصباح فلم ترَ امامها الا اشجارًا كثيفة وهي كلما تقدمت ازداد طريقها وعورةً واثر فيها الجوع والتعب فخارت قواها ولكن خوفها من ضواري البر اعارها قوةً اخرى فكانت تجر نفسها قسرًا وهي تؤمل الوصول الى قريةٍ صغيرة فتخدم فيها بقية عمرها . وعند المسآء نظرت عن بعدٍ دخانًا مرتفعًا فايقنت بوجود اناس هنالك وقصدت محل الدخان فلما بلغتهُ رأت بيتًا صغيرًا فسُرّي عنها واسرعت الى الباب فقرعتهُ اولاً وثانيًا ثم سقطت الى الارض مغشيًّا عليها

وكان البيت لفحام يقيم فيهِ مع زوجتهِ وابنتهِ فلما سمع الرجل قرع الباب اسرع ليرى من الطارق فوجد الفتاة مطروحةً على الارض فاستدعى زوجتهُ وابنتهُ وحملوها الى داخل البيت واستعملوا لها ما حضرهم من الوسائط حتى عادت الى رشدها . وادرك الفحام احتياجها الى الراحة والقوت فاسرع واحضر لها طعامًا فاكلت الفتاة ثم نامت نومًا هنيئًا . ولما استيقظت سألوها عن شأنها فاخبرتهم انها يتيمة تائهة لا اهل لها ولا اصدقآء وانها تود الاقامة عندهم بمنزلة خادمة بدون اجرة وانها تشتغل بما يمكنها من دفع نفقاتها بشرط ان لا يعلم احد بوجودها . وكان الفحام طيب القلب وقد علم من هيئة الاميرة وكلامها انها تقول خلاف الواقع وان لها حديثًا خاصًّا ترغب في كتمانهِ فلم يحاول استطلاعهُ . فطيب خاطرها واوصى زوجتهُ بها وعاد الى عملهِ

وكانت برتا تقوم في كل صباح الى تنظيف البيت وترتيبهِ وتساعد صاحبتهُ في اصلاح الطعام وما شاكل ذلك حتى اذا فرغت من عملها جلست الى جانبٍ واخذت عيبتها واشتغلت بالتطريز وفي نهاية الشهر من دخولها بيت الفحام اكملت قطعة كبيرة من ابدع ما يمكن عملهُ من التطريز الجميل فاستدعت الفحام ودفعت اليهِ تلك القطعة وقالت خذها الى البلد واعرضها للمبيع وهات بنصف ثمنها نسيجًا وخيوطًا لاصنع غيرها وابقِ لنفسك النصف الثاني على حساب نفقتي عندكم . فاخذ الرجل القطعة وهو لا يدرك لها قيمةً ولكنهُ لم يشأ ان يكسر خاطر الفتاة ولما بلغ المدينة عرضها على احد التجار فأُعجب باتقانها ودفع لهُ فيها مئة من الفرنكات . فدهش الفحام ولم يصدق ان اخذ المبلغ حتى اسرع فاشترى بجانبٍ منهُ ما اوصتهُ بهِ برتا وعاد بالباقي وهو

يطير فرحاً . ولما بلغ البيت اخبرهم بما كان وهو يستغرب الامر ثم دفع بقية الدراهم الى الفتاة فلم تشأ ان تقبلها ولما ألحت عليهِ ان يأخذها في مقابلة ما يطلب منها اجرة اقامتها عندهم قبل الرجل فاودع الدراهم في خزانتهِ على حدة وقد صمم ان لا يتصرف في شيء منها

وبقيت برتا على هذه الحالة تسلم الى الفحام في آخر كل شهر قطعةً من عمل يديها فيذهب الرجل ويعود بثمنها حتى توصل الى مبيع القطعة الواحدة بما يساوي ثماني مئة فرنك وهو مع كل ذلك لا ينفق شيئاً من مال الفتاة بل يحفظهُ لها الى حين الحاجة

وبعد ثلاث سنوات من تاريخ هذه الحادثة ذهب پيپين ببعض حاشيتهِ للصيد قاصداً غابة اسبرغ فقضى فيهـا عدة ايام . وتبع مرةً غزالاً مع احد اخصآئهِ وما زالا يطاردانهِ وهو يجري امامهما حتى بلغا بيت الفحام وكان الملك قد اعياهُ الحر والتعب فدخل البيت ليستريح وطلب كأساً من المآء البارد ولما كان ادركهُ الظلام عزم على المبيت في منزل الفحام . وبعد طعام المسآء جلس پيپين ازآء الفحام واخذ يحادثهُ عن الصيد وما شاكلهُ ولم يعرف احدٌ انهُ هو الملك . وسنحت من پيپين نظرة فرأى برتا فارتعش جسمهُ كمن مسهُ مجرًى كهربآئي . ثم رأى الفتاة قد تغير لونها واسرعت فخرجت من الغرفة فسأل الفحام هل هذه الصبية ابنتهُ فتوقف قبل ان يجيب ولم يستطع پيپين صبراً فقال اعلم يا هذا انني ملكك فقل لي من هي هذه الفتاة واياك ان تخفي الحقيقة . فاخبرهُ الفحام بما علم من امر برتا فزاد اضطراب پيپين وامر باحضارها ليسألها عن تاريخ حياتها . ولما مثلت امامهُ جثت لديهِ وقد عرفتهُ للحال لانها رأت صورتهُ في بيت ابيها ثم اطلعتهُ على جلية امرها وما حصل لها وتوسلت اليهِ ان يصفح عن كارين وابنتهِ . ثم قالت لهُ انك ولا شك في سرور مع زوجتك فلا بأس من هذا البدل واسمح لي ان ابقى هنا فقد اعتدت هذه المعيشة واحبّ الفحام كوالدي . اما پيپين فارسل تابعهُ في الحال سرًّا الى البلدة المجاورة فاستدعى كاهناً وعقد لهُ في تلك الليلة على الاميرة برتا في منزل الفحام . ثم امر الجميع بكتمان الامر

الى حين ولبث مع الاميرة يومين ثم ودّعها ووعدها انهُ بعد ما يرجع الى قصرهِ ويتمم ما نواهُ يعود فيأخذها اليهِ كما يليق بمقامها . ثم اعطى الفحام مبلغاً من النقود واوصاهُ ان يعتني بزوجة ملكهِ

ولما عاد پيپين الى قصرهِ وجد رسولاً من قبل اخيهِ ينتظرهُ ويخبرهُ ان ملكاً يدعى مرسيلس قد جآء بجيش جرار من الوثنيين يهاجم فرنسا و يطلب منهُ النجدة في الحال . وكان پيپين كابيهِ شارل مرتيل سريع الانفعال والاندفاع فأجل امر زوجتهِ وقام بجنودهِ للحال فانضم الى اخيه في فرنسا وانهمك في تلك الحرب المشهورة التي دامت تسع سنوات

اما الاميرة فلما تمت ايامها بعد اقترانها بالملك رزقها الله ولدًا جميلاً ففرحت بهِ ودعتهُ شارل وذهب الفحام فبشر پيپين فاجازهُ على تلك البشارة بجائزة سنية وكان پيپين يرسل تابعهُ الوحيد الذي عرف بامر الاميرة فيزورها وولدها وكان كلما عاد يخبر الملك عنهما وانهُ استطلع من ملامح الولد انهُ سيكون عظيماً مقتدرًا

وحدث انهُ لما ترعرع شارل كانت والدتهُ تهذبهُ وتلقنهُ الآداب التي تعلمتها في بيت ابيها وكان يخرج في كل يوم الى حقلٍ في الغابة يجتمع فيهِ بعض اولاد القرية للهو واللعب . ومرّ يوماً على اولئك الغلمان فارسٌ ولما اقترب منهم ترجل عن جوادهِ واوصى احد الغلمان بالمحافظة عليهِ ثم غاب قليلاً ولما عاد وجد ان الحصان قد سُرق لجامهُ . فشق ذلك على الفارس وانتهر الغلمان مطالبًا اياهم باللجام فانكروا جميعًا انهم رأوهُ . ولما يئس الفارس وكان شارل يلاحظ ذلك تقدم الى رفقآئهِ وقال ايها الاخوان كلنا نعلم ان اللجام قد فقد ولا بد ان احدنا اخذهُ فالذي فعل ذلك يجب ان يرد اللجام الى هذا الفارس ليذهب في سبيله . ولما لم يجبهُ احد قال بما انهُ لم يقرّ احدٌ باخذ اللجام فالذي اخذهُ وانكر يدعى سارقًا والسارق جزآؤهُ الموت شنقًا فيجب ان نفتش الجميع . فهتف الغلمان فرحًا وتراكضوا اليهِ فأخذ في تفتيشهم الواحد بعد الآخر حتى عثر على اللجام مخبوءًا في جيب احدهم فاخذهُ منهُ واعطاهُ للفارس فامتطى للحال جوادهُ وسار وهو معجبٌ بنباهة الغلام . ولما عاد شارل الى رفقآئهِ قال دونكم

ايها الاخوان تنفيذ الحكم فاخذوا السارق وربطوهُ بعنقهِ الى غصنٍ حنوهُ من شجرةٍ كبيرة وكلهم ضاحكون لاعبون ثم افلتوا الغصن من ايديهم فارتفع بالولد المسكين و بقي معلقاً . ورعب المنظر الغلمان فركضوا هاربين الى بيوتهم و بقي ذلك الولد وحدهُ مشنوقاً حتى فاضت روحهُ

ولما انتشر الخبر هاج والدا القتيل وابلغا الحكومة الامر فقُبض على شارل ولم تعرف القضاة كيف تحكم في دعواهُ لصغر سنهِ ولعدم تعمدهِ القتل فاحيلت قضيتهُ من بلدةٍ الى اخرى حتى بلغت الملك پيپين يوم رجوعهِ الى بلاطهِ فألف للحال محكمة عالية للنظر في هذه الدعوى حضرها كبار رجالهِ واخصاؤهُ و بينهم كارين وثلاثة من اولادهِ . ثم امر فأحضروا اليهِ الغلام وهو لا يعرف انهُ ابنهُ وكان بصحبة الغلام امرأةٌ مقنعة بالسواد . ولما عُرض الامر على پيپين نظر الى الغلام وقد شعر في قلبهِ بعاطفة حنوٍ نحوهُ فقال لهُ أتعلم ايها الغلام انهُ سيحكم عليك بالموت . فقال الغلام بحدةٍ اذا كان ذلك فاقتلوا قبلي الملك پيپين . فقال الملك ولماذا . قال الغلام لانهُ هو وضع الشريعة التي يقول فيها ان جزاء السارق الشنق فان كنت قد عملت بحسب شريعتهِ وأستحق الموت فهو يستحقهُ قبلي لانهُ هو الذي امر بذلك . فتعجب الملك والحاضرون من فصاحة الغلام وثبوت جنانهِ واطرق الملك هنيهةً ثم استدعى الغلمان الباقين وسألهم عن حقيقة الامر فاخبروهُ بالحادثة كما جرت واكدوا لهُ ان المشنوق سرق اللجام وان شارل طلبهُ مراراً منهُ وانكرهُ الولد . فقال پيپين نعم لقد اخذ العدل مجراهُ ومات الولد جزاء سرقتهِ فلا يمكنني ان اعاقب هذا الغلام وهو انما انفذ الشريعة التي سننتها انا . ثم التفت الى شارل وقال لهُ من هو ابوك ايها الولد . قال لا اعرفهُ يا مولاي . فقال پيپين لعلهُ مات وانت طفل . قال لا لم يمت بعد لاني لا ازال اسمع والدتي تذكرهُ في صلاتها صباحاً ومساءً . فقال الملك ومَن هي والدتك . فنزع الغلام خاتماً من يدهِ وقال ان والدتي قالت لي اذا سألك الملك عن اسم والدتك فقدم لهُ هذا الخاتم . فلما وقع نظر پيپين على الخاتم عرفهُ انهُ خاتمهُ الذي ارسلهُ لخطبة الاميرة برتا فوضحت لهُ حقيقة الحال وتذكر زوجتهُ وعرف ان

الغلام هو ابنهُ . فقال لهُ اسرع ايها الغلام واحضر والدتك الى هنا . فقال الغلام هي هنا يا مولاي واشار الى المرأة المقنعة بالسواد . فنهض پيپين اليها واخذ بذراعها ثم صاح باعلى صوتهِ اسمعوا يا قوم ما اقولهُ لكم فاليوم يوم تنفيذ العدل ولا بد ان اخبركم امرًا لم تسمعوا بأغرب منهُ . فصمت القوم واخذ الملك يتكلم فقال

عهد احد الملوك الى وزير من خواصهِ ان يأتيهُ بابنة ملكٍ آخر ليتزوج بها فذهب الخائن واحضر الفتاة ولكنهُ لما بلغ بها منتصف الطريق سلمها الى اثنين من عبيدهِ وامرهما ان يذبحاها ويدفناها وكان لهُ ابنةٌ فألبسها ثياب الاميرة واحضرها عوضًا عنها فزوجها من الملك . فصاح الجميع يا لهُ من خائن . فقال الملك مخاطبًا احد اولاد كارين بماذا نحكم على من فعل هذا الفعل . فقال اخفُّ شيء يعامل بهِ يا مولاي ان يربط الى رجلي ثورٍ شرس ويُطارَد الثور ليتمزق جسمهُ حتى يموت اشنع الميتات ثم تحرق جثتهُ خارج المدينة . فنظر الملك الى كارين واذا بهِ قد امتقع لونهُ وصار كالاموات فقال قد سمعت ما حكم بهِ عليك ابنك وهو من لحمك ودمك . ثم شرح الملك القصة بتمامها فتعجب الحاضرون ووافقوا على الحكم على كارين وطلبوا تنفيذهُ في الحال . فأمر الملك فأوثقوا كارين الى مؤخر ثور شرس وطعنوا الثور بالحراب فجرى راكضًا وهو كلما رأى كارين معلقًا بهِ يزداد نفارًا فيجري تارةً ويثب اخرى حتى مزقهُ قطعًا و بعد ذلك اخذوا جثتهُ واحرقوها خارج البلدة

ثم امر پيپين بنفي زوجتهِ الاولى ابنة كارين لمشاركتها اباها في الخيانة وابقى اولادهُ منها لانهم ابناء شرعيون . ثم جدد الافراح لرجوع زوجتهِ الاميرة برتا وأعاد اكليلهُ عليها . وتعجب شارل جدًّا من انقلاب الاحوال لما رأى نفسهُ ابن اعظم ملوك اوربا لذلك العهد وكان يتقدم في النباهة والذكاء حتى اكتسب مع صغر سنهِ محبة واعتبار جميع الشعب . وبقي پيپين ملكًا سعيدًا الى ان توفي سنة ٧٦٨ فترك الملك بعدهُ لابنهِ شارل وهو المعروف بشارلمان الشهير

الجزويتية والطرائق الاسلامية (١)

(تابع لما قبل)

واما مقام السلطة فغير منكرٍ ان النظام في جميع الرهبانيات لا يستتبّ الا بالسلطة القاهرة من الرؤسآء على من دونهم . على ان سلطة الرؤسآء يعلوها القانون وهو واجب الطاعة على جميع الافراد بالسوآء وفيهِ تعريف الحقوق والواجبات على وجهٍ مطّرد بحيث لا يُوجَب امرٌ الا بمقتضى نطق القانون . وفضلاً عن ذلك فان لكل رهبانيةٍ مجامع عامّة يلتئم فيها نوّابٌ من كل دير ولهؤلآء النوّاب حق الانتقاد لاعمال الرؤسآء حتى الرئيس العام ومعارضتها بالقانون للنظر فيما انطبق منها عليهِ وما شذّ عنهُ

اما في الطرائق الاخوانية فللشيخ السلطان المطلق وليس عليهِ كما هو

(١) قد فرغ الاب شيخو من الجواب على المسيو فكتور شربونيل في هذه المقالة بسطرين نشرهما في مشرقهِ المعهود محصلهما خلا ما اودعهما من الشتم القبيح ان المشار اليهِ كان كاهناً كاثوليكياً ثم خلع عنهُ لباس الكهنوت يعني انهُ اعلم الناس بحال الجزويت واقدر من حاول الوصول الى مكنون سرّهم واحقّ من يوثق بهِ في تعريفهم . ولا نزيد المطالع هنا ان الرجل لم يقل من عند نفسهِ شيئاً ولكن كل ما فعل انهُ قارن بين قوانين الجزويت وقوانين الطرائق الاخوانية اخذاً عن كتب الفريقين وعرض كل ذلك لحكم المطالع . فليعدّهُ الاب شيخو مارقاً من الدين ومتمذهباً بمذهب الضلال وشيطاناً ومسافحاً الى آخر ما وصفهُ بهِ مما لا يحسن سردهُ الا جزويتيٌّ يخاصم فما يقول في كتب قوانينهِ ورياضاتهِ التي نقل عنها المسيو شربونيل بالحرف ودلّ على كل عبارةٍ ببيان اسم الكتاب والكاتب وعدد الصفحة الى غير ذلك مما لا يتوجه عليهِ انكار ولا سبيل الى ردّهِ وتكذيبهِ

في نص الوِرد الا ان يستخدم هذا السلطان بحسب هواهُ واذا استشار الاخوان احياناً فانما يفعل ذلك من تلقآء اختياره ِ وليس لاحدٍ منهم ان يردّ كلامهُ سوآء اخطأ ام اصاب . وحينئذٍ فلا انتقاد عليه ِ ولا وجه لمعارضة كلامه ِ بالقانون لانهُ هو نفسهُ القانون وهو مخيرٌ ان يعلن من اوامره ِ ما يشآء لمن يشآء كما يشآء

وهذه السلطة المطلقة نفسها بما فيها من قوة الاستبداد معطاة للرئيس العام عند الجزويت بمقتضى نص قوانينهم فهو مُطلَق اليد في كل امرٍ يصنع كما يشآء ويجب ان يطاع ابداً ويُحترَم احترام الممثل ليسوع المسيح . اما المجامع العامّة فلا وجود لها عند الجزويت ولا يلتئمون لعقد مجمع عام الا عند موت الرئيس العام لتعيين الخلف . وللرئيس ان احبّ ان يستشير مجمعاً من شيوخ رهبانه ِ ولكن ليس عليه ِ ان يعمل برأيهم لانهُ هو نفسهُ القانون الحيّ وهو مفسّر القانون وموزّع اوامره ِ يفرض على كل واحدٍ من مرؤوسيه ِ العمل الذي يراهُ ملائماً لحاله ِ . ولهذا يقول سوارز (احد علمآء الجزويت) ان الكنيسة لم ترَ قطّ رئيس جمعيةٍ بلغ سلطانهُ هذا المبلغ من الاتساع

وعلى الجملة فقانون الرهبانيات القديمة يقول في كل قضيةٍ « كما يفرض القانون » والوِرد يقول « كما يريد الشيخ » ونظام الجزويت يقول « كما يشآء الرئيس العام »

واذا استقرينا المقابلة بين الوِرد ونظامات الجزويت الى ان نصل الى طور العمل نجد المشابهة هناك تزداد تحققاً الى ما يقضي بالعجب

فمن ذلك ان جميع اموال الاخوان من صامتٍ وناطق مفوَّضة الى

رأي الشيخ وتصرُّفهِ والجزويت كذلك يكلون الى الرئيس العام السلطان الكامل ان يتولى اي عقدٍ كان من بيع او شرآء وان يقبل الهبات او يردّها. ثم ان المجمع الثامن من مجامعهم العامّة يبيح لهُ ان « يخالف نيات الواهبين وان يستولي على هباتهم ولا يصرفها الى الوجوه التي اشترطوها اذا كانت تلك الوجوه شاقةً على الجمعية وذلك بشرط ان يمكن بقـآء الامر مستتراً دفعاً للشكوك واتقاءً لاقامة النكير من جهة الواهبين اذا كانوا لا يزالون على قيد الحياة » .....

ثم ان الاخوان يتلقون مشيئة الشيخ في الاماكن البعيدة بواسطة معاونين يسمون بالنواب او الخلفآء وفي مكان اقامة الشيخ بواسطة رؤسآء يسمون بالمقدّمين . وكذلك الجزويت عندهم لكل اقليم رئيسٌ يتلقى الاوامر من الرئيس العام ولكل دير رئيسٌ خاص يبلّغ الاوامر بواسطة رئيس الاقليم

ومن خصائص الاخوان ان يتلقوا اوامر الشيخ على ايدي رُسُلٍ يسمون بالركاب وهم لا يكونون الا من اعضآء الطريقة ويثبتون ارسالهم من قِبَل الشيخ بابراز خاتمه وبأمارات أُخر لا يعرفها الا اصحاب الرتب العالية من الداخلين في الطريقة وعلى الغالب تؤدَّى سرًّا . وفي هذه الحال يكون الركاب بمنزلة مبلّغين ايضاً او جواسيس لان الوشاية بين الاخوان من الامور المفروضة عليهم وكلهم مكلفون بمراقبة بعضهم لبعض . وهذا بعينهِ تجدهُ عند الجزويت فان قوانينهم تفرض عليهم هذه البلاغات المطّردة بين رئيس الجمعية واعضآئها بواسطة الرسائل والسعاة وقد كان ذلك سبب طردهم من البندقية سنة ١٦٠٦ لانهُ اكتُشف ان الجمعية كانت تنفق في كل سنة ثلاثين

الف ريال من الذهب لمراسلاتها السرّية .. ولعل المطالعين لم يذهب عنهم ما كان من امر الاب ماتيُو رسول المعاهدة المشهورة ضد هنري الرابع حين قبضت عليهِ جنود الملك وهو ذاهب بتلك الرسالة السرية من قبل اصحاب المعاهدة الى فيليب الثاني . ثم ان القوانين تفرض ان يأتي كل ثلاث سنوات شخصٌ في الاقلّ الى رومية يُختار من بين رؤساء الاديار او الرهبان في الاقاليم لينهي الى الرئيس العام ما يحملهُ من البلاغات المختلفة والمراد بهذه البلاغات الاخبار التجسُّسية لان الوشايات عند الجزويت مثلها عند الاخوان من الامور المفروضة في القانون فينبغي على ما نُصَّ فيهِ ان يُنقَل الى الرئيس العام كل ما يتعلق باديار الجمعية وافراد رهبانها . وينبغي زيادةً على ذلك ان يعرَّف باسماء الاشخاص المحبّين للجمعية الذين ينوون ان يؤثروها باموالهم ولا سيما اذا كانت تلك الاموال ذات مقادير طائلة وان يُخبَر بما يقع على افرادها من المناصبات والاضطهادات مع بيان من لعلهُ يوجد من الناس الذين ساء اعتقادهم في الجمعية واضمروا لها الكراهية والمقت ولا سيما اذا كانوا من ذوي السلطة المطاعة . ولذا يقول احد المؤرّخين ان لرئيس الجزويت من سعة العلم بالحوادث ما ليس لاحدٍ من اصحاب الرئاسة حتى البابا نفسهِ

والاخوان من المسلمين يوجبون على انفسهم الخضوع المطلق لشيخهم ويحلفون على الطاعة العمياء . فقد جاء في قانون الرحمانية مثلاً ان الطالب ينبغي ان يكون طوع شيخهِ في كل شيء وان لا يحكم على شيءٍ بحسن ولا قبح ولكن يجعل قلبهُ مقيداً بشيخهِ ويملأ فكرهُ من افكار شيخهِ وصورتهِ

فلا يرى سواهُ ولا يصدّق غيرهُ . والجزويت كذلك لهم الطاعة نفسها امام سلطة رئيسهم المطلقة فهم يرون فيهِ مثال يسوع المسيح وينذرون على انفسهم الطاعة العميآء . ومما جاء في قانونهم ينبغي ان نعتقد كل شيءٍ صواباً متى حكم بهِ الرئيس وبحكم الطاعة العميآء ينبغي ان ننبذ كل فكرٍ او شعور يناقض اوامر الرئيس . فقد رأيت ان لقوانين الجزويت وللورد روحاً واحداً ونصاً واحداً ولقد طالما كنا نظن ان هذه الطاعة العميآء وما يتبعها من فنآء الذات من مخترعات الجزويت حتى وجدنا اصلها ونصها الحرفي في الطرائق الاخوانية

وقد سبق الايمآء الى ان هذه الطاعة عند الاخوان انما ينقادون لها بعد ان يجردوا انفسهم من تعقل الاشيآء والنظر في اسبابها أو فيما تنطبق عليهِ وذلك مخافة ان يفضي بهم اطلاق الفكر الى الخطأ في الحكم وهو مقتضى ما جآء في قوانين الرحمانية . وجآء في رسالة الطاعة التي ذيّل بها اغناطيوس كتاب القوانين انهُ يجب على افراد جمعيتهِ ان تكون افكارهم مطابقةً لافكار الرئيس وان يجعلوا احكامهم خاضعةً لحكمهِ على قدر ما يستطيع من سلّم قياد ارادتهِ الى سواهُ ان يصرف عنان عقلهِ لان الطاعة لا يكفي ان يدخل تحتها العمل والارادة ولكن لا بد من ادخال الحكم ايضاً بحيث ان ما يأمر بهِ الرئيس ويعتقدهُ يظهر لمن دونهُ حقّاً وصواباً بمقدار ما يمكن ان تتغلب قوة الارادة على العقل . وعليهِ فمبدأ الجزويت ومبدأ الاخوان واحد وهو الخلوّ عن تعقل الاشيآء خلوّاً كاملاً . وقد استخلص المسيو رنّ ان الواجبات التي يفرض الورد على كل طالب ان يلتزمها لشيخهِ في جميع الطرائق الاسلامية تنحصر في هذه الطاعة المطلقة

التي يعبّر عنها قول الجزويت ان احدهم ينبغي ان يكون بين يدي رئيسهِ مثل الجنازة اي مثل جسد الميت

وهذه العبارة الاخيرة اي قولهم «مثل الجنازة» هي بحرفها منقولةٌ عن التعبير الاسلامي ولبيان ذلك لا بأس ان نورد التنظير الآتي بين نصوص الفريقين

نص الطرائق

تكون بين يدي شيخك مثل الميت بين يدي غاسلهِ (كتاب الشيخ السنوسي ترجمة كولاس وهو كتاب سابق على رياضات الجزويت وقوانين اغناطيوس)

يجب على الاخوان ان يطيعوا شيخهم طاعةً كاملة فيكونون بين يديهِ كالميت بين يدي الغاسل .

(الاوامر الاخيرة التي املاها الشيخ علي الجمال على خليفة الشيخ السنوسي)

نص لويولا

يجب على الذين يعيشون في الطاعة ان يدَعوا رئيسهم يوجههم كيف شآء كالجنازة التي تمكن من تحويلها وادارتها الى كل جهة (قوانين جمعية يسوع القسم ٦ الفصل ١)

يجب عليَّ ان اضع نفسي بين يدي الله ويدي الرئيس الذي يتولاني باسمهِ مثل جنازةٍ لا عقل لها ولا ارادة (الاوامر الاخيرة التي املاها اغناطيوس قبل موتهِ بايام قلائل بمنزلة وصيةٍ روحية)

لا جرم ان الانتحال وان شئت قلت السرقة لا يكون على صورةٍ اوضح من هذا النقل وانما اخذ الجزويت قولهم « مثل الجنازة » عن اصلٍ اسلامي وقد انتقل من عرب اسبانيا الى جزويت لويّولا ومنرّيزا وما يُرَى في تعبيرهم من التحريف القليل فانما هو لموافقة الكثلكة (ستأتي البقية)

اصل اللغات الساميّة

(تابع لما في الجزء السابق)

وهناك امران آخران لا بدّ من اعتبارهما في هذا المبحث بل هما عندي في المثابة الاولى من الدلالة على وحدة اللغتين احدهما ما اسميه باوتاد اللغة واعني به الكلم التي لا تزيد بزيادة موادّ اللغة ولا تنقص بنقصانها ولا يستغني عنها المتكلّم في حال وذلك من نحو الضمائر والموصولات والاشارات وسائر الادوات والحروف . والثاني الاحوال العارضة للموادّ المتصرّفة في حالتي التجريد والتأليف مما تتقوّم به هيئة اللغة في الجملة وذلك من نحو ابنية الافعال والاسمآء وما يلحقها من الزيادات وكيفية تصريفها وما يعرض لها من احكام الاعلال والادغام الى ما شاكل ذلك . ومن نحو ابتدآء الجملة بالفعل دون الاسم وتأخير الضمائر عن الافعال واسقاط متعلّق المستقَرّ من الظروف وحذف العائد المنصوب ومن نحو التقديم للتخصيص أو الحصر واستعمال المضارع في الطلب واسم الفاعل للحال أو الاستقبال وما اشبه هذه الخصائص فانهُ مهما تقلبت الفاظ اللغة وكثر فيها التصرّف في الاوضاع والمعاني لا تخرج عن الهيئة الحاصلة لها بهذين الاعتبارين

فاذا تفقدتَ هذه الامور كلها بين العربية والعبرانية وجدتها في اللغتين شيئاً واحداً على فروق عارضة لا تعدو الفرق بين سائر الالفاظ المتجانسة في اللغتين مما يعود الى هيئة اللغة في الخارج على ما سبق لنا تقريرهُ . مثال ذلك قولهم في ماضي الغائبة فعلاَ اي فعلَتْ يسكنون عين الفعل تخفيفاً ويجعلون موضع التاء هآء يكتبونها ولا ينطقون بها . وهذه الهآء مطّردة

عندهم في الافعال والاسماء المفردة الا اذا اتصل بمصحوبها كلمة اخرى اتصال تركيب من نحو ضمير مفعولٍ أو مضافٍ اليهِ فيحوّلونها تاءً فحالة التجريد عندهم اشبه بحالة الوقف عندنا الاّ انهم اجروها على الاسم والفعل جميعاً . ويقولون في مضارع الغائبات تَفعَلْنا بالتاء في اولهِ قياساً على فعل الواحدة ويضمرون لهنّ في الماضي بالواو يقولون فَعلُوا اي فَعَلْنَ بخلاف المضارع والامر فبالنون وهو من عجيب ما في هذه اللغة . ويستتر الضمير عندهم حيث يستتر عندنا بلا فرق الاّ ان البارز منهُ لا يُحذَف عند اسناد الفعل الى الظاهر فهم يجرون ابداً على لغة اكلوني البراغيث . ويقولون في المثنى والجمع يَدَيْم وحاخاميم بالميم فيهما موضع النون وإلزامهما الياء مطلقاً لان الاعراب من مخترعات العرب الخاصّة بهم في هذه الطائفة من اللغات . وهذه الميم تُحذَف عند الاضافة كما تُحذَف النون عندنا . وكل همزةٍ دخلت على الكلمة من نحو همزة الاستفهام وهمزة أل والافعال المزيدة فهي هاء عندهم ابداً . وهذه الهاء في الافعال تسقط عند افتتاح مدخولها بزائدٍ آخر كحروف المضارعة وميم اسم الفاعل على حدّ ما في العربية . وعندهم الادغام والاعلال في كثيرٍ من الاحوال على نحو ما عندنا الاّ ان العرب اشدّ حرصاً على بقاء اصول الكلمة والحذف في العبرانية كثيرٌ حتى انهُ قد يفضي الى جهل المحذوف والتباس بعض الموادّ بغيرها . وهناك فروقٌ اخرى من مثل ما ذكرناهُ لانطيل باستيفائها وما بقي من ذلك فانهُ متطابقٌ في الاعمّ الاغلب بحيث لو طرحت على هذه الالفاظ كلها اللباس العربي لم تكد تتوسم فيها من بعدهِ شيئاً غريباً

وجملة الامر انهُ يمكن ان يقال ان العبرانية ادنى الى الهيئة السامية القديمة لما طرأ في العربية من زيادة الاتساع في الابنية والتصاريف وتهذيب الالفاظ بتبديل بعض مقاطعها وتزيينها بحركات الاواخر مما غيّر هيئتها في الظاهر غير ان ذلك لا يؤخذ حُجّةً على فرعيّة العربيّة كما هو مذهب اكثر المتقدمين لِما ان اللغة تابعةٌ لمكان اهلها من التأنّق في المنطق وحبّ التغالي بالفصاحة والشعر وسائر فنون اللسان وشأن العرب في ذلك اشهر من ان ينبَّه عليهِ . وبعدُ فأين حال العرب من حال العبرانيين وما كانوا فيهِ من طول الاغتراب والتقلب بين اظهُر الامم المختلفة وكثرة المناهضات والحروب وما عرض عليهم من القهر والاجتياح والجلآء عن مواطنهم حالة كون العرب لم يبرحوا حوزتهم ولم يدينوا الاّ لهواهم فكانوا دهرهم آمنين رخيّي البال متفرغين لما يريدون من شأنهم . وفضلاً عن ذلك فان العربية بقيت معمورة المعالم مأهولة المواسم على حين كانت العبرانية قد اقوت معاهدها وهجرتها الالسنة من عهدٍ بعيد لا يقلّ عن اثني عشر قرناً من الدهر والعربية في هذا الزمان كلهِ تزداد اتّساعاً وتهذيباً حتى بلغت مبلغها المعروف من الكمال والاتقان

وقبل ان اصدر عن هذا البحث لا بدّ لي من تعزيزهِ بشيءٍ من شواهد اوضاع اللغتين اقابل بينها استنباطاً للدليل وهو بحثٌ خفيّ المدرج مشتبه الآثار لكني سأتخيّر منهُ ما هو اشفّ مرآةً واوضح توسُّماً على قدر ما تهتدي اليهِ البصيرة . واقرب ما يحضرني من ذلك صِيَغ الضمائر وابدأ منها بضمائر التكلم وهي في العبرانية للمفرد المنفصل أنِي بالياء بعد النون ولما

فوقهُ نَحنُو بالواو واذا ارادوا المتصل قالوا فَقَدْتي مثلاً وفقَدَني بالياء فيهما اي زُرْتُ وزارَني وفقَدْنُو وفقَدَنُو بالواو اي زُرْنا وزارَنا جرياً في كلٍّ منهما على لفظ صاحبهِ المنفصل بخلاف ما في العربية كما ترى . فلا جرم ان الاوضاع العبرانية في هذه الضمائر أَقيس وادلُّ على انها جاريةٌ على لفظ الواضع للملاءمة بين كلٍّ منها وما يناسبهُ . واما ضمائر الخطاب والغيبة فهي متلائمةٌ عند الفريقين في صورتي الانفصال والاتصال الا ضمائر الجمعين المذكر والمؤنث فانها متخالفة في اللغتين وصوَرها في العبرانية أَتّم واَتّنْ للخطاب وهِمْ وهِنْ او همَّا وهنَّا للغيبة . ويقولون في المتصل منها فَقَدتّمْ وفقدتنْ ويفقدو وتفقدْنَا وهلمَّ جرًّا وهو قريبٌ من اللفظ العربي الآ ان الصِيَغ العربية ادنى من مظنّة اصل الوضع يسهل ردّها اليهِ على وجهٍ يصحّحهُ النقل والقياس . وقبل بيان ذلك لا بدّ من التنبيه على ان اصل انتم وهم أَنتُمُو وهُمُو بالواو بعد الميم وكذا رأيتهم ومررت بكم وهلمَّ جرًّا بدليل ان هذه الواو تُرَدّ في الاختيار اذا دعا اليها داعٍ كاقامة الوزن في قول الشاعر

سلي ان جهلتِ الناس عنا وعنهمُ فليس سواءً عالمٌ وجهولُ

ويجب ردّها اذا اتصل بهذا الضمير ضميرٌ آخر نحو ضربتموهُ واعطيتهموهُ مما هو مبسوطٌ في اماكنهِ . واصل انتنَّ وهنَّ وفروعهما أَنتُمْنَ وهُمْنَ بميم ساكنة بعدها نونٌ مخففة قياساً على ضمير المثنى والمجموع فيما سنبيّنهُ . وتقرير ذلك ان الاصل في ضمائر الغيبة هوَ للواحد فلما أُريد بهِ الكناية عمّا فوقهُ أُبدِل من واوهِ ميمٌ لانها اقوى على قبول الحركات وأُلحقت بهِ أَلِف التثنية وواو الذكور ونون الإناث وقيل هُمَا وهُمُو وهُمْنَ . ثم حُذِفَت الواو من هُمُو

لكثرة الاستعمال اكتفاءً بدلالة الميم على ارادة الجمع وأُدغِمت ميم هُمْنَ في في النون لتسهيل اللفظ . وحُمِل على الضمير المنفصل الضمير المتصل وعلى ضمائر الغيبة ضمائر الخطاب في جميع صُوَرها ومواقعها على الاطلاق فجرت الضمائر كلها على سَنَن واحد . فاذا تفقدت هذا الاصل في الضمائر العبرانية لم تجد منهُ الاّ آثار اطلال فضلاً عن انك لا تجد في تصريف الماضي ضميراً للغائبات على ما سبق الالماع اليهِ مما يدلّ على نقصٍ في الاوضاع وتخلفٍ في القياس . لا يقال ان العرب هذّبت هذه الضمائر واحكمت لفظها فان هذا لا يُعقَل ان يكون الاّ من اصل الوضع وما وُضع وضعاً فاسداً أو عن غير رويَّةٍ لا يمكن ان يُردّ الى اصلٍ محكَم كالذي بينّاهُ . ثم ان ضمير الغيبة بالهاء عند الطائفتين شائعةً في جميع صيَغه وتصاريفهِ وبخلافه ضمير الخطاب فانهُ بالتاء في صيغة الرفع وبالكاف في غيرها فكان مُقتضَى القياس ان يكون بلفظٍ واحدٍ في جميع مواقعه كما لا يخفى . وقد ورد مصداق هذا القول في بعض لغات اليمن فانهم كانوا يستعملون لهُ الكاف مطّردةً في الرفع وغيرهِ ومن ذلك قول الراجز يا ابن الزُبَير طالما عَصَيْكا اي عَصَيْتَ والنحاة يزعمون ان هذا من قبيل الابدال وهو غير الظاهر . ومقتضى هذه اللغة انهم كانوا يقولون في أنتَ وفروعهِ أنْكَ أنْكُما انكم الى آخرهِ فينطبق على قياس غيرهِ . وحكى بعض الثقات هذا الاستعمال عينهُ في لغة الحبشة وهو مما يؤيد ما قلناهُ وهذا لم يُحكَ في شيءٍ من العبرانية فالظاهر انهُ في العربية والحبشية اثرٌ من آثار القِدَم (ستأتي البقية)

حادث المرتينيك

هو من بقايا حوادث الدهور الاولى ايام كانت تغور الجبال فتصير وهاداً وترتفع البحار فتصير اطواداً وتُصهَر الصخور والفلزّات فتصير دخاناً ورماداً بل هو من اخفّ تلك الحوادث وايسرها لولا ما اتفق من مجاورة الانسان لهُ كمن يجاور الاسد في غابهِ ويلقي نفسهُ بين ظفرهِ ونابهِ فذهب في ذلك الوفُ من الناس كانت آمنةً في ديارها لا تعلم ما خطّت لها انامل الغيب في صُحُف اقدارها فما هو الاّ ان شعروا بهجوم الخطب حتى اصبحوا رماداً وحُمَماً وخرَّت منازلهم من فوقهم فكانت لهم قبوراً ورُجَماً

اما جزيرة المرتينيك فهي احدى جزُر الارخبيل المسمى بالأنتيل بين اميركا الشمالية واميركا الجنوبية وهي تنقسم الى قسمين احدهما الانتيل الكُبرَى ومنها جزيرة كوبا وجزيرة هايتي وغيرهما والآخر الانتيل الصغرى ومنها المرتينيك ومكانها ما بين ١١َ ٦٣ْ و ٣٨َ ٦٣ْ من طول باريز غرباً وبين ٢٨َ ١٤ْ و ٥٢َ ١٤ْ من العرض الشمالي واهلها يبلغون ١٦٧ الفاً غالبهم من الهنود الاميركان وليس فيهم من البيض الاّ نحو ١٠ آلاف. وهذه الجزيرة تابعة لفرنسا وهي مؤلفةٌ من شبهَي جزيرة يصل بينهما برزخٌ ولهما حكومتان كلٌّ منهما مستقلةٌ عن الاخرى عاصمة احداهما فور دُفرَنس وعاصمة الاخرى سَان پيّار. وفي الجزيرة جبالٌ بركانية شامخة الارتفاع منها جبل پِلاّي وهو الذي هاج هذه المرة فدمرّ مدينة سَان پيّار عن آخرها وتركها قاعاً صفصفاً

وقد اطالت الجرائد والمجلّات في وصف هذا الحادث وتفاصيله بما تقشعرّ له الجلود ويتصدع له قلب الجلمود فنكتفي بتلخيص الخبر على نحو ما يليق بغرض هذه المجلة نأخذه عن احدى المجلات الفرنسوية الواردة اخيراً مع زيادةٍ قليلة قالت



مدينة سان پيار قبل الخراب

ابتدأ هياج جبل پُلّاي في الليـلة التي بين ٣ و ٤ مايو وموقع هذا الجبل على مسافة اثني عشر كيلومتراً من شمالي سّان پيّار فلم تلبث ضاحية البلد أن كسيت بالرماد وفي ٥ منه اشتدّ هياجه وقذف من فوّهته دخاناً كثيفاً تلته مواد سائلة طغت على جهـة سان پيار حتى بلغت الى مسافة ميلين عن اطراف المدينة وكان قد اتى على المدينة ثلاثة ايام وجوّها غاصّ بما يشبه الضباب من غبار الرماد المتطاير فهلك بها الى ذلك الحين ما يزيد

على ٢٠٠ نفس ولكن لم يخطر ببال احد ما سيكون وراء ذلك من الطامة الكبرى

فلما كان يوم الخميس ثامن الشهر نحو الساعة الثامنة من الصباح اندفع سيلٌ هائل من الصُهارة الملتهبة يصحبهُ مطرٌ من نار فلم يمضِ الاثوانٍ قليلة حتى طمى ذلك السيل على مدينة سان پيار وفي اقل من ثلاث دقائق كان منظر المدينة والشاطئ بجملتهِ كمارجٍ من نار وعصف على المدينة عاصفٌ يحمل البخار والحمأة والنار غطاها بجملتها فقوَّض الابنية وصير سكانها فحماً واحرق السفن التي في مرفأ المدينة واهلك بحارتها وركابها وطغى سيل الموادّ الذائبة على البحر فتراجع ماؤهُ مسافة مئة متر عن الشاطئ وكُسيت الجزيرة كلها بطبقةٍ من الرماد بلغ سمكها ١٦ سنتيمتراً ويقدَّر عدد الذين هلكوا في سان پيار بثلاثين الفاً

ومن غريب ما يُروَى ان اكثر جثث الموتى كانت مكفوءة على جباهها مما يدلّ على هبوب ريح سامة لم يطيقوا تنفسها فانكبّوا على مناخرهم كما يفعل سالكو الصحراء اذا هبّت عليهم السَمُوم المحرقة ولكن هيهات فان الهوآء اصبح بأسرهِ سمّاً فلم يغنِ عنهم التستر منهُ ثم غشيهم مطر النيران وسيلها فمن لم يهلك بالسموم الغازيّة ذهب فريسة النار

على ان هذه الجزيرة ما برحت في كل زمن عُرضةً لحدوث الزلازل واشدّ ما يُروَى عنها بعد اكتشافها (سنة ١٤٩٣) الزلزال الذي حدث سنة ١٦٥٧ ثم سنة ١٧٥٣ وقد حدث فيها في تلك السنة ٣٣ رجفة في مدة ثلاثة اشهر . وفي ليل ١٤ اوغسطس سنة ١٧٦٦ خربت الجزيرة عن آخرها

وكان عدد الجرحى والقتلى اكثر من الف واستمرت بها الزلازل متتابعةً في القرن التاسع عشر حتى انهُ في ١١ يناير سنة ١٨٣٩ خرب نصف مدينـة فُور دُفْرَنس وهلك فيها ٥٠٠ نفس وفي ١٦ مايو سنة ١٨٥١ حدث زلزال عنيف في الجزيرة كلها ثم تكرر في يوليو واوغسطس وكان في منتهى الشدة وسُمعت زمجرة غائرة من ناحية جبل پُلّاي فهرب الناس وقد استولى عليهم خوفٌ شديد ثم اخذ الجبل يقذف دخاناً كثيفاً يصحبهُ اصواتٌ مزعجة وروائح كبريتية وسقط مطرٌ من الرماد على ارباض سان پيّار الا ان الامر لم يزد على هذا واخذ الجبل بعد ذلك في السكون فتراجع الناس الى مساكنهم وقد نسوا ذلك الحادث لاعتقادهم ان البركان هامد قد طَفِئت نارهُ من عهدٍ بعيد . ولكنهُ لم يلبث هذه المرة ان هاج هذا الهياج الذي لم يُسمَع بمثلهِ شدةً وسرعة فقد كان اشدّ هولاً من الهياج الذي دمّر هركولانوم وپُمپّاي سنة ٧٩ ومن هياج جبل كُوتُوپكسي سنة ١٧٤١ وجبل كراكَتوا سنة ١٨٨٣ وهو الذي قُتل بهِ في ليلةٍ واحدة ما ينيف على عشرين الف نفس . فلا جرم ان ذلك مما يدل على انهُ لا ينبغي ان يُركَن الى بركانٍ من البراكين انهُ قد همد وأُمن عودهُ الى الهياج مهما اتى عليهِ من الزمن

اما اسباب هياج البراكين فأشهرها تولد غازات في باطن الارض تضغط على ما حولها من المواد فتنفجر وقد تقدم لنا الكلام على ذلك غير مرةٍ في الضيآء فلا نطيل بهِ في هذا الموضع . وفيما يرى احد علمآء الاميركان ان قشرة الارض في تلك الناحية لا بد ان تكون رقيقة جدًّا وقد يكون حدث فيها صدعٌ افضى منهُ مآء البحر الى النار المتأججة في الباطن فحدث عن

تمدده وانحصاره هذا البلآء وعلى ذلك ففي رأي بعضهم ان هذه الجزائر لا يؤمَن ان تغور برمتها في جوف البحر والله اعلم

رأي جديد في تولُّد اللؤلؤ

بقلم حضرة الاديب الياس افندي الغضبان

وقفت على النبذة الآتية في بعض المجلات الفرنسوية فآثرت ان اجعلها طُرفةً لقرآء ضيآئكم الزاهر لما فيها من الفائدة العلمية وهي هذه

من المعلوم ان اللؤلؤ يوجد في باطن الحيوانات الهلامية ذات الصدف واكثر ما يوجد داخل المحار الكبيرة الحجم التي تستخرج من بحر الهند الشرقي . والمادّة التي يتركب منها اللؤلؤ ليست الا مفرزاً من ذات الحيوان شبيهاً بالذي يتكون منهُ الصدف عينهُ . فاذا تقرر هذا فما العلة في كون اللؤلؤ يوجد في بعض المحار دون بعض وهو سؤالٌ اختلفت الاجوبة عليهِ ولعلّ افضل جواب ما رأيناهُ في البريتش مديكا جورنال حيث ذُكر ما أُجري فيهِ من الاختبارات الغريبة على يد المستر لِسْتَر جيمْسُن

وذلك ان المشار اليهِ عند فحصهِ تركيب اللؤلؤ وجد ان كل لؤلؤةٍ يكون في مركزها نِقف دودةٍ طُفيلية أو حَلَمية من النوع المسمى في عُرف علماء الحيوان بالدِستُوم فقدَّر ان اللؤلؤ لا بد ان يكون مركباً من موادّ رسوبية تجمعت حول هذه الأنقاف على نحو ما يحدث في بنية الانسان من تولد الحصى في المرارة أو الكلية أو المثانة فان هذه ايضاً تتكون على الغالب حول مجموع من الجراثيم الحية

ولتحقيق هذا الرأي عمد الى استحضار بعضٍ من المحار ووضعها في طستٍ من المآء واطلق فيـه عدداً كبيراً من أنقاف الديدان المذكورة وبعد حين عمد الى فحص المحار فوجد الانقاف قد اخترق بعضها الى جوف المحار ونشأ عليها غشآءٌ يشبه نسيج البشرة من خاصية خلاياهُ ان تفرز مادةً براقة تشبه مادة الصدف . ولما استقرت الانقـاف في سجنها هذا اخذت ترسب على الغشآء المذكور ضروب من الاملاح تتخلل نسيجهُ فكان نواةً للؤلؤةٍ اخذت بعد ذلك في النموّ . على ان بعض الانقاف كانت تخرج من الغشآء فيضمر ثم يحلّ فلا يتركب هناك شيء

فبقي ان الوصول الى صنع اللؤلؤ الطبيعي امرٌ بسيط سهل فان الحصول على عشر محارات مثلاً مع عددٍ من الانقـاف المذكورة كافلٌ بالحصول على المطلوب

تنضيد الحروف بالآلات

اختُرعت منذ مدةٍ في اميركا آلةٌ لتنضيد الحروف تعمل عوض اليد وهي لا تنضّد الحروف الرصاصية بنفسها ولكن تنضد الامهات التي تُسبَك عليها الحروف فتكون الحروف التي يُطبع عليها ابداً جديدة . وهذه الامهات تنتقل من نفسها بواسطة الآلة وتترتب كلماتٍ متتابعة في سطر واحد فتُسبَك منها سبائك مستطيلة كل واحدة منها سطرٌ كامل . وللآلة مجاسّ يتصل كل مجسٍّ منها بأُمٍّ على حد آلة الكتابة فيقف العـامل امام تلك المجاسّ وينقر باصبعهِ على مجسّ الحرف الذي يريدهُ فتنتقل الامّ من مكانها الى

قالب السبك ثم ينقر على الذي يليهِ وهكذا حتى يتمّ السطر فيُسبَك وبعد ذلك تعود الامهات من نفسها فتتوزع الى مواضعها وتنتظم في صناديق ذات بيوت كل بيتٍ منها لواحدةٍ من الامهات فتكون معدّةً لأن تؤخذ لسطرٍ آخر وكذلك الحروف بعد ما يُطبع عليها تعاد الى المسبك لتُستخدم في نوبةٍ اخرى وهلمَّ جرًّا

ولا يخفى ما في هذا الاختراع من المنفعة الكبيرة والتوفير العظيم اذ لا يلزم فيهِ ما يلزم في العمل المعتاد من كثرة العمال والنفقات لقيام الآلة المذكورة مقام عددٍ كبير منهم بين السبك والتوزيع والتنضيد فضلاً عن انهُ لا يلزم معهُ هذه المقادير العظيمة من الحروف الرصاصية التي تملأ صناديق كثيرة وانما كل ما يلزم صندوقٌ للامهات يغني عنها جميعاً. وهذه الامهات ليست كثيرة لانهُ كلما ترتب منها سطر وسُبك عليها تعود فتتوزع الى اماكنها لتُستعمل في غيرهِ بخلاف الحروف الرصاصية فانهُ يلزم من كل حرف بمقدار ما يتكرر ذلك الحرف في الملزمة أو الجريدة كلها وهذا المقدار غير متعين كما لا يخفى فلا بد ان يزاد على كل نوعٍ من الحروف عددٌ احتياطي ولذلك عدلت الجرائد الكبرى الى استخدام هذا الاختراع في اميركا واوربا وان لزمهُ في اول الامر نفقاتٌ طائلة وبعض هذه الجرائد لا تكتفي بآلة واحدة ولكن لا بد لها من عدة آلاتٍ تعمل في وقتٍ واحد حتى ان مطبعة جريدة شيكاغو المسماة بشيكاغو تريبُون فيها ثلاثٌ واربعون آلةً من هذا النوع ثمنها جملةً اكثر من ثماني مئة الف فرنك

ثم ان هذه الآلات كانت تدار عادةً بمحركٍ واحد بخاري أو كهربائي

وتناط آلاتها بمحور واحد يدور فيديرها بأسرها فكان اذا عرض للمحرك العام خللٌ وقفت الآلات كلها فارتأوا ان يجعلوا لكل آلةٍ محركاً مخصوصاً يستخدمون لهُ قوة الكهربائية وبهذا تم هذا الاختراع بجميع مقتضياتهِ

على ان الآلة انما تكون على وفق العمل وانما يزاوَل اختراع الشيء عند الحاجة اليهِ لان الحاجة كما يقال ام الاختراع فلا جرم انهُ لو كانت الكتب والجرائد في تلك البلدان على مثل ما هي عليهِ عندنا لبقي هذا الاختراع في ضمير الغيب الى ما شآء الله ولكان الفكر في مثلهِ ضرباً من العبث الذي لا طائل تحتهُ فما أعظم الفرق بين الغرب والشرق

اسئلة واجوبتها

الاسكندرية — كيف نضبط القبلة التي هي اسم من التقبيل فاني سمعت بعضهم يقول غب قبلّة عارضيكم بتشديد اللام فهل ذلك صحيح ثم ايّ الجمعين افصح القبل أم القبلات

نصر الله سمعان

الجواب — تلفظ القبلة بضمّ القاف وسكون الباء لا غير واما جمعها فان اريد بهِ الكثرة قيل قُبَل بالتكسير والا فقبلات

بكفيا — ارجو اجابتي على السؤالين الآتيين

(١) هل يجوز دخول أل على غير فقد اختلف في ذلك بعض الادباء عندنا

(٢) ما معنى قول الراجز

يا عجبا للعجب العجابِ   خمسة غربانٍ على غرابِ

سليم اسعد لطف الله

الجواب — اما مسئلة دخول ال على غير فقد تقدم لنا فيها كلامٌ وافٍ في الجزء الاخير من البيان (صفحة ٦٦١) فراجعوهُ . واما تفسير البيت فهو نوع من اللغز اراد بالغربان الخمسة معاني الغراب وهي الطائر المعروف وعنقود ثمر الاراك اذا نضج واسودّ وقذال الرأس وحدّ الفأس وحرف الورك

القاهرة — سئل الاب لويس شيخو هل يجوز حذف أنْ بعد فعل القسم فيقال مثلاً « حلف لا يدخل » بدلاً من « حلف ان لا يدخل » . فقال لم ينصّ على ذلك النحويون في كتبهم لكننا وجدنا في كتب العرب ما يصوّبهُ فانهم كثيراً ما يحذفون أنْ بعد فعل القسم رغبةً في تخفيف الجملة ورشاقة التعبير ثم اورد على ذلك امثلة كثيرة من كتاب الاغاني لا حاجة الى ايرادها . وقد عجبت من ان النحاة لم ينصوا على مثل هذه المسئلة مع كثرة ورودها في الاستعمال فما قولكم في ذلك   عبده داود

احد المتخرجين في مدرسة الآباء
اليسوعيين بالقاهرة

الجواب — هذه احدى مضحكات هذا الاب وترّهاتهِ المعهودة وقد علمتم مما سبق في الضياء انهُ لا يعجز عن مسئلة ولا يسكت عن جواب فان لم يجد عليهِ نصًّا من كلام العلماء نصّ عليهِ من املاء علمهِ الواسع فأراك انهُ البحر يتدفق والسيل يتفجر فسبحان الواهب

والصحيح في هذه المسئلة انك اذا قلت حلف لا يدخل كان ما بعد حلف جواباً لهُ واذا قلت حلف ان لا يدخل كانت أنْ وما يليها معمولةً لحلف على تقدير جارّ محذوف اي حلف على أن لا يدخل ويكون جواب القسم محذوفاً اغنت عنهُ أن وما يليها. فالكلام ليس على حذف أنْ ولكن كلاًّ من التركيبين من وادٍ الا ترى انك لو قلت «حلف ان يدخل» لم يجز لك حذف أن فلا تقول «حلف يدخل» لوقوع يدخل حينئذٍ جواباً للقسم على ما قررناهُ وهو لا يستغني عن رابط . قال في الكليات وروابط جواب القسم سبعة وهي إنّ المشدَّدة وإنِ المخففة وما ولا النافيتان واللام المفتوحة وقد وبل . اه بمعناهُ . ولا بأس ان نعزز ما تقدم بما جآء لهم من الكلام على قول الراجز وهو من شواهدهم المشهورة

أو تحلفي بربكِ العليِّ　　　　انّي ابو ذَيّالكِ الصبيِّ

قال الاشموني يُروى بالكسر (اي بكسر همزة إنَّ) على جعلها جواباً للقسم وبالفتح على جعلها مفعولاً بواسطة نزع الخافض اي «على أني» .. قال وقد اتضح لك ان من فتح لم يجعلها جواب القسم لان الفتح متوقف على كون المحل مغنياً فيهِ المصدر عن أنَّ وصلتها وجواب القسم لا يكون كذلك فانهُ لا يكون الاجملةً . قال الصبان قولهُ لم يجعلها جواب القسم اي بل مفعولاً كما تقدم ولا يضرّ عدم الجواب لان الجار والمجرور يقوم مقامهُ ويؤدّي مؤدّاهُ . اه . وهذا القدر كافٍ في الجواب الا ان يصرّ حضرة الاب على ان نأتيهُ بالنصّ على أن الناصبة للمضارع حتى يكون صنيعهُ كصنيع احد اخوانهِ في «الطريقة» واضرابهِ في العلم المسمى بالاب قرنيّاي

فان لهُ معنا حكايةً قديمة لا بأس من ايرادها في هذا المقام تفكهةً للقرآء

وذلك ان الاب المذكور جاءنا مرةً ايام كنا نصحح تعريب الكتب المقدسة وفي يدهِ صحيفةٌ قد اقتطعها من احدى الكراريس المطبوعة وقال اني قد وجدت لكم ههنا غلطةً فظيعة . قلنا وما هي . فأبرز تلك الصحيفة وقال انكم تقولون هنا « انها ستأتي ايامٌ يؤخذ فيها كل ما في بيتك . . »[1] ألم يكن الصواب ان يقال « انهُ » ستأتي ايام . . . قلنا ولمَ كان هذا الصواب دون ذاك . قال الا ترى ان المؤلفين يقولون في اوائل كتبهم « انهُ كان كذا وكذا » فيستعملون دائماً ضمير المذكر . قلنا لكن هل يعلم الاب ما هذا الضمير . ففكر ساعةً ثم قال هو ضميرٌ يراد بهِ الامر الذي ينوي المتكلم ان يحدث عنهُ . قلنا وهو كذلك ولذا يسميهِ النحاة ضمير الشأن وضمير القصة وهو جائز التذكير مطلقاً لكن يُختار تأنيثهُ اذا كانت العمدة الواقعة بعدهُ مؤنثة كما في الآية طلباً للمناسبة اللفظية . قال وهل لنا على ذلك شاهدٌ من كلام العرب فتمثلنا لهُ بالبيت المشهور وهو من شواهد النحو

هي النار انى تأتِها تستجرْ بها   تجد حطباً جزلاً وناراً تأججا

فقال هذا تمثيل على « هي » وانا اريد التمثيل على « انها » . . . قلنا نعم هل قرأت القرآن . قال كيف لا وانا احفظهُ عن ظهر قلبي . قلنا فهل تذكر آيةً يقال فيها فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور . . . فأصابهُ من حرارة النكتة ما اغصَّهُ بالجواب وخرج وهو لا يكاد « يبصر الباب » . . . . .

(١) اشعيا ٣٩ : ٦

آثار ادبيّة

كتاب اسرار البلاغة — سفرٌ دلّ عنوانهُ على موضوعهِ تأليف الامام عبد القادر الجرجاني الشهير واضع علم البيان اودعهُ من قواعد هذا العلم ما لم يُحط بهِ احدٌ قبلهُ ولم يكد يزيد عليهِ من جاء بعدهُ نقّب فيهِ عن اسرار البلاغة فأماط عنها نقاب الخفاء ونصّ أعلامها للسالكين فاهتدوا بها في مستبهمات الارجاء في بيانٍ فصّل فيهِ المسائل تفصيلاً وبسط الكلام عليها الى ما لايدع لاشكالٍ سبيلاً فكان اصلاً جامعاً لاركان هذا العلم ومهمّاتهِ كاشفاً عن حقائق اسرارهِ ودقائق مبُهَماتهِ فلهُ في ذلك الفضل الذي لا يزاحمهُ فيهِ مزاحم والذكر الباقي ما بقي في الامة ناثرٌ او ناظم

ولقد طالما كان هذا الكتاب مرمًى لامانيّ المتأدبين ومطمحاً لابصارهم لشهرة المؤلف بين ارباب هذا الفنّ وكثرة ما يرد ذكرهُ في مصنفاتهم الا انهُ كان عزيز المثال بعيد المنال الى ان وقعت نسخةٌ منهُ في يد حضرة العالم الفاضل السيد محمد رشيد رضى منشئ مجلة المنار الاسلامي المشهورة فبادر الى تمثيلهِ بالطبع مصححاً بقلمهِ وقد فسر ما يقتضي التفسير من غريبهِ وافتتحهُ بمقدمةٍ لطيفةٍ ذكر فيها مكان هذا العلم من علوم العربية ومكان المؤلف ممن الفوا فيهِ فأجاد في كل ذلك وافاد

والكتاب متقن الطبع جيد الورق يقع فيما يزيد على ٣٥٠ صفحة فنحضّ الادباء والدارسين على مقتناهُ ونثني على حضرة رصيفنا المشار اليهِ اطيب الثناء لما آثر بهِ الناطقين بالضاد من هذه الطرفة الحسناء

حريق ميت غمر — هو عنوان رسالةٍ عني بتأليفها حضرة الاديب محمود بك حسيب صاحب مجلة المجلات العربية ذكر فيها طرفاً من تاريخ هذه المدينة وتفصيل ما وقع فيها من الحريق الهائل الذي كان فاتحة حرائق هذه السنة وعفا بهِ ما يزيد على نصف المدينة. وقد اودعها كثيراً من الرسوم التي تمثل الاحياء المحترقة وحال بعض المصابين بالحريق وشيئاً من اقوال الشعراء والخطباء في رثاء المدينة والحضّ على اغاثة المنكوبين . ويؤخذ مما قررهُ بعد المشاهدة والبحث ان عدد المنازل التي دُمّرت يبلغ ٥٤٨ منزلاً خلا الدكاكين والمعامل وغيرها وهي تبلغ نحو التسعين وعدد الذين ماتوا بالحريق والردم نحو المئة ومثلهُ عدد الجرحى وان ما تلف من المال والعقار يقدَّر بما لا يقلّ عن ٢٠٠ الف جنّاي. ومن غريب ما جاء في تاريخها نقلاً عن ابن اياس انها احترقت قبل هذه المرة سنة ٩٢٤ للهجرة احرقها ثوّار عرب الشرقية بأمر شيخهم عبد الدائم بن بقر بعد نهبها في فتنةٍ ليس هذا محل ذكرها

والرسالة تنطوي على ما يقرب من ٦٠ صفحة وقد جعل ثمن النسخة منها عشرة غروش مصرية وارصد ما يدخل من ثمنها لاعانة المنكوبين بهذه النازلة فنحضّ اهل الكرم والمروءة على مشتراها ونسأل لمؤلفها خير الجزاء على حسن صنيعهِ والله لا يضيع اجر المحسنين

فكاهات

الفوتوفون [١]

كان لاحد اغنياء الاميركان ابنة وحيدة حباها الخالق فوق الغنى الوافر جمالاً رائعاً وخلقاً حسناً وذكاءً مفرطاً . وكانت هذه الفتاة واسمها لوسيل قد اتقنت علومها المدرسية ونشأ فيها ميل شديد الى المطالعة والكتابة فعكفت على الاشغال العقلية والتأليف ولم يخطر لها قط ان تنهمك في تزيين نفسها والتبرج بالحلى والجواهر شأن اكثر السيدات فزاد هذا الاهمال في جمالها لان الحسن الصحيح هو ما اوجدتهُ الطبيعة بدون تكلف

وفي ذات يوم طلبت لوسيل الى والدها ان يسمح لها بالسفر الى انكلترا لتنشئ فيها جريدة يومية واذ كان والدها على ثقة من كمال آدابها ومقدرتها العلمية اذن لها وزودها بمبلغٍ من المال وتواصٍ الى اصحابهِ هناك فجاءَت لوسيل لندن وانشأت فيها جريدة سمتها « الكوكب » فلم ياتِ على جريدتها مدة قصيرة حتى طار صيتها بين الصحف الانكليزية واتسع انتشارها وجعل كبار الانكليز وساستهم يعجبون بالمقالات الرنانة التي كانت لوسيل تكتبها فضلاً عن الاخبار اليومية والحوادث المحلية التي كانت جريدتها تسبق الى نشرها

واذ كانت لوسيل يوماً في مكتب الجريدة تكتب عن الحرب الترنسفالية اذا بباب غرفتها قد فتح ودخل خادمها فقال بالباب يا مولاتي فتى يطلب مقابلة منشئ الكوكب . فقالت دعهُ يدخل . فقال الخادم ولكن يا مولاتي لا اعلم لعل الرجل مجنون او سكران فان هيئتهُ تدل على هياج عظيم وفي يدهِ عصاً من جلد الفيل يتكلم ويهزها في يدهِ متوعداً . فتبسمت لوسيل وقالت لا بأس يا هذا دع الرجل يدخل اليَّ حالاً . فذهب الخادم وما غاب حتى عاد وامامهُ فتىً في مقتبل

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

الشباب قد ابيضّ قسمٌ من شعر رأسهِ وارتسمت على جبهتهِ اسارير تدل على التعب والهم ورأت لوسيل في هيئة الرجل دلائل الهياج والغيظ الشديد وعجبت من دخولهِ وقبعتهُ لا تزال على رأسهِ والعصا في يدهِ ونسخة من الكوكب في يدهِ الاخرى . فنظرت اليهِ لوسيل نظر المستفهم بوجهٍ طلق فقال الشاب اين منشئ هذه الجريدة . فقالت لوسيل انا هو يا مولاي فبماذا تأمر . فقال وقد تغيرت ملامحهُ للحال من الغيظ الى الاستخفاف والازدرآء لم اكن اعلم ان المنشئ فتاة وقد ظننتهُ رجلاً من مقامي لا ينكر عليَّ طلب الانتقام ويقوى على احتمال بضع ضربات من يدي . اما وقد رأيتهُ فتاةً ضعيفة فانا اخجل من ان يقال اني رفعت عليها يدًا وغاية ما انتقم بهِ منكِ يا هذه ان احتقركِ ولا اهتم بكِ . ثم حوّل وجههُ وسار نحو الباب. وكانت لوسيل في غاية الحيرة والتعجب مما رأت وسمعت فلم تطق هذه الاهانة . وكانت لا تزال جالسة على كرسيها فوثبت للحال وامسكت الشاب من يدهِ وقالت لهُ بصوت الآمر ارجع يا هذا وافصح في المقال فانا لا اسمح لك البتة ان تهينني وتذهب كما دخلت بدون ان تعلمني السبب . قال اظنكِ عرفتِ سبب غيظي لانك قصدتهِ . قالت لم اقصد سوءًا باحد ولا اعرف من انت . قال يا للعجب ألا تعرفينني فكيف كتبتِ عني في جريدتكِ . قالت اقسم لك بشرفي اني لا اعرفك ولم اكتب عنك شيئاً . فعاد الشاب معها وجلس على كرسي بازآئها ثم فتح الجريدة التي في يدهِ وقال هاكِ ما جآء في جريدتكِ بتاريخ امس . ثم قرا ما يأتي « اقترحت بعض الجرائد وضع مقالة في سرقة المصارف وتزوير اوراقها وعندنا انهُ لا يحسن كتابة ذلك بالتفصيل اللازم سوى شخص يدعى جون مارسدن كان قد زوَّر قراطيس مالية حين كان مستخدماً عند عمهِ في نيويرك وحكم عليهِ بالاشغال الشاقة مدة ثلاث سنوات »

فقالت لوسيل انني لا اكتب في جريدتي سوى المقالات العلمية والسياسية اما الاخبار المحلية والشخصية فيكتبها لي باجرتهِ شخص آخر ولثقتي بهِ فاني لا اطالع شيئاً من كتاباتهِ وانا أوكد لك انني لم اقرأ هذه الجملة الى الآن ولكن ارجو ان تفيدني عن سبب غيظك من ذلك . فقال الشاب وقد صبغ الدم وجنتيهِ انا هو

جون مارسدن وانتِ تدرين ماذا يكون تأثير هذه الجملة في حياتي . و بعد ماتوقف قليلاً عن الكلام قال واذ عرفتِ ذلك فلا بد من ابلاغكِ الامر بالتفصيل . فانا اميركي الاصل واسمي جون مارسدن توفي والداي وانا صغير السن فاخذني عمي الى بيتهِ ورباني حتى اذا اتقنت دروسي ادخلني في تجارتهِ وسلم اليَّ شيئاً من اعمالهِ فكنت اداأب ليلاً ونهارًا في العمل وانا اودّ ان اكافئ عمي على ما انفقهُ عليَّ في تربيتي وتثقيفي . وكان لعمي ولدٌ من زوجتهِ لم اختر غيرهُ صديقًا لان كثرة الاصدقاء تضطرّني الى التبذير و بقيت هكذا مدة سنتين في العمل والكد حتى ظهرت حوالة على صندوق المحل بمبلغ الفي ريال و بعد دفع قيمتهـا وُجد انها مزوّرة فاهتمّ عمي وجميعنا لمعرفة الجاني وطلب من الحكومة مساعدتهُ في الامر . ثم بعد حين ظهرت حوالة اخرى مزوّرة بقيمة اربعة آلاف ريال ولا تسألي عن البحث الدقيق والتحري الذي اجرتهُ الحكومة في ذلك الحين . وجئتُ ذات يوم الى الادارة فوجدت رجال الشحنة فيها ينتظرون قدومي وحالما دخلت القوا عليَّ القبض وساقوني الى السجن وانا لا اعلم شيئاً مما يفعلون وكنت اتوقع في كل دقيقة قدوم عمي او ابنهِ لفكّ اسري فمضى عليَّ اليوم الاول والثاني وانا لا ارى احدًا سوى السجان الذي يأتيني بالطعام. وفي اليوم الثالث نُقلت الى دار المحاكمة وهناك سمعت اني متهم بتزوير الحوالتين المذكورتين وانهم وجدوا بين اوراقي حوالة اخرى مزوّرة بقيمة اربعة آلاف ريال

اما انا فكان هول الموقف ومرارة التهمة قد صدعا فؤادي واطارا صوابي فلم اعلم أفي يقظةٍ انا ام في منام ثم لفتُّ وجهي الى جهة عمي فرأيتهُ ينظر اليَّ نظرة الاحتقار والكراهية ولما سُئل عن رأيهِ في الامر قال انهُ يفضل مماتي على ان احيـا موصوماً بسمة التزوير والاختلاس . ولما رأيت اقتناع عمي بذلك وكان هو املي الوحيد شعرت باختلاج اعضآئي واظلمت عيناي فسقطت الى الارض لا اعي شيئاً . ولما افقت وجدت نفسي في سجني وقد حكم عليَّ بالاشغال الشاقة مدة ثلاث سنوات . ومرّت عليَّ الايام والشهور في ذلك السجن المخيف لم ارَ فيها صديقاً معزياً ولا من يسأل عني سوى ابن عمي الذي زارني مرتين . وكنت اطلب الى الله ان يقصر

حبل حياتي ويكفيني عذاب السجن والحياة ولكن ابى الله ان يستجيب طلبي وبقيت حيًّا الى نهاية المدة فاطلق سراحي . ولم تهن عليَّ العودة الى بيت عمي بعد ما رأيت منهُ من الكراهية لي والتسرع في الحكم عليَّ وعزّت عليَّ الاقامة في كل تلك البلاد فجئت انكلترا وخدمت فيها في شركة تجارية حيث انا الآن . وبعد مجيئي الى هنا صادفت ابن عمي واخبرني انهُ كان دائمًا يتجادل واباهُ بسببي ويلومهُ على سوء ظنهِ بي وان الامر افضى بينهما الى خلافٍ عظيم فترك نيويرك وجاء الى انكلترا ليقيم فيها . فجلسنا حينًا نتحادث ورأيت انهُ لا مال معهُ فكنت اقاسمهُ دخلي الى اول الشهر الماضي فلم اعد اراهُ ولا ادري اين هو . وكنت قد اكتسبت رضى اصحاب الشركة فزادوا راتبي ولم يزالوا يبالغون في اكرامي حتى رأوا اليوم هذه النسخة من الجريدة فاستدعوني وامروني ان اكذب هذه الاشاعة والا فهم لا يكفلون بقائي في هذه الخدمة

وكانت لوسيل تسمع بغاية التأثر فلما انتهى جون من كلامهِ قالت انني اتأسف غاية الاسف لما حصل بغير علم مني وسأقابل جورج ارثر وافحص عن الامر . فاضطرب جون اضطرابًا شديدًا وقال جورج ارثر واي دخل لجورج ارثر في هذه المسألة . قالت هو الشخص الذي يكتب لي الاخبار المحلية والشخصية وهو الذي كتب هذه الجملة فلماذا اضطربت لسماع اسمهِ . قال جورج ارثر هو ابن عمي وقد حققت لي الآن ظنونًا كانت تخالج صدري من زمنٍ مديد فلم يبقَ عندي ريبٌ الآن ان ابن عمي هو سبب كل ما حدث لي من الموبقات . فآه ماذا افعل . وبعد سكوتٍ طويل قالت لوسيل اترك الامر لتدبيري ولا تظهر شيئًا من استيائك ولا مما حصل فان السكوت التام يساعدني على كشف الحقيقة واذا طلب منك رؤساؤك شهادةً عنك فأرسلهم اليَّ ولا تخف من خسارة الوظيفة فان ادارتي مستعدّة لقبولك من الآن بضعفي الاجرة التي تنالها وانا اتكفل لك باعادة شرفك فثق بذلك ومرّ عليَّ كلما امكنتك الفرص فأطلعك على ما يحصل

وفي المساء استدعت لوسيل جورج فوبختهُ على تصريحهِ بالاسماء وامرتهُ ان

لا ينشر شيئاً بعد ذلك في الجريدة قبل اطلاعها عليهِ . اما جورج فكان يجتهد في ارضآء لوسيل وهو يؤمل ان يوقعها في حبائل حبهِ فيقترن بها ويصبح وارثًا لملايين والدها فلما حصلت هذه الحادثة رأى فيها تغيرًا عظيماً من جهتهِ وتبينت لهُ منها علامات الاحتقار والنفور وزاد في الطين بلة ما علمهُ من ان جون يتردد عليها فتظهر لهُ المودة والانعطاف فصمم على الانتقام منها وايصال الضرر اليها

وفي الشهر الثاني من تاريخ هذه الحادثة مرّ جون كعادتهِ لزيارة لوسيل فأدخلتهُ الى غرفتها الخصوصية وبعد ان تحادثا حيناً قالت لهُ قد ارسل اليَّ والدي من اميركا هذه الآلة العجيبة المخترعة حديثاً وتُدعى فوتوفون من وظيفتها انها اذا اديرت تحفظ الاصوات التي تصدر امامهــا مع صور الاشباح التي تكون مواجهةً لها . فاذا وضعتها مثلاً في غرفة الخطابة واحببت بعد مدة طويلة او في بلد آخر ان تشاهد وتسمع نفس الخطيب فمــا عليك الاّ ان تدير هذه الآلة فترسم لك صورًا متحركة تمثل الشخص وحركاتهِ وصوتهُ واشاراتهِ بتمام الدقة والتفصيل . فأُعجب جون من هذا الاختراع ولكنهُ كان لا يزال مشرد البال يسعى في محو ما لصق باسمهِ من العار فودع لوسيل وخرج . وعادت لوسيل الى الآلة تفحص اختراعها وتحكم تركيبها وبينما هي كذلك سمعت قرعاً خفيفاً على باب غرفتها فخطر لها ان تجرب تلك الآلة فأدارت حركتها وذهبت ففتحت الباب . وكان الداخل جورج ارثر وهيئة الشر بادية على وجههِ فرعبها منظرهُ وانساها الآلة فرجعت الى طرف الغرفة مذعورة . وبعد ان حيّا جورج قال لها يا لوسيل انني احببتكِ مذ رأيتكِ اول مرة وعزمت على اتخاذكِ زوجةً لي ولكنكِ تغيرتِ منذ مدة قصيرة وجعلتني بين اليأس والامل وقد جئت الآن لاسمع من فمكِ الجواب الاخير فهل ترفضين طلبي . فقالت لوسيل وقد بلغ منها الغيظ مبلغهُ اغرب يا هذا من هنا فلن يمكن ان اتخذ دنيئاً نظيرك بعلاً لي واني اعجب من جسارتك في القدوم اليّ بمثل هذا الامر وانصح لك ان تعود من حيث اتيت . فقهقه جورج ضاحكاً ضحكةً شيطانية وقال خفي عنكِ يا لوسيل فلست بخارجٍ من هنا ما لم اثق ببلوغ قصدي . وانا اعلم انكِ تغيرتِ

من جهتي بعد مصادقتكِ لذلك الوغد جون ولقد طالما كان مزاحماً لي في اشغالي ومسابقاً لي في جميع احوال سعادتي ولكنهُ لن يفوز بمثل ذلك بعد الآن . اجل ان ابي قد ربَّاهُ وادخلهُ في شغلهِ فكان امهر مني وتقدَّم عليَّ فعمدت الى ابعادهِ ولم اتمكن من ذلك حتى احتجت الى دراهم فزوَّرتُ حوالات على محل والدي اولاً وثانياً ولما علمت بعد ذلك ان للمزور عقاباً شديداً اغتنمت الفرصة لالقاء جون في التهلكة فزورت حوالةً اخرى وكتبت بضع اوراق تلقي التهمة على جون وفاز سهمي فاتُّهِمَ وحكم عليهِ بالاشغال الشاقة مدة ثلاث سنوات ظننتهُ يموت في اثنائها واتخلص منهُ ولكن ابت روحهُ النجسة ان تفارق جسدهُ فبقي حيًّا . ثم احتجت الى دراهم مرةً اخرى فسرقتها من خزانة محلنا فلما شعرت ان والدي علم بذلك اسرعت فتركت نيويرك وجئت الى هنا فوجدت هذا الوغد جون قد سبقني الى لندن وحصل على مركز حسن وانا اتضور جوعاً فزاد غيظي منهُ . ثم ما صدقت ان تعرفت بكِ واملت ان احصل عليكِ حتى رأيتهُ قد انتصب امامي وسبقني الى اكتساب مودتكِ ورضاكِ فالويل لهُ لانهُ لا بد ان يموت من يدي

وكان كلام جورج وهيئتهُ الوحشية وتوعدهُ الشديد قد رعب لوسيل فوقفت كالصنم وهي لا تبدي حراكاً وشعرت ان الارض تموج تحت قدميها . وعاد جورج الى تتمة حديثهِ فقال اما الآن فأول ما يجب ان اعملهُ هو ان اتخلص من وجود هذا اللعين جون وقد قال لي انهُ يقيم في عدد ٣ من شارع فكتوريا فسأقصدهُ واخطف روحهُ بهذا الخنجر ثم اعود الى هنا فاما ان تطيعي امري أو الحقك بهِ . واني انصح لكِ ان لا تبدي حراكاً حتى ارجع واقل اشارةٍ تظهرينها تعجل موتكِ . ثم توجه نحو الباب فأسرعت لوسيل لامساكهِ فدفعها في صدرها دفعة شديدة فسقطت على الارض مغشيًّا عليها . ثم خرج واقفل الباب من الخارج ووضع المفتاح في جيبهِ

ولما افاقت لوسيل من اغمائها راجعت في مخيلتها ما حصل وكانت لا تدري أفي يقظةٍ ما جرى ام في منام ولكنها ما لبثت ان تحققت الامر وعلمت ان جون المسكين سيلاقي حتفهُ على غير انتظار واخذت تفكر كيف تفعل لتنبهُ الى ذلك

الخطر . ثم اخذت جرساً صغيرًا عن مائدتها وجعلت تقرعهُ شديدًا لتستدعي الخدم فلم يسمعها احد ولو سمع الخدام لما امكنهم الدخول اليها والباب مقفل فوقفت حيناً وهي حيرى تتأمل في تلك الغرفة فوقع نظرها على التلفون . وكأن شعاعاً علويًّا اشرق على فكرها فوثبت الى التلفون وطلبت للحال التخاطب مع دار الشحنة فأعلمتهم ان رجلاً ذاهب الى عدد ٣ من شارع فكتوريا ليقتل فتى يدعى جون مارسدن وانها لم تتمكن من ابلاغ الخبر شفاهاً لانها محبوسة في بيتها وانها تتحمل الدَرَك والنفقات التي تترتب على هذا البلاغ ان لم يكن الامر صحيحاً . فوردها الجواب انهم سيرسلون للحال من يستطلع الامر

واثرت تلك العوامل على مزاج لوسيل وشعرت بحمى محرقة تنهش جسمها فسقطت على مقعدٍ بقرب الحائط وغابت عن الوجود . وفي تلك الدقيقة كانت قد انتهت حركة الفوتوفون فأُقفل من نفسهِ وساد السكوت على تلك الغرفة

ولما افاقت لوسيل وجدت نفسها في غرفتها والى جانبها الطبيب وممرضة جيء بها من المستشفى فلم يسمحا لها ان تتكلم البتة و بقيت على هذه الحالة الى ان تعافت تماماً . واذ ذاك زارها رئيس الشحنة ودار بينهما حديث الواقعة فذكر لها انهُ لما بلغهم خطابها بالتلفون ارسلوا للحال بعض رجال الشحنة الى المحل الذي ذكرتهُ ولكن جآء بلاغها متأخرًا ولما وصل الشحنة وجدوا جورج قد اغمد خنجرهُ ثلاثاً في صدر جون وهو يهم بأن يجهز عليهِ فاوثقوهُ واخذوهُ الى السجن وقد اصرّ تمام الاصرار على كتمان امرهِ فهو منذ القآء القبض عليهِ لم يفه بنت شفة . اما جون فنقلوهُ الى المستشفى وقرّر الاطبآء ان جراحهُ وان تكن عميقة فهي ليست بذات خطر وقد ابقي هناك للمعالجة . وجآءوا بعد ذلك الى غرفتها عسى ان يحصلوا منها على بعض الانبآء لمحاكمة جورج فوجدوا الغرفة مقفلة ولما قرعوا الباب لم يسمعوا جواباً فكسروهُ ودخلوا فوجدوها ملقاةً فاقدة الشعور فنقلوها في الحال الى سريرها واستدعوا الطبيب فوجد ان بها حمى شديدة على اثر ذلك التهيج العظيم وهذا ثامن يوم مرّ عليها وهي في هذه الحالة

قالت لوسيل وماذا كان من امر جون . قال انهُ يتعافى شيئاً فشيئاً وقد برئت جراحهُ واذنت لهُ الاطباء في الخروج للنزهة . قالت وجورج . قال لا يزال في سجنهِ ونحن في انتظار شفاً تكما للشروع في محاكمتهِ وفحص دعواهُ

ولما تعافت لوسيل استُدعيت وجون الى دار القضاء حيث أُوثق جورج فقدم النائب العمومي قضيتهُ وُطلب منهما ابداء ما يعلمانهِ من امرهِ فحكى جون ما حصل لهُ ولم ينكر المتهم انهُ تعمد قتلهُ وانهُ انما فعل ذلك لعداوة قديمة بينهما كان السبب فيها جون . ولما قررت لوسيل ما تعلمهُ وسردت كلام جورج الذي قالهُ في غرفتها تغيرت ملامح المتهم وانكر تمام الانكار انهُ قال شيئاً من ذلك وادعى ان الفتاة قد اخترعت هذه القصة الملفقة لانها تحب جون وتسعى في براءتهِ . فتبسمت لوسيل وطلبت من القضاة ان يأذنوا لها في الغياب قليلاً لتحضر لهم شهوداً لا يتمكن احد من الطعن في شهادتهم . ولما اذنوا لها اسرعت الى غرفتها فاحضرت الفوتوفون الى وسط المحكمة ثم ادارت الآلة فجعلت تشخص حالة جورج بحركاتهِ واشاراتهِ وكلامهِ منذ دخولهِ غرفة لوسيل الى وقوعها فاقدة الرشد بعد ان ابلغت الشحنة كما مرّ . ولم يجسر احد على تكذيب هذا الشاهد الناظر الاعمى والناطق الاصم ونظر القضاة الى جورج فرأوهُ قد علا الاصفرار وجههُ وانقلبت سحنتهُ ولما سألوهُ في ذلك لم يسعهُ الانكار فاقرّ بما حصل وحُكم عليهِ بالاشغال الشاقة مدى الحياة

وبلغ الخبر بتفاصيلهِ عم جون فتأثر تأثراً شديداً وعلى الخصوص لسوء اعتقادهِ بابن اخيهِ واهمالهِ اياهُ مدة سجنهِ واتهامهِ اياهُ بالتزوير والاختلاس فجاء لندن وبحث عن جون فلما التقى بهِ تواقع عليهِ وسألهُ الصفح عما اتى في حقهِ ثم اخبرهُ ان زوجتهُ قد توفيت وانهُ اصبح شيخاً لا قدرة لهُ على العمل وقد جاء ليسلم اشغالهُ واعمالهُ الى جون وسألهُ ان يقبلها دلالةً على صفحهِ عنهُ

وكانت علائق الوداد والمصافاة تزداد تمكناً بين لوسيل وجون حتى انتهت باقترانهما فعاشا سعيدين يتمتعان بصفاء الحياة ولذة الولاء

الجزويتية والطرائق الاسلامية

(تتمة ما في الاجزآء السابقة)

بقي الكلام على روح هذه الجمعيات وغايتها وهو امرٌ لو أردنا ان نستقصيهُ ونتتبع كل مقاصد الجزويت واغراضهم لنردّها الى الاصل الاخواني لطال بنا البحث الى ما لا يقف عند حدّ ولكنا نكتفي بان نجمع الطرفين في مبدإٍ واحد وهو صدور كلٍّ منهما فيما يفعل وما يَذَر عن ايعاز سماوي . ولا يخفى ان من مقتضى ذلك مزج السلطة الدنيوية بالسلطة الروحية والخلط بين السياسة والدين والاستيلاء بقوة السرّ وقوة التقليد على الارادات والضمائر . ولذلك ترى اصحاب الطرائق ابداً في مؤامراتٍ سرية وترى من رُسل الاخوان وسعاتهم من يجوب البلاد الاسلامية فيبادل الاخوان كلمات السر ويبلغهم اوامر مرسلهِ . ولبعض الجمعيات ما لا يقلّ عن مئة الى مئة وعشرين زاوية يُتلقى فيها الرسل فيستقبلهم المقدَّمون ومن هناك تنتشر تلك الاوامر في سائر العالم الاسلامي

واذا تفقدنا تاريخ الجزويت وجدنا لهم مثل هذه الحركة المتواصلة في جميع الممالك المسيحية وعلى الخصوص في فرنسا الجمهورية . فأوامر رمزية تصدر من الاديار وسعاةٌ توجَّه بها الى اللجان السرية والجرائد ومؤامراتٌ ودسائس تجري في الخفآء ثم تنفجر ورآءها الحرب المقدسة دفاعاً عن حوزة الدين والوطن والجيش حالة كون كل أولئك لا يشعرون بادنى حاجةٍ الى الى هذا الدفاع

ونحن مع تحرزنا من كل ميل في هذا البحث الانتقادي حرصاً على الحقائق التاريخية ان تدنو منها شوائب الغرض فانا لا نجد محيداً عن التصريح بان من مذهب الجزويت ان يحكموا على الغالب ببرآءة القاتل السياسي . وحسبك ان ثلاثة وعشرين لاهوتياً من اكابر علماء هذه الجمعية كماريانا وسُوارز و بلرمينوس واسكُوبار خطبوا جهراً في تزكية القتل . وقد اثبتت صحف التاريخ عدة احكام صدرت عليهم لاسبابٍ من هذا القبيل منها الحكم بطردهم من فرنسا سنة ١٥٩٤ لما اتّهم جان شاتّيل احد تلامذتهم في محاولته قتل هنري الرابع . ومنها الحكم على الاب جِنيار[١] سنة ١٥٩٥ بالشنق في ساحة جِرّاف لانهم وجدوا له كتاباتٍ بين صحف الجمعية يطنب فيها بمدح القتل والقاتلين ... ومنها الحكم على جزويت پاريز سنة ١٦١٠ بالتعزير لانهم مثّلوا في احدى كنائسهم راڤياك قاتل هنري الرابع صاعداً الى السماء .

---

(١) تقدم لنا في مجلد السنة الثانية في فصل التعريب كلامٌ على كيفية رسم الحروف والحركات الاعجمية التي ليس لها لفظٌ عندنا بنيناه على الاصل الذي اشار اليه ابن خلدون وهو رسم الحرف الذي بين مقطعين من حروفنا بما يدل على المقطعين جميعاً حتى يتوسط اللافظ بينهما (راجع ص ٤٥٥ — ٤٥٦ من السنة الثانية وصفحة ٥١٨) وقد طبعنا رسوم الحركات في اوائل الجزء الاول من هذه السنة و بقي مما اشرنا اليه في فصل التعريب رسم الجيم التي تلفظ بين الجيم والكاف وهي التي تراها في المتن وقد جعلناها مركبةً من الحرفين المذكورين كما ترى في رسمها . ولا بأس هنا ان نعيد رسم الحركات المذكورة اجابةً لطلب بعض القرآء وهي هذه العلامة « ُ » لما بين الضم والفتح (o) . وهذه « » لما بين الضم والكسر (u) . وهذه « » لما بين الفتح والكسر (e) . وهذه « » لما يجمع الحركات الثلاث (eu)

ومن ذلك الحكم على الاب جُوڤَنْسي باحراق مؤلفهِ في تاريخ الجزويت لانهُ ذكر فيهِ ان قتلة الملوك شهدآء وقديسون وقد أُحرق هذا الكتاب بيد الجلاّد سنة ١٧٠٧. واخيراً الحكم على الجمعية بأسرها بالنفي لانها كانت تفسد الاخلاق وتُقلِق السكينة في البلاد وذلك سنة ١٥٩٨ من هولندا حيث حاولت قتل مُوريس دُناسّو وسنة ١٦١٨ من بوهيميا وسنة ١٦٤٣ من مالطا وسنة ١٧٢٣ من روسيا وسنة ١٧٩٥ من البرتوغال حيث عمل الاب ما لَجْريدا ومما لئوهُ على قتل الملك بطرس الاول وسنة ١٧٦٧ من اسپانيا وسيسيليا ونابلي لانهم تآمروا على احداث ثورةٍ في البلاد المذكورة. ولسنا نتعرض للحوادث التي لا تزال وراء حجاب الريب كالدسيسة على اليصابات ملكة انكلترا وكالمؤامرة المعروفة بمؤامرة البارود[1] ومحاولة داميانوس احد تلامذة الجزويت لقتل لويس الخامس. وجملة الامر انهُ قد ثبت بمئات من البينّات ان جمعية الجزويت انما هي جمعية سرّية ذات

---

(١) هي مؤامرة مشهورة في التاريخ عقدت سنة ١٦٠٥ لعهد الملك جاك الاول كان من غرضها نصرة الكثلكة في انكلترا وتجديد ما انحلّ من امرها وكان في جملة القائمين بها اناسٌ من الجزويت منهم الاب جَارنَاي فتواطأوا على اهلاك الملك ووزرآئهِ وجميع اعضآء مجلس الاعيان. وللوصول الى ذلك عمدوا الى ستة وثلاثين برميلاً من البارود اخفوها تحت الردهة التي يجتمعون فيها وكان في عزمهم أن يضعوا فيها النار يوم مجيء الملك لاستئناف فتح المجلس ولكن قبل ان يحلّ موعد الاجتماع نمي الامر الى الملك واصحابهِ في كتابٍ غفلٍ من اسم الكاتب فقُبض على اصحاب المؤامرة وسلّموا الى العذاب وكان من نتيجة ذلك ان زيد في التضييق على الكاثوليك وسيموا اشدّ انواع الخسف

عمل سياسي وان من دأبها مناصبة الملوك وذوي السلطة ممن لا يدين لاغراضها فهي ابداً متأهبة لان تتذرع الى مآربها بالقوَّة أو بالغيلة فتستعين بالجند أو بالفتّاك وتستخدم السيف أو الخنجر. ولقد اجترأ البابا اكليمنضوس الرابع عشر سنة ١٧٧٣ على الغآء هذه الجمعية عملاً بطلب الفريق الاكبر من ملوك اوربا بعد ما اثبتوا لهُ انها آفةٌ للمجتمع ومعثرةٌ للدين المسيحي فكان من قوله عند ما وقَّع على مرسوم الالغآء «ليكوننَّ هذا سبب منيَّتي». وفي الواقع فانهُ مات بعد ذلك بأقل من سنة والى الآن فان اعدل التواريخ وابعدها عن التشيّع لا تخلو عند ذكر هذا الحادث من التعريض بشبهة التسميم

وفي الختام فانا اذا تفقدنا ما كان للجزويت من الاثر في احوال الامم والاجيال والسياسات والاديان من كل ما أُشرِب روحهم ووُسم بطابعهم وجدنا هناك الفساد والاضمحلال وظلّ الموت . فهاتان الأُورُوجْوَاي والپاراجْوَاي لم يتركوهما الا خراباً . وهذه جمهوريات اميركا الجنوبية بأسرها قد اصبحت اطلالاً . وهذه جزيرة كوبا والجزائر الفيلبية قد ناهزت الخراب ولولا ثورة اهلها لطلب الحرية لدمرت بتاتاً . اما اسپانيا فقد أكل الدهر عليها وشرب . انتهى

اصل اللغات الساميّة

(تتمة ما سبق)

وهناك بحثٌ آخر في صيغ مزيدات الافعال واخصُّ منها صيغتي إِنْفَعَلَ وتَفَعَّلَ وهما في العبرانية نِفْعَلْ بكسر النون وهِتْفَّعَلْ بهآءٍ مكسورة

بعدها تاء ساكنة . وهذان المثالان موضوعان لنقل الفعل من التعدّي الى اللزوم وهو استقرار حدوثه في نفس الفاعل غير انهُ لما كان كلٌّ منهما متعدّياً في الاصل بقي فيهِ هذا التعدّي بعد النقل واقعاً على نفس فاعلهِ . وبيانهُ ان قولنا انكسر الزجاج مثلاً يكون الزجاج فيهِ فاعلاً لان الفعل مسندٌ اليهِ ومفعولاً بهِ في المعنى لان اثر الكسر واقعٌ عليهِ كما لا يخفى . فاذا تقرر ذلك لزم الحكم بان في كلٍّ من الزيادتين معنًى يدلُّ على المفعول بهِ حتى يتناولهُ معنى التعدّي الذي في اصل الفعل وهذا ما اردت بيانهُ في هذا الموضع وهو يُستنبَط من العبرانية بما يقرب من مقتضى النظر ولا يبعد عن مظنّة الواقع . وذلك انّا نقول انهم اتوا بضمير النصب المتصل وهو نِيْ من قولهم فقَدَنيْ مثلاً اي زارني فجعلوهُ في صدر الثلاثي المجرّد وحذفوا ياءهُ لالتقاء الساكنين بينها و بين فاء الفعل وقالوا نِفْعَلْ . ثم اسندوا هذا الفعل الى مرفوعهِ وقالوا نِفْرَدْتيْ مثلاً اي انفردتُ وحينئذٍ اجتمع فيهِ ضميران لصاحبٍ واحد احدهما فاعلٌ والآخر مفعولٌ بهِ على حد قولنا ظننتُني وعلى حدّ ما يسمّيه الفرنسيس فعلاً ضميريًّا فانهُ جارٍ عندهم على هذا النظم الا ان الضمير الاول لما صار من اصل بنية الكلمة بقي لفظهُ مع غير المتكلم فقيل نِفْرَدْتَا ونِفْرَدُو اي انفردتَ وانفردوا وهلمَّ جرًّا . واتوا بضمير النصب المنفصل وهو أَتْ بالامالة المرادف لإِيَّا عندنا فادخلوهُ على الفعل الرباعي فصار إِتْفَعّلْ ثم ابدلوا من همزتهِ هاءً على سنّتهم في الهمزة الداخلة على اوائل الكلم وقالوا هِتْفَعّلْ . و يؤيدهُ ان هذا الاصل باقٍ بصورتهِ في السريانية في هذا المثال وغيرهِ من كل ما اولهُ تاءٌ عندنا وفي وزن إِفْتَعَلَ فانهم يقدّمون التاء

فيه يقولون إِتْفَعَلْ بالامالة الاّ اذا وليها حرفٌ من حروف الصفير فيقدّمونهُ عليها طلباً لتسهيل النطق . ومن هنا يُؤخَذ ان اصل استفعل عندهم اتسفعل فأُخِّرَت التاء لمكان السين ومن ثمَّ يتحقق الاصل الذي ذكرناهُ في جميع هذه المزيدات على الاطلاق

قلت واذا صحّ هذا التوجيه في صيغة نِفعَل كان حجةً على ما يزعمهُ النحاة من ان الضمير في نحو ضربني هو الياء وحدها والنون مزيدة لوقاية الفعل من الكسر فانهُ منقوضٌ بوقوع هذه النون في اول الفعل كما ترى ولا معنى للوقاية هناك . وحينئذٍ يتعيّن انها من اصل بنية الضمير وانما حُذِفت مع غير الفعل للفرق بين المنصوب والمجرور كما هو شأن الضمائر في كثير من اللغات

عَوْدٌ . ومن الغريب ان كثيراً من الالفاظ الدائرة في استعمال كلٍّ من اللغتين والتي لا مرادف لها في معناها تنفرد باشتقاقها واحدةٌ منهما دون الاخرى . وذلك كلفظة كُلّ فانها في العربية كلمةٌ مُقتضَبةٌ لا يظهر لها مشاركةٌ لسائر مادتها واذا رددتها الى العبرانيَّة اتّصلت بمادّة كَلَل ومعناها أتَمَّ وأكمل . وعكسها لفظة بين فانهُ لا يظهر لها اشتقاقٌ عندهم وعندنا يمكن ان تُجعَل مصدر بانَ اذا انقطع ووجه استخدامها ظاهر والامثلة في كل ذلك كثيرةٌ نقتصر منها على ما اوردناهُ تبصرةً للمستدلّ ولولا ضيق المقام لاتينا منها بما يقضي بالعجب . فاذا تدبَّرت ذلك كلهُ لم تبقَ عندك شبهةٌ في كون اللغتين شيئاً واحداً ولم يصحّ في حكمك ان احداهما منتزَعةٌ من الاخرى انتزاع الفرع من الاصل والاّ لم يبقَ الاصل اصلاً ولا الفرع

فرعاً. وذلك لما وضح من ان اصل الوضع متحقق في كلٍّ من اللغتين تنفرد به هذه تارةً وتلك تارةً اخرى فكلُّ واحدةٍ منهما متوقفةٌ على الاخرى في بيان ذلك الاصل على السوآء . وحينئذٍ فالدليل واقفٌ بين طرفي الحكم فلم يبقَ الاّ ان يُقضَى بالاصالة لكلتيهما معاً او يتبيَّن لهما اصلٌ ثالث

فاذا امكن الحكم بعد هذا بالوحدة بين العربية والعبرانية لم يبقَ اشكالٌ في الحكم بالوحدة بينهما وبين الإرَميَّة بفرعيها لتوسطها بين اللغتين واخذها من كلٍّ منهما بطرف . وذلك ان الجمع في هذه اللغة يكون بالنون بدل الميم . وتزاد النون في الافعال بعد واو الجمع ويآء الواحدة زيادةً مطّردةً في المضارع . ويُدلّ على التأنيث في ماضي الغائبة بالتآء . وتُفتتَح مزيدات الافعال بالهمزة دون الهآء فيهما . ويأتي فيها المصدر ميميًّا . وتُبنَى الصفة مما فوق الثلاثيّ بنآءً مطّرداً بزيادة ميم موضع حرف المضارعة مكسوراً ما قبل آخرها للفاعل ومفتوحاً للمفعول الى غير ذلك . فهي في هذه كلها ادنى الى العربية . والحروف في هذه اللغة هي عين الحروف العبرانية باعدادها ومقاطعها . واذا سكنت النون فيها تُدغَم فيما بعدها او تُحذَف وتُشبَع حركة ما قبلها . ولا تثنية فيها الاّ في اسمآء محفوظة لا تتجاوز فيما نقلوا اربعةً . وليس فيها من الصيَغ المختصة بالجمع الاّ الجمعان السالمان . وكلّ لفظةٍ بُدئت في العربية بالواو فهي فيها باليآء . والسين والشين متعاقبتان بين الفاظها والفاظ العربية الاّ في النادر . فهي في هذه كلها اقرب الى العبرانية . وفيما بقي من احكامها فهي تارةً تطابق اللغتين جميعاً وتارةً تخالفهما جميعاً وكذلك حالها في الاوضاع والمعاني فهي على الجملة بينَ بين

وقد وقع في الإِرَمية مثل ما وقع في غيرها من تفرّق اللهجة وتباين المنطوق غير انهُ لنزارة المنقول من قديمها لا يتحقق منها الاّ لغتان احداهما الكلدانية والاخرى السريانية الان الفروق بينهما يسيرة لا تتعدى في اصل الوضع عدداً قليلاً من الالفاظ على نحو ما مرّ في لغات العرب مع اختلافاتٍ اخرى عارضة من نحو زيادةٍ او نقصٍ في بعض الحروف وتبديلٍ في بعضها مما ليس لهُ كبير وقع . والفصل الاعظم المميز لكلٍّ منهما اختلافهما في لفظ الألِف فان الكلدان ينطقون بها أَلفاً صريحة فيقولون إِلاَهَا مثلاً والسريان ينحون بها الى الواو فيقولون أَلُوهُو . وهذه الالف كثيرةٌ في لسانهم يزيدونها فيما خلا جمع المذكّر السالم في آخر كل اسمٍ غير مضافٍ ولا عَلَم بمنزلة التنوين عندنا . وهي لازمةٌ لمصحوبها في حالتي التعريف والتنكير اذ لا اداة للتعريف عندهم وربما اسقطوها عند ارادة النص على التنكير وهو من الغرابة بمكان . ولهذا كان الفرق الذي نذكرهُ بيّناً في كلامهم كثير الشيوع في الفاظهم حتى لا تكاد تخلو عنهُ جملة

وعلى نحو ما ذكرنا يتمشى الحكم في سائر اللغات الساميّة فلا حاجة الى الاطالة باستقرآئهنَّ على انهُ لم يبقَ منهنَّ الا رسومٌ ضئيلة وآثارٌ محيلة وما وُجِد منهنَّ من الكتابات القديمة لا يخرج عن مماثلة اللغات الباقية مما يشهد بان هذه الهيئة مستقرّةٌ في اصل اللهجة الساميّة من اقدم عهدها لا تُعرَف قبلها هيئةٌ اخرى . وفي كل ما ذُكِر كلامٌ لا موضع لهُ في هذا المقام والله سبحانهُ اعلم بالصواب وهو حسبنا ونعم الوكيل

التوقيت في الصين

لاهل الصين في التوقيت وتقدير الازمنة طريقةٌ تباين اصطلاح اهل الغرب كل المباينة وهي الطريقة المستعملة عندهم منذ قرون كثيرة فان السنة عندهم هي السنة القمرية الا ان بدآءتها تتعين بحركة الشمس فليس عندهم سنة شمسية محضة ولا سنة قمرية خالصة ولكن سنتهم تجري على اعتبار الجرمين جميعاً . ورأس السنة لا بد ان يقع يوم بدر حين تكون الشمس في برج الدلو وعليهِ فهو لا يقع قبل ٢١ من يناير ولا بعد ١٩ من فبراير من شهورنا وهو عجيب

اما الشهور عندهم فلا تكون الا قمرية لكي يكون وسط الشهر ابداً في اوان البدر ولكن لما كانت شهور القمر لا تكون الا من ٢٩ أو ٣٠ يوماً وحساب السنة عندهم تابعٌ للشمس لزم ان يزيدوا في كل ثلاث سنين شهراً وهو شهر الكبس

اما اسمآء الشهور فلا وجود لها عندهم ولكنها تتعين بالعدد فيقال الشهر الاول والشهر الثاني وهلمَّ جرًّا وشهر الكبس يزيدونهُ بين الشهر الثاني والثالث أو بين السادس والسابع فيقولون مثلاً الشهر السادس والشهر السادس الآخر ثم الشهر السابع والشهر الثامن وهلمَّ جرًّا . على انهم في لغة الشعر يسمون الشهر السادس بشهر الرمّان لانهُ في هذا الشهر يكون الرمان في اوان الزهر

ولليوم الاول والخامس عشر عندهم مزية مخصوصة فيهملون فيهما كل عملٍ ذي بال ويوقد التجار مشاعل امام صورة تساي تسين اله الغنى

ولهم قسمةٌ اخرى للسنة الى ٢٤ ميقاتاً كل ميقاتٍ منها نحو ١٥ يوماً

الا انها ليست مطَّردة على وتيرةٍ واحدة وهي تتعين بحركة الشمس ايضاً فأولها يقع حوالي ٦ فبراير حين تقطع الشمس ١٥ درجة من برج الدلو

والقرن عندهم ستون سنة لامئة وهم لا يبدأون التاريخ من حادثٍ مشهور كميلاد المسيح مثلاً أو تأسيس رومية أو الهجرة ولكن يرجعون بهِ الى حكم احد ملوكهم فيقولون مثلاً في السنة الرابعة والعشرين لكُنغ سُو في الشهر العاشر في اليوم الخامس عشر منهُ وقس على ذلك

واليوم ينقسم عندهم الى اثنتي عشرة ساعة كل ساعة منها ١٢٠ دقيقة والساعة تنقسم الى ٨ اثمان كلٌّ منها ١٥ دقيقة والساعة الاولى من اليوم تبدأ الساعة ١١ ليلاً اي قبل نصف الليل بساعة من ساعاتنا أو بستين دقيقة . قلنا ولعل هذه القسمة أَقيَس للموافقة بين ساعات اليوم وشهور السنة لان الشهور انما كانت اثني عشر شهراً باعتبار قسمة فلك الارض الى اثني عشر برجاً تقطع منها في كل شهر برجاً وهذه البروج بعينها تقطعها كل هاجرة من الارض كل يومٍ مرةً فتقطع في كل ساعتين برجاً فأحرِ بساعات اليوم ان تكون اثنتي عشرة ساعة كذلك وهو التقسيم الطبيعي كما لا يخفى

واما آلات التوقيت فقبل ان تصل اليهم الساعات الاجنبية كانوا يستخدمون عدة ذرائع لمعرفة ساعات اليوم ولو بالتقريب واقدم ما عُرف عندهم من هذه الذرائع انهم كانوا يوقدون قُضُباً من الصندل يقدَّر الوقت بمدة اشتعالها . ثم اتخذوا الساعات المائية أو البنكامات التي تعيّن اقدار الوقت بقَطَران الماء وعندهم الى اليوم في كنتون ساعة بلدية من هذا النوع يقصدها الدخلاء والسيّاح . ولا يزال عند الخاصة واهل الثروة امثلةٌ منها الا

انها ليست بالكثرة التي كانت عليها من قبل على ان كل عنايتهم في هذه الساعات بالزخرفة الظاهرية وجمال المنظر دون الدقة في تقسيم الزمن . واما المزاول اي الساعات الشمسية فيُرى كثيرٌ منها مرسوماً على سفنهم فلا يبعد انهم كانوا يعرفونها من زمنٍ قديم لانها ليست من الاختراعات البعيدة على فكر الانسان والله اعلم

الشمع

وقفت على الفصل الآتي في احدى المجلات الفرنسوية فرأيت ان اعرّبهُ ملخصاً لما فيهِ من الفائدة قالت

اول ما استُعمل من انواع الشموع المشاعل الراتنجية وهي لا توجد اليوم الا في بعض القرى المنحطّة ويستعملها في باريز اصحاب المطافئ في اوان الحريق . ومع ان بلينوس وصف كيفية تبييض شمع العسل من زمن طويل مما يدل على انهُ كان معروفاً في ذلك العهد فان استخدامهُ في الاستصباح لا يرتقي الى ما وراء القرن الرابع للميلاد وذلك لغلآء ثمنهِ بحيث لم يكن يحتمل ان ينتشر استعمالهُ بين الجمهور

اما الشمع الشحمي فأول ما ظهر في القرن الثاني عشر للميلاد وكان عند ظهورهِ محلاً للعجب والاستغراب لكنهُ انحطّ اليوم عما كان عليهِ . ثم ظهر في اوائل القرن الثامن عشر الشمع المأخوذ من المادّة المسمّاة بأبيض البال وهو مادة تستخرج من احد ذوات الثديّ البحرية المسمى بالكَشَلُوت وهو شبيه البال الا ان هذه المادة لما كانت صعبة الاستخراج لزم ان تكون

غالية الثمن ايضاً ولذلك لم ينتشر استعمالها كثيراً . وفي اوائل القرن التاسع عشر اخذ اهل العلم يبحثون في انواع الاجسام الدهنية فتوصلوا الى اكتشاف مواد كثيرة منها سائلة ومنها جامدة اشهرها المادة المعروفة بالاستيارين وهي الغالبة اليوم في صنعة الشمع

ولا يخفى ان اللهب انما هو نتيجة اشتعال شيء من الغازات فاذا اتقدت الشمعة ذابت المواد الدهنية أو غيرها ثم انتقلت بواسطة الفتيلة الى جوف اللهب وتحولت هناك الى غاز تحولاً متواصلاً . وتختلف قوة الضوء الصادر عن الشمعة تبعاً لاختلاف مقدار الهوآء الواصل اليها وعظم الفتيلة وطبيعتها فاذا كانت الفتيلة كبيرة جدًّا فانها تمتصّ المادة الذائبة بسرعة عظيمة وتكون قوة النور في غاية الشدة واستمدادهُ للمواد الذائبة غير معتدل . واذا كانت الفتيلة صغيرة جدًّا كان الامر على العكس فيتكون حول الشمعة جدارٌ لا تصل اليهِ الحرارة الكافية لاذابتهِ فيصير اشبه بحوض للمادة السائلة يمتلئ منها اخيراً ثم يفيض فيسيل حول الشمعة . فيُرى مما تقدم ان حجم الشمعة وكبر الفتيلة ومقدار الهوآء ينبغي ان يكون كل ذلك على نسبة واحدة ليبقى التوازن دائماً بين المقدار الذائب من المادة الدهنية والمقدار الذي يحلهُ اللهب . ولا بد مع ذلك ان تعتبر نقاوة الهوآء لانهُ كما ان الانسان يحتاج الى هوآء نقي ليعيش كذلك الشمعة تحتاج الى هوآء نقي ليكون نورها صالحاً ولذلك يلاحظ في الليالي الطويلة ان نور الشمع يضعف كلما قل الاكسيجين وكثر الحامض الكربونيك

ويمكن ان يميَّز في لهب الشمع اربع طبقات وهي اولاً النواة المظلمة

وهي مكونة من الغاز الصادر عن المواد المشتعلة . ثانياً الطبقة الزرقاء وهي محيطة بالاولى مما يلي قاعدة اللهب وحرارتها ضعيفة لبعدها عن محور اللهب الذي اليهِ يتجه معظم الهواء . ثالثاً الغلاف المنير أو لسان اللهب وهو يخرج من بين الطبقتين المذكورتين مرتفعاً الى الاعلى على هيئة لسان نيّر . رابعاً الغشاء الخارجي المحيط باللسان وهو ضعيف النور جداً لان الاجزاء الواصلة اليهِ غير تامة التاكسد فيحترق منها في الهواء كميات كبيرة

اما صنع الفتيلة فقد كان الشغل الشاغل للعمال لانها يجب ان تكون في محور اللهب والا بقيت اطول مما ينبغي وانبعث عنها دخان يظلم بهِ نور الشمعة واذا كان طرفها في المحور تماماً لا يصل اليهِ الهواء فيتفحّم ويتكوّن في اعلاهُ طرّة منتفشة تنقلب على الفتيلة فيسيل الشمع من حواليها ويظلم نور اللهب وحينئذٍ يلزم ان تقرَّط كما يصنع بالشمع الشحمي

وقد حاولوا اصلاح ذلك بطرق مختلفة منها ان تستعمل الفتائل مفلطحة أو مستديرة ويكون نسيجها متفاوتاً بحيث انها تلتوي عند الاحتراق حتى تخرج عن اللهب فتستمدّ اكسيجين الهواء . ومنها ان تكون جوفاء ولها الخاصية نفسها لكن وُجد بهذه الطريقة انهُ يتكون منها رماد يسد مسامّ الفتيلة ويضعف النور . وقد ارتأى دُميلي لاصلاح هذه الآفة الاخيرة ان تغمس الفتيلة في الحامض البوريك فانهُ باتحادهِ مع الرماد يولّد جسماً قابلاً للذوبان يتساقط على شكل نقط من طرف الفتيلة

اما صنع الشمع فيتم بالسكب في القوالب وهي تصنع من خليط يركب من ٢٠ جزءاً من القصدير و١٠ من الرصاص وتُصقل من الداخل صقلاً بالغاً

وعند ارادة السكب توضع الفتيلة في المحور وتثبَّت من الاسفل بثقب دقيق ومن الاعلى بقمع موضوع على الطرف الاعلى من القالب . وتستعمل الآن آلات تكون الفتائل فيها ملفوفة على بكرات وعند اللزوم تنحلّ من نفسها عن البكر وتثبَّت في القوالب وتجري المادّة الشمعية في قناةٍ مخصوصة بعد ان تسخَّن القوالب بوسائط معدَّة لذلك ثم تبرَّد بعد السكب ويُخرَج الشمع من القوالب ويُقَصّ ويُصقَل وكل ذلك بآلات تعمل من تلقآء نفسها واخيراً يبيَّض بتعريضهِ للهوآء

ومن الشمع ما يسكب مجوَّفاً اي يُثقَب ثلاثة ثقوب من الاعلى الى الاسفل وفائدة ذلك ان لا يسيل عند الاشتعال . وهو يصنع بواسطة آلة مخصوصة تحتوي قوالبها على ثلاثة اسلاك مصمتة تسحب قبل تمام تجمد المادة

اما الشمع العسلي فقلما يُسكب في القوالب ولكنهُ على الغالب يصنع سكباً من الخارج كما يصنع الشمع الشحمي وذلك بأن تغمس الفتيلة اولاً في المادة الذائبة ثم تعلق ويصب عليها الشمع شيئاً فشيئاً أو تغمس فيهِ غمساً متتابعاً الى ان تبلغ الحجم المراد ولاجل اكسابها الشكل المستدير وصقلها تُدحرَج على صفحة من الرخام أو من الخشب

اما شمع الفتائل وهو الذي يتخذ منهُ الثقاب ونحوهُ فيُصنع بأن تُلفّ الفتيلة على اسطوانة ثم تغمس في الشمع الذائب وبعد اخراجها تُدخل في ثقوب مختلفة الاتساع وتسحب منها الى ان تبلغ القطر المطلوب . واذا اريد ان يؤخذ منها الثقاب قُطّعت على الطول المراد ثم غمس احد طرفيها في مادة قابلة الالتهاب على حدّ ما يصنع الثقاب الخشبي فريد البرباري

الغابات المتحجرة

هي غاباتٌ في اميركا من بقايا العصور الخالية اشهرها غابتان عظيمتان احداهما في اريزونا من اراضي الولايات المتحدة والاخرى على مسافةٍ قريبة من منابع مِسُّوري احد كبار انهرها وكلتاهما منتشرة على مساحةٍ واسعة من الارض لا يقطعها الراكب المُجِدّ في اقلّ من يومٍ كامل

وقد كانت هذه الغابات في الزمن القديم تتألف من شجرٍ كبار من نوع الشجر العاديّ الموجود اليوم في كاليفرنيا وكان طول الواحدة منها يبلغ ما بين ٥٠ و ٦٠ متراً ومحيطها من ٦ الى ١٠ امتار بحيث يقدَّر ان عمر بعضها لم يكن اقلّ من الف سنة . ومع انها اليوم قد تكسرت ولم يبقَ شيءٌ منها قائماً فان حجمها لا يزال عظيماً حتى ان شجرةً منها في اريزونا قد سقطت على فوّهة وادٍ فكانت جسراً طبيعياً ممتدًّا من احدى عُدوتيهِ الى الاخرى يبلغ طولهُ ٣٤ متراً

وكان سقوط هذه الاشجار بانقلابٍ طبيعي من حوادث الايام الاولى ثم جرّتها المياه الى حيث استقرّت تحتها فلبثت غائصةً فيها مئاتٍ من القرون مدفونةً في الرمل والطفال . ولما بدأت تتعفن اخذ ما في تلك المياه من السُحالة الصوّانية يرسب في مكان الاجزاء المنحلّة منها الى ان ذهبت عناصرها جملةً واستوى مكانها الراسب الصوّاني فتبدّل خشبها حجراً من غير ان يتبدّل شكلها . ثم انهُ بعد ما شاء الله من الزمن ارتفع قعر البحر بحادثٍ من نوع الحادث الاول فظهر في مكانهِ صحارى وجبال وظهرت تلك الاشجار على

الحالة التي تُرَى عليها اليوم وما ذكر هو السبب في ان اكثر هذه الاشجار تُرَى مكسرةً مضجعةً على الارض . على انهُ عند ما ارتفع دَرَكُ البحر جاء بعضها منتصباً على نحو الهيئة التي كان عليها في عهده الاول فكان لهُ منظرٌ غريب بين الاشجار النابتة حولهُ تكتنفهُ باغصانها واوراقها الخضراء

وما زالت هذه الاشجار المتحجرة منذ ظهر الانسان على وجه الارض عُرضةً لعيثهِ فان سكان اميركا في الزمن السابق للتاريخ كانوا يقطعون منها قِطعاً ضخمة يبنون بها مساكنهم ولا يزال بعض هذه الابنية الغريبة باقياً الى اليوم . وكذا في الازمنة المتأخرة فان السيّاح والمولعين بعلم المعادن ما زالوا يكسرون منها نموذجاتٍ ويحتملون منها قِطعاً ثم زاد على ذلك انهُ في اثناء القرن التاسع عشر تألفت شركة صناعية لنقل الغابات المتحجرة فحملوا منها مقادير عظيمة من القِطَع البالغة في الجمال والرونق ليستخدموها مكان الرخام في صنع بعض انواع الاثاث الفاخر . ومنهم من كان يسحنها ويتخذ منها السنباذج الا ان هذا لم يَطُل كثيراً لانهم وُفّقوا الى صنع السنباذج على طريقةٍ اسهل وارخص فعدلوا عن نقلها لهذه الغاية

على ان الحكومة الاميركانية قد تنبهت لهذا الامر فأعلنت ان هذه الغابات ملكٌ مشاعٌ للأُمّة وقضت على كل من يُقدم على تخريب شيء منها بغرامة ٢٥ الف فرنك وسجن سنة وبهذه الذريعة امكن ان تكفّ عنها يد الانسان لتبقى مدةً اخرى من الدهر مصونةً من عيث العائثين

مقياس المطر في الشجر

من غريب ما توصلوا اليه في مراقباتهم العلمية ما ذكرهُ المسيو فيلكس ساهوت احد اعضآء جمعية الزراعة الفرنسوية في بعض مباحثه في منبلياي فانهُ راقب نموّ شجر الصنوبر الكرسكي والشربين السفالوني فتبين لهُ ان الاول اسرع نموًّا وانهُ يزداد في كل سنةٍ انبوباً يخرج في الربيع ويختلف طولهُ تبعاً لمقدار المطر في زمنٍ معلوم من السنة

وقد قاس زيادة طول هذين الشجرين على مدة ست وعشرين سنة اي من سنة ١٨٧٧ الى سنة ١٨٩٣ فكانت زيادة الصنوبر بين ٥٢ و ١٢ سنتيمتراً وزيادة الشربين بين ٢٩ سنتيمتراً و ٤ سنتيمترات

وفي هذه المدة قيّد مقدار المطر الذي نزل في شهرٍ فشهر فوجد ان معظم النموّ في كلٍّ من الشجرين المذكورين متوقفٌ على مطر ابريل وما يقع من المطر بعد ذلك في شهر مايو وما يليهِ مدة الصيف ليس لهُ اثرٌ يُعتدّ بهِ وبخلاف ذلك مطر الخريف الا ان معظم فائدتهِ في نموّ الجذور واما مطر الشتآء فمنفعتهُ ان يحفظ على الارض رطوبتها في اشهر الربيع وبعض اشهر الصيف . ثم انهُ بالمقابلة بين مجموع المطر الذي سقط في كل واحدة من تلك السنين في مدة اشهر الشتآء والربيع أي من شهر اكتوبر الى ابريل ومقدار النموّ الذي حصل في كلٍّ منها امكنهُ ان يتخذ قياساً يُعرَف بهِ مقدار النموّ السنوي . وذلك انهُ قدَّر لشهر اكتوبر عدد ٦ ولنوفمبر ٧ ولدسمبر ٨ وليناير ٩ ولكلٍّ من فبراير ومارس ١٠ ولابريل ٩ . قال وبضرب كل واحدٍ

من هذه الاعداد في مقدار المطر النازل في ذلك الشهر أخذاً عن مقياس المطر وجمع الحواصل السبعة يُعرَف مقدار ماحصل من النموّ بمقابلة بعض المجموع على بعض . وعلى هذا فانهُ يسهل ان يُعرَف من فحص الصنوبرة او الشربينة ما مرّ بها من السنين الماطرة او القاحلة بمعنى ان السنين الماطرة تكون فيها الانابيب طويلة وبعكسها السنون الماحلة وبذلك يُعرَف مقدار المطر في كل واحدةٍ من السنين الماضية بالمقابلة بين طول الانابيب والله اعلم

النحل والامير الصغير

من امثال فنلون تعريب حضرة الاب الفاضل الخوري جرجس شلحت بحلب

حينَ سرى رَوْحُ الصَبا فأحيا ... طبيعـةً مبهجـةً للأَحيـا
واذ دنت منهـا عيون الشمسِ ... فانعشت رُفاتهـا من رمسِ
وعند ما حاكَ لهـا انوارَها ... لُعابُهـا حتى حكت انوارَها
كانَ اميرٌ من صغار السنّ ... في روضةٍ تحكي جمالَ عدْنِ
يمشي رويداً ههنـا وهنَّهْ ... كانهُ آدمُ تلك الجَنَّهْ

***

فمرَّ في مسيرهِ بنحـلِ ... منتشرٍ يقطمُ زهرَ الحقلِ
ثم رأى لهُ خلايا يرجعُ ... دوماً اليهـا بِدَويٍّ يُسمَعُ
كان لهُ مشهدها جديدا ... فظلَّ يعدو جارياً شـديدا
حتى دنا منها وقد قضى العجَبْ ... مما رأى فسُرِّيَت عنهُ الكرُب

شامَ نظاماً يبهرُ البصيرهْ … يضمُّ ذي المملكة الصغيرهْ
رأى نخاريب الخلايا تمتلي … شيئاً فشيئاً من شهيّ العسَلِ
والنحلُ دائبٌ يجِدُّ العملا … فليس يدري كسلاً او مللا
هذا على الزهر يطوف مدمِنا … وذا يمجُّ ما بفيهِ قد جنى
حركةٌ دوماً بلا تباطي … وغيرِ ما هرجٍ ولا اختلاطِ
جماعةٌ اشبهُ بالرعيَّهْ … تحكمها ملكةٌ سنيَّهْ
لا حسدٌ ما بينها ولا طمَعْ … وهل يروم رِفعةً من اتَّضَعْ
في سنَنِ السنَّة كلٌّ سالكَهْ … وان عصت واحدةٌ فهالكَهْ

***

فبينما كان الامير يعجبُ … بما رأى ويلتهي ويطربُ
اذ أقبلت اليهِ في تبختُرِ … مليكة الخَشْرَمِ ذاتُ الخطرِ
قالت لهُ لا تجتزئْ بالعجَبِ … عن اقتباس حكمةٍ او ادبِ
إنّا لقد رُضنا الجميعَ روْضا … فما لدينا ما يسمّى فوْضى
وما سوى العامل فينا مُعتبَرْ … والحاذقِ الذي بخُبرهِ اشتهَرْ
ولا يفوز بالعُلى والرُتَبِ … الا من استحقَّها بالنصَبِ
وليس من دأبٍ لنا سوى السهَرْ … سعياً وراءَ ما بهِ نفع البشَرْ
يا حبذا لو ابتغيتَ الاُقتِدا … بنا فكنتَ بالنفوس تُقتدَى
اذا بلغتَ زمنَ الرشادِ … وصرتَ مالكاً على العبادِ
ألاَ فوطّدْ بينهم اذ ذاكا … نظامنا هذا الذي ارضاكا
تَسعَدْ بهِ ويسعدوا مدى الزمَنْ … وتحظَ بالإجلال والذكر الحسَنْ

وتحتفلُ لك الرعايا بالدعا　　بالعمر والصولة والعزّ معا
ويُنشدِ المنشدُ في ناديها　　سُلّمتِ القوسُ الى باريها

متفرقات

حياة السفن — يقول بانو السفن ان السفينة على العموم قلما تتجاوز حياتها ١٢٠ سنة لكن هذه القاعدة كثيراً ما يقع فيها شذوذ فان كثيراً من السفن لا يبلغ هذه المدة لكثرة الاستعمال او لحادث ولكن منها ايضاً ما يتعدّى المدة المذكورة . وأقدم سفينةٍ في العالم اليوم هي سفينة نلسون في ترافلجار المسماة ڤكتوري وكان بناء هذه السفينة سنة ١٧٦٥ فعمرها الآن ١٣٧ سنة الا انها لا يُحتفَظ بها اليوم في بُورْتسمُوث الا بمنزلة اثرٍ قديم . ومثلها سفينةٌ أخرى كانت تُستخدَم في صيد الحيتان تسمى ترُولَف فانها لم تخرب الا بعد ان عاشت ١٥٩ سنة في عملٍ مستمرّ . وهي سفينة ذات ثلاثة اشرعة صُنِعت في فيلادلفيا سنة ١٧٤٧ وكانت بعد ان اتى عليها ٩٩ سنة لا تزال تصادم الجمد في النواحي القطبية . ويوجد الآن ٣٤ سفينة انكليزية تتجاوز المئة سنة و ١٣ تتجاوز الخامسة والستين وما سوى هذه فان جميع السفن البخارية التي بنيت بين سنتي ١٨١٥ و ١٨٣٠ لم يبقَ منها شيء

قال الحجاج لابن القرّية ما البلاغة فقال ان تتكلم فلا تخطئ وتجيب فلا تبطئ

فوائد

منع عرق اليدين — ذكرت احدى المجلات الصحية صفةً لمنع عرق اليدين هي في منتهى السهولة ولا تقتضي نفقةً تذكر. وهي ان تؤخذ قطعة من الشب بقدر الجوزة تكون ذات حروف نائثة وتُفرَك في اليد مرتين او ثلاثاً في اليوم تبعاً لكثرة العرق وقلته كما يقلَّب لوح الصابون فلا يلبث العرق ان ينقطع او يقلّ ثم لا يعاد استعمالها الا عند ما يعود العرق . ويحسن ان تُغسَل اليدان بالصابون قبل استعمال الشبّ ليسهل تشرُّب البشرة له ولكن لا بد اذ ذاك من غسل اليدين بالمآء بعد الصابون لان الشب يحلّ تركيب الصابون ويفرز ما فيه من الزيت فينشأ هناك مادّةٌ دهنية لا يحلها المآء وتلتصق التصاقاً شديداً باليد او بالاناء الذي يكون فيه مآء الصابون

ويمكن استعمال هذه الواسطة لسائر اجزآء الجسم لكن استعمالها كذلك لا يخلو من خطر لان قطع العرق عن الجسم برمته يفضي الى احتباس المفرزات في نسيج البنية وببقآء هذه المفرزات في الجسم يتسمم الدم فلا بد ان يُترك لها السبيل للخروج منه

اسئلة واجوبتها

القاهرة — ارجو الجواب على السؤالين الآتيين

(١) في اي سنةٍ اختُرعت الدرّاجة (البيسكل) ومن اول من

توصل الى اختراعها

(٢) يقال ان الارض والقمر كانا متصلين في قديم الزمان ثم انفصلا لاسبابٍ طبيعية فما قولكم في ذلك رشدي كمال

الجواب — اما اختراع الدرّاجة فيقال انهُ يرتقي الى اواخر القرن الثامن عشر وذُكر ان في المكتبة الوطنية بباريز صورةً مطبوعة تمثل اناساً يتنزهون على آلاتٍ من هذا النوع . الا انها كانت على شكلٍ لا يسهل معهُ استعمالها لثقلها وسوء صنعتها ولذلك لبثت مهملةً الى اواخر القرن الماضي اي الى نحو سنة ١٨٧٠ فعادوا الى اتقانها . واول آلةٍ ظهرت منها كانت من صنع رجلٍ يقال لهُ ميشُو" وكانت مؤلفةً من عَجلتين من خشب على شكل عَجَل العربات قُطر الواحدة منها متر تدوران في سطحٍ واحد احداهما امام الاخرى . ويجمع بين العَجَلتين نابض (زنبلك) عليهِ صهوة الدرّاجة اي الموضع الذي يستوي عليهِ الراكب وسائر تركيبها قريبٌ من الدراجات المعروفة اليوم ومن ذلك الحين اخذوا في تكميلها وتسهيل الجري بها الى ان بلغت ما هي عليهِ في العهد الحاضر

واما مسئلة الارض والقمر فقد سبق لنا فيها كلامٌ وافٍ في اوائل هذه السنة تحت عنوان تكوُّن العالم الشمسي (صفحة ١٦١ و ١٩٣ وما يليهما) فراجعوهُ ان احببتم

القاهرة — اطلعت في الجزء السابع عشر من الضياء على الرواية المعنونة بشرلمان تعريب حضرة الاديب نسيب افندي المشلاني فوجدت

فيها اشيآء مخالفة للتاريخ مثل قوله ان پيپين ملك مكان كلوتير والمعروف انهُ ملك مكان شلدريك الثالث ومثل قوله ان پيپين كان لهُ وزير يسمى كارين ولا ذكر لهذا الوزير في التاريخ ومثل ذلك الحرب التي ذكر انها نشبت بين پيپين وكلوتير فان التاريخ خالٍ عنها ايضاً وكذلك وجدت بعض زيادات وحواشٍ لا وجود لها في التاريخ ولا يخفى على حضرتكم ما في ذلك من العبث بصحة الانبآء التاريخية الا اذا كان المؤرخون على خلاف في هذه الحوادث وهو ما لا اظنهُ فارجو الجواب على ذلك ولكم الفضل

نقولا نصر

الجواب – قد أطلعنا حضرة المعرّب على اعتراضكم فقال ان الرواية كما تعلمون ليست من وضعهِ وانما هي ملخصة عن روايةٍ قرأها بالانكليزية منقولة عن اصلٍ فرنسويّ تأليف اسكندر دوماس الشهير تحت عنوان پيپين والرواية مشهورة متداولة فان كان ثمت اعتراضٌ فهو على المؤلف لا على المعرّب . على ان ما ذُكر من الزيادات والحواشي مثل حديث كارين وحرب پيپين وكلوتير هو من لوازم الروايات لانها موضوعة على الخيال كما هو معلوم وقد تساهلوا في هذه الزيادات تزييناً للحديث وتكملةً لموضوع القصص ولو التُزمت الحقائق التاريخية مجردةً لكان من حقها ان تسمى تاريخاً لا روايةً وحسبكم في ذلك ان تراجعوا ما شئتم من الروايات التاريخية فانكم لا تكادون تجدون واحدةً منها تخلو عن مثل ما ذُكر وبهذا القدر كفاية تغني عن المزيد

آثار ادبيّة

العذارى المائسات في الأزجال والموشحات — اهديت لنا نسخةٌ من هذا الكتاب الانيق جمع حضرة الفاضل الشيخ فيليب الخازن صاحب امتياز جريدة الارز الغرآء انتقاهُ من سفرٍ قديم عثر عليهِ في بعض المكاتب الشرقية في رومية فنقل عنهُ من بدائع الموشحات الاندلسية وغيرها ما يعزّ الوقوف عليهِ لندرة نُسَخهِ في هذه البلاد

وقد تصفحنا الجانب الاكبر منهُ فوجدناهُ حسن الترتيب والطبع جامعاً لكل نادر مستحسن مما دلّ على فضل عناية الجامع ولطف ذوقهِ في الاختيار . غير انا وفاءً بحقّ النقد نستأذن حضرتهُ في التنبيه الى امرين احدهما انهُ ذكر في عنوان الكتاب انهُ في الازجال والموشحات مع انهُ عرّف الزجل في مقدّمتهِ نقلاً عن ابن خلدون انهُ ما كان باللغة العامية بخلاف الموشح فانهُ يكون باللغة الفصحى وهذا هو الفرق بينهما ولكنا عند تصفح الكتاب وجدنا كل ما فيهِ من الفصيح فهو من الموشح فقط . والامر الثاني انهُ لا يخلو من تحريف كلماتٍ وتبديل اخرى مما لا نشك انهُ كان في نسخة الاصل التي اخذ عنها على ان هذا مع ظهور العذر فيهِ قليلٌ في الكتاب لا يكاد يضيع بهِ شيءٌ من محاسنهِ

فنحن نثني على همة رصيفنا الفاضل لما اطرف بهِ القرآء من هذه التحفة النفيسة ونحث الادباء والشعرآء على اقتناء هذا الكتاب والتفكه بما اشتمل عليهِ من اللطائف وهو يُطلَب من جامعهِ وثمنهُ ثلاثة فرنكات

فكاهات

النعجة الضالة (١)

كان في احدى مدارس البنات العليا في بطرسبرج فتاة في السادسة عشرة من العمر زيّنها المولى باجمل صورةٍ واحسن قدّ فضلاً عن الذكاء وتوقّد الخاطر يقال لها ليديا . وهي ابنة قومٍ متوسطي الحال ادخلها اهلها تلك المدرسة لتلتقط من درر العلوم وجواهر الآداب ما تتحلى بهِ في مستقبل ايامها . وكانت هذه الفتاة آية في النشاط والاجتهاد فأحرزت في مدةٍ قصيرة حظًّا صالحًا من العلم ونشأت على الآداب الحسنة والخلال الحميدة مما حببها الى جميع رفيقاتها الطالبات

واتفق في احد الايام وقد انتظمت التلميذات صفوفًا ليسرنَ الى غرفة المائدة ان مديرة الدروس ويقال لها المعلمة رابين اجالت نظرها في هذا الحشد وقالت لا يخفى عليكنَّ ايتها التلميذات العزيزات انكنَّ حينما غادرتنَّ منازلكنَّ وذويكنَّ واويتنَّ الى هذه المدرسة اصبحتنَّ تحت مراقبة المعلمات واصبحت المعلمات مسؤولاتٍ عنكنَّ في جميع احوالكنَّ وشؤونكنّ وصار من الواجب ان يُلقى عليكنَّ في بعض الاحيان من المواعظ والارشادات ما يسدّد خطواتكنَّ الى اقوم السبل وينكّب بكنَّ عن طرق الغيّ . وكنت الى هذا الحين اعتقد فيكنَّ طهارة السيرة ونقاوة السريرة بيدَ ان حادثةً اليوم كشفت لي ما لم يكن في الحسبان واوضحت لي ان بينكنَّ « نعجةً ضالّة »

فدهشت التلميذات عند سماعهنَّ هذا الخطاب ونظرنَ بعضهنَّ الى بعض نظرة تعجب وحيرة . اما المعلمة فسرّت لما رأت لكلماتها من التأثير في اولئك الطالبات وما ابطأت ان قالت فلقد تحققت اليوم ان واحدةً منكنَّ قد استسلمت

(١) ملخصة عن الروسية بقلم خليل افندي بيدس

لعوامل الحب وان لها خطيباً يراسلها ... وبعد ان تنفست الصعداء عادت الى حديثها فقالت واني كنت اودّ ان اكتم عنكنّ اسم هذه الفتاة لولا انها بارتباكها وحمرة الخجل البادية على وجنتيها تدلّ على نفسها باوضح بيان . أجل ايتها الحبيبات فانظرنَ كلكنّ الى « ليديا انتسيڤا » تحققنَ صدق مقالي

فلما سمعت ليديا ذلك وقع عليها وقوع الصاعقة ولم تلبث ان صبغ الدم وجنتيها وسقطت الدموع الغزيرة من مقلتيها واطرقت مرتعدة خائفة . اما رفيقاتها فدهشنَ لعلمهنّ بأن ليديا هي بينهنّ آية العفاف والطهر ومثال الادب والرصانة غير انهنّ اخلدنَ الى السكون استماعاً لتتمة الحديث . واما المعلمة فكأنها ابتهجت لمرأى دموع ليديا فهزّت رأسها وقالت والكبر يرنّح معطفيها ودونكنّ الآن هذه الرسالة اللطيفة التي اماطت لي اللثام عن هذا السرّ قالت هذا واخرجت من جيبها رقعةً مطويّة نشرتها بخيلاء وأرتها للتلميذات وهي تتبسم باستهزاء . ولم تكن ليديا تنتظر مثل هذه القساوة والغلظة فزاد كربها واشتدّت آلام نفسها وهمّت ان تهجم على المعلمة وتختطف الرسالة من يدها ولكن منعها احترامها لمقام المعلمة فلزمت الصمت والسكون وكأن ذلك زاد في هيجان المعلمة فقرأت بصوتٍ جهور ما يأتي

« ايها الملك الطاهر

لقد انقضى اسبوعان كاملان ولم احظَ برؤيتكِ لان جدران المدرسة قد حجبتكِ عني ولكن ثقي ايتها الحبيبة اللطيفة ان صورتكِ لا تبرح نصب عينيّ ليلاً نهارًا وقد اعياني احتمال هذا الفراق الاليم لانكِ في تلك المدة القصيرة قد سلبتِ رشدي وخلبتِ فؤادي . ولذلك فاني قد عزمت على ان اسعى في هذا المساء لزيارة رئيسة المدرسة رغبةً في مشاهدتكِ فلا تنزعجي ولا تسوءكِ مخالفتي لأمركِ في شأن المكاتبة لانكِ رغبتِ اليّ ان لا اراسلكِ ما دمتِ في المدرسة حذرًا من وقوع رسائلنا في يدٍ اثيمة وما يعقب ذلك من القيل والقال غير اني لشدة شوقي اليكِ ورغبتي في اطلاعكِ على عزمي بادرتُ الى الكتابة راجياً ان اشاهدكِ يا فاتنتي واتزوّد منكِ نظرةً اقوى بها على احتمال الم الفراق وثقي انهُ مهما طرأ عليّ من

الاحوال فانا لكِ المحب المخلص ايقان رتيشف »

وفي اثناء قرآءة هذه الرسالة كان بعض التلميذات قد استأنَ من صنيع المعلمة وهممنَ ان يعترضنها ويوضحنَ لها ان ذلك مخالف لحرمة الادب والحشمة وانها وان تكن معلمة فلا حق لها بوجهٍ من الوجوه ان تشهر هذا الامر بهذه الطريقة الخشنة غير انهنَّ توقفنَ عن عزمهنَّ بقصد اقامة الحجة عليها في وقتٍ آخر وشكايتها الى الرئيسة . اما ليديا فاخلدت الى السكون وان كانت في احرّ من الاتّون وما فرغت السيدة رابين من تلاوة الرسالة حتى خفّ اضطراب ليديا وسكن بلبالها بعض الشيء لعلمها اليقين بأن حبيبها لم يكن من الناس الذين يستحيا بمودتهم او يُهزأ بهم لانهُ كان استاذاً شهيرًا في العاصمة تبتغي كل فتاةٍ رضاهُ وترتجي ودّهُ . ولقد كانت لشدة حبها لهُ يهون عليها ان يُقطع حبل حياتها ولا تسمع في حقهِ كلمة تحطّ من شأنهِ وكرامتهِ فكيف وقد رأت بغتةً يدًا جائرةً قد جرحت قلبها ولمست محبوبها واهانتها اهانةً لا تقدر ان تصفح عنها . غير انها رأت ان الملاينة في مثل هذا الموقف افضل ما يتدرّع بهِ المرء ضدّ خصمهِ فلم تفه بكلمة . اما المعلمة رابين فلما رأت ما تلألأ في محيا ليديا الوسيم من امائر الطمأنينة والدعة حسبت ذلك عدم اكتراثٍ بها واحتقارًا لكلامها فهاج غيظها وتفاقم حنقها و بغضها وصاحت بها اني لا اجد كلماتٍ تقوم بتعنيفك الشديد على هذا السلوك القبيح لانكِ بدلاً من ان تشتغلي بواجباتكِ المدرسية وتقبلي على دروسكِ صرفتِ اهتمامكِ الى امور اخرى لا تجديكِ الاّ المضرّة والعار فبئس المصير مصيركِ اما انا فسأذكر كل ذلك لحضرة الرئيسة وهي ادرى بامر عقابكِ . والآن لا تنطلقين مع التلميذات بل تبقين وحدكِ في غرفة التدريس الى ان ادعوكِ او تدعوكِ الرئيسة . قالت المعلمة هذا وقادت صفوف الطالبات الى غرفة المائدة . اما ليديا فلم تكد تُغلق عليها ابواب الغرفة حتى تحدّرت الدموع السخينة على خديها تحدُّر الطلّ على الزهر وكادت تعتقد ان عملها انما هو ذنبٌ عظيم لا يُغتفر وخافت المثول امام الرئيسة لانها تحبها حباً مفرطاً وتعتبرها بمقام الوالدة الرؤوم . ثم تصوّرت امامها المعلمة رابين

توسعها ثلباً واهانةً كانها تضمر لها شرًّا فحارت المسكينة في امرها ولم تعلم كيف تؤوّل هذا النفور الشديد وهذه المعاملة القاسية التي تنفر منها الضواري مع انها لم تقابلها قط الاّ بمزيد الاحترام والدعة والخضوع فما الذي الجأها الى مثل هذه الشراسة ام بلغ منها الحسد والغيرة ان صارت تعتبر الحب عارًا والزواج سُبَّةً وهو سنة الله في خلقهِ

وبينا ليديا في مثل هذه التصوُّرات فُتح الباب ودخلت احدى خادمات المدرسة وقالت حضرة الرئيسة تطلبكِ اليها . فتنهدت ليديا وانطلقت الى غرفة الرئيسة ولما دخلت حيَّت بارقّ العبارات ووقفت بكامل الاحتشام والوقار . اما الرئيسة فنظرت اليها بعينين ملؤهما وداعة ومحبة وقالت لها انتِ تعلمين يا ولدي شدة محبتي لكِ واعتنائي بكِ فلم يكن ينبغي ان تقابليني بغير الاخلاص والصدق وان تخفي عني امورًا كان الاولى بكِ ان تطلعيني عليها من قبل لاني لكِ بمقام الوالدة الشفيقة . فلقد كانت عندي الآن المعلمة رابين وانبأتني بخبرٍ غريب كنت اودّ ان لا اسمعهُ عنكِ بهذه الكيفية وهو انكِ عاشقة وانكِ تراسلين حبيبكِ وهو يراسلكِ سرًّا وانكِ عازمةٌ على الاقتران بهِ دون ان تستشيريني مع اني اعتقد فيكِ اخلاص الطوية وشرف الخلال . والآن فاني ارغب اليكِ يا ولدي ان تطلعيني على جلية الخبر وتوضحي لي كيف عرفتِ هذا الرجل ومن اي اسرةٍ هو وهل تستريحين معهُ اذا اقترنتِ بهِ . ذلك لانكِ فتاةٌ في اوائل العمر وامامكِ حياةٌ باسمة ومستقبل سعيد فليس من الحكمة ان تجري شيئاً من هذا القبيل دون تثبت وتدبر وها اني كلي آذان واعية فتكلمي ولا تخافي

اما ليديا فعلت وجهها حمرة الخجل وتوقفت اولاً عن الجواب ولكنها رأت من حديث الرئيسة وهيئتها ولطفها ما سكن روعها وشجعها فقبلت يدها وقصت عليها الحديث الآتي قالت . لما كانت ايام العطلة المدرسية الاخيرة دعتني عمتي الى منزلها فلبيتُ الدعوة شاكرةً وانطلقتُ اليها فرحةً محبورة لعلمي بشدة محبتها لي وارتياحي الى معاشرتها . وكانت عمتي تحب اهل العلم والمتأدبين وتبالغ في اكرامهم فكان

يتقاطر الى منزلها من حين الى آخر اناسٌ منهم فتسرّ بمحادثتهم وسماع الفاظهم . وكان من جملة المتردّدين على منزلها احد الاساتذة المشهورين في العاصمة وهو رجل يناهز الاربعين من العمر وان هذا الرجل رآني في منزل عمتي فارتاح الى التقرب مني ومال اليَّ كما ملت اليهِ ولو كان بمقام والدي . . ومهما ذكرتُ لكِ يا سيدتي الرئيسة عن صفاتهِ فلا اظنني وافيةً بما فُطر عليهِ من عزة النفس وحسن السيرة وجميل الخصال . وكانت نتيجة اجتماعاتنا هناك انهُ فاتحني بنية الاقتران بي ولما وثق بموافقتي ارسل فأعلم اهلي بذلك وخطبني اليهم فلم يعارض احدٌ منهم بشيء . اما انا فوهبتهُ ارادتي ووعدتهُ ان لا اميل الى سواهُ واني سأحافظ على محبتهِ وولائهِ ووعدني هو ان ينتظرني الى نهاية هذه السنة حينما تنتهي مدتي القانونية في المدرسة وخطيبي هذا هو من اسرةٍ كريمة تُعرَف باسرة « رتيشف » واسمهُ « ايفان »

وما كادت الفتاة تذكر هذا الاسم حتى ارتجفت الرئيسة وصبغ الاصفرار وجهها وشعرت ان الارض تغور تحت قدميها . . ثم انتفضت فجاءَةً وقالت بصوتٍ ابحّ مخاطبةً نفسها لا يمكن ان يكون هذا . . . ولم تلبث ان وثبت مذعورةً فتناولت الرسالة وكانت المعلمة رابين قد تركتها في غرفتها على المائدة فأجالت فيها نظرها طويلاً وهي تتلوَّن مرتبكةً حائرةً وقد لاحت على وجهها علامات الاسى والانقباض وجعلت تتململ في مكانها كمن لسعتهُ أفعى . اما ليديا فدهشت واضطربت افكارها ولم تدرِ كيف تؤوّل انقلاب الرئيسة وحيرتها و بالتالي تدقيقها الكثير في الرسالة وتحديقها الطويل في التوقيع . ولفرط استغرابها احبت ان تستفهمها عن الامر لكنها سكتت مخافة ان يكون ذلك نوعاً من الفضول . و بعد ان صمتت كلتاهما بضع دقائق وكلٌّ منهما تتبع سير افكارها انتبهت الرئيسة الى نفسها فرفعت طرفها الى ليديا وقالت لها باضطراب اذهبي الآن ايتها الحبيبة وغداً نستأنف حديثنا في هذا الشأن . فتركتها ليديا وانصرفت وهي كمن في حلم . ولما انصرفت الفتاة قامت الرئيسة واسمها السيدة « ماريا نيقولايفنا » الى خزانة كتبها و بعد قليل عادت الى مقعدها و بيدها رزمة رسائل ملفوفة فتحتها بيد مرتجفة ونشرت احداها واذا فيها

« عزيزتي ماريا نيقولايفنا

لقد اتى ايتها الحبيبة شهران كاملان وانا مغتربٌ عنكِ ولا أعلم هل يطول هذا الاغتراب بعد غير ان فؤادي يكاد يحترق بنيران الاشواق فبرّديهِ بكلمتين من خطكِ محبكِ المخلص

ايفان رتيشف »

ولما قرأت الرئيسة ذلك راجعت تلاوة كتاب ليديا حتى لم يبقَ عندها ريب ان حبيب الاثنتين واحد وكان ذلك اعظم مما تقوى على احتمالهِ فهاجت بلابلها واستغرقت في تأملاتٍ بعيدة تنقلت بها من طورٍ الى طور الى ان امعنت في عالم الخيال وتصوَّرت نفسها وهي في ريعان الشباب حينما تعرَّفت بهذا الرجل في مدينة موسكا ولم تكن سنُّها وقتئذٍ تزيد على العشرين وما جرى في اعقاب ذلك حينما كانت لا تسرّ الاَّ برؤيتهِ ولا ترتاح الاَّ الى محادثتهِ الى ان استدعت حبيبها هذا مهام اخر الجأتهُ ان يبرح موسكا . وكانت رسائلهُ اليها لا تزال تترى وهي امامها في تلك الساعة وكلها تنبئ بمحافظتهِ على الذمام بيد ان احوالهُ الخصوصيَّة حالت دون الاجتماع بها وعلى اثر ذلك انقطعت بينهما الرسائل . اما هي فدخلت وقتئذٍ احدى المدارس العليا فمكثت فيها بضع سنوات وسافرت بعد ذلك الى اماكن كثيرة ولم تعد تعلم في كل تلك المدة شيئاً من احوال حبيبها مع شدة شوقها اليهِ . ولما يئست من وجودهِ اخذت تتناساهُ شيئاً فشيئاً ومرَّت على ذلك عدة سنوات ولم ولم يجرِ امامها لهُ ذكر ولا جآءها عنهُ خبر فعدّتهُ بين الاموات . ولبثت بعد ذلك منقطعةً بنفسها معتزلةً معاشرة الناس الى ان شخصت اخيرًا الى بطرسبرج واستلمت مقاليد هذه المدرسة حابسةً نفسها فيها صارفةً همها الى العناية بطالباتها

وبينا الرئيسة تناجي نفسها بمثل ذلك اذ استوقفها قرع باب المدرسة فارتعدت كأنها عالمةٌ بأن القادم عليها في تلك الساعة هو هو حبيبها ايفان غير انهُ صار اذ ذاك حبيباً لغيرها فكيف تقابلهُ وبأي كلام تحادثهُ . . . وانها لكذلك اذ سمعت قرعاً خفيفاً على باب غرفتها وصوت احدى الخادمات تقول ان في الباب زائرًا يطلب

مواجهتكِ يا حضرة الرئيسة . فارتبكت السيدة ماريا وتوقفت بادئ بدءٍ عن الجواب وهي لا تدري اي وجهٍ تعتمد واخيرًا تجلدت وقالت بصوتٍ عالٍ لا اريد مواجهة احد . . . وهكذا عاد ايڤان رتيشف على عقبهِ دون ان يحظى بمواجهة رئيسة المدرسة ودون ان يعلم مَن هي . اما السيدة ماريا فكانت قلِقةً اشدّ القلق وباتت ليلتها لم تذق اجفانها غمضاً وهي بين لائمة نفسها على عدم قبولها اياهُ ومصوّبة تصميمها على صدّهِ . وكانت قد داهمها شيء من الحزن او الغيرة اثر فيها شديدًا حتى كانت تأخذها في بعض الاحيان نوبٌ عصبية تسلب راحتها . اما ليديا فظلت على ما كانت عليهِ من الاجتهاد والرصانة وملازمة الدروس دون ان تعلم شيئًا من امر الرئيسة مع حبيبها وكانت تسعى جهدها الى استطلاع ما اقلق السيدة ماريا ودعا الى اضطرابها ولا سيما لانها لم تعد تفاتحها عقيب ذلك في هذه القضية البتة . غير انهُ لما ازف زمن العطلة المدرسية وجاءَت ليديا تشكر الرئيسة وتودّعها اجلستها هذه الى جانبها وقالت ها انكِ الآن تغادرين المدرسة ايتها الحبيبة وتلجين حياةً جديدة ولستِ تحتاجين فيما ارى الى الارشاد والنصيحة لانكِ حائزةٌ اشرف الكمالات الانسانية غير ان لي اليكِ حاجةً ارغب في قضآئها فهل تعدينني بذلك . فاجابت ليديا نعم يا سيدتي فلا احب اليَّ من قضآء حاجاتكِ . فقامت عندئذٍ الرئيسة الى خزانة كتبها ولم تلبث ان عادت وبيدها رزمة ملفوفة ومختومة دفعتها الى ليديا قائلةً هذه وديعتي ارجو منكِ ان تحتفظي بها وتسلميها الى زوجكِ بعد مضيّ ثلاثة ايام من عرسكما واني ادعو لكِ ولهُ بالدعة والهنآء . . . ثم قامت الى ليديا فعانقتها وقبّلت ليديا يديها ثم فصلت عنها وهي في اشدّ حالات الاستغراب من هذه الاسرار . . .

وكان بعد ذلك ان زُفت ليديا الى ايڤان في احتفال شائق وفرح عظيم ولم تنسَ ليديا ان تقوم بالمهمّة التي كلّفتها اياها الرئيسة في اليوم الثالث من زفافها بادرت الى زوجها واعلمتهُ بالواقع ودفعت اليهِ الرزمة المعهودة وهي في غاية التشوُّق الى معرفة ما فيها اذ لا بُدَّ ان تكون محتويةً على ما يكشف لها هذه المعميات .

فأخذها ايقان وما كاد يفضها حتى ارتعش بغتةً ووقف كالمبهوت لا ينطق ببنت شفة وكاد يسقط على الارض لو لم تتداركهُ ليديا بيديها اللطيفتين وتسرّ عنهُ اضطرابهُ باسلوبها العذب وهي متعجبة من امرهِ تشتهي من كل قلبها ان يطلعها على هذا السرّ الغريب الذي لا يزال يزداد غموضاً عنها وما برح موضع اهتمامها سنةً كاملة .

و بعد هنيهة سكن جأش ايقان فاستوى في مقعدهِ وقال لزوجتهِ باسماً لا تستغربي يا فاتنتي ما صدر مني الآن ومتى اتضحت لكِ الحقيقة عذرتني ولا شك على ذلك. انظري يا ليديا في هذه الرزمة التي كُلّفتِ نقلها اليَّ من رئيسة مدرستكِ ملخص حياتي منذ عشرين عاماً . ثم قصّ على زوجتهِ ما كان من امرهِ مع السيدة ماريا نيقولايفنا الى ان قال ولما يئستُ من وجودها كل تلك المدة جئت الى بطرسبرج وانقطعتُ فيها الى التدريس الى ان منَّ الله عليَّ بجوهرة كريمة ابهجت ايامي واعادت لشفتيَّ الابتسام وهذه الجوهرة هي انتِ يا ملكة فؤادي

وكانت ليديا تسمع وهي شاخصة مبهوتة ولما فرغ ايقان من حديثهِ قصَّت عليهِ ما اصابها بسببهِ من الخسف والامتهان و بعد ذلك اخذ كلاهما يتأملان في تلك الرسائل و يتفكَّهان بها الى ان عثرا على رقعةٍ كُتب فيها ما يلي « اهنئك يا مسيو رتيشف بعروسك الجديدة داعيةً الله ان يجعل حياتكما بركةً لك ولها وانا معيدةٌ اليك رسائل زمن الصبى وحلاوتهِ ملتمسةً ان تعيد اليَّ انت ايضاً رسائلي ان كنت الى الآن محافظاً عليها كما حافظت انا . ولا تطمع بعد الآن في مواجهتي لاني مودعتك وداعاً لا لقاء بعدهُ وثق اني لا اطلب لك الاَّ الهناء والسعادة والسلام

محبتك القديمة

ماريا . . . . .

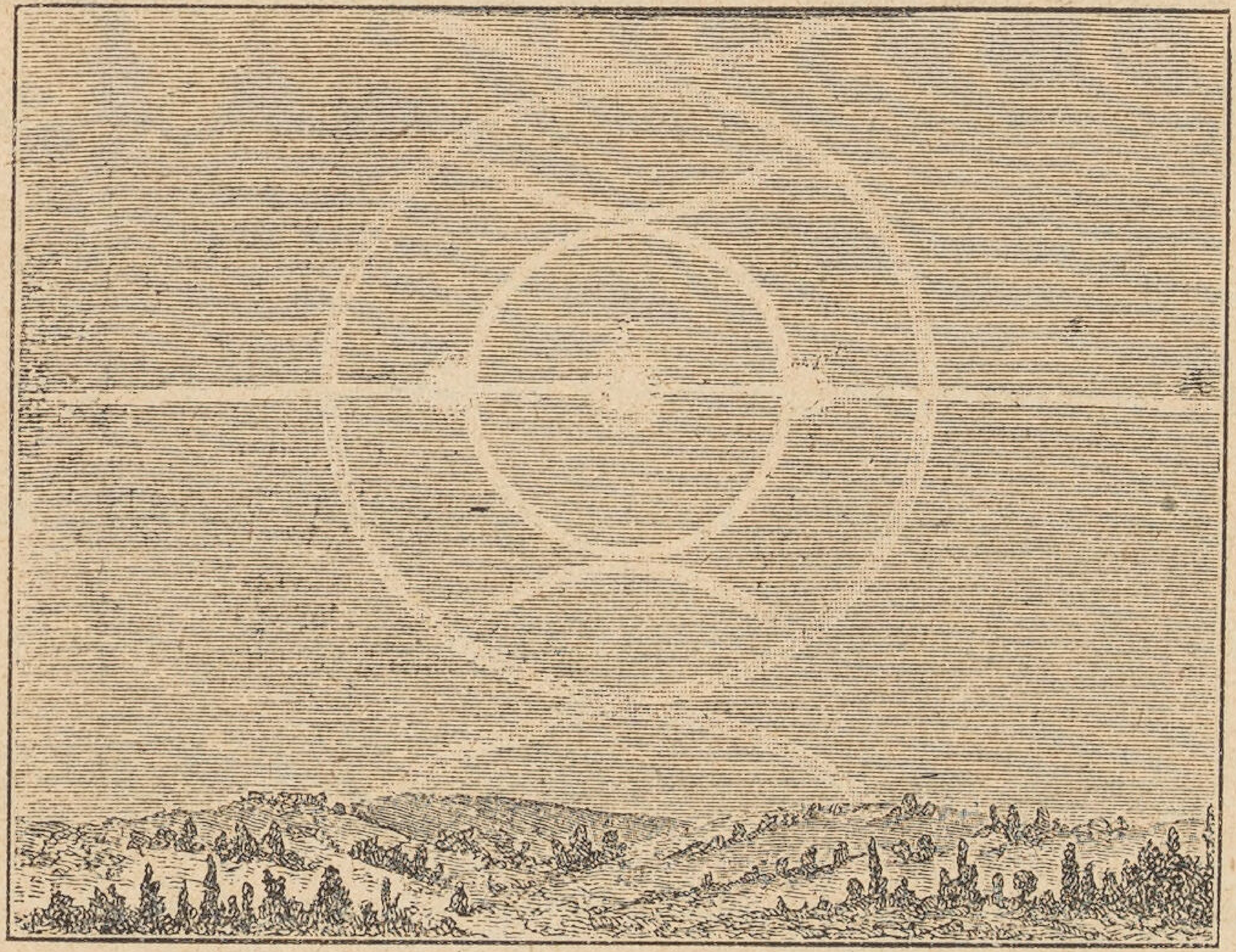
فلم يلبث ايقان ان تمم بغية السيدة ماريا فأعاد اليها رسائلها كما طلبت وعاش مع عروسهِ على أحسن حال من السعادة والنعيم وهما يعيدان على ذكراهما حادثة المدرسة والرئيسة والمعلمة رابين

الهالة

هي الدائرة النيّرة تظهر احياناً حول القمر أو الشمس والظاهر من كلام اهل اللغة ان الهالة مخصوصةٌ بالقمر واما التي تظهر حول الشمس فتسمَّى الطُفاوة بالضمّ وهو الاشهر في استعمالهم . وما كان احقّ الامر ان يكون على العكس اي ان تكون الهالة للشمس والطُفاوة للقمر وذلك لان الدائرة التي تظهر حول الشمس لا تكون الاّ ذات ألوانٍ مختلفة كما سيجيء فتناسبها الهالة ويكون مأخذها من معنى التهاويل وهي الالوان المختلفة من اصفر واحمر وغيرها . وبخلاف ذلك الدائرة التي تظهر حول القمر فانها تكون بيضاء في الغالب فتناسبها الطُفاوة وهي في الاصل ما طفا من زَبَد القِدر اي ما علا فوق وجهها من الدسم اذا ازبدت عند الغليان . ومهما يكن فانا سنطلق الهالة هنا على كلتا الدائرتين في كل موضع ترجعان فيهِ الى تعليل واحد لانها اشهر في الاستعمال وحيث تنفرد هالة الشمس بأمر عدلنا فيها الى لفظ الطفاوة

وقد تقدم ان هالة القمر اكثر ما تكون بيضاء فلا يكاد يُرى فيها شيءٌ من الالوان خلاما يظهر احياناً على حدّها الداخليّ من الحمرة الخفيفة الكمدة ولا تكون على الغالب الا واحدةً . اما هالة الشمس فانها تكون ملوّنةً بألوان قوس قُزَح ويكون الاحمر الى الداخل كما في الوان القوس والبنفسجي الى الخارج الا ان الوانها تكون اضعف قليلاً ولا سيما من ناحية الخارج فانها تضعف شيئاً فشيئاً حتى تختلط اطرافها بلون السماء . وقطر كلّ واحدةٍ من الدائرتين يكون نحواً من ٤٥° وهما الهالتان الاصليتان واليهما ينصرف المعنى عند

الاطلاق . غير ان هالة الشمس يصحبها على الغالب دائرةٌ افقية بيضاء تقاطعها من الجانبين مارّةً بقرص الشمس ويظهر معها بقعتان منيرتان عند موضع التقاطع تكونان مما يلي الهالة الى الخارج كانهما شمسان اخريان . واحياناً تظهر حول الهالة الاصلية هالةٌ اخرى مراكزةٌ لها لكنها اوسع منها كثيراً يبلغ قطرها نحو ٩٠° وربما ظهرت مع كلٍّ منهما قسيٌّ مماسّةٌ لها من ادناها



واعلاها كما ترى ذلك كلهُ في الشكل والوان هذه الهالة الاخرى والقسيّ المذكورة اضعف واخفى من الوان الهالة الاصلية

اما سبب ظهور الهالة فمن الامور التي يصعب تعليلها ولعلّ اقرب الاقوال في ذلك ما ذكرهُ ماريُوت وهو الذي عليهِ جمهور العلماء المعاصرين فانهُ ذهب الى ان كل واحدةٍ من هالتي الشمس والقمر تحدث عن وجود سحابٍ لطيف مؤلَّف من بلوراتٍ صغيرة من الجليد الشفاف منشورية الشكل سابحة في اعالي الجوّ . وهذه البلورات مثلثة السطوح ابين كلّ سطحٍ

منها والذي يليه زاوية ٦٠° وهي منتشرة على اتجاهات شتى بحيث ان منهـا ما اذا وقع عليه شعاع النور انحرف في انكساره انحرافاً خفيفاً فتكوّن منهُ مع سطحي المنشور اللذين يمرّ بهما مثلثٌ متساوي الاضلاع وكان انكسارهُ عن سطح البلورة على زاوية ٦٠° وحينئذٍ تكون زاويتهُ مع الخط القائم على هذا السطح ٣٠° وهذه الاخيرة هي زاوية الانكسار . وقد عُلِم بالاختبار انهُ متى كانت زاوية الانكسار في البلورات الجليدية ٣٠° كانت زاوية الوقوع مع الخط العمودي المذكور ٤١° وحينئذٍ فوقوع الشعاع على البلورة يكون على زاوية ٩٠° — ٤١° = ٤٩° . وعليه فانحراف الشعاع عن اتجاهه الاصلي هو ٦٠° — ٤٩° = ١١° . وبخروج الشعاع من البلورة ينحرف مرةً اخرى بالقدر نفسه فتكون جملة الانحراف عن الاتجاه الاول ١١° × ٢ = ٢٢° وهي نصف قطر الهالة . فنتج من ذلك كله ان الاشعة المتآزية التي هي (ش ب) و (ش ج) الواقعة من الشمس على كلٍّ من المنشورين (ب) و (ج) يكون وقوعها على زاوية ٤١° ثم تنكسر في اتجاهها من (ب) الى (د) ومن (ج) الى (د) فينشأ عنهـا زاويتان هما (ب د شَ) و (ج د شَ) وكل واحدةٍ منهما تعدل ٢٢° فيتألف منهما مخروط قمتهُ في (د) وقاعدتهُ عند (ب) و (ج) فاذا كانت عين الناظر عند (د) رأى دائرةً نيرة قطرها الظاهر الذي هو زاوية (ب د ج) ٤٤° على التقريب



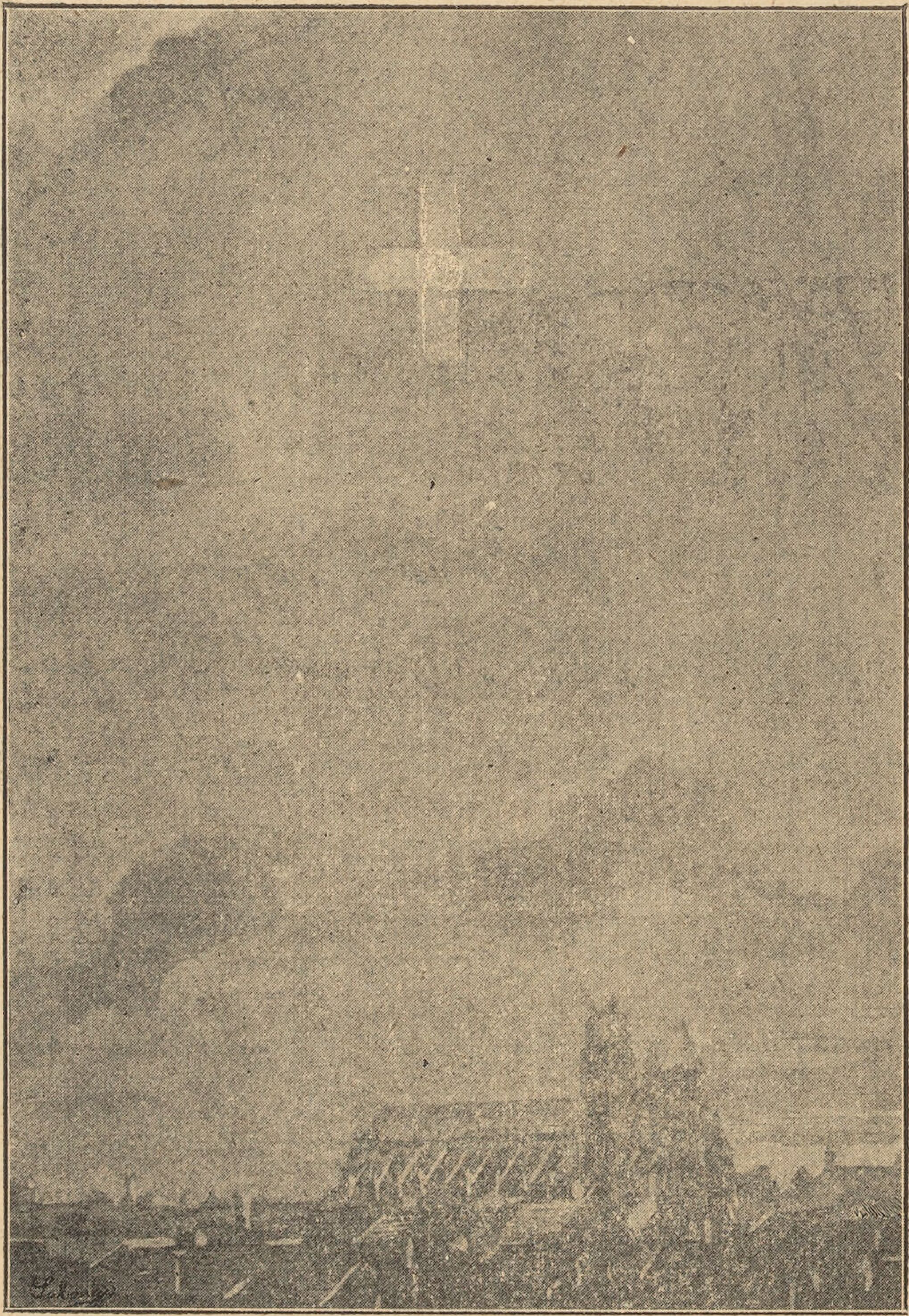
اذا تقرر هذا لزم عنهُ انهُ اذا كانت البلورات الجليدية كثيرةً في الجوّ كان في كل نقطةٍ مما حولنا رأس مخروط على النحو الذي وصفناهُ بحيث

انهُ حيثما وقف الناظر رأى الهالة على نفس الشكل والقياس المذكورين الا ان ما يُرى منها في موقفٍ هو غير ما يُرى في موقفٍ آخر كما لا يخفى

واما ألوان الطُفاوة أو الهالة الشمسية فمعلومٌ ان اشعة الطيف تنكسر على زوايا مختلفة فاشدّها انكساراً الاشعة البنفسجية وعكسها الحمراء وسائر الاشعة بين ذلك على ترتيبها ولذلك يُرَى الاحمر في الحدّ الداخلي منها وهو الذي يصدق عليهِ ما ذُكر من التعليل ثم تتدرج الالوان الى الخارج حتى تنتهي الى البنفسجي على حد ما يُرَى في قوس قُزَح . واما الدائرة الافقية المارّة بمركز الشمس فلما كانت غير ذات لون دل ذلك على انها ليست ناشئةً عن الانكسار وانما هي صادرة عن انعكاس بسيط عن سطوح البلورات الجليدية . وسبب ظهورها فيما ذكروا ان البلورات المذكورة عند تهافتها في الجوّ بسبب ثقلها يكون اكثر المتهافت منها عموديّ الوضع لانهُ يكون اقلها مقاومةً للهواء واذ ذاك يكون اكثر البلورات الباقية في الجوّ افقيّ الوضع فتنعكس الاشعة عنهُ في خطٍ افقيّ يمرّ في مركز الشمس وهو السبب في ظهور الشمسين في موضع تقاطع هذه الدائرة والطفاوة اذ يكون معظم النور في النقط التي يقع فيها هذا التقاطع

وقد تظهر هالة القمر على شكل صليب كما حدث في ٢٦ مايو سنة ١٨٩٦ في مدينة بُورْج وقد وصف هذه الهالة الاب مُورُوّ الفلكي الشهير في رسالةٍ بعث بها الى الجمعية الفلكية في باريز فذكر انهُ في نحو الساعة العاشرة ليلاً ظهرت حول القمر هالةٌ صغيرة مستديرة وكان في السماء دجنٌ خفيف وبعد ذلك بنحو ساعتين توارت الهالة فجاءةً وظهر مكانها شكل صليب

يتوسطهُ القمر وكانت كل واحدةٍ من شُعَبهِ الاربع تقرب من ضعفي قطر القمر الا ان نورها كان يضعف كلما ابتعد من قرصهِ ولبث هذا المشهد نحواً من ثلاثين دقيقة ثم اختفى منظر الصليب وعادت الدائرة الاولى



وقد امتحن الاب المذكور احداث مثل هذه الهالة الصليبية بالصناعة فعمد الى قطعة زجاج لا لون لها وطلى احد سطحيها بطبقةٍ من شرابٍ شفّاف

مدّها بشعرية خشنة حتى جاءت على هيئة خطوط متوازية ثم مدّ على السطح الآخر طبقة اخرى جعل خطوطها عمودية على تلك . ثم وضع خلف الزجاجة بلورة عدسية ووضع خلفها مصباحاً بحيث ظهرت كقرص نيّر فظهر له المنظر نفسه بأن رأى القرص في الوسط ورأى الى كل واحدة من جهاته الاربع شعبة عريضة من نور على نحو ما رُؤي في منظر القمر

وقد ذكر من علة ذلك ان الجليد يتبلور غالباً على هيئة مناشير مسدَّسة فاذا فُرض ان هذه الابر المنشورية متجهة كلها اتجاهاً واحداً كان هناك طائفتان من السطوح المتوازية احداهما مؤلفة من السطوح الجانبية والاخرى من قواعد المناشير انفسها وتكون كل طائفة ذات سطوح بعضها قائم على بعض اي جانب منها عمودي والجانب الآخر افقي . فاذا هوت هذه البلورات سفلاً في جوٍّ ساكن ذهبت بأسرها في اتجاه واحد وفي هذه الحال يرى هناك عمودان نيّران بعرض القمر يتقاطعان تقاطعاً عمودياً ويكون محل القمر في موضع تقاطعهما

بقي ان الهالة كما تظهر حول الشمس والقمر تُرى احياناً حول بعض النجوم وقد شاهد بعضهم في ١٧ يناير سنة ١٨٩٤ هالةً حول الزهرة وكان قطرها نصف درجة اي نحو قطر الشمس الظاهر وكان لون الفسحة بين الهالة والزهرة اصفر كمداً ترهقهُ حمرة ضعيفة الا ان مثل هذا على كل حال في غاية الندور

الرجل الكهربائي

نقل عن احدى المجلات الفرنسوية الفصل الآتي قالت

ما زالت اميركا تبرز من غرائب الاختراع ما ادهشت بهِ العالم بأسرهِ وقد عدلت عن الاشتغال بالممكنات الى محاولة المستحيلات وتحقيق الخياليات. ومن غرائب ما نُقل الينا من مخترعاتها تمثال رجلٍ يتحرك ويتكلم ويبدي جميع مظاهر الحياة حتى كأنهُ انسانٌ حيٌّ. ومخترع هذا التمثال رجلٌ من حذاق اهل الصناعة يسمى لويس فيليپ پرُو من مدينةٍ صغيرة من ولاية نيويُرك يقال لها تُوناوَنْدا بالقرب من شلال نياجَرا وقد مثّل بهِ هيئة الانسان بكل دقائقهِ وركّب فيهِ من الداخل آلاتٍ عجيبة تعمل عملاً يشبه السحر حتى يتوهم الناظر اليهِ ان ذلك التمثال مخلوقٌ عاقل

وكان قبل ان يصل باختراعهِ الى هذه الغاية من الكمال قد اجرى فيهِ عدة امتحانات تشهد كلها بتوقد ذهنهِ ودقة يدهِ في الصناعة فأبرز مثالاً صغيراً من هذا النوع سنة ١٨٩١ صنعهُ من الخشب بطول ٩٠ سنتيمتراً وشدَّهُ الى عَرَبةٍ وأجراهُ في شوارع مدينتهِ فكان يجر العربة ووراءهُ والناس من حولهِ الوفٌ وهم يعجبون من امرهِ. فلما آنس منهم ذلك الاقبال عليهِ والاعجاب بهِ وجد من نفسهِ ما جرّأهُ على تميم اختراعهِ فسعى الى اصحاب الثروة من اهل بلدهِ وسألهم امدادهُ بالمال فعقدوا لذلك شركة قانونية جعلوا مركزها في بوفالُو من ولاية نيويرك واتفقوا معهُ على ان يصنع منهُ امثلةً كثيرة يتجرون بها ويرسلون منها الى جميع جهات الارض

فصنع المثال المشار اليه بهيئة رجلٍ جبار طولهُ متران و ٣٥ سنتيمتراً وجعل جلدهُ من الالومينيوم لخفته ورجليه من المطاط المنفوخ وسائرهُ من الخشب وكساهُ بلباس ابيض وجعل على رأسهِ كُمَّةً ضخمة وفي رجليهِ حذاءين كبيرين . وكانت يداهُ لا تُفرَقان عن الايدي الطبيعية وقد طلاهما بلون الشَبَه (البرونز) فكانتا اشبه بيدين قد اثرت فيهما الشمس وجسأتا من طول العمل وهما تتحركان بكل حركة اليد . واما وجههُ فكان اذا وقف عن العمل لا يخلو من هيئة جمود فاذا اخذ في الحركة زالت تلك الهيئة وظهرت عليهِ هيئة الحياة

وقد امتحنهُ اول مرةٍ في توناوَندا في اوسع ردهةٍ من المدينة فابتدأ حركتهُ بأن خطا خطوة رجلٍ متردد فقدّم رجلهُ اليمنى ثم وضعها فاهتزّت اهتزازاً خفيفاً واذ ذاك سُمِع صوتٌ يشبه صوت نابض (زنبلك) الساعة اذا أُديرت . وبعد ما وضع رجلهُ اليمنى قام برفق على طرف رجلهِ اليسرى ثم رفعها وقدّمها الى الامام ووضعها بحركةٍ اقلّ تكلفاً من الاولى وبعد ذلك اخذ يمشي بخفةٍ وخطواتٍ ثابتة فدار حول الردهة مرتين من غير ان يتوقف . وعند ذلك اخذ المخترع يكلم الحضور فحقق لهم ان هذا التمثال يمكن ان يبقى سائراً كذلك الى ما شآء الله . وكأن التمثال اراد ان يؤكّد كلامهُ فعقَّب عليهِ بلفظٍ واضح وقال اني عازم ان اذهب من نيويرك الى سان فرنشسكو . وذلك انهُ كان قد جعل في صدرهِ جهازاً فونغرافياً ينطق في وقتٍ معلوم بالفاظٍ معلومة وجعل في رأسهِ جهازاً آخر تتمّ بهِ حركات عينيهِ

وبعد ذلك اخرج التمثال ليطوف حول المدينة فكان في جملة ما فعلهُ انهُ وضع في طريقهِ جِذْلاً ضخماً من الحطب فلما انتهى اليهِ توقف عن المسير وكأنهُ حار فيما يصنع فادار حدقتيهِ ثم كأنهُ صمم على ركوب هذه العقبة فوضع احدى رجليهِ على جذل الحطب وخطا عنهُ بالرجل الاخرى فكان لهذه الحركة العجيبة من الدهش عند الناظرين ما لا يعبر عنهُ وصف حتى لم يشك اكثرهم ان هناك سحراً

وهناك احاديث اخرى عن هذا التمثال اضربنا عن ذكرها لشدة غرابتها على انا لم نعد اليوم نستغرب امراً ولا سيما اذا كان صادراً من اميركا بلاد العجائب. اما سرّ هذا الاختراع فلا يزال مكتوماً على انهُ لا شك ان في باطنهِ آلاتٍ كهربائية تعمل بطريقةٍ سرية فتحرك ما فيهِ من الاجهزة المختلفة

النعام

هو اكبر جميع الطيور الحية المعروفة يبلغ طولهُ من مترين الى مترين ونصف وهو يوجد في كل افريقيا من تونس والجزائر الى رأس الرجاء الصالح وفي بلاد العرب واميركا الجنوبية وفي هذه الاخيرة لا يبلغ طولهُ اكثر من متر و ٦٠ سنتيمتراً

وما زال الناس من قديم الزمان يرغبون في ريش النعام للزينة والفرش بحيث كان الملوك والكبراء يتنافسون فيهِ ويبذلون لاجلهِ اغلى الاثمان ولذلك كان في كل زمان عرضةً للصيد يُستهلك منهُ كل سنة ما لا يحصى الا ان هذه الرغبة ازدادت في الاعصر الاخيرة لادخالهِ في الزيّ النسائي

وكثر الطلب عليه في كل بلاد ولا سيما في اوروبا واميركا فكثر صيده كثرةً فاحشة وانتشر صيادوه فِرَقاً كثيرة في جميع البقاع التي يوجد فيها حتى يقال انهُ ان دام الامر على هذه الحال لم يمضِ زمنٌ طويل حتى ينقرض نوعهُ

اما صيد النعام فيكون اما مطاردةً على ظهور الخيل واماً بطريق الختل والاستخفاء والاول اهمّ الا انهُ لا بد لهُ من استعدادٍ طويل وتعبٍ كثير وحذق فان الذي يريد صيدها بهذه الطريقة ينبغي ان يعوّد حصانهُ عادةً خصوصية فيمنعهُ من اكل التبن والحشيش مطلقاً ولا يعلفهُ الا الشعير ولا يسقيهِ الا مرةً في اليوم عند غروب الشمس حين يبرد الماء قليلاً ويركبهُ كل يوم ويجول بهِ وعليهِ جميع عدة الصيد فبعد ان يمضي على الحصان ثمانية ايام على هذه الحال يضمر بطنهُ ولا يبقى الا لحم صدرهِ وعنقهِ وكفلهِ . ويكون الصيد في أحرّ ايام السنة لان النعام تفتر قواها في ذلك الوقت فيجتمع ثمانية أو عشرة فرسان مع كل واحد منهم خادم راكب على جمل ومعهُ كمية كبيرة من الزاد والماء محمولاً في قِرَب . واما سلاح الفارس فهو هراوة من الزيتون البرّي طولها من ١٤ الى ١٥ قدم لها رأسٌ ضخم ولباسهُ يكون في غاية الخفة والبساطة

والنعام اكثر ما توجد في الاماكن الكثيرة العشب فيبحثون عنها في هذه الاماكن فاذا قاربوا الموضع الذي يعرفون وجودها فيهِ نزلوا وارسلوا اثنين من الخدم فيتقدمان مع الاحتياط والحذر لتحقق وجودها فاذا رأيا النعام اضطجعا على الارض ووقفا عن التقدم نحوها لانها قوية حاسة السمع . ثم يعود احدهما الى الفرسان ويخبرهم بمكانها فينطلقون وهو بين ايديهم

ويحيطون بالنعام ثم يذهب الخدم اليها فتخاف وتهرب ولكنها ترى الفرسان حولها فتعود ادراجها حتى تتعب من الجري وتفتح اجنحتهـا وهو علامة الاعياء وحينئذٍ يتبع كل فارس نعامةً الى ان يصل اليها فيضربها بالهراوة التي معهُ على رأسها وبما ان رأسها شديد الشعور لانهُ اصلع تسقط على الارض حالاً فيثب اليها ويذبحها ويحترز ان يتلطخ جناحاها بالدم

واما صيد الختل فانهم بعد ان يعرفوا مكان النعام يكمنون لها في طريقها الى الماء فاذا مرَّت هجموا عليها بالهراوى أو اطلقوا عليها النار . ولبعضهم في ذلك طريقة اخرى وهي انهُ يقصد المكان الذي فيه أُدحيّ النعام اي الموضع الذي تجعل فيهِ بيضها فاذا وجد الانثى على البيض تقدم من غير ان يستخفي عنها حتى يصير منها على مسافة عشرين متراً ثم يحفر حفرة بطولهِ ويغطيها بالعشب وينزل اليها ويستتر وراء العشب بحيث لا يُرى الا حديد بندقيتهِ

فاذا رأت الانثى هذه الحركة تخاف وتذهب الى الذكر كانها تستغيث بهِ ولكنهُ يضربها ويردها الى الادحيّ فلا يخوّفها الصائد بشيء لانهُ انما يريد الذكر فيلبث كامناً لهُ حتى يأتي ويأخذ مكان انثاهُ فاذا حضن البيض وضع فخذيهِ في الارض فيرتفع عرقوباهُ فيرميهِ برصاصةٍ من مخبئهِ فيكسرهما وعند ذلك يخرج اليهِ فيذبحهُ ويرجع الى مكمنهِ فيبقى فيهِ الى المساء حين تعود الانثى لتحضن بيضها فيفعل بها كذلك

وافخر ريش النعام ريش الذكر ويمكن ان يساوي ثمن ريش الواحد منهُ ١٢٥ فرنكاً حال كون ريش الانثى لا يزيد على ٦٠ فرنكاً . وقد كان

عدد النعام الذي صيد سنة ١٨٨٨ نحو ١٥٢٫٥٠٠ نعامة وهو يبلغ اليوم اكثر من ٣٥٠٫٠٠٠ نعامة وثمن ما يباع منهُ كل سنة يبلغ معدلهُ ٣٠ مليون فرنك . فتأمل

فريد البرباري

صَرْعَى المرتينيك

كتب الدكتور نيّريس وهو من الذين نجوا من حادث المرتينيك فصلاً مطوَّلاً بحث فيهِ في السبب الذي مات بهِ سكان سّان پيّار فأحببنا تلخيصهُ لما فيهِ من الفائدة قال

لا بدَّ لنا قبل تحقيق السبب الذي مات بهِ صَرْعَى سّان پيّار ان نذكر طرفاً من مقدمات الحادث نبني عليهِ بحثنا فنقول

ابتدأ جبل پُلاّي في الهيجان منذ شهر ابريل فكانت تنبعث منهُ روائح كبريتية شعر بها اهل سّان پيّار قبل ظهور مطر الرماد الذي ابتدأ بين ٢ و٣ مايو وكان يصحب هذا الهيجان الاول هزيمٌ غائر لبث القوم في ريبٍ من محلّ صدورهِ الى ٦ مايو فكان اهل سان پيار يتخيلون انهُ طلقات مدافع تمرينية في ميناء فوردُفرَنس لان ذلك الصوت كان يتواتر على الترتيب واهل فور دفرنس يبدو لهم كانهُ آتٍ من ناحية جبل پُلاّي وكان مسموعاً في جميع جزائر الانتيل وفي كل واحدةٍ من هذه الجزائر كانوا يظنونهُ آتياً من الجزيرة المجاورة . ولكنهُ على كل حال كان دليلاً على شدة ضغط الغازات المنحصرة في باطن الفوّهات العديدة

فلما كان اليوم الثامن من شهر مايو نحو الساعة الثامنة من الصباح

حدث انفجارٌ هائل واندفع من جانب الجبل شبه غمامٍ كثيفٍ اسود زحف على المدينة فلم يمضِ ٤ أو ٥ ثوانٍ حتى اصبحت سان پيار شُعلةً واحدة

واتفق في تلك اللحظة ان كان في الجانب الآخر من المدينة رجلٌ يعدو في الصحرآء بكل قوّتهِ هارباً امام تلك الزوبعة فلم تلبث ان القتهُ على الارض ولما نهض التفت الى خلفهِ فلم يرَ الا قفراً مخيفاً وقد اصبحت الارض بريّةً صلعآء لا اثر فيها لشيءٍ من النبات

اما جثث الموتى فاكثرها استحال الى فحم على ان بعضها وُجد سليماً من الحريق وعند تأمُّل حال تلك الجثث تبين ان كل الذين لم تدركهم النار كان موتهم بغتةً . وقد وُجد بجوار بعض الابنية العظيمة التي يمكن الاستذرآء بها جماهير من الناس كانوا كأنهم يطلبون ملجأً يقيهم من النار فماتوا في مكانهم وكانت حالة بعض الاجساد المتفحمة في داخل البيوت تشير الى اناسٍ قد ايقنوا بالموت فاجتمع بعضهم الى بعض ليموتوا معاً

اما سبب موت اولئك المساكين فقد اختلفت فيهِ آرآء الباحثين فمن قائلٍ انهم هلكوا اختناقاً بما غشيهم من الغازات السامّة ومن قائلٍ انهم ماتوا تحت مطر الرماد والمقذوفات الأُخر ومن ذاهبٍ الى انهم ماتوا بسبب ارتفاع الحرارة دفعةً واحدة مما ادّى الى اضطرابٍ فجآئي في وظائف بعض الاعضآء الرئيسة كما يدلّ عليهِ انفجار بعضها في بعض الجثث . وكل ذلك جائز الحدوث الا انهُ لا يكون شيءٌ منهُ سبباً يؤدي الى موت اهل بلدٍ برمتهِ في لحظةٍ واحدة كما حدث في مدينة سّان پيّار

وذلك انهُ لو كان موتهم بسبب امطار الرماد وسائر المقذوفات النارية

لامكن ان ينجو ولو عدد قليل من الاهالي ولأمكن السفن الراسية في كلّاء المدينة ان تحاول الهرب على ان مواضع كثيرة من المدينة حدث فيها الدمار نفسهُ ولم يقع فيهـا حريق . واما الغازات السامّة فمع احتمال ان يكون قد انبعث منها شيء فانها لا بدّ ان تشتعل حال انبعاثها وملاقاتها للعناصر الجوّية وبعد فكيف يمكن ان تنتشر في ارضٍ لا يحصرها حدٌّ ومع ذلك تكون من السمّية بحيث تخنق من يتنشقها فاذا جاوزت عدة امتار تخفّ حتى لا يكون لهـا اثر . ثم انهُ من الصعب ان يُعتقد حدوث اختناقٍ فجآئي بحيث ان المصاب لا يظهر عليهِ ادنى حركة تدل على المدافعة التي هي من الافعـال الطبيعية في الانسان فان منظر الكثيرين من اولئك الهلكى يدل على ان الموت باغتهم وهم في شأن من الشؤون فلبثوا على الهيئة التي فاجأهم فيها لم يمهلهم ان يتحولوا عنها . واما ارتفاع درجة الحرارة فمما لا يمكن حدوثهُ بغتةً وعلى قوةٍ واحدة في كل مكان وانمـا يكون في بعض الامكنة دون بعض ويحدث بالتدريج وقتاً بعد وقت

ولكن اذا رجعنا الى طبيعة الحادث نفسهِ فالاظهر انهُ حدث بسبب انفجار جانب الجبل وان الموت كان مسبباً عن الصدمة التي حدثت حال حصول هذا الانفجار . وذلك ان الغازات التي انبعثت واندفعت بغتةً في وجهةٍ محدودة كانت شبيهةً بزوبعةٍ في اشدّ السرعة تقطع عدة كيلومترات في الثانية . فقد حدثني صديقٌ لي كان من شهود الحادث انهُ رأى الجبل قد فغر فاهُ وخرج منهُ ذلك السحاب المظلم واندفع الى جهتهِ فلم يكد يخطو خطوتين ويحوّل وجههُ طلباً للفرار حتى كان الخراب قد انتهى ووقفت

الزوبعة عند اسفل مسكنه وهو مبنيٌّ على تلةٍ تبعد ١١ كيلومتراً عن الجبل فلم يكن بين ان بدأ الحادث حتى انتهى الا مدة ٣ أو ٤ ثوانٍ . فلا ريب ان انفجاراً فيهِ من الشدّة ما يدفع الهوآء ثلاثة كيلومترات في الثانية جدير بأن يتلف البنية البشرية فهو كما لو اقمنا انساناً امام فم مدفع محشوٍّ بالبارود ثم اطلقناهُ عليهِ فانهُ من المحال ان يثبت امام مثل هذه الصدمة

هذا ما ينبغي ان يعلَّل بهِ كل ما حدث على اثر انفجار جبل پلاّي وهو ينطبق على كل ما انتهى الينا من تفاصيل الحادث فان الدمار الفجآئي لقسم كامل من جزيرة المرتينيك هو ولا ريب من فعل الزوبعة الهائلة التي عصفت عند انفجار الجبل بحيث ان كل ما كان قائماً في ممرّها اصبح اثراً بعد عين وكل ما امكن ان يستذري ورآء شيءٍ من الابنية أو غيرها مما لم تنسفهُ الغازات المنفجرة دُمّر بالنار التي التهبت للحال بسبب اشتعال الغازات وتلا ذلك مطر الرماد والحمأة والموادّ المشتعلة التي انقذفت من فوَّهة الجبل فأتمّت الخراب

على اني لا اقطع بما ذكرتهُ فقد يكون من باب الافتراض والتخمين الا انهُ في رأيي هو الاقرب بالقياس الى ما شاهدناهُ عياناً . اه والله اعلم

خسوف القمر ودق النحاس

جآءنا من احد ادبآء دمشق ما يأتي

نشر فريد افندي البرباري في الجزء السادس عشر من هذه المجلة (ص ٤٩٥ من هذه السنة) مقالة حسنة في خسوف ليلة ٢٢ من شهر نيسان

الاخير (ابريل) الم فيها يسيراً ببيان اصل عادة دق النحاس في الشرق ونسبها لأحد منجمي ملوك الهند . ولما كنت قد وقفت على زيادات وايضاحات في معناها لا تخلو من الفائدة احببت ان اوردها هنا تتمةً للبحث وتفكهةً لقرآء الضياء

روى المحبّي في كتابه خلاصة الاثر (الجزء الثالث ص ٢٢٥ — ٢٢٦) في ترجمة عمر بن محمد المعروف بابن الصُغيّر الدمشقي هذين البيتين الآتيين وذكر انهُ انشدهما لهُ البديعي في ذكرى حبيب وهما

افدي الذي دخل الحمام متزراً بأسودٍ وبليل الشعر ملتحفا
دقوا بطاساتهم لما رأوهُ بدا توهماً ان بدر التم قد كسفا

قال وهو معنى حسن تصرف فيهِ واصلهُ ما اشتهر في بلاد العجم ان القمر اذا خسف يضربون على الطاسات وباقي النحاس حتى يرتفع الصوت زاعمين بذلك انهُ يكون سبباً لانجلآء الخسوف وظهور الضوء . هكذا قالهُ بعض الادبآء والذي يعوَّل عليهِ في اصلهِ ان هلاكو ملك التتار لما قبض على النصير الطوسي وامر بقتلهِ لاخبارهِ ببعض المغيبات قال لهُ النصير في الليلة الفلانية في الوقت الفلاني يخسف القمر فقال هلاكو احبسوهُ ان صدق اطلقناهُ واحسنا اليهِ وان كذب قتلناهُ فحُبس الى الليلة المذكورة فخسف القمر خسوفاً بالغاً . واتفق ان هلاكو غلب عليهِ السكر تلك الليلة فنام ولم يجسر احد على انباههِ فقيل للنصير ذلك فقال ان لم يرَ القمر بعينهِ اصبح مقتولاً لا محالة وفكر ساعةً ثم قال للمغُل دقوا على الطاسات والا يذهب قمركم الى يوم القيامة فشرع كل واحد يدق على طاسة فعظمت الغوغآء فانتبه هلاكو بهذه الحيلة

ورأى القمر قد خسف فصدقهُ وبقي ذلك الى يومنا هذا

وعلى هذا فمن ظريف ما يحكى ان شخصاً من ظرفآء العجم كان جالساً مع بعض كبرآئهم على بركة مآءٍ صافٍ تحكي خيال ما قابلها فقام ساقٍ جميل الوجه يسقي فتناول منهُ الطاس ليشرب فأمسكها حيناً ناظراً لخيال الساقي في المآء مشتغلاً بذلك عن اعادتها اليهِ ففطن كبير المجلس لذلك فحرّك المآء بقضيب كان في يدهِ فعند تحريكهِ ذهب خيال تلك الصورة فأخذ ذلك الشخص الظريف يضرب على الطاس فسألهُ من كان معهُ عن ذلك فأجاب بقولهِ هذه عادة بلادنا اذا خسف القمر فاستظرف الكبير والحاضرون منهُ ذلك . اه

ولا يخلو ان يكون هذا الذي ذكروهُ في اصل عادة دق النحاس هو الذي اوهم العامة ان في الخسوف حوتاً يحاول ابتلاع القمر واغراهم على التوالي باطلاق البارود والافراط في الضجيج للتهويل عليهِ وتنفيرهِ عنهُ . ويقرب من هذا الاعتقاد زعم العرب ان القمر اذا خُسف دخل في غلافٍ لهُ يعرف عندهم بالساهور والساهرة قال في لسان العرب هو كالغلاف للقمر يدخل فيهِ اذا كسف فيما تزعمهُ العرب قال بعضهم يصف امرأةً

كانها عِرقُ سامٍ عند ضاربهِ　　　أو فِلقةٌ خرجت من جوف ساهورِ

يعني شقّة القمر . وقال القتيبي يقال للقمر اذا كسف دخل في ساهورهِ وهو الغاسق اذا وقب اي القمر اذا اسودّ عند الكسوف . انتهى بتصرف والله اعلم

الزوجان في الشيخوخة

قال اعزهُ الله نظم حضرة الشاعر العصريّ قسطاكي بك الحمصي في حلب . ترجمتها بتصرف يناسب الذوق العربي عن قصيدةٍ باللغة الفرنسوية للشاعرة اللطيفة قرينة ادمُون رُوستان وهو الكاتب الشاعر الفرنسويّ الشهير الذي ربح من روايتين الّفهما من عهد قريب مليونًا وثماني مئة الف فرنك . . . فلا بدع ان نطقت قرينتهُ بعد هذا بالشعر وفاض بحر قريحتها بنفائس الدرّ وصاغت لحبّهِ من بدائع نظمها أنفس العقود وابتكرت لهُ سلكاً من المعاني لم يوثَّق بأقوى منهُ صدق العهود وانّ أُمّةً تبذل مثل هذا المال ثمن كتابٍ أو كتابين لجديرةٌ بأن يستخرج لها العلم معادن الذهب واللجين . وهذا تعريب القصيدة

يا حبيبي انت لي كلّ المرادْ تِهْ على قلبي بأنواع الدلال
كلُّ مرٍّ منك حلوٌ في الفؤادْ ولك الحُبُّ بقلبي لن يزال
وبهِ يزدان شِعري المُبتكرْ

سوف اهواكَ وإن بُدّلتُ من شعريَ الاشقر يوماً بالمشيب
وسأهواك وإن عُوِّضتَ عن قدّك الميّاس كالغصن الرطيب
بانحنآءِ الظهر يوماً والكِبَرْ

وسأجري معك في شوْط الغرام مثلما كنا فتاةً وفُتَيّ
فنقيل الصيفَ في روض الخزام فهو يروي ما جرى من مقلتيّ
عند ما قبلّتني اولَ مرْ

فاذا ما أدفأت شمسُ المصيف بردَ اعضاءٍ تولاّها الرَعَش
رقص القلبان للحبّ الطريف فتخيلّنا الصبا منا انتعش
عائداً يروي لنا عهد الصِغَرْ

وترى رأسك ما بين يديّ وارى شعرك كالقطن البديع
واذا حدّقت بالعين اليّ سترى من مبسمي خير شفيع
شافعاً باللثم في شيب الشعر

كم لذاذاتٍ سنلقى عند ما ننشر المطويّ من ذاك القديم
فلكم من مرّةٍ قلتَ كما قلتُ يا روحي وأُنسي والنعيم
ومُنى نفسي ويا شطري الأبرّ

واذا ما كان ذا الحبُّ الوطيد كلَّ يومٍ لكَ مني في ازدياد
فغدا اليومَ على الامس يزيد وهو دون الغد يا ملْك الفؤاد
فغضونُ الوجه ذنبٌ مُغتفر

وسنحكي في زمان الهرَمِ كلَّ ما قد مرّ في عهد الشباب
وعلى مرجٍ بسفح العلَمِ كم بثثنا من شكاوٍ وعتاب
سوف نتلوها كما تُتلى السُوَر

وسيزدانُ غرامي بالوقار وتناجيني بتذكارٍ يطيب
فاذا همنا بذاك الإذدِكار نسج الذكرُ لنا بُرداً قشيب
فنعمنا بعد عينٍ بالاثر

ولئن كنا سنمسي عاجزَين فسيزداد اعتصامي بيديك
وسيبدو كلّ شيءٍ منك زَين لعيوني وصباباتي اليك
ليس يعرو صفوَها يوماً كدَر

ولذا الحبِّ وماضيهِ العزيز وإنِ اجتاز كطيفٍ في المنام

في فؤادي ابداً حِرزٌ حريز　وسيحلو ذكرهُ عاماً فعام
لي كخمرٍ عتقها يُصفي العكرْ
فانا أُحرزُ ما اجمعُهُ　من كنوز الحب إحرازَ شحيح
أملاً في حصد ما ازرعهُ　عند ما يفضحنا الشيبُ الصريح
حيث استغني بهذا المُذَّخَر
فأرى عنديَ من عشق الصِبا　عُدَّةً تنفع ايّام الهَرَمْ
ويعيد الذكر عيشاً ذهبا　ليَ بالأُنسِ فيُحيي ما انصرمْ
وتناديني بيا كلَّ الوَطَرْ

اسئلة واجوبتها

دوما (لبنان) — ارجو الجواب على هذه الاسئلة

(١) قرأت لابن المعتزّ البيت الآتي

يا دهر ويحك قد اكثرت فَجْعاتي　شغلتَ ايام دهري بالمُصيبات

فسكَّن الجيم من فجعات وجمع المصيبة على مصيبات مع ان القياس في الاولى فتح الجيم كما هو معلوم والمنصوص عليهِ في جمع المصيبة مصائب فكيف جمعها على مصيبات

(٢) جآء في مجاني الادب (جزء ٢ ص ٢٥٣) ما نصهُ «رعوهُ وقرضوهُ وأقلحوا وجه الارض» وقد بحثت في كتب اللغة فلم اجد وزن افعل من قلح على ان معنى القَلَح كما رأيت تفسيرهُ تغير لون الاسنان بصفرةٍ أو

خضرةٍ فما معنى اقلح هنا

(٣)　كيف يكون الوقف على ما آخرهُ متحركٌ قبلهُ ساكن

داود بشير

الجواب — اما بيت ابن المعتزّ فاسكان الجيم من فجعات ضرورةٌ كما في قول الآخر وهو من شواهدهم

وحُمّلتُ زَفْرات الضحى فأطقتُها　　　ومالي بزَفْرات العشيّ يدانِ

واما جمعهُ المصيبة على مصيبات فهو جارٍ على القياس لان كل ما آخرهُ تاءٌ يُجمَع جمعاً سالماً الا ما شذّ من ذلك مما هو مذكور في مواضعهِ . واما نصهم في جمع مصيبة على مصائب فلأن مُفعَل ومُفعَلة بضم الميم لا يجمعان قياساً جمع تكسير فضلاً عن ان في مصائب شذوذاً آخر وهو همز عينها مع اصالة حرف العلة

واما ما جاء في مجاني الادب من لفظ « اقلحوا » فهو غلط والصواب « اقحلوا » وهذه من ايسر اغلاط هذا الكتاب . ومعنى اقحلوا وجه الارض ايبسوهُ وصيروهُ قاحلاً

واما الوقف على ما آخرهُ متحركٌ قبلهُ ساكن فبالسكون ايضاً في المشهور وهي لغة الجمهور

ازوا دومينيكا — ارجو اجابتي على هذين السؤالين

(١)　لماذا سميت ارقام الاعداد بالهندية

(٢)　من هو اول مخترع للمقاييس وكيف كانت الامم تقيس قبل اختراعهِ

انطون يوسف الدقاق

الجواب — اما تسمية الارقام بالهندية فلأن العرب اخذوها عن الهند فلزمتها هذه النسبة والافرنج يسمونها بالارقام العربية لانهم اخذوها عن العرب

واما مخترع المقاييس فلا يمكن تعيينهُ على انهُ لا شك ان اول ما اتُّخذ منها كان طول بعض الاعضاء كالذراع والقدم أو مسافة انفراج بعضها عن بعض كالشبر والخطوة الا انهُ لا يُعلَم بالتحقيق ايها كان اسبق فان المصريين الاولين كان عندهم الاصبع وهي نحو ١٩ ميليمتراً (١٨٧ من ١٠٠٠٠ من المتر) ثم القبضة وهي ٤ اصابع ثم الشبر وهو ٣ قبضات ثم الذراع وهي شبران ثم الباع وهو ٤ اذرع . وكان عندهم القدم وهي ١٤ اصبعاً ويتفرع عنها الذراع الملكية وتُعرَف بالمقدَّسة وهي قدمان . وكان اليونان يقيسون بالقدم وهي نحو ٣٠ سنتيمتراً ثم الاصبع وهي $\frac{١}{١٦}$ من القدم ثم القبضة وهي ربع القدم ثم الذراع وهي قدم ونصف ثم الخطوة وهي قدمان ونصف ويتفرع عن القدم مقاييس شتى لا حاجة الى استيفائها هنا. والمقاييس تختلف كثيراً بين امةٍ وامةٍ وبين عصر وعصر حتى ان المقياس الواحد كالقدم والذراع يختلف بين اصطلاحٍ وآخر مما كان سبب التباسٍ عظيم في تحقيق المقيسات وهذا ما دعا الفرنسيس في اواخر القرن الثامن عشر الى البحث عن مقياسٍ ثابت حتى وُفّقوا الى استنباط المتر وهو $\frac{١}{١٠٠٠٠٠٠٠}$ من ربع محيط الارض من خط المعدَّل الى القطب ثم قسموهُ الى ابعاض كالدسيمتر والسنتيمتر والميليمتر واخذوا اضعافهُ كالهكتومتر والكيلومتر والمريامتر وهلمَّ جرًّا وهو اصح المقاييس واثبتها واسهلها مراساً ولذلك اعتمدتهُ اكثر الممالك المتمدنة

آثار ادبية

ترجمة المرحوم بشارة تقلا باشا — عني بهذه الترجمة حضرة رصيفنا الفاضل خليل افندي المطران صاحب المجلة المصرية وأحد منشئي جريدة الاهرام سابقاً كتبها خدمةً للفقيد واجابةً لاقتراح حضرة نجلهِ النجيب جبريل بك تقلا. وقد جعلها قسمين ضمَّن احدهما تاريخ حياتهِ واقوال الجرائد والشعرآء في رثائهِ وتأبينهِ واودع الآخر جملةً كبيرة من مختارات فصولهِ السياسية والاقتصادية وغيرها مما كان ينشرهُ في الاهرام. فوفى في ذلك ما للفقيد عليهِ من حقوق الوداد والجميل وما للوطن من حقوق الاشادة بذكر اكابر رجالهِ وتخليد آثار فضلهم فنثني على همتهِ واريحيتهِ ونستدرّ على الفقيد العزيز صيّب الرحمة والرضوان

المستظرفات — اهدت لنا ادارة الهلال الاغرّ نسخةً من كتاب بهذا العنوان لجامعهِ حضرة الاديب ابرهيم افندي زيدان ضمَّنهُ نوادر ادبية وفكاهية من كل ما تروق مطالعتهُ وختمهُ بنخبةٍ من مقالات الطيب الذكر والاثر الشيخ نجيب الحداد فجآء في نحو ١٥٠ صفحة متوسطة. وهو يُطلب من مكتبة الهلال بشارع الفجالة بمصر ومن سائر مكاتب القاهرة وثمنهُ خمسة غروش اميرية

فكاهات

٢ ستمبر سنة ١٨٩٨
أو
وقعة الخرطوم (١)

هي حادثةٌ واقعية قصها علينا من شهد بعض وقائعها عياناً وعرف باقيها بالخبر قال حدث في اواسط سنة ١٨٩٨ انهُ كان في شارع السكة الجديدة من شوارع القاهرة حانوتٌ يحتوي على اصناف البضائع والانسجة من مطلوب السيدات ويقيم في الحانوت المذكور صاحبهُ وهو فتى في عنفوان الشباب لا يكاد يبلغ التاسعة عشرة يسمى عثمان . وكان الفتى المذكور ذا محيًّا جميلٍ اسمر اللون اسود العينين رشيق القوام يزيد في جمالهِ قباءٌ من الحرير الملون يرتدي بهِ تحت جبةٍ من الجوخ الاسود وعلى رأسهِ عمامةٌ من الشاش الابيض النقيّ وفي قدميهِ حذاءان صغيران من الجلد الاحمر الذي يتغالى بلبسهِ فتيان القاهرة وسراتها الذين لا يزالون يحافظون على الزيّ العربي الاصيل

وكان عثمان رقيق الجانب شريف العواطف لطيف المعاملة متحبباً الى كل من يدخل حانوتهُ لصدقهِ وقناعتهِ في الربح وكان مع ذلك قليل الكلام منخفض الطرف وربما لا ينظر الى وجوه الداخلين عليهِ فاذا اتاهُ المشتري وعرف طلبهُ قدم لهُ الصنف المطلوب ثم اخذ الثمن شاكراً وهو مطرق الى الارض فاذا ذهب المشتري عاد فجلس على سجادةٍ صغيرةٍ عجمية في زاوية الدكان وفتح مصحفهُ وجعل يقرأ فيهِ ويلحّن آياتهِ بصوتٍ منخفض يساعدهُ على حفظ ما يقرأهُ غيباً

---

(١) بقلم نسيب افندي المشعلاني

وكان اذا انتصف النهار تجيء الدكان سيدة متبرقعة يغطي قدها ملاءة من الحرير الاسود تستر تحتها وعاء فيهِ طعام عثمان فيلاقيها متبسماً وينحني فيلثم يدها ثم يدخلها فتجلس داخل الحانوت ثم تقول كيف نهارك يا ولدي العزيز فيقول بخيرٍ من فضلهِ تعالى يا اماه فلهُ الحمد على كل حال • ثم يأخذ في تناول الطعام ويختمهُ بالحمد فتجلس والدتهُ واياهُ حيناً قصيرًا لا ترفع عينيها من النظر الى وجههِ والدموع المترددة في مقلتيها تنطق بشدة انعطافها اليهِ وتعلقها بهِ كان لا سلوة لها في العالم سواهُ

وفي ذات يوم جاءت الحانوت فتاة ذات قوام يزري بغصن البان وهي قد استترت بملاءة من اجود الحرير فلم يبن منها سوى عين كعين الغزال ومعصمين كأنهما من العاج وكأنها خشيت شر فتكهما فقيدتهما باطواق من الذهب • وكان عثمان غارقاً في قراءتهِ فلم ينتبه لدخولها حتى حيَّت فسمع صوتاً ارخم من النسيم واعذب من شدو البلبل فهب مذعورًا كأنهُ رُفع بقوةٍ كهربائية وشخص الى الزائرة هنيهةً ثم فطن انهُ لم يرد تحيتها فتمتم بكلمات السلام وهو لا يجسر على رفع صوتهِ • ثم طلبت الفتاة الانسجة التي تحتاج اليها فأخذ يقدم لها نفائس الاطلس والديباج حتى وجدت مطلوبها واسفرت عن وجهها لتفحص ما اختارتهُ • وكان عثمان كما ذكرنا لا يرفع نظرهُ من الارض غير انهُ شعر في تلك الساعة بجاذبٍ لم يألفهُ استلفت نظرهُ فتفرس فيها لحظةً ثم اعاد نظرهُ الى الارض خجلاً وهيبةً. ولما قضت الفتاة حاجتها نقدتهُ الثمن وهو كأنهُ مسحور ثم انثنت كالغزال الشارد وقد حملت من ذلك الحانوت فوق بضائعها قلب عثمان وحواسهُ • ولما جاءتهُ والدتهُ بالطعام حسب العادة رأتهُ متغير الاحوال متبلبل الخاطر فتغرغرت عيناها بالدموع وقالت لهُ بالله يا ولدي خفف عنك وسلم امرك نظيري الى الله يفعل ما يشاء فحسبنا انهُ لا يزال في قيد الحياة ولو كان اسيرًا ولا بد من يوم يفك الله فيهِ قيدهُ ويرجع الينا سليماً معافى • ولما سمع عثمان هذه الكلمات تذكر سبب حزنهِ السابق وخجل من نفسهِ لاشتغالهِ بهذه الفتاة عن الامر الاهم فمرت ضبابة غيظ على وجههِ ثم انقشعت فتبسم تبسماً يشف عن كمد باطن وعمد الى الطعام فتناول منهُ شيئاً ثم جلس يحادث

والدته قليلاً ونهضت بعد ذلك فعادت الى البيت وعاد الى تأملاته الاولى

وبعد بضعة ايام عادت الفتاة فزارت دكانه وما دخلت حتى ابرقت عينا عثمان وسُرّي عنه فجعل يتمنى ان تطول مدة وقوفها عنده وحاول ان يفيض معها في الحديث فلحظت ذلك وهمت بالانصراف فقال لها اتتكرمين يا سيدتي بتعريفي اسمكِ . فقالت اسمي حسناء وانا ابنة محمد بك ولكنك لن تراني في دكانك بعد الآن . ثم خرجت تاركةً اياه في بحران الحمى التي استولت عليهِ فقضى يومهُ يتقلب على احر من الجمر وهو يلوم نفسهُ تارةً لاظهار ما بهِ وطورًا لاستسلامهِ للحب وهو امرٌ لم يألفهُ من قبل . وكان ضيق صدرهِ يشتدّ فلم يستطع البقاء في الحانوت فأقفلهُ قبل الوقت المعتاد وسار على غير هدًى بين الازقة الضيقة والمنعطفات ولم ينتبه لنفسهِ الا وهو امام باب حديقة الازبكية . وكأنهُ خجل من نفسهِ لهذه الغيبوبة فدفع رسم الدخول واخذ يمشي بين خمائل الحديقة حتى انتهى الى قرب البحيرة الوسطى وكان فيها طائران من الاوزّ يغتسلان فاتكأ بالقرب منهما على بساطٍ من الخضرة الجميلة وكانت عيناهُ شاخصتين الى الماء وافكارهُ في طبقات الفضاء

وقضى عثمان نحوًا من ساعة على تلك الحال حتى غابت الشمس وهمت طلائع الظلام بالهجوم فقام من مكانهِ وجعل يسير الهوينى قاصدًا الرجوع الى البيت مخافة ان يقلق خاطر والدتهِ لغيابهِ . وما سار بضع خطواتٍ حتى رأى بالقرب من شجرة غضة كرسيين من الحديد قد جلست على احداهما فتاةٌ عرفها للحال من خفقان قلبهِ انها حسناء فتوقف لحظةً ريثما سكن جأشهُ ثم توجه نحوها بغاية الادب والرقة وبعد ما حيّا قال اعذريني ايتها الحسناء على مبادهتي لكِ بالحديث فاني اود ان اكلمكِ بضع دقائق في امرٍ يهمني جدًّا فهل تأذنين لي في ذلك . قالت اذا كان الحديث ادبيًّا ولهُ تعلق بي فلا مانع . قال اني ما صدقت ان رأيتكِ تزورين حانوتي حتى سمعت منكِ اليوم انكِ لن تجيئيهِ من بعد فهل لي ان اعلم السبب . قالت لمحت انك تريد ان تسترسل معي في الحديث الى اكثر مما يقتضيهِ البيع والشراء فصممت ان انقطع عنك لكي لا ازيدك اهتمامًا بي . قال ولمَ ذلك اذات

بعلٍ انتِ • قالت لا والحمد لله • قال فهل يدكِ مرهونةٌ لاحد • قالت لا ومعاذ الله ان افعل • فتعجب عثمان من جوابها وقال بربكِ ايتها الحسناء لي كلام احب ان اقولهُ لكِ فهل تعدينني بسماعهِ وهل يوجد مانع من ذلك • قالت اني مضطرة الآن الى الانصراف فاذا جئت غدًا في مثل ساعة مجيئك اليوم فأعدك بسماع كلامك ولكني اقول لك من الآن انهُ يكون اول وآخر موعد بيننا • ولما قالت ذلك نهضت فأشارت اليهِ بالوداع وسارت من ناحية وسار عثمان من الناحية الاخرى

وما صدق عثمان ان جاء الموعد في اليوم الثاني حتى قصد محل الاجتماع فوجد حسناء في انتظارهِ فاومأت اليهِ ان يجلس على الكرسي بازآئها ففعل وانتظرت حديثهُ فقال سألتكِ امس هل انتِ ذات بعل فقلت لا والحمد لله فكأنكِ تعتبرين الزواج امرًا مكروهاً أو بلية من بلايا الدهر • قالت اني لا اعدّ الزواج امرًا مكروهاً ولا احسبهُ بليةً على المرأة الا عندنا وذلك لما أرى من سهولة الطلاق بحيث تتزوج الفتاة منا وتكون اديبة محبة رزينة عاقلة تجهد في راحة زوجها وصلاح بيتها ولكنها لا يأتي عليها الاسبوع الاول والثاني بعد زواجها حتى ترى نفسها مكروهة في عيني بعلها وربما جاءها يوماً وهو ساخط لامر من الامور فاذا اتفق لهُ اقلّ سبب كأن لا يجد الماء باردًا في الصيف أو دافئًا في الشتاء أو نحو ذلك بادر للحال بكلمة الطلاق فتصبح تلك الزوجة الامينة في اقل من شهر كأنها لم تتزوج وتذهب شهيدة لاسباب ما انزل الله بها من سلطان • ويرى الرجل منكم ان طلاق امرأتهِ اسهل من طول اناتهِ عليها وتدريبها على هواهُ فلا يكاف نفسهُ ادنى اهتمام لتعليمها واشرابها طبعهُ وبهذا فُقدت الالفة والمحبة بين المتزوجين منا وأصبحت حياتهم عناءً مستمرًا

وكان عثمان مسحورًا بعذوبة لفظها يشرب كلماتها شرب العطشان للماء الزلال فاعجب بذكائها وقال لها وهل تعتقدين ان جميع الرجال على حدٍّ سواء • قالت لا اقول ذلك ولكن الغالب كما ذكرت اما النادر فلا يقاس عليهِ ولا تمكن معرفتهُ قبل اختبارهِ وهناك الخطر كلهُ • ولقد رغب كثيرون في الاقتران بي فرفضت قطعًا لاني افضل حياة التبتل في بيت ابي على ان اكون حظيةً لزوجي يعبدني تارةً ويلطمني طورًا

واكون فوق ذلك من دقيقة زواجي تحت خطر الطرد من بيتهِ كما يطرَد الخدم المجرمون • واستمرّ الحديث بينهما على هذا المنوال وهما بين اخذ وردّ الى ان انتهت جلستهما بفوز عثمان واستيلآئهِ على قلب حسناء ولبثا بعد ذلك يتلاقيان ويتشاكيان وقد تمكنت بينهما عقدة الولآء حتى كان احدهما لا يصبر عن لقآء الآخر

وفي ذات يوم رأت حسناء في وجه حبيبها تغيرًا فسألتهُ عن سبب ذلك فقال لها ان ابي كان ضابطًا في الجهادية وسافر الى السودان مع القائد غردون حين كنت صغيرًا ولما سقطت الخرطوم في قبضة الدراويش وقتل غردون لم نعد نسمع شيئًا عن والدي فحسبناهُ ميتًا و بكيناهُ • واخذت والدتي تفرغ جهدها في تربيتي وتهذيبي وهي لا تفتر عن ذكر والدي بالبكآء والنحيب الى ان سمعنا يومًا انهُ لا يزال حيًّا يرزق ولكنهُ اسيرٌ في قبضة الدراويش يذوق اصناف العذاب ومرارة شظف العيش • فلم يغير هذا الخبر احزاننا و بتنا نرجو رحمة الله لخلاصهِ واعادتهِ الينا • وقد بلغنا من مدةٍ خبر تقهقر الدراويش امام الحملة السودانية وان في نية الحكومة الاغارة على الخرطوم وتخليصها من ايدي المهدي ورجالهِ • وفي هذا النهار ورد علينا كتابٌ من والدي يقول فيهِ انهُ ومن معهُ من الاسرى باتوا ينتظرون الفرج بوصول العساكر وانهُ يؤمل الخلاص والعودة الينا قريبًا باذن الله ويصف شوقهُ العظيم الى رؤيتي • ولذلك عزمت ان ارافق الحملة السائرة من هنا حتى اذا فُتحت الخرطوم واجتمعت بوالدي احضرتهُ بدون تأخير واذ ذاك يتم حظنا ويكون قراننا اسعد قران بوجودهِ فهل تسمحين لي بالذهاب • فبهتت حسناء لهذا الحديث الفجآئي وتلجلجت عن الجواب ولكنها تجلدت ثم قالت معاذ الله ان احول دون اتمام مرامك وقضآء ما عليك من الحقوق لابيك فافعل ما تشآء ولكن ••• بربك يا عثمان •• احتفظ على نفسك •• ولا تطل غيابك • ثم غلبتها العبرة فاستخرطت في البكآء وشرق عثمان بدمعهِ فلم يقوَ على الكلام فقالت لا يثنِك بكآئي عن عزمك فما هو الا ضعف ويزول •••••

وسافر عثمان بعد وداع والدتهِ وحسناء وكان قد اطلع والدتهُ على ما بينهُ و بين حسنآء واوصاها بها خيرًا وما زال يجد السير حتى بلغ معسكر الجيش المصري وطلب

مواجهة كتشنر سردار الجيش . فلما مثل بين يديهِ سأله ُ كتشنر عن غرضهِ فقال ان والدي يا مولاي اسير في الخرطوم من ايام غردون باشا وقد بلغني انكم ستفتحون المدينة ولثقتي بفوزكم جئت اطلب ان يؤذن لي في مرافقة الجنود لاستقبل والدي واعتني بهِ . وكان السردار يفحص عثمان بنظرهِ الحاد فقرأ طويته ُ بلحظةٍ واحدة ثم قال لهُ ولكنك تعلم ايها الفتى انه ُ لا يؤذن لاحد خارج الخدمة ان يرافق الجيش . فقال عثمان اعلم ذلك يا مولاي ولكن في استطاعتي ايضاً ان ادخل الخدمة واسير مع الصفوف لانني تمرنت مع العساكر مدة سنتين في العباسية قبل ان ادّت والدتي عني البدل المالي . فقال كتشنر حسن ولكن لا بد لدخول الجيش من تقديم طلب وانتظار الاجرآءات القانونية وهذا يستغرق اياماً ونحن غداً سائرون الى الخرطوم . فقال عثمان ان علمي بذلك جعلني اتقدم اليك رأساً يا مولاي وانا اعتقد انك بعد ما عرفت غرضي لا تحرمني هذه النعمة ولو بطريقة استثنائية . فتبسم السردار وقد ادركته ُ عاطفة الشفقة وامر ان ينضم الى بعض الفرق فشكره ُ عثمان على ذلك وما صدق ان حصل على هذه النعمة حتى انطلق يعدو طافراً متهللاً واعداً نفسه ُ بتخليص والدهِ والرجوع الى حبيبتهِ . وفي نفس ذلك المسآء ارسل مع الجواسيس الخفية الى والدهِ رسالة يبشره ُ فيها بحضورهِ وانه ُ ينتظر المعركة القاضية ويرجو باذن الله ان يكتب لهم التوفيق فيشاهده ُ بخير وتنتهي ايام المحن والكروب

وكانت الجيوش المؤلفة من العساكر المصرية والسودانية والانكليزية تسير بأتم النظام على الخطة التي رسمها السردار وهم متجهون الى الخرطوم لعلمهم انها الحصن الذي يلجأ اليهِ المهدي فاذا حصروه ُ فيها وتمكنوا من اخذها تم الفوز لذلك القائد الباسل فقرض دولة المهدي وردّ على مصر سودانها . وحصلت في طريق الجيوش مناوشات عديدة مع طلائع الدراويش فأظهر عثمان بسالةً فائقة وتمرناً تامًّا على الاعمال العسكرية وكأن قلبه ُ انبأه ُ بالفوز فاستخفَّ بالمخاطر ولم يبالِ بالاهوال . وكانت عين السردار لا تفارقه ُ فأعجب بنشاطهِ وحسن حركتهِ وكأنه ُ مال اليهِ وودّ ان يرقيه ُ عله ُ يتمكن من ابقآئهِ في الخدمة وساعده ُ القضآء بموت احد ضباط الفرقة

فاستدعى عثمان اليهِ وجعلهُ في رتبة ملازم ثانٍ ووعدهُ خيرًا بعد انتهاء الحرب

وبعد يومين اشرفت طلائع الجيش على الخرطوم فأمر السردار بالنزول وكان الوقت ليلاً فنزلت العساكر وجعلت تستعد لواقعة الصباح . وفي ذلك المساء كتب عثمان الى حبيبتهِ الكتاب الآتي

« حبيبتي حسناء

مضى على فراقنا شهر حسبتهُ دهرًا ونفسي مملوءَةٌ بذكر ثلاثة اشخاص لا محل معهم لرابع هم والدتي ووالدي وانتِ . ولست اكتب اليكِ الآن تفاصيل سفري بعد ساعة الوداع بل ابقي ذلك الى اوقات اللقاء حتى اذا مرَّ نَفَسكِ العطر على وجهي يزيدني بلاغة في الوصف وانما اقول لكِ بمزيد الاختصار انني نلت رتبة ملازم ثانٍ في الجيش بانعام خاص من جناب السردار واننا نستعد لوقعة الغد وفيها ان شاء الله سقوط الخرطوم في يدنا واذ ذاك اقابل والدي واعود واياهُ الى القاهرة جمعنا الله على خير . طمئني والدتي عني واقرئي لها كتابي هذا وادعُوَا لي معًا بالفوز والعود السريع حتى تقرَّ بمرآكما عينا محبك

عثمان »

وما طلعت شمس اليوم الثاني من شهر ستمبر سنة ١٨٩٨ حتى اصطفت العساكر في مربعاتها وصفوفها وكانت الدراويش ترى كالنمل الزاحف على التلال وفي السهول المقابلة فلما رأت المربعات هجمت عليها وهي تؤمل ان تسحقها سحقًا . وربما كانت فعلت لو لم يتدارك السردار الامر قبل حدوثهِ فانهُ كان يسير بفيالقهِ على ضفة النهر وتمخر بالقرب منهُ مدرعاتٌ تحمل المدافع الرشاشة . فلما رأى هجوم الدراويش اصدر امرهُ باطلاق النار فكان كلما تقدم صف تحصدهُ المدافع وان نجا احد وتقدم رمتهُ بنادق المربع . واشتدت معمعة القتال فهاج الدراويش هياجًا شديدًا واكبروا الامر فانتشروا صفًّا كثيفًا مستطيلاً ثم احدقوا بالجيوش المصرية والانكليزية من الجوانب الثلاثة وهجموا هجمةً واحدة وقد استقتلوا فتلقتهم الجنود بثبات عجيب وقد جعلت صدورها ابراجًا حديدية وبنادقها براكين تقذف رسل الموت الزؤام فتراكمت

اشلاء قتلى الدراويش بعضها فوق بعض حتى اصبحت تلالاً وهم مع ذلك لا يرتدعون

وكان عثمان في موقفهِ ثابت الجأش يقاتل بعزم لا يملّ وقد رأى ما حلّ بالدراويش وتحقق ان الفوز للجيوش المصرية ولكنهُ خطر لهُ للحال فكرةٌ اجمدت دمهُ في عروقهِ فانهُ تصور ان الدراويش اذا ايقنوا بالفشل فربما عادوا الى البلدة فقتلوا الاسرى • ولما عنّ لهُ هذا الخاطر وثب من مكانهِ كأنهُ قد جنَّ وعزم ان يخترق بنفسهِ صفوف الاعداء ليحمي والدهُ من بطشهم وانهُ لكذلك اذا بفارسٍ قد مرّ بالقرب منهُ مرّ البرق الخاطف وناداهُ باسمهِ قائلاً قد سقط ضابط من الفرقة السودانية فاسرع الى مكانهِ يا عثمان • وعرف عثمان انهُ السردار فبادر لتلبية الامر ورأى بالقرب منهُ جواداً لا راكب عليهِ فامتطاهُ بسرعة البرق وفي اقلّ من دقيقتين كان في مركزهِ في الفرقة السودانية وهو يصيح قائلاً « بأمر السردار » واصابت جوادهُ رصاصة فجرحتهُ جرحاً اليماً فانطلق يعدو بهِ الى جهة العدو وقد جنَّ من ألم الجرح • ولما رأت الفرقة تقدم عثمان امامها وسمعت كلامهُ يقول « بأمر السردار » ظنت ان السردار يأمرها بالهجوم ورأى قائدها شدة الخطر ولكنهُ لم تسعهُ المخالفة فأغار امام صفوفهِ تابعاً عثمان وقامت الفرسان في اثرهما كالسيل الجارف • وقابلتها الدراويش بقلوب جريئة وكان بالقرب منها فرقةٌ اخرى فأسرعت لنجدتها وابتدأت مجزرة شديدة تطايرت فيها الرؤوس واسرعت الارواح لملاقاة خالقها وانتهت المعركة بانكسار الدراويش فتبعتهم الجيوش هاتفةً بصياح الفوز وما زالت تجد في اثرهم حتى دخلت الخرطوم

ولما غابت الشمس ولم يبقَ في تلك الساحة نور الا نور الشفق كانت بعض الجنود النظامية تسير بين اشلاء الجيش تتفقد القتلى وتنقل الجرحى الى المستشفى فمرّ منهم ضابطٌ مصري في الساحة التي اشتد فيها القتال فسمع انيناً ضعيفاً صادراً من بين الجثث فأقبل يبحث عنهُ فرأى فتًى قد غطى الدم وجههُ وثيابهُ وهو يتدفق من صدرهِ فعرفهُ انهُ عثمان لانهُ كان صديقهُ وللحال دعا بنقالة وحملهُ الى خيمتهِ وجعل يعتني بهِ بحسب معرفتهِ • وشعر عثمان بشيءٍ من الراحة ففتح عينيهِ وتنهد

من قلب جريح ثم نظر الى وجه الضابط وقال اني قد حضرت لانقاذ والدي واستصحابه معي الى القاهرة ولكنني اشعر الآن ان ساعتي قد دنت فلا امل لي في لقائه فاستحلفك بالله ايها العزيز ان تعزّيه ما استطعت ولا تدع اليأس يتمكن من نفسه واذا رأيت انهُ قد تغلب على حزنه فأرجو ان تعتني به حتى يرجع الى القاهرة واوصه ان يعزي والدتي وان يجتهدا معاً في تخفيف مصاب حبيبتي ....

وسمع الضابطان في تلك الدقيقة كلاماً خارج الخيمة فأصغيا واذا بصوت رجل يسأل الجندي هل يعرف ضابطاً في الفرقة يدعى الملازم عثمان. فقال الجندي نعم اعرفهُ فماذا تريد منهُ . فقال الرجل انهُ ولدي وقد أُنقذت منذ ساعتين من اسر الدراويش وجئت ابحث عنهُ . فقال الجندي هو داخل الخيمة فانتظرني ريثما استأذن مولاي في دخولك . اما عثمان فلما سمع كلمات والده الاخيرة لم يعد يستطيع صبرًا فنهض عن سريره ثم شهق شهقة وقال آه لو تمَّ ما املته... آه يا حسناء ... ثم سقط على السرير واهن القوى واسلم الروح

وعلى القارئ ان يتصوَّر حالة ذلك الوالد المسكين حين دخل واطلع على ما حلّ بابنه فانطرح بالقرب منهُ يبكي وينتحب وقد افقدهُ الحزن رشادهُ فجعل الضابط الآخر يعزيه ويسليه وفي الغد غسلت الجثة واودعوها التراب بالاحتفال العسكري المألوف واظهر السردار اسفهُ العظيم وكان بنفسه يعزي ذلك الوالد الحزين . وبعد ان لبث الاب اياماً قضى معظمها على ضريح ابنه عاد الى القاهرة فاجتمع بزوجته واصبح قلباهما المرتبطان بالحب والمتشوقان الى سرور الملتقى وقد ربطتهما روابط الحزن فاقاما يندبان حياتهما التي خرجت من نكدٍ الى انكد منهُ. ولبثت حسناء بعد ذلك في حزنٍ مستمرّ وقد عادت الى عزمها الاول فآلت على نفسها ان لا تفكر في الاقتران برجلٍ ما بقيت في قيد الحياة